دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

العالم العلامة المفسر، محمد بن علان الصديقي الشافعي
الأشعري المكي، المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ

طبعة جديدة مصححة
مرقمة ومخرجة الآيات والأحاديث
اعتنى بها

الشيخ خليل مأمون شيحا

الجزء الثالث

Made searchable using ScribeTools.com

جميع الحقوق محفـــوظة للناشر

الطبعة الرابعة : 1425 هـ 2004 مـ
ISBN 9953-429-72-3

دار المعـــرفـــة
للطبـاعـــة والنشـــر والتـوزيـــع

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار- شارع البرجاوي - ص ب:٧٨٧٦ ,هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٥٨٨٢٠ ، فاكس ٨٣٥٦١٤، بيروت - لبنان
Airport Square, P.O.Box :7876,Tel : 834301 , 858820, Fax : 835614 , Beirut - Lebanon
http: // www.marefah.com/ E.mail: info@marefah.com

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

٤-٣

Made searchable using ScribeTools.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ ــ باب: في تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

باب تعظيم حرمات المسلمين

(**باب تعظيم حرمات**) بضمتين جمع حرمة بضم فسكون، وهي: ما لا يحل انتهاكه من أهل ومال، (**المسلمين وبيان حقوقهم**) على إخوانهم المسلمين. (**والشفقة**) معطوف على تعظيم ويصح عطفه على حرمات أو حقوق. (**عليهم والرحمة**) عطف تفسير. (**بهم قال الله تعالى: ومن يعظم حرمات الله**) أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه، أو المراد به الحرم، أو ما يتعلق به الحج من التكاليف. (**فهو**) أي: فالعظيم، (**خير**) أي: قربة وزيادة في الطاعة، (**له عند ربه**) ثم قيل الظاهر أن خيراً هنا ليس أفعل تفضيل. (**وقال تعالى: ومن يعظم شعائر الله**) دين الله، أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أوالهدايا؛ لأنها من معالم الحج، وهو أوفق لظاهر ما بعده، وعليه فتعظيمها أن يختار سمانا غالية الأثمان. «روي أنه ﷺ أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وإن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار». (**فإنها من تقوى القلوب**) أي: فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من، وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والأمرة بهما. (**وقال تعالى**) مخاطباً لنبيه ﷺ: (**واخفض جناحك للمؤمنين**) وتواضع لهم،

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَـالَ تَعَالَى[١]: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْـرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَـأَنَّمـا قَتَـلَ النَّـاسَ جَمِيعـاً وَمَنْ أَحْياهَا فَكَأَنَّما أَحْيا النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

٢٢٣ ـ وَعَنْ أَبِـي مُـوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُـؤْمِنِ كَالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وارفق بهم. **(وقال تعالى: من قتل نفساً بغير نفس)** أي: بغير نفس توجب القصاص، **(أو)** بغير **(فساد في الأرض)** كالشرك وقطع الطريق، وثبت بالسنة رجم الزاني المحصن وقتل تارك الصلاة. **(فكأنما قتل الناس جميعاً)** من حيث إنه هتك حرمة الدماء، وسن القتل، وجرأ الناس عليه، أو من حيث إن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم. **(ومن أحياها)** أي: تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة. **(فكأنما أحيا الناس جميعاً)** أي: كأنه فعل ذلك بهم جميعاً، والمطلوب منه تعظيم قتل النفس وإحياءها في القلوب، ترهيباً من التعرض لها، وترغيباً في المجافاة لها.

٢٢٣ ـ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان) فالمؤمن مبتدأ، وقوله: كالبنيان خبره وقوله: للمؤمن، يصح كونه حالاً من المبتدأ، وصفة له، لأن أل فيه جنسية وقوله: **(يشد بعضه بعضاً)** جملة استئنافية لبيان وجه الشبه. قال القرطبي: هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وإن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ويقويه، وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه، وكذا المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلحق بالهالكين، **(وشبك)** يحتمل أن يكون النبي ﷺ، وأن يكون الراوي. **(بين أصابعه)** وذلك تقريب لوجه التشبيه وبيان للتداخل. **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الصلاة والأدب، ومسلم في الأدب من صحيحيهما، ورواه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: فضل تعاون المؤمنين. (٥/٧٢) و(١٠/٣٧٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (الحديث: ٦٥).

٢٢٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَرَّ في شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا أَوْ أَسْواقِنا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِها بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيْبَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٢٥ ــ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنينِ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ .....

الترمذي في الزهد، وقال: صحيح غريب من حديث أبي موسى والنسائي في الإيمان.

٢٢٤ ــ **(وعنه)** أي: أبي موسى، **(قال: قال النبي ﷺ: من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا)** قال الحافظ ابن حجر: هو تنويع من الشارع وليس شكاً من الراوي. **(ومعه نبل)** جملة في محل الحال من فاعل مر والنبل: بفتح النون وسكون الموحدة، السهام العربية، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها. **(فليمسك أو)** شك من الراوي **(ليقبض)** بكسر اللام، للأمر أيضاً، **(على نصالها)** قيل: على فيه بمعنى الباء، وقيل: ضمن العامل معنى الاستعلاء للمبالغة، والنضال بكسر النون وبالمهملة، الحديدة التي في رأس السهم، **(بكفه)** متعلق بيمسك، أو يقبض مخافة **(أن يصيب أحداً من المسلمين منها)** أي: بسبب النصال، فمن تعليلية، **(شيء)** فيتأذى به. **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، ومسلم في الأدب، ورواه أبو داود في الجهاد، وابن ماجه في الأدب، كذا في الأطراف للمزي.

٢٢٥ ــ **(وعن النعمان)** بضم النون وسكون العين المهملة، **(ابن بشير)** بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة وسكون التحتية، **(رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: مثل)** بفتح أوليه ويقال فيه مثل ومثيل ومثلها شبه وشبه وشبيه أي: صفة **(المؤمنين)** وفي نسخة المسلمين، والذي في الصحيحين: المؤمنين أي: الكاملي الإيمان، كما قال ابن أبي جمرة، **(في توادهم)** بتشديد الدال، والأصل تواددهم، فأدغم، والتوادد تفاعل من المودة، وهي: تقرب شخص من آخر بما يحب، قال القرطبي: ووقع في رواية توادهم بغير في، ويصح ذلك، ويكون مخفوضاً على أنه بدل اشتمال من المؤمنين، **(وتراحمهم وتعاطفهم)** قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف، وإن كانت متقاربة في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: المرور في المسجد، (١٣/٢٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلاة والآداب، باب: أمر من مرَّ بسلاح، في مسجد... (الحديث: ١٢٤).

Made searchable using ScribeTools.com

مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ

المعنى، لكن بينها فرق لطيف، فالتراحم المراد به: أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، والتوادد المراد به: التواصل الجالب للمحبة، كالتزاور والتهادي، والتعاطف المراد به: إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه. ا هـ ملخصاً. **(مثل الجسد)** أي: بالنسبة إلى جميع أعضائه، وجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة، كما بينه بقوله: **(إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد)** أي: دعى باقيه بعضه إلى بعض إلى المشاركة في الألم، يقال: تداعت الحيطان، أي: تساقطت، أو كادت. **(بالسهر والحمى)** الظرف متعلق بتداعى، وتداعيه بالسهر؛ لأن الألم يمنع النوم، وأما الحمى؛ فلأن فقد النوم يثيرها، والحمى بضم المهملة وتشديد الميم، عرفها حذاق الأطباء بأنها: حرارة غريبة تشتعل في القلب فتنبث منه في جميع البدن فيشتعل اشتعالاً يضر بالأفعال الطبيعية، قال ابن أبي جمرة: شبه ﷺ الإيمان بالجسد، وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف، شأن ذلك الإخلال الأصل، وذلك الجسد أصل كالشجر، وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الجسد، اشتكت الأعضاء كلها بالاهتزاز والاضطراب ا هـ. قال القاضي عياض: وفي الحديث تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضاً. **(متفق عليه)** وفي رواية لمسلم عن النعمان مرفوعاً: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله».

٢٢٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل النبي ﷺ سبطه)** وريحانته **(الحسن بن علي رضي الله عنهما)** وجملة **(وعنده الأقرع بن حابس)** في محل الحال من فاعل قبل، واسم الأقرع: فراس، ولقب بذلك، لقرع كان في رأسه، وهو تميمي، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً وحصار الطائف، قال في فتح الباري: وهو من المؤلفة، وممن حسن إسلامه **(فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس البهائم. (١٠/٣٦٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم... (الحديث: ٦٦).

مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مِنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»

بفتحتين، أو بضم فسكون (**ما قبلت أحداً منهم**) وذلك لما في أهل البادية من الغلظ والجفاء، كما في الحديث: «من بدا فقد جفا»، (**فنظر إليه رسول الله ﷺ**) متعجباً من تلك الغلظة الناشىء عنها عدم الشفقة على الأولاد، الناشىء عنها عدم تقبيلهم وحملهم وشمهم (**فقال**) عقب نظره إليه: (**من لا يرحم**) بالبناء للفاعل، وحذف المفعول للتعميم، أو كنى به عن الفعل مع مفعوله، أي: من لا يرحم الناس، ويقرب من هذا المعنى رواية جابر: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» قاله الشيخ اكمل الدين في شرح المشارق: لكن الحديث سيأتي عن جرير، ولعل قوله عن جابر من الكاتب، أو من باب تنزيل المتعدي منزلة اللازم، نحو: فلان يعطي ويمنع، أي: موصوف بتينك الصفتين، أي: من لا رحمة عنده (**لا يرحم**) بالبناء للمفعول، أي: لا يرحمه الله، قال في فتح الباري: هو بالرفع فيهما على الخبر، قال عياض: هو الأكثر، وقال أبو البقاء: من موصولة، ويجوز أن تكون شرطية، فيقرأ مجزوماً، قال السهيلي: جعله على الخبر أشبه بسياق الكلام، أي: الذي يفعل هذا الفعل لا يرحم، ولو كانت شرطية لكان في الكلام بعض انقطاع، لأنّ الشرط وجوابه كلام مستأنف «قلت»: وهو أولى من وجه آخر؛ لأنه يصير كضرب المثل، ورجح بعضهم كونها موصولة، لكون الشرط إذا عقبه نفي ينفى بلم لا بلا كقوله: «ومن لم يؤمن» وإن كان الآخر جائزاً كقول زهير: «ومن لا يظلم الناس يظلم» وهذا لا يقتضي ترجيحاً إذا كان المقام لائقاً بكونها شرطية، وأجاز بعض شراح المشارق رفع الجزأين وجزمهما، ورفع الأول وجزم الثاني، أو عكسه، ويحصل منه أربعة أوجه، استبعد ثالثها، ووجه بأن يكون في الثاني بمعنى النهي، أي: من لا يرحم الناس لا ترحموه، وتقدير الرابع: من لا يكون من أهل الرحمة فإنه لا يرحم اهـ. ملخصاً من الفتح. وشارح المشارق المشار إليه: هو الشيخ أكمل الدين، وعبارته: «روي بالسكون والرفع، أما السكون فيهما، فعلى الشرط والجزاء، وأما الرفع في الأول، فيجعل من موصولة، وكذا في الثاني، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: فهو لا يرحم» اهـ. وفاته ذكر الوجه الثالث، ومعنى هاتين الجملتين، قال ابن أبي جمرة يحتمل أن يكون من لا يرحم غيره بأي نوع من أنواع الإحسان، لا يحصل له هذا الثواب، كما قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[1] ويحتمل أن يكون المراد: من لا تكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا، لا يرحم في الآخرة، أو من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، لا يرحمه الله، لأنه ليس عنده عهد، فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال، والثانية

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٢٢٧ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ على

بمعنى الجزاء، أي: لا يثاب إلا من عمل صالحاً، ويحتمل أن تكون الأولى الصدقة، والثانية البلاء، أي: لا يسلم من البلاء إلا من تصدق، أو من لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى، لا يرحم مطلقاً، أو لا ينظر الله بعين الرحمة إلا إلى من جعل في قلبه الرحمة، ولو كان عمله صالحاً ا هـ ملخصاً. قال: وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه في هذه الأوجه كلها، فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه. ا هـ. وفي جواب النبي ﷺ للأقرع، إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل والمحارم والأجانب، إنما يكون للشفقة والرحمة، لا للشهوة واللذة، وكذا الضم والمعانقة والشم. **(متفق عليه)** قال في الجامع الصغير: ورواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة، ورواه الشيخان عن جرير، وروىٰ أحمد والشيخان والترمذي عن جرير: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله». ورواه بهذا اللفظ أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد، ورواه الطبراني بلفظ «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» عن جرير، ورواه أحمد بلفظ «من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له» عن جرير، ورواه بهذا اللفظ الطبراني عن جرير وزاد «من لا يتب لا يتب عليه» ا هـ.

٢٢٧ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم) بكسر الدال المهملة **(ناس)** اسم جنس، قيل: أصله أناس بضم الهمزة، فحذفت حذفها في لوقه وعوض عنها حرف التعريف، ولذلك لا يجمع بينهما وهو اسم جمع، كرخال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع، وتقدم عن البيضاوي في التفسير أنه مأخوذ من أنس كفرح، لأنهم يأنسون بأمثالهم، أو أنس كضرب، لأنهم ظاهرون مبصرون، ولذا سموا بشراً كما سمي الجن جناً، لاجتنانهم ا هـ. وقيل: قلب من نسي، وقيل: بل أصله ناس بنوس، إذا اضطرب، وكان تعويض أل عن الهمزة ليس على وجه اللزوم، فلذا قالته الفصيحة بالتنكير، وأل فيه إذا عرف للجنس. وهؤلاء الناس يحتمل أن يكونوا من بني تميم، الذين رئيسهم الأقرع، فيكون الحديث وما قبله في قصة واحدة، ويحتمل أنهما قصتان. **(من الأعراب)** هم سكان البوادي، وفي نسخة من العرب، وهم ولد إسماعيل **(على رسول الله ﷺ)** وفي رواية البخاري: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، وهذا الرجل قال شيخ الإسلام زكريا نقلاً عن الحافظ: يحتمل كونه الأقرع «قلت» وحكى المصنف في مبهماته عن الخطيب قولاً، أنه عيينة بن حصن، قال: وقد جاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله. (١٠/٣٥٩، ٣٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: رحمة النبي ﷺ... (الحديث: ٦٦).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٢٨ ــ وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ» . . . . . .

في الصحيحين التصريح بأنه الأقرع، فإن صح عن عيينة أيضاً فهما قصتان اهـ. **(فقالوا)** وقد رأوا المسلمين يقبلون صغارهم: **(أتقبلون صبيانكم)** بكسر الصاد وضمها، جمع صبي، ويجمع على صبية كما في الصحاح، وفي رواية البخاري السابقة، تقبلون، بتقدير ألف الاستفهام **(فقالوا)** أي: المسلمون وفي نسخة فقال، أي: النبي ﷺ **(نعم قالوا)** أي: الأعراب، أو العرب **(لكنا)** استدراك من قولهم نعم من حيث إن الجنس واحد، وإنهم بشر، فربما يتوهم أنهم كذلك فقالوا: لكنا **(والله ما نقبل)** من حذف المفعول للتعميم، أي: صغارنا، أو من تنزيل المتعدي منزلة اللازم نحو، هل يستوي الذين يعلمون، **(فقال رسول الله ﷺ أو أملك)** بالهمزة للاستفهام الإنكاري، وهو بفتح الواو العاطفة على مقدر بعد الهمزة على رأي الزمخشري، وقيل: إن الهمزة من جملة المعطوف، وإن الواو مؤخرة من تقديم لصدارة الهمزة، والتقدير على الأول، أتنزع الرحمة من قلبك وأملك، أي: أقدر أن أجعلها في قلبك، فمفعول أملك محذوف وقوله: **(إن نزع الله منكم الرحمة)** بفتح الهمزة، تقليل لذلك، أي: لا **أملك** وضعها في قلوبكم، لأن الله نزعها منكم. وأشار صاحب المفاتيح إلى كون أن بفتح الهمزة ومدخولها مفعول أملك على تقدير مضاف، أي: أو **أملك** عدم نزع الله منكم الرحمة، أي: لأن ما نزعه الله تعالى لا يقدر أحد على وضعه، **قال** العاقولي: ويجوز كسر الهمزة على أن إن أداة شرط، جزاؤها محذوف لدلالة الكلام السابق عليه، أي: إن نزع الله الرحمة من قلبكم فلا أملك لكم دفعه ومنعه. **(متفق عليه)** وهذا لفظ مسلم. وهذا الحديث اقتصر المزي على عزوه للبخاري فقط، مع أنه بهذا اللفظ لمسلم في كتاب فضائل الأنبياء، وأما البخاري، فرواه في كتاب الأدب بنحوه.

٢٢٨ ــ **(وعن جرير بن عبد الله)** البجلي **(رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من لا يرحم الناس)** خصوا بالذكر اهتماما بهم، وإلا فالرحمة مطلوبة لسائر المخلوقات حتى الدواب والبهائم، ففي كل كبد حرا رطبة أجر، **(لا يرحمه الله)** قال العاقولي: الرحمة بمعنى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته بنحوه. (١٠/٣٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: رحمة النبي ﷺ الصبيان والعيال... (الحديث: ٦٤).

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٢٢٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ والْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ

التعطف والرقة، فهي من الخلق بالمعنى الحقيقي، ومن الله بالمعنى الغائي، وهو الرضى عنه، وإيصال النعم إليه. قال الدماميني في مصابيح الجامع الصحيح: اعلم أنه يجوز عند المتكلمين في تأويل ما لا يسوغ نسبته إلى الله تعالى على حقيقته اللغوية وجهان «أحدهما»: الحمل على الإرادة، فيكون من صفات الذات، «والآخر»: الحمل على فعل الإكرام، فيكون من صفات الأفعال، كالرحمة، فإنها في اللغة مشتقة من الرحم، وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلي، وهذا مستحيل في حق الباري، فمنهم من يحملها على إرادة الخير، ومنهم من يحملها على فعله، ثم بعد ذلك يتعين أحد التأويلين في بعض السياقات لمانع يمنع الآخر، كحديث «خلق الله الرحمة يوم خلقها» فيتعين تأويل الرحمة بفعل الخير لتكون صفة فعل، فتكون حادثة عند الأشعري، فيتسلط عليها الخلق، ولا يصح تأويلها فيه بالإرادة، لأنها إذ ذاك من صفات الذات، فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها، ويتعين تأويلها بالإرادة في قوله تعالى: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾[٢] لأنك لو حملتها على الفعل لكان العصمة بعينها، فيكون استثناء الشيء من نفسه، وكأنك قلت: لا عاصم إلا العاصم. فتكون الرحمة الإرادة، والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات، كأنه قال: لا يمنع المحذور إلا من أراد له السلامة فتأمل ا هـ. **(متفق عليه)** اقتصر المزي في الأطراف على عزوه بهذا اللفظ عن جرير إلى مسلم والترمذي، قال: وقال الترمذي حسن صحيح، وتقدم تخريجه عن الصحيحين وغيرهما، في الكلام على حديث أبي هريرة نقلاً عن الجامع الصغير.

٢٢٩ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا صلى أحدكم) إماماً **(للناس)** وفي رواية مسلم، إذا أم أحدكم **(فليخفف)** بأن يقتصر على أواسط المفصل وصغاره، وفي التسبيح في الركوع والسجود على ثلاث مرات، ويأتي بكمال التشهد والصلاة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: رحمة النبي ﷺ... (الحديث: ٦٦).
وأخرجه البخاري في التوحيد باب قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ وفي الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم. (١٣/٣٠٣). وأخرجه أحمد: (٣/٤٠).

(٢) سورة هود، الآية: ٤٣.

لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفي رِوايَةٍ «وَذَا الحَاجَةِ»[١].

على النبي ﷺ، وهذا في إمام العامة، أما إمام قوم محصورين لم يتعلق بعينهم حق، راضين بالتطويل في مسجد، لا يطرقهم غيرهم، فلا بأس به[٢] ومحل ذلك أيضاً في غير ما لم يرد فيه قراءة سورة معينة إلا كـ «ـالٓم تنزيل»، وهل أتى، في صبح الجمعة، وقَ، واقتربت، في العيد، ونحو ذلك، فيأتي به وإن لم يرض القوم، اكتفاء بوروده من فعله ﷺ، قال ابن دقيق العيد: التخفيف والتطويل من الأمور الإضافية، فقد يكون الشيء خفيفاً بالنسبة إلى عادة قوم، طويلاً بالنسبة إلى عادة قوم آخرين. وقول الفقهاء، لا يزيد الإمام على ثلاث تسبيحات في الركوع والسجود، لا يخالف ما ورد عن النبي ﷺ، أنه كان يزيد على ذلك لأن رغبة الصحابة في الخير تقتضي أن لا يكون ذلك تطويلاً، قال الحافظ ابن حجر: وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي عن عثمان بن أبي العاص، أن النبي ﷺ قال له: أنت إمام قومك، واقدر القوم بأضعفهم، إسناده حسن، وأصله في مسلم **(فإن فيهم الضعيف)**، أي: في خلقته كالنحيف **(والسقيم)**، من به مرض **(والكبير)**، أي: في السن، والجملة تعليل للأمر المذكور، وقضيته أنه متى لم يكن فيهم متصف بصفة من المذكورات، لم يضر التطويل، لكن، قال ابن سيد الناس اليعمري، الأحكام إنما تناط بالغالب لا بالصور النادرة، فينبغي للأئمة التخفيف مطلقاً، قال: وهذا كما شرع القصر في صلاة السفر، وعلل بالمشقة، وهي مع ذلك تشرع وإن لم يشق عملاً بالغالب، لأنه لا يدري ما يطرأ عليه، وكذلك هنا **(وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)** ولمسلم: «فليصل كيف شاء»، أي: مخففاً أو مطولاً. **(متفق عليه)** ورواه أبو داود، والترمذي إلى قوله والكبير، وفي الجامع الصغير من حديث أبي واقد: «كان ﷺ أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه». رواه أحمد. **(وفي رواية)**، أي: في الصحيحين، وهي عند أبي داود أيضاً **(وذا الحاجة)**، أي: صاحب حاجة يريد قضاءها عقب الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجماعة والإمامة، باب: إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٢/١٦٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف... (الحديث: ١٨٣).

(٢) قوله فلا بأس به كذا في فتح الباري ونقل ابن حجر في التحفة عن المجموع عن جمع ندب التطويل حينئذ قال: واعتمده جمع متأخرون وعليه تحمل الأخبار الصحيحة في تطويله ﷺ أحياناً أما إذا انتفى شرط مما ذكر فيكره له التطويل وإن أذن ذو الحق السابق في الجماعة لأن الإذن فيما لا يستلزم الإذن في التطويل فاحتيج للنص فيه اهـ منه.

Made searchable using ScribeTools.com

٢٣٠ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٢٣١ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. . . . . .

---

٢٣٠ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن)** مخففة من الثقيلة، أي: إنه **(كان رسول الله ﷺ)** من كمال شفقته على أمته **(ليدع)**، أي: يترك **(العمل)**، واللام هي الفارقة بين المخففة وان النافية، وجملة **(وهو يحب أن يعمل به)**، في محل الحال، ومحبته للعمل لما فيه من التقرب إلى الله عز وجل، والتوسل إلى زيادة مراضيه. وقوله: **(خشية)**، مفعول، أي: خوف **(أن يعمل به الناس)** اتباعاً له إذا فعله وهم مقتدون به في سائر الأحوال، **(فيفرض عليهم)**، ومن ذلك ترك الخروج إلى القوم لصلاة الليل جماعة في الليلة الثالثة، أو الرابعة من رمضان حتى طلع الفجر فخرج عليهم، وقال: ما منعني إلا خشية أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها متفق عليه.

٢٣١ ـ **(وعنها)**، أي: عائشة **(قالت نهاهم)**، أي: الصحابة **(النبي ﷺ عن الوصال)**، وهو: أن لا يتناول مفطراً بين الصومين، وقيل: استدامة أحوال الصائم، فعلى الثاني يخرج من الوصال بالجماع والتقيؤ دون الأول، والنهي فيه عندنا للتحريم، **(رحمة لهم)**، علة للنهي، ولا يمنع من كونه على وجه التحريم، ويكون سبب التحريم الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم. **(فقالوا إنك تواصل)**، أي: وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تفعل ذلك تقرباً إلى الله، فنحن لكوننا لسنا معصومين، أولى بفعل ما يكتسب به غفر الذنوب والتوسل إلى مرضات الله تعالى. **(قال)**: مبيناً لاختصاص قربة الوصال به، **(إني لست كهيئتكم)**، أي: على صفتكم ومنزلتكم من الله، أي: إن له ﷺ من القرب من الله تعالى وعلو المنزلة عنده ما ليس لهم. وفي رواية للبخاري، «وأيكم مثلي»، وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد. **(إني يطعمني)**، بضم أوله، **(ربي ويسقيني)**، يجوز فتح أوله وضمه من سقى وأسقى، إلا أن تصح رواية بأحدهما فيرجع إليها. **(متفق عليه)**،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل. (٣/٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى... (الحديث: ٧٧).

مَعْنَاهُ: يَجْعَلُ فِيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ(١).

٢٣٢ ــ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنِ رِبْعِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

أخرجه مسلم في كتاب الصوم، وكذا البخاري فيه وفي غيره، ورواه مالك والنسائي، **(معناه)**، أي المعنى المراد من قوله يطعمني الخ **(يجعل في)**، بتشديد الياء **(قوة من أكل وشرب)**، كذا قاله الجمهور. فهو مجاز من ذكر الملزوم وإرادة اللازم، أي: يجعل فيّ القوة المذكورة، ويفيض عليّ ما يسد مسد الطعام والشراب والقوة على أنواع الطاعات من غير ضعف في القوة ولا كلال في الإحساس. وقيل: المعنى على المجاز أيضاً، أنه يجعل فيه من الشبع والري ما يغني عن الطعام والشراب، فلا يحس بجوع ولا عطش. والفرق بين القولين أنه على الأول يعطي القوة من غير شبع ولا ري، وعلى الثاني يعطي القوة مع ذلك، ورجح الأول بأن الثاني ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصيام والوصال، لأن الجوع روح هذه العبادة بخصوصها، قال القرطبي: ويبعده أيضاً النظر إلى حاله ﷺ، فإنه كان يجوع أكثر مما كان يشبع، ويربط على بطنه الحجارة من الجوع، وجنح ابن القيم إلى أن المراد أنه يشغله بالتفكر في عظمته، والتحلي بمشاهدته، والتغذي بمعارفه، وقرة العين بمحبته، والاستغراق في مناجاته، والإقبال عليه عن الطعام والشراب. قال: وقد يكون هذا الغذاء أعظم من غذاء الأجساد، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الجسماني ا هـ. وقيل: إن المراد منه حقيقته، فإنه كان يؤتى بطعام وشراب من الجنة كرامة له، وذلك لا يفطره، لأن المفطر طعام الدنيا، أما طعام الجنة، أي: المأتي على وجه المعجزة فلا. وبه يرد رد المصنف بقوله: لو كان حقيقة لم يكن مواصلاً. قال ابن المنير: هو محمول على أن أكله في تلك الحالة كحال النائم الذي يحصل الشبع والري، ويستمر له حتى يستيقظ، فلا يبطل به صومه، ولا يقطع وصاله، ولا ينقص أجره، قال الحافظ: وحاصله أن يحمل ذلك على حالة استغراقه في أحواله الشريفة، حتى لا يؤثر فيه حينئذ شيء من الأحوال البشرية ا هـ. وقيل: إنه كان يؤتى به في النوم فيستيقظ وهو يجد الشبع والري.

٢٣٢ ــ (وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي) الأنصاري **(رضي الله عنه قال: قال**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصوم، باب: الوصال. (٤/١٧٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم، (الحديث: ٦١).

Made searchable using ScribeTools.com

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيها فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ في صَلاَتي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

رسول الله ﷺ: إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها) جملة حالية من فاعل أقوم، أو معطوفة على جملة لأقوم، وإرادته التطويل فيها، لما يناله من قرة عينه بمناجاته ربه، ولذيذ أنسه به، كما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، هذا هو الأصح، وإن احتمل أن المراد ما قاله ابن فورك: من أن تلك الصلاة هي قوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾(٢) ذكره الشنواني في حاشية شرح خطبة مختصر خليل للقاني. **(فأسمع بكاء الطفل)**، قال في الصحاح: الطفل هو المولود. قال البدر الدماميني في تحفة الغريب على مغني اللبيب: وقد كنت وقفت على فصل لبعض اللغويين ذكر فيه صفات الإنسان التي يختص بإطلاقها عليه بحسب الأزمنة المختلفة فقلت ناظماً لها:

اصخ لصفات الآدمي وضبطها ... لتلقط درأً تفتنيه بديعا
جنين إذا ما كان في بطن أمه ... ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا
وإن فطموه فالغلام لسبعة ... كذا يافع للعشر قله مطيعا
إلي خمس عشر بالحزور سمه ... لتحسن فيما تنتحيه صنيعا
فمد إلى خمس وعشرين حجة ... بذاك دعاه الفاضلون جميعا
ومن بعد يدعى بالعطيطل لانتها ... ثلاثين فاحفظ لا تعد مضيعا
صمل لحد الأربعين وبعده ... بكهل إلى الخمسين فادع سميعا
وشيخا إلى حد الثمانين فادعه ... بها ثم هما للممات سريعا

قال الحافظ ابن حجر في أواخر كتاب الهبة من الفتح: يطلق على الشخص قبل البلوغ أنه طفل وغلام، وتخصيص بعض اللغويين بما ذكر أغلبي. **(فأتجوز)**، أي: أخفف **(في صلاتي)**، بين مسلم في رواية له عن أنس محل التخفيف منها، ولفظه: فيقرأ بالسورة القصيرة، وبين ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن سابط مقدارها ولفظه، أنه قرأ في الركعة الأولى سورة طويلة، فسمع بكاء صبي فقرأ في الثانية بثلاث آيات، وهذا مرسل، **(كراهية)** بتخفيف الياء، مصدر كره وهو مفعول له، أي: لكراهة **(أن أشق على أمه)** بدوامها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: صلاة الجماعة، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي وفي صفة الصلاة، باب: خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس. (٢/١٦٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢٣٣ ــ وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ . . . . . .

في الصلاة لتطويلها مع بكاء ابنها، وذكر الأم خرج مخرج الغالب، وإلا فمن في معناها ملحق بها، والتخفيف السابق في حديث أبي هريرة لحق المأمومين، وفي هذا لمصلحة غير المأمومين، لكن بحيث يتعلق بمن يرجع إليه، وفي الحديث شفقته ﷺ على الصحابة، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير. (رواه البخاري) في كتاب الصلاة، وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

٢٣٣ ــ (وعن) أبي عبد الله (جندب) بضم الجيم والمهملة وبفتحها (ابن عبد الله) ابن سفيان البجلي العلقي، (رضي الله عنه) وعلقة، بفتح المهملة واللام، بطن من بجيلة له صحبة ليست بالقديمة، وقال في المشكاة: جندب القسري، بفتح أوليه، قال: وفي بعض نسخ المصابيح القشيري قال شارحها: وهو غلط، سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة، قال ابن منده وأبو نعيم: ويقال له جندب الخير، قال ابن الأثير: والذي ذكره الكلبي أن جندب الخير هو جندب بن عبد الله بن الأحزم الأزدي الغامدي ا هـ. روي له عن رسول الله ثلاثة وأربعون حديثاً، أخرج له منها في الصحيحين اثني عشر حديثاً، اتفقا على سبعة منها، والباقي لمسلم. (قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاة الصبح)، أي: جماعة كما في رواية أخرى لمسلم، فتقيد بها هذه الرواية المطلقة، (فهو في ذمة الله)، أي: أمانه وعهده، وكأنها خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت ابتداء انتشار الناس في حوائجهم المحتاجين فيه، وفي دوامه إلى أمن بعضهم من بعض، لا لأفضليتها، قيل: وهذا أوضح مما قاله الطيبي من أنها خصت بالذكر لما فيها من الكلفة والمشقة، فكان أداؤها مظنة خلوص الرجل ومثنة إيمانه، ومن كان مؤمناً فهو في ذمة الله وعهده، وذلك لأن ما قاله الطيبي يجري في العصر، فكأن ذكر ذلك فيها أولى لوجود هذا المعنى فيها مع كونها أفضل، وفي العشاء بل المشقة فيها أكثر، فلم يبق ما يميز الصبح عن غيرها من الخمس إلا ما ذكرناه. (فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته)، أي: الله: قال الطيبي: ويجوز أن يعود إلى من، وقيل: يحتمل أن المراد بالذمة الصلاة المقتضية للأمان، فيكون المعنى: لا تتركوا صلاة الصبح فينتقض به العهد الذي بينكم وبين ربكم فيطلبكم به. (فإنه) أي: الشأن. (من يطلبه)، أي: الله (من ذمته)، أي: من عهده، بأن خفره فيه وتعرض لمن هو فيه، ولو (بشيء) يسير (يدركه)، إذ لا مهرب منه، (ثم) بعد إدراكه، (يكبه) بفتح حرف المضارعة، وهو أحد

Made searchable using ScribeTools.com

عَلَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

٢٣٤ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، وَمَنْ

الأفعال التي ثلاثيها متعد، وإذا زيدت فيه الهمزة صار قاصراً، أي: يلقيه **(على وجهه في نار جهنم)**، قال الطيبي: قوله فلا يطلبنكم الله من باب لا أرينك، ههنا وقع النهي عن مطالبة الله إياهم عن نقض العهد، والمراد نهيهم عن التعرض لما يوجب مطالبة الله إياهم وفيه مبالغات، لأن الأصل لا تخفروا ذمته، فجيء بالنهي كما ترى، وصرح بلفظ الله، ووضع المنهي الذي هو مسبب موضع التعرض الذي هو سبب فيه، ثم أعاد الطلب، وكرر الذمة، ورتب عليه الوعيد، والمعنى من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا تتعرضوا له بشيء يسير، فإنكم إن تعرضتم له يدرككم الله، وإن تفوتوه فيحيط بكم من جوانبكم كما يحيط المحيط بالمحاط، فيكبكم في نار جهنم. قال ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: وفيه غاية التحذير من التعرض بسوء لمن صلى الصبح المستلزمة لصلاة بقية الخمس، وأن في التعرض له بسوء غاية الإهانة والعذاب ا هـ. ونقل الشعراني في كتاب الحوض المورود، أن الحجاج كان مع شدة فجوره، إذا أتى له بأحد يسأله هل صليت الصبح؟ فإن قال نعم ترك التعرض له بسوء خوفاً من هذا الوجه. **(رواه مسلم)** في كتاب الصلاة، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة، ولفظه: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته»، وسيأتي فيه بسط في باب التحذير من إيذاء الصالحين.

٢٣٤ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: المسلم أخو المسلم) قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٢] قال البيضاوي: أي: من حيث إنهم منسوبون إلى أصل هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية ا هـ. ورتب على هذه الأخوة المقتضية لمزيد الشفقة والتناصر والتعاون قوله: **(لا يظلمه)**، بأن ينقصه من ماله، أو من حقه، بغصب أو نحوه، ولا يسلمه إلى عدو متعد عليه عدواناً، بل ينصره ويدفع الظلم عنه، ويدفعه عن الظلم، كما سيأتي في حديث انصر أخاك ظالماً. **(ولا يسلمه)** إلى عدوه، ومنه نفسه التي هي أمارة بالسوء، والشيطان، كما قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾[٣] فيحول بينه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (الحديث: ٢٦٢).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠. (٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ» . . . . . .

وبين دواعي النفس من الشهوات، والدعة المقتضية للنزول عن مقام الأخيار، والحلول في جملة الأشرار، وبينه وبين الشيطان الذي يأمر بالسوء والفحشاء، وبينه وبين العدو الباغي عليه بالظلم والاعتداء. **(من كان في حاجة أخيه)**، أي: ما يحتاج إليه حالاً أو مآلاً. **(كان الله في حاجته)** جزاء وفاقاً ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[1] روى الطبراني مرفوعاً: «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن كسوت عورته أو أشبعت جوعته أو قضيت له حاجته» وورد مرفوعاً أيضاً: «من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق». وأوردهما في الفتح المبين شرح الأربعين **(ومن فرج)** بتشديد الراء، **(عن مسلم كربة)** بضم الكاف، الهم الذي يأخذ النفس. **(فرج الله عنه بها)**، أي: بتلك المرة من التفريج، **(كربة من كرب)** بضم ففتح، جمع كربة، كقربة وقرب. **(يوم القيامة)** ثم آثر التفريج على رديفه، من وسع الوارد في رواية أخرى، لأنه أعظم من التنفيس، لأنه إزالتها بالكلية، والتنفيس إنما فيه إرخاء وتهوين. **(ومن ستر مسلماً)** من ذوي الهيئات ونحوهم ممن لم يعرف بأذى أو فساد، بأن علم منه معصية فيما مضى، فلم يخبر بها حاكماً، وهذا للندب، إذ لو لم يستره ورفعه لحاكم لم يأثم إجماعاً، بل ارتكب خلاف الأولى، أو مكروهاً. أما كشفها لغير الحاكم، كالتحدث بها، فذلك غيبة شديدة الإثم والوزر، ويندب لمن جاءه تائب نادم وأقر بحد، ولم يفسره، أن لا يستفسره، بل يأمره بستر نفسه، كما أمر ﷺ ماعزاً، وكذا تندب الشفاعة فيمن ظهرت منه جريمة من ذوي الهيئات، حتى لا يوصل إليه، ففي الحديث «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» رواه أبو داود والنسائي، ومنه أخذ أصحابنا أن لا تعزير لذوي الهيئة على هفوة أو زلة صدرت منه. أو المراد بستر المسلم ستر عورته الحسية والمعنوية بإعانته على ستر دينه، كأن يكون محتاجاً لنكاح فيتوصل له في التزوج، أو الكسل فيتوصل له إلى بضاعة يتجر فيها، أو نحو ذلك، **(ستره الله يوم القيامة)** بالمعنيين، بأن لا يعاقبه على ما فرط منه، لأنه تعالى حي كريم، وستر العورة من الحياء والكرم، ففيه تخلق بخلق الله، والله يحب المتخلق بأخلاقه. وخرج بنحو ذي الهيئات من عرف بالأذى والفساد، فيندب، بل قد يجب أن لا يستر عليه بل أن يظهر حاله للناس حتى يتوقوه، أو يرفعه لولي الأمر حتى يقيم عليه

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٣٥ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَخُونُهُ وَلَا يُكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ؛ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ:

واجبه من حد أو تعزير ما لم يخش مفسدة، لأن الستر عليه يطمعه في مزيد الأذى والفساد، وبقولنا فيما مضى ما لو رآه متلبساً بالمعصية فيلزمه المبادرة بمنعه فيها بنفسه إن قدر، وإلا فيرفعه للحاكم كما مر ما لم يترتب عليه مفسدة، والكلام في غير نحو الرواة والشهود والأمناء على نحو صدقة أو وقف أو يتيم فيجب بالإجماع جرحهم على من يعلم قادحاً فيهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة. **(متفق عليه)** وسبب فضل ما ذكر في الخبر أن الخلق عيال الله، وتنفيس الكرب وستر العورة إحسان إليهم، والعادة أن السيد المالك يحب الإحسان لعياله وحاشيته، وفي الأثر: «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أرفقهم لعياله».

٢٣٥ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم) كالتعليل للحكم المذكور بعده، لأن الأخوة مقتضية للشفقة، داعية للمعروف والمنفعة. **(لا يخونه)** من الخيانة ضد الأمانة، أو يخونه: ينقصه حقه الذي له عليه من التعاون والتعاضد. **(ولا يكذبه)** يجوز أن يكون بفتح الياء، أي: يخبره خبراً كاذباً، ومنه قوله تعالى: ﴿كذبوا الله ورسوله﴾(٢) ويجوز أن يقرأ بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف ثالثه، أي: لا يلقيه للمخبر بفتح الباء كاذباً، أو بتشديد الثالث، أي: لا ينسبه إلى الكذب، ثم رأيت عن المصنف ضبطه بضم أوله وإسكان ثانيه، وفسره بأن لا يخبره بأمر على خلاف الواقع لغير مصلحة. **(ولا يخذله)** بضم الذال المعجمة، أي: لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الاحتياج والاضطرار، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾(٤) فالخذلان محرم شديد التحريم دنيوياً كان، كأن يقدر على نصرة مظلوم ودفع ظالمه عنه فلا يدفعه أو دينياً، كأن يقدر على نصحه عن نحو غيبة فيترك. وقد روى أبو داود «ما من مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله له في موضع تجب فيه نصرته» وروى البزار: «من نصر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. وفي الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٥/ ٧٠، ٧١).

وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب. باب: تحريم الظلم (الحديث: ٥٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٠. (٣) سورة المائدة، الآية: ٢. (٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَهُنا، بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله في الدنيا والآخرة» **(كل)** مبتدأ **(المسلم)** فيه رد على من زعم منع إضافة كل للمعرفة . **(على المسلم حرام)** خبر، ويبدل من كل. **(عرضه)**، أي: حسبه ومفاخره ومفاخر آبائه، بأن تنتهك بالسب والغيبة والبهت، ويمنع من حمل العرض هنا على النفس وإن كان يطلق عليها لغة؛ أنه لو حمل عليها لكان تكراراً مع قوله ودمه، إذ هو عبارة عن النفس. **(وماله)** بأن يغصب أو يخان فيه. **(ودمه)**، أي: نفسه، بأن يتعرض لها بقتل، أو أطرافها. وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وجعلها كل المسلم، وحقيقته لشدة اضطراره إليها، أما الدم: فلأن به حياته ومادته المال فهو مادة الحياة، والعرض به قيام صورته المعنوية، واقتصر عليها لأن ما سواها فرع عليها وراجع إليها؛ لأنها إذا قامت الصورة الحسية والمعنوية فلا حاجة إلى غير ذلك، وقيامها بتلك الثلاثة لا غير، ولكون حرمتها هي الأصل لم يحتج إلى تقييدها بما إذا لم يعرض ما يبيحها شرعاً، كالقتل قوداً، وأخذ مال المرتد فيئاً، وتوبيخ المسلم تعزيراً، ونحو ذلك. **(التقوى ههنا)**، أي: في القلب **(بحسب)** بإسكان السين والباء فيه مزيدة، وهو مبتدأ، أي: كافي **(امرىء)**، أي: شخص **(من الشر)**، في أخلاقه ومعاشه ومعاده. **(أن يحقر أخاه المسلم)** لأن الله إذا لم يحتقره إذ أحسن تقويم خلقه، وسخر له ما في السموات والأرض كله لأجله، ومشاركة غيره له فيه بطريق التبع، وسماه مسلماً أو مؤمناً وعبداً، وجعل الأنبياء الذين هم أفضل المخلوقين من جنسه، كان احتقاره احتقاراً لما عظمه الله وشرفه، وهو من أعظم الذنوب والجرائم، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» وقد فسره في الحديث بقوله الكبر بطر الحق وغمط الناس، أي: احتقارهم، ومنه أن لا يبدأه بالسلام احتقاراً له، ولا يرده عليه **(رواه الترمذي)** ومعناه عند مسلم في الحديث الآتي عقبه، قال السخاوي في تخريج الأربعين للمصنف: رواه الترمذي بجملته، وذكر فيه بعد وعرضه التقوى ههنا، ويشير بيده إلى صدره، ثم قال: بحسب، ورواه أبو داود مقتصراً على كل المسلم الخ، دون قوله وأشار بيده إلى صدره **(وقال)**، أي: الترمذي **(حسن)** وزاد السخاوي عنه، حسن صحيح، وقال المصنف في الأذكار: وما أعظم نفعه وأكثر فوائده اهـ.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: أبواب البر، باب: ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، (الحديث: ١٩٢٨).

Made searchable using ScribeTools.com

٢٣٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدابَروا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ؛ وَكُونُوا

---

٢٣٦ ـ **(وعنه)**، أي: عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحاسدوا)**، أي: لا يحسد بعضكم بعضاً، وأصله تتحاسدوا بتاءين، حذفت إحداهما تخفيفاً، وهل هي تاء المضارعة، أو فاء الكلمة، فيه خلاف، وقد أجمع الناس من المتشرعين وغيرهم على حرمة الحسد وقبحه، ونصوص الشرع الواردة بذلك كثيرة في الكتاب والسنة، وهو لغة وشرعاً تمني زوال نعمة المحسود، ويخالف الغبطة فإنما هي تمني مثل تلك النعمة مع بقائها لصاحبها، ووجه ذم الحسد وقبحه، أنه اعتراض على الله تعالى، ومعاندة له، حيث أنعم على غيره مع محاولته نقض فعله وإزالة فضله، ومما يوضح ظلمه أنه يلزمه أن يحب لمحسوده ما يحب لنفسه، وهو لا يحب لها زوال نعمتها، فقد أسقط حق محسوده مع ما فيه من تعب النفس وحزنها من غير فائدة وبطريق محرم، فهو تصرف رديء. والحسد أقسام: فمنهم من يسعى بلسانه ويده في نقل نعمة المحسود لنفسه أو لغيره، وهو أخبث أنواعه. ومنهم من لا يسعى في ذلك، فهذا غير آثم كما قال الحسن البصري، بل ورد مرفوعاً من وجوه ضعيفة، وظاهر أن محله إن عجز عن إزالة الحسد من نفسه، بأن جاهدها في تركه ما استطاع، بخلاف من يحدث نفسه به اختياراً مع تمني إزالة نعمة المحسود، فهذا لا شك في تأثيمه، بل تفسيقه، ومنهم من يسعى في حصول مثل المحسود عليه، فهذا حسن إن كان في الأمور الدينية، فقد تمنى ﷺ الشهادة في سبيل الله، ولا حسن فيه في الأمور الدنيوية، كذا لخص من الفتح المبين، **(ولا تناجشوا)**، أي: لا ينجش بعضكم على بعض بأن يزيد في السلعة، لا لرغبة فيها بل ليخدع غيره، وهو حرام إجماعاً على العالم بالنهي، سواء كان بمواطأة البائع، أم لا، لأنه غش وخداع وهما محرمان، ولأنه ترك للنصح الواجب، ويصح تفسير النجش هنا بما هو أعم من ذلك، لأن النجش لغة: إثارة الشيء بالمكر والحيلة والخداع، فالمعنى: لا تتخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضاً بالمكر والاحتيال وإيصال الأذى إليه. قال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾[1] فيدخل فيه على هذا جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه، كتدليس عيب وكتمه، وخلط جيد برديء، ويجوز المكر بمن يحل أذاه وهو الحربي، ومن ثم قال ﷺ: «الحرب خدعة» **(ولا تباغضوا)**، أي: لا يبغض بعضكم بعضاً، أي: لا تتعاطوا أسباب البغض، لأنه قهري، كالحب لا قدرة للإنسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه، وهو النفرة عن الشيء لمعنى فيه مستقبح، وترادفه الكراهة،

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

عِبَادَ اللَّهِ إِخْواناً، . . . . . .

ثم هو بين اثنين، إما من جانبيهما أو من جانب أحدهما، وعلى كل فهو لغير الله تعالى حرام، وهو محمل الحديث، وله واجب ومندوب، قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان» وبغض الإنسان لله تعالى لمن خالفه المتجه، أن مخالفة الغير له إن علم أنها نشأت عن اجتهاد لكونه من أهله لا يجوز له بغضه حينئذ، لأنه ليس لله، إذ الذي له ما يكون لأجل المعصية ولا معصية هنا، لأن المجتهد مأجور وإن أخطأ، وإن علم أنها نشأت عن تعصب وهوى نفس، أو تقصير في البحث جاز. ولشرف الألفة امتنّ بها تعالى على عباده فقال: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾[1] ولذا كانت حرمة النميمة أشد لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء، وجاز الكذب للاصلاح. **(ولا تدابروا)**، أي: لا يدبر بعضكم عن بعض، أي: يعرض عما يجب له من حقوق الإسلام، كالإعانة والنصر وعدم الهجران في الكلام أكثر من ثلاثة أيام إلا لعذر شرعي، كرجاء صلاح أحدهما، ووجه مغايرته لما قبله أن الشخص قد يبغض ويوفي الحق، وقد يعرض لنحو تهمة أو تأديب وهو محب. **(ولا يبع)** نهي تحريم عندنا. **(بعضكم)** معشر المكلفين من المسلمين والذميين، والتقييد بالمسلم في الأخبار لا مفهوم له. **(على بيع بعض)** فلا يجوز لأحد بغير إذن البائع أن يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار، افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه، وذلك لما فيه من الإيذاء الموجب للتنافر والبغض، ومن ثم ورد ذلك بأنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم، ومثله الشراء على الشراء بغير إذن المشتري، بأن يقول آخر لبائع زمن الخيار: افسخ البيع لأشتريه منك بأغلى، أما بعد انقضاء الخيار فلا تحريم، إذ لا مقتضي له، وكونه يؤدي إلى الإلحاح عليه حتى يقبله، فيؤدي إلى ضرر مردود بأنه متمكن من عدم الرد، فإن اختاره كان هو المضر بنفسه، والإلحاح إنما يقتضي تحريم ذاته؛ لأنه إضرار بالملحوح عليه **(وكونوا عباد الله)**، أي: يا **عباد الله (إخواناً)**، أي: اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما سبق ذكره وغيره، مما يدعو إلى الألفة ويمنع من النفرة، أي: تعاونوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلب والنصيحة بكل حال، وهذا كالتعليل لما قبله كأنه قيل: إذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم إخواناً وإلا كنتم أعداء، وفي قوله **عباد الله**، إشارة إلى أن حق العبيد إطاعة أمر سيدهم بأن يكونوا كالإخوان فيما مر،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

Made searchable using ScribeTools.com

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا، (وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ

ووجه طاعة الله في كونهم إخواناً، التعاضد على إقامة وإظهار شعاره، إذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك، كما قال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم﴾[1] الآية. **(المسلم أخو المسلم)**، أي: لأنهما لجمع دين واحد لهما أشبها الأخوين المجتمعين في ولادة من صلب أو رحم أو منهما، بل الاخوة الدينية أعظم من االأخوة الحقيقية؛ لأن ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية. **(لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)** بفتح أوله وبالمهملة والقاف المكسورة، أي: لا يستصغر شأنه ويضع من قدره؛ لأن الله تعالى لما خلقه لم يحقره بل رفعه وخاطبه وكلفه، فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية في الكبرياء، وهو ذنب عظيم، ومن ثم ورد كما تقدم: «بحسب امرىء من الشر»... الخ فالاحتقار ناشىء عن الكبر، فهو بذلك يحتقر الغير ويراه بعين النقص ولا يراه أهلاً لأن يقوم بحقه، وروي بضم أوله وبالخاء المعجمة والفاء، أي: لا يغدر عهده ولا ينقض أمانه، قال القاضي عياض: والمعروف الصواب هو الأول الموجود في كتاب مسلم، ويؤيده رواية، (ولا يحتقره» ومعنى هذه الجملة، أن من حق الإسلام وأخوته أن لا يظلم المسلم أخاه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، وللإسلام حقوق ذكرت في غير هذا الحديث، وجمعت في حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا لاختصاص به من كل وجه؛ لأن الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه، بنحو ترك دفع عدوه عنه والكذب عليه واحتقاره، أي: من غير حيثية الكفر القائم به، أما من تلك الحيثية فجائز، قال تعالى: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾[2]. **(التقوى)** وهي اجتناب عذاب الله بفعل المأمور وترك المحظور. **(ههنا ويشير بيده إلى صدره ثلاث مرات)**، أي: محل مادتها من الخوف الحامل عليها القلب الذي هو عند الصدر. قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»، أي: إن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى، إنما تحصل بما يقع في القلب من عظيم خشية الله ومراقبته، فمن ثم كان نظر الله بمعنى محازاته ومحاسبته على ما في القلب من خير وشر دون الصور الظاهرة، إذ الاعتبار في ذلك كله بالقلب. وفي الحديث دليل على أن العقل في القلب دون الرأس، وفيه خلاف

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٨.

الْمُسْلِمَ؛ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «النَّجَشُ»: أَنْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِ سِلْعَةٍ يُنادَى عَلَيْهَا فِي السُّوقِ وَنَحْوِهِ وَلَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شِرائِها بَلْ يَقْصِدُ أَنْ يَغُرَّ غَيْرَهُ، وَهَذَا حَرامٌ. و«التَّدابُرُ»: أَنْ يُعْرِضَ عَنِ الإِنْسَانِ وَيَهْجُرَهُ وَيَجْعَلَهُ كَالشَّيْءِ الذِي وَرَاءَ الظَّهْرِ والدُّبُرِ[1].

٢٣٧ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ .....

الراجح منه. هذا ووجه مناسبة هذا لما قبله الإعلام بأن كرم الخلق إنما هو التقوى، فرب حقير عند الناس أعظم قدراً عند الله من كثير من عظماء الدنيا. **(بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)** تقدم الكلام عليه في الحديث قبله، وقدم هنا الدم، أي: النفس لأنها الأصل، والمال لتعلق النفس به أتم، لكونه قوامها، فلم يظهر وجه تأخير العرض حينئذ، وحكمة تقديمه عليهما ثمة أن الابتلاء بالوقوع فيه أكثر منه فيهما، فابتدىء به اهتماماً به، زيادة في التحذير منه والبعد عنه. **(رواه مسلم)** قال الحافظ السخاوي في تخريج الأربعين التي جمعها المؤلف: هذا حديث صحيح رواه أحمد ومسلم في صحيحه وعنده في بعض طرقه من الزيادة «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره». وأخرج ابن ماجه بعضه، وأبو عوانة أيضاً، وأبو نعيم بتمامه في المستخرج اهـ. **(النجش)** بسكون الجيم، لغة: إثارة الشيء بالمكر والخديعة وشرعاً: **(أن يزيد في ثمن سلعة ينادي عليها في السوق ونحوه)** من مواطن البيع **(ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يُغرَّ غيره)** أما إذا كان المال لنحو يتيم ورآه يباع بأقل من ثمن[2] المثل وقصد وصوله لثمن مثله الواجب فيه لا إضرار الغير، فلا. **(وهذا حرام)** مع العلم. **(والتدابر أن يعرض)**، أي: الإنسان **(عن الإنسان)** احتقاراً له **(ويهجره)** فوق ثلاثة أيام **(ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر)** في عدم الاحتفال به والاهتمام بشأنه.

٢٣٧ ــ (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم)، أي: إيماناً كاملاً **(حتى يحب لأخيه)**، أي: المسلم، فيجب على كل مسلم من حيث إنه مسلم أن لا يخص

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله... (الحديث: ٣٢).

(٢) الذي في المبيضة المال وهو أحسن من المثل. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

أحداً منهم دون الآخر، لأن إضافة المفرد تفيد العموم. **(ما يحب لنفسه)** من الطاعات والمباحات، أي: ويبغض له مثل ما يبغضه لنفسه، وسكت عنه مع كونه من كمال الإيمان، اكتفاء بذكر ضده، قال العلماء: في هذا الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحب لها ما يحب لنفسه من حيث إنها نفس واحدة، كما في الحديث: «المسلمون كالجسد الواحد»... الحديث. وقال ابن العماد: الأولى أن يحمل على عموم الأخوة[٢] حتى يشمل الكافر، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب للمسلم دوامه، ومن ثم كان الدعاء بالهداية مستحباً، وحتى هنا جارة؛ لأن ما قبلها غير ما بعدها فإنه غاية لنفي الكمال. ثم ظاهر الخبر أن هذه المحبة كافية في كماله وإن لم يأت ببقية أركانه، وليس مراداً، بل إنما ورد تحريضاً على التواضع ومحاسن الأخلاق، وترغيباً في محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم، ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر وبه ينتظم شمل الإيمان وتتأيد شرائعه، كما علم مما مر في الحديث قبله، أو ورد مبالغة حتى كان تلك المحبة ركنه الأعظم، «كالحج عرفة» إذ هي مستلزمة لبقية أركانه، ثم المكلف به مقدمات المحبة مما تقدم لا المحبة نفسها؛ لأنها ميل طبيعي لا يطاق تحت نطاق الاختيار، والتكليف به تكليف بمحال، فالمراد إيثار ما يؤدي للمحبة مما يقتضي العقل اختياره، وإن كان خلاف هوى الإنسان كالدواء، فإنه يكرهه المريض طبعاً ويميل إليه اختياراً بحكم عقله لعلمه بأن صلاحه فيه، والمراد محبة الرحمة والإشفاق. **(متفق عليه)** قال السخاوي في التخريج المذكور بعد تخريجه باللفظ المذكور وشك غندر فقال لأخيه أو لجاره «قلت»: وكذلك هو عند مسلم بالشك فيهما قال السخاوي ولفظ المعلم[٣] وهمام: «لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» زاد المعلم أوله: «والذي نفسي بيده ما لفظه، هذا حديث صحيح» ورواه أبو داود والطيالسي في مسنده، والدارمي وعبد في مسنديهما، وابن ماجه في سننه، وأبو عوانة في مستخرجه، وابن حبان في صحيحه، وعند الترمذي حديث صحيح وكذا اتفق عليه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد القطان عن حسين المعلم، لكن بدون «قوله من الخير» وهي صحيحة؛ لأنها خارجة من مخرج

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. (١/٥٣، ٥٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان... (الحديث: ٧١).

(٢) أي الإنسانية لا الدينية.

(٣) اسم راو. ش.

٢٣٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

الصحيحين، بل هي على شرطهما، وأخرجها ابن منده في كتاب الإيمان من حديث روح بن عبادة عن المعلم، ووافق المعلم عليها همام ا هـ. وقد سبق الحديث مشروحاً آخر باب النصيحة.

٢٣٨ ــ **(وعنه)** أي: أنس **(قال: قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك)** ولا تخذله **(ظالماً)** كان؛ لأنه مظلوم حقيقة كما سيأتي **(أو مظلوماً)** بأن تعدى عليه إنسان في نفسه، أو ماله، أو عرضه. **(فقال رجل أنصره إذا كان مظلوماً)**، أي: بدفع الظلم أو منعه منه. **(أرأيت)** أخبرني **(إن كان)**، أي: أخي **(ظالماً)** بالتعدي على الغير فيما ذكر. **(كيف أنصره قال تحجزه)** بضم الجيم، أي: تجعل نفسك حاجزاً له. **(أو)** شك من الراوي. **(تمنعه من الظلم فإن ذلك)** أي: المنع من الظلم **(نصره)** قال الحافظ ابن حجر، قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة، قال البيهقي: معناه أن الظالم مظلوم في نفسه، فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى، فلو رأى إنساناً يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه للزنا مثلاً، منعه من ذلك وكان ذلك نصراً له، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم.

«لطيفة» ذكر المفضل الضبي في كتابه الفاخر، أن أول من قال أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وأراد بذلك ظاهره، وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية لا ما فسر في الحديث وأنشدوا.

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم على القوم لم انصر أخي حين يظلم

(رواه البخاري) قال في الجامع الصغير: وأحمد والترمذي كلهم عن أبي هريرة، ورواه الدارمي وابن عساكر عن جابر مرفوعاً بلفظ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يك ظالماً فارده عن ظلمه وإن يك مظلوماً فاردد عنه ظلمه» ا هـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٥/٧١) وفي الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه. (١٢/٢٨٩).

Made searchable using ScribeTools.com

٢٣٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، واتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ

---

٢٣٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: حق المسلم)** قال الحافظ ابن حجر: معنى الحق هنا الوجوب، خلافاً لقول ابن بطال، «المراد حق الحرمة والصحبة» والظاهر أن المراد به هنا الأمر المطلوب على وجه التأكيد، ويؤيده قول الشيخ زكريا: «يعم وجوب العين والكفاية والندب»، أي: فيفسر بالأمر المطلوب للمسلم، **(على المسلم خمس)** لا ينافي ما في الرواية بعده أنه ست، إما لأن العدد لا مفهوم له، وإما لأن محل العمل بمفهومه ما لم يعلم خلافه، فإن الحقوق المتأكدة كثيرة، واقتصر على ما ذكر إما لأنها المشروعة إذ ذاك وما عداها شرع بعد، وإما لأنها الأنسب بحال السامعين لتساهلهم فيها أو شدة احتياجهم إليها. **(رد السلام)** وهو واجب عيناً إذا كان المسلم عليه واحداً، وكفاية إذا كانوا جمعاً، قال الحليمي: وإنما وجب رد السلام؛ لأن معناه الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه يتوهم منه الشر فيجب عليه دفع ذلك الوهم. «قلت»: ولذا لم يسقط الفرض برد مميز عن المكلفين، بخلاف فرض صلاة الجنازة فيسقط به عنهم؛ لأن القصد منه الدعاء، والمميز من أهله، والقصد هنا التأمين وليس من أهله. **(وعيادة المريض)** واختلف فيها هل هي فرض كفاية أو سنة؟ فقال الجمهور: هي في الأصل مندوبة وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض. وعن الطبري: تتأكد فيمن ترجى بركته، وتسن فيمن يراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك، وفي المشرك خلاف. قال الماوردي: هي مباحة، وقد يقترن بها ما يصيرها قربة، كرجاء إسلامه، وقد نقل المصنف الإجماع على عدم وجوب العيادة، أي: عيناً، وعموم المريض يقتضي عيادة كل مرض ولو أرمد، وحديث «ثلاثة ليس لهم عيادة العين والدمل والضرس» صحح البيهقي وقفه على يحيى بن كثير، وقد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال: «عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني» أخرجه أبو داود والحاكم وصححه، وهو عند البخاري في الأدب المفرد. ويؤخذ من إطلاق الحديث أنها لا تتقيد بزمن يمضي من ابتداء المرض، وهو قول الجمهور، وجزم الغزالي في الإحياء بأنه لا يعاد إلا بعد ثلاث، ولا بيوم معين، وما اعتاده بعض الناس من كراهتها في أيام مخصوصة لا أصل له، وسيأتي بسط الكلام في ذلك مع باقي آداب العيادة في باب عيادة المريض. **(واتباع الجنائز)**، أي: تشييعها من محلها، أو محل الصلاة، فهو سنة متأكدة. **(وإجابة الدعوة)** وهي واجبة في وليمة العرس بشروطها المقررة في الفقه وفي سائر الولائم، وهي سنة متأكدة. **(وتشميت)** بالمهملة وبالمعجمة. **(العاطس)** أي: الدعاء

الـدَّعْـوَةِ، وَتَشْميتُ الْعَاطِسِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْـه. وَفي رِوايَـةٍ لِمُسْلِمٍ «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَـهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٢٤٠ ــ وَعَنْ أَبـي عُمَـارَةَ .....

له بالخير والبركة من السمت أو الشوامت، وهي القوائم، كأنه دعاء للعاطس بحسن السمت والهدى، أو بالثبات على الطاعة، وقيل معناه: أبعدك الله عن الشماتة. وهو بعد حمد العاطس سنة متأكدة عيناً إن لم يكن غيره، وإلا فكفاية بأن يقول له رحمك الله. **(متفق عليه وفي رواية لمسلم)** عن أبي هريرة أيضاً. **(حق المسلم على المسلم ست)**، أي: ست خصال، وفي المشكاة قيل: ما هن يا رسول الله قال: **(إذا لقيته فسلم عليه)** فهي وما بعدها من الجمل المتعاطفة على هذا التقدير مقول القول، وعلى عدمه فيحتمل أن يكون كذلك من باب حذف القول وإبقاء المقول وهو كثير في كلام العرب، حتى قال أبو علي الفارسي: هو من حديث عن البحر حدث ولا حرج. ويحتمل أن يكون بدلاً من ست، أو خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هي إذا لقيته فسلم عليه، أي: ابدأه به ندباً عينياً إن كنت وحدك وإلا فعلى الكفاية. **(وإذا دعاك فأجبه)** وجوباً عينياً إذا دعاك إلى وليمة عرس وإلّا فعلى الكفاية، ولا بد من إطاقة التخليص في الحالين، وندباً إذا دعاك إلى غير وليمة عرس ونحوها. **(وإذا استنصحك)**، أي: طلب منك النصح، وهو تحري ما به الصلاح من قول أو فعل. **(فانصح له)** وجوباً عليك بأن تذكر له ما به صلاحه، وطلبه ليس شرطاً لوجوب بذله أو ندبه؛ لأنه يجب تارة ويندب أخرى لمن طلب ومن لم يطلب، فذكره إنما هو لإفادة أن تأكده بعد الطلب أكثر. **(وإذا عطس)** بفتح الطاء، **(فحمد الله فشمته)** بخلاف ما إذا لم يحمد، فإنه لا يستحق التشميت لتقصيره بترك الحمد على نعمة العطاس التي وصلت إليه. «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب» ولأن العطاس حيث لا عارض من زكام ونحوه، إنما ينشأ عن خفة البدن وخلوه عن الأخلاط المثقلة له عن الطاعة، بخلاف التثاؤب، فإنه إنما ينشأ عن ضد ذلك. **(وإذا مرض فعده)** ندباً متأكداً في أي يوم كان. **(وإذا مات فاتبعه)** ندباً كذلك من بيته إلى أن يفرغ من دفنه. **(رواه مسلم)** ورواه البخاري في الأدب المفرد.

٢٤٠ ــ **(وعن أبي عمارة)** بضم العين المهملة وبعد الألف راء، ويقال أبو عمرو، ويقال أبو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز والنكاح. (٣/٩٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام (الحديث: ٥).

Made searchable using ScribeTools.com

البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ. وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمٍ أَوْ تَخَتُّمٍ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِآنِيَةِ الفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ

الطفيل (**البراء**) بتخفيف الموحدة والراء وبالمد هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف العلماء من أهل الحديث والتاريخ والأسماء واللغة والمؤتلف والمختلف وغيره، وحكى فيه القصر. (**ابن عازب**) الصحابي ابن الصحابي (**رضي الله عنهما**) تقدمت ترجمته في باب التوكل (**قال**: أمرنا رسول الله ﷺ **بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المرضى**) ندباً في سائر الأوقات، فلا تكره إلا إن شقت على المريض. (**واتباع الجنائز**)، أي: تشييعها والمكث إلى الفراغ من دفنها. (**وتشميت العاطس**) إذا حمد الله تعالى، والأمر في هذه الثلاث للندب. (**وإبرار المقسم**) بنحو: أقسمت عليك بالله، أو نحو: والله لتفعلن كذا، فيسن له حيث لا مانع تخليصاً له من ورطة الاستهتار بحقه في الأول وحنثه في الثاني. (**ونصر المظلوم**) ولو ذمياً بمنع الظالم عن ظلمه وجوباً على من قدر على ذلك بفعله أو قوله، وهذا يرجع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا واجب عيناً تارة وكفاية أخرى كما سبق في بابه. (**وإجابة الداعي**) وجوباً تارة، وندباً أخرى، وقد تقدم تفصيله. (**وإفشاء السلام**)، أي: إشاعته وإذاعته، بأن تقرىء السلام على من عرفت من ولم تعرف، وهذا أمر ندب عيناً إن كنت منفرداً، أو كفاية إن كنت مع الغير. وفي رواية «ورد السلام»، وعليها اقتصر في المشكاة، وهو كما علم مما تقدم واجب عيناً تارة وكفاية أخرى. (**ونهانا**)، أي: معشر الرجال، وكذا الخناثا دون النساء. (**عن خواتيم**) جمع خاتام، أحد لغات خاتم. (**أو**) شك من الراوي. (**تختم بالذهب**) فيحرم على غيرهن تحريماً غليظاً لبسه، كاستعمال سائر أنواع حلي الذهب إلا نحو أنف وسن وأنملة، ويحرم عليهن استعمال غير الحلي منه كالأواني، وكذا الحلي إن خرج عن حيز الاعتدال إلى السرف، كخلخال وزنه مائتا مثقال. (**وعن شرب بآنية الفضة**) والذهب أولى مع أنه صرح به في جديث آخر، ومثل الشرب سائر الاستعمال، وذكره كالأكل في حديث آخر مثال، فيحرم استعمال واتخاذ إناء النقدين إلا لحاجة كأن لم يجد غير إنائهما فيجوز استعماله، وكذا لو وصف له التكحل بمرود ذهب لداء بعينه. (**وعن**) استعمال (**المياثر الحمر**) بضمتين ويسكن الثاني تخفيفاً، والتقييد بذلك باعتبار أنه الأغلب في مراكب الأعاجم رعونة وتزييناً، فهي من حرير، أي نوع كان وبأي

الْحُمْرِ، وَعَنْ القَسِّيِّ وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، والإِسْتَبْرَقِ والدِّيباجِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه. وَفي رِوايَةٍ: «وَإِنْشَادِ الضَّالَّةِ زَادَهَا في السَّبْعِ الأَوَلِ». «الْمَيَاثِرُ» بِيَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتُ قَبْلَ الأَلِفِ وَثَاءٍ مُثَلَّثَةٍ بَعْدَها، وَهِيَ جَمْعُ مَيْثَرَةٍ، وَهِيَ شَيْءٌ يُتَّخَذ مِنْ الْحَرِيرِ وَيُحْشَى قُطْناً أَوْ غَيْرَهُ وَيُجْعَلُ فِي السَّرْجِ وَكُورِ الْبَعِيرِ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الرَّاكِبُ. و«الْقَسِّيُّ» بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ السِّينِ الْمُهملةِ المشدَّدَةِ، وَهِيَ: ثِيابٌ تُنْسَجُ مِنْ حَرِيرٍ وَكَتَّانٍ مُخْتَلِطَيْن. و«إِنْشَادُ الضَّالَّةِ»: تَعْرِيفُها[1].

لون، أو مما أكثره حرير وزناً حرام، ولو غير حمراء، والحمراء غير الحرير مكروه. **(وعن)** استعمال **(القسي)** **(وعن لبس الحرير والإستبرق)** وما غلظ من الديباج، وضده السندس، فهو ما لان منه. **(والديباج)** بفتح الدال وكسرها، جمعه دبابيج، ودبابج، وهو عجمي معرّب وعطفهما على الحرير من عطف الخاص على العام؛ لأنهما من الحرير. **(متفق عليه)** **(وفي رواية)** لمسلم **(وإنشاد الضالة زادها)**، أي: الراوي **(في السبع الأول)** بضم ففتح يعني المأمور بها. قال المصنف في شرح مسلم: بدل إبرار القسم أو المقسم **وإنشاد الضالة** تعريفها وهو مأمور به. **(المياثر بياء مثناة من تحت قبل الألف وثاء مثلثة)** مكسورة **(بعدها)**، أي: بعد الألف **(وهي جمع ميثرة)** وأصلها موثرة، وقلبت الواو ياء لسكونها إثر كسرة، نحو: ميزان وميعاد. **(وهي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطناً أو غيره)** تعميم للمحشو به، ويلحق به في الحكم ما كان متخذاً من حرير وغيره، والحرير أكثر وزناً. **(ويجعل في السرج)** ما يجعله على الفرس. **(وكور البعير)** بضم الكاف، أي: رحله وجمعه أكوار، ويجعل ذلك **(ليجلس عليه الراكب)** فتحصل له الراحة. **(والقسي بفتح القاف)** على الصحيح المشهور قال المصنف: وبعض أهل الحديث يكسرها. قال أبو عبيد: أهل الحديث يكسرونها، وأهل مصر يفتحونها. **(وكسر السين المهملة المشددة)** بعدها ياء النسبة. **(وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين)**. هذا حكاه المصنف بلفظ **قيل**، وقال قبله: قال أهل اللغة وغريب الحديث: هي ثياب مضلعة بالحرير تعمل بالقس، بفتح القاف، وهو موضع من بلاد مصر، وهي قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس، **وقيل**: هي ثياب من القز وأصله القزي منسوب إلى القز، وهو رديء الحرير، فأبدل من الزاي سين. قال المصنف: وهذا القسي إن كان حريره أكثر من الكتان فالنهي عنه للتحريم وإلا فللكراهة التنزيهية ا هـ. **(وإنشاد الضالة)** في تلك الرواية **(تعريفها)**.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأشربة، باب: آنية الفضة. وفي الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، والمرضى =

Made searchable using ScribeTools.com

٢٨ ــ باب: في ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ﴾.

٢٤١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢].

باب ستر عورات المسلمين
والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

من خوف أن يتسلط على إيذاء الغير والتعرض لأضرارهم. **(قال الله تعالى: إن الذين يحبون أن تشيع)**، أي: تفشو، يقال: شاع الشيء شيوعاً وشيعاً وشيعاناً وشيوعة، أي: تفرق وظهر. **(الفاحشة)**: الفعل القبيح المفرط القبح، وقيل: الفاحشة في هذه الآية، القول السيء. **(في الذين آمنوا)** قال القرطبي: في المحصنين والمحصنات: والمراد بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان. **(لهم عذاب أليم)** والآية في العصبة الذين جاؤوا بالإفك، والمصنف أوردها لما يقتضيه عموم لفظها من حصول العذاب لمن أحب إشاعة الفاحشة في المؤمنين. **(في الدنيا)** بالحد للقذف. **(و) في (الآخرة)** بالنار لحق الله.

٢٤١ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يستر عبد)** أي إنسان ولو كان مكلفاً **(عبداً)** أي: من ذوي الهيئات غير معروف بالشر والأذى على ذنب مضى منه، كما سبق بسط ما يستر فيه ومالا في الباب قبله. **(في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)** إما بأن يمحو ذنبه ولا يسأله عنه ابتداء، أو يسأله عنه من غير أن يطلع عليه أحداً من الخلق، كما في حديث ابن عمر في ذلك في الصحيح، ثم يعفو عنه، وكان الجزاء بالستر ليوافق الجزاء العمل الصالح، والنعم الصادرة منه عز وجل أعلى وأتم، ولا شك أن الستر في ذلك اليوم أكثر عدداً وأعظم جرماً. **(رواه مسلم)**.

= باب: وجوب عيادة المريض، واللباس باب: خواتم الذهب، وباب: لبس القسيِّ، وباب: الميثرة الحمراء (٣/٩٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب... (الحديث: ٣).

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا.. (الحديث: ٧١).

٢٤٢ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعافًى إِلَّا الْمُجاهِرِينَ. وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ .....

---

٢٤٢ ــ **(وعنه)**، أي: أبي هريرة **(رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل أمتي معافاً)** اسم مفعول من المعافاة، وهو من العفو، مرفوع تقديراً، خبر كل، يعني كلهم سالمون عن ألسن الناس وأيديهم. **(إلا المجاهرين)** قال العلقمي: قال شيخنا وللنسفي «إلا المجاهرون» بالرفع على البدل، وهو رأي الكوفيين اهـ. وقال ابن مالك في التوضيح لشواهد الجامع الصحيح: حق المستثنى بإلا من كلام تام موجب أن ينصب، مفرداً كان أو مكملاً معناه بما بعده لا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين في هذا النوع إلا النصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر ومحذوفه، فمن الثابت الخبر قول ابن أبي قتادة: أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم، وإلا بمعنى لكن، وأبو قتادة مبتدأ ولم يحرم خبره، ومن المبتدأ بعد إلا المحذوف الخبر قول النبي ﷺ: «كل أمتي معافاً إلا المجاهرون» أي: لكن المجاهرون لا يعافون، وللكوفيين في هذا الذي يفتقر مذهب آخر، وهو أن يجعلوا إلا حرف عطف، وما بعدها معطوف على ما قبلها اهـ. ملخصاً، قال الدماميني: وهذا، أي: الجملة المستثناة من الجمل التي لها محل من الاعراب، ولم يعدوه اهـ. قلت: وقد سبقه إلى استدراكها ابن هشام في المغني، وزاد الجملة المسند إليها نحو: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾[1] وأوّل الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق الرفع بأن معافاً في معنى النفي، فيكون استثناء من كلام تام غير موجب. قال في فتح الباري: «المجاهر الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فتحدث بها، والمجاهر» في هذا الحديث يحتمل أن يكون من جاهر بمعنى جهر، والنكتة في التعبير بفاعل المبالغة، ويحتمل أن يكون على ظاهر المفاعلة، والمراد: الذين يجاهر بعضهم بعضاً بالتحدث بالمعاصي، وبقية الحديث يؤيد الاحتمال الأول. **(وإن من المجاهرة)** قال السيوطي: كذا للنسفي والكشميهني، أي: في رواة البخاري، وللأكثر من المجانة، وهو تصحيف قاله عياض، ولمسلم من الإجهار، ولأبي نعيم من الجهار، والثلاثة بمعنى الظهور والإظهار، وفي رواية لمسلم الهجار، وللأسمعيلي؛ الإهجار وهما بمعنى الفحش والخنا وكثرة الكلام، قال عياض: هما أيضاً تصحيف. **(أن يعمل العبد)** وفي نسخة الرجل. **(بالليل عملاً ثم يصبح)** بالنصب **(وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان)** بالبناء على الضم، لأنه كناية عن معين، وهو الذي يحدثه العاصي عن

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

Made searchable using ScribeTools.com

كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ»مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٤٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَاالْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا ثُمَّ إِنْ

معصيته **(عملت البارحة)** قال في الفتح: هو أقرب ليلة مضت من وقت القول، وأصلها من برح إذا زال **(كذا وكذا)** قال في النهاية: هي من ألفاظ الكنايات، مثل: كيت وكيت ومعناه: مثل ذا ويكنى بها أيضاً عن المجهول وعما لا يراد التصريح به ا هـ. وهذا قد تقدم نقله عن النهاية. **(وقد بات يستره ربه)** جملة حالية من فاعل يقول: **(ويصبح)** معطوفاً على يصبح. **(يكشف ستر الله)** الكائن **(عليه)** قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي التستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل فاعلها من إقامة الحد عليه إن كان فيها حد، ومن التعزير إن لم توجب حداً، وإذا تمحض حق الله وهو أكرم الأكرمين، فكذا إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر بها يفوته جميع ذلك، والحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من تستر، وستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها فقد أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها منّ الله عليه بستره إياها ا هـ. ملخصاً من فتح الباري. **(متفق عليه)** وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي قتادة بلفظ: «كل أمتي معافا إلا المجاهر الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله». كذا في الجامع الصغير.

٢٤٣ ـ **(وعنه)**، أي: أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ إذا زنت الأمة)** أي: الرقيقة **(فتبين زناها)** برؤيته لذلك، أو إقرارها، أو إقامة بينة الزنا، **(فليجلدها)** بكسر لام الفعل. **(الحد)** هو خمسون سوطاً، والحد مفعول مطلق. **(ولا يثرب عليها)** أي: يوبخها ويقرعها بالذنب، نحو يا زانية يا فاجرة، لما فيه من الفحش. **(ثم)** بعد الحد **(إن زنت)** مرة ثانية **(فليجلدها الحد)** وفي رواية بحذف الحد هنا **(ولا يثرب عليها)** أي: وإن تكرر منها الذنب لاستيفاء مقتضاه بالحد **(ثم)** بعد الحد في الثانية **(إن زنت)** المرة الثالثة **(فليبعها)** ندباً عند الجمهور، وقال داود: وجوباً **(ولو بحبل من شعر)** مسارعة لمفارقة أرباب المعاصي وترك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه. (١٠/٤٠٥، ٤٠٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، (الحديث: ٥٢)

زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْها وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «التَّثْرِيبُ»: التَّوْبِيخُ(١).

٢٤٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ: «اضْرِبُوهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِه، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا؛ لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

مخالطتهم، وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشتري، لأنه عيب، والإخبار بالعيب واجب. فإن قيل كيف يكره شيئاً ويرتضيه لأخيه المسلم؟ فالجواب لعلها تتعفف عند المشتري بأن يعفها بنفسه، أو يصونها بهيبته، أو بالإحسان إليها والتوسعة عليها، أو يزوجها، أو غير ذلك. ذكره المصنف في شرح مسلم. **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة أيضاً كما في الأطراف للمزي وطرقه إلى سعيد المقبري كثيرة جداً. **(التثريب)** مصدر ثرب بالمثلثة. **(التوبيخ)** أي: والتقريع بالذنب كما تقدم.

٢٤٤ ــ **(وعنه)** أي: عن أبي هريرة **(رضي الله عنه قال: أتي)** بالبناء للمجهول، **(النبي ﷺ برجل قد شرب)** أي: مسكراً **(قال اضربوه)** أي: حداً **(قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده والضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه)** ومنه كأحاديث أخر في معناه، يؤخذ حصول حد الخمر بالجلد باليد وأطراف الثوب، وقد نقل المصنف إجماع العلماء على ذلك وما في معناه كالجلد بالجريد والنعال. **(فقال بعض القوم)** له بعد أن حد. **(أخزاك الله)** قال الراغب في مفرداته: خزي الرجل أي: بوزن علم لحقه انكسار إما من نفسه، وإما من غيره، فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط، ومصدره الخزاية، والذي من غيره يقال: هو ضرب من الاستخفاف، ومصدره الخزي، وأخزى يقال منهما جميعاً، وقوله تعالى: ﴿لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾(٣) الأقرب كونه من الخزي وإن جاز كونه منهما جميعاً. «قلت»: ومثله ما في الحديث. **(قال: لا تقولوا هكذا)**، أي: مثل هذا الدعاء. **(لا تعينوا الشيطان عليه)** جملة استئنافية لبيان حكمة النهي عن ذلك القول. أي: ادعوا له بالتوفيق والنجاة من الخذلان، ولا تكونوا بدعائكم عليه أعواناً عليه للشيطان. **(رواه البخاري)**.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، وفي البيوع، باب: بيع العبد الزاني، وفي المحاربين (إذا زنت الأمة) (١٢/١٤٦، ١٤٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، (الحديث: ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر، باب: الضرب بالجريد والنعال. (١٢/٦٦).

(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٢٩ ــ باب: في قضاء حوائج المسلمين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَمَا تَفْعَلوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

٢٤٥ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

باب «فضل» قضاء حوائج المسلمين

قال الله تعالى: **(وما تفعلوا من)** بيانية **(خير)** والكلام في معنى الشرط **(فإن الله به عليم)** جوابه، أي: إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه. والآية تقدمت في باب المجاهدة وغيره.

٢٤٥ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:) محرضاً على أسباب التآلف المطلوب من المؤمنين، **(المسلم أخو المسلم)** لاجتماعهما في حياطة الإسلام، كالأخوين المجتمعين في الأبوين، أو في أحدهما. **(لا يظلمه)** بنقص حقه **(ولا يسلمه)** بضم التحتية، أي: إلى من يظلمه ويهينه. **(ومن كان)**، أي: وجد **(في حاجة أخيه)**، أي: في قضائها بالفعل أو بالتسبب، ويحتمل إن كان ناقصة، أي: ومن كان كائناً في حاجة أخيه **(كان الله في)** قضاء **(حاجته)**. والمفرد المضاف للعموم فيعم الأخروية والدنيوية، وذلك لأن من قضى حاجة أخيه طالباً لمرضات الله، إنما قام بذلك لحق الله، فجازاه الله بقضاء حاجته سيما عند ضرورته. **(ومن فرج عن مسلم كربة)** بإنظار عليه، أو تشفع عند ذي الدين، أو نحو ذلك. **(فرج الله عنه بها)** أي: عوضها **(كربة)** والتنوين فيه للتعظيم؛ لأنها كرب الساعة التي تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت، والتنكير في سياق الشرط للتعميم، فيفيد أن من فرج عن مسلم كربة، أي: شدة تكرب النفس حتى تكاد تأخذ بالنفس، أيّ كربة كانت، فرج الله عنه الكرب. **(من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً)** لم يشتهر بالأذى والضرر على معصية رآها منه فيما مضى، **(ستره الله يوم القيامة متفق عليه)**. والحديث تقدم بسط الكلام فيه، وفي معظم ما في الحديث بعده في باب تعظيم حرمات المسلمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) وهنا للبخاري ولكن مر في صفحة ١٨ من هذا الجزء، (الحديث رقمه: ٢٣٤).

وأخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. وفي الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٥/٧٠و٧١).

=

٢٤٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، . . . . . .

---

٢٤٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من نفّس)**، أي: أزال وفرج من تنفيس الخناق، أي: إرخائه حتى يأخذ له نفساً، **(عن مؤمن)** أوثر لمزيد شرفه وحرمته، فالثواب فيما يفعل معه من الإحسان آكد، وإلا فالذمي كذلك هنا، وفيما يأتي في أصل الثواب لخبر: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» وخبر: «في كل كبد رطبة أجر» وسيأتي ويلي لذمي المستأمن الحربي، فالثواب في كل، أضعف مما قبله؛ لأنه تابع لمزيد الشرف والاحترام. **(كربة)** هي ما أهم النفس وغم القلب؛ لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه، وبه يعلم حكمة إيثار نفس على رديف أزال وفرج. **(من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)**، أي: شدائدها، وفي رواية للطبراني «نفّس الله كربه يوم القيامة» ففيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو جاه، أو نصح، أو دلالة على خير، أو إعانة بنفسه، أو سفارته، أو وساطته، أو شفاعته، أو دعائه له بظهر الغيب، وسبق في الباب المشار إليه حكمة هذا الثواب. **(ومن يسر على معسر)** بإبراء، أو هبة، أو صدقة، أو نظرة إلى ميسرة بنفسه، أو وساطته. قال في الفتح المبين: ويصح شموله لإفتاء عامي في ضائقة وقع فيها بما يخلصه منها؛ لأنه معسر بالنسبة للعالم **(يسر الله عليه)** أموره **(في الدنيا والآخرة)** فيه عظيم فضل التيسير على المعسر، والأحاديث فيه كثيرة منها خبر مسلم: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» وخبره أيضاً: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وخبر أحمد: «من أراد أن تستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن معسر». **(ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)** تقدم بسط الكلام فيه في الباب المذكور. **(والله في عون العبد)**، أي: إعانته وتسديده. **(ما كان العبد)**، أي: مدة دوام كون العبد **(في عون أخيه)**، أي: إعانة أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها. قيل: وهذا إجمال لا يسع بيانه الطروس، فإنه مطلق في سائر الأحوال والأزمان، ومنه: «إن العبد

= وأخرجه مسلم في كتاب: البر والآداب والصلة، باب: تحريم الظلم، (الحديث: ٥٨).
وقد مر في الصفحة ١٨ من هذا الجزء برقم: ٢٣٤.

Made searchable using ScribeTools.com

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ .....

إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي له أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق» وتأمل دوام هذه الإعانة فإنه ﷺ لم يقيدها بحالة خاصة، بل أخبر أنها دائمة بدوام كون العبد في عون أخيه. وعن الحسن رضي الله عنه «أنه أمر ثابتاً البناني بالمشي في حاجة فقال: أنا معتكف فقال له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة». وروى الإمام أحمد «أن خباب بن الأرت خرج في سرية فكان ﷺ يحلب عنزاً لعياله فتمتلىء الجفنة حتى يفيض زيادة على حلابها، فلما قدمها وحلب عاد إلى ما كان» وكان أبو بكر يحلب للحي أغنامهم، فلما استخلف قيل الآن لا تحلبها، قال بلى، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله، وكان عمر يتعاهد الأرامل فيستقي لهم الماء في الليل، ورآه طلحة داخلاً ليلاً بيت امرأة فدخل لها نهاراً، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فقال: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يقوم بي من البر، وما يصلح لي شأني، ويخرج عني الأذى، ويقم لي بيتي، فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع (**ومن سلك طريقاً**) فعيلاً من الطرق؛ لأن الأرجل ونحوها تطرقه وتطلبه وتسعى فيه، ويصح أن يراد بها ما يشمل المعنوية، كحفظه ومذاكرته ومطالعته وتفهمه وكل ما يتوصل به إليه. (**يلتمس**) يطلب (**فيه**)، أي: في غايته أو سببه واحتمال كونه فيه حقيقة نادر جداً لا يحمل عليه الحديث. (**علماً**) شرعياً أو آلة، قاصداً بذلك وجه الله، قيل: وهذا وإن اشترط في كل عبادة، لكن عادة العلماء تقييد هذه المسألة به؛ لأن بعض الناس قد يتساهل فيه، أو يغفل عنه ا هـ. قال في الفتح المبين: وكأنه يريد أن تطرق الرياء للعلم أكثر من تطرقه لسائر العبادات، فاحتيج للتنبيه فيه على الإخلاص؛ اعتناء بشأنه والعلم الشرعي ما صدر عن الشرع، أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود، كعلم الكلام، أو توقف كمال، كعلم العربية. (**سهل الله له به**)، أي: بسلوكه الطريق المذكورة. (**طريقاً إلى الجنة**) أي: يرشده إلى طلب الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة، وليس ذلك إلا بتسهيله تعالى، وإلا فبدون لطفه لا ينفع علم ولا غيره، أو بأنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة، بأن لا يرى من مشاق الموقف ما يراه غيره؛ وهذا أقرب لظاهر الحديث، واستفيد منه مع ما قبله، ومن قوله تعالى: ﴿جزاء وفاقاً﴾[1] أن الجزاء يكون من جنس العمل

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٢٦.

تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، . . . . . .

ثواباً وعذاباً، كالتنفيس بالتنفيس، والستر بالستر، والعون بالعون، ونظير ذلك كثير في أحكام الدنيا والآخرة، وهذا يؤذن بعظيم فضل السعي في طلب العلم، ويلزم منه عظم فضل الاشتغال به، وأدلته أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر. **(وما اجتمع قوم)** هو اسم جنس جمعي يصدق بثلاثة فأكثر، يستوي فيه الذكور والإناث، كذا في فتح الإلّه، وظاهره أنه مشترك بين الفريقين، لكن تقدم عن مفردات الراغب، والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء، قال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾[1] ﴿ولا نساء من نساء﴾[2] وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً، وحقيقته للرجال ا هـ. ومنه يتبين أن قوله يستوي فيه الذكور والإناث باعتبار أنه المراد لاستواء المكلف من كلا النوعين في غالب الأحكام، فيكون مجازاً من باب التغليب، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. **(في بيت من بيوت الله تعالى)** هو المسجد **(يتلون)** أي: يقرؤون **(كتاب الله تعالى)** أي: القرآن لتبادره إلى الأذهان، وإضافته إلى الله تعالى، لأنه منزل من عنده، معجزة لنبيه ﷺ. **(ويتدارسونه بينهم)**، أي: يقرأ هذا شيئاً ويقرأ الآخر عين ما قرأه صاحبه، هذه المدارسة الفضلى التي وردت من فعله مع جبريل ﷺ في حديث: «كان جبريل يدارسه القرآن» ويحتمل أن المراد من المدارسة في هذا الحديث ما يشمل ما اعتيد من قراءة ما بعد ما يقرأه القارىء وهكذا، والتخصيص بما ذكر لكمال الفضل؛ وإلا فجاء في رواية أخرى غير مقيدة بذلك، وإنما فيه ترتب ما ذكر في الخبر على الاجتماع على الذكر مطلقاً، ولا تفيد تلك المطلقة بهذه الرواية؛ لأن ذكر بعض أفراد العام لا يخصص، وفضل الله عام. **(إلا نزلت عليهم السكينة)**، أي: المذكورة في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[3] وهي فعيلة من السكون للمبالغة، والمراد بها هنا: الحالة التي يطمئن بها القلب، فلا يزعج لطارق دنيوي لعلمه بإحاطة قدرة الله تعالى لسائر الكائنات، فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر لقوة رجائه بحصوله لما وفقه للاشتغال به عما سواه، وقيل: السكينة اسم ملك ينزل في قلب المؤمن يأمر بالخير، وقيل: السكينة الرحمة والوقار والسكون والخشية وغير ذلك، والمراد، السكون تحت جري المقادير لا ضد الحركة، ولا يمنع من تفسيرها بالرحمة عطفها عليها في الجملة بعدها؛ لأن المقام للإطناب، واختار المصنف كون السكينة هنا بمعنى الطمأنينة. وفي

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

Made searchable using ScribeTools.com

وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

الحرز للقاري «ويجوز أن يقرأ عليهم السكينة» بضم الهاء والميم وكسرهما، وكسر الأول وضم الثاني وهو الأشهر. «قلت»: والأشهرية يحتمل من حيث القراءة، ومن حيث الرواية، والأول أقرب. **(وغشيتهم)** عمتهم وأحاطت بهم من كل جهة. **(الرحمة)** والمراد من الرحمة كما هو ظاهر غايتها من الإحسان والفضل والامتنان. **(وحفتهم)** بتشديد الفاء **(الملائكة)**، أي: غشيتهم الملائكة، وأل فيه للعهد، أي: الملائكة الملتمسون للذكر كما في الحرز، أو ملائكة الرحمة والبركة إلى السماء الدنيا كما في رواية الصحيحين. وفي رواية لأحمد: «بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش حتى يسمعوا الذكر تعظيماً للمذكور وإعظاماً للذاكر» على غاية من القرب والمواصلة بحيث لا يدعون للشيطان فرجة يتوصل منها للذاكر وحفّ ــ بتشديد الفاء ــ من باب طلب فتعدى إلى الثاني بحرف الجر قال تعالى: ﴿وحففناهما بنخل﴾[2] وقد يضمن معنى أحاط فيصل إلى مفعوله الأول بالباء، نحو ما جاء في حديث «إن لله ملائكة سيارات من قولهم حفوا بهم» وهذا أحسن مما أطلتُ به في أول شرح الأذكار. **(وذكرهم الله فيمن عنده)** عندية مكانة وعلو رتبة لا علو مكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهم الملائكة والأنبياء، وذكره للذاكر ثم مباهاة به، ورضًى بفعله. **(ومن بطأ)** ــ بتشديد الطاء المهملة ــ نقيض السرعة، أي: من قصر **(به عمله)**، أي: فقصر عن رتبة الكمال لفقد بعض شروط الصحة أو الكمال فيه. **(لم يسرع به نسبه)**، أي: لم يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة؛ لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب. قال الشاعر:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وفي الفتح المبين في الحديث السادس والثلاثين قال ابن مسعود: «يأمر الله تعالى بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمراً زمراً أوائلهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم يمر الرجل سعياً وحتى يمر الرجل مشياً وحتى يمر آخرهم على بطنه فيقول: يا رب لم بطأت بي فيقول: إني لم أبطأ بك إنما بطأ بك عملك» وأورد أحاديث مرفوعة في ذلك. **(رواه مسلم)** قال المصنف في الأربعين: الحديث **(بهذا اللفظ)** قال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن... (الحديث: ٣٨).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٢.

٣٠ ــ باب: في الشفاعة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾.

السخاوي في تخريجها: هذا حديث صحيح أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه، ومسلم في الدعوات من صحيحه، وأبو داود وابن ماجه في سننيهما، وأبو عوانة في مستخرجه، ومداره عندهم على أبي معاوية، وهو محمد بن حازم، بمعجمتين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وله طرق كثيرة عن الأعمش في بعضها عنه، قال: حدثت عن أبي صالح، فأثبت بينهما واسطة، والأعمش مدلس؛ ولذلك قال الترمذي كأنه يعني بإثبات الواسطة أصح، وجعل ذلك عذراً له عن عدم تصحيحه، بل اقتصر على تحسينه لشواهده، ويحتمل أن يكون توقف البخاري عن تخريجه لذلك، ولكن إنما صححه مسلم، وكذا ابن حبان والحاكم من حديث الأعمش بلا واسطة لوقوعه في رواية مسلم، وغيره بالتصريح الذي يؤمن معه من تدليسه كما بينت ذلك واضحاً فيما علقته من تكملة شرح الترمذي ا هـ. كلام السخاوي، والحديث عظيم جليل جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب والفضائل والفوائد والأحكام، وفيه إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل، والنصوص في ذلك كثيرة، منها حديث: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

باب الشفاعة

قال الرازي: هي أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة. وأصلها من الشفع ضد الوتر، كأنّ صاحب الحاجة كان فرداً فصار صاحب الشفع له شفعاً، أي: صارا زوجاً ا هـ. وفي النهاية هي السؤال في التجاوز عن الذنب والجرائم ا هـ. وقيل هي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه، وللغزالي في معنى الشفاعة وسببها كلام نفيس أودعته باب الأذان من شرح الأذكار فراجعه.

(قال تعالى) علو مكانة وعظمة لا علو مكان. **(من يشفع شفاعة حسنة)** بأن يجلب بها لمسلم نفعاً، أو دفع عنه سوء ابتغاء لوجه الله تعالى، ومن ذلك الدعاء للمؤمن بظهر الغيب، ومن ثم ورد عنه ﷺ: «من دعى لأخيه بظهر الغيب استجيب له وقال الملك آمين ولك مثل ذلك». **(يكن له نصيب منها)** هو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥.

Made searchable using ScribeTools.com

٢٤٧ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسائِهِ، فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُؤجَروا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا شَاءَ»(١).

---

٢٤٧ ـ **(وعن أبي موسى)** عبد الله بن قيس **(الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ)** من مزيد عنايته بصحابته، ودلالته على الخير لأمته **(إذا أتاه طالب حاجة)** دينية أو دنيوية، **(أقبل على جلسائه)** جمع جليس، كشريف وشرفاء، **(فقال اشفعوا تؤجروا)** أي: إن تشفعوا تؤجروا، أي: يحصل لكم الأجر بشفاعتكم، سواء أقضيت الحاجة أم لا. فتؤجروا جواب الشرط المقدر، ففيه الحض على الخير بالفعل والتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة الضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول للرئيس والتمكن منه ليوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، ويستثنى ما لا تجوز الشفاعة فيه، وذلك الحدود التي لله **(ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب)**، أي: ما أراد مما سبق في علمه الأزلي، من وقوع الأمر وحصوله أو عدمه، فالمطلوب الشفاعة والثواب، مرتب عليها سواء حصل المشفوع به بأن كان مقدراً في العلم الأزلي حصوله بها أم لا، بأن كان له فيه سبب آخر لم يحصل، أو قام مانع من حصوله. **(متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب الزكاة وفي باب الأدب وباب التوحيد، ومسلم في باب الأدب وفي باب السنة، ورواه أبو داود في الأدب أيضاً، ورواه الترمذي في العلم وقال حسن صحيح، والنسائي في الزكاة، قال المزي: وكونه عند أبي داود في رواية أبي بكر بن داسة عن أبي داود، ولم يذكره أبو القاسم، ومدار الحديث عند من ذكر على أبي الأسود الدؤلي عن أبي مرسي ا هـ. ملخصاً. **(وفي رواية)** للبخاري رواها هكذا في كتاب الأدب من صحيحه **(ما شاء)** أي: وهو اعتبار خصوص كونه جارياً على لسان نبيه ﷺ ما أحب، فالاختلاف بين الروايتين مبنى لا معنى، وإن كان بالنسبة إلى غيره المراد، والمشيء أعم من المحبوب والمرضي فجميع ما في الكون من الكفر والعصيان بمشيئة مولاه وإرادته، وليس ذلك بمحبته ورضاه. قال تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: التحريض على الصدقة. (٣/٢٣٨) وفي التوحيد والأدب. وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، (الحديث: ١٤٥).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

٢٤٨ ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قِصَّةِ بَرِيرَةَ وَزَوْجِها، قَالَ: قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

---

٢٤٨ ــ **(وعن)** عبد الله **(ابن عباس رضي الله عنهما)** من جملة حديثه **(في قصة بريرة)** بفتح الموحدة وكسر الراء وإسكان التحتية؛ مولاة عائشة أم المؤمنين، وحديثها مشتمل على فوائد عديدة أفردت بالتأليف **(وزوجها)** مغيث، وهو كما في التوشيح للسيوطي، بضم الميم وكسر الغين المعجمة وسكون التحتية وبعدها مثلثة، ووقع عند العسكري بفتح المهملة وتشديد المثناة ثم الباء الموحدة ا هـ. ومغيث عبد أسود، وما روي عن عائشة من أنه حر فمعارض أو محمول على ما بعد كما سيجيء في الاستيعاب، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان مولى لبعض بني مطيع، «قلت»: في البخاري عبداً لبني فلان، قال السيوطي: في الترمذي عبداً لبني المغيرة، وفي المعرفة لابن منده مولى أبي أحمد بن جحش ا هـ. أعتقت تحته بريرة فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها، وكان مغيث حين عتقها واختيارها عبداً فيما يقول الحجازيون، وقال الكوفيون: كان يومئذ حرا والأول أصح ا هـ. **(قال)** أي: ابن عباس: **(قال لها النبي ﷺ: لو راجعتيه)** الرواية بإثبات الياء لإشباع الكسرة، قاله الهروي في المرقاة، ويخالفه قول السيوطي في التوشيح بعد أن أورد لفظ رواية البخاري: لو راجعته من غير ياء، ثم قال: ولابن ماجه لو راجعتيه بزيادة الياء، وهي لغة ضعيفة، وزاد: فإنه أبو ولدك ا هـ. ولو للتمني، أو للشرط، والجواب محذوف أي لكان أحسن أو لك فيه ثواب، وفيه معنى الأمر، فلذا **(قالت يا رسول الله تأمرني)** بتقدير الهمزة قبله أي: أتأمرني بمراجعته أي: على سبيل الوجوب فيجب على **(قال إنما أشفع)** أي: آمرك استحباباً **(قالت: لا حاجة)** أي: لا غرض ولا صلاح **(لي فيه)** أي: في ارتجاعه، وفيه إيماء إلى عذرها في عدم قبول شفاعته ﷺ حيث قال: ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾(٢) وأنها فهمت من شفاعته في ذلك تخييرها، وإطلاق الشفاعة على التخيير مجاز بجامع عدم إيجاب كليهما، وقد بسطت الكلام في ذلك في شرح الأذكار. **(رواه البخاري)** وروى الترمذي في النكاح نحوه وقال الترمذي: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة (٩/٣٥٩، ٣٦٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٣١ ــ باب: في الإصلاح بين الناس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٤]: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

باب الإصلاح بين الناس

إذا حصل بينهم خصام وشنآن؛ لأن المؤمنين إخوان، والناس اسم جنس جمعي، قيل: مأخوذ من الانس ضد الوحشة، ففيه قلب، وقيل: من نوس إذا تحرك، وعلى هذا فيدخل فيه الجن وتقدم بسطه مراراً. **(قال الله تعالى: لا خير في كثير من نجواهم)** أي: الناس، أي: ما يتناجون به ويتحدثون به **(إلا)** نجوى **(من أمر بصدقة أو معروف)** عمل بر **(أو إصلاح بين الناس)** فالاستثناء متصل، ويجوز أن يكون منقطعاً، لكن نجوى من كان كذلك خير، قال الواحدي في تفسيره الوسيط: هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: تصلح بين الناس إذا فسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا» وروت أم حبيبة أن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله تعالى». وروي أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث! قال سفيان: ألم تسمع الله يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾[٥] فهو هذا بعينه اهـ. **(وقال تعالى والصلح خير)** من الفرقة والنشوز والإعراض، أي: لما فيه من الالتئام المطلوب من الزوجين. **(وقال تعالى: وأصلحوا ذات بينكم)** أي: حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع. **(وقال تعالى: إنما المؤمنون إخوة)** أي: في الدين **(فأصلحوا بين أخويكم)** إذا تنازعا، وقرىء إخوتكم بالفوقية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١٤.

٢٤٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ

---

٢٤٩ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل)** بالرفع مبتدأ، خبره عليه صدقة **(سلامى)** بضم السين وتخفيف اللام، هو العضو، وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء ا هـ. وفي النهاية السلامى جمع سلامية، وهي الأنملة من أنامل الأصابع، وقيل: جمعه ومفرده واحد، ويجمع على سلاميات ا هـ. وقول الأذكار يميل إلى غير آخر بقيل، وفي المشارق للقاضي عياض: أصل السلامى عظام الأصابع والأكارع، وفي النهاية: هي التي بين مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل: كل عظم مجوف من صغار العظام، المعنى: على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة. وقيل: إن آخر ما يبقى فيه المخ من البعير إذاعجف السلامى والعين ا هـ. وظاهر أن المراد من السلامى هنا ما هو أعم من العضو، وهو كما في القاموس: كل لحم وافر بعظم وغيره، فقولي في الأذكار: أو هو العضو، إما باعتبار معناه لغة على بعض الأقوال، وإما أنه تجوز به عن مطلق الجزء، قال في شرح مسلم: أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله ا هـ. قال العراقي في شرح التقريب: وهو المراد في الحديث. «قلت»: وأيده المصنف بخبر مسلم: «خلق الإنسان على ستين وثلثمائة مفصل» وقوله: **(من الناس)** في محل الصفة لسلامى **(عليه)** أي: على ذلك الجنس ونظيره حديث: «خير نساء ركبن الإبل وأحناه على زوج نساء قريش» قال السهيلي في الروض: الضمير فيه عائد على الجنس، أو الضمير عائد على السلامى، وذكره باعتبار أنه عضو، أو مفصل، عليه. **(صدقة كل يوم)** بالنصب على الظرفية الزمانية، وأجاز الحافظ في الفتح رفعه مبتدأ أولاً، وتعدل مبتدأ ثانياً، وصدقة خبر الثاني، والجملة خبر المبتدأ الأول، والرابط مقدر، أي: كل يوم تطلع فيه الشمس العدل فيه صدقة. **(تطلع)** بضم اللام كما مر **(فيه الشمس)** جملة صفة يوم، وهو صفة توضيحية فيها بيان تجديد هذه الصدقات على الإنسان صبيحة كل يوم في مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه في خلق تلك السلاميات من باهر النعم، ودوامها التي هي نعمة أخرى، ومما يزيد العبد تيقظاً لنعمة الدوام عليه أنه تعالى قادر على سلب نعمة الأعضاء عن عبده كل آن، وهو في ذلك عادل في حكمه، فعفوه عن ذلك إدامة نعمة العافية عليه صدقة توجب الشكر بدوامها، فيتعين على العبد الشكر لهذه النعم بالصدقة بما يأتي في الحديث، وغيره مقابلة لتلك النعم بقدر الطاقة مع ما ورد من أن الصدقة تدفع البلاء، فبوجودها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها، وظاهر قوله: «عليه صدقة كل يوم» وجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم،

Made searchable using ScribeTools.com

الرَّجُلَ في دابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ

لكن في حديث الصحيحين «فإن لم يفعل فليمسك عن الشر فإنه له صدقة» وهو يدل على أنه يكفيه أن لا يفعل شيئاً من الشر، ويلزم من ذلك القيام بجميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، وهذا هو الشكر الواجب، وهو كاف في شكر هذه النعم وغيرها، أما الشكر المستحب فهو: أن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة كالأذكار، والمتعدية كالإعانة والعدل، وهذا هو المراد من هذا الحديث وأمثاله، مع أن فيه ذكر بعض الطاعات. **(يعدل)** أي: يصلح، وهو بتقدير أن، قبله في تأويل مصدر مبتدأ، خبره صدقة، أو أوقع الفعل فيه موقع المصدر، أي: مع قطع النظر عن أن، وهذا الإعراب جار في قوله وتعين وما بعده كما سبق في باب بيان كثرة طرق الخير، أي: عدله **(بين الاثنين)** المتهاجرين، أو المتخاصمين، أو المتحاكمين بأن يحملهما لكونه حاكماً أو محكماً أو مصلحاً بالعدل، والإنصاف والإحسان بالقول أو الفعل على الصلح الجائز، وأشار ﷺ إلى أنه الذي لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً. **(صدقة)** عليها لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال، ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿أو اصلاح بين الناس﴾[1] وقوله تعالى: ﴿كونوا قوامين بالقسط﴾[2] أي: العدل ﴿شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾[3] وجاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الألفة بين المؤمنين. **(وتعين الرجل في دابته ليحمل عليها)** نفسه أو غيره بإمساكها لذلك. **(أو يضع)** وأورده المصنف في الأربعين: أو يرفع. **(عليها متاعه)** وهو كل ما ينتفع به من عرض الدنيا، قليلاً كان أو كثيراً. **(والكلمة الطيبة)** وهي كل ذكر أو دعاء للنفس أو للغير وسلام عليه ورد وثناء بحق، ونحو ذلك مما فيه سرور، واجتماع القلوب وتألفها وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ومنه قوله ﷺ: «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» وقد سبق مع حديث أبي هريرة هذا في باب بيان طرق الخير. **(صدقة وبكل خطوة)** هو بفتح الخاء المعجمة للمرة الواحدة، وضمها لما بين القدمين. **(يمشيها إلى الصلاة)** وكذا إلى سائر الطاعات، كطلب العلم، وصلة الأرحام، وزيارة الإخوان. **(صدقة وتميط)** بضم أوله، أي: تزيل **(الأذى)** هو ما يؤذي المارة من حجر، أو شوك، أو نحوهما **(عن الطريق)** مذكر ومؤنث **(صدقة)** وأخرت هذه لأنها دون ما قبلها كما يشير إليه خبر:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

عَلَيْهِ. وَمَعْنَى «تَعْدِلُ بَيْنَهُما»: تُصْلِحُ بَيْنَهُما بِالعَدْلِ [١].

٢٥٠ ــ وَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ

«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». (متفق عليه) وتقدم زيادة عليها من مخرجيه في الباب المشار إليه. (معنى يعدل بينهما) كنى عن الاثنين المذكورين في الخبر بضميره، (يصلح بينهما بالعدل).

٢٥٠ ــ (وعن أم كلثوم) بضم الكاف وسكون اللام وبالمثلثة آخره ميم، (بنت عقبة) بضم المهملة وسكون القاف بعدها موحدة فهاء (ابن أبي معيط) بضم الميم وفتح المهملة الأولى بعدها تحتية ساكنة، واسمه أبان بن أبي عمرو، واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلمت (رضي الله عنها) بمكة قبل أن يأخذ النساء في الهجرة إلى المدينة، ثم هاجرت وبايعت، فهي من المهاجرات المبايعات قيل: وهي أول من هاجر من النساء، كانت هجرتها في سنة سبع في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من قريش، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن يرد إليهم من جاء مؤمناً، وفيها نزلت: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾[٢] الآية وذلك أنها لما هاجرت لحقها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية، فلم يفعل، وقال نأبى ذلك، قال عمر بن عبد العزيز: يقولون إنها مشت على قدمها من مكة إلى المدينة، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً ومحمداً وإسماعيل، ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، وروى عنها ابنها حميد بن عبد الرحمن وغيره، روى لها عن رسول الله ﷺ عشرة أحاديث فيما ذكر ابن حزم آخر سيرته، وابن الجوزي في مختصر التلقيح، إلا أنهما قالا في ترجمة من روي له عشرة أحاديث، (أم كلثوم) ولم ينسبوها، ثم رأيت ابن ملك قال في شرح المشارق: أنها روي لها كذلك، ولها في الصحيحين هذا الحديث الواحد ا هـ. (قالت: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: من أخذ بالركاب (٥/٢٢٦ و٦/٩٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع... (الحديث: ٥٦).

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلاثٍ: تَعْنِي الْحَرْبَ، وَالإِصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثَ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا[1].

يقول: ليس الكذاب) أي: إثم الكذب من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، أو معناه ليس بكثير الكذب **(الذي يصلح بين الناس)** أي: يكذب للإصلاح بين المتباغضين؛ لأن هذا الكذب يؤدي إلى الخير وهو قليل أيضاً **(فينمي خيراً)** بفتح التحتية، أي: يبلغ خبراً فيه خير، يقال: نمى الحديث إذا بلغه على وجه الإصلاح، ونماه بالتشديد إذا بلغه على وجه الإفساد. **(أو)** شك من الراوي، أي: شك هل قال: فينمي خيراً؟ أو قال: **(يقول خيراً متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب الصلح، ومسلم في الأدب، وكذا رواه فيه أبو داود والترمذي في البر، وقال: حسن صحيح، والنسائي في السير. **(وفي رواية مسلم)** لهذا الحديث، أي: في بعض طرقه زيادة على الرواية المتفق عليها، فالرواية المذكورة آنفاً فيه أيضاً من طريق معمر، قال فيه إلى قوله وينمي خيراً ولم يذكر ما بعده، أي: من الزيادة، وتلك الزيادة هي قوله **(قالت)** أي: أم كلثوم، كذا في طريق عند مسلم، وفي طريق أخرى عنده قال ابن شهاب الزهري: ولم أسمع «يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث»... الحديث. فجعل مسلم في تلك الطريق هذه الزيادة من قول الزهري، وفي الطريق التي أشار إليها المصنف قول أم كلثوم، فقال: قالت **(ولم أسمعه)** أي: النبي ﷺ **(يرخص)** بتشديد الخاء المعجمة وبعدها مهملة، من الترخيص ضد الحظر **(في شيء مما يقول الناس)** أي: أنه كذب كما هو كذلك في قول الزهري، وحذف قولها: كذب، هو كذا عند مسلم **(إلا في ثلاث)** أي: من الخصال **(تعني)** أي: أم كلثوم بتلك الثلاث **(الحرب)** كأن يقول لأعداء الدين مات كبيركم، أو لنا جيش كبير يأتينا، أو نحو ذلك مما فيه مصلحة عامة للمسلمين، فيجوز ارتكاب الكذب لعظم النفع. **(والإصلاح بين الناس)** بأن يقول لزيد مثلاً: رأيت عمراً يعني عدوه يحبك، ويثني عليك خيراً، مما لم يكن ليصلح بينهما ويذهب الشان. **(وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)** كأن يقول أحدهما للآخر: لا أحد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس. (٥/٢٢٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه، (الحديث: ١٠١).

٢٥١ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ في شَيْءٍ،

أحبّ إليّ منك، فهذا الكذب جائز؛ لعظم المصلحة المترتب عليه على محظور الأخبار بخلاف الواقع، وكذا يجوز الكذب لتخليص محترم، بل يجب على من سئل عن محترم قصد سائله عنه إهلاكه أن يخفيه ولو باليمين، وليس في الحديث ما يدل على الحصر، وقال قوم: لا يجوز ذلك إلا بطريق التورية وهي: أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره، كأن يقول فعل فلان كذا، وينوي إن قدر ويقول في الحرب مات كبيركم ويريد بعض المتقدمين منهم. قال الدماميني في حاشية البخاري: وليس في الحديث ما يقتضي جواز الكذب، فإنه قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس» وسلب الكذب عن المصلح لا يستلزم كون ما يقوله كذباً؛ لجواز أن يكون صدقاً بطريق التصريح أو التعريض ا هـ.

٢٥١ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب)** أفرد صوت المضاف مع تعدده في نفس الأمر؛ لتعدد المضاف إليه؛ لكونه لمح فيه كونه مصدراً في الأصل، **قال في الصحاح:** قد صات الشيء يصوت صوتاً ا هـ. فيكون هذا نظير إفراد السمع في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم﴾[1] على أحد الوجوه في الآية، أو لاختلاط أصواتهم وعدم تمايزها، فصارت كالصوت الواحد لإدراك حاسة السمع لها رفعة. **(عالية)** بالجر على أنه صفة خصوم، وبالنصب على أنه حال من أصواتهما، كذا في نسخة مكتوب على ضمير التثنية رمز صح. وفي رواية للبخاري، أصواتهم بصيغة الجمع. قال في فتح الباري: كأنه جمع باعتبار من حضر، وثنى باعتبار الخصمين، أو كان التخاصم من الجانبين بين جماعتين، فجمع باعتبار ذلك، وثنى باعتبار جنس الخصم، وليس فيه حجة لمن جوز إرادة صيغة الجمع بالاثنين كما زعم الشراح. **«قلت»** يعني به الكرماني، **(وإذا أحدهما يستوضع الآخر)** أي: يطلب منه الوضيعة، أي: الحطيطة من الدين **(ويسترفقه)** أي: يطلب منه الرفق **(في شيء)** قال الحافظ في فتح الباري: وقع في رواية ابن حبان بيان ذلك الشيء، قال في أول الحديث: «دخلت امرأة على النبي ﷺ فقالت: إني ابتعت أنا وابني من فلان تمراً فأحصيناه لا والذي أكرمك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله في بطوننا أو نطعمه مسكيناً وجئنا نستوضعه ما نقصنا»... الحديث. **قال الحافظ:** ولم أقف على اسم أحد من المتبايعين، وهي غير قصة كعب بن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

Made searchable using ScribeTools.com

وَهُوَ يَقُولُ: واللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِما رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ المَعْرُوفَ؟!» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذٰلِكَ أَحَبَّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْه. مَعْنَى «يَسْتَوْضِعُهُ» يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ دَيْنِهِ، و «يَسْتَرْفِقُهُ» يَسْأَلُهُ الرِّفْقَ.

مالك وعبد الله بن حدرد التي في البخاري، عقب هذا الحديث كما بينه في فتح الباري. **(وهو)** أي: الثاني **(يقول والله لا أفعل)** أي: لا أضع شيئاً، وفي رواية ابن حبان: فقال: آلى أن لا يضع خيراً ثلاث مرات **(فخرج رسول الله ﷺ)** ليصلح بينهما **(فقال: أين المتألي؟)** بضم الميم وفتح الفوقية والهمزة وتشديد اللام، أي: الحالف المبالغ في اليمين **(على الله أن لا يفعل المعروف)** من الوضع والرفق بأخيه، **(فقال: أنا يا رسول الله فله)** أي: ذلك المذكور من الوضع والرفق **(أي ذلك أحب)** وفي رواية لابن حبان: «إن شئت وضعت ما نقصوا، وإن شئت من رأس المال، فوضع ما نقصوا». قال في فتح الباري: وهذا يشعر بأن المراد بالوضع الحط، وبالرفق الاقتصار عليه وترك الزيادة، لا كما زعم بعض الشراح، أنه يريد بالرفق الأميال، وفي أواخر الصلح من الفتح بعد أن ساق عن ابن حبان بيان ما سألوا فيه الرفق من أنهم أخذوا بخلاص صاحبه، ثم سألوا منه ذلك بها، قال الحافظ: فالمراد أنهم يستوضعونه بترك الزيادة على رأس المال، والاسترفاق بترك طلب الربح. **(متفق عليه)** فأخرجه البخاري في كتاب الصلح عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه، وهو أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الرجال، عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، عن عمرة عن عائشة، ورواه مسلم في الشركة من البيوع، ثنا غير واحد من أصحابنا قالوا: ثنا إسماعيل بن أبي أويس ا هـ. ذكره الحافظ المزي في الأطراف، قال الحافظ ابن حجر في نكته عليها قال أبو نعيم في المستخرج: يقال إن مسلماً حمل هذا الحديث عن البخاري ا هـ. وكلام أبو نعيم يقتضي أنه حدث به أيضاً غيره، وقد رويناه في الأول من أعالي المحاملي، رواية الأصبهانيين عنه، قال: ثنا عبد الله بن شهيب، ثنا إسماعيل فذكره ا هـ. وفي فتح الباري في باب أواخر الصلح بعد أن ذكر أنه أخرجه عن إسماعيل بن أبي أويس محمد بن يحيى الذهلي وذكر ما في المحاملیات، قال: فيحتمل أن يفسر من أبهمه مسلم بهؤلاء وبعضهم ا هـ. ثم في الحديث الحض على الرفق بالغريم، والإحسان إليه بالوضع والزجر على الحلف على ترك الخير، وفيه الصفح عما يجري بين المتخاصمين من اللغط، ورفع الصوت عند الحاكم. **(معنى يستوضعه يسأله أن يضع عنه بعض دينه ويسترفقه يسأله الرفق)** بكسر الراء، ضد العنف، وذلك بأن لا يزيد عليه ما نقص

و «المُتَأَلِّي» الْحَالِفُ(١).

٢٥٢ ــ وَعَنْ أَبِي العَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ في أُنَاسٍ مَعَهُ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ حُبِسَ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، .....

عليه. **(والمتألي الحالف)** تقدم في كلام الحافظ، أنه الحالف المبالغ في اليمين، وهو الذي تقتضيه الصيغة.

٢٥٢ ــ **(وعن أبي العباس)** بتشديد الموحدة آخره مهملة **(سهل بن سعد)** الأنصاري **(الساعدي)** تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الدلالة على الخير. **(أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف)** أي: ابن مالك بن الأوس، والأوس أحد قبيلتي الأنصار، وهما الأوس والخزرج، وبنو عمرو بن عوف بطن كبير من الأوس، فيه عدة أحياء، كانت منازلهم بقباء **(كان بينهم شر)** السبب فيه كما في الفتح ما في رواية «وقع بين حيين من الأنصار كلام» وعند البخاري في كتاب الصلح من طريق محمد بن جعفر عن أبي حازم: «أن أهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله بذلك، فقالوا: اذهب بنا نصلح بينهم» **(فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس)** هذا هو الأصل كما تقدم، وتعوض الهمزة ال **(من أصحابه)** وفي نسخة معه بدل من أصحابه، سمى الطبراني منهم من طريق موسى بن محمد، عن أبي حازم أبيّ بن كعب وسهيل بن بيضاء، وللبخاري في الأحكام أن توجهه كان بعد أن صلّى الظهر. **(فحبس)** بضم المهملة الأولى وكسر الموحدة، أي: قام. **(رسول الله ﷺ ليصلح بينهم وحانت الصلاة)** أي: دخل حين الصلاة، وهي صلاة العصر كما صرح به البخاري في روايته في الأحكام، ولفظه: «فلما حضرت صلاة العصر أذن وأقام وأمر أبا بكر فتقدم». **(وجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حبس وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس قال نعم إن شئت)** عند أحمد وأبي داود وابن حبان، أن ذلك كان بأمر النبي ﷺ، ولفظه: «فقال لبلال: إن حضرت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح. (٥/٢٢٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: المساقاة، باب: استحباب الوضع من الدين (الحديث: ١٩).

Made searchable using ScribeTools.com

فَأَقَامَ بِلَالٌ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يَلْتَفِتُ فى صَلاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ الْتَفَتَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَرَجَعَ

الصلاة ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت». . . الحديث. ونحوه للطبراني، ولا يخالف هذا قوله لأبي بكر: «هل لك أن تؤم الناس» لأنه يحمل على أنه استفهمه، هل تبادر أول الوقت أو تنتظر مجيء النبي ﷺ؟ ورجح عند أبي بكر المبادرة؛ لأنها فضيلة محققة، فلا تترك لفضيلة متوهمة **(فأقام بلال وتقدم أبو بكر فكبر)** وفي رواية للبخاري: فاستفتح أبو بكر الصلاة. قال في فتح الباري: وبهذا يجاب عن الفرق بين المقامين، حيث امتنع أبو بكر هنا أن يستمر إماماً، وحيث استمر في مرض موته ﷺ حين صلى خلفه الركعة الثانية من الصبح، كما صرح به موسى بن عقبة في المغازي، وكأنه لما مضى معظم الصلاة حسن الاستمرار، ولما لم يمض منها إلا اليسير لم يستمر، وكذا وقع لعبد الرحمن بن عوف، حيث صلّى النبي ﷺ خلفه الركعة الثانية من الصبح، فإنه استمر إماماً لهذا المعنى، وقصة عبد الرحمن عند مسلم. **(وكبر الناس وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف)** زاد البخاري في رواية: يشقها شقاً **(حتى قام في الصف)** أي: الأول، كما في رواية له أيضاً ولمسلم: «فخرق الصفوف حتى قام عند الصف المقدم» **(فأخذ الناس في التصفيق)** قيل: إنه مرادف للتصفيح، وقيل: لا، وهو الراجح. **(وكان أبو بكر رضي الله عنه)** لعلمه بالنهي عن الالتفات في الصلاة، وأنه خلسة من الشيطان يختلسها من صلاة العبد، كما جاء ذلك في الخبر المرفوع. **(لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس)** أي: من التصفيق كما في رواية للبخاري، وفي رواية أخرى: **فلما** رأى التصفيح لا يمسك عنه. **(التفت فإذا رسول الله ﷺ)** أي: حاضراً، فالخبر محذوف **(فأشار إليه رسول الله ﷺ)** أي: بالمكث في مقامه، وفي رواية للبخاري في كتاب الإمامة: «فأشار ﷺ إليه أن امكث مكانك». قال الحافظ في الفتح: وفي رواية عمر بن علي: فدفع في صدره ليتقدم فأبى. **(فرفع أبو بكر يده)** في البخاري من باب الإمامة: يديه بالتثنية **(فحمد الله)** ظاهره أنه تلفظ بالحمد، لكن في رواية الحميدي عن سفيان: «فرفع أبو بكر رأسه إلى السماء شكراً لله ورجع القهقرى» وادعى ابن الجوزي أنه أشار بالحمد والشكر بيده ولم يتكلم، وليس في رواية الحميدي ما يمنع أن يكون تلفظ، ويقوي ذلك ما عند الإمام أحمد عن أبي حازم: «يا أبا بكر لم رفعت يديك وما منعك أن تثبت حين أشرت إليك؟ قال: رفعت يدي لأني حمدت الله على ما رأيت منك».

الْقَهْقَرى وَرَاءَهُ حَتَّى قَامَ في الصَّفِّ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّها النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيءٌ في الصَّلاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيقِ؟إِنَّما التَّصْفيقُ لِلنِّساءِ، مَنْ نَابَهُ شَيءٌ في صَلاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحانَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحانَ اللَّهِ إِلَّا الْتَفَتَ، يَا أَبا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ لِلنَّاسِ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ يَنْبَغي لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَينَ يَدَيْ . . . . . .

(ورجع القهقرى) أي: يمشي إلى خلفه، فقوله **(وراءه)** بالنصب على الحال تأكيد؛ وفعل ذلك لئلا يستدير القبلة فتبطل صلاته، وهو محمول على أنه لم تتوال منه حركات مبطلة. **(حتى قام)** أي: تأخر إلى موقف المأموم فقام **(في الصف)** ولم يقف منفرداً عنه؛ لكراهته المفوتة لفضل الجماعة **(فتقدم رسول الله ﷺ فصلى)** إماماً **(للناس فلما فرغ أقبل بوجهه على الناس فقال يا أيها الناس ما لكم)** جملة مركبة من مبتدأ وخبر، أي: أيّ شيء لكم؟ **(حين نابكم)** أي: أصابكم **(شيء في الصلاة)** هو في تلك القصة تنبيه الصديق على مجيء النبي ﷺ. **(أخذتم)** أي: شرعتم **(في التصفيق)** جملة حالية بتقدير قد، وحين ظرف، والمعنى: أيّ شيء بكم وقد صفقتم حين أصابكم شيء في الصلاة؟ **(إنما التصفيق للنساء)** وفي رواية للبخاري: «إنما التصفيح للنساء» زاد الحميدي: «والتسبيح للرجال» وقد روى البخاري هذه الجملة الأخيرة مقتصراً عليها في حديث آخر، وفي البخاري: «قال سهل أي: ابن سعد الساعدي هل تدرون ما التصفيح هو التصفيق» قال في الفتح: وهذا حجة من قال أنهما بمعنى، وبه صرح الخطابي، وأبو علي القالي، والجوهري، وغيرهم. وادعى ابن حزم نفي الخلاف في ذلك، وتعقب بما حكاه القاضي عياض في الإكمال أنه بالحاء الضرب بظاهر إحدى اليدين على الأخرى، وبالقاف بباطنها على باطن الأخرى، وقيل: بالحاء الضرب بإصبعين للإنذار والتنبيه، وبالقاف بجميعها للهو أو اللعب ا هـ. **(من نابه)** أي: أصابه **(شيء في صلاته فليقل سبحان الله)** لينبه على أنه في الصلاة، ويقصد به الذكر وحده أو مع الإعلام. **(فإنه)** أي: المصلي **(لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت)** بالبناء للفاعل **(يا أبا بكر ما منعك)** من **(أن تصلي)** إماماً **(للناس حين أشرت إليك)** أي: بملازمة ما شرعت فيه من إمامتك بالقوم، وكانت الإشارة منه ﷺ قبل أن يحرم بالصلاة، كما في باب الإشارة في الصلاة من فتح الباري. **(فقال أبو بكر: ما كان)** زائدة **(ينبغي)** أي: لا يصح **(لابن أبي قحافة)** كنية أبيه، واسمه: عثمان رضي الله عنهما **(أن يصلي)** إماماً **(بين يدي**

Made searchable using ScribeTools.com

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. مَعْنَى «حُبِسَ»: أَمْسَكُوهُ لِيُضَيِّفُوهُ(١).

رسول الله ﷺ) أي: ليس هذا من باب الأدب المأمور به العباد معه ﷺ، فما فعله من سلوك الأدب وتقديمه على الأمر الذي ليس على سبيل الإيجاب والتحتم، وسيأتي في ترجمة ابن عوف في باب فضل البكاء، بيان أنه ﷺ صلّى في مرض موته وراء أبي بكر أيضاً واستمر أبو بكر إلى أن أتم الصلاة إماماً بالقوم، كما تقدم قريباً، قال في فتح الباري: وفي الحديث من الفوائد الإصلاح بين الناس، وجمع كلمة القبيلة، وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته لذلك، وفيه جواز الصلاة الواحدة بإمامين، أحدهما بعد الآخر، وفيه فضل أبي بكر على جميع الصحابة، واستدل به جمع من الشراح ومن الفقهاء كالروياني، على أن أبا بكر عند الصحابة كان أفضلهم، لكونه اختاره دون غيره، وفيه جواز التسبيح والحمد في الصلاة؛ لأنه من ذكر الله، ولو كان مراد المسبح إعلام الغير بما صدر منه، أي: مع قصد الذكر بذلك، وإلا أبطل الصلاة عند الشافعية، وفيه جواز الالتفات للحاجة، وأن مخاطبة المصلي بالإشارة أولى من مخاطبته بالعبارة، وأنها تقوم مقام النطق لمعاتبة النبي ﷺ على مخالفته إشارته، وفيه الحمد والشكر على الوجاهة في الدين، وأن من أكرم بكرامة تخير بين القبول والترك إذا فهم أن ذلك الأمر على غير جهته اللزوم، وكأن القرينة التي بينت لأبي بكر ذلك كونه ﷺ شق الصفوف إلى أن انتهى إليه، فكأنه فهم من ذلك أن قصده أن يؤم الناس، وأن أمره إياه بالاستمرار في الإمامة من باب الإكرام له، والتنويه بقدره، فسلك هو طريق الأدب والتواضع، ورجح ذلك عنده احتمال نزول الوحي في حالة الصلاة؛ لتغير حكم من أحكامها، وكأنه ﷺ لأجل هذا لم يتعقب اعتذاره برد عليه، وفيه سؤال الرئيس عن سبب مخالفة أمره قبل الزجر عن ذلك، وفيه إكرام الكبير بمخاطبته بالكنية، واعتماد ذكر الرجل لنفسه بما يشعر بالتواضع من جهة استعمال أبي بكر لفظ الغيبة مكان الحضور، وإلا فكان الكلام أن يقول أبو بكر (ما كان لي) فعدل عنه إلى قوله: ما كان لابن أبي قحافة، لأنه أدل على التواضع من الأول، وفيه غير ذلك ا هـ. ملخصاً (متفق عليه) أخرجاه في كتاب الصلاة، وأخرجه البخاري في كتاب الأحكام، وأبو داود والنسائي في الصلاة ا هـ. ملخصاً من الأطراف للمزي (معنى حبس) في قوله: «وحبس رسول الله ﷺ» وهو مبني للمفعول. (أمسكوه ليضيفوه) بضم التحتية وكسر الضاد بعدها تحتية ساكنة، ففيه إضافة الرئيس إذا أوفد على القوم، وفيه مزيد تواضعه وجلوسه جبراً لخواطرهم لحضور ضيافتهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أحكام السهو (باب الإشارة في الصلاة) ورد مختصراً في باب العمل في الصلاة والأذان (٢/١٣٩، ١٤٠ و٣/٦١، ٧٠، ٨٦، ٢١٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: تقديم الجماعة من يصلي بهم... (الحديث: ١٠٢).

٣٢ ــ باب: في فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

باب فضل ضعفة

بفتحات، جمع ضعيف، قال ابن هشام في التوضيح: فعلة بفتحتين، وهو شائع في وصف المذكر العاقل الصحيح اللام نحو: كامل وكمله وساحر وسحره ا هـ. ففيه إيماء إلى ندور ما نحن فيه من جمع ضعيف على ضعفة، وقد بين وجه جمعه عليه في المصباح فقال: هو ضعيف، والجمع ضعفاء وضعاف أيضاً، وجاء أيضاً ضعفة وضعفى، قال: ولوحظ في ضعيف معنى فاعل فجمع على ضعاف وضعفة، مثل: كافر وكفرة ا هـ. وفي شرح أبيات الجمل لابن السيد: وجازأن يكسر فعيل على فعلة من حيث إن فعيل وفاعل يشتركان في المعنى الواحد فيقال عليم وعالم وقدير وقادر فاشتركا في جمعهما كما اشتركا في مفردهما وكما قالوا عالم وعلماء وشاعر وشعراء وباب فعلا في الجمع إنما هو لفعيل نحو حكيم وحكماء وبصير وبصراء ا هـ. أي: فضل ضعفاء **(المسلمين و)** فضل **(الفقراء)** من الدنيا **(والخاملين)** لذكر فيها وإن لم يكونوا فقراء **(قال الله تعالى واصبر نفسك)** احبسها وثبتها **(مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)** أي: في مجامع أوقاتهم، أو في طرفي النهار، وقرىء بالغدوة، وفيه أن غدوة علم في الأكثر، فاللام فيه على تأويل التنكير، وأصل غداة بالفتح غدوة بوزن ضربة، فنقلت حركة الواو إلى الدال، واعتلت كإعلال أقام. **(يريدون وجهه)** أي: رضىٰ الله وطاعته، وسيأتي بسط في معنى الآية في أثناء الكلام على حديث سعد في الباب بعده عن القرطبي **(ولا تعد عيناك عنهم)** ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم، وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا، وقرىء: ولا تعد عينيك، ولا تعد: من أعداه وعداه، والمراد نهي الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزدري بفقراء المؤمنين ويغلق عينيه عن رثاثة زيهم، طموحاً إلى طراوة زي الأغنياء، قال الكواشي: قال قوم من رؤساء الكفار لرسول الله ﷺ: نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الصنان، وهم صهيب وعمار وغيرهما من فقراء المسلمين حتى نجالسك، فنزلت هذه الآية ا هـ.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨

Made searchable using ScribeTools.com

٢٥٣ ــ وَعَنْ حارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقولُ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْعُتُلُّ»: الْغَلِيظُ

---

٢٥٣ ــ **(وعن حارثة)** بالحاء المهملة وكسر الراء، وبالمثلثة **(ابن وهب)** الخزاعي أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لأمه، قال ابن النحوي في شرح البخاري: أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب الخزاعية، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومعبد بن خالد الجهني. **(رضي الله عنه)** قال ابن الجوزي في المستخرج المليح: له ستة أحاديث، أخرج له منها في الصحيحين أربعة أحاديث، اتفقا عليها. وقال البرقي: له حديثان، وهو غلط، لأنه قد أخرج له في الصحيحين أربعة أحاديث ا هـ. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا)** حرف استفتاح لتنبيه السامع الكلام الآتي بعده. **(أخبركم بأهل الجنة)** قال ابن النحوي: أي: بمعظمهم، وكذا في القسم الآخير، وليس المراد الاستيعاب، وسكت الراوي عن ذكر جوابهم للعلم بوقوعه، أي: قالوا بلى، فقال: هم **(كل ضعيف)** فهو خبر لمبتدأ محذوف، والجملة بيان ومعنى ضعيف، أي: نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا. **(متضعف)** قال ابن النحوي: هو بفتح العين المشددة، وكذا ضبطه الدمياطي، قال ابن الجوزي: وغلط من كسرها، إنما هو بالفتح، يعني أن الناس يستضعفونه ويقهرونه، وقال النووي: روي بالفتح عند الأكثرين، وبالكسر ا هـ. قال الطيبي: فمعناه على الفتح: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويفخرون عليه لضعف حاله في الدنيا، ومعناه بالكسر: متواضع متذلل خامل واضع من نفسه ا هـ. وقيل: المراد أنه يستضعف، أي: يخضع لله سبحانه، ويذل له نفسه، حكاه المصنف مقتصراً عليه. «قلت»: وعلى هذا جرى العلقمي وزاد في رواية «مستضعف» وفي رواية لأحمد: «الضعيف المستضعف» **(لو يقسم على الله لأبره)** أي: لأبر قسمه، أي: لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله بإبراره لأبره بحصول ذلك، وسيأتي فيه بسط، ومن ذلك ما روي عن أنس بن النضر في أخته الربيع، لما كسرت سن المرأة، وأمر ﷺ بالقصاص، فقال أنس: والله لا تكسر سن الربيع، فرضي أهل المرأة المجني عليها بالأرش، فقال ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبر قسمه» وأتى بالمضارع في حديث الباب إيماءً إلى استمرار عناية الله بهم كل زمن ووقت، وقضاء حوائجهم، وتيسير مطالبهم، ويكفيك قوله في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه»... الحديث. أي: كنت متولياً لسائر أموره، كافياً له في مطالبه **(ألا أخبركم بأهل النار)** أي: بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها، هم **(كل عتل)** بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام **(جواظ**

الْجَافي. و«الْجَوَّاظُ»بِفَتْحِ الجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْواوِ وبِالظاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ. وَقِيلَ الضَّخْمُ الْمُخْتالُ فِي مِشْيَتِهِ. وَقِيلَ: الْقَصيرُ الْبَطِينُ(١).

٢٥٤ ــ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ .....

مستكبر) أي: متخلق به، وهو كما في الحديث المرفوع «بطر الحق» أي: دفعه وعدم الانقياد إليه، وغمط الناس، أي: احتقارهم، زاد في رواية بعد جواظ **(جعظري)** وهو بفتح الجيم والظاء المعجمة وسكون المهملة بينهما، قيل: الفظ الغليظ، وقيل: الذي لا عرض له، وقيل: الذي يتمدح بما ليس عنده **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في التفسير والأدب والنذور من صحيحه، ومسلم في صفة الجنة، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، ومداره عندهم على شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة، كذا لخص من الأطراف للمزي **(العتل الغليظ)** العنيف، هذا قول الخطابي **(الجافي)** من الجفاء، أي: الجافي عن المواعظ، هذا قول الفراء، والمصنف جمع القولين وجعلهما قولاً واحداً. وقيل: هو الشديد من كل شيء، وقيل الكافر، وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن، وقال الهروي: الجموع المنوع، قال: ويقال هو القصير البطين، وقيل: الأكول الشروب الظلوم. **(والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة وهو الجموع المنوع)** هذا بعض تفسير له جاء مرفوعاً، قال ابن النحوي: روي عن ابن عباس مرفوعاً «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الجواظ والعتل والجعظري قيل يا رسول الله: وما الجواظ؟ قال: الجموع المنوع البخيل بما في يديه» والجعظري: الفظ على ما ملكت يمينه والغليظ لقرابته وجيرانه وأهل بيته، والعتل الشرس الخلق الرحب الجوف الأكول الشروب الغشوم الظلوم ا هـ. **(وقيل)** كما حكاه الخطابي واقتصر عليه الجوهري في صحاحه **(الضخم)** في البدن، أي: كثير لحمه **(المختال)** افتعال من الخيلاء، وهو التكبر **(في مشيته)** بكسر الميم **(وقيل)** كما حكاه في النهاية **(القصير البطين)** بفتح أولهما وكسر ثانيهما، أي: القصير العظيم البطين لشرهه ونهمه، فليس غرضه سوى مليء بطنه. وفي الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» رواه البخاري.

٢٥٤ ــ **(وعن أبي العباس)** كنية **(سهل)** وقيل كنيته أبو يحيى وهو **(ابن سعد)** بن مالك بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/نّ/، باب: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ وفي الأدب، باب: الكبر، وفي الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾ (١٠/٤٠٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (الحديث: ٤٧).

Made searchable using ScribeTools.com

السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ [لا، بل انفرد به البخاري][1].

خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري **(الساعدي)** نسبه **(رضي الله عنه)** لجده ساعدة **(قال: مر رجل)** لم أقف على من سماه **(على النبي ﷺ فقال: لرجل)** وفي البخاري فقال: ما تقولون؟ قال الشيخ زكريا الخطاب: لما حضره ﷺ وهو أبو ذر ومن معه. **(ما رأيك في هذا)** من حيث التعظيم له باعتبار الأمور الدنيوية. **(فقال رجل من أشراف الناس)** الذين ينظرون إلى الظواهر **(هذا)** أي: المسؤول عنه **(والله حري إن خطب)** مولية **(أن ينكح)** بالبناء للمفعول، وكذا المضارعة الآتية بعد أي يزوج **(وإن شفع)** في أمر **(أن يشفع)** أي: لحسبه، أو لشرف نسبه وظهور فخره دنيا. **(فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل)** أي: آخر زاد في رواية للبخاري: «من فقراء المسلمين» وهو في نسخة من هذا الكتاب أيضاً، واسمه: جعيل بن سراقة العقاري، كما ذكره شيخنا شيخ الإسلام زكريا في تحفة القاري، ولعل الرجل الأول كان عيينة بن حصن، أو الأقرع بن حابس، ففي أسد الغابة، «قيل لرسول الله ﷺ: أعطيت الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وتركت جعيلاً؟ فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لجعيل خير من طلاع الأرض مثل عيينة والأقرع»... الحديث. قال: أخرجه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم اهـ. **فقال له)** أي: الذي عنده **(رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب)** مولية **(أن لا ينكح)** لفقره **(وإن شفع)** في أمر **(أن لا يشفع وإن قال)** أي: تكلم **(لا يسمع لقوله)** ويجوز في الأفعال الواقعة جواباً الجزم، وهو الأفصح، والرفع لكون فعل الشرط ماضياً. **(فقال رسول الله ﷺ: هذا)** أي: الذي احتقرتموه لفقره **(خير)** عند الله **(من ملىء الأرض)** أي: مما يملأ بها **(مثل هذا)** الذي فضلتموه عليه، قال الكرماني: إن قلت كيف هذا «قلت»: إن كان الأول كافراً فالوجه ظاهر، وإلا فيكون ذلك معلوماً لرسول الله ﷺ اهـ. **(متفق عليه)** كما فعل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين (٩/١١٧) و (١١/٢٣٦).

قَوْلُهُ: «حَرِيٌّ» هُوَ بِفَتْحِ الحاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الياءِ: أَيْ حَقيقٌ، وَقَوْلُهُ «شَفَعَ»: بِفَتْحِ الفاءِ.

٢٥٥ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ والْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ. .....

الحميدي، وأبو مسعود، وابن الجوزي، فأوردوه في المتفق عليه من حديث سهل، وتبعهم المصنف، وأبي مالك الطرقي، وخلف، فعزياه إلى البخاري، فقط ذكره ابن النحوي، «قلت»: وجرى على الأخير الحافظ المزي فاقتصر على عزوه إلى البخاري في كتاب النكاح والرقاق، قال: وأخرجه ابن ماجه في الزهد، وقال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف على الأطراف، قال الحميدي: ذكره ابن مسعود في المتفق عليه ولم أجده في مسلم، قال الحافظ: وذكره خلف والطرقي وغيرهما في أفراد البخاري وهو الصواب ا هـ. **(قوله حري هو بفتح الحاء)** المهملة **(وكسر الراء)** لا حاجة إلى وصفها بالإهمال دفعاً لاشتباهها بالزاي؛ للفرق بين اسمها بنون الكافي الأخيرة في اللغة المشهورة فيه دون الراء. **(وتشديد الياء أي حقيق)** وبمعناه جدير وقمين وعسى **(وقوله: شفع بفتح الفاء)** مضارعه يشفع بفتحها أيضاً.

٢٥٥ ــ **(وعن أبي سعيد)** سعد بن مالك بن سنان الأنصاري **(الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: احتجت)** بتشديد الجيم، أي: تخاصمت **(الجنة والنار)** قال الطيبي: والمقصود حكاية ما يقع بينهما مما اختص به كل منهما، وفيه شائبة من معنى الشكاية، ألا ترى كيف قال للجنة: أنت دار رحمتي... الخ. فأقحم كلاً بما تقتضيه مشيئته، قال المصنف: هذا الحديث على ظاهره وأن الله تعالى جعل فيهما إدراكاً فتحاجا، ولا يلزم من هذا أن يكون التمييز فيهما دائماً، وكذا قال الطيبي. قال: ويجوز أن يكون على وجه التمثيل **(فقالت النار: فيّ)** بتشديد الياء أولاهما المدغمة آخر الحروف، وثانيهما ياء المتكلم **(الجبارون)** أي: الذين يقبرون الغير على مراداتهم على حسب أهويتهم **(والمتكبرون وقالت الجنة: فيّ)** بتشديد الياء أيضاً. **(ضعفاء الناس)** أي: المتواضعون منهم، أو المستضعفون فيهم لفقرهم وعدم ثروتهم، وإنما عز الدنيا عند أهلها السكارى بحبها، قال سيدنا عمر بن الخطاب: «عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالأعمال» **(ومساكينهم)** أي:

Made searchable using ScribeTools.com

فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُما: إِنَّكِ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٥٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» . . . . . .

والمحتاجون منهم الصابرون على الضرار من غير تضجر، ولا تبرم من القضاء اكتفاء بتدبير المولى فيهم، ورضاء بما قسم لهم. **(فقضى الله بينهما)** أي: أخبر عما أراده لهما مما سبقت به إرادته قائلاً: **(إنك الجنة)** في اللغة عبارة عن البستان من النخيل والأعناب، والمراد منها هنا: مقابل النار **(رحمتي)** قال الطيبي: سماها رحمة لأن بها تظهر رحمة الله، كما قال **(أرحم بك من أشاء)** وإلا فرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً، ليس لله صفة حادثة ولا اسم حادث، فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جلا وعلا ا هـ. وهذا بناءً على أن الرحمة الموصوف بها تعالى يراد منها إرادة الفضل والإحسان، فتكون من صفات المعاني الأزلية القائمة بالذات، أما إذا أولت بالإحسان نفسه فتكون من صفات الأفعال، وهي حادثة غير قائمة بذات الباري عند الأشعري وأتباعه، وظاهر أن المراد هنا المعنى الثاني. **(وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء)** ممن تعلقت الإرادة الإلهية بتعذيبه. **(ولكليكما عليّ ملؤها)** فمن يدخل الجنة لا يخرج منها البتة، وكذا من يدخل النار من الكفرة، أما ذوو المعاصي من المؤمنين إذا دخلوها، فلا بد من خروجهم منها ودخولهم الجنة بالوعد الذي لا يخلف، قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾(٢) وقال ﷺ: «من مات وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان دخل الجنة» **(رواه مسلم)** وسيأتي بيان الباب الذي ذكره فيه من صحيحه وما فيه.

٢٥٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:)** وفي نسخة: قال إنه **(ليأتي)** بفتح اللام، وهي المؤذنة بالقسم المقدر قبلها المأتي به لتأكيد الأمر وتقويته **(الرجل العظيم)** قدراً في الدنيا **(السمين)** جسماً **(يوم القيامة)** ظرف ليأتي **(لا يزن عند الله جناح بعوضة)** جملة حالية من فاعل يأتي، أي: لا يعدله عند الله، أي: لا قدر له عنده، وتتمة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون. . . (الحديث: ٣٧)
(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٥٧ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَها أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْها أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ قَالَ: . . . . . .

الحديث في مسلم: «اقرؤوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» قال المصنف في الحديث، ذم السمن ففيه تنبيه على أنه ليس المدار في الرفعة عند الله والقرب من فضله وساحة جوده بالصور، وإنما ذلك بما يقر في القلوب من الأنوار الإلآهية والتجليات الربانية، أهلنا الله لذلك بفضله (متفق عليه) فأخرجه البخاري في التفسير من صحيحه، ومسلم في التوبة، كلاهما من طريق يحيى بن بكر عن المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواه البخاري في التفسير أيضاً أولاً عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن أبي مريم، عن المغيرة، قال الحافظ في النكت الظراف: وأخرجه الطبراني في الأوسط عن عمرو بن أبي الطاهر، عن سعيد بن أبي مريم، عن المغيرة، عن أبي الزناد، وقال: تفرد به سعيد، قال الحافظ تقي الدين بن فهد في الأشراف: ورواية يحيى بن بكير ترد عليه. ا هـ.

٢٥٧ ــ (وعنه) أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً)** أي: أسود، وفي البخاري في باب كنس المسجد أن رجلاً أسود، أو امرأة سوداء، والشك فيه من ثابت؛ لأنه رواه عنه جماعة هكذا، ومن أبي رافع، قال الحافظ: وسيأتي بعد باب من وجه آخر عن عمار بهذا الإسناد، فقال: ولا أراه إلا امرأة، وروى ابن خزيمة من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة فقال: امرأة سوداء، ولم يشك، ورواه البيهقي بإسناد حسن من حديث ابن بريدة عن أبيه فسماها أم محجن، وأفاد أن الذي أجاب النبي ﷺ عن سؤاله عنها أبو بكر الصديق، وذكر ابن منده في الصحابة جزماً امرأة سوداء كانت تقم المسجد، وقع ذكرها في حديث حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، وذكرها ابن حبان في الصحابة بدون ذكر السند، فإن كان محفوظاً فهذا اسمها، وكنيتها أم محجن، كذا في فتح الباري **(ففقدها)** أي: المرأة، أو النسمة ليعم كلاً منهما. **(رسول الله ﷺ فسأل عنها أو)** شك من الراوي مرتب على الشك قبله، أي: وقال: **(عنه)** أي: عن حال ذلك الإنسان، ومفعول سأل محذوف، أي: سأل الناس **(فقالوا مات)** أي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/الكهف، باب: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم...﴾ (الآية ١٠٥) (٨/٣٢٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامها، باب: صفة القيامة والجنة والنار، (الحديث: ١٨).

Made searchable using ScribeTools.com

«أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ» فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ «تَقُمُّ» هُوَ بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ: أَيْ تَكْنُسُ. والْقُمَامَةُ:

ذلك الشخص (**قال: أفلا كنتم آذنتموني**) أي: أأمسكتم عن الإعلام فما آذنتموني (**به**) أي: أعلمتموني بموته، والمعطوف عليه مقدر بعد الهمزة (**فكأنهم صغّروا**) بتشديد الغين (**أمرها أو**) شك، أي: أو قال صغروا (**أمره**) أي: أنه من الفقراء الخاملين الذي لا يؤبه بوفاة مثله فيدعى للصلاة عليها مثلك، وهذا يحتمل أن يكون من الصحابة، وقالوا ذلك اعتذاراً، أي: إننا آثرنا راحتك وبقاءك في منزلك، أن مثل ذلك الميت ليس من مشاهير الصحابة أولي السبق والأيادي في الإسلام، كما جاء كذلك عند ابن خزيمة من طريق العلاء: «قالوا مات في الليل فكرهنا أن نوقظك»، وكذا في حديث بريدة (**فقال: دلوني على قبره**) هكذا هو في النسخ بضمير المذكر بلا شك، وهو محتمل لأن يكون الواقع وحده فقط مع الشك في كون المحدث عنه امرأة، أو عبد، أو تذكيره باعتبار الميت. (**فدلوه فصلى عليها**) أي: النسمة المتوفاة، هذا ما اتفقا عليه، زاد مسلم عن أبي كامل الجحدري، عن حماد، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أي: وهو إسناد الحديث عندهما. (**ثم قال**) أي: النبي ﷺ: (**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها**) لعدم المنافذ التي يدخل منها الضوء إليها، فلا ينيرها إلا الأعمال الصالحة، أو الشفاعات المقبولة الراجحة، (**وإن الله ينورها لهم**) أي: يدخل النور لهم فيها، (**بصلاتي**) بسبب صلاتي (**عليهم**) قال الحافظ في فتح الباري في كنس المسجد: وإنما لم يخرج البخاري هذه الزيادة لأنها مدرجة في هذا الإسناد، وهي من مراسيل ثابت، بين ذلك غير واحد من أصحاب حماد بن زيد، أوضحت ذلك بدلائله في كتاب «بيان المدرج»، قال البيهقي: يغلب على الظن أن هذه الزيادة من مراسيل ثابت، كما قال أحمد بن عبده، أو من رواية ثابت عن أنس، يعني كما رواه ابن منده، ووقع في مسند أبي داود الطيالسي، عن حماد بن زيد الجزار كلاهما عن ثابت بهذه الزيادة ا هـ. وبه يعلم ما في قول المصنف. (**متفق عليه**) وفي الحديث فضل تنظيف المساجد، والسؤال عن الخادم والصديق إذا غاب، وفيه المكافأة بالدعاء، والترغيب في شهود جنائز أهل الخير، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصل عليه. (**قوله تقم بفتح التاء**) أي: الفوقية إن كان المحدث عنه الجارية، وإلا فبالتحتية (**وضم القاف أي: تكنس**) قال الحافظ

الْكُنَاسَةُ. وَآذَنْتُمُوني» بِمَدِّ الهَمْزَةِ: أَيْ أَعْلَمْتُمُوني(١).

٢٥٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

في الفتح: جاء في رواية «أنها كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد»، وفي حديث بريرة: «كانت مولعة بلقط القذا من المسجد» وهو بالقاف وبالذال المعجمة مقصوراً، جمع قذاة وجمع الجمع أقذية، قال أهل اللغة: القذا في العين والشراب ما تساقط فيه، ثم استعمل في كل شيء يقع في البيت وغيره إذا كان يسيراً. **(والقمامة الكناسة)** بضم أوليهما، وهذه الصيغة لما لا يحتفل به كالزبالة والنخالة. **(وآذنتموني بمد الهمزة)** أي: **(أعلمتموني)** من الإيذان: الإعلام.

٢٥٨ ــ **(وعنه)** أي: أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال النبي ﷺ: رب)** قال ابن هشام في المغني: ليس معناها التقليل دائماً، خلافاً لابن درستويه وجماعة، بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً، ومن الأول قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾(٣) وفي الحديث: «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» اهـ. **(أشعث)** قال العلقمي في المصباح: شعث الشعر شعثاً فهو شعث من باب تعب تغير وتلبد؛ لقلة تعهده بالدهن، أي: والترجيل **(أغبر)** قال في المصباح: الغبار معروف، وأغبر الرجل بالألف أثار الغبار **(مدفوع بالأبواب)** أي: يدفع بها لحقارة قدره عندهم لفقره ورثاثة ملبسه. **(لو أقسم على الله)** أي: حلف يميناً بحصول أمر طمعاً في كرم الله **(لأبره)** لأوجد ذلك إكراماً له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيراً عند الناس، وقيل معنى أقسم: دعا ومعنى أبره: أجاب دعوته، قاله المصنف في شرح مسلم **(رواه مسلم)** قال في الجامع الصغير بعد إخراجه بهذا اللفظ: إلا أنه لم يذكر أغبر، أخرجه مسلم وأحمد.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على القبر (الحديث: ٧١).
وأخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على القبر بعد ما يدفن وفي المساجد، باب: كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان وفي الخدم للمسجد. (١/٤٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين، (الحديث: ١٣٨).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢.

Made searchable using ScribeTools.com

٢٥٩ ــ وَعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَساكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحاب النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقَدْ قُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّساءُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

٢٥٩ ــ **(وعن أسامة)** هو ابن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه، كما صرح به كذلك المزي في الأطراف. **(رضي الله عنه)** حال كونه راوياً **(عن النبي ﷺ قال: قمت على باب الجنة فكان عامة)** أي: معظم **(من دخلها)** من الناس **(المساكين)** أي: الضعفاء المستضعفين في الدنيا الصابرين على الضرّاء، والشاكرين على السراء، **(وأصحاب الجد)** أي: الغنى **(محبوسون)** قال ابن النحوي: كذا في الأصول بالحاء المهملة، ثم باء من الحبس، وكذا عند أبي ذر، وهو ظاهر، قال ابن التين: كذا هو عند الشيخ أبي الحسن، ولعله بفتح التاء والراء اسم مفعول من احترس، قال أهل اللغة: يقال أحرس بالمكان إذا أقام به حرساً، فهم موقوفون لا يستطيعون الفرار، وقال الداوودي: أرجو أن يكون المحبوسون أهل التفاخر لا أفاضل هذه الأمة الذين كان لهم أموال، ووصفهم الله بأنهم سابقون، ولما نقل ابن بطال عن المهلب أن في الحديث: «إن أقرب ما يدخل به الجنة التواضع لله عز وجل وإن أبعد الأسباب من الجنة التكبر بالمال» وغيره قال: وإنما صار أصحاب الجد محبوسين لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم، فحبسوا للحساب لما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في ماله فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل إذ أكثر شأن أهل المال تضييع حقوق الله تعالى فيه؛ لأنه محنة وفتنة، ألاترى إلى قوله: «وكان عامة من دخلها المساكين» وهذا يدل على أن الذين يؤدون حقوق الله في المال، ويسلمون من فتنته هم الأقلون ا هـ. وقيل إنهم محبوسون لتسبقهم الفقراء بخمسمائة عام، كما ورد ذلك في الحديث، ثم هو في بعض النسخ مضبوط بنصب أصحاب، فيقدر له فعل عام فيه، أي: ورأيتهم، وبالواو في محبوسون، فيكون ذلك على تقدير مبتدأ، فيكون استئنافاً بيانياً، كأن سائلاً يسأله عن شأن أصحاب الجد، فأجاب بأنهم محبوسون (غير) بالنصب، وفي رواية إلا **(أن أصحاب النار)** أي: المستحقون لها بكفر أو معاصي من أصحاب الجد **(قد أمر بهم إلى النار)** والجملة مضاف إليهما إذا الفجائية. **(وقمت على باب النار)** فكشف لي عن أهلها **(فإذا عامة من دخلها)** مبتدأ خبره النساء، هذا باعتبار أول الأمر فلا ينافي خبر: يمشي الرجل من أهل الجنة، أي: يأوي على ثنتين وسبعين زوجة، ثنتان من بني آدم، وسبعون من الحور العين؛ لأن هذا باعتبار الآخر، فالنساء أكثر أهل النار ابتداء، وأكثر أهل الجنة انتهاء. **(متفق عليه)** فأخرجه البخاري في صحيحه في بابي النكاح والرقاق، ومسلم في آخر كتاب الدعوات،

و «الْجَدُّ» بِفَتْحِ الْجِيمِ: الْحَظُّ والْغِنَى، وَقَولُهُ «مَحْبوسونَ»: أَيْ لَمْ يُؤذَنْ لَهُمْ بَعْدُ في دُخُولِ الْجَنَّةِ(١).

٢٦٠ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: .....

وأخرجه أحمد والنسائي في عشرة النساء، واستدل بحديث الباب على فضل الفقر على الغنى، وتعقب بأنه ليس فيه أكثر من بيان أن الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء، وليس فيه أن الفقر أدخلهم الجنة، إنما دخلوها بصلاحهم مع الفقر، فالفقير إذا لم يكن صالحاً لا فضل فيه. قال العلقمي: ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا، كما أن فيه تحريض على الأغنياء بأمر الدين لئلا يدخلوا النار ا هـ. **(والجد بفتح الجيم)** وتشديد الدال المهملة **(الحظ والغنى)** ويطلق على أبي الأب، وعلى أبي الأم، وعلى العظمة، ومنه: «تعالى جد ربنا» وعلى القطع، وفي القاموس أنه يطلق أيضاً على الرجل العظيم الحظ، وعلى الرزق، وعلى شاطىء النهر ا هـ. أما الجد بالكسر فالاجتهاد. **(قوله محبوسون أي: لم يؤذن لهم بعد في الدخول)** إما لوقوفهم للحساب، وإما ليسبقهم إليها صالحو الفقراء كما تقدم.

٢٦٠ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)** قال الزركشي: أي: من بني إسرائيل، وإلا فقد تكلم في المهد جماعة غيرهم، ففي مسلم في قصة أصحاب الأخدود: «أن امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي مرضع فتقاعست فقال لها يا أماه اصبري فإنك على الحق». قلت: وقد تقدم هذا الحديث، والكلام عليه في باب الصبر، قال: ولأحمد والحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً: «تكلم في المهد أربعة، فذكر منهم شاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون، لمّا أراد فرعون إلقاء أمه في النار فقال اصبري» وأخرج الثعلبي عن الضحاك، أن يحيى تكلم في المهد، وفي تفسير البغوي، أن إبراهيم الخليل تكلم في المهد، وفي سير الواقدي أن نبينا ﷺ تكلم في أوائل ما ولد، وقد تكلم في زمنه ﷺ مبارك اليمامة وهو طفل، وقصته في الدلائل للبيهقي، قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة والرفاق، (١١/٣٦١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء... (الحديث: ٩٣).

Made searchable using ScribeTools.com

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي.

الحافظ في فتح الباري: على أنه اختلف في شاهد يوسف فقيل: كان صغيراً، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وسنده ضعيف، وبه قال الحسن وابن جبير، وأخرج عن ابن عباس أيضاً ومجاهد: أنه كان ذا لحية، وعن قتادة والحسن أيضاً: أنه كان حكيماً من أهلها ا هـ. قال السيوطي في التوشيح بعد ذكر ما ذكر: فكملوا عشرة، وقد نظمتها في أبيات، وقد تقدمت عنه في باب الصبر، وقد نظمت أسماءهم بقولي:

تكلم في المهد طه كذا ... خليل ويحيى وعيسى ومريم
وشاهد يوسف مبرى جريج ... وطفل لدى النار لما تضرم
وطفل ابن ماشطة قد غدت ... لفرعون فيما مضى من أمم
وطفل عليه أتوا بالامه ... يقولون تزني ولما تكلم
كذلك في عهد خير الورى ... مباركهم وبه يختتم

(عيسى) اسم عبراني، وزعم أنه مأخوذ من العيس، أحد ألوان الإبل؛ لحمرة فيه، رده البيضاوي في تفسير سورة آل عمران، بأنه تكلف لا دليل عليه. **(ابن مريم)** إذ قال وهو في المهد كما أخبر الله عنه ﴿إني عبد الله﴾[1] الآية **(وصاحب جريج)** بجيمين مصغر **(وكان جريج رجلاً عابداً)** وكان في أول أمره تاجراً، وكان يزيد مرة وينقص أخرى، فقال: ما في هذه التجارة خير، لألتمس تجارة في خير من هذه، فبنى صومعة وترهب فيها، كذا في رواية أحمد، فدل ذلك على أنه كان بعد عيسى ومن أتباعه؛ لأنهم الذين ابتدعوا الترهيب وحبس النفس في الصوامع. **(فاتخذ صومعة)** بفتح المهملة والميم وسكون الواو بينهما، وهي البناء المرتفع المحدد أعلاه، ووزنها فوعلة من صمعت إذا دققت لأنها دقيقة الرأس. **(فكان فيها)** يعبد الله مؤثراً للخلوة والعزلة **(فأتته أمه)** قال الحافظ في فتح الباري: لم أقف في شيء من الطرق على اسمها **(وهو يصلي)** جملة حالية من ضمير المفعول مقرونة بالواو والضمير معاً. **(فقالت: يا جريج)** زاد في رواية أحمد أشرف عليَّ أكلمك أنا أمك، وفي حديث عمران بن حصين «وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فتكلمه فأتته يوماً وهو في صلاته» **(فقال: أي)**

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣٠.

فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِساتِ!، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِها، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ،

بفتح الهمزة وسكون الياء، لنداء القريب، وهو تعالى أقرب من كل قريب بعلمه وكرمه، وفي نسخة بدل أي، يا **(رب أمي وصلاتي)** أي: اجتمع عليَّ إجابة أمي وإتمام صلاتي، فوفقني لأفضلهما، زاد في رواية الأعرج عند الإسماعيلي: «أوثر صلاتي على أمي» ذكره ثلاثاً **(فأقبل على)** إتمام **(صلاته فانصرفت)** ذلك اليوم **(فلما كان)** أي: جريج في زمان **(من الغد)** اليوم الذي بعد ذلك اليوم الأول **(أتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته)** في اليوم الثاني أيضاً **(فلما كان من الغد)** أي: لليوم الثاني وهو الثالث **(أتته فقالت: يا جريج فقال: يا)** وفي نسخة مصححة، أي: **(رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته)** قال الحافظ في فتح الباري: وكل ذلك ــ أي الكلام الوارد عنه في الصلاة ــ محمول على أنه قاله في نفسه، أي: أو ما في معناه من تحريك اللسان من غير أن يسمع نفسه، ولم يتحرك لسانه ثلاث حركات متوالية لا أنه نطق به، أي: وأسمع نفسه، وهو صحيح السمع سالم من اللغط، ونحوه قال، ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره؛ لأن الكلام كان مباحاً عندهم، وكذا في صدر الإسلام، قال: وقد سبق حديث يزيد بن حوشب عن أبيه رفعه. «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابته أمه أولى من صلاته» ا هـ. **(فقالت: اللهم لا تمته)** بضم الفوقية الأولى **(حتى ينظر إلى وجوه المومسات)** وفي رواية للأعرج وأبي سلمة عن أبي هريرة: «حتى ينظر في وجوه الميامیس» وفي حديث عمران بن حصين: «فغضبت وقالت: اللهم لا يموتن جريج حتى ينظر في وجوه المومسات» **(فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بغي)** أي: زانية، قال العكبري: في وزنه وجهان، فقيل فعول فاعل اعلال صبي، ولذا لم يلحق التاء كما لا يلحق في امرأة صبور وشكور، وقيل فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء أيضاً؛ لأنها للمبالغة أو لأنه على النسب، مثل: طالق وحائض ا هـ. ملخصاً. وتقدم فيه مزيد في باب طرق الخير. **(يتمثل بحسنها)** بضم التحتية وفتح الفوقية وتشديد المثلثة بعد الميم، أي: يضرب بحسنها لكماله المثل. **(فقالت: إن شئتم لأفتننه)** في رواية وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عند أحمد زيادة: «فقالوا: قد شئنا» قال الحافظ: ولم أقف على اسم هذه المرأة، لكن في حديث عمران بن حصين أنها كانت بنت ملك القرية، وفي رواية الأعرج: «وكان يأوي إلى صومعته راعية

Made searchable using ScribeTools.com

فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ، قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي فَصَلَّى، فَلَمَّا

ترعى الغنم»، ونحوه في رواية أبي رافع عند أحمد، وفي رواية أبي سلمة «وكان عند صومعته راعي ضأن، وراعية معز»، ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجاً، فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعة جريج. **(فتعرضت له فلم يلتفت إليها)** لعلمه بما يترتب على النظر إلى حسان الصور من الضرر. **(فـ)** ـلما لم يفتتن، ووعدتهم بذلك منه، ولم تقدر عليه **(أتت راعياً كان يأوي إلى صومعته)** أي: صومعة جريج **(فأمكنته من نفسها)** لتحمل فتنسبه إلى جريج، فتصدق نفسها فيما وعدت به من فتنته، والله كافي عبده المتوجه إليه **(فوقع عليها)** أي: جامعها **(فحملت فلما ولدت)** أي: بعد انقضاء مدة حملها على العادة **(قالت: هو من جريج)** فيه حذف، تقديره: فسئلت ممن هو؟ فقالت: من جريج، زاد في رواية أحمد: فأخذت وكان من زنى منهم قتل، فقيل لها: ممن هذا؟ فقالت: هو من صاحب الصومعة، وفي رواية الأعرج، فقيل لها: من صاحبك؟ قالت: جريج الراهب، نزل إليّ فأصابني، زاد أبو سلمة في رواية، فذهبوا إلى الملك فأخبروه، فقال: أدركوه فأتوني به **(فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته)** وفي رواية أبي رافع: فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم، فأقبلوا يهدمون ديره، وفي رواية حديث عمران: «فما شعر حتى سمع الفؤوس في أصل صومعته، فجعل يسألهم ويلكم ما لكم فلم يجيبوه، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى» **(وجعلوا يضربونه)** وفي رواية أبي رافع «فقالوا؛ أي جريج انزل فأتى يقبل على صلاته، فأخذوا في هدم صومعته، فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعنقها حبلاً، فجعلوا يطوفون بهما في الناس» وفي رواية أبي سلمة: «فقال له الملك ويحك يا جريج كنّا نراك خير الناس فأحبلت هذه، اذهبوا به فاصلبوه» وفي حديث عمران: «فجعلوا يضربونه ويقولون مرائي تخادع الناس بعملك» وفي رواية الأعرج: «فلما مر نحو بيت الزواني ضحك فقالوا لم تضحك حتى من الزواني» **(فقال: ما شأنكم؟ فقالوا زنيت بهذه البغي فولدت)** بفتح اللام **(منك قال أين الصبي؟ فجاؤوا به)** أي: أحضروه **(فقال: دعوني)** أي: من السب والضرب **(حتى أصلي)** ففيه اللجأ إلى الصلاة عند الكرب، وفي الحديث كان ﷺ «إذا حزنه أمر بادر إلى الصلاة» أورده السيوطي في سورة البقرة من

انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعي، فَأَقْبَلوا عَلَى جُرَيجٍ يُقَبِّلونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لاَ، أَعيدوهَا مِنْ طِين كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلوا. .....

الجلالين، ولم يعزه لمخرج ولا عين صحابيه، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: رواه الطبراني في تفسيره من تفسير حذيفة، بهذا اللفظ أخرجه أحمد وأبو داود عن حذيفة بلفظ: «كان إذا حزبه أمر صلى» وأخرجه البيهقي في قصة الخندق مطولاً ا هـ. **(فصلى)** ركعتين كما في حديث عمران، وعند وهب ابن جرير فقام وصلى ودعا **(فلما انصرف)** أي: من صلاته **(أتى الصبي فطعن في بطنه)** قال الحافظ في مرسل الحسن عن ابن المبارك في البر والصلة: أنه سألهم أن ينظروه، فانظروه فرأى في المنام من أمره أن يضرب في بطن امرأة، فيقول: أيتها السخلة من أبوك؟ ففعل. **(فقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي)** في رواية أبي رافع، ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال راعي الضأن، وفي روايته عند أحمد: فوضع إصبعه على بطنها، وفي رواية أبي سلمة: فأتي بالمرأة والصبي وفمه في ثديها فقال له جريج: يا غلام من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي وقال: راعي الضأن، قال الحافظ: ولم أقف على اسم الراعي، ويقال إن اسمه صهيب، وأما الابن، ففي رواية البخاري بلفظ: فقال: يابا بوس، وتقدم شرحه، وأنه ليس اسمه، وإنما المراد به الصغير، وفي حديث عمران: ثم انتهى إلى شجرة فأخذ منها غصناً، ثم أتى الغلام وهو في مهده، فضربه بذلك الغصن فقال: من أبوك، وفي تنبيه الغافلين للسمرقندي بغير إسناد: «أنه قال للمرأة أين أصبتك قالت تحت الشجرة فأتى تلك الشجرة فقال لها: يا شجرة أسألكِ بالذي خلقك من زنا بهذه المرأة فقال كل غصن منها راعي الغنم» ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر من مسح رأس الصبي، ووضع الأصبع على بطن أمه، ومن طعنه بإصبعه، ومن ضربه بطرف العصىٰ التي كانت معه، وأبعد من جمع بينهما بتعدد القصة، وأنه استنطقه وهو في بطنها مرة قبل أن تلد، ثم استنطقه بعد أن ولد ا هـ. **(فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به)** عند وهب بن جرير: فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه، وزاد الأعرج: فأبرأ الله جريجاً، وأعظم الناس أمر جريج **(وقالوا نبني لك صومعتك)** أي: ما هدمناه منها، كما في رواية أبي رافع **(من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا)** زاد في رواية أبي سلمة: «فرجع إلى صومعته فقالوا: بالله مم ضحكت؟ فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعتها علي أمي» وفي الحديث: إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع؛ لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب، قال المصنف وغيره: إنما دعت عليه لأنه

Made searchable using ScribeTools.com

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ

كان يمكنه تخفيف صلاته وإجابتها، لكن لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها، ونظر فيه الحافظ في الفتح بما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقنع برؤيته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف ويجبها؛ لأنه خشي أن ينقطع خشوعه، وتقدم حديث يزيد بن حوشب عن أبيه مرفوعاً: «لو كان جريج فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه». أخرجه الحسن بن سفيان، وهذا إذا احتمل إطلاقه، استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقاً لإجابة نداء الأم، فرضاً كانت أو نفلاً، وهو وجه في مذهب الشافعي، حكاه الروياني، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلاً، وعلم تأذي الوالد بالترك، وجبت الإجابة، وإن كانت فرضاً وضاق الوقت، لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين، وخالفه غيره؛ لأنها تلزم بالشروع، وعند المالكية أن إجابة الوالد أفضل من التمادي، وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب، وعند ابن أبي شيبة مرسل عن محمد بن المنكدر ما يشهد له، وقال به مكحول، وقيل: أنه لم يقل به من السلف غيره، وفي الحديث أيضاً: عظم بر الوالدين، وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذوراً، لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد، وفيه الرفق بالتابع؛ لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدعّ عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل، وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن، وفيه قوة يقين جريج وصحة رجائه بنطق ما استنطقه، وفيه أن الله يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة في الثواب، وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافاً لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة ا هـ. ملخصاً من الفتح. (وبينا) أصله بين فأشبعت الفتحة، فتولدت الألف وكفت عن إضافته للمفرد، وأضيف للجمل. (صبي يرضع من أمه) قال الحافظ: لم أقف على اسم الصبي، ولا على اسم أمه، ولا على اسم أحد ممن ذكر في القصة المذكورة. (فمر رجل) في رواية خلاس عن أبي هريرة عند أحمد: فارس متكبر، (راكب على دابة فارهة وشارة) بفتح الراء، وسيأتي ضبطها وضبط الفارهة، ومعناهما في الأصل (حسنة) أي: منظر أبهى وملبس سني. (فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي) بفتح المثلثة وسكون الدال المهملة

يَرْتَضِعُ (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ في فِيهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا)، ثُمَّ قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَها وَيَقُولونَ زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَل ابْنِي مِثْلَهَا!، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْها، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْني مِثْلَهَا!، فَهُنَالِكَ تَرَاجَعا الْحَدِيثَ،

وتخفيف الياء، قال في الصحاح: يذكر ويؤنث، وهي للمرأة والرجل أيضاً، والجمع أثد وثدي على فعول، وثدي أيضاً بكسر المثلثة اتباعاً لما بعدها من الكسر ا هـ. وفي التهذيب للمصنف مثله، ثم نقل عن ابن فارس اختصاص الثدي بالمرأة، ويقال لذلك من الرجل تندوة، بفتح التاء بلا همز، وتندؤة بالضم والهمز، فأشار إلى تخصيصه، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رجلاً وضع ذباب سيفه بين ثدييه ا هـ. **(وأقبل إليه ونظر إليه)** أي: معتبراً لحاله بالسر الذي ألهمه الله إياه. **(قال: اللهم لا تجعلني مثله)** أي: في الجبروت والتكبر وإن كان حسناً في المنظر فلا مدار على حسن الصورة، بل على نور الباطن وأنوار السريرة. **(ثم أقبل على ثديه)** يرضعه **(فجعل يرتضع ومروا)** وفي باب بدء الخلق من البخاري: ومر بالمبني للمجهول **(بجارية وهم يضربونها)** وعند البخاري: بأمة، وعند أحمد: تضرب، قال الحافظ: وقع في رواية خلاس أنها كانت حبشية، أو زنجية، وفي رواية الأعرج عن أبي هريرة عند البخاري يجرر، أي: بجيم مفتوحة وتشديد الراء الأولى، ويلعب بها، وهو معنى قوله في رواية البخاري «فجروها حتى ألقوها» **(ويقولون زنيت سرقت)** بكسر التاء فيهما للواحدة المخاطبة **(وهي تقول حسبي الله)** أي: بحسبي، أي: كافي **(و)** هو **(نعم الوكيل)** وتقدم بسط فيها أوائل الكتاب، اكتفت بهذا الذكر عن تبرئتها لنفسها ونفي ما رموها به من الزنا والسرقة، علماً بأن من اعتمد على مولاه كفاه ما أهمه من أمر دنياه وأخراه، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[1] وتقدم في باب اليقين والتوكل عن ابن عباس حديث آخر، ما قال إبراهيم حين ألقي في النار «حسبي الله ونعم الوكيل» **(فقالت أمه)** لقصر نظرها على الظاهر **(اللهم لا تجعل ابني مثلها)** أي: في كونه حقيراً يضرب لفعل السوء، **(فترك)** الابن **(الرضاع ونظر إليها)** فألهمه الله أنها بريئة مما رميت به، ومظلومة فيما يفعل بها. **(فقال: اللهم اجعلني مثلها)** أي: في البراءة من مزاولة المعاصي والوقوع فيها، لا مثلها في الاتهام بما لم أفعل؛ لأنه من باب تمني البلاء، وهو منهي عنه كما في خبر: «لا تمنوا لقاء العدو» الحديث **(فهنالك)** أي: في ذلك الحال **(تراجعا الحديث)** أي: سألته عن

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

Made searchable using ScribeTools.com

فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّاراً، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وإِنَّ هَذِهِ يَقُولونَ زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْمُومِسَاتُ» بِضَمِّ الميمِ

سبب مخالفته لها (**فقالت**) مخاطبة له لما صدر منه من المعارضة والمخالفة لها، (**مر رجل حسن الهيئة**) هو بمعنى قوله في الرواية السابقة، راكب دابة فارهة وشارة حسنة (**فقلت اللهم اجعل ابني مثله**) حسن المنظر، جميل الهيئة. (**فقلت**) بفتح التاء، ضمير المخاطب (**اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة**) لعلها كانت بالقرب لم تبعد حال كلامها معه، وإن كانت قد ذهبت فالإتيان باسم الإشارة الموضوع للقريب، لقرب القصة بالنسبة لما قبلها. (**وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها**) فأجابها ببيان سبب ذلك (**قال**) وهو استئناف بياني كأنه قيل: ماذا قال الصبي عند قول أمه له، ما ذكر؟ فقال: قال: (**إن ذلك الرجل كان جباراً**) وفي رواية أحمد «ياماه أما الراكب ذو الشارة فجبار من الجبابرة»، وفي رواية الأعرج «فكأنه كافر» في مختصر القاموس: «الجبار الله تعالى» وكل عات وقلب لا تدخله الرحمة، والقتال في غير حق، والعظيم القوي الطويل جبار ا هـ. وظاهر أنه محتمل هنا لكل المعاني الأخيرة؛ لاحتمال أنه موصوف بكل منها. (**فقلت اللهم لا تجعلني مثله**) في الجبروت؛ فإنه سبب للقصم والهلاك في الدين (**وإن هذه**) أي: الأمة الحاضرة، أو التي في معنى الحاضرة لقرب قصتها (**يقولون**) أي: لها (**زنيت و**) هي (**لم تزن**) فهي في محل الحال على تقدير المبتدأ، أو معترضة بين المتعاطفين لتبرئتها مما رميت به. (**و**) يقولون (**سرقت**) بكسر الفوقية فيه وفيما قبله، (**ولم تسرق**) ويجوز كونها معترضة أيضاً إن جوز وقوع الجملة المعترضة في آخر الكلام، كما أشار إليه القاضي البيضاوي في التفسير، في نظيره (**فقلت اللهم اجعلني مثلها**) أي: في السلامة من الذنب، والبراءة من وصمته، قال الحافظ في الفتح، في الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتعاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق، فوقوفهم مع الحقيقة في الباطن، فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة، كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم قالوا ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾[1] وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على النفس بالخير؛ لطلب

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٧٩، ٨٠.

الأُولى وإِسْكَانِ الْواوِ وَكَسْرِ المِيمِ الثَّانِيَةِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَهُنَّ: الزَّواني. وَالْمُومِسَةُ: الزَّانِيَةُ. وَقَوْلُهُ: «دَابَّةٍ فَارِهَةٍ» بِالفَاءِ: أَيْ حَاذِقَةٍ نَفِيسَةٍ. «وَالشَّارَةُ» بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ: وَهِيَ الْجَمالُ الظَّاهِرُ في الْهَيْئَةِ وَالْمَلْبَسِ. وَمَعْنَى «تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ» أَيْ حَدِيثَ الصَّبِيِّ وَحَدِيثَها، .....

المرأة الخير لابنها، ودفع الشر عنه، ولم تذكر نفسها. **(متفق عليه)** قال الحافظ في باب بدء الخلق من فتح الباري: حديث أبي هريرة عن جرير ورواه عنه محمد بن سيرين كما هنا، وفي باب المظالم، ورواه عنه الأعرج، كما في أواخر الصلاة، وأبو رافع عند مسلم وأحمد وأبو سلمة، وهو عند أحمد، ورواه عن النبي ﷺ مع أبي هريرة عمران بن حصين ا هـ. قال الحافظ المزي في الأطراف: أخرجه مسلم في الاستئذان عن شيبان ابن فروخ، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن ثابت البناني، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، وتعقبه الحافظ في النكت الظراف بأنه لم يخرجه في الاستئذان، إنما هو في البر والصلة، وقد اعترض مغلطاً، أي: على المزي فقال: عزا هذا ظناً للاستئذان، وعزي حديث مسلم من رواية جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، للأدب والواقع أنهما في مسلم في موضع واحد، يعني إن كان الاستئذان من جملة الأدب فينبغي أن يقول فيهما: أما الاستئذان وأما الأدب، وكتاب الأدب قبيل كتاب البر والصلة، وبينهما الرؤيا ثم المناقب، فإن كان الذي يعبر عن الصلة والبر بالأدب، فكان ينبغي أن يقول الأدب ا هـ. **(المومسات بضم الميم الأولى وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة وهن الزواني)** ويجمع في التكسير على مواميس **(والمومسة الزانية)** وفي الصحاح: المومسة الفاجرة، وهو أعم من قوله هنا الزانية، إلا أن يكون مراداً منه ذلك. **(وقوله: دابة)** بالجر على الحكاية، وإن كانت لكونها في غير الاستفهام شاذة، ويجوز الرفع وهو أولى **(فارهة بالفاء)** والراء والهاء وبعدها تاء التأنيث. **(أي: حاذقة نفيسة)** وفي الصحاح: الفاره الحاذق بالشيء ا هـ. وكان أخذ الفاسة من مقام المدح، وأنه لازم الحذف عادة. **(والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء وهي الجمال الظاهر في الهيئة والملبس)** زاد في فتح الباري: حتى يتعجب منه، وعليه فيقدر في الحديث مضاف، أي: وذو شارة حسنة، وقد جاء في رواية البخاري: «إذ مر بها راكب ذو شارة» قال في الفتح: أي صاحب جيش ا هـ. وعليه فيكون من حذف الجار وإبقاء عمله، أي: وفي شارة حسنة، ووصفها عليه بالمؤنث باعتبار لفظ شارة **(ومعنى تراجعا الحديث)** أي: تراجع الصبي وأمه **(حديث الصبي وحديثها)** الأنسب تقديم حديثها على حديثه، وكان تأخيره لشرف الذكر **(والله أعلم)**.

Made searchable using ScribeTools.com

واللَّهُ أَعْلَم[١].

٣٣ ـ باب: في ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

باب ملاطفة اليتيم

هو صغير لا أب له، قال ابن السكيت: اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، قال ابن خالويه: وفي الطير بفقدهما؛ لأنهما يحضنانه ويزقانه، قال شيخ الإسلام زكريا في شرح التنقيح بعد نقله وتعليله: لا يأتي في جميع الطيور ا هـ. **(والبنات)** أي: بنات الإنسان نفسه، ومثلهن فيما ذكر بنات غيره، والتنصيص عليهن لأن بعض الناس يضجر منهن ويقسو عليهن، والبنات جمع مؤنث سالم واحده بنت، والتاء التي في المفرد حذفت كالتاء التي في مسلمة، فهي غير التي في مسلمات، فلذا نصب بالكسرة، قال تعالى: ﴿اصطفى البنات﴾[٢] **(وسائر الضعفة)** من العبيد والإماء **(والمساكين)** أي: المحتاجين فالمراد منه ما يشمل الفقراء، قال الشافعي رضي الله عنه: الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ثم المسكين مفعيل من السكون، قال القرطبي: وكأنه من قله سكنت حركاته، قال تعالى: ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾[٣] أي: لاصقاً بالتراب **(والمنكسرين)** أي: لطارق حل بهم **(والإحسان إليهم)** ببذل الندى، أو دفع الأذى، أو كلمة طيبة، كأمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو دعاء لهم، قال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[٤] **(والشفقة)** أي: الحنو **(عليهم)** والرحمة لهم، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾[٥] وعلامة ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من وجوه الخير. **(والتواضع)** قال الجنيد: هو خفض الجناح، ولين الجانب **(معهم وخفض الجناح لهم)** هو عطف تفسيري إن عطف على التواضع، وإن عطف على الملاطفة، فمن عطف الخاص على العام، وخفض الجناح كناية عن التواضع، قاله أبو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾... (٦/ ٣٤٤، ٣٤٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تقديم برّ الوالدين... (الحديث: ٨).

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة البلد، الآية: ١٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى(١): ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى(٢): ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى(٣): ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى(٤): ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * .....

حيان في النهر. **(قال الله تعالى)** مخاطباً لنبيه ﷺ، ومحرضاً له على مكارم الأخلاق ومحاسنها **(واخفض جناحك للمؤمنين)** أي: لين جانبك لهم، مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط. **(وقال تعالى: واصبر نفسك)** أي: احبسها **(مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)** أي: يعبدونه في سائر الأوقات، فهما كناية عن الزمان الدائم، ولا يراد بهما خصوص زمانهما، أو خص الزمان بالذكر لغلبة الشغل فيهما، فإذا لم يغفلوا فيهما مع ذلك، فإن لا يغفلوا في غيرهما أولى. **(يريدون وجهه)** أي: ذاته، جملة في محل الحال من فاعل يدعون. **(ولا تعد عيناك عنهم)** أي: لا تجاوزهم ناظراً إلى غيرهم من ذوي الهيئات من رؤساء قريش، **(تريد زينة الحياة الدنيا)** جملة في محل الحال من الضمير المجرور، وجاز مجيئها منه؛ لأن المضاف بعضه، وتقدم بيان سبب نزول الآية، وبعض ما يتعلق بها في الباب السابق، وسيأتي فيها فوائد في حديث سعد. **(وقال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر)** قال أبو حيان: أي: لا تحقره، وكأنه تفسير باللازم إذ يلزم منها قهره على ماله وغيره، قال البيضاوي: أي: لا تغلبه على ماله لضعفه، وقرىء: فلا تكبر، أي: لا تعبس في وجهه. **(وأما السائل)** ظاهره المستعطي **(فلا تنهر)** أي: لا تزجر، لكن أعطه أو ردّه رداً جميلاً. **(وقال تعالى: أرأيت)** استفهام معناه التعجب، كذا قال البيضاوي: وقال أبو حيان: الظاهر أن أرأيت هنا بمعنى: أخبرني، فيتعدى لمفعولين، أحدهما: الذمي والآخر: محذوف، أي: أليس مستحقاً للعذاب اهـ. **(الذي يكذب بالدين)** بالجزاء، أو الإسلام، والذي يحتمل الجنس والعهد، ويؤيد الثاني قوله: **(فذلك الذي يدع اليتيم)** أي: يدفعه دفعاً عنيفاً، وهو أبو جهل، كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان، نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة، أو منافق بخيل،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الضحى، الآيتان: ٩، ١٠.
(٤) سورة الماعون، الآيات: ١، ٢، ٣.

Made searchable using ScribeTools.com

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

٢٦١ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤلاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ

وقرىء (يدع) أي: يتركه (ولا يحض) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) أي: لا يفعل ذلك بنفسه، ولا يحرض عليه غيره؛ لعدم اعتقاده بالجزاء، وفي إضافة الإطعام إلى المسكين دليل على أنه مستحقه، ولما ذكر أولاً عموم الكفر وهو التكذيب، ذكر ما يترتب عليه من الإيذاء والمنع من النفع، وذلك بالنسبة إلى الخلق، ثم ذكر ما يترتب عليه من الخالق بقوله: ﴿فويل للمصلين﴾[1] إلى آخر السورة.

٢٦١ ـ (وعن سعد بن أبي وقاص) مالك القرشي الزهري، تقدمت ترجمته (رضي الله عنه) في باب الإخلاص (قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر) إما أن يكون خبراً ومع حال منه، أي: مصاحبين له ﷺ، أو بالعكس، والنفر بالتحريك: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة، قاله في الصحاح، وفيه أيضاً: والرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ا هـ. (فقال المشركون) أي: أشرافهم، فقيل: هو أمية بن خلف الجمحي ومن تابعه، ففي أسباب النزول للواحدي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾[2] قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا رسول الله ﷺ إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾[2] وفيه أيضا عن سليمان الفارسي قال: «جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح[3] جبابهم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى: ﴿واتل ما أوحي إليك﴾[4] إلى قوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين﴾[5]». . . الحديث أورد ذلك عم والدي الشيخ العلامة الجليل الشيخ أحمد بن محمد علان الصديقي البكري في كتابه الذي جعله في علوم القرآن وغيرها، وسماه مجموعة العلوم، وأودعها مائة وسبعين علماً، ومن خطه نقلت، وأما العم فهو العارف بالله تعالى الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علان الصديقي النقشبندي، رحم الله الجميع ونفع بهم، وأمدني بمددهم آمين، فتحصل

---

(١) سورة الماعون، الآية: ٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٣) جمع ريح.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ: فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى[1]: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدونَ وَجْهَهُ﴾ . . . . . .

منه أن بعض المشركين قال: **(للنبي ﷺ اطرد هؤلاء)** أي: الستة المذكورين وكان ذلك أنفة منهم من مجالستهم لاستصغارهم واستقذارهم، لاحتقارهم لهم لفقرهم وخمولهم في الدنيا، ونسب القول في الحديث للكل، لرضاهم به. **(لا يجترؤون)** أي: لئلا يحصل منهم الجرأة **(علينا)** فنعير بذلك، ثم بين النفر الستة بقوله: **(وكنت أنا وابن مسعود)** الهدبي **(ورجل من هذيل)** لم أر من سماه من شراح صحيح مسلم **(وبلال)** مولى أبي بكر **(ورجلان لست أسميهما)** كأنه يعني أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما، ولعل وجه إبهامه لهما، استبعاد القوم طلب أشراف الكفار لطردهما، فإنهما كانا من أعيان قريش ومشاهيرهم، ولعل طلب طردهما إن كان، فلمخالفتهما لهم في الإسلام، فأرادوا بذلك التعريض إلى حقارتهم، ولا يطفىء أنوار الله أفراد أعدائه. **(فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع)** أي: من طرد أولئك عنه لما علم من كمال نفسهم ومخالطة الإيمان لبشاشة قلوبهم، فلا يفارقه أحدهم لما نزل، وتقريب المشركين طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم نظير إعطائه النسيء لجمع من المؤلفة تألفاً له، ومنع ذلك عن بعض محتاجي المؤمنين اكتفاء بما وقر في قلبه من نور الإيمان المغني عن التألف، ورأى النبي ﷺ أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئاً، ولا ينقص لهم قدراً **(فحدث نفسه)** أي: بذلك قال القرطبي في المفهم وفي بعض كتب التفسير: إنهم لما عرضوا ذلك على النبي ﷺ أبى، فقالوا له: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، وطلبوا أن يكتب لهم بذلك، فهم النبي ﷺ بذلك ودعا علياً ليكتب، فقام الفقراء وجلسوا ناحية **(فأنزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)** فنهاه عما هم به من الطرد، لا أنه وقع الطرد، ووصف أولئك بأحسن أوصافهم، وأمره بأن يصبر نفسه معهم بقوله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾[2] فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم بعد ذلك يقول: مرحباً بالذين عاتبني الله فيهم، وإذا جالسهم لم يقم عنهم حتى يكونوا هم الذين يبدأون بالقيام، وقوله: ﴿يدعون ربهم بالغداة﴾[3] بطلب التوفيق والتيسير، وبالعشي بطلب العفو عن التقصير، وقيل: معناه يذكرون الله من بعد صلاة الفجر وصلاة العصر، وقيل: يصلون الصبح والعصر، وقال ابن عباس: يصلون صلاة الخمس، وقال يحيى بن أبي

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٦٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُبَيْرَةَ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو الْمُزَنِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلالٍ في نَفَرٍ فَقَالُوا:

كثير: هي مجالس الفقهاء بالغداة والعشي، وقيل: يعني به دوام أعمالهم وعبادتهم، وخص طرفي النهار؛ لما تقدم من أنهما وقتا عمل وشغل، فإذا لم يلهوا فيهما ففي غيرهما أولى، وقوله يريدون وجهه، أي: يخلصون في عبادتهم وعملهم لله تعالى، ويتوجهون إليه بذلك لا لغيره، ويصح أن يقال: يقصدون بذلك رؤية وجهه الكريم، أي: ذاته المقدسة عن صفات المخلوقين **(رواه مسلم)** في الفضائل من صحيحه، ورواه النسائي في المناقب، ورواه ابن ماجه في الزهد بنحوه، ومداره عندهم على سريج بن هانىء بن يزيد بن نهيك الكوفي، عن سعد كما في الأطراف للحافظ المزي.

٢٦٢ ـ (وعن أبي هبيرة) بضم الهاء وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء ثم هاء. **(عائذ)** بالعين المهملة وبعد الألف همزة فذال معجمة. **(ابن عمرو)** بن هلال، بن عبيد، بن يزيد، بن رواحة، بن رايبية، بن عدي، بن عامر، بن ثعلبة، بن ثور، بن هدمة، بن لاطم، بن عثمان، بن عمرو بن أد، بن طابخة، بن مضر **(المزني)** بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون، نسبة إلى مزينة أم عثمان وأخيه أوس ابني عمرو، قاله في أسد الغابة. **(وهو من أهل بيعة الرضوان)** أي: من الذين بايعوا النبي ﷺ بالحديبية تحت الشجرة على أن لا يفروا، وفي رواية على الموت، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وفي رواية وخمسمائة، وجمع بينهما بأن المائة المزيدة، لعلهم أتباع أولئك، فأنزل الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾(٢) فسميت بيعة الرضوان؛ لأنها سبب ذلك، تقدمت ترجمته. **(رضي الله عنه)** في باب الأمر بالمعروف. **(أن أبا سفيان)** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. **(أتى على سلمان)** بسكون اللام، وهو الفارسي، في السنة الأولى من الهجرة **(وصهيب)** بن سنان الرومي **(وبلال)** مولى الصديق **(في نفر)** من نفر الصحابة، وكان إتيانه وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية، **(فقالوا ما أخذت سيوف الله من عدو الله)** يعنون أبا سفيان، **(مأخذها)** أي: أنه لم تعمل فيه سيوف

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (الحديث: ٤٦).

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَها، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟! فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ. فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ؟ آغَضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ .....

المسلمين، **(فقال أبو بكر)** الصديق **(رضي الله عنه)** تألفاً لأبي سفيان وتعظيماً، ليسكن الإيمان في قلبه، ويميل إلى المؤمنين وتوادهم **(أتقولون هذا)** أي: القول، فهو مفعول مطلق. **(لشيخ قريش وسيدهم)** فإنه كان عقيدهم في الحروب، وإليه مرجعهم فيها، لكونه كان أكبر بني عبد مناف حينئذ **(فأتى)** الصديق **(النبي ﷺ فأخبره)** بما وقع من أولئك، ومنه في جوابهم **(فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم)** أي: زجرتهم، أو أسأت إليهم فتسبب عن ذلك غضبهم، ثم بين ما يترتب على غضبهم، مؤكداً بالقسم المقدر المؤذن به اللام في قوله: **(لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)**؛ لأنهم أولياؤه، وفي الحديث القدسي: «ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» وفي التعبير بربك المؤذن إلى أنه رباه بنعمه، ونقله من حالة إلى حالة أكمل منها بفضله وكرمه، وذلك مستلزم للمحبة، فقد جبل الإنسان على حب الإحسان، ومن أحب شيئاً أحب ما يتعلق به ويرجع إليه، وهؤلاء لكونهم جنده وحزبه محبوبون له، فمن أغضبهم فقد غفل عن ذلك وتعرض لغضب الباري سبحانه وتعالى، الإيماء إلى طلب محبة أوليائه المؤمنين والتلطف بهم، وهذا الحديث فيه دلالة على عظم رتبة المذكورين فيه عند الله تعالى، وفيه احترام الصالحين واتقاء ما يؤذيهم أو يغضبهم، **(فأتاهم فقال يا إخوتاه)** يا فيه للنداء للاستغاثة بهم، وإذا استغيث بالاسم المنادى ولم تدخل عليه لام الجر «كيا لزيد» فالأكثر أن يتصل بآخره ألف كقوله:

يا يزيد الآمل نيل عز ... وغنى بعد فاقة وهوان

ولك إذا وقفت حينئذ أن تأتي بهاء السكت، كذا في التوضيح وغيره، وحينئذ فلعل الصديق وقف على هذا المنادى، فلذا أتى فيه بالهاء، أو أنه أتى بها على لغة من يلحقها لغير المندوب، وهي لغة قليلة حكاها ابن السيد في شرح الجمل وغيره، **(أغضبتكم)** أي: بما قلته من جهة أبي سفيان، **(قالوا: لا)** أي: لم يحصل لنا من ذلك غضب، وذلك لعلمهم بأن الصديق لم يحتقرهم ولا قصد إيذاءهم، إنما أراد تألفه ليكثر سواد المسلمين بإيمانه وإيمان تابعيه، وقوله: **(يغفر الله لك)** جملة دعائية مزيدة على الجواب، وفي اللطف واللطائف للثعالبي: «أن الصديق رضي الله عنه رأى في يد دلال متاعاً فقال: أتبعيه؟ فقال لا

Made searchable using ScribeTools.com

يَا أَخِي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ: «مَأْخَذَهَا» أَيْ لَمْ تَسْتَوْفِ حَقَّهَا مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: «يَا أَخِي» رُوِيَ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَكَسْرِ الخَاءِ وَتَخْفِيفِ الياءِ. وَرُوِيَ بِضَمِّ الهمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الياءِ[1].

يرحمك الله، فقال له الصديق: قل لا ويرحمك الله لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء على» وقد نقل مثله المصنف في شرح مسلم فقال: قال القاضي: وقد روي عن الصديق أنه نهى عن مثل هذه الصيغة، وقال: قل وعافاك الله ولا تزد، أي: ولا تقل قبل الدعاء لا، فتصير صورته صورة نفي الدعاء، وقال بعضهم: قل ويغفر الله لك ا هـ. قال بعض الأدباء؛ وهي أحسن من واو الأصداغ **(يا أخي)** وفي تعبيرهم بهذا اللفظ إيماء إلى سبب عدم تأثرهم من كلامه، وحملهم له على أحسن المحامل؛ لأن هذا شأن الإخوان وإن قل ذلك في الكثير من أبناء الوقت والزمان، وبالله المستعان. **(رواه مسلم)** في الفضائل من صحيحه، والنسائي في المناقب بنحوه. **(فائدة)** من فضائل سلمان قوله ﷺ: «لو كان العلم بالثريا لناله سلمان»، وفي رواية: «لناله رجال من فارس» وقوله ﷺ: «إن الله أمرني أن أحب أربعة وأخبرني أنه بحبهم، علي وأبو ذر والمقداد وسلمان» وقول علي رضي الله عنه: «سلمان علم العلم الأول والآخر بحر لا يترف هو منا أهل البيت» وقوله أيضاً: «سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم». ومن فضائل صهيب قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيباً حب الوالدة ولدها». وقوله ﷺ: «صهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة» ا هـ. ملخصاً من المفهم للقرطبي. **(قوله مأخذها)** قال المصنف: ضبطوه بوجهين، أحدهما مأخذها بالقصر وفتح الخاء المعجمة، والثاني بالمد وكسر الخاء، وكلاهما صحيح. **(أي لم تستوف حقها منه)** تفسير لمجموع قولهم: إن سيوف الله الخ. **(وقوله)** أي: القائل من النفر، واكتفى به لأن الظاهر من أخباره عن نفسه وباقي النفر. **(يا أخي روي بفتح الهمزة وكسر الخاء)** أي: المعجمة **(وتخفيف الياء وروي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء)** على صيغة التصغير، وهو تصغير تحبب وترفق وملاطفة، وما أحسن قول الشاعر:

ما قلت حبيبي من التحقير ... بل يعذب اسم الشخص في التصغير

ثم هذا الذي حكاه المصنف هنا من أنه روي بالوجهين، قد يخالفه قوله في شرح مسلم، وأما قوله يا أخي، فضبطوه بضم الهمزة على صيغة التصغير.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل سلمان، (الحديث: ١٧٠).

٢٦٣ ــ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. و «كَافِلُ الْيَتِيمِ»: الْقَائِمُ بِأُمُورِهِ[1].

---

٢٦٣ ــ **(وعن سهل بن سعد)** الساعدي **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)** خبر، وقوله في الجنة، في محل الحال، ويصح العكس، ولعل الأول أقرب، **(وأشار)** لزيادة التبيين، وإدخال المعاني في ذهن السامع؛ لكونها بصورة المحسوس المدركة عادة **(بالسبابة)** وفي رواية، بالسباحة، بحاء مهملة بدل الموحدة الثانية، وهي التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأنها يسبح بها في الصلاة، ويشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة أيضاً؛ لأنها يسب بها الشيطان **(والوسطى)** قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به، فيكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك. **(وفرج)** بتشديد الراء، أي: فرق **(بينهما)** أي بين السبابة والوسطى، إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، قال القرطبي: معنى قوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»، أنه معه فيها وبحضرته، غير أن كل واحد منهما على درجته فيها، إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم، ولا يبلغ درجة نبينا أحد من الأنبياء، وإلى هذا المعنى الإشارة بقرانه بين إصبعيه، فيفهم من الجمع المعية والحضور، ومن تفاوت ما بينهما اختصاص كل منهما بدرجة ومنزلة ا هـ. وفي رواية: «كهاتين إذا اتقى» أي: إذا اتقى الله فيما يتعلق بحق اليتيم، ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حال دخول الجنة، لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة رفعه: «أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرني فأقول: من أنت فتقول: أنا امرأة قائمة على أيتام لي» ورواته لا بأس بهم، وقوله: تبادرني، أي: لتدخل معي، أو في إثري، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين، سرعة الدخول وعلو المنزلة، قال الحافظ العراقي: لعل الحكمة في تشبيه كافل اليتيم بالنبي ﷺ في دخول الجنة، أو في علو المنزلة، أو في القرب منه ﷺ، كونه ﷺ من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم، ومعلماً ومرشداً، وكذا كافل اليتيم، يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك ا هـ. **(رواه البخاري)** أي: في الأدب من صحيحه، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي كلهم عن سهل، كما في الجامع الصغير، قال المزي: وأخرجه أبو داود في الأدب، والترمذي في البر. **(وكافل اليتيم القائم بأموره)** ديناً ودنيا، وذلك بالنفقة والكسوة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: اللعان، وفي الأدب، (١٠/ ٣٦٥).

Made searchable using ScribeTools.com

٢٦٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ ﷺ: «الْيَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ أَوِ الأَجْنَبِيُّ مِنْهُ. فَالقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، واللَّهُ أَعْلَمُ[1].

والتربية والتأديب وغير ذلك، قال في شرح مسلم: وهذه الفضيلة تحصل لمن كفل اليتيم من مال نفسه، أو مال اليتيم بولاية شرعية.

٢٦٤ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كافل اليتيم له)** الظرف يصح أن يكون حالاً من المضاف إليه، وجاز لكون المضاف عاملاً في المضاف إليه قبل الإضافة، فهو نظير. ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾[2] وأن يكون صفة لليتيم، وجاز لأن المحلى بأل الجنسية كالنكرة من جهة المعنى، وكونه له، قال في الكوكب المنير: بأن يكون جداً أو عماً أو أخاً أو نحو ذلك من الأقارب، أو يكون مات أبو المولود فقامت أمه مقامه بكفالته، أو ماتت أمه فقام أبوه مقامها في التربية ا هـ. ومثله في شرح مسلم للمصنف، وفي شمول الخبر للأخيرة ما لا يخفى إلا إن كان بطريق القياس على ما تضمنه الخبر، إذ ما فيه ليس بيتيم. والله أعلم. **(أو لغيره)** بأن يكون أجنبياً منه، **وكافل** مبتدأ وقوله: **(أنا)** مبتدأ ثان **(وهو)** معطوف عليه، وقوله: **(كهاتين في الجنة)** خبر، أو حال، كما عرفنه فيما قبله، والمبتدأ أخبره خبر الأول، والرابط اسم الإشارة، والمشار إليه هو السبابة والوسطى كما قال، **(وأشار الراوي وهو)** الإمام الجليل **(مالك بن أنس)** بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله الفقيه المدني، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبير المتثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها **مالك** عن نافع عن ابن عمر، ومن أتباع التابعين، مات سنة مائة وتسعة وسبعين، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، **وقال** الواقدي: بلغ تسعين سنة، كذا في تقريب التهذيب للحافظ. **(بالسبابة والوسطى رواه مسلم)** في أواخر الكتاب **(وقوله ﷺ له أو لغيره معناه قريبه أو الأجنبي منه)** فيه لف ونشر مرتب، فالمراد بقوله: **(له)** القريب وبقوله: **(لغيره)** الأجنبي **(فالقريب مثل إن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته)** أي: غير الأب ليكون يتيماً **(والله أعلم)**.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، (الحديث: ٤٢).

(٢) سورة يونس، الآية: ٤.

٢٦٥ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتانِ، إِنَّما الْمِسْكِينُ الَّذي يَتَعَفَّفُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ»[1].

---

٢٦٥ ــ (وعنه) أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال النبي ﷺ: ليس المسكين)** أي: الكامل الممدوح من هذا النوع، الأحق بالصدقة، والأحوج إليها. **(الذي)** يسأل و **(ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان)** عند سؤاله؛ لأن المتردد يكون قادراً على تحصيل قوته **(إنما المسكين)** أي: ما المسكين الكامل إلا **(الذي يتعفف)** أي: يترك السؤال عن الناس مع فقره، **وليس** المراد نفي المسكنة عن الطواف، بل نفي كمالها **(متفق عليه)** فأخرجه البخاري في كتابي الزكاة والأطعمة، وأخرجه مسلم في الزكاة. **(وفي رواية في الصحيحين)** ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي، كما في الجامع الصغير، كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً. **(ليس المسكين الذي يطوف)** أي: يدور **(على الناس)** سائلاً، وجملة **(ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان)** في محل نصب على الحال، أي: ليس هو منحصراً في ذلك، كما أفاده الموصول، والحال المفيدة للصلة أو الجملة مستأنفة لبيان حاله. **(ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه)** صفة زائدة على اليسار المنفي، إذ لا يلزم من حصول اليسار للمرء أن يغنى به، بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر، وكأن المعنى نفي اليسار المفيد بأنه يغنيه مع وجود أصل اليسار. **(ولا يفطن)** بالبناء للمفعول، أي: **لا يعلم (له)** أي: لاحتياجه لتعففه وعدم تعرضه، وفي نسخة، به بدل اللام **(فيتصدق عليه)** بالنصب فيه وفي يسأل؛ لكونهما بعد الفاء في جوابي النفي، **(ولا يقوم)** التعبير به للغالب. **(فيسأل الناس)** قال الخطابي وغيره: إنما نفى ﷺ المسكنة عن السائل الطواف؛ لأنه تأتيه الكفاية، وقد تأتيه الزكاة زيادة عليها فتزول خصاصته ويسقط اسم المسكنة عنه، وإنما تدوم الحاجة والمسكنة فيمن لا يسأل ولا يعطف عليه فيعطى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافاً...﴾ وفي التفسير/البقرة، باب: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ والأطعمة (٥/١٥٢و٣/٢٦٩، ٢٧٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى... (الحديث: ١٠١).

Made searchable using ScribeTools.com

٢٦٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «السَّاعي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ في سبيلِ اللَّهِ» وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «وَكَالقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٦٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: شَرُّ الطَّعامِ طَعامُ الْوَليمَةِ

---

٢٦٦ ـ **(وعنه)** أي: أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: الساعي على الأرملة)** هي كما قال الجوهري: التي لا زوج لها، وقد أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها، قال ابن السكيت: الأرامل: المساكين من نساء ورجال، ويقال لهم وإن لم يكن فيهم نساء، ويقال: قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين، قال المصنف: وقيل، الأرملة التي فارقها زوجها، قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل إذا فني زاده ا هـ. **(والمسكين)** أي: المكتسب لهما ما يمونهما به **(كالمجاهد في سبيل الله)** وشبه به لأن القيام على المرأة بما يصلحها ويحفظها ويصونها لا يتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يكسلان عن ذلك، ويثقلانه ويفسدان النية فيه، وربما يدعوان بسبب ذلك إلى السوء ويسؤان له،ولذا قل من يدوم على ذلك العمل، وقل من يسلم منه، فإذا حصل ذلك العمل حصلت منه فوائد كشف كرب الضعفاء، وإبقاء رمقهم، وسد خلتهم، وصون حرمتهم، كذا في المفهم للقرطبي قال في مسلم **(وأحسبه قال)** وفي البخاري في النفقات، بدل قوله وأحسبه، أو التي، هي للشك، أي: أو قال بدل ذلك **(وكالقائم)** أي: بالتهجد **(الذي)** كما في نسخة **(لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر)** أي: هو كالملازم للعبادة ليلاً ونهاراً في دوام الثواب واستمراره بدوام العمل الصالح. **(متفق عليه)** رواه البخاري في النفقات وفي الأدب من صحيحه، ومسلم في الأدب، ورواه الترمذي في البر، وقال حسن صحيح غريب، والنسائي في الزكاة، وابن ماجه في التجارات، ومداره عندهم على أبي الغيث، سالم مولى ابن مطيع، عن أبي هريرة ا هـ. ملخصاً من الأطراف للمزي.

٢٦٧ ـ **(وعنه)** أي: أبي هريرة **(عن النبي ﷺ قال: شر الطعام)** أفعل تفضيل، حذفت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل. وفي الأدب، باب: الساعي على الأرملة، وفي الساعي على المسكين (١٠/٣٦٦).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، (الحديث: ٤١).

يُمْنَعُهـا مَنْ يَـأْتِيهـا، وَيُـدْعَى إِلَيْهـا مَنْ يَـأْبـاهَـا وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الـدَّعْـوَةَ فَقَـدَ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفي رِوَايَةٍ في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ مِن قَوْلِهِ: «بِئْسَ الطَّعامُ طَعامَ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْها الأَغْنِياءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ[1].

همزته تخفيفاً، وجاءت ثابتة في حديث عن أنس سئل عن الأكل قائماً فقال: ذلـك أشر **(طعام الوليمة)** قال في الصحاح: هي طعام العرس، وسيأتي فيه مزيـد **(يمنعها)** بـالبناء للمفعول **(من يأتيها)** للحاجة والفاقة وهم الفقراء والمساكين **(ويدعى إليها من يأباها)** قال المصنف: معنـاه الإخبار بمـا يقع من النـاس بعده ﷺ من مـراعاة الأغنيـاء في الولائم، وتخصيصهم بالدعوة، وإيثارهم بطيب الطعام، ورفع مجالسهم، وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم. **(ومن لم يجب الدعوة)** بفتح الدال المهملة، قال ابن السيد في كتاب المثلث: الدعوة بالفتح، الدعاء إلى الله تعالى وكذا كل شيء دعوتـه، وكذا الـدعوة إلى الـطعام، وبالكسر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه وغير أهله، وبالضم، زعم قطرب أنها الدعوة إلى الطعام، ولا أحفظ ذلك من غيره، والذي حكاه اللغويون دعوة بالفتح ا هـ. ملخصاً **(فقد عصى الله ورسوله)** والمراد منه الدعوة لوليمة النكاح، فإن الإجابة إليهـا واجبة بـالشروط المعروفة في كتب الفقه. **(رواه مسلم وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة بئس)** وهي كلمة لإنشاء الذم، وفاعلها إما اسم ظاهر محلى بأل ومنه قوله: **(الطعام)** واختلف فيها، هل هي للجنس؟ أو للعبد؟ أو مضاف لما فيه أل؟ نحو بئس منزل الأشرار النار، أو ضمير مبهم مفسر باسم نكرة منصوب على التمييز؟ والمخصوص بالذم هو قوله: **(طعام الوليمة)** والوليمة طعام العرس، والذي عند الأملاك نقيعة، كذا في المصباح، وفي النجم: الوليمة الطعام المتخذ للعرس، وقال الماوردي: إصلاح الطعام واستدعاء الناس لأجله، ولفظها من الولم، وهو الجمع، لأن الزوجين يجتمعان، وهي تقع على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من أملاك وختان وغيرهما، لكن استعمالها على الإطلاق في العرس أشهر، وفي غيره بقيد، فيقال: وليمة الختان وغيره ا هـ. فظاهر أن ما في الحديث مما أريد بما فيه مطلق الطعام المتخذ لأي سرور كان، وبين سبب الذم على سبيل الاستئناف البياني بقـوله: **(يـدعى)** بالبنـاء للمفعول **(إليها الأغنياء)** نائب الفاعل، والظرف قبله لغو متعلق بالفعل. **(ويترك الفقراء)**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، (الحديث: ١١٠).
وأخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: من يترك الدعوة، (٩/٢١١ و٢١٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، (الحديث: ١٠٧).

Made searchable using ScribeTools.com

٢٦٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. و «جَارِيَتَيْنِ»

أي: يمنعون، في المصباح: يقال: ترك حقه إذا أسقطه ا هـ. فيؤخذ من التعبير به أن لهم الحق في ذلك، وأن المانع لهم ساع في إسقاط حقهم، وفي الحديث: «إن القربة قد يقترن بها ما يخرجها عن ذلك»، وفيه الاحتياط والتحرز عن الموبقات، وفيه مراعاة الفقراء والتلطف بهم، وفيه النهي عن الركون إلى الأغنياء وتعظيمهم لغناهم، فقد ورد: «من عظم غنياً لغناه ذهب ثلثا دينه» وذلك لأن أعمال العبادة باللسان والجنان والأركان، فهذا استعمل لغرض نفسه ثلثي ما يستعمل في العبادة، فأثنى على ذلك بلسانه بالباطل، وأكرمه بجوارحه طمعاً فيما عنده، وغفلة عن أن الذي ينبغي أن يتوجه إليه العبد على كل حال: «هو الله الموصوف بأنواع الكمال» قالوا: فإن جمع إلى تعظيمه بلسانه وأركانه تعظيمه بجنانه، ذهب جميع دينه، والمراد التعظيم المنهي عنه، أما شكره لكونه مظهراً للفيض الرباني، فلا منع منه، بل هو مأمور به، قال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، وقال ﷺ: «من صنع منكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فكافئوه بالدعاء».

٢٦٨ ـ **(وعن أنس)** بن مالك **(رضي الله عنه)** ناقلاً **(عن النبي ﷺ قال: من عال جاريتين)** أي: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما، مأخوذ من العول، وهو العون ومنه: «ابدأ بمن تعول» وفي المصباح: عال الرجل اليتيم عولاً، من باب قال كفله وقام به. **(حتى تبلغا)** بالفوقية أي: تصيرا بالغتين، قال في المصباح: بلغ الصبي بلوغاً، من باب قعد احتلم وأدرك، وقال ابن القطاع: بلغ بلاغاً فهو بالغ، والجارية بالغ أيضاً بغير تاء، قال ابن الأنباري: قالوا جارية بالغ، فاستغنوا بذكر الموصوف وبتأنيثه عن تأنيث صفته، كما يقال: امرأة حامل، قال الأزهري: وكان الشافعي يقول: جارية بالغ، وسمعت العرب تقوله، وهذا التعليل والتمثيل يفهم أنه لو لم يذكر الموصوف وجب التأنيث دفعاًللبس ا هـ. ثم بلوغها إما بالسن، أو بالحيض، أو بالاحتلام، ويقدر بلوغها قبل الولادة بستة أشهر، قال القرطبي: ويعني ببلوغهما وصولهما إلى حال يستقلان بأنفسهما، وذلك إنما يكون في النساء إلى أن يدخل بهن أزواجهن، فلا يعني به بلوغهما إلى أن تحيض، وتكلف إذ قد تتزوج قبل ذلك فتستغني بالزوج عن قيام الكافل، وقد تحيض وهي غير مستقلة بشيء من مصالحها، ولو تركت لضاعت وفسدت أحوالها، بل هي في هذه الحالة أحق بالصيانة والحفظ، والقائم عليها لتكمل صيانتها فيرغب في تزويجها؛ ولهذا المعنى قال علماؤنا: لا تسقط النفقة عن والد الصبية ببلوغها، بل بدخول الزوج بها ا هـ. **(جاء يوم القيامة)** معي وبقربي، **(أنا وهو)**

أَيْ بِنْتَيْنِ(١).

٢٦٩ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا

أي: مقرونان، فالخبر محذوف وجوباً لدلالة واو المعية عليه، وقيامها مقامه، قال ابن مالك في شرح المشارق: أنا مبتدأ، وهو معطوف عليه، وخبره هكذا، أي المصرح به في روايته، والجملة حال بغير واو، أي: جاء مصاحباً لي، وقيل فيه: تقديم وتأخير تقديره: جاء هو وأنا؛ لأن في جاء ضميراً يعود إلى من، فكلمة هو تأكيد له، وأنا معطوف عليه، وقدم لشرفه، ولكونه أصلاً في تلك الخصلة ا هـ. وعلى الأول فالخبر مقدر، وهو كهاتين، وقد صرح في رواية من حديث أنس، وهي عند البخاري، وجاءت في حديثه بلفظ «من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» قال السيوطي في الجامع الصغير: أخرجه مسلم والترمذي وبين ذلك المقدر قول الصحابي. **(وضم أصابعه)** مبيناً لذلك القرب المشار إليه بالمقدر. **(رواه مسلم)** في كتاب الأدب، ثم فسر المصنف **(الجاريتين)** المذكورتين في الخبر بقوله: (البنتين) ولا يظهر وجه قصر الجاريتين في الخبر على البنتين؛ فإن الجارية في اللغة لا تختص بالبنت، قال في المصباح: الجارية السفينة، سميت بذلك لجريانها في البحر، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه لجريها مسخرة في أشغال مواليها، والأصل فيها الشابة لخفتها، ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السعي، تسمية بما كانت عليه ا هـ. وأصرح منه ما في المعرب للمطرزي، الجريّ بوزن الوصي الوكيل؛ لأنه يجري في أمور موكله، والجمع أجرياء ومنه الجارية لأنثى الغلام؛ لخفتها وجريانها بخلاف العجوز ا هـ. فلا يختص الفضل المذكور في الخبر بالبنتين، بل يعمهما وغيرهما، ففي مسند الفردوس لولد الديلمي عن أبي المحبر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال بنتين أو أختين أو خالتين أو جدتين أو عمتين فهو معي في الجنة كهاتين» الحديث أخرجه أحمد في المسند.

٢٦٩ ــ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت) بتسكين التاء، وهي للدلالة على تأنيث الفاعل، وقوله: (عليّ) بتشديد الياء، متعلق به، و(امرأة) فاعل، وفي المصباح: الأنثى امرأة، وفيها لغة أخرى، مرأة بوزن تمرة، ويجوز نقل حركة الهمزة إلى الراء فتحذف وتبقى مرة بوزن سنة، وربما قيل امرء بغير هاء اعتماداً على قرينة تدل عن المسمى، قال الكسائي:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات، ، (الحديث: ١٤٩).

Made searchable using ScribeTools.com

فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُها إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنِ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ مِنْها ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ : «مَنِ ابْتُلِيَ

ت امرأة من فصحاء العرب تقول: أنا امرء أريد الخير، بغير هاء، وجمعها نساء ونسوة غير لفظها ا هـ. وهذه المرأة وبنتاها لم أقف على من عينهن من شراح الصحيحين ولا م، قال الشيخ زكريا: لم تعرف أسماؤهن. **(ومعها ابنتان)** جملة حالية، وتعدد ط، وقوله: **(لها)** في محل الصفة، وجملة **(تسأل)** مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأن قائلاً : ما سبب دخولها بمن معها؟ فقالت تسأل: **(فلم تجد عندي شيئاً)** من مطلوبها الذي ست له بالسؤال، **(غير تمرة واحدة)** أكدت مفهوم الواحدة الدال عليها التاء في تمرة دفعاً م أنها للتأنيث، لا للوحدة، وواحدة مما انفرد بها مسلم عن البخاري، فلم يذكرها في يث في كتاب الزكاة. **(فأعطيتها)** أي: المرأة **(إياها)** أي: التمرة، قال في فتح الباري: مزيد حرص عائشة رضي الله عنها على الصدقة، امتثالاً لوصية النبي ﷺ لها بقوله: «لا م من عندك سائل ولو بشق تمرة». رواه البزار، **(فقسمتها)** بتخفيف السين، أي: التمرة **ابنتيها ولم تأكل منها)** أي: التمرة، وفي نسخة **(شيئاً)** وهذا منها محتمل لكونه لداعي ب، أو لكونه لذلك، ولداعي الطبع أيضاً، فإن طبع الوالد إيثار الولد بذلك، فيؤخذ منه الاحتمال الأخير حصول الثواب فيه، ويؤيده حديث سعد السابق في باب الإخلاص، ك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فيه امرأتك». **قامت)** أي: منصرفة **(فخرجت)** ولعل حكمة الإتيان بثم في الأول، وبالفاء في الثاني، أنها كانت راجية حصول شيء غير التمرة فأطالت الجلوس لانتظاره، فلما غلب على ظنها عدم ذلك قامت فعقبت قيامها بخروجها، **(فدخل النبي ﷺ علينا)** أي: أهل المنزل الشامل لها ولمن عندها من خادم وجليس، فالنون على حقيقتها، ويحتمل أن يكون الضمير استعملته في نفسها على انفرادها؛ تعظيماً لكونها من أمهات المؤمنين وزوجات سيد المرسلين، لا لذاتها، وقالت بالنظر لذاتها متواضعة كما هو مقتضى عظيم شأنها ومزيد فضلها، **(فأخبرته)** وحذفت المفعولين الأخيرين؛ لدلالة السياق عليهما **(فقال: من ابتلى)** بضم الفوقية مبني للمجهول، أي: امتحن واختبر وسماه ابتلاء، لموضع الكراهة لهن. **(من هذه البنات)** من فيه بيان، لقوله: **(بشيء)** وهو نائب الفاعل، أي: بأنفسهن، أو أحوالهن، قال القرطبي: يفيد بعمومه أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات، فإذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر السابق مع النبي ﷺ إلى الجنة، كما في الحديث السابق: «من عال جاريتين . . .» الخ **(فأحسن إليهن)** هذه الجملة عند مسلم، وعند

مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٧٠ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُما تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً

البخاري في كتاب الأدب، وليست عنده في كتاب الزكاة، وإحسانه إليهن صونهن، والقيام بمصالحهن، والنظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك قاصداً به وجه الله تعالى **(كن له ستراً)** أي: سبب ستر **(من النار)** ولم يقل إستاراً؛ لأن المراد الجنس المتناول للقليل والكثير، ولا شك أن من لم يدخل النار دخل الجنة، وقد جاء في الحديث الآخر في المرأة التي قسمت التمرة بين بنتيها: «قد أوجب الله لها الجنة وأعاذها من النار». والحديث عند مسلم **(متفق عليه)** رواه البخاري في الزكاة والأدب، ورواه مسلم في الأدب، ورواه الترمذي في البر والصلة، وفي الجامع الصغير بعد ذكر المرفوع منه الرمز لمن ذكر، وزاد أحمد.

٢٧٠ ــ **(و)** روي **(عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: جاءتني مسكينة)** مأخوذ من السكون، أي: ذهاب الحركة، وهو بفتح الميم في لغة بني أسد، وبكسرها عند غيرهم، قال ابن السكيت: المسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بلغة من العيش، وكذا قال يونس، وجعل الفقير أحسن **حالاً** من المسكين، قال: وسألت أعرابياً: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين، وقال الأصمعي: المسكين أحسن **حالاً** من الفقير، وهو الوجه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾(٢) وكانت تساوي جملة، وقال في حق الفقراء: ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾(٣) وقال ابن الأعرابي: المسكين هو الفقير، وهو الذي لا شيء له، فجعلهما سواء، والمسكين أيضاً: الذليل وإن كان غنياً والمرأة مسكينة، والقياس حذف الهاء؛ لأن بناء مفعيل ومفعال في المؤنث لا تلحقه هاء، نحو: امرأة معطير ومسكان، لكنها حملت على فقيرة فدخلت الهاء، كذا في المصباح، **(تحمل ابنتين لها)** أي: تسأل كما تقدم في الرواية قبلها، وحذف لدلالة الحال **عليه**، وكذا ظاهر قولها: **(فأطعمتها ثلاث تمرات)** بفتح الفوقية والميم، جمع تمرة، بسكونها، كسجدة وسجدات، **(فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: اتقوا الله ولو بشق تمرة. وفي الأدب، باب: فضل الإحسان إلى البنات، (٣/٢٢٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات، (الحديث: ١٤٧).
(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

Made searchable using ScribeTools.com

لِتَأْكُلَها فَاسْتَطْعَمَتْها ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَها بَيْنَهُما، فَأَعْجَبَني شَأْنُها فَذَكَرْتُ الَّذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِها الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَها بِهَا مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٧١ ــ وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرٍو الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

لتأكلها) بحق القسمة، **(فاستطعمها)** وفي نسخة: فاستطعمتها، بإثبات التاء **(ابنتاها)** حذف المفعول الثاني لاستطعم، أي: استطعمتها التمرة الثالثة، أي: طلبتا منها أن تطعمهما إياها، **(فشقت الثمرة)** أي: شقين **(التي كانت تريد أن تأكلها)** وقولها: **(بينهما)** متعلق بمحذوف، أي: وقسمتها **(فأعجبني شأنها)** لما فيه من الإيثار على النفس بحظوظها، ورحمة الصغار، ومزيد الإحسان والرفق بالبنات طلباً لوجه الله تعالى، وفي مفردات الراغب: الشأن الحال والأمر الذي ينفق ويصلح، ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور ا هـ. **(فذكرت التي صنعت)** بتاء التأنيث، أي: الخصلة التي، وفي نسخة، الذي، أي: الأمر الذي **(لرسول الله ﷺ)** والإتيان بالفاء الدالة على التعقيب، إما لكونه ﷺ كان بالمنزل، إلا أنه لم ير ذلك، أو لدخوله عقب صدور ذلك منها، كما جاء كذلك فيما قبله، **(فقال: إن الله قد أوجب لها)** أي للمرأة **(بها)** أي: بهذه الفعلة، **(الجنة)** بفضله؛ لما عندها من الرحمة والشفقة، وذلك سبب لحلول الرحمة، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة». **(أو)** شك من الراوي، ويحتمل كونها بمعنى الواو، **(أعتقها بها من النار)** لإعتاقها نفسها من الركون إلى الدنيا، والغفلة عن جانب الله بالإيثار للصغار رحمة لهم. **(رواه مسلم)** في الأدب من صحيحه.

٢٧١ ــ **(وعن أبي شريح)** بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون التحتية بعدها حاء مهملة. **(خويلد)** بضم المعجمة وفتح الواو وسكون التحتية آخره دال مهملة. **(ابن عمرو)** بن صخر بن عبد العزى بن معاوية بن المحترس بن عمرو بن مازن بن عمرو بن ربيعة **(الخزاعي)** نسبة إلى خزاعة قبيلة، وما ذكره من أن اسمه **(رضي الله عنه)** خويلد، هو قول الأكثر، وقيل: اسمه كعب بن عمرو، وقيل: عبد الرحمن بن عمرو، وقيل: عمرو بن خويلد، وقيل: هانىء، نزل المدينة وأسلم قبل الفتح وتوفي بالمدينة سنة ثمان وستين كما قاله ابن سعد، وأخرج ابن الأثير في الكنى من أسد الغابة عن المقدام بن شريح بن هانىء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات، (الحديث: ١٤٨).

النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ» حَدِيْثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ النَّسائيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ. .....

عن أبيه، قال: قدم هانىء على رسول الله ﷺ في وفد بني الحارث بن كعب، وكان يكنى أبا الحكم فقال: كانوا إذا كان بينهم شيء حكموني فرضوا لحكمي، فكنوني أبا الحكم، فقال رسول الله ﷺ، أي ولدك أكبر؟ فقلت: شريح، فقال: أنت أبو شريح، قيل: إن النبي ﷺ دعا له ولولده، وهو والد شريح ابن هانىء صاحب علي بن أبي طالب، يعد في أهل الكوفة، وما ذكر من أنه خزاعي هو أحد ما قيل فيه، وقيل: كعبي، وقيل: عدوي، قال المصنف في التهذيب: كان يوم فتح مكة حاملاً أحد ألوية بني كعب، روي له عن رسول الله ﷺ عشرون حديثاً، اتفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري بحديث واحد ا هـ. **(قال: قال النبي ﷺ: اللهم)** أصله كما تقدم، يا الله على الصحيح، وهو قول البصريين، فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة في الآخر، ولذا لا يجمع بينهما إلا ضرورة، نحو: أقول يا اللهم يا اللهما **(إني أحرج)** بتشديد الراء، تفعيل من الحرج وهو الإثم، والصيغة للمبالغة. **(حق الضعيفين)** أي: ما يستحقانه بملك أو غيره، كاختصاص، ولذا عبر به دون مال، وليشمل سائر الحقوق المالية وغيرها **(اليتيم)** هو من بني آدم، من لا أب له وهو دون البلوغ، كما مر قريباً. **(والمرأة)** بوزن التمرة، وتقدم أنها لغة، وإنما حرج حقهما وبالغ في المنع منه؛ لأنهما لا جاه لهما يلتجئان إليه، ويحاج عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى، فالمتعرض لهما كالمخفر لله في عهده، فهو حقيق بأنواع الوبال، وهذا بخلاف الكامل من الرجال، فإن الغالب منهم من يعتمد على قوته، أو قوة من يركن إليه، ويعول في أمره عليه من مخلوق ذي أمر صوري، ومن اعتز بغير الله ذل. **(حديث حسن)** هو مشارك للصحيح في اعتبار اتصال السند وعدالة الرواة وضبطهم وانتفاء الشذوذ والعلة القادحة، كما تقدم أواخر شرح خطبة الكتاب، إلا أن المعتبر من هذه الأوصاف في الصحيح أعلاها، وفي الحسن مسماها، وهذا من المصنف بناءً على ما مشى عليه هو والمتأخرون من إمكان التصحيح والتضعيف والتحسين من الأئمة المتأخرين، وخالف فيه ابن الصلاح. **(رواه النسائي بإسناد جيد)** أراد من الإسناد الرواة، وتارة يسمون ذلك بالسند، ويطلقون الإسناد على رفع الحديث لقائله، فلذا قال السيوطي: والسند الإخبار عن طريق متن، والإسناد لذي فريق، قال السيوطي في شرح ألفيته في علم الأثر، نقلاً عن الحافظ ابن حجر، قال بعد نقله الكلام عن ابن الصلاح: هذا يدل على أن ابن الصلاح يرى التسوية بين الجيد والصحيح، وكذا قال البلقيني في محاسن الاصطلاح بعد أن يقل ذلك، ومن ذلك يعلم أن الجودة يعبر بها عن الصحة، وكذا قال غيره: لا مغايرة بين جيد وصحيح عندهم، إلا أن الجهبذ منهم لا يعدل

Made searchable using ScribeTools.com

وَمَعْنَى «أُحَرِّجُ»: أُلْحِقُ الْحَرَجَ وَهُوَ الإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيراً بَلِيغاً، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْراً أَكِيداً[1].

٢٧٢ ـ وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»

عن صحيح إلى جيد إلا لنكتة كان يرتقي الحديث عنده عن الحسن لذاته، ويتردد في بلوغه الصحيح، فالوصف به أنزل من الوصف بصحيح ا هـ. **(ومعنى أحرج ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما)** فالتفعيل فيه للنسبة، نحو فسقت زيد، أي: نسبته إليه، وقوله: ضيع حقهما، يقتضي أنه لو ضاع بسكوته وكان لا مانع به من الكلام شرعاً، دخل في الحرج، وقوله: **(وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً)** ليس مدلول قوله أحرج، وإنما أخذه المصنف من دلالة السياق عليه، وأكيد بمعنى متأكد.

٢٧٢ ـ (وعن مصعب) بضم أوله وسكون الصاد المهملة وفتح المهملة بعدها موحدة **(ابن سعد بن أبي وقاص)** بتشديد القاف وآخره صاد مهملة، وهو مالك بن وهيب، ويقال: أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي القرشي الزهري التابعي المدني، سمع أباه، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، روى عنه مجاهد وأبو إسحاق السبيعي وآخرون، واتفقوا على توثيقه، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة مائة وثلاث. **(قال رأى)** أي: ظن، وهي رواية النسائي، كما في فتح الباري **(سعد)** يعني أباه **(أن له فضلاً على من دونه)** زاد النسائي: من أصحاب رسول الله ﷺ، أي: بسبب شجاعته، أو نحو ذلك. **(فقال النبي ﷺ: هل تنصرون وترزقون)** ببنائهما للمفعول. **(إلا بضعفائكم)** جمع ضعيف، ويجمع على ضعاف أيضاً، وفي رواية النسائي: إنما نصر هذه الأمة بضعفتهم بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أحمد والنسائي بلفظ: «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» قال ابن بطال: تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة؛ لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا، وقال المهلب: أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع ونفي الزهو على غيره وترك احتقار المسلم في كل حالة، وقد روى عبد الرزاق من طريق مكحول، في قصة سعد، هذه زيادة مع إرسالها فقال: «قال سعد: يا رسول الله، أرأيت رجلاً يكون حامية القوم ويدفع عن أصحابه، أيكون نصيبه كنصيب غيره؟» فذكر الحديث، وعلى هذا فالمراد

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب: عشرة النساء، باب: ٥٢ (الحديث: ٢).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَكَذَا مُرْسَلًا، فَإِنَّ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ تَابِعِيٌّ، وَرَوَاهُ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُتَّصِلًا عَنْ مُصْعَبٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

٢٧٣ ــ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، . . . . . .

بالفضل الزيادة من الغنيمة، فأعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء، فإن كان القوي يترجح بفضل شجاعته، فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه. **(رواه البخاري)** في كتاب الجهاد **(هكذا)** من طريق محمد بن طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن مصعب **(مرسلا)** لعدم إدراك مصعب لزمن القصة، كما قال: **(فإن مصعب بن سعد تابعي)** فحذف منه الصحابي، **(ورواه الحافظ أبو بكر)** أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب **(البرقاني)** بفتح الموحدة والقاف، بينهما راء ساكنة وبعد الألف نون، نسبة إلى برقان قرية بنواحي خوارزم، كذا في لب اللباب للسيوطي، زاد الأصبهاني. وفي لب اللباب له البرقاني، نسبة إلى قرية من قرى كانت بنواحي خوارزم خربت، والمشهور منها الإمام أبو بكر أحمد بن محمد البرقاني الخوارزمي، الفقيه المحدث الأديب الصالح. **(في صحيحه متصلاً عن مصعب عن أبيه)** وكذا هو عند النسائي من طريق مسعر، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً الحديث، قال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف على الأطراف: بعد أن بين اختلاف الرواة في ذكر لفظه عن أبيه، وحذفها في طريق محمد بن طلحة أيضاً ما لفظه، قال الدارقطني: المحفوظ عن محمد بن طلحة مرسل، كما عند البخاري، قال: ولم يسمع محمد بن طلحة من أبيه، والصواب رواية مسعر، يعني التي أخرجها النسائي، قال: وتابعه زبيد وليث على وصله ا هـ.

٢٧٣ ــ **(وعن أبي الدرداء)** بفتح الدالين المهملتين وسكون الراء بينهما وبالمد، كنيته: **(عويمر)** بالمهملة تصغير عامر، وقيل: أن اسمه مكبراً ابن قيس بن زيد بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث الأنصاري **(رضي الله عنه)** قال ابن قدامة في كتاب أنساب الأنصار، وقيل في نسبه غير هذا، تأخر إسلامه قليلاً، شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف في شهوده أحداً، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً عالماً عاملاً، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان، كما تقدم في باب الاقتصاد من حديث أبي جحيفة بذلك عند البخاري، روى عن النبي ﷺ أنه قال: «عويمر حكيم أمتي». وعن أبي ذر، قال: «ما حملت ورقاء، ولا أظلت خضراء، أعلم منك يا أبا الدرداء». وعن خالد بن معدان، قال: كان ابن المبارك يقول: حدثونا عن العالمين العاملين معاذ وأبي الدرداء، وله حكم مشهورة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (٦/٦٥).

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ(١).

٣٤ ـ باب: في الوصية بالنساء

توفي في خلافة عثمان سنة نيف وثلاثين، وقبره في مقبرة الشهداء بدمشق يزار، قال المصنف: روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وتسعة وسبعون حديثاً، اتفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية ا هـ. وقال المصنف في التهذيب: روى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس، وخلائق من التابعين ا هـ. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ابغوني)** بكسر همزة الوصل؛ لأنه من فعل ثلاثي مكسور العين، أي: أطلبوا لي **(الضعفاء)** يعني صعاليك المسلمين أستعين بهم، فإذا قلت: ابغني بهمزة القطع فمعناه أعني على الطلب، وقال الحافظ: ابغني بالوصل من الثلاثي، أي: اطلب لي، يقال بغيتك الشيء طلبته لك وبالقطع، أي: أعني، والأول المراد بالحديث ا هـ. والحاصل أنه إن كان من الثلاثي فهمزته للوصل مكسورة، والمراد به مطلق الطلب، وإن كان من الرباعي فهمزته للقطع، والمراد به طلب الإعانة، أي: أعينوني على طلب الضعفاء، قال السيوطي: هو بإسقاط حرف الجر عند أبي داود والنسائي، وعند أحمد والطبراني ابغوني ضعفاءكم، وعند الترمذي أبغوني في ضعفائكم، قال صاحب الفتح الكبير لمعلق الجامع الصغير: وطلبهم ليكتبهم في ديوان المجاهدين، ويستعين بهم، ولحضورهم فوائد أشار إليها بقوله: **(فإنما ترزقون)** بالبناء للمفعول، وحذف المفعول الثاني المتعدي إليه لتضمنه معنى إعطاء للتعميم، أي: ترزقون المطر والفيء وغيرهما مما تنتفعون به، **(وتنصرون)** على أعدائكم **(بضعفائكم)** أي: ببركة وجود صعاليك المسلمين فيكم ودعائهم لكم. **(رواه أبو داود)** في كتاب الجهاد **(بإسناد جيد)** أي: مقبول كما تقدم قريباً، ورواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرك في أحاديث الباب الانقطاع إلى الله سبحانه، وإعانة الفقراء، وإغاثة المنقطعين، وعدم رؤية النفس وفضلها على أحد من العالمين، والحذر من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين الذين لا جار لهم ولا كهف سوى رب العالمين.

باب الوصية بالنساء

بكسر النون وبالمد، جمع لامرأة من غير لفظها، وتجمع على نسوة، بكسر النون،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الانتصار وبرذل الخيل والضَّعفة، (الحديث: ٢٥٩٤).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

٢٧٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْراً؛ .....

كما تقدم عن المصباح، والمراد: الوصية بالرفق بهن والإحسان إليهن لضعفهن واحتياجهن لمن يقوم بأمرهن. **(قال الله تعالى:)** شأنه عما لا يليق به. **(وعاشروهن بالمعروف)** أمر يعم الأزواج والأولياء، ولكن المتلبس في الأغلب بهذا الأمر الأزواج، والعشرة: المخالطة والممازجة، قال السلمي: وعاشروهن بالمعروف، قيل علموهن الفرائض والسنن، وقال أبو جعفر: المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال. **(وقال تعالى: ولن تستطيعوا أن تعدلوا)** العدل التام على الإطلاق، المستوي في الأقوال والأفعال والمحبة والجماع وغير ذلك. **(بين النساء ولو حرصتم)** كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» فأخبر عز وجل عن حال البشر أنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض الأزواج دون بعض. **(فلا تميلوا كل الميل)** بأن يفعل فعلاً يقصد به التفضيل، وهو يقدر أن لا يفعله، فهذا هو كل الميل وإن كان في أمر حقير، **(فتذروها)** أي: الزوجة التي ميل عليها كل الميل، **(كالمعلقة)** لا هي أيم، ولا هي ذات زوج، **(وإن تصلحوا)** ما أفسدتم بالميل التام، **(وتتقوا)** بالعدل في القسم، وترك خلافه، **(فإن الله كان)** فيما مضى وبالاستمرار، **(غفوراً)** لما عدا الشرك من المعاصي إن شاء ذلك، **(رحيماً)** مفيضاً للنعم على عباده، ومناسبة هذين الاسمين لما قبلهما، أن الميل السابق إثم، ودواءه الغفران، وأن الداعي إلى عدم التقوى من المساواة بالمواساة بين الأزواج ما يعد به الشيطان من الفقر، فدواءه استحضار ما للمولى سبحانه وتعالى من النعم الحسان.

٢٧٤ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالنساء خيراً)** أي: تواصوا بهن، والباء للتعدية، والاستفعال بمعنى الإفعال، كالاستجابة بمعنى الإجابة، وقال الطيبي: السين للطلب وهو للمبالغة، أي: اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن، أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن، وقيل معناه: اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، وارفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن، قال العلقمي: وهذا الوجه أوجه في نظري وليس مخالفاً لما قال الطيبي:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩. (٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

Made searchable using ScribeTools.com

فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا

«قلت»، لأن المعنى اطلبوا وصيتي واقبلوها واعملوا بها **(فإن المرأة خلقت)** بالبناء للمفعول، أي: أخرجت **(من ضلع)** بكسر المعجمة وفتح اللام، ويجوز تسكينها، وهي مؤنثة كما في القاموس، والمصباح قال في الفتح: فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، وقيل من ضلعه القصير، أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ عن ابن عباس، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من حديث مجاهد، وأغرب النووي فعزاه للفقهاء أو لبعضهم ا هـ. وهذا لا يخالف الحديث الذي فيه تشبيه المرأة بالضلع، بل يستفاد من هذا نكتة التشبيه، وأنها عوجا مثله؛ لكون أصلها منه، وقال القرطبي: يحتمل أن يكون معناه أن المرأة خلقت من مبلغ ضلع، فهي كالضلع، **(وإن أعوج ما)** أي: شيء، كما في رواية أخرى، **(في الضلع أعلاه)** قيل: فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها، وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فلا ينكر اعوجاجها، أو أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله، ولذا قال: **(فإن ذهبت تقيمه)** أي: أعلاه عن الاعوجاج الذي هو شأنه **(كسرته)** لعدم قابليته له، **(وإن تركته)** غير آخذ في إقامته، **(لم يزل أعوج)** لأنه وضعه وشأنه، وكذا المرأة إن أردت إقامتها على الجادة وعدم اعوجاجها، أدى إلى الشقاق والفراق، وهو كسرها، وإن صبرت على سوء حالها وضعف معقولها ونحو ذلك من عوجها، دام الأمر واستمرت العشرة، والفاء في قوله: **(فاستوصوا بالنساء)** الفاء الفصيحة، أي: فاعرفوا ذلك فاستوصوا بهن **(خيراً)** بالصبر على ما يقع منهن، فيه رمز إلى التقويم برفق، بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه، وما قررت من أن الفاء الفصيحة هي العاطفة على مقدر هو ما في النهر لأبي حيان، ورد ما في الكشاف، وتبعه البيضاوي من أنها الواقعة جواباً لشرط مقدر حذف هو وفعله، بأن النحاة أجمعوا على عدم جواز حذف الأداة والفعل في مثل ذلك. **(متفق عليه)** رواه البخاري في بدء الخلق وفي النكاح، ورواه مسلم في النكاح، ورواه النسائي في عشرة النساء، وابن أبي شيبة، وزاد: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت»، **(وفي رواية في الصحيحين)** في هذا الحديث عن أبي هريرة، لكن اقتصر المزي على عزوه بهذا اللفظ إلى مسلم في النكاح، قال: ورواه الترمذي فيه وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. **(المرأة)** اللام فيها للحقيقة، **(كالضلع)** في الاعوجاج وعدم قابلية الإقامة، **(إن أقمتها)** أي: الضلع وهو مؤنثة، ويحتمل

آسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ»، وفي رِوايةٍ لِمُسْلِمٍ: «إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لكَ على طَرِيقَةٍ، فَإِنِ آسْتَمْتَعْتَ بِهَا آسْتَمْتَعْتَ بها وفيها عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُها كَسَرْتَها وَكَسْرُهَا طَلاقُها» قَوْلُهُ «عَوَجٌ» هُوَ بِفَتْحِ العَينِ والوَاوِ[1].

٢٧٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ .....

أن يكون ضمير المؤنث هنا للمرأة، ويؤيده قوله بعد وإن استمتعت بها **(كسرتها)** لعدم قابليتها للإقامة، ويحتمل أن المراد بكسرها طلاقها، وقد وقع ذلك صريحاً كما سيأتي، وكسرها طلاقها **(وإن استمتعت بها)** لقضاء الوطر وطلب الولد الصالح والإعفاف، **(استمتعت بها)** وجملة **(وفيها عوج)** جملة اسمية حالية، **(وفي رواية لمسلم)** في النكاح **(إن المرأة)** الإتيان بالمؤكد لاقتضاء المقام له، وكأنه لكثرة الشكاية من الأزواج من عدم استقامتهن، وذلك يقتضي منهم أنهم توهموا إمكان استقامتهن، أو ترددوا فيه، فأتى ﷺ دفعاً لذلك بذلك. **(خلقت من ضلع لن تستقيم لك)** أي: تدوم **(على طريقة)** ترضاها، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلاً يقول: ماذا ينشأ من كونها خلقت من ذلك؟ فقال: لن تستقيم **(فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها)** إقامة تامة مرضية لك، **(كسرتها)** لأنه خلاف شأنها وليس في وسعها واستعدادها، **(وكسرها)** المدلول عليه بقوله: كسرتها **(طلاقها. قوله)** في الحديث: **(عوج بفتح العين)** المهملة **(والواو)** قال الفيومي في المصباح: العوج بفتحتين في الأجساد خلاف الاعتدال، وهو مصدر من باب تعب، يقال عوج العود ونحوه فهو أعوج، والأنثى عوجاء من باب أحمر، والعوج بكسر العين، في المعاني يقال: في الأمر عوج، وفي الدين عوج، قال أبو زيد في الفرق: كل ما رأيته بعينك فهو مفتوح، وما لم تره فهو مكسور، وقال بعض العرب: يقول في الطريق عوج بالكسر ا هـ. وفي التهذيب للمصنف: اختلف في ضبط عوج في هذا الحديث، فضبطه كثيرون بفتح العين، وضبطه الحافظ أبو القاسم وآخرون من المحققين بالكسر، وهو الصواب الجاري على ما ذكره أهل اللغة ا هـ. ومنه يعلم أنه تبع في ضبطه هنا الكثيرين، والصواب خلافه، إلا أن يدعى أن تلك الأخلاق منهن لما تكررت صارت كالمحسوس، فاستعمل فيها ما يستعمل فيه، فيكون صحيحاً أيضاً، إلا أنه تكلف.

٢٧٥ ــ **(وعن عبد الله بن زمعة)** بفتح الزاي وإسكان الميم وكسرها، ابن الأسود بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: المداراة مع النساء. (٦/٢٦١ و٢٦٢ و٩/٢١٨، ٢١٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، (الحديث: ٥٩، ٦٠).

Made searchable using ScribeTools.com

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (١) ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ، فِي رَهْطِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ فَوَعَظَ فِيهِنَّ،

المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي (رضي الله عنه) أمه قرينة بنت أمية بن المغيرة، أخته أم سلمة أم المؤمنين، كان من أشراف قريش، وكان يأذن على النبي ﷺ، روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير، وقتل زمعة يوم بدر كافراً، وكان الأسود من المستهزئين الذين قال تعالى في حقهم: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾(٢) وقتل عبد الله مع عثمان يوم الدار، قاله أبو أحمد العسكري عن أبي حسان الزيادي، وكان لعبد الله ابن اسمه يزيد، قتل يوم الحرة صبراً، قتله مسلم بن عقبة المري ا هـ. ملخصاً من أسد الغابة. قال ابن حزم في آخر كتابه مختصر التاريخ: روي له عن النبي ﷺ حديث واحد، قلت: وذكر المزي في الأطراف له حديثين، أحدهما حديث الباب، والثاني عند أبي داود، (أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة) التي كانت معجزة لسيدنا صالح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، والواو عاطفة على محذوف تقديره: خطب فذكر كذا، وذكر الناقة. (والذي عقرها) وهو قذار، بضم القاف وبالذال المعجمة آخره راء، ابن سالف أحيمر ثمود (فقال ﷺ:) مبيناً لوصفه (إذانبعث أشقاها) أشقى قبيلة ثمود، وهو أشقى الأولين (انبعث لها) أي: للناقة (رجل عزيز) بالمهملة وزاءين معجمتين بوزن رحيم، أي: قليل المثل (عارم) بالمهملتين، كما سيأتي في تفسيره، (منيع) أي: قوي ذو منعة، (في رهطه) يمنعونه من الضيم، زاد البخاري في رواية مثل أبي زمعة، وفي أخرى مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام، وهو عمه مجازاً؛ لأنه ابن عم أبيه، فكأنه أخو أبيه فأطلق عليه عم بهذا الاعتبار، قال القرطبي في المفهم: يحتمل أن المراد بأبي زمعة الصحابي الذي بايع تحت الشجرة، يعني وهو عبيد البلوي، قال: ووجه تشبيهه به أنه كان في عز ومنعة في قومه، كما كان ذلك الكافر، قال: ويحتمل أن يريد غيره من الكفار ممن يكنى بأبي زمعة، قال الحافظ في الفتح: وهذا الثاني هو المعتمد، والغير المذكور هو الأسود، وهو جد عبد الله بن زمعة راوي الخبر؛ لقوله في نفس الخبر عم الزبير وليس بين البلوي والزبير نسب ا هـ. (ثم ذكر) يعني النبي ﷺ في خطبته تلك، (النساء) استطراداً، (فوعظ فيهن) فاستطرد إلى ما يقع من

---

(١) سورة الشمس، الآية: ١٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ!» ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مَنْ الضَّرْطَةِ، فَقَالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ!» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«الْعَارِمُ» بِالعينِ الْمُهْمَلَةِ والرَّاءِ: هُوَ الشِّرِّيرُ الْمُفْسِدُ. . . . . .

أزواجهن (**فقال يعمد**) بكسر الميم (**أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد**) بالنصب، أي: مثل ضربه في كونه مبرحاً مؤذياً. وعند مسلم في رواية ضرب الأمة، وللنسائي كما يضرب العبد أو الأمة. وفي البخاري في الأدب من رواية ابن عيينة، ضرب الفحل، والمراد منه البعير. وفي حديث لقيط بن صبرة عند أبي داود: «ولا تضرب ظعينتك ضربك أمتك» (**فلعله يضاجعها**) وفي رواية للبخاري في النكاح: يجامعها (**من آخر يومه**) وعند النسائي: من آخر النهار، ورواية ابن ثمير والأكثر، آخر يومه، ورواية وكيع: آخر الليل، أو من آخر الليل، وكلها متقاربة. وفي الحديث جواز تأديب الرقيق بالضرب الشديد والإيماء إلى جواز ضرب النساء دون ذلك، وفي سياق الحديث استبعاد وقوع الأمرين من العاقل أن يبالغ في ضرب امرأته، ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته، والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع الميل، والرغبة في العشرة، والمجلود غالباً ينفر ممن جلده، فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك، وأنه إذا كان ولا بد فليكن التأديب بالضرب اليسير، بحيث لا يحصل معه النفور التام، فلا يفرط في الضرب، ولا يفرط في التأديب. (**ثم وعظهم**) ﷺ استطراداً، أي: حذرهم (**في ضحكهم من الضرطة**) وذلك لأنه خلاف المروءة، ولما فيه من هتك الحرمة، (**وقال**) في تقبيح ذلك (**لم**) بكسر اللام (**يضحك أحدكم مما يفعل**) وذلك لأن الضحك إنما يكون من الأمر العجيب، والشأن الغريب يبدو أثره على البشرة فيكون التبسم، فإن قوي وحصل معه الصوت كان الضحك، فإن ارتقى عن ذلك كانت القهقهة، وإذا كان هذا الأمر معتاداً من كل إنسان فما وجه الضحك من وقوع ذلك ممن وقع منه؟ (**متفق عليه**) رواه البخاري في التفسير بجملته، وروى قصة النساء فقط في النكاح أيضاً، وقصة النكاح والضرطة في الأدب أيضاً، ورواه بجملته مسلم في باب صفة النار، ورواه الترمذي في التفسير، وقال حسن صحيح، ورواه النسائي في التفسير، وفي عشرة النساء بالقصة الثالثة، كذا قاله المزي في الأطراف، قال الحافظ التقي بن فهد: بل بالثانية، وابن ماجه في النكاح (**والعارم بالعين المهملة والراء**) لم يحتج لتقييد الراء بالمهملة؛ لأن تلك زاي بالياء في اللغة المشهورة، فلا تلتبس بالراء (**هو الشرير**) بكسر المعجمة وتشديد الراء الأولى (**المفسد**) وفي النهاية، أي: خبيث شرير، وقد عرم بالضم والفتح والكسر، والعرام القوة والشدة والشراسة، وفي الصحاح، وصبي عارم بين العرام، أي: شرس، وقد عرم يعرم ويعرم، أي: بضم عين المضارع،

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَـوْلُهُ «انْبَعَثَ» أَيْ قَامَ بِسُرْعَةٍ(١).

٢٧٦ ــ وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤمِنٌ مُؤمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ قَالَ غَيْرَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَـوْلُهُ: «يَفْـرَكْ» هُـوَ بِفَتْـحِ الياءِ وَإِسْكَـانِ الفَاءِ وَفَتْـحِ الـرَّاءِ وَمَعْنَاهُ: يُبْغِضُ. يُقَـالُ: فَـرِكَتِ الْمَـرْأَةُ

وكسرها عرامة بالفتح، **(وقوله:)** في الحديث **(انبعث)** انفعل من البعث **(أي: قام بسرعة)** وجعله في الصحاح مطاوع بعثه وابتعثه، وذلك يؤذن بالسرعة.

٢٧٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يفرك)** يأتي ضبطه، ومعناه **(مؤمن مؤمنة)** نكرهما للتعميم، أي: لا تبغض المؤمنة على كل حالها، بل شأن المؤمن معها **(إن كره فيها خلقاً)** بضم الخاء المعجمة، كسوء الخلق مثلاً **(رضي منها)** خلقاً **(آخر)** كالعفاف **(أو)** شك من الراوي **(قال)** يعني النبي ﷺ **(غيره)** بدل قوله آخر، قال المصنف: قال القاضي عياض، ليس هذا على النهي، بل هو خبر، أي: لا يقع منه بغض تام لها، قال: وبغض الرجال للنساء بخلاف بغضهن لهم، قال: ولهذا قال إن كره منها خلقاً رضي منها آخر ا هـ. وهـو ضعيف، أو غلط، بل الصـواب أنه نهي، أي: ينبغي أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خلقاً يكره، وجد فيها خلقاً مرضياً، وهذا الذي ذكرته من أنه نهي يتعين لوجهين:

أحدهما: أن المعروف في الروايات لا يفرك، بإسكان الكاف لا برفعها، وهذا يتعين فيه النهي، ولو روي مرفوعاً لكان نهياً بلفظ الخبر.

الثاني: أنه قد وقع خلافه، فبعض الناس يبغض زوجته بغضاً شديداً، ولو كان خبراً لم يقع خلافه، وهذا وقع خلافه، وما أدري ما حمل القاضي على هذا التعبير ا هـ. **(رواه مسلم)** في كتاب النكاح **(قوله: يفرك هو بفتح الياء)** التحتية **(وإسكان الفاء)** هذا مستغنى عنه أتى به زيادة في الإيضاح **(وفتح الراء)** فهو من باب فرح يفرح **(ومعناه يبغض)** بضم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير في تفسير والشمس وضحاها وروى قصة النساء فقط في النكاح أيضاً، باب: ما يكره من ضرب النساء وقصة النكاح والضرطة في الأدب أيضاً، باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر...﴾ (٨/٥٤٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون... (الحديث: ٤٩).

زَوْجَها وَفرِكَها زَوْجُها بِكَسْرِ الرَّاءِ. يَفْرَكُها بِفَتْحِها: أَيْ أَبْغَضَها، واللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٢٧٧ ــ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ الْجُشَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ في حَجَّةِ الْوَداعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْراً، فَإِنَّما هُنَّ عَوَانٍ .....

التحتية وكسر المعجمة، مضارع من الإبعاض (**يقال فركت المرأة زوجها وفركها زوجها بكسر الراء**) في الماضي (**يفركها بفتحها**) في المضارع (**أي أبغضها**) قال في المصباح: أبغضت الشيء إبغاضاً فهو مبغض والاسم البغض، ولا يقال: بغضة بغير ألف، والمراد من الحديث أن شأن المؤمن أن لا يبغض المؤمنة بغضاً كلياً يحمله على فراقها، أي: لا ينبغي له أن يغفر سيئتها لحسنتها، ويتغاضى عما يكره بما يحب، قال القرطبي: وأصل الفرك إنما يقال في النساء، يقال فركت المرأة زوجها، وأبغض الرجل امرأته، وقد استعمل الفرك في الرجل قليلاً وتجوزاً، ومنه ما في هذا الحديث ا هـ. (**والله أعلم**).

٢٧٧ ــ (**وعن عمرو بن الأحوص**) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعد الواو مهملة ثانية، ابن جعفر بن كلاب (**الجشمي**) الكلابي، قاله أبو عمرو، وأما ابن منده وأبو نعيم فلم ينسباه، إنما قالا: عمرو بن الأحوص الجشمي، قال ابن الأثير: قول أبي عمرو أنه جشمي كلابي لا أعرفه، فإنه ليس في نسبته إلى كلاب جشم، ولا فيما بعد كلاب أيضاً، وإنما الأحوص بن جعفر بن كلاب نسب معروف، ولعله له حلف في جشم فنسب إليه ا هـ. (**رضي الله عنه**) قال ابن حزم: روي له عن رسول الله ﷺ حديثان (**أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع**) بفتح الواو؛ لأن النبي ﷺ ودع الناس ولم يحج بعدها، ويقال: بكسرها، وتقدم فيها مزيد في باب النية في حديث سعد بن أبي وقاص، (**يقول بعد أن حمد الله**) بالأوصاف الجميلة (**وأثنى عليه**) بتنزيهه عما لا يليق به (**وذكر**) بتخفيف الكاف، أي: أتى بذكر الله تعالى من التكبير والتهليل، أو بتشديدها من التذكير بالله والتخويف من عقابه، ويؤيد هذا قوله: (**ووعظ ثم**) أي: بعد أن أطال في ذلك لاستدعاء المقام له (**قال:**) مستطرداً للوصية بالنساء (**ألا**) بتخفيف اللام، أداة استفتاح يؤتى بها أول الكلام إذا كان المقام يهتم به (**واستوصوا بالنساء خيراً**) المعطوف عليه محذوف اختصاراً، مدلول عليه بما قبله (**فإنما هن عوان**) جمع واحده عانية، وإعرابه مقدر لثقل الضمة على الياء المحذوفة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، (الحديث: ٦١).

Made searchable using ScribeTools.com

عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي

لالتقاء الساكنين، قال في النهاية: أي أسراء أو كالأسراء، وأشار به إلى أنه محتمل لكونه من باب التشبيه البليغ، أو أنه على ظاهره من غير تقدير لشيء. **(عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك)** المشار إليه محذوف مدلول عليه بباقي الكلام، وهو الاستمتاع وحفظ الزوج في نفسها وماله **(إلا أن يأتين بفاحشة)** كبيرة، كنشوز وسوء عشرة **(مبينة)** بكسر الياء، اسم فاعل؛ لأنها تبين عدم انقيادها المفروض عليها، وبفتحها اسم مفعول، أي: إن سوء حالها يدل على تلك الفاحشة، ويبينها **(فإن فعلن)** ذلك، أي: النشوز، بأن ظهرت مقدماته منها، فعظوهن، فإن لم ينزجرن به **(فاهجروهن في المضاجع)** في المراقد، فلا تدخلوهن تحت اللحف **(واضربوهن ضرباً غير مبرح)** بكسر الراء المشددة ولا شاين، بأن لا يجرحها، ولا يكسر لها عظماً، ويجتنب الوجه والمهالك، فيضربن مع الهجران عند تحقق النشوز والعصيان، وهو ضرب تأديب وتعزير، قال الروياني في البحر: ويضربها بمنديل ملفوف، أو بيده لا بسوط ولا عصى، وإباحة الضرب في هذه الحالة ولاية من الشرع للزوج؛ لأخذ حقه قال العز بن عبد السلام: ليس لنا موضع يضرب المستحق من منع حقه غير هذا، والعبد إذا منع حق سيده؛ لأن الحاجة ماسة إلى ذلك فيهما؛ لتعذر إثبات ذلك بسبب عدم الاطلاع، وإنما يجوز ضربها إن علم أو ظن أنه يصلحها، فإن علم عدم إفادته لم يجز، **(فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً)** بالتوبيخ والإيذاء، فالمعنى فأزيلوا عنهن التعرض، واجعلوا ما كان فيهن كأن لم يكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وهذه الجمل مقتبسة من معنى قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾[1] إلى قوله: ﴿سبيلاً﴾[2] **(ألا)** أداة استفتاح، أتى بها للتنبيه على ما بعدها، لأنه حكم آخر **(إن لكم على نسائكم حقاً)** أمراً واجباً **(ولنسائكم عليكم حقاً)** هذا من عطف معمولين على معمولي عامل واحد، وهو جائز اتفاقاً **(فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهونه)** قال المازري: قيل المراد بذلك أن لا يستخلين بالرجال، قال القاضي عياض: كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء، ولم يكن ذلك

---

(١) و(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

بُيوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعامِهِنَّ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ. قَوْلُهُ ﷺ «عَوَانٍ»: أَيْ أَسِيراتٌ. جَمْعُ عَانِيَةٍ بِالعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وهِيَ: الأَسيرَةُ. وَالْعَانِي: الأَسِيرُ. شَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ فِي

عيباً ولا ريبة عندهم، فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك ا هـ. قال المصنف: والمختار أن معناه لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً، أو امرأة، أو أحد محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، «قلت»: ولذا عقب بقوله: **(ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهونه)** أي: تكرهون دخوله لمنزلكم من أنثى وذكر، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنه لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن منه في ذلك، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه به باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن، والله أعلم ا هـ. **(ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن)** بإعطائهن ذلك بحسب اللائق بأحوالكم يساراً وإعساراً، وفي الحديث وجوب نفقة الزوجة وكسوتها عند عدم نحو النشوز، وهو واجب إجماعاً، **(رواه الترمذي)** في النكاح من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)** وتقدم أن الجمع بين الوصفين المذكورين إن كان في متعدد السند فهو على تقدير واو العطف، والتقدير حسن وصحيح، أي: حسن باعتبار أحد الإسنادين، وصحيح باعتبار الآخر، وإلا فهو على تقدير: أو التي للترديد، أي: أنه حسن أو صحيح، أي: أن المحدثين اختلفوا في رجال سنده، هل بلغوا درجة الصحة، أو هم قاصرون على درجة الحسن، ورواه النسائي وابن ماجه. **(قوله ﷺ: عوان)** التنوين فيه للعوض عن الياء إن اعتبر الإعلال سابقاً على منع الصرف، أو عن الحركة إن اعتبر منع الصرف قبل اعتبار الإعلال، وقيل: إنه للصرف، وهذا ضعيف جداً. **(أي: أسيرات جمع عانية بالعين المهملة)** «إن قلت» هذا القسم من جمع التكسير، هو الذي ادعى النحاة فقده خارجاً ووجوده عقلاً، وهو التغيير بالزيادة والنقص من غير تغيير الشكل، «قلنا»: يمكن أن يقال إنه ليس كذلك، فإن حركات الجمع غير حركات المفرد، فضمة الفاء في فلك[1] جمعاً كضمة همزة أسد، وضمته مفرداً كضمة قاف قفل، وقد صرح بذلك شراح الكافية، فكان ما ذكر كغلام وغلمان مما اجتمع فيه التغيير بالنقص والزيادة

---

(١) قوله فضمة الفاء في فلك الخ لو قال كما قالوا إن ضمة الفاء في فلك الخ لكان أوضح في إفادة المقصود تأمل. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

دُخُولِهَا تَحْتَ حُكْمِ الزَّوجِ بِالأَسِيرِ. و«الضَّربُ المُبَرِّحُ»: هُوَ الشَّاقُّ الشَّديدُ. وَقَولُهُ ﷺ «فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا»: أَيْ لَا تَطْلُبوا طَرِيقاً تَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَتُؤذُونَهُنَّ بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٢٧٨ ــ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوها إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ

وتغيير الشكل، **(وهي الأسيرة والعاني الأسير)** ومنه حديث: «أطعموا الجائع وفكوا العاني» قال في النهاية: العاني الأسير وكل من ذل واستكان وخضع، يقال: عنا يعنو فهو عان **(شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج)** ووجوب طاعتها له **(بالأسير)** فيكون قوله ﷺ: «فإنما هن عوان»، من التشبيه البليغ على حد: زيد أسد **(والضرب المبرح)** المنهي عنه **(هو الشاق الشديد)** قال في المصباح: برح به الضرب تبريحاً: اشتد وعظم **(وقوله ﷺ: فلا تبغوا عليهن سبيلاً أي: لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن)** بعد توبتهن ورجوعهن إلى الطاعة، **(وتؤذوهن به)** أي: ولا تؤذوهن به، ويجوز أن تكون أو، أو للمعية والنصب بأن مضمرة؛ لكونه في جواب النهي، لكن يوهم أن الممنوع منه إنما هو طلب الطريق المذكور مع الإيذاء، أما طلبها من غير إيذاء فلا نهي عنه، وليس كذلك، بل منهي عن التعرض لها بعد التوبة مطلقاً **(والله أعلم)**.

٢٧٨ ــ **(وعن معاوية)** بالعين المهملة وبالتحتية بعد الواو المكسورة **(بن حيدة)** بمهملة مفتوحة وسكون تحتية وفتح دال مهملة فهاء تأنيث، كذا في المغني ابن معاوية ابن قشير ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الشيري، من أهل البصرة غزا **(رضي الله عنه)** خراسان، ومات بها، وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية، وروى عنه ابنه حكيم بن معاوية، وسئل يحيى بن معين عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقال: إسناد صحيح إذا كان من دون بهز ثقة **(قال: قلت يا رسول الله)** ورواه ابن الأثير في أسد الغابة عنه «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما حق المرأة على الزوج» إلى آخر الحديث، ولا تنافي؛ لاحتمال التعدد، أو أنه أبهم نفسه في تلك الرواية إما نسياناً لعين السائل، أو لغرض آخر. **(ما حق زوجة أحدنا عليه)** أي: ما واجبها عليه **(قال: أن تطعمها)** بضم الفوقية **(إذا طعمت)** بكسر العين، أي:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، (الحديث: ١١٦٣).

الْـوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّـحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ وَقَـالَ مَعْنَى «لَا تُقَبِّـحْ» لَا تَقُلْ قَبَّحَكِ اللَّهُ[1].

٢٧٩ ــ وَعَنْ أَبِـي هُـرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَـلُ الْمُؤمِنينَ إِيمَـانَاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقَـاً، . . . . . .

أكلت **(وتكسوها)** بفتح التاء الفوقية والواو **(إذا اكتسيت)** ومعنى كونه فرضاً عليه إذا كان لا يأكل زائداً على فرض القوت، أما لو كان مترفهاً في المطعم والملبس، فما زاد على الواجب لها فنفل منه وإحسان عليها **(ولا تضرب الوجه)** لأنه عضو لطيف، والشين فيه شنيع **(ولا تقبح)** بتشديد الباء الموحدة المكسورة، أي: لا تقل قبح الله وجهك، أو لا تقل ما أقبح هذا الخلق؛ فإن ذم الصنعة ذم لصانعها[2] **(ولا تهجر)** عند النشوز **(إلا في البيت)** فاترك مضاجعتها ولا تترك كلامها عند حاجتها **(حديث حسن رواه أبو داود)** في كتاب النكاح من سننه، والنسائي وابن ماجه **(وقال)** أي: أبو داود **(معنى لا تقبح أي)** تفسير لمعنى الجملة **(لا تقل قبحك الله)** وهذا أحد احتمالين فيه.

٢٧٩ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكمل المؤمنين)** أي: من أكملهم **(إيماناً)** منصوب على التمييز عن أفعل التفضيل، وهو فاعله من حيث المعنى **(أحسنهم خلقاً)** بضم الخاء المعجمة واللام وسكونها، وتقدم أنه ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة، واكتساب شيم شريفة، وقال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، قال الباجي: وتحسين الخلق أن يظهر منه لمن يجالسه، أو يرد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير، وقد اختلف فيه، هل هو مكتسب؟ أو غريزي؟ وجمع بين القولين بأنه غريزي باعتبار أصله، ويقوى وينمو بالكسب، قال الحافظ في الفتح: ومحصل ما أجاب العلماء عن الأحاديث المختلف فيها الأجوبة بأن أفضل الأعمال، كذا أن اختلاف الجواب لاختلاف حال السائلين، بأن أعلم كلاً بما يحتاج إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو اللائق، أو أن اختلافه باختلاف الأوقات، بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال؛ لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن منها، وقد

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: في حق المرأة على زوجها، (الحديث: ٢١٤٢).

(٢) ويقال قبحه الله أي نحاه عن الخير وبابه قطع ا هـ. مختار.

Made searchable using ScribeTools.com

وَخِيارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسائِهِمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٢٨٠ ـ وَعَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ» فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّساءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ

تظافرت الأدلة على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل، أو أن أفضل ليس على بابه، بل المراد الفضل المطلق، أو أن المراد من أفضل، فحذفت من، وهي مرادة كما ورد «خيركم خيركم لأهله» ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس مطلقاً، فعلى هذا فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان، والباقيات متساوية في كونها من أفضلها وإن تفاوتت درجاتها بما ورد فيها ا هـ. ملخصاً (**وخياركم خياركم لنسائهم**) وفي رواية «خيركم خيركم لأهله» قال في النهاية: هو إشارة إلى صلة الرحم، والحث عليها، قيل: ولعل المراد من حديث الباب أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه، وكف الأذى والإحسان إليها، والصبر على أذاها. «قلت»: ويحتمل أن الإضافة فيه للعهد، والمعهود هو النبي ﷺ، والمراد: «أنا خيركم لأهلي» وقد كان ﷺ أحسن الناس لأهله وأصبرهم على اختلاف أحوالهم (**رواه الترمذي وقال: حسن صحيح**) وكذا رواه ابن حبان.

٢٨٠ ـ (**وعن إياس**) بكسر الهمزة وتخفيف التحتية وبعد الألف سين مهملة، (**ابن عبد الله بن أبي ذباب**) بضم المعجمة وخفة الموحدة الأولى كما في المغني الدوسي، وقيل: المزني، والأول أكثر (**رضي الله عنه**) سكن مكة، قال أبو عمرو: له صحبة، وقال ابن منده وأبو نعيم: اختلف في صحبته، كذا في أسد الغابة، روي له عن رسول الله ﷺ هذا الحديث، (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تضربوا إماء الله**) الإماء بكسر الهمزة وبالمد بوزن كتاب، جمع أمة، وهي محذوفة اللام والهاء عوض عنها، والأصل أموة بفتحات، ولذا يرد في التصغير، فيقال أمية، والأصل أميوة، ويجمع أيضاً على آإم بوزن قاض، وعلى إموان بوزن إسلام، وقد يجمع على أموات بوزن سنوات، والمراد بآماء الله النساء، أي: لا تضربوهن ظاهره على كل حال، (**ف**) لذا (**جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء**) سيأتي ضبطه ومعناه، وهو على لغة أكلوني البراغيث، والفصيح تجريد الفعل من علامة الجمع، بأن يقال: ذئر أو ذئرت بالتاء، والثاني أفصح؛ لأن المسند لجمع التكثير، الأفصح إلحاق التاء آخره، ورأيته في أصل آخر من سنن أبي داود ذئر النساء بحذف

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: في حق المرأة على زوجها، (الحديث: ١١٦٢).

بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِساءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْواجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيارِكُمْ» رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ بِإِسْنادٍ صَحيحٍ. قَولُهُ: «ذَئِرْنَ» هُوَ بِذَال مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ مَكْسورَةٍ ثُمَّ راءٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ نونٍ: أَيْ اجْتَرَأْنَ. قَولُهُ «أَطَافَ»: أَيْ أَحَاطَ[1].

٢٨١ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2].

النون **(على أزواجهن)** لما سمعن المنع عن ضربهم مطلقاً **(فرخص في ضربهن)** من الرخصة وهي تغيير الحكم من صعوبة إلى سهولة لعذر مع قيام سبب حكم الأصل، وسبب المنع الرفق بهن، وهو قائم حال إباحته للعذر، وهو دوام الزوجية والقيام بحقوقها عند حقوقهن من ترك ذلك. **(فأطاف بآل رسول الله ﷺ)** أي: بأزواجه وسراريه، وليس المراد بالآل من تحرم عليهم الزكاة. **(نساء كثير)** من صيغ جمع الكثرة **(يشكون أزواجهن)** أي: ضربهم. **(فقال رسول الله ﷺ: لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك)** أي: الضاربون لأزواجهم. **(بخياركم)** وذلك لأنه يؤذن بحرج الصدر وضيق النفس، ذلك خلاف حسن الخلق الذي هو من أوصاف الخيار. **(رواه أبو داود)** في كتاب النكاح **(بإسناد صحيح)** ورواه النسائي وابن ماجه **(قوله:)** في الحديث **(ذئرن هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون أي: اجترأن)** عليهم ونشزن **(قوله: أطاف أي: أحاط)** وهو متعد بالباء أيضاً يقال: أطاف بالشيء، أي: أحاط به.

٢٨١ ــ **(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص)** بإثبات الياء كما هو الفصيح، وتقدم تحقيق ذلك في باب الاقتصاد، وتقدمت ترجمته في باب بيان كثرة طرق الخير. **(رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: الدنيا متاع)** أي: شيء يتمتع به حيناً، كما قال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾[3] **(وخير متاع الدنيا)** أتى بالاسم الظاهر موضع المضمر؛ للزيادة والإيضاح. **(المرأة الصالحة)** قال القرطبي: فسرت في الحديث بقوله: التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله. **(رواه مسلم)** في كتاب النكاح، وأحمد وأحمد والنسائي.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: في ضرب النساء، (الحديث: ٢١٤٦).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، (الحديث: ٦٤).
(٣) سورة النساء، الاية: ٧٧.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٥ ــ باب: في حق الزوج على المرأة

قَالَ اللَّهُ تَعَالى[١]: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَمِنْهَا حَديثُ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ السَّابِقُ في الْبَابِ قَبْلَهُ[٢].

باب حق أي: واجب الزوج على امرأته

اي: ما يجب له عليها ويستحقه منها. **(قال الله تعالى: الرجال قوامون على النساء)** يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين وهي هو قوله: **(بما فضل الله بعضهم على بعض)** أي: بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالفتوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر، والشهادة في مجامع القضايا، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها، والتعصيب، وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق، وبأمر كسبي هو قوله: **(وبما أنفقوا من أموالهم)** في نكاحهن، كالمهر والنفقة، ثم قسم الله النساء قسمين فقال: **(فالصالحات قانتات)** مطيعات لله، قائمات بحقوق الأزواج **(حافظات للغيب)** لمواجب الغيب، أي: يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل: للأسرار **(بما حفظ الله)** أي: بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب، والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن، قال السفاقسي: قراءة الجمهور برفع الجلالة، وما مصدرية، أي: يحفظ الله إياهن، وجوز كون ما موصولا اسميا محذوف العائد، أي: بما حفظه الله، وأجاز أبو البقاء أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف، وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة، فما بمعنى الذي، وفي حفظ ضمير يعود عليها، أي: بالبر الذي حفظ حق الله من التعفف وغيره، وقدره ابن جني بما حفظ حدود الله، والمضاف متعين؛ لأن الذات المقدسة لا ينسب حفظها إلى أحد، وفيه حذف الضمير من حفظ، أي: يحفظهن، وهو قبيح لا يجوز إلا في الشعر، والأحسن أن لايقال حذف الضمير، بل عاد عليهن مفرداً ملاحظة للجنس، فكان الصالحات في معنى من صلح، وإنما أدى إلى هذا الشذوذ في هذه القراءة توجيهها على أن ما موصولة، أما إذا جعلناها مصدرية كما تقدم فلا ا هـ. **(وأما الأحاديث)** النبوية **(فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق)** بالرفع **(في الباب قبله)**.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) وهوفي هذا الجزء ص ١٠١ (برقم: ٢٧٧).

٢٨٢ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: . . . . . .

---

٢٨٢ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه)** قيل: هو كناية عن الجماع، ويقويه قوله: «الولد للفراش» والكناية عما يستحي من التصريح به فاشية في الكتاب والسنة. **(فلم تأته)** من غير عذر بها **(فبات غضبان)** غير مصروف، بناء على أن الشرط في منع صرف الوصف ذي الزيادة وجود فعلى **(عليها لعنتها الملائكة)** ويستمر ذلك منهم إن استمرت على الامتناع **(حتى تصبح)** ويؤيد ما تقرر أنه جاء في رواية حتى ترجع، قال بعضهم: ورواية الأصل محمولة على الغالب، وظاهر عموم الحديث حرمة امتناعها من فراشها ولو حائضاً، وهو كذلك؛ لإمكان الاستمتاع بها بغير الجماع، وظاهر الخبر اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلاً، لقوله: حتى تصبح، وكأن السر فيه تأكد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه، ولا يلزم منه جواز امتناعها منه نهاراً؛ لأن تخصيص الليل بالذكر لأنه مظنة ذلك، ويؤخذ من قوله: «فبات غضبان»، أن اللعن عليها إنما يكون حينئذ لتحقق ثبوت معصيتها، بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك، إما لعذرها وإما لأنه ترك حقه من ذلك، قال القرطبي: أما لو دعت المرأة زوجها فأبى فلا إثم عليه ما لم يقصد بالامتناع المضارة لها فيحرم حينئذ، والفرق بينهما أن الرجل لبذله لما له هو المالك للبضع، والدرجة التي له بسبب سلطنته عليها بسبب ملكه، وأيضاً فقد لا ينشط في وقت دعائها له، فلا ينتشر ولا يتهيأ له ذلك بخلافها، قال المهلب: هذا الحديث يوجب أن منع الحق في البدن كان أوفى المال مما يوجب سخط الله، إلا أن يتغمد الله بالعفو، وفيه جواز لعن العاصي المسلم إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل، فإذا واقعه فإنما يدعي له بالتوبة والهداية، قال الحافظ ابن حجر: والحق أن من منع أراد باللعنة المعنى اللغوي، وهو الإبعاد من الرحمة، ومن أجاز أراد بها المعنى العرفي، وهو مطلق السب، وحديث الباب ليس فيه إلا أن الملائكة يدعون على أهل المعصية ما داموا فيها، وهل هم الحفظة أو غيرهم، كل محتمل، ويحتمل أن يكون بعض الملائكة موكلاً بذلك، «قلت»: وظاهر الحديث التعميم؛ لأن الجمع المحلى بأل من صيغه، وفيه دليل على قبول دعاء الملائكة؛ لكونه ﷺ خوف به، وفيه الإرشاد إلى مساعدة الزوج ومرضاته، وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة، وفيه أن امتناعها من ذلك كبيرة **(متفق عليه)** ورواه أحمد، وأبو داود والنسائي **(وفي رواية لهما)** أي: للشيخين، وهي عند أحمد

Made searchable using ScribeTools.com

«إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»(١).

٢٨٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ

أيضاً **(إذا باتت المرأة هاجرة)** أي: تاركة **(فراش زوجها)** بغير مانع من مرض، أو امتناع لتسلم صداق حال عقدت عليه **(لعنتها الملائكة حتى تصبح)** ما دامت كذلك، فإذا تابت من الذنب وأقلعت وعادت إلى الطاعة وأجابت إلى الفراش، أو كانت معذورة فلا **(وفي رواية)** لمسلم من حديث أبي هريرة أيضاً **(قال: قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده)** أي: بقدرته وفي تصرفه، وفيه القسم على الشيء لتأكيده وتقويته عند السامع، وهو كذلك مستحب، وواقع في الأخبار كثيراً. **(ما)** نافية **(من)** مزيدة لتأكيد استغراق النفي **(رجل)** يحتمل أن يراد به ما يقابل المرأة، فيشمل الصبي، فتكون إجابته واجبة على زوجته المكلفة وعلى ولي غير المكلفة، أمرها بذلك وهو أقرب، ويحتمل أن يراد به ما يقابل الصبي فيخص البالغ **(يدعو امرأته إلى فراشها)** أضيف الفراش إليها هنا وإليه أولاً؛ لملابسة كل منهما له **(فتأبى)** أي: تمتنع **(عليه)** في المصباح: أبى الرجل يأبى إباء بالكسر والمد وإباية امتنع **(إلا كان الذي في السماء)** إن كان المراد منه ساكنها فهو الملائكة، وإن أريد به حضرة الحق سبحانه فيؤول بأن المراد الذي سلطانه أو ملكوته أو أمره في السماء؛ لاستحالة المكان والجهة عليه سبحانه وتعالى علواً كبيراً، والوجه الأخير أقرب إلى قوله **(ساخطاً عليها)** وإن صح على الأول إفراده باعتبار لفظ الذي المراد منه النوع الذي هو الملائكة، والسخط المراد منه بالنسبة إليه تعالى غايته مجازاً مرسلاً من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، أما الانتقام فيكون صفة فعل، أو إرادته فيكون صفة ذات كما تقدم أول الكتاب، وظاهر أن ذلك إذا غضب منه الزوج كما يدل عليه قوله في الحديث قبله: «فبات غضبان عليها» وقوله هنا **(حتى يرضى عنها)**.

٢٨٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل) أي: لا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين إلخ. (٩/٢٥٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، (الحديث: ١٢١، ١٢٢).

أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ(١).

٢٨٤ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى

(لامرأة أن تصوم) ولو فرضاً موسعاً؛ لأن حق الزوج ناجز، ووقت الفرض متسع، ومن ثم لو ضاق بأن نذرت صوم وقت معين قبل التزوج به أو بعده بإذنه، أو ضاق الوقت بأن لم يبق من شعبان إلا قدر ما عليها من قضاء رمضان، حل لها الصوم بغير إذنه **(وزوجها شاهد)** أي: حاضر، وظاهر عمومه أنه لا فرق في ذلك بين حريتهما ورقهما وتخالفهما في ذلك، **(إلا بإذنه)** وذلك لأنه قد يكون له إليها حاجة فيمنعه عن ذلك الصوم، فإن قيل يجوز له أن يفطرها والحالة هذه، فلا يكون صومها مانعاً له، أجيب بأنه قد يهاب ذلك، فأدى إلى تركه لحقه فحرم إلا بإذنه **(ولا تأذن في بيته)** لرجل محرم أو غيره، ولا لمرأة كذلك. **(إلا بإذنه)** صريحاً أو ما في معناه مما تقدم في الباب قبله. **(متفق عليه وهذا لفظ البخاري)** من جملة حديث أورده في كتاب النكاح، وآخره: «وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدي إليه شطره» وأخرجه النسائي في الصوم، ولفظ مسلم في كتاب الزكاة: «لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه».

٢٨٤ ــ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: كلكم راع)** أي: حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه، فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه. **(وكلكم مسؤول عن رعيته)** أي: هل قام بما عليه من صلاحها وحفظها والقيام بمصلحتها أو لا؟ **(والأمير)** أي: ذو الأمر، فيشمل سائر الحكام، وفي رواية الإمام: وعليها فخص بالذكر؛ لأنه الأشرف الأكمل وباقي الولاة مثله، كما أفادته رواية الباب والأمير **(راع)** على من تحت ولايته، فعليه النظر في شأنهم وتسديد أمرهم ودفع المضرات عنهم **(والرجل راع على أهل بيته)** فيقوم بكفايتهم من سائر المؤن بحسب حاله يساراً وإعساراً، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويبين لهم ما يحتاجون إليه من أمر الشرائع **(والمرأة راعية على بيت زوجها)** فتقوم بحفظه عن السارق والهرة وسائر المتلفات، ولا تحزن فيه، ولا تتصدق بما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: لا تأذن المرأة في بيت زوجها... (٩/٢٥٩، ٢٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: ما أنفق العبد من مال مولاه، (الحديث: ٨٤).

Made searchable using ScribeTools.com

بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ؛ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٨٥ ــ وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلى التَّنُّورِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ،

تعلم أنه لا يرضى به. **(وولده)** فيقوم بحضانته وخدمته، قال الخطابي: اشتركوا، يعني الأمير ومن بعده في الوصف بالراعي، ومعناه مختلف، فرعاية الإمام الأعظم رعاية الشريعة بإقامة حدودها والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم، ورعاية المرأة تدبيرها لأمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج. **(فكلكم)** حتى من لا أمر له ولا زوجة، وهو الإنسان في نفسه فإنه **(راع)** على جوارحه، فيعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً، فجوارحه وقواه وحواسه رعاياه، ثم لا يلزم من كونه راعياً أن لا يكون مرعياً باعتبار آخر. **(وكلكم مسؤول عن رعيته)** هل قام بما يجب لها عليه أو لا؟ وجاء في حديث أنس مثل حديث ابن عمر وفي آخره: «فاعدد للمسألة جواباً قال: وما جوابها؟ قال: أعمال البر» أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط، وسنده حسن. **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٢٨٥ ــ (وعن أبي علي) بفتح المهملة وكسر اللام **(طلق)** بفتح المهملة وسكون اللام **(ابن علي)** بفتح فكسر، كذلك ابن **طلق** بن عمرو، وقيل طلق بن قيس بن عمرو بن عبد الله بن عمر بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة الربعي الحنفي السحيمي **(رضي الله عنه)** كان من الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من اليمامة فأسلموا، روي له عن رسول الله ﷺ أربعة عشر حديثاً كما ذكره ابن حزم في أواخر سيرته، وليس له في الصحيحين شيء. **(أن رسول الله ﷺ قال إذا دعا الرجل زوجته)** كذا في النسخ بإثبات التاء، وهي لغة، واللغة الفصيحة المشهورة التي جاء بها القرآن حذف التاء، وهي لغة أهل الحجاز، قال المصنف: وثبت إلحاق التاء في أحاديث في الصحيح. **(لحاجته)** التي يستحقها عليها **(فلتأته)** فوراً **(وإن كانت على التنور)** الجملة الشرطية وصلية وهي في محل الحال كما تقدم عن المطول، والتنور بفتح الفوقية وتشديد النون: الذي يخبز فيه، قال في المصباح: وافقت فيه لغة العرب لغة العجم، وقال أبو حاتم: ليس بعربي صحيح، والجمع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن. (٢/ ٣١٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل... (الحديث: ٢٠).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

٢٨٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٢).

٢٨٧ ــ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ» .....

تنانير **(رواه الترمذي)** في النكاح **(و)** رواه **(النسائي)** في باب عشرة النساء **(وقال الترمذي حديث حسن)** زاد فيما حكى المزي عنه في الأطراف بعد قوله حسن غريب.

٢٨٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لو)** حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه. **(كنت آمراً)** بمد الهمزة، مضارع من الأمر، والجملة خبر كان، ورأيته في نسخة من الجامع الصغير منوناً على أنه وصف خبر مفرد. **(أحداً)** أي: من بني آدم **(أن يسجد لأحد)** تعظيماً له وأداءً لحقه **(لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)** لما له عليها من عظيم الحق الواجب القيام به، وسبب هذا الحديث ما في أبي داود عن قيس بن سعد قال: «أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد لي فقال: لا قال: فلا تفعلوا لو كنت» فذكره. **(رواه الترمذي)** أي: من حديث أبي هريرة **(وقال: حديث حسن صحيح)** ورواه أحمد من حديث معاذ، والحاكم في المستدرك من حديث بريدة.

٢٨٧ ــ **(وعن أم)** المؤمنين أم **(سلمة)** هند بنت أبي أمية، سبقت ترجمتها **(رضي الله عنها)** في باب التوكل **(قالت: قال رسول الله ﷺ: أيما)** بتشديد التحتية، وهي الشرطية، وحاصلة للتأكيد، وأي مضافة إلى **(امرأة ماتت)** أي: فارقت الحياة مؤمنة **(وزوجها عنها راض)** جملة حالية من الضمير المستكن في ماتت، والظرف متعلق براض قدم اهتماماً بشأنه **(دخلت الجنة)** ظاهره ابتداء مع الفائزين، وهو محتمل بأن يغفر الله سيئاتها ويرضي عنها الخصماء

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: في حق الزوج على المرأة (الحديث: ١١٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: في حق الزوج على المراة، (الحديث: ١١٥٩).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

٢٨٨ ــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا» .....

(رواه الترمذي) وابن ماجه والحاكم (وقال) أي: الترمذي (حديث حسن) ثم مفهوم الحديث أن من ماتت وهو عنها غير راض لا تدخل الجنة، أي: مع الفائزين كما تقدم أنه ظاهر المنطوق، ويحتمل أن يبقى على عمومه ويحمل على ما إذا استحلت ذلك، وكان مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة، وقد علمت ذلك.

٢٨٨ ــ (وعن معاذ بن جبل) الأنصاري تقدمت ترجمته (رضي الله عنه) في باب المراقبة، وقوله: (عن النبي ﷺ) متعلق بمحذوف دل عليه المقام، حال من المجرور بعن، أي: ناقلاً عن النبي ﷺ (أنه قال: لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا) أي: لا يقع منها معه ما من شأنه أن يتأذى به من غير مجوز لذلك شرعاً، وإلا فطلب نحو النفقة ممن يتأذى بها لنحو بخله لا يدخل الزوجة في ذلك. (إلا قالت زوجه) بالإضافة إلى الهاء (من الحور) بضم الحاء المهملة، وهن نساء أهل الجنة، واحدتهن حوراء، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها. (العين) بكسر العين المهملة، أي: نجل العيون، وقال البيضاوي: جمع عيناء (لا تؤذيه قاتلك الله) جملة دعائية، والمراد من المفاعلة فيه أصل الفعل، وعبر بها للمبالغة، وأنها لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله صارت كالمقاتلة له تعالى، فعبر بذلك (فإنما هو عندك) في الدنيا (دخيل) أي: ضيف ونزيل، وعبرت بذلك لأن مدة المقام بالدنيا وإن طالت فهي يسيرة بالنظر إلى الآخرة التي لا أمد لها، فعبرت بما يعبر به عن قصير الإقامة، وهو الضيف. (يوشك) بضم أوله وكسر الشين المعجمة، مضارع أوشك، ومنه قول الشاعر:

يوشك من فر من منيته ... في بعض غراته يوافقها

وفي المصباح: أوشك من أفعال المقاربة، والمعنى الدنو من الشيء، وقال الفارابي: ألا يشاك الإسراع، لكن قال النحاة: استعمال المضارع أكثر من الماضي، واستعمال اسم الفاعل منها أقل، قال بعضهم: وقد استعملوا ماضياً ثلاثياً فقالوا: وشك مثل قرب وشكا اهـ. وتقدم في باب التوبة بعضه. (أن يفارقك) متنقلاً (إلينا) أي: فأحسني إليه، وفي تعبيرها بالدخيل إيماء إلى ذلك، ففي الحديث الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: ماجاء في حق الزوج على المرأة (الحديث: ١١٦١).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَال: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

٢٨٩ ــ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلى الرِّجَالِ مِنَ النِّساءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

فليكرم ضيفه». **(رواه الترمذي)** آخر كتاب النكاح **(وقال حديث حسن)** غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ا هـ. ورواه ابن ماجه في النكاح أيضاً.

٢٨٩ ــ (وعن أسامة بن زيد) بن حارثة الحب ابن الحب **(رضي الله عنهما)** الصحابي ابن الصحابي ابن الصحابي، تقدمت ترجمته في باب الصبر(٣). **(عن النبي ﷺ قال: ما تركت بعدي)** أي: بعد وفاتي **(فتنة)** هي كما في المصباح: المحنة والابتلاء، والجمع فتن، وأصلها من قولك فتنت الذهب والفضة إذا أدخلتهما النار لتمييز الجيد من الرديء. **(هي أضر على الرجال من النساء)** أفاد الحديث أن الافتتان بهن أشد منه بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾(٤) فجعلهن من عين الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، ويقع في المشاهدة حب الرجل ولده الذي هو من امرأته التي هي عنده، أشد من حبه لباقي ولده، ومن ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة، وقد قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن، ومع نقص عقلهن يحملهن الرجل على تعاطي ما فيه ذلك، كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد، وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في أثناء حديث: «واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» ا هـ. ملخصاً من الفتح للحافظ العسقلاني. **(متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب النكاح، ومسلم في آخر كتاب الدعاء، ورواه الترمذي في الاستئذان، والنسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الفتن.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الرضاع، باب: ١٩، (الحديث: ١١٧٤)، وأخرجه أحمد: (٢٤٢/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة (١١٨/٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء... (الحديث: ٩٧).

(٣) وقد تقدم في باب الصبر أن حارثة جد أسامة دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ا هـ. ش.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٦ ــ باب: في النَّفقة على العيال

قَالَ اللَّهُ تَعَالى[١]: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وَقَالَ: تَعالى[٢]: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتاها﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

باب النفقة

المراد بها سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن **(على العيال)** بكسر العين المهملة، أي: من يعولهم من زوجة وبعض وخادم، **قال** ابن النحوي في الإشارة إلى لغات المنهاج: النفقة من الإنفاق وهو الإخراج، والنفقة الدراهم ونحوها من الأموال، تجمع على نفقات وعلى نفاق أيضاً، وسميت بذلك إما لذهابها بالموت، وإما لرواجها من نفقت السوق، أو من نفق البيع كثر طلابه، وإما لنفاذها من نفق الزاد إذا ذهب؛ لأنها عرضة للنفاد ا هـ. **(قال الله تعالى: وعلى المولود له)** أي: الذي يولد له، يعني الوالد، فإن الولد يولد له وينسب إليه، وفي التعبير بما ذكر إشارة للمعنى المقتضي لوجوب النفقة عليه. **(رزقهن وكسوتهن)** أجرة لهن، واختلف في استئجار الأم، فجوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة بنكاح. **(بالمعروف)** حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه. **(وقال تعالى: لينفق ذو)** أي: صاحب **(سعة)** بفتح السين، وبه قرأ السبعة، وكسرها لغة، وقرأ به بعض التابعين. **(من سعته ومن قدر)** أي: ضيق **(عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله)** فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر، ولذا عقبه بوعده باليسر بقوله: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[٤] **(وقال تعالى: وما)** شرط، أو بمعنى الذي، مبتدأ **(أنفقتم من شيء)** عمومه متناول لليسير والحقير، **(فهو يخلفه)** عوضاً، إما عاجلاً أو آجلاً، وقيل: يخلفه في الدنيا بالقناعة التي هي كنز لا يفنى، وبالثواب في الآخرة، والجملة جواب الشرط، وهل هي الخبر أو الجملة الشرطية والجواب قيد له أو الخبر مجموعهما؟ أقوال أرجحها ثانيها، فإن كانت **ما** موصولة فالجملة خبر المبتدأ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٧.

٢٩٠ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دِينارٌ أَنْفَقْتَهُ في سبيلِ اللَّهِ، وَدِينارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ؛ أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٩١ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوْبَانَ بْنِ بُجْدُد مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ دِينارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ في . . . . . .

---

٢٩٠ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دينار)** مبتدأ، وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة إرادة التنويع، فهو كقوله: فيوم لنا ويوم علينا، أو إرادة الجنس به كقولهم: تمرة خير من جرادة، **(أنفقته في سبيل الله)** أي: في الجهاد بإعانة بذلك عليه، ويحتمل أن المراد به الأعم، أي: في طاعة الله **(ودينار أنفقته في رقبة)** أي: فعتقت به، كان بقي ذلك من النجم الذي على المكاتب، وبه تحصل حريته، أو المراد به الجنس، أي: وما أنفق في عتق الرقبة وتخليصها من الرق، أو تصدق به عليها فخلصت به من التلف الذي كان بها من الجوع والظمأ أو العري، وعلى الاحتمال الثالث فبينه وبين قوله: **(ودينار تصدقت به على مسكين)** أي: محتاج فيشمل الفقير أيضاً عموم **(ودينار أنفقته على عيالك)** أي: من تعولهم وفي نسخة على أهلك **(أعظمها)** أي: أكثرها **(أجراً الذي أنفقته على أهلك)** لأن من تلزمه مؤنتهم يقع الانفاق فيهم واجباً، وهو أفضل من المندوب بأضعاف مضاعفة، ومن لا تلزمه مؤنتهم يكون في الإنفاق عليهم صلة رحمهم، وثوابها أعظم مما ذكر بكثير. **(رواه مسلم)**.

٢٩١ ــ **(وعن أبي عبد الله)** ويقال أبو عبد الرحمن **(ثوبان بن بجدد)** بضم الموحدة والدال المهملة الأولى وسكون الجيم بينهما، والتصريح باسمه في نسخة **(مولى رسول الله ﷺ)** قيل: وجده مسبياً فأمر به فعتق، وقيل: شراه وعتقه، تقدمت ترجمته. **(رضي الله عنه)** في باب المجاهدة **(قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل دينار ينفقه الرجل)** في سبيل الخير **(دينار ينفقه على عياله)** أي: الذين يمونهم، وقدم هذا في الذكر اهتماماً به؛ لأنه أشرف الأنواع، كما صرح به في الحديث قبله **(ودينار ينفقه على دابته)** التي يركبها، أو يحمل عليها **(في**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال. . . (الحديث: ٣٩).

Made searchable using ScribeTools.com

سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٩٢ ـ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لي أَجْرٌ في بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» .....

سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه) الذين يركبون معه **(في سبيل الله)** الظاهر أن المراد به في هذين الجهاد، ويصح أن يراد به الأعم هنا؛ لأن ثواب الإنفاق على الدابة التي تركب أو يحمل عليها في الطاعة، وعلى الأصحاب الذين يجتمعون على الطاعة عظيم، وعلى الثاني فقد يشكل التساوي بين الثلاثة، فإنه إذا أريد مطلق الطاعة يكون الأول أفضلها، ويجاب بأنه لا مانع أن الثلاثة وإن كانت أفضل من غيرها أن يكون أحدها أفضلها، فهو أفضل الأفضل، ثم أفضل مبتدأ، خبره دينار، وما عطف عليه بتقدير تقديم العطف على الربط. **(رواه مسلم)** في الزكاة، والترمذي في البر، وقال: حسن صحيح، والنسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الجهاد.

٢٩٢ ـ (وعن) أم المؤمنين **(أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله هل)** يكتب **(لي أجر)** أي: ثواب أخروي **(في بني أبي سلمة)** تعني أولادها منه **(أن أنفق عليهم)** بدل من بني سلمة، بدل اشتمال، أي: هل يكتب لي أجر في الانفاق عليهم؟ **(و)** الحال أني **(لست بتاركتهم هكذا وهكذا)** أي: يتفرقون لطلب القوت يميناً وشمالاً، بل أنا كافيتهم ذلك بحسب الطبع؛ لأن شفقة الأمومة تحمل على تكلف القيام بما يحتاج إليه الأولاد، وقولها: **(إنما هم بني)** بفتح الموحدة وتشديد التحتية، هو تعليل لما أفاده الاستفهام التعجبي من ترتب الثواب على الإنفاق عليهم المنسوب لشفقة الأمومة، وشأن أعمال البر أن شوب غيرها بها يسقطها، وهذا حالها وحالهم **(فقال: نعم)** أي: لك أجر، وسكت عن جوابها عن سبب التعجب المذكور علماً منه أنها إذا أخبرت بترتب الثواب عليه، إنما تأتي به لذلك لا غير، وحينئذ فلا شوب، ولما كان في قولها هل لي أجر إبهام، وكان لو اقتصر على قوله نعم، لأوهم أن لها ثواباً زائداً على قدر ما تنفقه عليهم، دفعه بقوله: **(لك أجر ما)** هو في الأصول المصححة من الصحيحين بالإضافة، فما موصول، أو موصوف صلة، أو صفته جملة، قوله: **(أنفقت عليهم)** قليلاً كان أو كثيراً، قال السيوطي في التوشيح، وجوز بعضهم تنوينه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال... (الحديث: ٣٨).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٩٣ ــ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ في أَوَّلِ الْكِتَابِ في بَابِ النِّيَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فِي امْرَأَتِكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٢٩٤ ــ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .....

على أن ما وقتية، «قلت»: أو موصولة وثمة مضاف مقدر، أي: قدر ما أنفقته، **(متفق عليه)** أخرجاه في كتاب الزكاة.

٢٩٣ ــ **(وعن سعد بن أبي وقاص)** مالك بن وهيب، أحد العشرة **(رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدمناه أول الكتاب في باب النية)** الذي فيه أن النبي ﷺ عاده عام حجة الوداع من وجعٍ اشتد به، **(أن رسول الله ﷺ قال له: وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله)** أي: ذات الله تعالى وطلب مرضاته، وفيه تعميم للنفقة باعتبار قلتها، وكثرتها وجلالتهاوحقارتها، وباعتبار مصرفها **(إلا أجرت بها)** أي: أجرك الله بسببها، والسببية صورية، وإلا فلا سبيل للوصول للفضل إلا بمحض الفضل، **(حتى)** غاية للعموم المستفاد مما قبله باعتبار المصرف، **(ما)** أي: الذي أو شيئاً **(تجعل)** بحذف العائد المنصوب، أي: تجعله **(في في امرأتك)** أي: فمها، وإنما غيا به لأنه ربما يتوهم أنها لكونها محل قضاء الوطر أنه لا ثواب فيما يسدي إليها من الجميل، فأفاد أن كل شيء قصد به وجه الله تعالى أثيب عليه فاعله، وأخذ منه أن المباحات إذا اقترن بها النية تنتقل إلى درجة الطاعات، ويثاب عليها، فللوسائل حكم المقاصد. **(متفق عليه)** وتقدم ثمة بيان من خرجه.

٢٩٤ ــ **(وعن أبي مسعود)** عقبة بن عمرو **(البدري)** نسبة لبدر؛ لكونه سكنها الا أنه شهد وقعتها على ما تقدم فيه، وتقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب المجاهدة **(عن النبي ﷺ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر (٣/٢٦١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية، والجنائز، باب: رثي النبي ﷺ سعد بن خولة، والمغازي، باب: حجة الوداع وغيرهما (٣/١٣٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث، (الحديث: ٥).

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٩٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِمَعْنَاهُ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»(٢)(٣).

قال: إذا أنفق الرجل) المسلم، كما في رواية المشكاة، بدل قوله الرجل **(على أهله)** الذين تلزمه مؤنتهم وغيرهم **(يحتسبها)** عند الله، أي: يقصد بها وجه الله والتقرب إليه، والجملة حالية، **(فهو)** أي: المنفق الدال عليه بقوله إذا أنفق **(له صدقة)** أي: عظيمة الثواب لما فيها من أداء الواجب، وصلة الرحم الوارد فيه(٤) من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل به **(متفق عليه)**.

٢٩٥ ــ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) كذا هو بحذف الياء، وتقدم أن الأفصح بناء على كونه منقوصاً إثبات الياء **(رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: كفى بالمرء إثماً)** الباء زائدة في المفعول به، وإثماً تمييز محول عن الفاعل، والأصل كفى المرء في عظم الإثم إثم تضييع من يقوت، قال ابن رسلان: أي: لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى، وفاعل كفى هو قوله: **(أن يضيع من يقوت)** يقال قاته يقوته إذا أعطاه قوته، ويقال فيه أقاته يقيته، وروي «أن يضيع من يقيت» على لغة أقات، والمراد: أن يمنع من تلزمه نفقته من زوجة وولد ووالد ويعطي غيرهم ولو صدقة ا هـ. ولم أر من تعرض لضبط يضيع، هل هو من الأفعال أو من التفعيل، والدائر على ألسنة المشايخ الثاني **(حديث صحيح رواه أبو داود)** في آخر كتاب الزكاة **(وغيره)** فرواه النسائي في عشرة النساء، والبزار **(ورواه مسلم في صحيحه بمعناه)** وأوله عنده: «أن ابن عمرو قال لقهرمان(٥): هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم فإني سمعت رسول الله ﷺ **(قال: كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)** حذف مفعول يملك، أي: يملك القيام بأمره، وقوته

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية وأول كتاب النفقات (٩/٤٣٧). وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الزكاة، باب: في صلة الرحم، (الحديث: ١٦٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال... (الحديث: ٤٠).

(٤) قوله فيه الذي يظهر فيهما والله أعلم. ش.

(٥) القهرمان: هو الخازن القائم بحوائج الإنسان. وهو بمعنى الوكيل.

٢٩٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ما مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٩٧ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا .....

مفعول يحبس، وقال العلقمي: هو من باب التنازع وإعمال الأول وترك الإضمار في الثاني، وقال المظهري: أن يحبس مبتدأ، وكفى خبره مقدماً عليه مثل: «بئس رجلاً زيد»، أو خبر مبتدأ محذوف.

٢٩٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:** ما) نافية **(من)** مزيدة لتأكيد النفي **(يوم)** وهو شرعاً: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقوله: **(يصبح العباد فيه)** وصف توضيحي **(إلا ملكان)** مبتدأ **(ينزلان)** خبر، والجملة في محل الحال مما قبله، قال في فتح الباري: وفي حديث أبي الدرداء: «ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان بصوت يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين، يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا غربت شمسه إلا وبجنبيها ملكان يناديان» فذكر مثل حديث أبي هريرة **(فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً)** كذا في نسخ الرياض، وهو لفظ مسلم، وعند البخاري منفق مال، بالإضافة، ولبعض رواته: منفقاً مالاً **(خلفاً)** وأبهم الخلف ليتناول المال والثواب وغيرهما، قال الحافظ: وإبهامه أولى، فكم من منفق مات قبل وقوع الخلف المالي له، فيكون خلفه الثواب المعد له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك **(ويقول)** الملك **(الآخر اللهم أعط)** عبر بالعطية مشاكلة لما قبلها، وإلا فهي لا تكون في التلف **(ممسكاً تلفاً)** يحتمل تلف ذلك المال بعينه، أو تلف نفس صاحب المال، والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها، قال النووي: الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات، وقال القرطبي: هي تعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم، بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه ا هـ. **(متفق عليه)**.

٢٩٧ ــ **(وعنه)** أي: **عن** أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: اليد العليا)** قال أبو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى...﴾ الآية (٣/٣٤١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك، (الحديث: ٥٧).

Made searchable using ScribeTools.com

خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ

داود: قال الأكثر عن حماد بن زيد، هي المنفقة، وقال غير واحد عنه: هي المتعففة، وكذا قال عبد الوارث عن أيوب ا هـ. وعند أبي نعيم في المستخرج عن حماد، واليد العليا يد المعطي، وعند النسائي عن طارف المحاربي قال: «قدمنا المدينة فإذا النبي ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول يد المعطي العليا» قال الحافظ في الفتح بعد ذكر أحاديث: فهذه الأحاديث متظافرة على أن اليد العليا هي المنفقة المعطية، وأن السفلى، أي: في قوله: **(خير من اليد السفلى)** هي السائلة، وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور، وقيل: السفلى الآخذة، سواء كان بسؤال أو بغيره، وهذا أباه قوم، واستندوا إلى أن الصدقة تقع أولاً في يد الله قبل يد المتصدق عليه، قال ابن العربي؛ التحقيق أن السفلى يد السائل، أما يد الآخذ فلا؛ لأن يد الله هي المعطية ويد الله هي الآخذة، وكلتاهما عليا وكلتاهما يمين ا هـ. وفيه نظر؛ لأن البحث إنما هو في أيدي الآدميين، أما يده تعالى فباعتبار كونه مالك كل شيء نسبت يده إلى الإعطاء، وباعتبار قبوله للصدقة ورضاه بها نسبت يده إلى الأخذ ويده العليا على كل حال، أما يد الآدمي فأربعة يد المعطي، وقد تظافرت الأخبار بأنها عليا ويد السائل وقد تظافرت بأنها سفلى، سواء أخذت أم لا، وهذا موافق لكيفية الإعطاء والأخذ غالباً، وللمقابلة بين العلو والسفل المشتق منهما، ويد المتعفف عن الأخذ ولو بعد أن تمد إليه يد المعطي، وهذه توصف بالعلو المعنوي، ويد الآخذ بغير سؤال وهده قد اختلف فيها، فذهب جمع إلى أنها سفلى، وهذا بالنظر إلى الأمر المحسوس، أما المعنوي فلا يطرد، فقد تكون عليا في بعض الصور، وعليه يحمل كلام من أطلق كونها عليا، وقال ابن حبان: اليد المتصدقة أفضل من السائلة لا الآخذة بغير سؤال، وعن الحسن البصري: اليد العليا المعطية والسفلى المانعة، ولم يوافق عليه، وأطلق آخرون من المتصوفة أن اليد الآخذة أفضل من المعطية مطلقاً، وقد حكى ابن قتيبة ذلك في غريب الحديث عن قوم، ثم قال: وما أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال فهم يجنحون للدناءة، ولو جاز هذا لكان المولى من فوق من كان رقيقاً فأعتق، والمولى من أسفل من كان سيداً فأعتق ا هـ. ثم قال الحافظ بعد نقل أقوال أخر: وكل هذه التأويلات تضمحل عند الأحاديث المتقدمة المصرحة بالمراد، فأولى ما فسر الحديث بالحديث، ومحصل ما في الأحاديث المتقدمة أن أعلا الأيدي المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ثم الآخذة بغير سؤال، وأسفل ما في الأيدي السائلة والمانعة ا هـ. **(وابدأ)** في العطاء **(بمن تعول)**؛ لأنه إما واجب أو مندوب، ففيه أداء حق أو صلة رحم، **(وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً)** أي: أفضلها ما وقع عن غنى وعدم احتياج إلى

يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٣٧ ــ باب: في الإنفاق مما يحبّ ومن الجيّد

المتصدق به لنفسه أو لممونه، قال الخطابي: لفظ الظهر يزاد في مثل هذا إشباعاً للكلام، والمعنى: أفضلها ما أخرجه الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدر الكفاية لأهله وعياله، ولذا قال أولاً: «وابدأ بمن تعول» وقال البغوي: المراد غنى يستظهر به على النوائب التي تنوبه، والتنكير[٢] في غنى للتعظيم، قال الحافظ في الفتح: هذا هو المعتمد في معنى الحديث، وقيل: المراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن السؤال، وقيل: عن للسببية والظهر زائد، أي: خير الصدقة ما كان سببها غنى المتصدق ا هـ. وقال القرطبي: معنى الغنى: حصول ما تدفع به الحاجة الضرورية، كالأكل عند الجوع المشوش الذي لا صبر عليه وستر العورة ونحوه ا هـ. وقال المصنف: مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا عيال له لا يصبرون، ويكون هو أيضاً ممن يصبر على الإضاقة، فإن لم تجمع هذه الشروط كره، وأما ما يحتاج إليه ويؤدي الإيثار به إلى هلاك النفس والإضرار بها، أو كشف العورة، فلا يجوز الايثار به، فإذا سقطت هذه الحقوق الواجبة صح الإيثار وكان أفضل بشرطه، وبهذا يندفع التعارض بين الأخبار. **(ومن يستعفف)** بفك الإدغام، أي: عن السؤال **(يعفه الله)** بضم التحتية والفاء اتباعاً لحركة الضمير، أي: يصيره عفيفاً، أي: بمال يغنيه به عن الحاجة، أو بقناعة في نفسه، وقيل معناه: ومن يطلب العفة وهي الكف عن الحرام يعفه الله، أي: يصيره عفيفاً **(ومن يستغن)** بما أعطيه ويقنع به **(يغنه الله)** عن الاحتياج لما فوقه، فإن طعام الاثنين يكفي الثلاثة، والنفس معك إن أرسلتها استرسلت، وإن فطمتها وقفت وانفطمت. **(رواه البخاري)** أي: بهذا اللفظ، ولفظ مسلم أخصر كما يأتي التنبيه عليه في باب القناعة من الأصل وثمة زيادة في شرح الحديث في الشرح.

باب طلب الإنفاق مما يحب

أي: من محبوبه طبعاً، فما مصدرية، أو من الذي، أو من شيء يحبه، فما موصول اسمي، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف عليهما (ومن

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٣/٢٣٤، ٢٣٥).
(٢) قوله والتنكير الخ قال الكهرماني قال التوربشتي هو مثل قولهم هو راكب متن السلامة ونحوه من الالفاظ التي يعبر بها عن التمكن من الشيء والاستعلاء عليه والتنكير في غنى للتفخيم. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

٢٩٨ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ

الجيد) عادة، أو من الجيد بالنسبة للمدفوع إليه المحبوب عنده **(قال الله تعالى: لن تنالوا البر)** أي: لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير، أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة، **(حتى تنفقوا مما تحبون)** أي: من المال، أو مما يعمه وغيره، كبذل الجاه في معاونة الإخوان، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيله، ومن للتبعيض أو للابتداء، ويؤيد الأول أنه قرىء بعض في مكان من **(وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم)** من حلاله، أو من خياره **(ومما أخرجنا لكم من الأرض)** أي: ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن، فحذف المضاف لتقدم ذكره، وفي الإملاء الحسن: أظن والله أعلم أن أفضل ما يتصدق به الشخص ما كان من كسب يده وقد كان يذهب الواحد من الصحابة رضي الله عنهم يكتسب بنحو عمل ثم يتصدق به أو منه **(ولا تيمّموا الخبيث)** ولا تقصدوا الرديء **(منه)** أي: من المذكور، أو مما أخرجنا، وتخصيصه بذلك؛ لأن التفاوت فيه أكثر **(تنفقون)** حال مقدرة من فاعل تيمموا، ويجوز أن يتعلق منه به، ويكون الضمير للخبيث والجملة حالاً منه، قال بعضهم: من تصدق بنفيس فاز بنفيس ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[٣].

٢٩٨ ــ (وعن أنس) ابن مالك **(رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة)** زيد بن سهل **(رضي الله عنه أكثر الأنصار)** هم أولاد الأوس والخزرج، وهو اسم إسلامي، سموا به لنصرهم النبي ﷺ بالمدينة **(مالاً)** تمييز عن نسبة الأكثرية إليه **(من نخل)** بيان لمال **(وكان أحب أمواله إليه)** يجوز أن يكون مرفوعاً، اسم كان وخبرها **(بيرحاء)** ويجوز العكس، ويؤيد الأول قوله الآتي: «وإن أحب مالي إلي بيرحاء» ففيه أن مراده بيان الأحب إليه لا الحكم عليها بأنها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٣) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، جاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ وَإِنَّهَا .....

أحب إليه، وجاء في ضبط هذا اللفظ أوجه كثيرة، ضبطها في النهاية فقال: يروى بفتح الباء وبكسرها وفتح الراء وضمها وبالمد والقصر، فهذه ثمان لغات، كذا في باب الزكاة على الأقارب، من الفتح للحافظ، ونازعه تلميذه شيخ الإسلام زكريا بأن الذي في عبارة النهاية أنها بفتح الياء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيهما وبفتحهما والقصر، فجملتها خمسة لا ثمانية كما وقع لبعض الشراح، وكأنه تصرف في عبارة النهاية ا هـ. قال الحافظ: وفي رواية حماد بن سلمة: ريحا، بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتية، وفي سنن أبي داود: باريحا، مثله لكن بزيادة ألف، وقال الباجي: أفصحها بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء مقصوراً، وكذا جزم به الصاغاني، وقال: إنه فيعلا من البراح، قال: ومن ذكره بكسر الموحدة فظن أنها بئر من آبار المدينة فقد صحف، وقال القاضي عياض: رواية المغاربة إعراب الراء والقصر في حاء، وخطأ هذا الصوري، وقال الباجي: أدركت أهل العلم ومنهم أبو ذر يفتحون الراء في كل حال، زاد الصوري: وكذا الباء، أي: أوله، فانتهى الخلاف في النطق بها إلى عشرة أوجه، واختلف في حاء، هل هي اسم رجل أو امرأة أو مكان أضيفت إليه؟ أو هي كلمة زجر للإبل؟ فكأن الإبل كانت ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة المذكورة **(وكانت مستقبلة)** بكسر الموحدة **(المسجد)** النبوي **(وكان رسول الله ﷺ يدخلها)** أي: الحديقة المذكورة **(ويشرب من ماء فيها طيب)** أي: عذب، ففيه جواز دخول أهل الفضل للحوائط والبساتين والاستظلال بظلها والأكل من ثمرها والراحة والتنزه، وقد يكون ذلك مستحسناً ليترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس[1] من تعب العبادة وتنشيطها في الطاعة، **(قال أنس)** أعاد الراوي ذكره؛ لطول الكلام، وهذه عادة العرب في محاوراتها **(فلما نزلت هذه الآية)** وبينها بقوله: **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة)** قاصداً **(إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن الله سبحانه وتعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)** وهذا من أبي طلحة من باب لازم فائدة الخبر **(وإن أحب مالي إلي بيرحاء وإنهما)** لكونها أحب إلي، وقد وقف حصول البر على الإنفاق

---

(١) أي اراحتها كما في المختار. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ

من المحبوب (**صدقة لله تعالى**) أي: وقفاً على المتصدق بها عليه، ويحتمل صدقة التمليك، وهو ظاهر سياق الماجشون عن إسحاق حيث قال: فجعلها أبو طلحة في ذوي رحمه قاله الحافظ: (**أرجو برها**) أي: خيرها (**وذخرها**) بضم الذال المعجمة وبالخاء الساكنة المعجمة، هو ما يعد لوقت الحاجة إليه كما في المصباح، أي: انتفاعي بها وقت حاجتي إليها وهو يوم القيامة وسائر أوقات الشدائد، وفسره الشيخ زكريا بقوله: أي: أجرها (**عند الله**) ظرف تنازعه ما قبله (**فضعها يا رسول الله حيث أراك الله**) تفويض منه إليه في تعيين مصرفها لا في وقفيتها (**فقال رسول الله ﷺ: بخ**) بفتح الموحدة وسكون المعجمة وقد تنون مع التثقيل والتخفيف بالكسر والرفع، كلمة تقال لتفخيم الأمر والإعجاب به (**ذلك**) أي: المتصدق به (**مال رابح**) بالمثناة التحتية بعد الألف أو بالموحدة بعدها كما سيأتي. قال الحافظ: في الحديث فضيلة لأبي طلحة؛ لأن الآية تضمنت الحث على الإنفاق من المحبوب فترقى هو إلى إنفاق أحب المحبوب، فصوب ﷺ رأيه وشكر عن ربه فعله وكنى عن ذلك بقوله بخ الخ. قال البيضاوي في التفسير: وهذا يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل، وأن الآية تعم الإنفاق الواجب والمستحب ا هـ. (**وقد سمعت ما قلت**) إن كانت ما مصدرية فلا خلاف، وإن كانت موصولة فالعائد محذوف، أي: قلته، ثم أمره أن يخص بها أهله بقوله: (**وإني أرى**) من الرأي في الأمر، والجملة معطوفة على قوله وقد سمعت (**أن تجعلها**) صدقة (**في الأقربين**) أي: لك (**فقال أبو طلحة افعل**) بضم اللام على أن الضمير المستتر فيه لأبي طلحة (**يا رسول الله فقسمها أبو طلحة**) فيه[1] تعيين أحد الاحتمالين في رواية غيره، حيث وقع فيها أفعل فقسمها فإنه احتمل الأول، واحتمل أن يكون أفعل صيغة أمر، وفاعل قسمها النبي ﷺ، فانتفى الاحتمال الثاني بهذه الرواية، وذكر الحافظ ابن عبد البر أن إسماعيل القاضي رواه عن القعنبي عن مالك، فقال في روايته: فقسمها رسول الله ﷺ في أقاربه وبني عمه، قال: وقوله أقاربه، أي: أقارب أبي طلحة، قال ابن عبد البر، إضافة القسم إلى رسول الله ﷺ وإن كان شائعاً في لسان العرب على معنى أنه الآمر به، لكن أكثر الرواة لم يقولوا ذلك، والصواب رواية من قال: فقسمها أبو طلحة (**في**

---

(١) أي في قوله فقسمها الخ. ش.

عَلَيْهِ. قَوْلُهُ ﷺ: «مَالٌ رابِحٌ» رُوِيَ في الصَّحِيحَيْنِ «رَابِحٌ» وَ«رَايِحٌ» بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ: أَيْ رَايِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ. وَ«بَيْرُحَاءُ»: حَدِيقَةُ نَخْلٍ، وَرُوِيَ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا[1].

أقاربه وبني عمه) من عطف الخاص على العام، وجاء في أحاديث تبيين الأقارب، وأوضحها ما في مراسيل أبي بكر بن حزم، فرده على أقاربه أبي بن كعب وحسان بن ثابت وأخيه وابن أخيه شداد بن أوس ونبيط بن جابر، فتقارموه فباع حسان حصته من معاوية بمائة ألف درهم، وهذا موافق للاحتمال السابق من كون ذلك تمليكاً للأقارب. **(متفق عليه)** رواه البخاري في الزكاة وفي الوصايا وفي الوكالة وفي التفسير، ورواه مسلم في الزكاة، ورواه النسائي في التفسير **(قوله ﷺ: رابح مروي في الصحيحين رابح ورايح بالباء الموحدة وبالياء المثناة)** لف ونشر مرتب أو مشوش، قال المصنف: قال القاضي عياض، روايتنا فيه في كتاب مسلم بالموحدة ا هـ. وأما البخاري فرواه بالوجهين، ثم معناه بالموحدة واضح من الربح، أي: ذو ربح، وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: مربوح فيه، وأما بالتحتية فمعناه رايح عليك أجره، وبمعناه قول المصنف **(أي رايح عليه)** وفي نسخة عليك **(نفعه)** ولا يخفى ما فيه من إيهام أنه معناه على الوجهين، وليس كذلك، وقد عبر به في شرح مسلم على الصواب فقال: أما بالموحدة فمعناه ظاهر، وأما بالمثناة فمعناه رايح عليك أجره ونفعه في الآخرة ا هـ. قال ابن بطال: والمعنى أن مسافته قريبة وذلك أنفس الأموال، وقيل: معناه يروح بالأجر ويغدو به ا هـ. واكتفى بالرواح عن الغدو، وادعى الإسماعيلي أن من رواه بالتحتية فقد صحف ا هـ. ملخصاً من الفتح. وقيل: إنما عبر به لأن المراد أنه مال من شأنه الرواح، وهو الذهاب والفوات، فإذا ذهب في الخير فهو أولى **(وبيرحاء حديقة نخل)** وليس اسم بئر **(وروي بكسر الباء وفتحها)** أي: مع فتح الراء وضمها والمد والقصر كما تقدم عن الحافظ بما فيه، قال المصنف: في هذا الحديث من الفوائد أن النفقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يراعى حقها في الصلة وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد؛ لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل ذلك في الأقربين، فجعلها في أُبي بن كعب وحسان بن ثابت، وإنما يجتمعان في الجد السابع ا هـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (٣/٢٥٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٢).

Made searchable using ScribeTools.com

٣٨ ــ باب: في وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.
وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

باب وجوب أمره أهله

أي: زوجته ومستولدته **(وأولاده المميزين)** المراد منهم: ما يشمل بناته المميزات، والتذكير للتغليب وشرف الذكور **(وسائر من في رعيته)** من العبيد والإماء **(بطاعة الله تعالى)** أي: امتثال أمره ونهيه، وهي غير العبادة والقربة، والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود، والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب إليه، فالطاعة توجد بدونها في النظر المؤدي إلى معرفة الله، إذ معرفته إنما تحصل بتمام النظر، والقربة توجد بدون العبادة في القرب التي لا تحتاج إلى نية كالعتق والوقف، كذا في الأضواء البهجة[٣] **(ونهيهم)** هو وما بعده من المصادر مضاف لمفعوله، أي: نهيه إياهم **(عن المخالفة)** لأوامر الله تعالى **(وتأديبهم)** عند فعل ما لا ينبغي فعله مما لا حد فيه ولا تعزير، أما هو فيأتي به ولا تأخذه رأفة في دين الله **(ومنعهم من ارتكاب منهي عنه)** بالحيلولة بينهم وبينه، وهذا واجب في المنهي عنه المحرم، مندوب في المنهي عنه المكروه، ومثله في ذلك التأديب، فينبغي حمل الوجوب في الترجمة على ما يشمل الندب، بأن يراد به الحق المتأكد. **(قال الله تعالى: وأمر أهلك بالصلاة)** قال السيوطي في الإكليل: فيه أنه يجب على الإنسان أمر أهله من زوجة وعبد وأمة وسائر عياله بالتقوى والطاعة خصوصاً الصلاة، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب، أنه كان إذا استيقظ من الليل أقام أهله للصلاة، وتلا هذه الآية اهـ. **(وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم)** بترك المعاصي وفعل الطاعات **(وأهليكم)** بالنصح والتأديب، وقرىء **(وأهلوكم)** عطفاً على واو قوا، فتكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين **(ناراً)** التنوين فيها للتعظيم، وبين عظمها بما وصفها به من قوله: «وقودها الناس والحجارة».

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) على المنفرجة لشيخ الإسلام زكريا. ش.

٢٩٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَخْ كَخْ! ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ!» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفي رِوَايَةٍ: «إِنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ». وَقَوْلُهُ: «كَخْ كَخْ» يُقَالُ بِإِسْكَانِ الْخَاءِ، وَيُقَالُ بِكَسْرِهَا مَعَ التَّنْوِينِ، وَهِيَ كَلِمَةُ زَجْرٍ لِلصَّبِيِّ عَنِ الْمُسْتَقْذَرَاتِ، .....

---

٢٩٩ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة)** في رواية معمر: عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: «كنا عند رسول الله ﷺ وهو يقسم تمراً من تمر الصدقة والحسن في حجره» أخرجه أحمد **(فجعلها في فيه)** زاد أبو مسلم الكجي عن محمد بن زياد: فلم يفطن له النبي ﷺ حتى قام ولعابه يسيل، فضرب النبي ﷺ شدقه، وفي رواية معمر: «فلما فرغ حمله على عاتقه فسال لعابه فرفع رأسه فإذا تمرة في فيه» **(فقال رسول الله ﷺ)** زجراً له ليطرحها **(كخ كخ)** سيأتي ضبطها، ومعناه: **(ارم بها)** هذه من زيادة مسلم على البخاري، وفي رواية حماد بن سلمة عن محمد بن زياد **عن** أحمد: «فنظر إليه فإذا هو يلوك تمرة فحرك خده وقال ألقها يا بني ألقها يا بني» ويجمع بين هذين وبين قوله كخ كخ، بأنه كلمه أولاً بهما، فلما تمادى قال له كخ كخ، إشارة إلى استقذاره ذلك، ويحتمل العكس بأن يكون أعلمه بذلك، فلما تمادى نزعها من فيه **(أما علمت)** هذا لفظ مسلم، وفي رواية للبخاري: أما شعرت، وفي أخرى له في الجهاد: أما تعرف **(أنا لا نأكل الصدقة)** قال المصنف: هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم وإن لم يكن المخاطب عالماً بذلك، وتقديره: عجب كيف خفي عليك هذا مع ظهور تحريمه، وهذا أبلغ في الزجر من قوله لا تفعل **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الزكاة وفي الجهاد، ومسلم في الزكاة، والنسائي في السير **(وفي رواية)** هي لمسلم كما في الفتح **(إنا لا تحل لنا الصدقة)** قال في الفتح: وفي رواية معمر «إن الصدقة لا تحل لآل محمد» وكذا عند أحمد والطحاوي من حديث الحسن بن علي نفسه، قال: «كنت مع النبي ﷺ فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها في فيّ فأخذها بلعابها فقال إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة» وإسناده قوي، وللطبراني والطحاوي من حديث ابن أبي ليلى نحوه **(وقوله)** في الحديث: **(كخ كخ يقال بإسكان الخاء)** المعجمة مثقلة ومخففة **(ويقال بكسرها)** منونة وغير منونة، وهي بفتح الكاف في الجميع وكسرها، قال الحافظ: فيخرج من ذلك ست لغات، قلت بل ثمان **(وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات)** قيل: هي من أسماء الأصوات، وقيل من أسماء الأفعال، وأشار البخاري في

Made searchable using ScribeTools.com

وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَبِيّاً[١].

٣٠٠ ـ وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الاسَدِ رَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ غُلَامَاً فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«تَطِيشُ»:

باب من تكلم بالفارسية إلى أنها عجمية معربة، والثانية تأكيد للأولى **(وكان الحسن رضي الله عنه صبياً)** لأنه ولد بعد الهجرة بسنة.

٣٠٠ ـ **(وعن أبي حفص)** بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء، هو الأسد، وهو كنية **(عمر بن أبي سلمة)** واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي الصحابي ابن الصحابيين **(ربيب رسول الله ﷺ)** أي: ولد زوجته أم سلمة ولدته بالحبشة، وأبواه مهاجران إليها في آخر السنة الثانية من هجرة رسول الله ﷺ، روي له عن رسول الله ﷺ اثنا عشر حديثاً، روى البخاري ومسلم منها حديثين، روى عنه ابن المسيب وعروة ووهب بن كيسان وغيرهم، وتوفي سنة ثلاث وثمانين، وقد ذكرت زيادة في ترجمته في كتابي: إتحاف السائل بمعرفة رجال الشمائل **(قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ)** بفتح المهملة، أي: كنفه وحمايته، أو المراد به الحضن، وهو ما بين الإبط إلى الكشح، فيكون كقوله تعالى: ﴿ربائبكم اللاتي في حجوركم﴾[٢] **(وكانت يدي تطيش في)** نواحي **(الصحفة)** قال في المصباح: هي إناء كالقصعة، والجمع صحاف مثل كلبة وكلاب، قال الزمخشري: الصحفة قصعة مستطيلة **(فقال لي رسول الله ﷺ)** معلماً ومؤدباً **(يا غلام)** بضم الميم **(سم الله)** أمر ندب اتفاقاً **(وكل بيمينك)** ذهب الجمهور إلى أنه للندب أيضاً، وذهب بعضهم إلى وجوبه، ويؤيده ما تقدم في باب الأمر بالمحافظة على السنة «من أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك فقال: لا أستطيع فقال لا استطعت فما رفعها إلى فيه بعد» وفي الطبراني أنه ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها، فدعا عليها فأصابها طاعون فماتت، فحمله الجمهور على الزجر والسياسة، **(وكل مما يليك)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ والجهاد (٣/ ٢٨٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ... (الحديث: ١٦١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

تَدُورُ في نَوَاحِي الصَّحْفَةِ»[١].

٣٠١ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

أي: ندباً على الأصح، وقيل: وجوباً؛ لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره، قال ابن حجر الهيثمي، وانتصر له السبكي، ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم، وفي مختصر البويطي: يحرم الأكل من رأس الثريد، والأصح الكراهة، ومحل ذلك ما إذا لم يعلم رضا من يأكل معه، وإلا فلا حرمة ولا كراهة، لما ورد عن أنس من تتبعه ﷺ للدباء من حوالي القصعة، وقول البعض أنه أكل وحده مردود بأن أنساً أكل معه (ف) ـتسبب عن ذلك أنها (**ما زالت تلك طعمتي**) بكسر الطاء المهملة لبيان الهيئة، أي: صفة أكلي (**بعد**) بضم الدال، أي: بعد ذلك الأمر (**متفق عليه**) رواه البخاري ومسلم في الأطعمة، والنسائي في المحاربة واليوم والليلة، وابن ماجه في الأطعمة، وقوله: «سم الله وكل مما يليك» رواه أبو داود في الوليمة (**وتطيش تدور في نواحي الصحفة**).

٣٠١ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) ذكراً كان أو أنثى، رقيقاً أو حراً، متبرعاً أو مستأجراً (**والخادم راع في مال سيده**) فيحفظه عن أسباب التلف ولا يخون فيه (**ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته متفق عليه**) وتقدم الكلام عليه في باب حق الزوج على امرأته، وفي المغني لابن هشام: إذا أضيفت كل إلى المعرفة قالوا: يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، نحو: كلهم قائم أو قائمون، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين (٩/٤٥٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامها، (الحديث: ١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن والنكاح أيضاً (٢/٣١٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل... (الحديث: ٢٠)، تقدم تخريجه.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٠٢ ـ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» .....

يوم القيامة فرداً﴾[1] والصواب أن الضمير لا يعود إليها من خبرها إلا مفرداً مذكراً على لفظها، نحو: وكلهم آتيه، وقوله: كلكم راع ا هـ.

٣٠٢ ـ **(وعن عمرو بن شعيب)** بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق من صغار التابعين، مات سنة ثماني عشرة ومائة، خرج عنه البخاري في القدر، وأصحاب السنن الأربعة **(عن أبيه)** شعيب، وهو صدوق ثبت سماعه من جده من كبار التابعين، خرج عنه من ذكر **(عن جده)** أي: جد الأب وهو عبد الله بن عمرو **(رضي الله عنه)** قال السيوطي في حواشي سنن أبي داود: قال الدارقطني: سمعت أبا بكر النقاش يقول: عمرو بن شعيب ليس من التابعين، وقد روى عنه عشرون من التابعين، قال الدارقطني: فتبعتهم فوجدتهم أكثر من عشرين، قال ابن الصلاح: قرأت بخط الحافظ أبي موسى الطيبي في تخريج له، قال: عمرو بن شعيب ليس بتابعي، وقد روى عنه نيف وسبعون رجلاً من التابعين، وهذا وهم فإنه روى عن صحابيتين، هما الربيع بنت معوذ بن عفراء وزينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي ﷺ، فهو تابعي، وقد اختلف الحفاظ في الاحتجاج بنسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، والراجح الاحتجاج بها مطلقاً، والضمير في جده لشعيب لا لعمرو، ومحمد المذكور في النسب لا مدخل له في هذه الإسناد إلا في حديث واحد لا ثاني له، وهو ما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن الهاد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة» الحديث ا هـ. (قال: **قال رسول الله ﷺ: مروا أولادكم)** وجوباً، وسواء في ذلك الذكر والأنثى، وكذا يجب عليه أمر زوجته وخادمه **(بالصلاة)** أي: وبما تتوقف عليه؛ لأن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم بدونه **(وهم أبناء سبع)** أي: تمامها، أي: وقد ميزوا كما هو الغالب بحيث صار الصبي يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجي وحده **(واضربوهم عليها)** أي: على أدائها إن امتنعوا منه ضرباً غير مبرح ويتقى الوجه **(وهم أبناء عشر)** وقد اختلف، هل ذلك بعد تمامها أو بالدخول فيها؟ وإنما أمر بالضرب فيها؛ لأنه حد يحتمل فيه الضرب غالباً **(وفرقوا بينهم في المضاجع)** فلا يباشر المميز غيره في المضاجع، قال ابن

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٩٣، ٩٤ و٩٥.

حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(١).

٣٠٣ ــ وعنْ أَبِي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بنِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهُ عَلَيْها ابنَ عَشْرِ سِنِينَ» . . . . . .

عبد السلام: الصبي ليس مخاطباً، وأما هذا الخبر فهو أمر للأولياء؛ لأن الأمر بالأمر بالشيء ليس أمراً بذلك الشيء، قال: وقد وجد أمر الله للصبيان مباشرة على وجه لا يمكن الطعن فيه، وهو قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾(٢) ا هـ. وآخر الحديث: «وإذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة» **(حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن)** ورواه الإمام أحمد والحاكم في المستدرك.

٣٠٣ ــ (وعن أبي ثرية) بضم المثلثة وفتح الراء وبتشديد التحتية، ويقال: بفتح المثلثة وكسر الراء، والأول أكثر، وقال في أسد الغابة: والأول أصح، وقال المصنف في التهذيب: حكى ابن الأثير فتح الثاء وهو غريب، كنية **(سبرة)** بفتح المهملة الأولى وسكون الموحدة **(ابن معبد)** بفتح الميم والموحدة وسكون المهملة بينهما، قال في أسد الغابة: يقال سبرة بن معبد، ويقال سبرة بن عوسجة بن سبرة بن خديج بن مالك بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن نضر بن سعد بن دينار بن رشدان بن قيس بن جهينة **(الجهني رضي الله عنه)** ويكنى بأبي الربيع أيضاً، روى عنه الربيع في المتعة، قال المصنف في التهذيب: يكنى بأبي ثرية على المشهور، وقيل: كنيته أبو الربيع، حكاه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف، كان له دار بالمدينة، روي له عن رسول الله ﷺ تسعة عشر حديثاً، روى مسلم منها حديثاً واحداً، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: علموا الصبي)** المراد به ما يشمل الصبية؛ لأنه فعيل بمعنى فاعل، وفعيل إذا كان كذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث **(الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها)** حال كونه **(ابن عشر سنين)** فهو حال من ضمير المفعول، ويجب على الولي إذا ميز الصبي أن يعلمه ما يجب اعتقاده مما يجب ويجوز، ويستحيل في حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ وحق سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن شرائعهم نسخت كلها بشريعة نبينا ﷺ التي لا تنسخ أبداً، وأنه ﷺ محمد بن عبد الله النبي

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، (الحديث: ٤٩٥).

(٢) سورة النور، الآية: ٥٨.

Made searchable using ScribeTools.com

حديثٌ حسنٌ رَواهُ أَبو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ وقالَ حديثٌ حسنٌ، وَلَفْظُ أَبي داوُدَ: «مُرُوا الصَّبيَّ بِالْصَّلاةِ إذا بَلَغَ سَبْعَ سِنينَ»(١).

٣٩ ــ باب: في حق الجار والوصية به

قالَ اللَّهُ تعالَى: (٢)﴿وَاعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي

الرسول العربي، ولد بمكة، ومات بالمدينة، ويعلمه أحكام الشرائع ليرسخ ذلك عنده، فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر (رواه) أي: هذا الخبر، لا بخصوص هذا اللفظ لما يأتي من قوله: ولفظ أبي داود الخ (أبو داود والترمذي وقال حديث حسن) كان الأولى تقديم ذكر الترمذي؛ لأنه راوي اللفظ، وكأنه قدم أبا داود لعلو رتبة مرويه على مروي من بعده، ويعود الضمير من قوله وقال إلى أقرب مذكور (ولفظ أبي داود مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين) ليتمرن عليها ويعتادها فلا يتركها إذا بلغ إن شاء الله تعالى.

باب: حق الجار

أي: ما يستحقه (والوصية) من الشارع (به) وفي ذلك حصول الألف والتواد الذي به نظام المعاش والمعاد، وفي المصباح: الجار المجاور في السكن، والجمع جيران، وجاوره مجاورة وجواراً من باب قاتل، والاسم الجوار بالضم إذا لاصقه في السكن، وحكى ثعلب عن ابن الاعرابي: الجار هو الذي يجاورك بيتاً ببيت ا هـ. وأما الجار شرعاً: ففي الوصايا لو أوصى لجيرانه دفع لأربعين داراً من كل جانب من الجوانب الأربعة. (قال الله تعالى: واعبدوا الله) أي: وحدوه (ولا تشركوا به شيئاً) صنماً أو غيره، أو شيئاً من الشرك جلياً أو خفياً (وبالوالدين إحساناً) أي: وأحسنوا بهما إحساناً (وبذي القربى) أي: وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين) تقدم تعريفهما في باب ملاطفة اليتيم والمساكين (والجار ذي القربى) الذي قرب جواره، وقيل: الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة (الحديث: ٤٩٤).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الصبي بالصلاة (الحديث: ٤٠٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

٣٠٤ ــ وعنِ ابنِ عُمَر وعائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٠٥ ــ وعنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أَبَا ذَرٍّ إِذَا

دين، وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحفظه. **(والجار الجنب)** البعيد أو الذي لا قرابة له، وعنه عليه الصلاة والسلام: «الجيران ثلاثة، فجار له ثلاث حقوق، حق الجوار وحق القربة وحق الإسلام، وجار له حقان، حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب» **(والصاحب بالجنب)** الرفيق في أمر حسن، كتعلم وتصرف وصناعة وسفر؛ فإنه صحبك وحصل بجنبك، وقيل: المرأة **(وابن السبيل)** المسافر والضيف **(وما ملكت أيمانكم)** من العبيد والإماء.

٣٠٤ ــ (وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبريل) عليه السلام، تقدم في باب المراقبة أنه اسم سرياني، قيل: معناه عبد الرحمن، وقيل: معناه عبد الله **(يوصيني بالجار)** أي: بالاعتناء به والاحتفال بشأنه **(حتى)** من شدة ذلك **(ظننت أنه سيورثه)** فيكون سبب الإرث الجوار، كما كان سببه أول الإسلام التحالف والتعاهد حتى نسخ بآية المواريث **(متفق عليه)** واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم ليورثه بالمضارع المؤكد بالنون.

٣٠٥ ــ (وعن أبي ذر) جندب ابن جنادة، وتقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب المراقبة **(قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر)** يكتب بحذف ألف أبا الأولى تخفيفاً وينطق بها كذا، قيل: والظاهر بحذف ألف حرف النداء؛ لأن ألفه تحذف في رسم الإمام(٢) وكذا هنا إلحاقاً به **(إذا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الوصايا بالجار (١٠/٣٦٩، ٣٧٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الوصية بالجار... (الحديث: ١٤٠ ــ ١٤١).

(٢) أي في المصحف المسمى بالإمام وهو بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ ماءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرانَكَ»رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وفي رِوَايةٍ لَهُ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قالَ: إنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصانِي «إذَا طَبَخْتَ مَرَقاً فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيْرانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ»[١].

طبخت مرقة) هو الماء الذي طبخ فيه اللحم ونحوه، وتوضحها رواية ابن أبي شيبة الآتية، ولفظ المرقة هنا مجاز مرسل علاقته الأول، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾[٢] **(فأكثر ماءها)** ليكثر الائتدام بها، فإن المراد بها إساغة الخبز وتليينه وذلك يستوي فيه ضيق المرقة وواسعها **(وتعاهد)** ندباً **(جيرانك)** أي: بالإحسان إليهم منها وفعل البر معهم، وفي التعبير بالتعاهد الموضوع للمشاركة في الفعل، أي: إلى طلب ذلك من كل الجيران مع الباقين. **(رواه مسلم)** وعند ابن أبي شيبة من حديث جابر مرفوعاً، «إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق فإنه أوسع وأبلغ بالجيران» ففي الحديث الحض على مكارم الأخلاق والإرشاد لمحاسنها لما يترتب عليه من المحبة والالفة، ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة، فقد يتأذى الجار بقتار[٣] قدر جاره وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك فتهيج من صغارهم الشهوة ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيماً أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم، وكل ذلك ليندفع بتشريكهم في شيء من الطبخ، فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير **(وفي رواية له)** أي: لمسلم **(عن أبي ذر قال: إن خليلي ﷺ)** لا ينافيه حديث: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر»؛ لأن الذي لم يكن اتخاذ النبي ﷺ غير ربه خليلاً، أما اتخاذ غيره إياه خليلاً فلا، ومثله حديث أبي هريرة: «أوصاني خليلي بثلاث: أن لا أنام قبل أن أوتر...» الحديث **(أوصاني إذا طبخت مرقاً)** أي: ذا مرق من لحم وغيره **(فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها)** أي: المرقة المدلول عليها بالمرق **(بمعروف)** الباء صلة الفعل قبله، وجملة إذا طبخت تحتمل أن تكون مفسرة لقوله: أوصاني خليلي، وأن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل: ما قال لك إذ أوصاك؟ فقال: قال إذا طبخت الخ وفي قوله: «بمعروف» إيماء إلى أنه ينبغي أن يكون المرسل به إلى الجيران شيئاً به نفع في الائتدام، فإن لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره، ففي الحديث: «لا تحقرن من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الوصية بالجار (الحديث: ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٣) القتار بضم القاف وبالفوقية قال في النهاية هو ريح القدر أو الشواء ومنه حديث جابر لا تؤذ جارك بقتار قدرك. ش.

٣٠٦ ــ وَعَنْ أَبـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبـيَّ ﷺ قالَ: «واللَّهِ لا يُؤمِنُ، واللَّهِ لا يُؤمِنُ! واللَّهِ لا يُؤمِنُ» قِيلَ: مَنْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «الَّذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ» مُتَّفَقٌ عليْهِ. وفي رِوَايةٍ لِمسْلِمٍ «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنْ جارُهُ بَوائِقَهُ». «البَوائِقُ»: الغَوائِلُ والشُّرُورُ(١).

٣٠٧ ــ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «يا نِسـاءَ الْمُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لِجارَتِهَا ولَو فِرْسِنَ شَاةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ(٢).

المعروف شيئاً» ويكون المهدى إليه مأموراً بقبوله ذلك، والمكافأة عليه ولو بالشكر، فإنه وإن كان قليلاً دليل على تعلق قلب المهدي بجاره.

٣٠٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه)** كذا في نسختين من الرياض، والذي في باب إثم من لا تأمن جيرانه بوائقه من صحيح البخاري، أن الحديث عن أبي شريح **(أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن)** فيه الحلف من غير استحلاف، وتكراره لتأكيد الأمر وهو لذلك مستحب، والمراد من الإيمان المنفي الإيمان الكامل لا أصله المخرج من النار المدخل في الجنة، فذلك لا يزول بهذا **(قيل: من يا رسول الله)** هذا الذي نفي عنه الإيمان مراراً **(قال:) (هو الذي لا يأمن جاره بوائقه)** فالموصول خبر لمبتدأ محذوف **(متفق عليه)** الخبر أخرجه البخاري في الأدب واللفظ له لكن من حديث أبي سريج، كما تقدم **(وفي رواية لمسلم)** من حديث أبي هريرة رواها عنه في كتاب الإيمان، قال: إن رسول الله ﷺ قال: **(لا يدخل الجنة)** أي: مع الناجين، قال المصنف: ومعناه هذا جزاؤه، ثم قد يجازى بذلك وقد يعفو عنه فيدخلها ابتداءً أو مطلقاً إن استحل أذاه بما علم تحريمه بالضرورة **(لا من لا يأمن جاره)** وفي نسخة: «لا يؤمن جاره» **(بوائقه البوائق الغوائل)** بالغين المعجمة **(والشرور)** واحدهما بائقة، قال في شرح مسلم: وهي الغائلة والداهية.

٣٠٧ ــ **(وعنه)** أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يا نساء المسلمات)** من إضافة الموصوف إلى صفته وهو مؤول عند البصريين، أي: يا نساء الجماعة المسلمات **(لا تحقرن جارة)** معروفاً **(لجارتها ولو فرسن شاة. متفق عليه)** وتقدم الكلام عليه في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: إثم من لم يأمن جاره بوائقه (١/ ٣٧٠ ــ ٣٧١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تحريم إيذاء الجار (الحديث: ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها (الحديث: ٥/ ١٤٤ و١٤٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل (الحديث: ٩٠).

Made searchable using ScribeTools.com

٣٠٨ ــ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً في جِدَارِهِ» ثُمَّ يَقُولُ أَبو هُرَيْرَةَ: مَالي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضينَ! واللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . رُوِيَ : «خُشُبَهُ» بِالإِضَافَةِ والْجَمْعِ . وَرُوِيَ: «خَشَبَةً» بِالْتَنْوِينِ عَلَى الإِفْرَادِ. وقَوْلُهُ: مَا لي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضينَ: يَعْنِي

باب بيان كثرة طرق الخير.

٣٠٨ ــ **(وعنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يمنع)** بالجزم على أنها ناهية، ولبعض رواة البخاري بالرفع، نفي بمعنى النهي **(جار جاره)** من **(أن يغرز خشبة في جداره)** أي: لا يمنعه من ذلك في ملكه وإن تضرر هو بذلك، كأن يحدث له بها ظلام في محله ونحو ذلك، فإن المالك له أن يفعل في ملكه ما يشاء وإن آذى الجار والمار، والأكثر على أن الضمير في جداره يرجع إلى المانع، أي: لا يمنعه من غرزه في جدار نفسه؛ لأن ذلك مما يتسامح به ويتساهل فيه، وهو القول القديم للشافعي في جمع من الأئمة **(ثم يقول أبو هريرة:)** بعد روايته الحديث **(مالي)** مبتدأ، والظرف خبر **(أراكم)** جملة حالية من الضمير **(عنها)** أي: عن السنة، أو الخصلة، أو المقالة **(معرضين)** إن كانت أرى علمية فهو مفعول ثان، وإن كانت بصرية فحال، والظرف متعلق به قدم عليه، اهتماماً به واختصاصاً **(والله لأرمين بها)** أي: بهذه السنة **(بين أكتافكم)** بالفوقية جمع كتف، أي: بينكم، قال القاضي عياض: وقد رواه بعض رواة الموطأ أكنافكم بالنون، ومعناه أيضاً بينكم، والكنف الجانب، ومعنى الأول أني أصرح بها بينكم وأوجعكم بالتقريع بها، كما يضرب الإنسان بالشيء بين كتفيه **(متفق عليه روي خشبه بالإضافة)** إلى هاء الضمير **(والجمع)** لخشبة بحذف هاء الوحدة **(وخشبة بالتنوين)** مع هاء الواحدة **(على الإفراد)** قال الحافظ في الفتح: قال ابن عبد البر: روي اللفظان في الموطأ، والمعنى واحد؛ لأن المراد الجنس، وهذا متعين للجمع، وإلا فالمعنى قد يختلف باعتبار أن أمر الخشبة الواحدة أخف في مسامحة الجار، بخلاف الخشب الكثير ا هـ. قال القاضي: روينا قوله خشبة في صحيح مسلم وغيره من الأصول بالإفراد والجمع، قال: وقال الطحاوي عن روح ابن الفرج: سألت أبا زيد والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى عنه فقالوا: كلهم خشبة بالتنوين على الإفراد، وقال عبد الغني بن سعيد: كل الناس يقوله بالجمع إلا الطحاوي، وفي فتح الباري: وما ذكرته من اختلاف رواة الصحيح يرد على عبد الغني، إلا أن المراد خاصاً من الناس كالذين روى عنهم الطحاوي ا هـ. **(وقوله: ما لي أراكم عنها معرضين يعني عن هذه السنة)** قال المصنف في شرح مسلم: جاء

عَنْ هَذِهِ السُّنَّةِ(١).

٣٠٩ ــ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيومِ الآخِرِ فَلا يُؤذِي جارَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً . . . . . .

في رواية أبي داود «فنكسوا رؤوسهم فقال: ما لي أراكم أعرضتم» واختلف العلماء في معنى هذا الحديث، هل هو على الندب إلى تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره؟ أم على الإيجاب؟ وفيه قولان للشافعي ولأصحاب مالك، أصحهما في المذهبين الندب، وبه قال أبو حنيفة والكوفيون، والثاني الإيجاب، وبه قال أحمد وأبو ثور وأصحاب الحديث، وهو ظاهر الحديث، ومن قال بالندب قال: ظاهر الحديث أنهم توقفوا عن العمل فقال: ما لي أراكم عنها معرضين! وهذا يدل على أنهم فهموا منه الندب لا الإيجاب؛ وإلا لما أطبقوا على الإعراض عنه ا هـ.

٣٠٩ ــ **(وعنه أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن)** أي: إيماناً كاملاً **(بالله واليوم الآخر)** هو يوم القيامة الذي هو محل الجزاء على الأعمال حسنها وقبيحها، وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، وذكره هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه في حديث جبريل، تنبيه وإرشاد لما أشرنا إليه مما يوقظ النفس ويحركها في الهمة للمبادرة إلى امتثال جزاء هذا الشرط وما هو مثله **(فلا يؤذي جاره)** كذا هو بإثبات الياء، وهو محمول على أن لا نافية والمبتدأ مقدر قبله، والأصل: فهو لا يؤذي جاره، أي: هذا شأنه، ويجوز أن تكون ناهية وتكون الياء فيه للإشباع، وإيذاء الجار حرام. **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر)** إيماناً كاملاً **(فليكرم ضيفه)** الغني والفقير، بحسن البشر والمبادرة بما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله إلا أن يرضوا وهم بالغون عاقلون، وعليه يحمل ما ورد من الثناء على الأنصاري وامرأته في إيثارهما الضيف على أنفسهما، والضيف لغة: يشمل الواحد والجمع، من أضفته وضيفته إذا أنزلته بك ضيفاً، وضفته وتضيفته إذا نزلت عليه ضيفاً. **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل:)** اللام فيه وفي فليكرم للأمر، ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء والواو، وثم بخلافها في ليسكت، فإنها مكسورة لا غير **(خيراً)** قال الشافعي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز... الخ (٥/ ٧٩ و٨٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: المساقاة، باب: غرز الخشب في جدار الجار (الحديث: ١٣٦).

Made searchable using ScribeTools.com

أَوْ لِيَسْكُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣١٠ ــ وعنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» رَواهُ مُسْلِمٌ

لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به، فإذا ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه أتي به (**أو ليسكت**) فليطلب الصمت حتى عن المباح؛ لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه، وبفرض أنه لا يؤدي إليهما ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني، وقد ورد: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه، ومسلم في كتاب الإيمان، وهو من القواعد العظيمة؛ لأنه بين فيه جميع أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلاً، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: أنه ثلث الإسلام، وقال بعضهم: جميع آداب الخير تتفرع منه ويشار فيه إلى سائر خصال البر والصلة والإحسان؛ لأن آكدها رعاية حق الجوار، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: أنه نصف الإسلام؛ لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق، وهذا أفاد الثاني؛ لأن وصلة الخلق تستلزم رعاية جميع حقوقهم.

٣١٠ ــ (**وعن أبي شريح**) بضم الشين المعجمة وفتح الراء آخره مهملة قبلها تحتية ساكنة (**الخزاعي**) تقدمت ترجمته (**رضي الله عنه**) في باب ملاطفة اليتيم (**أن النبي ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**) ذكر حديث أبي هريرة قبل هذا؛ لأن ما في ذلك من باب الدرء والتخلية وما في هذا من باب جلب النفع والتحلية، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأشار المصنف بالجمع بينهما إلى أن كمال الإيمان لا يحصل إلا بالجمع بين الأمرين، فيكف عنه أذاه ويحسن إليه بما تصل إليه قدرته (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**) ولعل حكمة الفصل بين الجمل في هذه الرواية الإيماء إلى أن مضمون كل منها مطلوب لذاته من غير اعتبار انضمام غيره إليه وإن كان أفضل، ولذلك وصل بينهما في الروايات الأخر (**رواه مسلم**) في كتاب الإيمان من صحيحه (**بهذا اللفظ**) ورواه أحمد والترمذي (**وروى**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من: كان يؤمن بالله واليوم الآخر... (١٠/٣٧٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار... (الحديث: ٧٥).

بهَذَا اللفظِ وَرَوى البُخَارِيُّ بَعضَهُ[١].

٣١١ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَاقالتْ: قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ لي جَارَينِ فَإلى أَيِّهِمــا أُهْدي؟ قالَ «إلى أَقْرَبِهما مِنْكِ بَابَاً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٢].

٣١٢ ــ وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَاقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيْرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[٣].

البخاري بعضه) قلت: بل جميعه إلا أن في اللفظ اختلافاً يسيراً، فقال في كتاب الأدب: من الصحيح، في باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، عن أبي شريح العدوي قال: «سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، ثم فسر الجائزة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

٣١١ ــ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين) أي: وقد أمرت بإكرام الجار مطلقاً ولا أقدر على الإهداء إليهما معاً **(فإلى أيهما أهدي)** ليحصل لي الدخول في جملة القائمين بإكرام الجار **(قال إلى أقربهما منك باباً)**؛ لأنه المراد بالجار ذي القربى على أحد الأقوال، وقد قدم في الذكر على الجار الجنب اهتماماً به واعتناءً بشأنه، ففيه إيماء إلى تقديمه عند المضايقة، وباباً منصوب على التمييز **(رواه البخاري)**.

٣١٢ ــ (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خير الأصحاب عند الله) أي: أكثرهم عنده ثواباً أو أكرمهم عنده منزلة، قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٤] **(خيرهم لصاحبه)** في القيام بما ينفعه والدفع لما يؤذيه **(وخير الجيران)** ثواباً أو منزلة **(عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** ورواه أحمد والحاكم،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار... (الحديث: ٧٧).
وأخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره (١٠/٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الشفعة، باب: أي الجوار أقرب، وفي الهبة باب: بمن يبدأ بالهدية (١٠/٣٧٤).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الرجل يضع... (الحديث: ١٣٥٣).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

Made searchable using ScribeTools.com

٤٠ ــ باب: في بر الوالدين وصِلة الأرحام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَاعْبُدوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾،

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾.

وورد ما يعم ذلك في حديث: «الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعباده».

باب بر الوالدين وصلة الأرحام

أي: بيان ما ورد فيهما وما يحصل به ذلك **(قال تعالى: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)** لا صنماً ولا غيره، أو شيئاً من الشرك جلياً كان أو خفياً، فهو على الأول مفعول به، وعلى الثاني مفعول مطلق **(وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم)** تقدم الكلام على الآية في الباب قبله **(وقال تعالى: واتقوا الله)** بامتثال أوامره واجتناب منهياته، أي: اجعلوا ذلك وقاية لكم من عذابه **(الذي تساءلون به)** بإدغام إحدى التاءين في السين، وقرىء بالتخفيف على حذف إحداهما، أي: الذي يسأل بعضكم به بعضاً فيقول أحدكم: أسألك بالله **(والأرحام)** أي: واتقوا الأرحام، وقرأ حمزة: والأرحام بالخفض عطفاً على الضمير، لقولهم: أسألك بالله وبالرحم، قاله مجاهد، قال ابن عطية: وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز؛ لأنه لا يجوز عندهم العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة، كقوله:

فاذهب فما بك والأيام من عجب

لأن الضمير المخفوض لا ينفصل، فهو كحرف من الكلمة، ولا يعطف على حرف، واستشكل بعض النحاة هذه القراءة اهـ. قال السفاقسي: الصحيح جواز العطف على الضمير من غير إعادة الجار كمذهب الكوفيين، ولا ترد القراءة المتواترة لمذهب البصريين اهـ. قال الثعالبي: وهو حسن، والرازي نحوه، قلت: القراءة ثابتة ومقبولة على المذهبين؛ لكنها على قول البصريين محمولة على أن الواو للقسم والأرحام مقسم به، ولله تعالى أن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

وَقَالَ تَعَالَى [١]: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ الآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى [٢]: ﴿وَوَصَّيْنا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٣]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً

يقسم بما شاء، والله أعلم. **(وقال تعالى: والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)** قال ابن عباس: يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل، يعني يصلون بينهم بالإيمان بهم ولا يفرقون بين أحد منهم، والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم. **(الآية)** بالنصب على تقدير: أتم الآية، أو بالرفع على تقدير: الآية معلومة وتمامها ﴿ويخشون ربهم﴾[٤] أي: أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم، والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وإنما يكون ذلك على علم ما يخشى به منه، ﴿ويخافون سوء الحساب﴾[٥] قال إبراهيم النخعي: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء. **(وقال تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه حسناً)** أي: براً بهما وعطفاً عليهما، والمعنى: ووصينا الإنسان أن يحسن بوالديه إحساناً، وهذه الآية هي التي في العنكبوت، ونزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان لما أسلم وكان باراً بأمه، فقالت أمه: ما هذا الدين، والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فمكثت كذلك أياماً فجاءها سعد فقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئت أو اتركي، فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمر بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن يطيعهما في الشرك[٦]. **(وقال تعالى: وقضى ربك)** أي: أمر، قاله ابن عباس، وقيل: معناه أوجب، وحكي عن الضحاك أنه قرأ: ﴿ووصى ربك﴾ وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً وهي قراءة علي وابن مسعود، قال الإمام فخر الدين الرازي: هذا القول بعيد جداً؛ لأنه يفتح بابي التغيير والتحريف في القرآن، ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن، وذلك يخرجه عن كونه حجة، ولا شك أنه طعن عظيم في الدين **(ألا تعبدوا إلا إياه)** فيه وجوب عبادته والمنع من عبادة غيره، إذ هي نهاية التعظيم ولا تليق إلا بالمنعم المتفضل وليس ذلك لسواه **(و)** أن تحسنوا أو تفعلوا **(بالوالدين إحساناً)** أي: براً

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢١. (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤. (٤) سورة الرعد، الآية: ٢١. (٥) سورة الرعد، الآية: ٢١.

(٦) ومعنى هذا الكلام: أن على الولد أن يطيع أبواه وإن كانا مشركين، على أن تكون الطاعة معاشرة بالمعروف لقوله تعالى: ﴿وعاشرهما في الدنيا معروفا﴾، أما إذا أمراه بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكذلك إذا أجبره على الشرك فلا يطيعهما بالمعروف لقوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾.

Made searchable using ScribeTools.com

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغِيراً﴾.

بهما وعطفاً عليهما وإحساناً إليهما (**إما**) هما إن الشرطية وما الزائدة للتأكيد، ولذا أكد الفعل في قوله: (**يبلغن عندك الكبر**) مفعول مقدم (**أحدهما**) فاعل (**أو كلاهما**) معناه أن يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما عندك فيصير في الضعف والعجز كما كنت أنت عندهما كذلك أولاً (**فلا تقل لهما أف**) وهي كلمة تضجر وكراهة، وقيل: أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك شيء من تراب أو رماد نفخته لتزيله بقول «أف» ثم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل الإنسان، وفي الآية تحريم إيذائهما بالقياس الأولوي، وفي أف أربعون لغة، ذكرها في الارتشاف وحاصلها: أن الهمزة إما أن تكون مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة، فإن كانت مضمومة فاثنتان وعشرون لغة، وحاصل ضبطها أنها إما مجردة عن اللواحق أو ملحقة بزوائد، والمجردة إما أن يكون آخرها ساكناً أو متحركاً، والمتحركة الآخر إما مشددة أو مخففة، وكل منهما مثلث الآخر مع التنوين وعدمه، فهذه اثنا عشر لغة في المتحركة، والساكنة إما مشددة أو مخففة، فهذه أربع عشرة، واللاحق لها من الزوائد إما هاء السكت أو حرف المد، فإن كان هاء السكت فالفاء مثلثة مشددة، فهذه سبع عشر لغة، وإن كان حرف مد فهو إما واو أو ألف أو ياء، والفاء فيهن مشددة والألف إما مفخمة أو بالإمالة المحضة أو بين بين، فهذه خمس أخرى مع السبع عشرة، وإن كانت مكسورة فإحدى عشرة مثلثة، الفاء مخففة مع التنوين وعدمه، فهذه ست، وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيهما مع التنوين وعدمه فهذه أربع لغات، والحادية عشر أفي بالإمالة، وإن كانت مفتوحة فالفاء مشددة مع الفتح والكسر والتنوين وعدمه، والخامسة أف بالسكون، والسادسة أفي بالإمالة والسابعة أفاه بهاء السكت، فهذه السبعة مكملة للأربعين، نقله الأزهري في شرح التوضيح، قال الحافظ في فتح الباري: وإن استعمل القياس فيها بلغت السبعين لغة (**ولا تنهرهما**) أي: تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، يقال: نهره وانتهره بمعنى، ووجه الجمع بينه وبين ما قبله مع أنه يدل على هذا، أن ذاك للمنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير، وهذا للمنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد (**وقل لهما قولاً كريماً**) أي: حسناً جميلاً ليناً كما يقتضيه حسن الأدب معهما، وقيل: هو قول، يا أباه يا أماه ولا يسميهما باسمهما ولا بكناهما، وقيل: هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل للسيد الفظ الغليظ (**واخفض لهما جناح الذل**) أي: ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه (**من الرحمة**) أي:

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿وَوَصَّيْنا الْإِنْسَانَ بِوَالِـدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّـهُ وَهْنَاً عَلَى وَهْـنٍ وَفِصَـالُهُ في عَامَيْـنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

٣١٣ ــ وَعَنْ أَبِـي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، قَالَ: سَـأَلْتُ النَّبِـيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَـلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَـالَ: «الصَّـلاةُ عَلَى وَقْتِهـا» . . . . . .

الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليك الآن كما كنت مفتقراً إليهما قبل **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)** أي: وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية، وأراد إذا كانا مسلمين، أما الكافران فالدعاء منسوخ في حقهما، قال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[٢] الآية، وقيل: يدعو لهما بالهداية للإسلام، فإذا هديا إليه رحما. **(وقال تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن)** أي: شدة على شدة، وقيل: إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة؛ وذلك أن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف **(وفصاله)** أي: فطامه **(في عامين)** أي: سنتين **(أن اشكر لي ولوالديك)**[٣] قال ابن عيينة: في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر لهما.

٣١٣ ــ **(وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود)** بن غافل الهذلي **(رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله)** أي: أكثر تقرباً إليه لكونه أفضل، وفي رواية مالك بن مغول: أي العمل أفضل، وكذا لأكثر الرواة، فإن كان هذا اللفظ هو المسؤول به فلفظ حديث الباب ملزوم عنه، وتقدم الجواب عن نحو هذا الحديث مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال، بأن ذلك باختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كلاً ما هو إليه أحوج، أو هو به أليق، أو باختلاف الأوقات، أو أنه على تقدير من التبعيضية **(قال: الصلاة على وقتها)** وفي رواية لهما: لوقتها، قال القرطبي وغيره: قوله لوقتها اللام للاستقبال مثل: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾[٤] أي: مستقبلات عدتهن، وقيل: للابتداء كقوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾[٥] وقيل: بمعنى في، أي: في وقتها، وقوله: على وقتها قيل: على بمعنى

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣.
(٣) ان اشكر، نصب بوصينا، تقديره ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك، تلخيصه ووصيناه بشكرنا وشكر والديه اهـ. كواشي. ش.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٨

Made searchable using ScribeTools.com

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣١٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ» .....

اللام، ففيه ما تقدم، وقيل: الإرادة والاستعلاء على الوقت، وفائدته تحقق دخول الوقت ليقع الأداء فيه ا هـ. وفي الحديث دليل على أن الصدقة أفضل عبادات البدن بعد الشهادتين، ويشهد له الخبر الصحيح: «الصلاة خير موضوع» أي: خير عمل وضعه الله لعباده ليتقربوا به إليه **(قلت ثم)** هي لتراخي الرتبة، أي: ثم بعد الصلاة **(أي)** قال الحافظ: قيل الصواب أنه غير منون؛ لأنه موقوف عليه في الكلام، والسائل منتظر الجواب، والتنوين لا يوقف عليه، فتنوينه ووصله بما بعده خطأ، فيوقف عليه وقفة لطيفة ثم يؤتى بما بعده، قال الفاكهاني: وحكى ابن الجوزي وابن الخشاب الجزم بتنوينه، لأنه معرب غير مضاف، وتعقب بأنه مضاف تقديراً، والمضاف إليه محذوف لفظاً، والتقدير: ثم أي العمل أحب، فيوقف عليه بلا تنوينه ا هـ. **(قال: بر الوالدين)** قال ابن حجر: والظاهر أن المراد به إسداء الخير إليهما مما يلزمه، ويندب له مع إرضائهما بفعل ما يريدانه ما لم يكن إثماً، وليس ضده العقوق، بل قد يكون بينهما واسطة كما يفيده حد العقوق، بأن يفعل بهما ما يؤذيهما به إيذاءً ليس بالهين **(قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)** لإعلاء كلمة الله **(متفق عليه)**.

٣١٤ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يجزي)** قال المصنف: بفتح أوله ولا همز في آخره، أي: لا يكافي **(ولد والداً)** وإن علا، ذكراً كان أو أنثى، أي: لا يقوم بمكافأته فيما له عليه بالإحسان وقضاء الحاجات **(إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)** وأخذ أهل الظاهر من مفهوم هذا الخبر توقف عتق القريب إذا ملك على إنشاء المالك للعتق ولو أصلاً أو فرعاً، وقال جماهير العلماء: يحصل العتق في الأصل والفرع مطلقاً بمجرد الملك، سواء المسلم والكافر والقريب والبعيد والوارث وغيره، واختلف فيما وراء عمود النسب، فقال الشافعي وأصحابه: لا يعتق غيرهما بالملك، وقال مالك: تعتق الاخوة، وقال أبو حنيفة: يعتق ذوو الأرحام المحرمة، وتأول الجمهور الحديث المذكور

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المواقيت، باب: فضل الصلاة لوقتها والتوحيد (١٠/٣٣٦).
وأخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله... (الحديث: ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣١٥ ــ وَعَنْهُ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَو لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٣١٦ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ

على أنه لما تسبب في شرائه المتسبب عليه بالعتق أسند إليه (رواه مسلم) والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي، وقال صحيح، وابن ماجه.

٣١٥ ــ (وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي: إيماناً كاملاً **(فليكرم ضيفه)** وتقدم ما في الحديث في الباب قبله **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)** وتقدم الحديث في الباب قبله، قال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، قال: والأحاديث في الباب تشهد بهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وبالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يسم واصلاً، وسيأتي بيان الكلام في حد الرحم المأمور بصلتها **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)** بضم الميم، واصمت بمعناه، مضارعه يصمت، بضم الميم، قاله المصنف، واعترض بأن المسموع والقياس كسرها؛ إذ قياس فعل مفتوح العين يفعل بكسرها ويفعل بضمها دخيل فيه، كما نص عليه ابن جني، وإنما يتجه ذلك أن سبرت كتب اللغة فلم تر ما قاله، وإلا فهو حجة في النقل وهو لم يقل هذا قياساً حتى يعترض بما ذكر، وإنما قاله نقلاً كما هو الظاهر من كلامه فوجب قبوله، أي: ليسكت عما لم يظهر له فيه الخير كما تقدم بسطه في الباب قبله **(متفق عليه)**.

٣١٦ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى خلق الخلق) أي: أوجدهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: العتق، باب: فضل عتق الوالد (الحديث: ٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (١٠/٣٧٣).
وأخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان... (الحديث: ١٣٨).

Made searchable using ScribeTools.com

الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذٰلِكَ لَكِ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ[1]: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعوا أَرْحَامَكُمْ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى

واخترعهم من كتم العدم بباهر قدرته **(حتى إذا فرغ منهم)** أي: كمل خلقهم، لا أنه تعالى كان مشتغلاً بهم ثم فرغ من شغلهم، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فليست أفعاله تعالى بمباشرة ولا مناولة ولا بآلة ولا محاولة، تعالى عما يتوهمه المتوهمون ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[1] **(قامت الرحم فقالت: هذا[2] مقام العائذ بك من القطيعة)** قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى المعاني ليست بجسم، إنما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض، وسمي بذلك الاتصال رحماً والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم، ولذا سمي العقوق قطعاً والعق الشق، كأنه قطع ذلك السبب المتصل، قال: ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بذلك بأمر الله تعالى ا هـ. قال القرطبي: فالحديث محمول إما على أن ملكاً تكلم بذلك، أو على أنه لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام، فيكون على وجه الفرض، والتقدير قال المصنف: والعائذ المستعيذ وهو المعتصم بالشيء الملتجىء إليه المستجير به **(قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك[3] وأقطع من قطعك)** قال العلماء: حقيقة الصلة العطف والرحمة، وصلة الله سبحانه عباده لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته، أو إرادته ذلك **(قالت)** أي: الرحم لو كانت متكلمة، أو الملائكة المتكلمة بذلك **(بلى)** أي: رضيت به **(قال: فذلك)** بكسر الكاف فيه، وفي **(لك)** لأن المخاطب مؤنث **(ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم)**

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) الإشارة إلى القيام أي قيامي هذا قيام العائذ بك علقمي. ش.

(٣) (أصل من وصلك إلخ) قال العلقمي قال شيخ شيوخنا قال ابن أبي جمرة الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمونه ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال هو القرب وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده قال وكذا القول في القطع فهو كناية عن حرمان الإنسان ا هـ. ش.

أَبْصارَهُمْ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِيِّ: فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ وَصَلَكِ

أي: ما يدل لذلك، وجملة الشرط معترضة وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه، ومفعول اقرءوا قوله: **(فهل عسيتم)** أي: فهل يتوقع منكم، ويجوز فتح السين وكسرها، وبهما قرىء **(إن توليتم)** أمور الناس وتأمرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام **(أن تفسدوا في الأرض)** بأنواع العتو **(وتقطعوا أرحامكم)** تشاجراً على الولاية وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغادر والمقاتلة مع الأقارب، والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحق بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم، ويقول لهم: هل عسيتم، وهذا على لغة الحجاز؛ فإن بني تميم لا يلحقون الضمير بـه، وخبره أن تفسدوا، وإن توليتم، إعتراض **(أولئك)** إشارة إلى المذكورين **(الذين لعنهم الله)** لإفسادهم وقطعهم أرحامهم **(فأصمهم)** عن سماع الحق **(وأعمى أبصارهم)** فلا يهتدون إلى سبيله، وعلى القول الثاني، أي: قوله: أعرضتم وتوليتم عن الإسلام، تكون الرحم المذكورة دين الإسلام والإيمان التي قد سماها الله تعالى إخوة بقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1] وقال الفراء: نزلت هذه الآية في بني هاشم وبني أمية، قال القرطبي: وعليه فالرحم بمعنى القرابة، قال المصنف: قال القاضي عياض: وقد اختلف في حد الرحم التي تجب صلتها ويحرم قطعها، فقيل: هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعليه لا تدخل أولاد العم والخال. واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال، وقيل: هو عام في كل ذي رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي فيه المحرم وغيره، ويدل عليه قوله عليه السلام: «ثم أدناك أدناك» اهـ. قال المصنف: والقول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه قوله في الحديث في أهل مصر: «فإن لهم ذمة ورحماً» وحديث: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه» مع أنه لا محرمية، والله أعلم. قال القرطبي: ويخرج من هذا القول أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم، والصواب ما ذكرناه من أنها قرابات الرجل من جهة طرفي آبائه وإن علوا، وأبنائه وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وما يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة اهـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في كتاب البر والصلة **(وفي رواية للبخاري)** هي في كتاب الأدب أيضاً، عن أبي هريرة **(فقال الله تعالى: من**

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[١].

٣١٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ». و «الصَّحابَةُ» بِمَعْنَى: الصُّحْبَةِ. وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ أَبَاكَ» هَكَذَا هُوَ مَنْصوبٌ بِفِعلٍ مَحْذوفٍ: أَيْ ثُمَّ بِرَّ أَبَاكَ. وَفِي رِوَايَةٍ «ثُمَّ أَبُوكَ» وَهَذَا واضِحٌ[٢].

وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) فالفرق بين اللفظين، أن الأول إخبار عما يبدو في عالم الشهادة للواصل والقاطع، والثاني إخبار عما في الأزل، أي: قضيت أزلاً بوصل الواصل وقطع القاطع.

٣١٧ ـ **(وعنه رضي الله عنه قال: جاء رجل)** قيل: هو معاوية بن حيدة، وقد جاء في سنن أبي داود والترمذي عنه أنه قال: «يا رسول الله من أبر قال: أمك. . .» الحديث وفي آخره: «ثم الأقرب فالأقرب» **(إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي)** بفتح الصاد المهملة، مصدر صحب **(قال: أمك)** وذلك لضعفها وحاجتها **(قال ثم: من)** أي: الأحق بعدها **(قال)** تأكيداً للقيام بحق الأم **(أمك قال: ثم من)** الأحق بعدها **(قال:)** مبالغاً في تأكيد حق الأم **(أمك قال: ثم من)** الأحق بعدها **(قال: أبوك متفق عليه وفي رواية)** لمسلم **(يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة قال: أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك)** ثم **(أدناك والصحابة)** المذكورة في الرواية أولاً **(بمعنى الصحبة)** المذكورة في الرواية الثانية، وهي بضم الصاد **(وقوله: ثم أباك هكذا هو)** في الرواية الثانية **(منصوب بفعل محذوف)** جوازاً **(أي: ثم بر أباك)** وفيه عطف الجملة الطلبية على الجملة الخبرية، ويجوز تخريجه على أنه مرفوع بضمة على الألف على لغة القصر **(وفي رواية: ثم أبوك وهو واضح)** أي: أنه معطوف على الخبر للمبتدأ المحذوف.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من وصل وصلة الله (١٠/٣٤٩) و(١٣/٣٩٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (الحديث: ١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة (١٠/٣٣٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به (الحديث: ١).

٣١٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

---

٣١٨ ــ **(وعنه عن النبي ﷺ قال: رغم أنف)** قال في المصباح: من باب قتل ومن باب تعب لغة، وهو كناية عن الذل كأنه لصق بالرغام وهو التراب هواناً ا هـ. وفي ذيل مثلث ابن مالك لتلميذه أبي الفتح اليعلي من المثلث: الرغم مصدر رغم أنف فلان **(ثم)** للتراخي في الدعاء **(رغم أنف ثم رغم أنف من)** أي: شخص مكلف **(أدرك أبويه)** أي: حياتهما **(عند الكبر)** بكسر ففتح، قال في المصباح: كبر الصغير وغيره يكبر من باب علم كبراً بوزن عنب ا هـ. قال العاقولي: وفي رواية عنده الكبر، بزيادة هاء، قال: ومعناه على حذفها: أن يدرك هو والديه عند كبرهما وإن كانا غنيين عنه بما لهما، وعن خدمته لهما بما لهما من خادم، ومعناه على تلك الرواية أن يدركهما الكبر وهما عنده وفي مؤنته محتاجين إليه ا هـ. والتقييد به؛ لأن الابتلاء بهما حينئذ أتم؛ لمزيد حاجتهما لضعفهما فكان القيام بحقهما حينئذ آكد كما قاما بحق الابن حين مزيد حاجته وافتقاره، وإلا فوجدانهما ولو حال الشباب لهما مطلوب من الابن العناية بهما ومزيد برهما، لكن التقييد بالكبر لمزيد التأكيد لكمال الحاجة، وقوله: **(أحدهما أو كلاهما)** بالرفع فيما وقفت عليه من النسخ، وهو محتمل لكونه مبتدأ محذوف الخبر، أي: أحدهما أو كلاهما، سواء في ما ذكر أو فاعلاً لمحذوف، أي: ليستوي أحدهما أو كلاهما في ذلك، وأعربه العاقولي فاعلاً للظرف؛ لكونه حالاً، ثم حبذ كونه خبر مبتدأ محذوف و «كلاهما» معطوف عليه عليهما، قال: وهذه الجملة بيان لقوله من أدرك والديه، وقال القرطبي: الرواية الصحيحة بالنصب فيهما بدل من والديه منصوب بأدرك، قال: وقد وقع في بعض النسخ رفعهما وهو على الابتداء، ويتكلف بإضمار خبر، والأول أولى، وفيه التعقيب به دفع لتوهم قصر المذمة على من قصر في البر عند اجتماعهما دونه مع أحدهما **(فلم يدخل الجنة)** عطف على أدرك، والعطف بالفاء فيه إشعار بحصول الجنة بالفضل الإلهي للبار بأبويه أو أحدهما عقب مفارقة الحياة، وذلك بعرض مقامه عليه وتبشيره بما يؤول إليه **(رواه مسلم)** في أواخر الكتاب، والحديث عند أحمد أيضاً، ففي الجامع الصغير للسيوطي عزوه إليهما، ولفظه: «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة» وعزوه اللفظ المذكور فيه لمسلم،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: رغم أنف من أدرك أبويه... (الحديث: ٩).

Made searchable using ScribeTools.com

٣١٩ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. و«تُسِفُّهُمْ» بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ السين الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ

مراده باعتبار المعنى لا بخصوص المبنى؛ لأن الضمائر محذوفة من رواية مسلم، وعلى تلك الرواية فمن فاعل لفعل محذوف أو خبر مبتدأ محذوف، والجملة استئناف بيان لسؤال تقديره: من هو؟ والإتيان بثم فيها إيماء إلى صعوبة المقام وإبطائه، فكأنه لذلك كالبعيد الحصول فعبر فيه بذلك، قال العاقولي: معنى ثم فيه استبعاد لغفلته عن نيل مثل هذه السعادة العظيمة.

٣١٩ ــ (وعنه أن رجلاً) لم أقف على من سماه **(قال: يا رسول الله إن لي قرابة)** أي: ذوي قرابة، أي: رحم ونسب، ويقال: فيها قربى كما في المصباح **(أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم)** أي: أسدي إليهم الإحسان **(ويسيئون إليّ وأحلم)** بضم اللام **(عنهم ويجهلون علي)** يجوز أن تكون الجمل المضارعية معطوفة على اقرانها وهو الأقرب، ويحتمل أن تكون في محل الحال على تقدير مبتدأ محذوف، أي: وهم يقطعوني؛ لأن الواو الحالية لا يجوز دخولها على الجملة المضارعية المثبتة الخالية من قد إلا ضرورة نحو قوله:

علقتها عرضاً وأقتل قومها

وبإضمار المبتدأ تخرج عن ذلك، وقد جعل منه صاحب التسهيل قوله تعالى: ﴿الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾[1] أي: وهم يصدون، وحكى الأصمعي: قمت واصك عينه، أي: وأنا أصكها **(فقال)** يعني النبي ﷺ: **(لئن كنت كما قلت)** من إسداء الجميل، أي: وهم على ما ذكرت من مقابلته بضده **(فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك)** متعلق بظهير، وكذا قوله: **(من الله)** ويصح كونه في محل الحال؛ لكونه في الأصل وصفاً لظهير قدم عليه وقوله: **(ظهير)** أي: معنى، وهو كما في المصباح يطلق على الواحد والجمع، وفي التنزيل: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[2] والمظاهرة المعاونة ا هـ. اسم يزال وقوله: **(عليهم)** خبر، ويجوز أن يكون صفة، وقوله: معك أو من الله الخبر، وقوله: **(ما دمت على**

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.

الفاءِ. و «الْمَلُّ» بِفَتْحِ المِيمِ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ وَهُوَ: الرَّمادُ الْحَارُّ أَيْ كَأَنَّما تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ بِمَا يَلْحَقُ آكِلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الأَلَمِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ إِلَيْهِمْ، لَكِنْ يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّهِ وإِدْخَالِهِمُ الأَذَى عَلَيْهِ، واللَّهُ أَعْلَمُ[1].

ذلك) أي: مدة دوامك على ما ذكر، أو أنه لما كان الإحسان والحلم معطوفين على الصلة الشاملة لهما من عطف الخاص على العام، أفرد اسم الإشارة. وفي الحديث أن ما ذكر من الخصال سبب لإعانة صاحبها وتأييده وتوفيقه وتسديده، فإن المعنى فيه هو التأييد الإلهي واللطف الرباني **(رواه مسلم وتسفهم بضم التاء الفوقية وكسر السين المهملة وتشديد الفاء)** وفي المصباح: سف الدواء أكله غير ملتوت، فأشار إلى أنه تناول الجامدات غير ملتوتات **(والمل بفتح الميم وتشديد اللام وهو الرماد الحار)** أي: باعتبار المراد في الحديث، وهذا معناه مطلقاً في أحد الأقوال، ففي المصباح: الملة قيل الحفرة التي تحفر للخبز، وقيل: التراب الحار والرماد، أي: الحار كما يؤذن به كلام المصنف هنا، ويحتمل إبقاؤه على إطلاقه، ويجوز إرادة ذلك، فإن تناول الرماد من المضر وإن لم يكن حاراً **(وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم)** أي: الذنب نفسه، أو من جزائه، والثاني أنسب بقوله: **(وهو العذاب بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم)** بجامع التألم والتوجع، وهو على الأول من تشبيه معقول بمحسوس، وعلى الثاني من تشبيه محسوس بمحسوس **(ولا شيء)** بالفتح، أي: من التبعات **(على هذا المحسن إليهم)** في مقابلته لسيىء أعمالهم بإحسانه، وذكره من المصنف إطناب، إذ لم يقع منه بذلك ما يقتضي اللوم، بل زاد في الإحسان والاستدراك في قوله: **(ولكن ينالهم إثم عظيم)** دلّ على عظم تمثيله[2] بما ذكر **(بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى)** بالقصر، أي: المكروه **(عليه)** لدفع ما قد يتوهم من نفي الملامة عنهم بقرينة نفيها عنه، وإن كان الفرق كفلق الصبح **(والله أعلم)** وقال المصنف في شرح مسلم: وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تحزنهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، فهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم ا هـ. وقال العاقولي: أراد كأنما يجعل الرماد لهم في سفوف يسفونه، يعني إذا لم يشكروا فإن عطاءك إياهم حرام عليهم ونار في بطونهم ا هـ.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (الحديث: ٢٢).
(٢) قوله تمثيله بما ذكر أي تشبيهه بآكل الرماد الحار كما تقدم. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٢٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى «يُنْسَأَ لَهُ فِي

---

٣٢٠ ـ **(وعن أنس)** بن مالك **(رضي الله عنه أن رسول الله قال: من أحب)** وفي رواية: من يسره **(أن يبسط)** بالبناء للمفعول، أي: يوسع، في المصباح: بسط الله الرزق كثره ووسعه، وقال المصنف: بسطه توسيعه وكثرته، وقيل: بالبركة فيه، ونائب الفاعل أحد الظرفين في قوله: **(له في رزقه)** أي: مرزوقه مصدر بمعنى المفعول، وهو ما به النفع للحيوان، والثاني أنسب، والظرف الآخر في محل الحال، وهذا الإعراب بعينه جار في قرينه من الجملة الثانية، أعني قوله: **(وينسأ)** بهمزة آخره، أي: يؤخر **(له في أثره)** بفتح الهمزة والمثلثة، أي: أجله وسمي الأجل أثراً لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض؛ فإن من مات لا يبقى له حركة، فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر **(فليصل رحمه)** قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[1] والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه ويقربه من مولاه تعالى، ويقويه ما جاء من أنه ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطي ليلة القدر، وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضاً، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت، أو بحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلاً: كتب فيه إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، والله سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[2] فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾[3] أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة، ويعبر عنه بالقضاء المبرم، وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور، وقال الطيبي: الأول أظهر، وإليه يشير كلام صاحب

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٢) (٣) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

أثَرِهِ»: أَيْ يُؤَخَّرَ لَهُ فِي أَجَلِهِ وَعُمْرِهِ[١].

٣٢١ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، . . . . . .

الفائق، قال: ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ومن هذه المادة قول إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾[٢] وورد في تفسيره وجه ثالث، أخرج الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال: «ذكر عند رسول الله ﷺ أن من وصل رحمه أنسأله في أجله فقال: إنه ليس بزيادة في عمره قال الله تعالى: ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٣] ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده» وأخرج في الكبير من حديث أبي مشجعة، بشين معجمة ثم جيم فعين مهملة الجهيني رفعه: «أن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة. . .» الحديث وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله، وقال غيره في أعم من ذلك، وفي وجود البركة في رزقه وعمله، ونحو ذلك. (متفق عليه) ورواه أبو داود وابن ماجه كلاهما من حديث أنس أيضاً، ورواه أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة، كذا في الجامع الصغير **(ومعنى ينسأ له في أثره أي يؤخر له في أجله وعمره)** فقوله: يؤخر، تفسير لقوله: ينسأ، وقوله: في أجله وعمره، تفسير لقوله: أثره، كما علم مما تقدم، وهل التأخير فيهما على حقيقته أو مجاز مراد منه لازمه من الإمداد ودوام الثناء بعده، كل محتمل، والعبارة في الأول أظهر.

٣٢١ ــ (وعنه قال: كان أبو طلحة أكثر) بالمثلثة **(الأنصار بالمدينة مالاً)** تمييز عن نسبة الأكثرية إليه **(من نخل)** بيان للمال **(وكان أحب أمواله)** يجوز الرفع والنصب **(إليه بيرحاء[٤])**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق، والبيوع، باب: من أحب البسط في الرزق (١٠/٣٤٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (الحديث: ٢٠ ــ ٢١).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٤) قال في النهاية: وفي حديث أبي طلحة أحب أموالي إليّ بيرحاء بفتح الباء وكسرها وفتح الراء وضمها والمد فيهما وبفتحهما والقصر وهو اسم مال وموضع بالمدينة، قال الزمخشري في الفائق أنها فيعلى من البراح وهي الأرض الظاهرة اهـ. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَسَبَقَ بَيَانُ أَلْفَاظِهِ فِي بَابِ الإِنْفَاقِ مِمَّا يُحِبُّ(٢).

وكانت مستقبلة المسجد) بكسر الموحدة، أي: مقابلته وراءه **(وكان رسول الله ﷺ يدخلها)** أي: الحديقة المذكورة **(ويشرب من ماء فيها طيب)** يجوز رفع طيب فاعل الظرف؛ لاعتماده على الموصوف، وجره صفة لماء **(فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة)** وسار قاصداً **(إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى)** عما لا يليق به، وجملة: **(يقول)** في محل الخبر **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بيرحاء)** يحتمل أن يكون ذلك لعظم نماء أرضها وعظم ثمرها وكثرته، وأن يكون لمعنى آخر **(وأنها)** لكونها أحب إلي **(صدقة لله تعالى أرجو برها وأدخرها عند الله)** الجملة الفعلية محتملة لكونها خبراً بعد خبر، على حد قوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾(٣) على أحد الوجوه فيه، ولكونها حالاً حذف عاملها وصاحبها، أي: أتصدق بها حال كوني أرجو برها **(فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: بخ)** لتفخيم فعله والثناء عليه **(ذلك مال رابح ذلك مال رابح)** بالموحدة وبالهمزة، والتكرير للتأكيد؛ لأن المقام يقتضي الإطناب **(وقد سمعت ما قلت وإني أرى)** من الرأي والاجتهاد، ففيه دليل لجواز الاجتهاد منه ﷺ ووقوعه **(أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: أفعل)** أي: أصرفه لهم متبعاً لرأيك **(يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه متفق عليه وسبق بيان ألفاظه)** وبيان من خرج الحديث زيادة على من ذكره المصنف **(في باب الإنفاق مما يحب)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (٣/٢٥٧)، والوصايا والتفسير والوكالة. وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين... (الحديث: ٤٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢. (٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.

٣٢٢ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلاَهُما. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُما» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُما: . . . . . .

بالمهملة والموحدة.

٣٢٢ ــ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل) قال الشيخ زكريا: هو جاهمة بن العباس ابن مرداس، أو معاوية بن جاهمة، وقال شيخه الحافظ في الفتح: يحتمل أن يكون جاهمة بن العباس، فقد روى النسائي وأحمد من طريق معاوية بن جاهمة: «أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئت لأستشيرك فقال هل لك من أم قال: نعم قال: الزمها» الحديث ورواه البيهقي بنحوه ا هـ. فاقتصر على الأول وجعله احتمالاً، وقوله: **(إلى نبي الله ﷺ)** متعلق بأقبل **(فقال: أبايعك على الهجرة)** أي: مفارقة وطني وسكني المدينة، قال القرطبي: وهذا كان في زمن وجوب الهجرة **(والجهاد)** في سبيل الله **(أبتغي الأجر من الله تعالى)** مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان سبب المبايعة الحامل عليها **(قال: فهل من والديك)** خبر مقدم **(أحد حي)** مبتدأ، وجيء بأحد توطئة ليقوم به حي **(قال: نعم بل)** انتقال، دل عليه جوابه بنعم من حياة أحدهما إلى الإخبار بحياتهما معاً **(كليهما)** كذا هو منصوب بتقدير وجدت كليهما، ويجوز كونه مرفوعاً مبتدأ محذوف الخبر، أي: حيان، وكتبت الألف بصورة الياء، وقد نبه المصنف في شرح مسلم على أن محل ذلك كله إذا لم يحضر الصف ويتعين للقتال **(قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى)** الهمزة والمعطوف عليه مقدران قبل الفاء العاطفة، أي: أتفعل ذلك فتبتغي الأجر من الله تعالى **(قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)** أسقط الشارع عنه وجوب الهجرة تقديماً لحق أبويه، فإن الهجرة إن كانت واجبة عليه فقد عارضها ما هو أوجب منها وهو حق الوالدين، وإن لم تكن واجبة فالواجب أولى، لكن هذا إنما يصح ممن يسلم له دينه في موضعهما، أما لو خاف على دينه وجب عليه الفرار به وترك آبائه وأبنائه كما فعل المهاجرون الذين هم صفوة الله من العباد، وفي الحديث تقديم البر للوالدين على الجهاد **(متفق عليه وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما)** وهي كذلك عند البخاري في الجهاد، وعند مسلم في الأدب، ورواها أبو داود والترمذي والنسائي في الجهاد، وقال الترمذي: حسن

Made searchable using ScribeTools.com

جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِما فَجَاهِدْ»(١).

٣٢٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. و «قَطَعَتْ» بِفَتْحِ

صحيح، والبزار كذا، من الأطراف للمزي ملخصاً (**جاء رجل**) كذا في النسخة بحذف الظرف، أي: إلى النبي ﷺ، وهو ثابت في الصحيحين، والظاهر أنه اختصار من المصنف لدلالة ما قبله عليه، أو في الكتاب (**فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك**) الوصف فيه مبتدأ لاعتماده على الاستفهام، ووالداك فاعله سد مسد خبره (**قال نعم**) أي: هما حيان (**قال: ففيهما فجاهد**) وقوله: ففيهما، متعلق بالأمر، قدم للاختصاص، والفاء الأولى جزاء لشرط محذوف، والثانية جزائية لتضمن الكلام معنى الشرط، أي: إذا كان الأمر كما قلت فاخصص المجاهدة بخدمة الوالدين نحو: ﴿فإياي فاعبدون﴾(٢) فحذف الشرط وعوض عنه الظرف المفيد للاختصاص، قاله العاقولي، وقال ابن رسلان: المراد بالجهاد فيهما جهاد النفس في وصول البر إليهما بالتلطف بهما وحسن الصحبة والطاعة وغير ذلك، وتقدم أن الجهاد الأكبر جهاد النفس الأمارة بالسوء ا هـ. قال المصنف: هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما، وأنه آكد من الجهاد، وفيه حجة لما قال العلماء من أنه: لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين، أو بإذن المسلم منهما، فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه، وهذا كله حيث لم يحضر الصف ويتعين للقتال، فحينئذ يجوز بغير إذن ا هـ.

٣٢٣ ـ (وعنه عن النبي ﷺ قال: ليس الواصل) أي: الكامل الوصل (**بالمكافيء**) وقال الطيبي: أي: ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته الذي يكافيء صاحبه بمثل فعله ويعطيه نظير ما أعطاه، «قلت»: وقد أخرج عبد الرزاق عن عمر موقوفاً، ليس الواصل أن تصل من وصلك، ولكن الواصل أن تصل من قطعك (**ولكن**) قال الطيبي: الرواية فيه بالتشديد، ويجوز التخفيف (**الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**) أي: الذي إذا منع أعطي (**رواه البخاري**) وأحمد وأبو داود والنسائي كلهم من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: الجهاد بإذن الأبوين (٦/٩٧، ٩٨ و١٠/٣٣٨)، وفي الأدب، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، (الحديث: ٥ ـ ٦).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

الْقَافِ وَالطَّاءِ. و «رَحِمُهُ» مَرْفُوعٌ(١).

٣٢٤ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٣٢٥ ــ وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً

(وقطعت بفتح القاف والطاء) والعين المهملتين (ورحمه مرفوع) على الفاعلية، قال العلقمي: ضبط هكذا في أكثر الروايات، وفي بعضها بالبناء للمجهول، قال السيوطي في شرح الترمذي: المراد بالواصل في هذا الحديث الكامل، فإن في المكافأة نوع صلة بخلاف من إذا وصله قريبه لم يكافئه، فإن فيه قطعاً بإعراضه عن ذلك، وهو من قبيل: «ليس الشديد بالصرعة» وليس الغني عن كثرة العرض، ا هـ. وتعقبه العلقمي بأنه لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات، مواصل ومكافيء وقاطع، فالواصل من يبدأ بالفضل، والمكافيء من لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ(٣) فواصل، فإن جازى فمكافيء وإلا فقاطع ا هـ.

٣٢٤ ــ (وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: الرحم) بفتح الراء وكسر الحاء المهملة (معلقة بالعرش) الظاهر الحقيقة، ويحتمل أن المعنى أنها لائذة برب العرش كما تقدم حديث بذلك في الباب (تقول:) استئناف بيان (من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله) قال المصنف: قال عياض: الرحم التي توصل وتقطع معنى من المعاني، ليست بجسم إنما هي قرابة ونسب، فيكون ذكر قيامها وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة وصلها وعظيم إثم قطعها، قال: ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة يتعلق بالعرش ويتكلم على لسانها بأمر الله تعالى (متفق عليه) اقتصر في الجامع الصغير على عزوه لمسلم.

٣٢٥ ــ (وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث) الهلالية (رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: فضل صلاة العشاء في جماعة (١٠/٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من وصل وصله الله (١٠/٣٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (الحديث: ١٧).

(٣) قوله فمن بدأ فواصل الخ عبارة العلقمي فمن بدأ حينئذ فهو الواصل فإن جوزي سمى من جازاه مكافئاً وفي كلا العبارتين صعوبة ا هـ. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتي؟ قَالَ: «أَوَ فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

أي: أمة، قال في المصباح: الوليد: الصبي المولود، والجمع ولدان بالكسر، والصبية والأمة وليدة، والجمع ولائد ا هـ. **(ولم تستأذن النبي ﷺ)** فيؤخذ منه صحة تصرف الزوجة مطلقاً بغير إذن زوجها، خلافاً للإمام مالك، حيث منعه فيما زاد على الثلث إلا بإذنه **(فلما كان يومها)** بالرفع، وكان تامة **(الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت)** بفتح العين، من باب قتل كما في المصباح، أي: أعلمت **(يا رسول الله أني اعتقت وليدة)** كأن التنكير فيه لتحقيرها وتصغير شأنها من حيث إنها من عملها، وفي نسخة: وليدتي، بالإضافة للياء **(قال: أو فعلت)** أي: أعتقتها فعلت، فالواو عاطفة على مقدر بعد الهمزة، هذا ما مشى عليه في مواضع كثيرة من الكشاف والبيضاوي، فالاستفهام داخل على المتعاطفين، وجعل ابن مالك الهمزة مقدمة من تأخير، وأن العاطف كان داخلاً عليها، وإن الأصل: وأفعلت، فصدرت الهمزة لصدارتها وتقدم التنبيه على هذا في باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف وخالف قوله فعله **(قالت: نعم قال: أما)** بتخفيف الميم، أداة استفتاح **(إنك لو أعطيتها)** بكسر التاء **(أخوالك)** أي: قرابتك من جهة الأم، قال المصنف: كذا وقعت هذه اللفظة في مسلم باللام، ووقعت في رواية الأصيلي، أخواتك بالتاء، قال القاضي: ولعله أصح بدليل رواية الموطأ «أعطيتها أختك»، «قلت»: الجميع صحيح ولا تعارض، ولعله ﷺ قال ذلك كله **(كان أعظم لأجرك)** لما فيه من الصدقة مع صلة الرحم، قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: فيه أنّ هبة ذي الرحم أفضل من العتق، ويؤيده ما رواه الترمذي والنسائي وأحمد وصححه، وابن خزيمة وابن حبان من حديث سلمان ابن عامر الضبي مرفوعاً: «الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» لكن لا يلزم من ذلك أن تكون هبة ذي الرحم أفضل مطلقاً، لاحتمال أن يكون المسكين محتاجاً ونفعه متعدياً والآخر بالعكس، وقد وقع في رواية النسائي المذكورة، فقال: «أفلا فديت بها بنت أخيك من رعاية الغنم» فتبين وجه الأولوية المذكورة، وهو احتياج القريب إلى الخدمة. وليس في الحديث حجة على أن الصلة أفضل من العتق؛ لأنها واقعة عين(٢)، فالحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال كما قدرته ا هـ. **(متفق عليه)**.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: من يبدأ بالهدية (٥/١٦١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٤).

(٢) المراد واقعة حال.

٣٢٦ ــ وَعَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَاقَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي

٣٢٦ ــ **(وعن أسماء)** بالمهملة والألف الممدودة **(بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما)** اسم أمها[1] قيلة، بفتح القاف وسكون التحتية، قاله ابن ماكولا وغيره، قالوا: ويقال أيضاً: قتيلة بالقاف ثم فوقية ثم تحتية مصغراً، قال في فتح الباري: وقول الداوودي: اسمها أم بكر قال ابن التين: لعله أراد كنيتها بنت عبد العزى، ضبطه في تاريخ دمشق بخط الحافظ أبي محمد، وعلم عليه صورة راء، وفي مواضع بالزاي، كما هنا ابن سعد بن نضر بن مالك بن حسل بكسر المهملة الأولى، وسكون الثانية بن عامر بن لؤي بن غالب، وكانت أسماء أسن من عائشة وهي أختها لأبيها، وكان عبد الله بن أبي بكر شقيقها، سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين؛ لأنها صنعت للنبي ﷺ ولأبيها سفرة لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به فشقت نطاقها وشدت به السفرة، فسماها النبي ﷺ ذات النطاقين، هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فولدته بعد الهجرة، فكان أول مولود من المهاجرين ولد في الإسلام بعد الهجرة، قال عروة: بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر من عقلها شيء، روي لها عن رسول الله ﷺ فيما قيل ستة وخمسون حديثاً، «قلت»: وذكر ابن الجوزي في مختصر التلقيح أن لها ثمانية وخمسين حديثاً، قال: ولها في الصحيحين اثنان وعشرون حديثاً، اتفقا على ثلاثة عشر منها وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بأربعة ا هـ. روى عنها عبد الله بن عباس، وابناها عبد الله وعروة وعبد الله بن أبي مليكة وغيرهم، توفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير، ولم تبق بعد إنزاله من الخشبة إلا ليالي يسيرة، قيل: ثلاث، وقيل: عشر، وقيل: عشرون، وقيل: بضع وعشرون، وفي تاريخ دمشق عن ابن أبي الزناد، كانت أسماء أكبر من عائشة بعشر سنين، وعن الحافظ أبي نعيم قال: ولدت أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وكان لأبيها أبي بكر حين ولدت له إحدى وعشرون سنة، وفي تاريخ دمشق أنها شهدت غزوة اليرموك مع زوجها الزبير، وفيه عن خليفة بن خياط أنها ولدت للزبير عبد الله وعروة وعاصماً والمنذر والمهاجر وخديجة وأم حسن وعائشة، وفي طبقات ابن سعد بإسناد الصحيحين عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها، وفيها عن الواقدي: كان ابن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، أخذه عن أسماء وأخذته عن أبيها، وفي تاريخ دمشق عن مصعب ابن

---

(١) قال الكرماني في كتاب الهبة وأم أسماء هي قيلة بفتح القاف وسكون التحتانية وقال بعضهم قتيلة مصغر القتلة بالقاف والفوقانية ا هـ. ش.

Made searchable using ScribeTools.com

وهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهَا: «رَاغِبَةٌ»

الزبير قال: «فرض عمر رضي الله عنه الأعطية ففرض لأسماء ألف درهم» وفي رواية: «ففرض للمهاجرين ألفاً ألفاً منهن أم عبد وأسماء» ا هـ. من التهذيب للمصنف ملخصاً.

(قالت قدمت) بكسر الدال المهملة **(على)** أي: من مكة إلى المدينة **(أمي)** وتقدم ذكر اسمها ونسبها في ترجمة بنتها أسماء آنفاً **(وهي مشركة)** قال المصنف في التهذيب: وذكر ابن الأثير اختلاف العلماء والروايات في إسلامها، وأكثر الروايات أنها لم تسلم، ومثله في شرح مسلم **(في عهد رسول الله ﷺ)** أي: معاهدته مع المشركين وتأمينه لهم في الحديبية كما في الحديث الآتي في كلام الحافظ وغيره، وأرادت ما بين الحديبية والفتح، وقد جاء عن ابن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها فأرسلت إلى عائشة سلي رسول الله ﷺ فقال لتدخلها. . . » الحديث **(فاستفتيت رسول الله ﷺ)** هذا مجمل بينته بقولها: **(قلت قدمت على أمي)** زاد بعض رواة الحديث:

«مع أبيها» وهو كذلك في البخاري في الجزية والأدب، قال الحافظ: واسم أبيها الحارث بن مدرك بن عبيد بن عمرو بن مخزوم، ولم أر له ذكراً في الصحابة، وكأنه مات مشركاً ا هـ. وما ذكره في نسب أمها مخالف لما تقدم عن التهذيب للمصنف في ترجمة أسماء **(وهي راغبة)** جملة حالية، أي: راغبة عن الإسلام وكارهة له، وقيل: معناه طامعة فيما أعطيها حريصة عليه، وفي رواية أبي ذر: «قدمت على أمي راغبة في عهد قريش وهي راغمة مشركة» فالأول بالباء، أي: طالبة صلتي، والثاني بالميم، أي: كارهة للإسلام ساخطته، وفي فتح الباري نقل المستغفري أن بعضهم أوله فقال: وهي راغبة في الإسلام فذكرها لذلك في الصحابة، ورده أبو موسى بأنه لم يقع في شيء من الروايات ما يدل على إسلامها **(أفأصل أمي)** أي: أتصدق عليها فأصلها مع كفرها، ولا يكون ذلك من موادة الكفار وموالاتهم **(قال نعم)** وهو كاف عن قوله: **(صلي أمك)** وأتى به تأكيداً واهتماماً، زاد البخاري في الأدب: فأنزل الله عز وجل فيها: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾[1] قال الحافظ في الفتح: روى ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في ناس من المشركين كانوا ألين جانباً للمسلمين وأحسن أخلاقاً، قال الحافظ: قلت ولا منافاة بينهما فإن السبب خاص واللفظ عام فيتناول كل من كان في معنى والدة أسماء ا هـ. وفي الحديث جواز صلة القريب المشرك **(متفق عليه)** ورواه البخاري في الهبة والجزية والأدب، ومسلم في الزكاة،

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

أَي طَامِعَةٌ فِيمَا عِنْدِي تَسْأَلُني شَيْئاً. قِيلَ: كَانَتْ مِنَ الرَّضَاعَةِ. وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ[1].

٣٢٧ ــ وَعَنْ زَيْنَبَ الثَّقَفِيَّةِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْها، قَالَتْ:

وأبو داوود فيها أيضاً، كذا لخص من الأطراف للمزي **(وقولها)** أي: أسماء واصفة لأمها **(راغبة)** بالغين المعجمة والموحدة **(أي: طامعة فيما عندي تسألني شيئاً)** من الإحسان **(قيل كانت أمها من النسب وقيل من الرضاعة والصحيح الأول)** حكاية هذا الخلاف هنا مما فات شرح مسلم التنبيه عليه، قال الحافظ في الفتح: أخرج ابن سعد وأبو داود الطيالسي والحاكم من حديث عبد الله بن الزبير قال: «قدمت قتيلة، بالقاف والمثناة مصغرة، بنت عبد العزى بن سعد بن نضر بن مالك بن حسل، بكسر الحاء وسكون السين المهملتين، على ابنتها أسماء بنت أبي بكر في الهدنة، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية بهدايا زبيب وسمن وقرط، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة سلي لي رسول الله ﷺ فقال: لتدخلها...» الحديث، وعرف منه تسمية أم أسماء، وأنها أمها حقيقة، ومن قال: إنها أمها من الرضاعة فقد وهم، وأما قول الداودي: إن اسمها أم بكر فقد قال ابن التين: لعله كنيتها كما تقدم.

٣٢٧ ــ (وعن زينب الثقفية) بمثلثة وقاف مفتوحتين وفاء مكسورة، منسوبة إلى ثقيف بوزن رغيف **(امرأة)** بهمزة وصل، ويقال: مرأة بحذفها، ويقال: مرة بنقل حركة الهمزة إلى الراء، زوجة **(عبد الله بن مسعود)** الهذلي **(رضي الله عنه وعنها)** عدل عن قوله عنهما مع أنه أخصر لما يوهمه من عوده لابن مسعود وأبيه لكونهما أقرب مذكور. وفي تقديمه عليها مع تأخر ذكره إشارة إلى شرف الذكورية ومجدها، قال المصنف في التهذيب: اختلف في اسم امرأة ابن مسعود، فقال جماعة: اسمها زينب، ولعله قول الأكثرين، وهي زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفي، وقيل: اسمها رايطة، وقيل: ريطة بنت عبد الله، هكذا ذكر هذه الأقوال جماعة من العلماء منهم الخطيب البغدادي في المبهمات، وجعل ابن سعد في الطبقات زينب ورايطة امرأتين لابن مسعود، «قلت»: وبعض أهل اللغة ينكر وجود رايطة في كلام العرب، وذكر أبو عمر الزاهد في آخر شرح الفصيح عن ابن الأعرابي قال: يقال ريطة لا غير، ولم يحك عن العرب رايطة، وأفصح اللغات عائشة، وقد يقال عيشة، لغة فصيحة اهـ. ملخصاً، «قلت»: قال الحافظ في الفتح: رينب الثقفية يقال لها: رايطة أيضاً، وقع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: الهدية للمشركين (٥/١٧٠، ١٧٢ و١٠/٣٤٦، ٣٤٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٥٠).

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّساءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ»، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا

ذلك في صحيح ابن حبان، ويقال: هما ثنتان عند الأكثر، وممن جزم به ابن سعد، قال الكلاباذي: رايطة هي المعروفة بزينب، وبه جزم الطحاوي فقال: رايطة هي زينب لا نعلم لعبد الله امرأة في زمن رسول الله ﷺ غيرها، روي لها عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث، منها في الصحيحين حديثان، اتفقا على أحدهما وهو حديث الباب، وانفرد مسلم بحديث آخر، كذا في مختصر التلقيح **(قالت: قال رسول الله ﷺ: تصدقن)** أمر لجماعة النسوة كما قال: **(يا معشر النساء)** أي: جماعة النساء، ومقتضى قول المصباح: المعشر والقوم والرهط والنفر لجماعة الرجال دون النساء اهـ. استعمل في غير موضوعه؛ وكأنه لأنهن لما أمرن بالتصدق وإنما يبعث عليه الإيقان الذي هو وصف كمل الرجال كما قال ﷺ: «والصدقة برهان» خوطبن بذلك، ثم رأيت في التحفة للشيخ زكريا: المعشر كل جماعة أمرهم واحد، وفيه رد على ثعلب حيث خصه بالرجال، إلا إن أراد بالتخصيص حالة الإطلاق لا حالة تقييده **(ولو من حليكن)** قلت: يحتمل أن يكون مفرداً فيكون بفتح المهملة وبسكون اللام، وأن يكون جمعاً فيكون بضم المهملة وكسر اللام وتشديد الياء، وأصله على وزن فعول كفلس وفلوس فأعل كما في المصباح، وفي المشارق للقاضي عياض: «تصدقن ولو من حليكن» وهو ما تتحلى به المرأة وتتزين به، يقال: بفتح الحاء وسكون اللام وبضم الحاء وكسرها وكسر اللام، وقد قرىء بهما جميعاً اهـ. واختصره صاحب المطالع، ولم أقف على من ضبط الرواية فيه، وفي فتح الإله، كأن وَجْه جعْله غَايةً أن النساء لا يسمحن بالتفريط فيه إلا لمهم انحصر الخلاص فيه، كأنه يقول: الصدقة أمر مهم جداً فكما تسمحن بإخراج حليكن في الأمر المهم عند فقد غيره فاسمحن بإخراجه فيها إذا لم تجدن غيره. **(قالت: فرجعت)** بتاء المتكلم، ويحتمل أن يكون بتاء التأنيث فيكون فيه التفات على طريق السكاكي **(إلى عبد الله بن مسعود فقلت: إنك رجل خفيف ذات)** زائدة للتأكيد **(اليد)** أي: قليل المال، ولم تقله تعييراً له ولا استخفافاً بحقه، بل توطئة لقولها **(وإن رسول الله ﷺ قد أمر بالصدقة)** أي: أمر ندب بدليل الحلي فإنه لا زكاة فيه، نعم جاء أنه كان زكوياً ثم نسخت منه، فإن كان قبله فيحتمل كونه أمر إيجاب، وعلى كل فالامتثال مطلوب ولا يشكل على الوجه الثاني صرفه لأولادها؛ لأنه يجوز للمزكي صرف زكاته إلى أولاده الذين لا تلزمه نفقتهم وكذا أصوله كذلك. **(فأته فاسأله)** هل يجزىء عني التصدق عليك وعلى أولادي فأصرفها عليكم أو لا، وأفاد هذا قولها عاطفة بالفاء المفيدة لتفصيل المسؤول **(فإن كان ذلك يجزىء)** أي: يسقط

بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِيءُ عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ، فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلالٌ فَقُلْنَا لَهُ: آئْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ بِأَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالبابِ تَسْأَلانِكَ: أَتُجْزِيءُ .....

الفرض **(عني)** إن قلنا إنها زكاة، أو يجزىء في الوقاية من النار لحصول الصدقة المأمور بها إن قلنا إنها تطوع، أشار إليه الحافظ في الفتح، وجواب الشرط محذوف لدلالة المقام عليه، أي: دفعتها لكم **(وإلا صرفتها إلى غيركم)** قالت: **(فقال عبد الله: بل ائتيه أنت)** لعل ذلك منه استحياء أو بياناً أنها الأولى بالسؤال؛ لأنه أمر يتعلق بها **(فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار)** قال الحافظ في الفتح: أخرج النسائي عن ابن مسعود قال: انطلقت امرأة عبد الله يعني ابن مسعود وزينب امرأة أبي مسعود يعني عقبة بن عمرو الأنصارية، «قلت»: لم يذكر ابن سعد لأبي مسعود امرأة أنصارية سوى هذيلة بنت ثابت بن ثعلبة الأنصارية، فلعل لها اسمين أو وهم من سماها زينب انتقالاً من اسم امرأة عبد الله إلى اسمها ا هـ. وإذا للمفاجأة، والمفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافه الفعلية، كخرجت فإذا الأسد بالباب، معناه حضور الأسد معك في زمان أو مكان وصفك بالخروج، وتقدير المكان أولي؛ لأنه الذي يخصك، فهو ألصق بك من الزمان، وكلما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى، قال ابن مالك: هي حرف، وقال المبرد وغيره: هي ظرف مكان، وقال الزمخشري كالزجاج: ظرف زمان، وناصبها فاجأه ورد أن ناصبها الخبر المذكور أو المقدر، ولم تذكر في القرآن إلا وخبر المبتدأ بعدها مذكوراً **(بباب رسول الله ﷺ)** أي: واقفة به **(حاجتها حاجتي)** من التعبير البليغ **(وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة)** بفتح الميم، مصدر ميمي، أي: الهيبة وهي الإجلال، وكان فيه للاستمرار، أي: إنه مهاب[1] موقر مع ما كان عليه من عظيم حسن الخلق وبديع التواضع، حتى كان أصحابه في مجلسه يعتريهم من ذلك ما يصيرون به خاضعين خافضين رؤوسهم كأن على رؤوسهم الطير. **(فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ)** لا ينافي ذلك أنه ﷺ لم يكن له حاجب ولا بواب؛ لأن بلالاً لم يكن موقفاً لذلك وإنما صادف وقوفهما وجوده عند النبي ﷺ فأخرجه إليهما ليسألهما عن حاجتهما **(فأخبره بأن)** الباء زائدة في المفعول الثاني للتأكيد **(امرأتين)** واقفتان **(بالباب يسألانك أيجزىء)** بضم الياء، والهمزة من الإجزاء بمعنى الإسقاط، وبفتح الياء وترك الهمزة آخره

---

(١) كذا، والصواب مهيب. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

الصَّدَقَةُ عَنْهُما عَلَى أَزْواجِهِما وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا وَلَا تُخْبِرُهُ مَنْ نَحْنُ. فَدَخَلَ بِلالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرانِ: أَجْرُ الْقَرابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٢٨ ــ وَعَنْ أَبِي سُفْيانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي

بمعنى يكفي **(الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما)** أي: ولايتهما وتربيتهما **(ولا تخبره)** أي: إذا لم يسألك عنا **(من نحن)** أي: فإننا نستحيي من ذلك **(قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ: فسأله فقال له رسول الله ﷺ أي الزيانب قال امرأة عبد الله)** كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض وفيه حذف، ولفظ مسلم الذي ساق المصنف الحديث بلفظه: «فسأله فقال له رسول الله ﷺ: من هما قال: امرأة من الأنصار وزينب فقال له رسول الله ﷺ: أي الزيانب؟ فقال: امرأة عبد الله» ولفظ البخاري: «فلما صار إلى منزله جاءت زينت امرأة ابن مسعود تستأذن عليه فقيل يا رسول الله: هذه زينب فقال: أي الزيانب؟ فقيل امرأة ابن مسعود» **(فقال رسول الله ﷺ لها:)** كذا فيما رأيت بإفراد الضمير، وكأنه لتعيينها وحكم صاحبتها معلوم من ذكر حكمها؛ لأن المادة واحدة والذي في مسلم لهما بضمير التثنية، وحاصل الجواب أن ذلك يجزىء عنهما ولهما عليه **(أجران أجر القرابة)** في الأولاد، أي: أجر صلة الرحم التي تكفل الله لمن وصلها بأن يصله بما لا يقدر غيره سبحانه قدره **(وأجر الصدقة)** فيهم وفي الزوج، وفي الحديث تغليب، فإن ابن مسعود كان زوجاً فقط، وفي الحديث أن أحق الناس بصرف صدقة التطوع والزكاة والنذر والكفارة والوقف والوصية وسائر وجوه البر الأقارب، وبه أخذ أئمتنا **(متفق عليه)** واللفظ لمسلم أخرجاه في الزكاة، وأخرجه النسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الزكاة.

٣٢٨ ــ (وعن أبي سفيان) تثليث سينه المهملة والضم أشهر **(صخر)** بفتح المهملة وسكون الخاء المعجمة بعدها راء **(ابن حرب)** بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها موحدة، ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي **(رضي الله عنه)** وسبقت ترجمته والكلام على حديثه في باب الصدق **(في حديثه الطويل)** المذكور في صحيح البخاري في كتاب «بد،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الزوج والأيتام (٣/٢٥٩، ٢٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٥).

قِصَّةِ هِرَقْلَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ (يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ) قَالَ: قُلْتُ يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، واتْرُكوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٢٩ ــ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيها الْقِيراطُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «سَتَفْتَحونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيها

الوحي»، وفي صحيح مسلم في أثناء كتاب الجهاد **(في قصة هرقل)** بمنع الصرف للعلمية والعجمة **(أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا)** أي: فما الذي **(يأمركم به يعني)** أي: هرقل، مرجع الضمير المستتر في يأمركم **(النبي ﷺ)** وهذه الجملة من كلام المصنف، احتاج إليها لأنه ذكر هذه القطعة المشتملة على ضمير لم يصرح بذكر مرجعه في باقي الخبر **(قال: قلت: يقول: اعبدوا الله وحده)** أي: وحدوه **(ولا تشركوا به شيئاً)** بيان للتوحيد المأمور به، وتنكير شيء للعموم، فيشمل الشرك الأكبر وهو الكفر، والأصغر وهو الرياء، فالعبادة الكاملة ما قصد بها التقرب لوجه الله سبحانه وتعالى دون ما سواه مطلقاً **(واتركوا ما يقول آباؤكم)** من الكفر **(ويأمرنا)** من عطف الرديف باعتبار المعنى، إذ التوحيد وترك الكفر من جملة ما أمر به النبي ﷺ، وكأنه خالف بين العبارتين تفنناً، ولاختلاف نوعهما، إذ مدخول القول هو الأصول وما بعد الأمر هو الأخلاق المبنية عليها الملاحظة بعد ما تقدمها **(بالصلاة والصدق)** في الأقوال والأفعال **(والعفاف)** عن المحارم **(والصلة)** للأرحام **(متفق عليه)**.

٣٢٩ ــ (وعن أبي ذر) جندب بن جنادة، وسبقت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب المراقبة **(قال: قال رسول الله ﷺ:)** هو من الإخبار بالمغيبات، فهو من جملة الإعجاز، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ فلله الحمد **(إنكم ستفتحون)** السين لتأكيد الوعد، قال البيضاوي: لن يفعل نفي سيفعل وما يفعل نفي يفعل ا هـ. وفي المغني: زعم الزمخشري أنها، أي: السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ولم أر من فهم وجه ذلك، ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد والوعيد مقتض التوكيد ا هـ. **(أرضاً يذكر)** بالبناء للمجهول **(فيها القيراط)** قال في المصباح: أصله قراط

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أواخر كتاب بدء الوحي (١/٣٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر، (الحديث: ٢٢٦، ٢٢٧).

Made searchable using ScribeTools.com

القِيراطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِها خَيْراً، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً». وَفي رِوَايَةٍ: «فَإِذَا افْتَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِها فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً»، أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصِهْراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَالَ الْعُلَماءُ: الرَّحِمُ الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ. «والصِّهْرُ»: كَوْنَ مَارِيَةَ

لكنه أبدل من أحد المضعفين ياء للتخفيف كما في دينار ونحوه، ولهذا يرد في الجمع والتصغير إلى أصله فيقال: قراريط وقريريط، قال بعض الحساب: القيراط في لغة اليونان حبة خرنوب، وهو نصف دانق، والدانق عندهم اثنا عشر حبة، والحساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطاً؛ لأنه أول عدد له ربع وثمن ونصف وثلث صحيحات من غير كسر ا هـ. وقال المصنف: قال العلماء: القيراط جزء من الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به. **(وفي رواية)** هي لمسلم أيضاً **(ستفتحون مصر)** بمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار إرادة البقعة، سميت باسم أول من سكنها وهو مصر بن بنصر بن سام بن نوح، وحدها طولاً من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة، ومسافة ذلك قريب من أربعين يوماً، وعرضاً من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً **(وهي أرض يسمى)** أي: يذكر كثيراً **(فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً)** يحتمل أن تكون معطوفة على جملة ستفتحون بناء على جواز عطف الإنشاء على الخبر، ويحتمل الاستئناف، وتنكير خيراً للتعميم والتكثير **(فإن)** الفاء فيه للسببية، أي: بسبب أن **(لهم ذمة)** أي: ذماماً، أي: حقاً وحرمة **(ورحماً أو قال)** يعني النبي ﷺ، وهو شك من الراوي **(ذمة وصهراً)** بدل قوله ورحماً، قال في المصباح: قال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة، قال: ومن العرب من يجعل الأحماء والأختان جميعاً أصهاراً، وقال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات الأرحام، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابة المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً، وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج من أبيه وأخيه وعمه فالأحماء، ومن كان من قبل المرأة فالأختان، ويجمع الصنفين الأصهار ا هـ. ملخصاً **(وفي رواية فإذا)** أتى بها لأنها تستعمل في المحقق وقوعه بخلاف إن الشرطية **(افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها)** بأنواع الإحسان كمايؤذن به حذف المعمول ويومىء إليه قوله في الرواية السابقة خيراً **(فإن لهم ذمة ورحماً أو قال: ذمة وصهراً رواه مسلم)** في الفضائل **(قال العلماء: الرحم التي لهم)** أي: في الحديث **(كون هاجر)** بفتح الجيم وتبدل الهاء همزة وهو ممنوع الصرف للعلمية والعجمة، أو والتأنيث المعنوي **(أم إسماعيل)** بن إبراهيم **(صلى الله عليه)** وعليه **(وسلم منهم)** أي: من مصر؛ لأنها أعطاها الجبار لسارة امرأة إبراهيم

أُمِّ إِبْراهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ[١].

٣٣٠ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[٢]: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشاً فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ وقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنْقِذوا

عليه السلام لما منعته يد القدرة عنها، فأعطتها سارة إبراهيم فحملت منه بإسماعيل **(والصهر كون مارية أم إبراهيم بن)** سيداً وسيد الخلق أجمعين **(رسول الله ﷺ منهم)** لأن المقوقس صاحب مصر لما كاتبه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام لم يسلم، وأرسل بهدية إلى النبي ﷺ منها مارية وسيرين، فحملت مارية بإبراهيم، وأعطى ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري، وهذا التفسير عزاه هنا للعلماء لعدم الخلاف فيه، ولم يعزه إلى أحد في شرح مسلم؛ لأن المتفق عليه لا يحتاج إلى العزو والله أعلم.

٣٣٠ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية) المبينة بقوله: **(وأنذر عشيرتك الأقربين)** أي: قرابتك الأدنين **(دعا رسول الله ﷺ قريشاً)** هم ولد النضر بن كنانة على الصحيح **(فاجتمعوا فعم)** أي: دعاهم بما يعمهم **(رخص)** أي: خصص بعضاً بالنداء وبين كيفية التعميم والتخصيص بقوله: **(فقال: يا بني كعب بن لؤي)** بحذف تنوين كعب لفظاً وألف ابن خطاً، ومثله كل ابن وقع بين علمين ما لم يقع في ابتداء سطر **(أنقذوا أنفسكم)** أي: خلصوها **(من النار)** المترتبة على الكفر والعصيان بالإيمان بالله تعالى وطاعته وأداء عبوديته **(يا بني عبد مناف)** بكسر دال عبد؛ لأنه مركب إضافي، ومناف محول عن مناة، اسم لصنم، قال السهيلي في الروض الأنف: كانت أمه قد أخدمته مناة، وكان صنماً عظيماً لهم، وكان يسمى عبد مناة، ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناف بن كنانة، فحوله عبد مناف، ذكره البرقي والزبير **(أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم)** لقب به لهشمه الثريد لقومه، واسمه عمرو **(أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب)** قاله المطلب جد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر، (الحديث: ٢٢٦).
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

Made searchable using ScribeTools.com

أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّها بِبِلالِها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ ﷺ: «بِبِلالِها» هُوَ بِفَتْحِ الْبَاءِ الثَّانِيَةِ وَكَسْرِها. و«الْبِلالُ»: الْمَاءُ. وَمَعْنَى الحَدِيثِ: سَأَصِلُها. شَبَّهَ قَطِيعَتَها بِالحَرارةِ تُطْفَأُ بِالمَاءِ وَهَذِهِ تُبَرَّدُ بِالصِّلَةِ[1].

٣٣١ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ

الإمام الشافعي لما جاء به من المدينة مردفاً له على راحلته وعليه ثياب بذلة، فكان إذا سئل عنه يقول: عبدي حتى ألبسه قال ابن أخي فغلب عليه ذلك، واسمه كما قال السهيلي: شيبة **(أنقذوا أنفسكم من النار)** وهذا آخر ما عمم فيه، وقال مخصصاً: **(يا فاطمة)** بالضم، قال المصنف: كذا وقع في بعض الأصول، وفي بعضها أو أكثرها يا فاطم بحذف الهاء على الترخيم، وعليه فيجوز ضم الميم وفتحها كما عرف في نظائره، أي: من الانتظار وعدمه **(أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً)** قال المصنف: معناه لا تتكلوا على قرابتي، فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم **(غير)** استثناء منقطع، وترادفها في هذا المعنى والاستعمال «بَيْدَ» ومنه حديث: «نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا» والمعنى هنا لكن حصل **(أن لكم رحماً سأبلها ببلالها رواه مسلم)** في كتاب الإيمان، والنسائي في الوصايا، وذكر الحافظ في النكت الظراف أن البخاري أخرجه عقب حديث شعيب عن الزهري فقال: تابعه أصبغ عن ابن وهب ا هـ. **(قوله ﷺ: ببلالها هو بفتح الباء الثانية)** أي: التي هي أول الكلمة، أما الأولى الجارة فمكسورة لا غير **(وكسرها)** قال في شرح مسلم: ضبطناه بهما وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعة من العلماء، وقال عياض: رويناه بالكسر، قال: ورأيت للخطابي أنه بالفتح، وقال صاحب المطامع: رويناه بكسر الباء وفتحها من بله يبله **(والبلال الماء)** وفي المصباح: وقيل البلال: ما يبل به الحلق من ماء ولبن **(ومعنى الحديث سأصلها شبه قطيعتها بالحرارة)** تشبيهاً مضمراً في النفس، وأثبت لازم المشبه وهو ما تضمنه قوله: **(تطفأ)** بالبناء للمجهول **(بالماء وهذه تبرد بالصلة)** قال المصنف: ومنه حديث: «بلو الأرحام» أي: صلوها من البلل المذهب حرارتها، فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكنية، وإثبات البلال تخييل.

٣٣١ ــ (وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص) تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب بيان

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، (الحديث: ٣٤٨).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِهَاراً غَيْرَ مُسِرٍّ، يَقُولُ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلانٍ لَيْسوا بِأَوْلِيائي، إِنَّما وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤمِنينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّها بِبِلالِهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. واللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ[1].

كثرة طرق الخير (**قال: سمعت النبي ﷺ جهاراً**) منصوب على الحال، أي: حال كونه مجاهراً بالقول (**غير مسر**) ووقوع المصدر حالاً كثير، لكن مع ذلك هو سماعي، وابن العاص من العرب الذين لهم ذلك فيه، أو مفعول مطلق، أي: يجهر به جهراً، وقوله: غير مسر صفة مؤكدة (**يقول: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء**) هذا لفظ مسلم، والذي في البخاري: «إن آل أبي» قال عمرو: يعني ابن عباس شيخ البخاري «في كتاب محمد بن جعفر ــ أي شيخ عمرو ــ بياض» قال السيوطي: أي: موضع أبيض بغير كتابة اسم للمضاف إليه، قال الشيخ زكريا في التحفة: المراد بفلان أبو طالب أو أبو العاص ابن أمية، والمراد من آله من لم يسلم منهم ا هـ. وقال السيوطي: وفي مستخرج أبي نعيم: «إن آل أبي طالب» فقيل: الراوي له عنبسة بن عبد الواحد أموي من الناصبة المنحرفين على علي فلا يقبل منه هذا التعبير، وقيل: هو محمول على غير المؤمنين، وعلى كونه العاص فإنما أبهمه الراوي لخوف مفسدة تترتب على ذكره، قال الدلجي: لأن الأمر حينئذ كان في ذويه ا هـ. وفي تعليق المصابيح للدماميني: قال ابن العربي في سراج المريدين: معنى الحديث آل أبي طالب، قال: ومعناه إني لست أخص قرابتي ولا فصيلتي الأدنين بولاية دون المسلمين، وإنما رحمهم معي في الطالبية فسأبلها ببلالها، أي: أعطيها حقها، فإن المنع عند العرب يبس والصلة بل (**إنما وليي**) أي: ناصري والذي أتولاه في جميع الأمر (**الله وصالح المؤمنين**) كذا رأيته بحذف الواو من صالح على أنه مفرد مضاف اكتفى بعمومه ويؤيده آية ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[2] فالحديث على طبق الآية، فإنها دلت على حصر أوليائه فيمن ذكر، قال الكواشي في التفسير: المراد بصالح المؤمنين أبو بكر أو عمر أو هما أو علي أو كل من برىء من المؤمنين من النفاق أو هم الأنبياء، وصالح المؤمنين مفرد يراد به الجمع كقوله: ﴿السارق والسارقة﴾[3] وزعم بعضهم أنه يجوز أن يكون أصله صالحو فكتب بغير واو اتباعاً للفظ (**ولكن**) استدراك لما قد يتوهم من عدم مواصلتهم بإثباتها بقوله: (**لهم رحم أبلها ببلالها. متفق عليه**) رواه البخاري في الأدب، ومسلم في الإيمان (**واللفظ للبخاري**) ورواه البزار.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: يبل الرحم ببلالها (١٠/ ٣٥٠ و٣٥٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: موالاة المؤمنين... (الحديث: ٣٦٦).

(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٣٢ ـ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزكاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٣٣ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ

---

٣٣٢ ـ **(وعن أبي أيوب خالد بن زيد)** بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار **(الأنصاري)** الخزرجي النجاري المدني الصحابي الجليل **(رضي الله عنه)** شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ، ونزل عنده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً، وأقام عنده أشهراً حتى بنيت مساكنه ومسجده روي له عن رسول الله ﷺ مائة وخمسون حديثاً، اتفقا على سبعة منها وانفرد البخاري بحديث ومسلم بآخر، وروى عنه البراء بن عازب وجابر بن سمرة وأبو أمامة الباهلي وزيد بن خالد الجهني وابن عباس، وكلهم صحابة رضي الله عنهم، وخلائق من التابعين، توفي بأرض الروم غازياً سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: اثنين وخمسين، وقبره بالقسطنطينية حرسها الله بمنه **(أن رجلاً)** قال الشيخ زكريا: هو أبو أيوب الراوي كما قال ابن قتيبة، ولا مانع أن يبهم الراوي نفسه لغرض له، وأما تسميته في حديث آخر عن أبي هريرة عند البخاري بإعرابي فلا ينافي ذلك لجواز التعدد، وذلك الأعرابي هو ابن المنتفق، قيل: واسمه لقيط بن صبرة ا هـ. **(قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة)** برفع يدخلني على أنه صفة عمل، وجواب الأمر محذوف، أي: يثبك الله ويجوز أن يجزم على أنه جواب الأمر، وعليه فتنوين عمل للتعظيم والتفخيم ليكون بالوصف مقيداً **(فقال النبي ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً)** عطف على ما قبله مفيد لبيان العبادة المعتد بها، أو حال بإضمار مبتدأ كما تقدم في الباب نظيره **(وتقيم الصلاة)** أي: تأتي بها مستجمعة لأركانها وشرائطها وسننها **(وتؤتي)** أي: تعطي **(الزكاة وتصل الرحم)** وخص الرحم بالذكر لقربها من السائل، أو نظراً لحاله كأنه كان قاطعاً لها فأمر بصلتها؛ لأنها المهم بالنسبة إليه، وعطف الصلاة وما بعدها على العبادة من عطف الخاص على العام **(متفق عليه)** رواه البخاري في الزكاة، ومسلم في الإيمان، ورواه النسائي في كتاب الصلاة وكتاب العلم، قاله الحافظ المزي.

٣٣٣ ـ **(وعن سلمان بن عامر)** بن أوس بن حجر بن عمرو بن الحارث بن تيم بن ذهل بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة (٣/٢٠٨ و٢٠٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به... (الحديث: ١٤).

أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّـهُ بَرَكَـةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِـدْ تَمْراً فَـالْمَاءُ فَـإِنَّهُ طَهُـورٌ». وَقَالَ: «الصَّـدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَـدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الـرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَـدَقَةٌ وَصِلَةٌ» حَـدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

مالك بن سعد بن بكر بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر الضبي **(رضي الله عنه)** قال مسلم: لم يكن في الصحابة ضبي غيره، نزل البصرة وله بها دار بقرب الجامع، روى عنه محمد وحفصة ولدا سيرين، روي له عن النبي ﷺ ثلاثة عشر حديثاً، انفرد البخاري بحديث واحد، ذكره في مختصر التلقيح، واقتصر المصنف في التهذيب على أن البخاري روى عنه حديثاً واحداً **(عن النبي ﷺ قال: إذا أفطر أحدكم)** أي: أراد الفطر من صـومه **(فليفطر على تمر)** اسم جنس جمعي، فأقله ثلاثة، وهذا عند فقد الرطب، وإلا فهو مقدم عليه كما جاء من فعله ﷺ ذلك **(فإنه)** أي: التمر **(بركة)** لما فيه من حفظ البصر وجمع ما تفرق منه بالصوم، ومن أنه إذا وصل المعدة، فإن وجد فيها فضلة من بقايا الطعام أخرجها وإلا كان غذاء، وقول الأطباء: يضعف البصر محمول على كثيره المضر دون قليله **(فإن لم يجد تمراً فالماء)** بالجر، أي: فليفطر عليه كما جاء كذلك في رواية عند رواة هذا الحديث **(فإنه طهور)** أي: مزيل للخبائث المعنوية والحسية، وأخذ من هذا الحديث لإطلاق الماء، فيه رد ما قيل من تقديم زمزم لمن بمكة على التمر، فإن جمـع بينهما فحسن والتـرتيب المذكور للاستحباب، فلو أفطر بالماء مع وجود التمر حصل أصل سنة الإفطار على الماء **(وقال:)** أي: النبي ﷺ عطف على قال الأول، فهو من جملة ما رواه سلمان **(الصدقة على المسكين صدقة)** أي: ثوابها ثواب صدقة واحدة **(وعلى ذي الرحم)** أي: القرابة من الأب أو الأم وإن بعد **(ثنتان صدقة وصلة)** أي: فيها ثوابان جليلان، ثـواب الصدقـة وثواب صلة الرحم **(حديث حسن)** هذا التحسين من المصنف، وما يأتي بعد. من الترمذي، فلا تكرار؛ وذلك لأن تحسينات الترمذي ليست مسلمة له كما علم من سر كلامهم **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والدارمي، وروى الحديث عنه أبو داود أيضاً وابن عدي **(تحذف)** إلا أن قوله: «فإنه بركة» انفرد به عنهم الترمذي كما في المشكاة، وفي الجامع الصغير بعد ذكر الحديث الأول باللفظ المذكور هذا رواه ابـن عـدي وابن خزيمة وابن حبان وبعد ذكر الحديث الثـاني، ورواه الحاكـم في المستدرك.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (الحديث: ٦٥٨).

Made searchable using ScribeTools.com

٣٣٤ ـ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ وَكُنْتُ أُحِبُّهَا وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْرَهُهَا فَقَالَ لِي طَلِّقْهَا فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «طَلِّقْهَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٣٣٥ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا. فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوابِ الْجَنَّةِ»

---

٣٣٤ ـ (وعن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة) لم أقف على من سماها **(وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها)** أمره بذلك لكراهته لها، والظاهر أنها دينية، أو خشي أن تجره إلى ضرر في دينه **(فأبيت)** أي: لما لها من الحب عندي **(فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له)** أي: إبائي وامتناعي من طلاقها بعد أمره لي به **(فقال النبي ﷺ:)** من باب زيادة البر بالوالد **(طلقها)** والظاهر أنه طلقها لأنه لا يتخلف عن امتثال أمر النبي ﷺ، وكأن السكوت عن ذلك للعلم به من أحواله، وكمال اتباعه المانع ذلك من خطور البال لمخالفة أمره ﷺ **(رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح)**.

٣٣٥ ـ (وعن أبي الدرداء) عويمر تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب ملاطفة اليتيم **(أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها)** أي: وأنا لا أريد ذلك لمحبتها أو لسبب آخر **(فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول الوالد)** يشمل الأبوين وإن علوا **(أوسط أبواب الجنة)** قال أبو موسى المدني: أي: خيرها يقال هو من أوسط قومه، أي: من خيارهم، قال العراقي: والمعنى أن بره مؤد إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها، وقال العاقولي: المعنى أحسن ما يتوصل به إلى دخول الجنة بر الوالدين، وكلام العراقي أقرب، فيكون في الحديث مضاف إلى المبتدأ وآخر في الخبر **(فإن شئت فأضع ذلك الباب)** أي: بعدم برها وترك امتثال أمرها **(أو احفظ)** بذلك وإن لم يكن واجباً البر بالطلاق لكنه بر لهما وإجلال لأمرهما فامتثله، وما ذكرته من أن ما ليس واجباً أصالة لا يصير واجباً بأمرهما هو ما عليه الجمهور، فقالوا: إن أمراً بمباح في أصله صار مندوباً أو بمندوب زاد تأكد ندبه، وادعى القرطبي في المفهم أنه إذا أمراه أو أحدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، وإن لم يكن في

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في بر الوالدين (الحديث: ٥١٣٨).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الطلاق، باب: ما جاء في الرجل يسأله... (الحديث: ١١٨٩).

فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ(١).

٣٣٦ ــ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٢).

وَفِي البَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحِ .....

أصله واجباً بل كان من المباحات ثم نقل المقابل عن البعض، ثم قال: والصحيح الأول؛ لأن الله تعالى قرن طاعتهما والإحسان إليهما بوجوب عبادته وتوحيده، وكذا جاء في السنة فذكر حديث ابن عمر المذكور، ثم قال: فإن قيل: يرتفع حكم الله الأصلي بحكم غيره الطارىء، «قلت»: إنما ارتفع حكمه تعالى بحكمه: لأنه أوجب علينا طاعتهما والإحسان إليهما، وكان من ذلك امتثال أمرهما، فوجب لأنه لا يحصل ما أمر الله به إلا بالامتثال، ولأن مخالفتهما في أمرهما عقوق ا هـ. وفيه ما لا يخفى وقوله: «فإن شئت» مدرج في آخر الخبر من كلام أبي الدرداء، والحديث (**رواه الترمذي وقال: حديث صحيح**) قال في الجامع الصغير: ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

٣٣٦ ــ (**وعن البراء**) بالتخفيف والمد (**ابن عازب**) بالمهملة والزاي والموحدة (**رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:**) في عمرة القضاء، لما خرج النبي ﷺ وتبعته بنت حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها علي فأخذها بيده وقال لفاطمة: دونك بنت عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: (**الخالة بمنزلة الأم**) الحديث قال العلقمي: أي: في هذا الحكم الخاص؛ لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء لما يصلح الولد، فلا حجة فيه لمن قال: الخالة ترث، وفي حديث مرسل للباقر: «الخالة والدة وإنما الخالة أم» وهو بمعنى قوله بمنزلة الأم، أي: لا أنها أم حقيقة ا هـ. والمصنف أورده في الباب اعتباراً بعموم لفظه في طلب أنواع البر وإسداء المعروف لها كما تسدى ذلك للأم ويطلب البر لها (**رواه الترمذي وقال: حديث صحيح**) ورواه أبو داود من حديث علي بن أبي طالب، كما في الجامع الصغير (**وفي الباب**) أي: البر والصلة (**أحاديث**) جمع حديث على غير قياس، أو جمع أحدوثة بمعنى حديث، كأراجيز جمع أرجوزة، قاله في المفاتيح في شرح المصابيح كما تقدم أول الكتاب بمزيد (**كثيرة في الصحيح**) أي: للبخاري؛ لأنه صار

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الفضل... (الحديث: ١٩٠٠).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في برِّ الخالة (الحديث: ١٩٠٤).

Made searchable using ScribeTools.com

مَشْهُورَةٌ. مِنْهَا حَدِيثُ أَصْحَابِ الْغَارِ، وَحَدِيثُ جُرَيْجٍ وَقَدْ سَبَقَا، وأَحَادِيثُ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّحِيحِ حَذَفْتُهَا اخْتِصَاراً. وَمِنْ أَهَمِّهَا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كَثِيرةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الإِسْلامِ وَآدَابِهِ. وَسَأَذْكُرُهُ بِتَمامِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَابِ الرَّجَاءِ. قَالَ فِيهِ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ (يَعْني في أَوَّلِ النُّبُوَّةِ) فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ» فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ[1]، واللَّهُ أَعْلَمُ.

علماً بالغلبة في لسان المحدثين عليه، ويحتمل أنه يريد في الصحيح من الحديث المقابل للحسن والضعيف **(مشهورة منها حديث أصحاب الغار الثلاثة وحديث جريج وقد سبقا)** سبق حديث الغار في باب الإخلاص، وحديث جريج في باب: فضل ضعفة المسلمين **(وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصاراً)** وقد ذكر كثيراً منها المنذري في ترغيبه **(ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة)** بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة **(الطويل)** صفة حديث **(المشتمل على جمل كثيرة)** بالمثلثة، تأكيد لمدلول جمل وتنوينه **(من قواعد الإسلام)** أي: أصولها وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته **(وآدابه)** جمع أدب وهو كالسنة في الطلب، وإن تفاوت تأكيداً كما في الروضة، وتقدم تعريف الأدب أول الكتاب **(وسأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى في باب الرجاء، قال فيه: دخلت على النبي ﷺ بمكة)** وقوله: **(يعني: في أول النبوة)** هذا مدرج لبيان زمن دخوله ووصوله **(فقلت له: ما أنت)** المسؤول عنه وصفة، فلذلك أجبله ﷺ بقوله: **(قال: نبي)** أي: أنا نبي، ومراده به الرسول، فهو من إطلاق النبي بالمعنى الشامل للرسول كما يدل عليه قوله: أرسلني الله **(قلت: وما نبي)** أي: ما حقيقة هذا اللفظ ومدلوله **(قال)** بيان لما يؤخذ منه ذلك **(أرسلني الله)** حذف المرسل لأجله للتعميم، وليسأل عنه السائل فيصل إليه بعد الطلب فيكون أقر عنده **(فقلت: بأي شيء أرسلك قال:)** أرسلني **(بصلة الأرحام)** أي: بالأمر بها والحث عليها، وذلك داع لدوام الاتصال وترك التقاطع والانفصال **(وكسر الأوثان)** جمع وثن، قيل: هي الأصنام، وقيل: أعم، أي: إزالتها **(وأن يوحد)** بالبناء للمفعول **(الله)** حال كونه **(لا يشرك به شيء وذكر)** عمرو **(تمام الحديث)** في باب الرجاء إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عبسة (الحديث: ٢٩٤).

٤١ ــ باب: في تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

المراد من العقوق عقوق الوالدين أو أحدهما، وهو من الكبائر، مأخوذ من العق، وهو لغة: القطع والمخالفة، وشرعاً: قيل: ضابطه أنه تعصيه في جائز، وليس هذا الإطلاق بمرضي، وقال بعضهم: طالما بحثت عن ضابطه فلم أجده، والذي آل إليه كلام أئمتنا أن ضابطه أن يفعل معه ما يتأذى به تأذياً ليس بالهين، لكن، هل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى أن ما تأذى به كثيراً وهو عرفاً بخلاف ذلك كبيرة، أو بالنسبة للعرف، فما عده أهله مما لا يتأذى به كثيراً ليس بكبيرة وإن تأذى كثيراً كل محتمل ولم يبينوه، والذي يظهر أن المراد الثاني؛ بدليل أنه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم يلزمه طاعته، وإن تأذى بذلك كثيراً فعلمنا أنه ليس المناط وجود التأذي الكثير، بل أن يكون ذلك من شأنه أنه يتأذى به كثيراً، وقطيعة الرحم ضد صلته، وتقدم في الباب قبله ما تعرف منه، وكذا تقدم فيه في حديث أبي هريرة أوائل الكلام على ما يتعلق بقول المصنف.

(قال الله تعالى: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. وقال تعالى: والذين ينقضون عهد الله) أي: ما عهده الله إليهم من التكاليف والأحكام **(من بعد ميثاقه)** أي: ما أوثقوه به من الإقرار والقبول. وفي رسالة الاستعارة للخوجة أبي القاسم السمرقندي: جوز صاحب الكشاف كونه، أي: الأمر الذي أثبت للمشبه من خواص المشبه به استعارة تحقيقية في بعض المواد، كما في قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾[٣] استعير الحبل المضمر في النفس للعهد بجامع الوصلة على سبيل الكناية، واستعير النقض لإبطاله، أي: إبطال العهد على سبيل التصريح بجامع مطلق الإبطال اهـ. **(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)** بدل من

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

Made searchable using ScribeTools.com

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

٣٣٧ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

الضمير المجرور، والمراد به الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء، ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس **(ويفسدون في الأرض)** بالظلم وتهييج الفتن **(أولئك لهم اللعنة)** للبعد من الله سبحانه **(ولهم سوء الدار)** عذاب جهنم، أو سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبى الدار، وتقدم الكلام في الباب قبله على قوله **(وقال تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)** فيه استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)** والكاف في كما يحتمل أن تكون للتعليل، كما في قوله تعالى: ﴿كما هداكم﴾[2] على أحد الأقوال، وحينئذ فيحتمل أن يكون لبيان سبب دعائك لهما، ويحتمل أن يكون للتنظير، والمراد: رحمة تامة بالغة كما بالغا جهدهما في تربيتي حال صغري وانقطاعي، ثم كان اللائق بالترجمة تقديم هذه الآية؛ لأن فيها النهي عن العقوق بالتصريح وبالقياس الأولوي وباللازم من الأمر بالبر والإحسان إليهما، إذ الأمر بالشيء نهي عن ضده، والآيتان في القطيعة، إلا أن يقال: إنهما شاملان للعقوق؛ لأنه من قطع الأرحام ومن قطع ما أمر الله به أن يوصل، فذكر له من الكتاب دليلاً شاملاً لتحريمه وتحريم غيره من القطيعة، ثم ذكر ما يخصه اهتماماً به.

٣٣٧ ـ (وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث) سبقت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب النية أول الكتاب **(قال: قال رسول الله ﷺ: ألا)** حرف استفتاح، وأتى بها ليتنبه المخاطب من غفلته ليتوجه لسماع ما يلقى إليه فيقر في قلبه، ولذا إنما يؤتى بها فيما يهتم بأمره **(أنبئكم بأكبر الكبائر)** جمع كبيرة، والصحيح هل الصواب أن من الذنوب صغائر وكبائر؟ وأن للكبيرة حداً، فالمختار أنها ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو في السنة وإن لم يكن فيه، وهو بمعنى قول إمام الحرمين: كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وقلة الديانة، ومن أحسن ما ألف فيها وأجمع كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لشيخ شيوخنا المحقق شهاب

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلاثاً. قُلْنَا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: «الإِشراكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَقَالَ: «أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الـزُّورِ!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا . . . . . .

الدين أحمد بن حجر الهيثمي رحمه الله **(قلنا: بلى يا رسول الله)** فائدته مع عدم الاحتياج إليه الإشارة إلى عظيم الإذعان لرسالته وما ينشأ منها من بيان الشريعة، وإلى استجلاء شيء من كمالاته وعلومه التي أوتيها بعد رسالته **(قال: الإشراك بالله)** أي: الكفر بأنواعه **(وعقوق الوالدين)** أو أحدهما، وجمعهما لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالباً أو يجر إليه، وتقدم تعريفه أول الباب، «فإن قلت»: أكبر الكبائر لا يكون إلا واحداً وهو الشرك، فكيف تعدد هنا؟ وأيضاً فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق، فلم حذفا وذكر هو؟ «قلت»: إدعاء أن الأكبر لا يكون إلا واحداً، إنما هو إن أريد الحقيقة، أما إن أريد الأكبر النسبي فهو يكون متعدداً، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها وإلى أمثالها النبي ﷺ بقوله: «اتقوا السبع الموبقات. . .» الحديث، وحينئذ فالأكبر هنا لتعدده في الجواب مراداً به الأمر النسبي، وإنما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث؛ لأنه علم من أحاديث أخر أن ذلك من أكبر الكبائر، على أنه ﷺ كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين، وعليه يحمل اختلاف الأحاديث نحو: «أفضل الأعمال الصلاة» وأخرى: «أفضل الأعمال الجهاد» وأخرى: «أفضل الأعمال بر الوالدين» وغير ذلك من نظائر له لا تخفى **(وكان متكئاً فجلس)** تنبيهاً على عظم ثم وقبح شهادة الزور، فيفيد تأكيد تحريمه وتعظيم قبحه وسبب الاهتمام به حتى جلس بعد اتكائه سهولة وقوع الناس فيه وتهاونهم به، فإن الاشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرفه عنه الطبع، والحوامل على الزور كثيرة جداً. كالعداوة والحسد، فاحتيج إلى الاهتمام بشأنه؛ لأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف ما معه فقاصرة عليه **(فقال: ألا وقول الزور)** يحتمل كون الواو استئنافية لعظم قبح هذا الذنب ومزيد إثمه، ويحتمل أنها عاطفة على محذوف، أي: اتركوا ما ذكر من الكبائر وقول الزور، وهو الكذب على الغير **(وشهادة الزور)** قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون من الخاص بعد العام، لكن ينبغي أن يحمل على التوكيد، فإنا لو حملنا القول على إطلاقه لزم كون الكذبة الواحدة كبيرة، وليس كذلك، قال: ولا شك أن عظم الذنب ومراتبه متفاوتة بتفاوت مفاسده، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[1] **(فما زال يكررها)** أي: هذه الكلمة باعتبار المعنى اللغوي، أو الشهادة؛ لأنها أقرب مذكور،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٢.

Made searchable using ScribeTools.com

حَتَّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٣٣٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «الْيَمِينُ الْغَمُوسُ»: الَّتِي يَحْلِفُهَا كَاذِبًا عَامِدًا. سُمِّيَتْ غَمُوسًا لأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي الإِثْمِ[٢].

٣٣٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ

وقول الزور بمعناه **(حتى قلنا ليته سكت)** أي: شفقة عليه وكراهية لما يزعجه وخشية أن يجري على لسانه ما يوجب نزول البلاء عليهم، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه **(متفق عليه)** رواه البخاري في مواضع من صحيحه أولها الشهادات، ورواه مسلم في الإيمان، ورواه الترمذي في مواضع من جامعه، منها البر ومنها الشهادات، وقال: حسن صحيح.

٣٣٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) بإثبات الياء كما هو الأفصح كما تقدم **(رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكبائر)** أي: منها والاقتصار عليها، كأنه لاقتضاء المقام، ذكرها لتقصير بعض الحاضرين في شأنها، أو لكونها أعظم الكبائر إثماً وأشدها جرماً **(الإشراك)** أي: الكفر **(بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس)** التي حرم الله قتلها عدواناً **(واليمين الغموس)** بالغين المعجمة والسين **(رواه البخاري)** وأحمد والترمذي والنسائي كما في الجامع الصغير **(اليمين الغموس)** المذكور في الخبر **(التي يحلفها)** أي: الحالف، نظيره قوله تعالى: ﴿اعدلوا هو﴾[٣] أي: العدل **(كاذباً عامداً)** حال من فاعل يحلف **(سميت غموساً)** بفتح الغين **(لأنها تغمس الحالف في الإثم)** لأنه حلف كاذباً على علم منه، فغموس فعول بمعنى فاعل كما في المصباح.

٣٣٩ ـ (وعنه أن رسول الله ﷺ قال: من الكبائر) أي: بعضها، ولا ينافي ما تقدم، وما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور وغيره (١٠/٣٤٢ و٣٤٥). وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (الحديث: ١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: اليمين الغموس والمرتدين والديات وغيرها (١١/٤٨٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

وَالِدَيْهِ!» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»(١).

٣٤٠ ــ وَعَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ .....

بعده أنه من أكبرها لأنه لا يخرج بذلك عن كونها بعضاً منها **(شتم الرجل)** أي: المكلف، ومثله المكلفة **(والديه)** بفتح الدال، أي: أمه وأباه، ويلحق بهما في ذلك من له عليه ولادة من أصوله، ولو قرىء بكسر الدال على الجمع لشملهم، إلا أن تمنع منه الرواية، ويدل على الشبه قوله: يسب أبا الرجل... الخ **(قالوا: يا رسول الله وهل يشتم)** بكسر التاء، ففي المصباح: أنه من باب ضرب **(الرجل والديه)** استفهام استبعاد أن يصدر ذلك من ذي عقل ولب، فإن من كان ذلك شأنه تدعوه معرفة حقهما إلى القيام ببرهما وشكرهما فضلاً عن الوقوع في شتمهما، فهو استبعاد لوقوع ذلك الموصوف بالرجولية المعربة عن الكمال **(قال: نعم)** أي: يشتم، لكن بالتسبب فيه لا بالمباشرة **(يسب أبا الرجل فيسب)** أي: المسبوب أبوه **(أباه)** أي: أبا الساب **(ويسب أمه فيسب أمه. متفق عليه)** قال السيوطي في المرقاة: قال النووي: فيه تحريم الوسائل والذرائع **(وفي رواية)** أي: لهما أيضاً عنه، وقد رواها كذلك البخاري في الأدب، ومسلم في الأيمان، ورواها أبو داود في الأدب، والنسائي في الزينة، وقال: صحيح، ذكره الحافظ المزي، لكن لم يذكر أن في أوله **(إن ن أكبر الكبائر)** أي: النسبية وهي كذلك متعددة كما تقدم، أما أكبر الكبائر فالشرك بالله **(أن يلعن الرجل والديه)** هذا إسناد مجازي؛ لأنه سبب للعنهما كما بينه بقوله: **(قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه)** وهو السبب في وجوده والقائم بمصالحه عند كمال ضعفه وحاجته **(قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)** كأن حكمة تقديم الأب في الذكر أن الغالب عدم ذكر النساء حتى في مقام المدح، ولذا قيل: سترة الحرم من الكرم.

٣٤٠ ــ (وعن أبي محمد) ويقال: أبو عدي **(جبير)** بضم الجيم وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء **(ابن مطعم)** بصيغة الفاعل من أطعم، ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه (١٠/٣٣٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (الحديث: ١٤٥).

Made searchable using ScribeTools.com

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سُفْيانُ في رِوَايَتِهِ: يَعْني قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٤١ ــ وَعَنْ أَبِي عِيسَى الْمُغيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

قصي القرشي النوفلي **(رضي الله عنه)** أسلم عام خيبر، وقيل: يوم فتح مكة، روي له عن رسول الله ﷺ ستون حديثاً، اتفقا على ستة منها وانفرد البخاري ومسلم بحديث، روى عنه سليمان بن صرد الصحابي وابناه محمد ونافع وسعيد بن المسيب وآخرون، قال الزبير ابن بكار: وكان من حكماء قريش وساداتهم، توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقال قتيبة: سنة تسع وخمسين ا هـ. من التهذيب للمصنف. **(أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة قاطع)** أي: مع الفائزين الناجين، أو أبداً إن كان مستحلاً للقطيعة مع علمه بتحريمها **(قال سفيان:)** هو ابن عيينة **(في روايته)** لهذا الحديث، فإن الحديث عندهما من طريقه ومن طريق عقيل ومن طريق مالك ومن طريق عبد الرزاق أربعتهم عن الزهري عن جبير، ذكره الحافظ المزي في الأطراف **(يعني)** النبي ﷺ بقوله: **(قاطع)** المجمل المحتمل لمعان قاطع **(الرحم)** وكأنه لعظم إثمه ومزيد الاعتناء به لا ينصرف هذا اللفظ إلا إليه ادعاء.

٣٤١ ــ (وعن أبي عيسى) ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد **(المغيرة)** قال ابن السكيت وآخرون من أهل اللغة: بضم الميم وكسرها، والضم أشهر **(ابن شعبة)** بن أبي عامر ابن مسعود بن أبي معتب، بالعين المهملة المفتوحة، ابن مالك بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بفتح المعجمة والصاد المهملة والفاء، ابن قيس بن عيلان، بالمهملة، ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الثقفي الكوفي **(رضي الله عنه)** أسلم عام الخندق، وروي له عن النبي ﷺ مائة وستة وثلاثون حديثاً، اتفقا على تسعة منها، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين، روى عنه أبو أمامة الباهلي والمسور بن مخرمة وفزة المزني الصحابيون، ومن التابعين جماعات، ولاّه عمر البصرة مدة ثم نقله عنها فولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل فأقره عثمان عليها ثم عزله، وشهد اليمامة وفتح الشام، وذهبت عينه يوم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: إثم القاطع (١٠/٣٤٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (الحديث: ١٨ ــ ١٩).

«إِنَّ اللَّهَ حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقوقَ الأُمَّهـاتِ، وَمَنْعاً وَهـاتِ، وَوَأْدَ الْبَناتِ.

اليرموك، وشهد القادسية وفتح نهاوند، وكان على ميسرة النعمان بن مقرن واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان، وشهد الحكمين، واستعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها حتى توفي بها سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، وهو أول من وضع ديوان البصرة ا هـ. ملخصاً من التهذيب. (عن النبي ﷺ قال: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات) اقتصر عليهن مع تحريم عقوق الآباء أيضاً؛ لأن الاستخفاف بين أكثر لضعفهن وعجزهن بخلاف الآباء، ولينبه على تقديم برّهن على برّ الأب في التلطف والخير ونحو ذلك، وقيل: هو من تخصيص الشيء بالذكر إظهاراً لعظم توقعه، والأمهات جمع أمهه، وهي لمن يعقل بخلاف الأم فإنه أعم (ومنعاً) لما يجب أداؤه من الحق (وهات) الاستكثار من حق الغير بغير حق، أي: حرم عليكم طلب ما ليس لكم أخذه، ثم منعاً بالتنوين، وفي رواية بغير التنوين، وهو بسكون النون مصدر منع يمنع، وأما هات بكسر التاء أمر من الإيتاء، والأصل: آت بهمزة ممدودة قلبت ألفاً، قال الحافظ: الحاصل من النهي منع ما أمر بـإعطائـه وطلب ما لا يستحق، ويحتمل أن يكون النهي عن السؤال مطلقاً ويكون ذكرها مع ضده ثم أعيد مطلقاً تـأكيداً للنهي عنه، ثم ما ذكر من أن منعاً مكتوب بالألف كذا في الأصل، لكن قال ابن مالك في التوضيح: إنه من المكتوب على لغة ربيعة، ومنع بحذف الألف على لغتهم؛ لأنهم يقفون على المنون المنصوب بالسكون فلا يكتبون الألف، وقيل: حذفها لأن تنوين منعاً أبدل واواً وأدغم في الواو فصار اللفظ يعني بعد قلبها واواً مشددة، كاللفظ بقـول وشبهه، فجعلت صورة الخط مطابقة للفظه، ويمكن أن يكون الأصل: ومنع حق، فحذف المضاف وبقيت هيئة الإضافة ا هـ. (ووأد) بسكون الهمزة، أي: دفن (البنات) بأن يدفن أحياء، يقال: وأد و١ بنته وأداً من باب وعد دفنها حية فهي مووءدة، كذا في المصباح، وإنما خص البنات بتحريم وأدهن لأنه هو الواقع، فتوجه النهي إليه، لا أن الحكم مخصوص بالبنات، بل هو حكم عام، يقال: أول من وأد البنات قيس بن عاصم التميمي، كان أغار عليه بعض أعدائه فأخذ بنته فاتخذها لنفسه ثم اصطلحا، فخير بنته فاختارت زوجها فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية، فتبعته العرب على ذلك وكانوا فيه فريقين، منهم من يفعله خشية الإقتار، ومن يفعله خشية العار، ومن العرب من لا يفعل ذلك، وكان صعصعة بن ناجية التميمي وهو جد الفرزدق أول من فدى الموءودة، وذلك أنه كان يعمد إلى من يراد فعل ذلك منها فيفديها منهم بمـال فينفـق عليها، وقد بقي كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الإسلام فأسلما ولهما صحبة، وكانوا في الوأد على طريقين:

Made searchable using ScribeTools.com

وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ . . . . . .

«أحدهما»: أن يأمر امرأته عند الوضع أن تطلق بجانب حفيرة، فإن وضعت ذكراً أبقاه وإلا ألقاها فيها.

«وثانيهما»: أن يصبر على البنت إلى أن تصير سداسية ثم يأخذها وقد زينتها أمها، فيأتي بها إلى حفرة كان حفرها قبل فيقول لها انظري قعرها ويرميها من ورائها ويطمها بالتراب. (وكره لكم قيل وقال) قال الحافظ في الفتح: في رواية الشعبي كان ينهى عن قيلٍ، وقال كذلك: كثر في جميع المواضع بغير التنوين ووقع في رواية الكشميهني هنا قيلاً وقالاً، والأشهر الأول، وفيه تعقب على من زعم أنه جائز ولم يقع في الرواية، وقال الجوهري: قيل وقال اسمان، يقال: كثر القيل والقال كذا جزم باسميتهما، واستدل له بدخول أل عليهما، وقال ابن دقيق العيد: لو كانا اسمين كالقول لم يكن لعطف أحدهما على الآخر فائدة، وأشار إلى ترجيح الأول، وقال المحب الطبري: فيه أوجه:

أحدها: أنهما مصدران، والمراد من الحديث الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام؛ لأنها تؤول إلى الخطأ، وكرر المصدر مبالغة في الزجر.

وثانيها، المراد: حكاية أقوال الناس والبحث عنها ليخبر غيره فيقول: قال فلان، وقيل لفلان، فالنهي عنه إما للزجر، وهو الاستكثار منه، وإما لشيء مخصوص وهو ما يكرهه المحكي عنه، «قلت»: وعليه فهما بفتح اللام حكاية للفعل الماضي، وكذا على الوجه الثالث الآتي، واقتصر على الأول منهما ابن اقبرس في شرح الشفاء فقال: يريد به المنع من التبرع بنقل الأخبار فعاد لما فيه من هتك الستار وكشف الأسرار، وقد أشار ﷺ إلى أن ذلك ليس من محسنات الإسلام بقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وفيه من جهة المعنى موافقة لقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا﴾[1] الآية؛ لأن الله تعالى ستار، ويخص من هذا نقل الأخبار النافعة لا سيما إذا كانت صحيحة عن ثقة ا هـ.

ثالثها: أن ذلك الإكثار الذلل، إذ هو مخصوص بمن ينقل لا عن تثبت ولكن تقليداً لمن سمعه ولا يحتاط ا هـ. وقول المصنف معناه... الخ، شامل للآخرين، وفي المشكاة، قوله: قيل وقيل بناهما على كونهما فعلين محكيين متضمنين للضمير، والإعراب على أنهما مصدران، ولذا دخل عليهما أل فيما يعرف القيل من القال ا هـ. بمعناه، وفي

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ «مَنْعَاً» مَعْنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَبَ

المصباح: القيل والقال اسمان من قال يقول لا مصدران، قاله ابن السكيت، ويعربان بحسب العوامل، وفي الارتشاف: هما في الأصل فعلان ماضيان جعلا اسمين واستعملا استعمال الأسماء وأبقي فتحهما ليدل على ما كانا عليه، قال: ويدل عليه ما في الحديث: «نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال» بالفتح، وحكى الوجهين في التهذيب، ولا يستعمل القيل والقال إلا في الشر ا هـ. **(وكثرة السؤال)** أي: سؤال المال لنفسه من غير حاجة، والسؤال عن المشكلات والمعضلات من غير ضرورة، وعن أخبار الناس وحوادث الزمان، وسؤال الإنسان بخصوصه عن تفصيل أحواله فقد يكره ذلك، فالأولى حمل السؤال في الخبر على ما يعم الجميع؛ وذلك لأنه اسم جنس محلى بأل فيعم، أما سؤال المال للغير فالظاهر اختلافه باختلاف الأحوال ولنفسه الحاجة، فلا كراهة بشرط عدم الإلحاح، وذل نفسه زيادة على ذل السؤال والمسؤول، فإن فقد شرط حرم، قال الفاكهاني: يتعجب ممن كره السؤال مطلقاً مع وجوده في عصر النبي ﷺ وصالحي السلف من غير نكير، قال العلقمي: لعل من كرهه أراد أنه خلاف الأولى ولا يلزم من وقوعه وتقديره تغير صفته، وينبغي حمل السؤال منهم أنه كان عن حاجة، وفي قوله: من غير نكير نظر، ففي الأحاديث الكثيرة ذم السؤال، وفيها كفاية في إنكار ذلك **(وإضاعة المال)** أي: بإنفاقه في غير وجهه المأذون فيه شرعاً سواء كانت دينية أو دنيوية والمنع من إضاعته؛ لأن الله تعالى جعله قياماً لمصالح العباد وفي تبذيره تفويت لتلك المصالح إما في المبذر أو في حق الغير، ويستثنى كثرة الإنفاق في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً آخر أهم، قال التقي السبكي في الحلبيات: الضابط في إضاعة لمال ألا يكون لغرض ديني ولا دنيوي، فإذا انتفيا حرم قطعاً، وإن وجد أحدهما وجوداً له حال، وكان الإنفاق لائقاً بالحال ولا معصية فيه جاز قطعاً، وبين الرتبتين وسائط كثيرة لا تدخل تحت الضابط، فعلى الفقيه أن يرى فيما لا ينتشر منه رأيه، وأما ما ينتشر فقد تعرض له أحكام، فالإنفاق في المعصية كله حرام ولا نظر لما يحصل في مطاويه من اللذة الحسية وقضاء الشهوة النفسية، وأما إنفاقه في مباحات الملاذ فهو موضع اختلاف، وظاهر قوله: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[1] إن الزائد غير اللائق بحال المنفق إسراف، ثم قال: ومن بذل كثيراً في غرض يسير عده العقلاء مضيعاً بخلاف عكسه، والله أعلم. **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الزكاة والاستقراض والأدب، ومسلم في الأحكام، قال الطيبي: وهذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق، وهو يستتبع جميع الأخلاق الجميلة **(قوله: منعاً)** أي: بالتنوين **(معناه منع ما وجب عليه)** أي: أداؤه **(وهات)**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

Made searchable using ScribeTools.com

عَلَيْهِ. و «هَاتِ»: طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. و «وَأْدَ الْبَناتِ» مَعْناهُ: دَفْنُهُنَّ فِي الْحَيَاةِ. و «قِيلَ وَقَالَ» مَعْنَاهُ: الْحَدِيثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ. فَيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ وَلَا يَظُنُّها، وَكَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. و «إِضَاعَةَ الْمَالِ»: تَبْذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الْوُجُوهِ الْمَأْذُونِ فِيها مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرَةِ والدُّنْيا، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعْ إِمْكانِ الحِفْظِ. . . . . .

أي: معناه في المشهور **(طلب ما ليس له)** أي: أخذه، وتقدم قول آخر: أنه نهي عن مطلق السؤال، ثم هو محتمل لدخوله في النهي بأن يكون خطاباً لاثنين، كأن ينهى الطالب عما لا يستحقه وينهى المطلوب منه عن إعطاء ما لا يستحقه الطالب لئلا يعينه على الإثم، قاله الحافظ في الفتح، وعليه فيكون المعنى: «وكره لكم هات سؤالاً وإجابة للسائل بها» **(وقيل وقال)** ظاهره أنهما في الحديث بالبناء على الفتح، ويحتمل أن يكونا مرفوعين، أي: والمراد منهما شيء واحد، ولذا قال: **(معناه الحديث)** اسم مصدر من التحديث **(بكل ما يسمعه)** من أقوال الناس **(فيقول: قيل كذا)** مما قصد به بيان المحكي ولم يتعلق الغرض بتعيين من صدر عنه ذلك **(وقال فلان: كذا)** مما تعلق الغرض فيه بهما معاً **(مما لا يعلم صحته ولا يظنها)** بيان لما يسمعه **(وكفى بالمرء)** الظاهر أن الباء مزيدة في المفعول للتأكيد و **(إثماً)** تمييز وليس مفعولاً ثانياً؛ لأن المتعدي إليهما كفى بمعنى وقى، نحو قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾[1] لا بمعنى حسب، بل قد يكون حينئذ لازماً نحو: «كفى بالله» ومتعدياً لواحد كالحديث، وقوله: **(أن يحدث)** فاعل كفى، أي: تحديثه **(بكل ما سمع)** من غير تثبت واختياط، وقدمت في حديث: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته» في باب النفقة على العيال عن المظهري أن: أن يحبس مبتدأ، وكفى خبره مقدماً عليه، أو خبر مبتدأ محذوف، وظاهر جريان ذلك هنا أيضاً **(وإضاعة المال تبذيره)** في المصباح: بذرت الكلام فرقته، وبذرته بالتثقيل مبالغة وتكثير، ومنه اشتق التبذير في المال؛ لأنه تفريق في غير القصد ا هـ. **(وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها)** من إتلاف، أو في معصية، وقوله: **(من مقاصد الآخرة والدنيا)** بيان للوجوه المأذون فيها **(وترك حفظه)** معطوف على تبذيره لأوليته، أو على صرفه لقربه، وإنما يكون ترك الحفظ إضاعة للمال إذا كان **(مع إمكان الحفظ)** أما إذا عم الحريق أو النهب، وما تمكن من حفظه فضاع عليه بذلك فلا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

و «كَثْرَةَ السُّؤالِ»: الإِلْحَاحُ فِيمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ(١).

وَفي الْبابِ أَحَاديثُ سَبَقَتْ فِي البابِ قَبْلَهُ كَحَدِيثِ: «وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ» وَحَدِيثِ: «مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»(٢).

٤٢ ــ باب: في فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

٣٤٢ ــ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَبَرُّ البِرِّ

يدخل في الإضاعة (**وكثرة السؤال الإلحاح**) فيه (**إلا لحاجة إليه**) من مال أو علم، وظاهره أنه لا منع من سؤال خال عن الإلحاح لما لا يحتاج إليه وقد تقدم بيان حكم ذلك والإلحاح بالمهملتين الإقبال على السؤال مواظباً (**وفي الباب**) أي: تحريم العقوق والقطيعة (**أحاديث سبقت في الباب**) المعقود (**قبله**) أي: قبل الباب المذكور في قوله وفي الباب (**كحديث واقطع**) بصيغة المتكلم (**من قطعك**) أي: من قوله تعالى للرحم: «وأقطع من قطعك» (**وحديث من قطعني قطعه الله**).

باب فضل أصدقاء الأب والأم

جمع صديق وهو كما في المصباح: الصادق، وهو من الصداقة، واشتقاقها من الصدق في الود والنصح، والجمع أصدقاء، وامرأة صديق وصديقة أيضاً (**والزوجة**) كذا في النسخ بالتاء، وهي لغة ضعيفة، والأفصح: والزوجين بحذفها، على أنه أولى ليعم كلاً منهما بالتصريح، وإلا فإكرام الزوجة أقرباء زوجها مقيس على إكرامه أقربائها بالأولى لتأكد حقه عليها ووجوب احترامها له (**وسائر**) باقي أو جميع، فيكون من عطف العام على الخاص للتعميم (**من يندب إكرامه**) من شيخ ومريد وملك عادل.

٣٤٢ ــ (**عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أبر البر**) أي: أكمله وأبلغه (**أن**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ والاستقراض باب: ما ينهى عن إضاعة المال (٥/٥١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل... (الحديث: ١٢).

(٢) انظر رقم (٣١٦) و (٣٢٤).

Made searchable using ScribeTools.com

أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ» وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ ابْنُ دِينارٍ: فَقُلْنا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمُ الأَعْرابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَة

يصل الرجل) ومثله المرأة كما تقدم مراراً، وإفراده بالذكر لشرفه (**ود أبيه**) بضم الواو وتشديد الدال المهملة، وهو الحب، وعقب هذا الحديث قبل ذكر مخرجه بما بعده لأنه حديث واحد، وفي الثاني بيان وقت صدور التحديث بابن عمر بالحديث (**وعن عبد الله بن دينار**) هو أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المدني مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، سمع ابن عمر وأنساً وجماعة، روى عنه ابنه عبد الرحمن ويحيى الأنصاري وسهيل وربيعة الرأي وموسى بن عقبة؛ وهؤلاء تابعيون، وخلائق غيرهم، اتفقوا على توثيقه، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (**عن**) قصة (**عبد الله بن عمر رضي الله عنهما**) هي (**أن رجلاً من الأعراب**) بفتح الهمزة، أهل البدو من العرب، الواحد أعرابي بالفتح أيضاً، وهو الذي يكون صاحب نجعة كذا في المصباح، ولم أقف على من سماه (**لقيه**) الضمير المستتر يعود للرجل والبارز لابن عمر (**بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه**) للتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، كما في الزوائد بعد (**وأعطاه عمامة كانت على رأسه**) أي: حينئذ يشد بها رأسه في السفر، والظاهر أنها غير ما يعتم به في الحضر كما يؤذن به الرواية بعد، وهي تبين أيضاً أن ما وقع كان بعد تعرفه بالرجل الأعرابي (**قال ابن دينار: فقلنا**) يحتمل أن يكون هو، وباقي من مع ابن عمر وهو الظاهر من الضمير، ويحتمل أنه وحده، وعبر بذلك إما لتأكيد الإضمار بصدور ذلك عنه أو لأمر آخر (**إنهم الأعراب ويرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه**) بضم الواو مصدر ودمن باب تعب، أي: ذا ود عمر أو واده أو مودوده، وأطلق عليه المصدر مبالغة. قال الحافظ: وضم الواو في المصدر هو المشهور، وحكى الفراء فتحها فيه وحكى كسرها فيه فهو مثلث، «قلت»: وقد حكاه ابن مالك في كتاب الأعلام في المثلث وسكت عليه، عبر بقوله لعمر... الخ دون قوله: لوالدي إشارة إلى أن لبره مقتضيات.

الأول: أنه ود أبيه.

الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ دِينارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمامَةٌ يَشُدُّ بِها رَأْسَهُ، فَبَيْنا هُوَ يَوْماً عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلانَ بْنَ فُلانٍ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَأَعْطَاهُ الْعِمَامَةَ، وَقَالَ اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ! أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرابِيَّ حِمَاراً كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمامَةً

الثاني: أنه ود شيخه.

الثالث: أنه ود رأس الصالحين، ودلالة لفظ عمر على هذين أظهر **(وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:)** الجملة المصدرية يحتمل كونها معطوفة على إن هذا... الخ، ويحتمل أن تكون في محل الحال الثاني أقرب، والرابط الواو **(إن أبر البر)** أي: أبلغه **(صلة الرجل أهل)** أي: أصحاب **(ود أبيه)** أي: حبه، وإن لم يكونا أقربا للفرع ولا للأصل، فإن برهم بر ذي الود لهم من الأبوين، وما أحسن ما قيل:

أهوى العقيق ومن أقام بحبه ... وأهيله رهواهم لي مغنم
ما ذاك إلا أن بدري منهم ... ولأجل عين ألف عين تكرم

(وفي رواية) أخرى **(عن ابن دينار عن)** قصة **(ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار)** هو الذكر من الحيوان الناهق، والأنثى أتان، وحمارة نادر، والجمع حمير وحمر بضمتين وأحمرة، كذا في المصباح **(يتروح)** بتشديد الواو، أي: يستريح **(عليه إذا مل)** أي: إذا سئم وضجر **(ركوب الراحلة)** أي: المركب من الإبل ذكراً كان أو أنثى. قال في المصباح: وبعضهم يقول الناقة التي تصلح أن ترحل **(وعمامة يشد بها رأسه فبينا)** الألف فيه للإشباع كافة لبين عن الإضافة، فالجملة بعده مستأنفة ومثلها بينما **(هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال)** يعني ابن عمر **(ألست فلان بن فلان)** استفهام تقرير، وفلان، قال ابن السراج: كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالب، ويستعمل من غير أل في غير الآدمي، ومنه حديث أبي يعلى الموصلي بسند صحيح على شرط مسلم عن ابن عباس، قال: «ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالوا: يا رسول الله ماتت فلانة يعني الشاة» قال المصنف: هكذا في الأصل المصحح فلانة من غير أل، فهو صريح في جواز ذلك، وعدم تعين أل فيه في غير الآدميين خلافاً للجوهري **(قال: بلى فأعطاه الحمار فقال اركب هذا والعمامة (فـ) قال: اشدد)** بضم الدال **(بها رأسك فقال: له بعض أصحابه)** منهم ابن دينار كما دلت عليه الرواية السابقة، وقد بيّنهم الراوي نفسه لغرض **(غفر الله لك)** فيه تنبيه على

Made searchable using ScribeTools.com

كُنْتَ تَشُدُّ بِها رَأْسَكَ. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرَّ البِرِّ، أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقاً لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَوَى هَذِهِ الرِّواياتِ كُلَّها مُسْلِمٌ[1].

أدب العتاب أن يقدم الدعاء للمخاطب ثم يعاتب، وهذا أخذ من قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾[2] قال القاضي عياض في الشفاء: يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائص بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته، وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة والسؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع، ويتبين ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب ا هـ. **(أعطيت)** يحتمل أن يكون بتقدير همزة الاستفهام الإنكاري، ويحتمل أن يكون إخباراً لبيان لازم الخبر، والأول أقرب، أي: أعطيت **(هذا الأعرابي حماراً كنت تروح)** بتشديد الواو والرفع، وحذفت من أوله إحدى التاءين تخفيفاً، أي: تتروح، **(عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك فقال:)** دفعاً لإنكار ما أنكروه عليه مما حاصله وضع الشيء في غير موضعه ببيان الحامل على ذلك **(إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أبر البر)** لا ينافي إثبات من هنا إسقاطها في الأول؛ لأنها مرادة، أو أنه ﷺ أراد أنه أبر بالنسبة للمخاطب به ذلك الوقت كما تقدم قريباً **(صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي)** بضم التحتية وتشديد اللام المكسورة، أي: بعد أن يموت، قال العاقولي: والمعنى من جملة بر الرجل بوالده أن يود أصحاب أبيه وأهل وده بعد موته، وأقول: إن المعنى أن من جملة بره صلة أهل ود أبيه بعد موته **(وإن أباه)** أي: أبا المعطي **(كان صديقاً لعمر رضي الله عنه)** أي: فلذا وصلته **(روى هذه الروايات كلها مسلم)** فروى الرواية الأولى المذكورة عن ابن دينار فذكره، وروى الترمذي في البر والصلة من طريق آخر إلى الوليد عن دينار حديث: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه» من دون القصة وقال: صحيح، وروى الرواية الثانية عنه عن الحسن الحلواني ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا أبو الليث بن سعيد جميعاً عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد بن عبد الله بن دينار فذكره، ورواه أبو داود من طريق الحر إلى يزيد فذكر الحديث، دون القصة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البروالصلةوالآداب، باب: فضل صلة أصدقاء الأب... (الحديث: ١١، ١٢، ١٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

٣٤٣ ــ وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ «بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَفَتْحِ السِّينِ» مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِما؟ فَقَالَ: «نَعَمْ الصَّلاةُ عَلَيْهِما، والاسْتِغْفَارُ لَهُما، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِما مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِما، . . . . . .

---

٣٤٣ ــ (وعن أبي أسيد بضم الهمزة وفتح السين) المهملة وسكون التحتية بعدها دال مهملة **(مالك بن ربيعة)** وقيل: هلال بن ربيعة ومالك أكثر ابن البدن ــ بالموحدة والمهملة المفتوحتين والنون ــ هكذا نقله ابن هشام عن ابن إسحاق وابن عقبة عن الزهري، ورواه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى عن الزهري ــ بالبدى ــ بالياء فصحف، وإنما الصحيح بالنون ابن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي **(الساعدي)** نسبة لجده ساعدة وهو مشهور بكنيته، شهد **(رضي الله عنه)** بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قاله ابن إسحاق وغيره، وعمي قبل قتل عثمان رضي الله عنه، روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون حديثاً، له في الصحيحين أربعة أحاديث، اتفقا على واحد منها، وللبخاري وحده حديثان ولمسلم كذلك واحدة، توفي أبو أسيد سنة ستين، قاله المدايني، قال أبو نعيم: إنه وهم، وقيل: سنة خمس وستين، وقال الواقدي وخليفة: سنة ثلاثين، قال ابن عبد البر: وهذا وهم فقيل إنه آخر من مات من البدريين وكان عمره خمساً وسبعين سنة ا هـ. ملخصاً من أسد الغابة مما ذكره في الأسماء والكنى في ترجمته، وسكت **عن** تعيين محل وفاته، وفي كتاب در السحابة في مواضع وفاة الصحابة للصغاني أنه مات بالمدينة **(قال: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة)** لم أقف على من سماه **(فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي)** المأمور أنا به **(شيء أبرهما به)** أي: لأبرهما به **(بعد موتهما قال نعم الصلاة)** أي: الدعاء **(لهما)** كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما﴾[1] **(والاستغفار)** من عطف الخاص على العام اهتماماً، أي: وتدعو بالمغفرة **(لهما وإنفاذ)** بالذال المعجمة **(عهدهما)** أي: من وصية وصدقة وغير ذلك **(من بعدهما)** تنازعه المبتدآت قبله، ويحتمل أن المتعلق كائنات فيشمل الجميع **(وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما)** قال الطيبي: التي ليست بصفة للمضاف إليه بل المضاف الصلة الموصوفة بأنها خالصة لحقهما ورضاهما لا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

Made searchable using ScribeTools.com

وَإِكْرامُ صَدِيقِهِما» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[١].

٣٤٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّما ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُها أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُها في صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّما

لأمر آخر، ولفظ البيهقي: «وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما فقال: ما أكثر هذا وأطيبه يا رسول الله قال: ما عمل به فإنه يصل إليهما» قال العاقولي: وفي الحديث تنبيه على اغتنام فضيله الصلة، وأنها طاعة لا يكون إدراكها إلا من جهتهما، فإنه لو فرض أن إنساناً تولد من تراب مثلاً ولم يولد له لم يكن لذلك الإنسان سبيل إلى دخول الجنة من صلة الرحم، فإنه لا رحم له، فإذا كان الوالدان سبباً في مثل هذه الطاعة وجب رعايتهما وحفظهما فيها **(وإكرام صديقهما)** وبمعناه حديث ابن عمر في الباب **(رواه أبو داود)** في الأدب، وكذا أخرجه في الأدب بنحوه.

٣٤٤ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت) بكسر الغين، في المصباح: غار الرجل على امرأته غضب فيها، والمرأة على زوجها تغار من باب تعب غيرا، وغيرة بالفتح وغارا، قال ابن السكيت: ولا يقال غيرا ولا غيرة بالكسر، وأغار الرجل امرأته تزوج عليها فغارت عليه ا هـ. **(على أحد من النساء)** يعني ضرائرها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن **(ما غرت على خديجة)** وذلك لما رأت لها عنده ﷺ من مزيد المكانة الدال عليه إكثار ذكرها والتنويه بشكرها بعد فقدها، وكانت عائشة أحب سائر زوجاته الموجودات معها إليه ﷺ، وبينت هذا المعنى بقولها: **(وما رأيتها قط)** ظاهره لم يقع نظرها عليها، وذلك لتقدم وفاتها على تمييز السيدة عائشة، فإنه كان سنها عند عهده ﷺ بها ست سنين، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين، وقيل: ثلاث، وقيل: خمس، وتوفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بقريب من ذلك، ويحتمل أن يكون مرادها ما رأيتها عنده ﷺ ضرة معي، ويعضد هذا قولها ضد الشيخين: «ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين» قال المصنف: أي: قبل بنائه بها، أما العقد بها فكان موتها قبله بنحو سنة ونصف **(ولكن)** أي: وجه الغيرة أنه ﷺ **(كان يكثر ذكرها)** أي: وفيه دليل المحبة، قال ﷺ: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره» **(وربما ذبح الشاة ثم يقطعها)** يحتمل كون الإسناد فيها حقيقة، وذلك من مزيد تواضعه وكمال فضله، فقد كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكون في مهنة أهله، ويحتمل أن يكون مجازاً، أي: يأمر بذلك،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في بر الوالدين، (الحديث: ٥١٤٢).

قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّها كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لي مِنْها وَلَدٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفي رِوَايَةٍ: وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدي في خَلائِلِها مِنْها مَا يَسَعُهُنَّ. وَفي رِوَايَةٍ: كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» وَفي رِوَايَةٍ قَالَتِ: . . . . . .

ويقطعها مضارع من باب التفعيل للتكثير **(أعضاء)** جمع عضو بكسر أوله وضمه، وهو كل لحم وافر بعظمه **(ثم يبعثها في صدائق)** جمع صديقة كصحيفة أي: في ذوات صداقة **(خديجة)** يفعل ذلك حفظاً لعهدها وزيادة في برها **(فربما)** يحتمل التقليل والتكثير، والأول أقرب **(قلت له كأن)** بتخفيف النون واسمها ضمير منوي، أي: كأنه **(لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة)** أي: فذلك المقتضي لمزيد الوداد، وأما وجود من يساويها في هذا الوصف في المقتضي لهذا الشأن **(فيقول: إنها كانت وكانت)** أي: يثني عليها بأفعالها وفعالها، وجاء في حديث آخر: «أن عائشة قالت: أوليس قد أبدلك الله خيراً منها فقال: لا والله آمنت بي حين كفر بي قومي ونصرتني حين خذلني قومي وأعطتني مالها حين منعني قومي» أو كما قال: **(وكان لي منها ولد)** بفتحتين، وهو اسم جنس يصدق على الواحد والجمع، وجميع ولده ﷺ منها إلا إبراهيم فمن مارية، قيل: وإلا سقط اسمه عبد الله من السيدة عائشة ولم يثبت هذا وإنما كنيت بابن أختها عبد الله بن الزبير **(متفق عليه)** أخرجاه في فضائل خديجة، وأخرجه فيه الترمذي وقال: حسن صحيح، وأخرجه فيه وفي الوفاة النسائي، وأخرجه ابن ماجه في الجنائز، كذا في الأطراف للمزي **(وفي رواية)** هي فيهما إلى قوله خلائلها **(وإن)** مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنه **(كان ليذبح الشاة)** اللام هي الفارقة بين أن المخففة والنافية **(فيهدي في خلائلها)** أي: صدائقها، جمع خليلة وهي الصديقة **(ما يسعهن)** أي: يكفيهن **(منها)** وفي صحيح مسلم: وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها **(وفي رواية)** لمسلم قالت: **(كان إذا ذبح يقول: أرسلوا بها)** يحتمل كون الباء للتبعيض كقوله تعالى: ﴿يشرب بها عباد الله﴾[1] قال في المغني: أثبت هذا المعنى الأصمعي والفارسي والعتبي وابن مالك، قيل: والكوفيون ا هـ. ملخصاً. ويحتمل كونها مزيدة، ويؤيده ما تقدم في حديث مسلم: «ثم يهديها» والأول أقرب بلغة الجميع، وحفظ العهد أنسب **(إلى أصدقاء خديجة)** أي: أصحاب صداقتها، وأصدقها جمع صديق، وتقدم أنه يقال على المذكر والمؤنث، ويقال فيها أيضاً صديقة **(وفي رواية لهما)** عن عائشة، رواها

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.

Made searchable using ScribeTools.com

اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». قَوْلُهَا: «فَارْتَاحَ» هُوَ بِالحَاءِ. وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحيحيْنِ لِلْحُمَيْدِيِّ:

البخاري في فضل خديجة، ومسلم في الفضائل، كذا في الأطراف للمزي، وتعقبه الحافظ في النكت عليه بما حاصله أن البخاري لم يقل فيه ثنا ولا أخبرنا إسماعيل بن محمد، فلذا جزم الحميدي في جميعه بأنه ذكره تعليقاً، قال الحافظ: وقد وصله أبو عوانة عن محمد بن يحيى ثنا إسماعيل بن خالد عن علي بن مسهر عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة ا هـ. **(استأذنت)** طلبت الإذن **(هالة)** بتخفيف اللام **(بنت خويلد)** بن أسد بن عبد العزى بن قصي **(أخت)** أم المؤمنين **(خديجة رضي الله عنها)** وهالة هذه أم العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله ﷺ، وليس لخديجة أخت غيرها اسمها هالة، قاله ابن الأثير في أسد الغابة **(على رسول الله ﷺ)** متعلق باستأذنت **(فعرف استئذان خديجة)** أي: تذكر عند استئذانها خديجة وكانت نغمتها تشبه نغمة خديجة، وأصل هذا أن من أحب محبوباً أحب محبوباته وما يتعلق به ويشتهيه، وما أحسن ما قيل:

أحب من أجلكم من كان يشبهكم ... حتى لقد صرت أهوى الشمس والقمرا
أمر بالحجر القاسي فألثمه ... لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

وقال آخر:

أشبهت عذالي فصرت أحبهم ... إذ صار حظي منك حظي منهم

(فأرتاح لذلك) افتعال من الراحة، أي: حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة، قال المصنف: أي: هش لمحبتها وسر به لتذكره بها خديجة وأيامها، وفيه دليل حسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد موته، وفي المطالع: ارتاح أي: هش ونشطت نفسه، وقيل: حن إليها، وقيل: سر بها، ومنه يرتاح للندى ويرتاح، أي: يسر فيهش **(فقال: اللهم هالة بنت خويلد)** قال القرطبي: يجوز فيه الرفع خبر مبتدأ، أي: هذه هالة فأكرمها، والنصب على إضمار فعل، أي: أكرم هالة ونحوه مما لا يليق بالمعنى، وهذه الأخبار فيها فضل خديجة، والصحيح أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والأيادي الجميلة وقد أقرأها الحق السلام على لسان جبريل الأمين ولم ير ذلك لغير الأنبياء إلا لها وللصديق الأكبر، أما عائشة فهي أكثر علماً وأفضل مما عداها من باقي الأمهات بلا خلاف. **(قولها: فارتاح هو بالحاء)** المهملة **(وفي**

«فَارْتاعَ» بِالعَيْنِ. وَمَعْناهُ: اهْتَمَّ بِهِ[١].

٣٤٥ ــ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سَفَرٍ فَكَانَ يَخْدُمُني، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً آلَيْتُ عَلى نَفْسِي أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَداً مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

الجمع بين الصحيحين لـ) أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح **(الحميدي)** بالتصغير، نسبة لجده الأعلى حميد الأندلسي القرطبي **(فارتاع بالعين)** أي: المهملة **(ومعناه أهتم به)** أي: باستئذانها فرحاً وسروراً لمكانها من خديجة.

٣٤٥ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه) يحتمل أن يكون من قول أنس فيكون فيه أداء الفضل لأهله من أهله، ويحتمل أن يكون ممن بعده **(في سفر فكان يخدمني)** وهو أسن مني **(فقلت له: لا تفعل)** أي: لسنك المقتضي لتوقيرك **(فقال)** مبيناً لسبب تواضعه لأنس مع صغر سنه عنه **(إني قد رأيت الأنصار)** علم بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج، وهو اسم إسلامي كما تقدم أول الكتاب **(تصنع برسول الله ﷺ)** أي: معه **(شيئاً)** عظيماً لا تقوم العبارة بتفصيله، فلذا أجمل في مقاله **(آليت)** بالمد، أي: أقسمت من الألية وهي اليمين **(أن لا أصحب أحداً منهم)** وإن كان أصغر مني **(إلا خدمته)** إكراماً للنبي ﷺ وإحساناً للمنتسب إلى خدمته والمحسن إليه ﷺ، قال المصنف: ففي الحديث دليل إكرام المحسن والمنتسب إليه وإن كان أصغر منه، وفيه تواضع جرير وفضيلته وإكرامه للنبي ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ. **(متفق عليه)** والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (٧/١٠٢ و١٠٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين (الحديث: ٧٤ ــ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الفضائل (٦/٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من حسن صحبة الأنصار... (الحديث: ١٨١).

Made searchable using ScribeTools.com

٤٣ ــ باب: في إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

باب إكرام آل بيت رسول الله ﷺ

المراد منهم: آله الذين يحرم عليهم الصدقات كالزكاة، وهم عند إمامنا الشافعي رضي الله عنه مؤمنوا ومؤمنات بني هاشم والمطلب، أي: المنتمون لذلك من جانب الآباء، أما المنتمون من جانب الأمهات فليسوا من آله في منع الزكاة والصدقة الواجبة منهم، أما في الإكرام للقرابة بالمصطفى فهم كذلك؛ لأن القرابة والنسبة إلى ذلك الجناب الشريف مشتركة بين الجميع وزوجاته، قال في الكشاف: وفي الآية دليل على أن أزواجه من أهل بيته، فالمراد من أهل بيته المنتسبون إليه بنسب وزوجاته **(وبيان فضلهم)** أي: بذكر ما جاء فيه.

(قال الله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم، والرجس كل مستقذر، والمراد به هنا: الإثم، وقيل: الشيطان ووسوسته، وقيل: الشرك، وقيل: جميع المعاصي، والجملة تعليل لأمر أزواجه ﷺ ونهيهن على الاستئناف، ولذا عمم الحكم فقال: **(أهل البيت)** نصب على النداء والمدح **(ويطهركم)** عن المعاصي **(تطهيراً)** من الرجس، وقيل: بالهدى والتوفيق، واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها، قال البيضاوي: وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي أنه عليه السلام «خرج ذات غدوة عليه مرط ومرجل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف؛ لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم اهـ. وقال الكواشي: المراد من أهل البيت زوجات النبي ﷺ، «قلت»: هذا قول ابن عباس وعكرمة، قال ابن اقبرس: نقل ابن عطية عن الجمهور أنهم علي وفاطمة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.

٣٤٦ ــ وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، .....

والحسنان، قال: ومن حجة الجمهور قوله: «عنكم» ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن، «قلت»: وقد أجيب عن هذا الاستدلال، قال الكواشي: وقال عنكم دون عنكن لأنه ﷺ كان فيهن فغلب، أو لأنهن في بيته، وقال ابن اقبرس: للقائل باختصاص ذلك بأزواجه أن يقول لا يمتنع أن يخاطبن بخطاب المذكر تعظيماً لهنّ وإجلالاً، ومنع قول من قال، المراد بالبيت الكعبة وبأهله المسلمون، وقيل: هم كل من حرمت عليهم الصدقة اهـ. والمصنف أورد الآية في هذا الباب لأن آله من جملة أهل بيته. **(وقال تعالى: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)** تقدم الكلام عليها في باب تعظيم حرمات المسلمين.

٣٤٦ ــ **(وعن يزيد)** بفتح التحتية أوله وبعد الزاي تحتية ساكنة آخره دال مهملة **(ابن حيان)** بفتح المهملة وتشديد التحتية آخره نون، هو التيمي الكوفي، قال الحافظ: ثقة من الرابعة من أواسط التابعين، روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي **(قال: انطلقت أنا وحصين)** بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وسكون التحتية آخره نون **(ابن سبرة)** بفتح المهملة وسكون الموحدة **(وعمرو بن مسلم)** بصيغة الفاعل من الإسلام **(إلى)** أبي عمرو، وقيل: أبو عامر، وقيل: أبو سعد، وقيل: أبو سعيد، وقيل: أبو حمزة، وقيل: أبو نسيئة **(زيد بن أرقم)** بالقاف ابن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب الخزرج بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي **(رضي الله عنه)** غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة واستصغره يوم أحد وكان يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة وسار معه في غزوة مؤتة، روي له عن رسول الله ﷺ سبعون حديثاً، اتفقا على أربعة، وللبخاري حديثان ولمسلم ستة، روى عنه أنس بن مالك وخلائق من التابعين، نزل الكوفة وتوفي بها سنة ست وخمسين، وقال محمد بن سعد وآخرون: سنة ثمان وستين، وله مناقب كثيرة **(فلما)** جلسنا منتهين **(إليه فقال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً)** هذا إجمال لأنواعه بين أشرفها بقوله: **(رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه)** أي: من فيه، والحديث رواية هو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو من دونه ولو من التابعين قولاً أو فعلاً **(وغزوت معه)** أي: جاهدت في سبيل الله، وفيه شرف العمل مع الصلحاء، ولذا شرعت الجماعة في الصلوات لتعود بركة الصالحين على المقصرين فيقبل الجميع فضلاً **(وصليت خلفه)** أي: معه جماعة، ولما كان تفصيل ما حواه من الخير يعسر

Made searchable using ScribeTools.com

لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً. حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي واللَّهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَاً فِينَا خَطِيباً بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ

قال مؤكداً للجملة الأولى المجملة: **(لقد أوتيت خيراً كثيراً)** وهذا تذكير منه لنعمة الله عليه وتحريض على أداء شكرها قدر طاقته، وأن لا يغفل عنه، وهو محمول على أنهم أمنوا الفتنة عليه لما علموه عنده من كمال الإيمان ومزيد العرفان المانعين من الافتتان، وقوله: **(حدثنا يا زيد)** فيه طلب العلو في الإسناد وأخذ العلم من أهله، وفيما ذكر قبله تقديم الوسائل إلى المطالب، وفيه ما ذكره المحدثون من استحباب الثناء على المحدث بالأوصاف اللائقة به والدعاء له قبل طلب التحديث منه **(ما سمعت)** أي: بما سمعت **(من رسول الله ﷺ)** أي: شفاهاً، واحتمال تقدير مضاف مجرور، أي: من حديثه ولو بالواسطة بعيد **(قال يا ابن أخي)** خاطبه بذلك لصغره بالنسبة إليه **(والله لقد كبرت)** بكسر الموحدة **(سني)** أي: لقد كبرت، قال ابن طريف في كتاب الأفعال: كبر الأمر والذنب كبراً عظم والكبر الاسم، وفي القرآن: ﴿كبر مقتاً عند الله﴾[1] وكبر الصبي كبراً ومكبراً، وفي القرآن: ﴿بداراً أن يكبروا﴾[2] ا هـ. وظاهر أن ما نحن فيه من الثاني **(ونسيت بعض الذي كنت أعي)** أي: أحفظ، قال في المصباح: وعيت الحديث وعياً من باب وعد حفظته وتدبرته، وقوله: **(من رسول الله ﷺ)** متعلق بأعي، وفيه أن الكبر مظنة النسيان وضعف القوة الحافظة وهو كذلك، ومن ثم كره التحديث بعد الثمانين خوفاً من الاختلاط من حيث عدم الشعور كما وقع من جماعة لم يتنبه لهم إلا بعد الوقوع في ذلك، وفرع على ما ذكر قوله: **(فما حدثتكم)** العائد محذوف، أي: حدثتكموه **(فاقبلوا)** أي: فاقبلوه، والضمير لربط الجملة بالمبتدأ وكأنه حذفه فيهما تخفيفاً **(وما لا فلا تكلفونيه)** وعلى ما تضمنه قوله هنا من نهيه عن تكليفه لتحديث ما لم يحدث به يحمل ما أخرجه ابن ماجه في باب التوقي في حديث النبي ﷺ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: «قلنا لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد» ويؤيده أن الدميري في الديباجة حمله على الإكثار فقال: «كره الاكثار من التحديث كثير من السلف مخافة ما فيه من الزلل» روي عن عمر قال: «أقلوا الحديث عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم» وكان مالك يقول: وأنا أيضاً أقل الحديث عن رسول الله ﷺ ا هـ. **(ثم قال:)** محدثاً لنا **(قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء)** أي: عنده **(يدعى)** أي:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

مَكَّةَ والمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّها النَّاسُ فَإِنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ:

الوادي الذي فيه الماء **(خماً)** بضم المعجمة وتشديد الميم، كما سمى بدر باسم البئر التي به، ولذا قال في النهاية: وهو موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك وبينهما مسجد للنبي ﷺ اهـ. ولعل المسجد موضع قيامه حال خطبته، وقال المصنف في شرح مسلم: خم اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور، يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم اهـ. وقوله: **(بين مكة والمدينة)** حال من ثاني مفعولي يدعى **(فحمد الله)** أي: وصفه بنعوت الكمال **(وأثنى عليه)** بتنزيهه عن سائر ما لا يليق به، وما حملناه عليه مما تصير به الجملتان مؤسستين أولى من جعلهما بمعنى، والثانية مؤكدة للأولى **(ووعظ)** أي: أمر بالطاعة ووصى بها، يقال: وعظه يعظه وعظاً وعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾[1] أي: آمركم وأوصيكم **(وذكر)** بتشديد الكاف، أي: ذكرهم ما قد غفلوا عنه بمزاولة الأهل والعيال من التوجه للخدمة وأداء حق العبودية **(ثم قال: أما بعد)** بضم الدال لحذف المضاف إليه لفظاً ونية معناه، وقد كان النبي ﷺ يأتي بها في خطبه كثيراً، حتى قال الحافظ في أبواب الجمعة من فتح الباري: إن الحافظ عبد القادر الرهاوي ــ بضم الراء ــ أخرجها من قوله ﷺ عن أربعين صحابياً، وهي للانتقال من أسلوب كالثناء على الله سبحانه هنا إلى أسلوب آخر، أي: مما ذكر بعدها **(ألا أيها الناس)** بحذف حرف النداء إيجازاً، تنبهوا **(فإنما أنا بشر)** والقصر فيه لرد ما قد يتوهمه قاصر عند ظهور الخوارق على يده صلوات الله وسلامه عليه من كونه إلهاً أو كونه ملكاً، لا لقصر صفاته على ذلك، وأيضاً أتى به ليبني عليه ما يناسبه من الانتقال الذي هو شأن هذا النوع، ويسمى الإنسان بشراً لظهور بشرته، أي: ظاهر جلده، يطلق على الواحد والجمع وتثنيه العرب، قال تعالى: ﴿قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾[2] **(يوشك)** بضم التحتية وكسر الشين المعجمة، مضارع أوشك من أفعال المقاربة، أي: يقرب، وقال الفارابي: الإيشاك الإسراع، قال الأزهري في التهذيب: قال النحاة: استعمال المضارع أكثر من استعمال الماضي، واستعمال اسم الفاعل منها أقل، كذا في المصباح، وقوله: **(أن يأتي رسول ربي)** في تأويل مصدر اسم يوشك، أي: يقرب إتيان رسول ربي، يعني ملك الموت داعياً إلى النقلة إلى الله سبحانه مخيراً بينها وبين البقاء في الدنيا، فإنه لا يموت النبي حتى يخير بينهما **(فأجيبه)** بالنصب عطفاً على يأتي، ويجوز قراءته بالرفع بإضمار مبتدأ ما لم تمنعه رواية **(وأنا تارك فيكم ثقلين)** بفتح المثلثة

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المؤمنين، الآية: ٤٧.

Made searchable using ScribeTools.com

أَوَّلُهُما كِتابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى والنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللَّهِ واسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ

والقاف، قال المصنف: قال العلماء، سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما، زاد في النهاية: ويقال لكل خطير نفيس ثقل، فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما ا هـ. **(أولهما كتاب الله)** يعني القرآن **(فيه الهدى)** هو كقوله تعالى: ﴿فيه هدى﴾[1] على الوقف على قوله: ﴿لا ريب﴾[2] والابتداء بقوله: ﴿فيه هدى﴾ فيكون التقدير كما قال البيضاوي: «لا ريب فيه، فيه هدى» ففيه خبر مقدم وهدى مبتدأ مؤخر، والهدى في الأصل مصدر كالسرى، ومعناه الدلالة، وقيل: الدلالة على البغية لأنه حصل مقابل الضلال في قوله تعالى: ﴿لعلى هدى أو في ضلال﴾[3] ولم يقيد الهدى بالمتقين كما في آية البقرة إيماء إلى عموم هدايته، أي: دلالته لكل مسلم وكافر كما قال في الآية الأخرى: ﴿هدى للناس﴾[4] والتقييد بالمتقين في آية البقرة لأنهم المهتدون المنتفعون بنصبه، ثم في قوله ﴿فيه . . . هدًى﴾[5] تجريد كقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[6] والتجريد أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله لأجل المبالغة في كمالها فيه، ويكون بالباء الموحدة نحو: «لئن لقيت زيداً لتلقين به بحراً» وبمن نحو لتلقين منه أسداً وبفي كالآية والحديث **(والنور)** أي: الإشراق والإضاءة **(فخذوا بكتاب الله)** الباء فيه مزيدة للتأكيد، نبه عليه في المصباح فقال: أخذ الخطام وأخذ بالخطام على الزيادة أمسكه **(واستمسكوا به)** اطلبوا من أنفسكم الإمساك به، شبه تمسك الخلق به بالتمسك بالحبل الوثيق في الاعتصام وعدم الانفصام **(فحث)** بتشديد المثلثة من باب قتل، أي: حرض **(على كتاب الله)** أي: على الأخذ به والتمسك بحبله **(ورغب)** بتشديد المعجمة، أي: زاد العباد رغبة **(فيه ثم قال: وأهل بيتي)** بالرفع، أي: وثاني المتروك فيكم المدعى حرمته أهل بيتي **(أذكركم الله)** بتشديد الكاف من التذكير وهو الوعظ، أي: آمركم بطاعة الله وبالقيام **(في أهل بيتي)** ثم كرر ذلك ثانياً تأكيداً فقال: **(أذكركم الله في أهل بيتي)** وفيه تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم، فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث عليه وناهيك به، ثم هو هكذا في النسخ التي رأيت مكرراً مرتين، وفي الشفاء في حديث الباب لكن من غير طريق مسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله وأهل بيتي ثلاثاً» قلت: وهذا الأنسب خصوصاً، وفي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي . . . . . .

الحديث: «كان إذا تكلم ﷺ تكلم ثلاثاً» وحينئذ فعدم ذكر الثالثة إما من الناسخ، أو من الرواة اختصاراً، أو منه ﷺ لعروض ما هو أهم من التكرار ثالثة، والله أعلم. **(فقال له حصين)** في الشفاء، «فقلنا له»: وهو محتمل لتواردهم عليه، ويحتمل صدوره من حصين وأسنده إليهم في تلك الرواية لكونه مراداً لهم **(ومن أهل بيته يا زيد أليس)** استفهام تقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بمضمونه، أي: أما تقر بمضمون قولنا أليس **(نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته)** أعاده بلفظه ليحصل كمال المناسبة بين السؤال والجواب، وخير الجواب ما كان من لفظ السؤال كما ذكره البيضاوي في التفسير، ولو راعى زيد الاختصار لقال: بلى، قال المصنف: قال في هذه الرواية نساؤه من أهل بيته، وقال في الرواية الأخرى، أي: لمسلم، «فقلت من أهل بيته نساؤه قال: لا» فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: «نساؤه ليس من أهل بيته» فتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم، وأمرنا باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً ووعظ في حفظ حقوقهم، فنساؤه داخلات في ذلك ولا يدخلن فيمن حرم عليهم الصدقة، وقد أشار إلى هذا بقوله: «نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته . . .» إلخ فاتفقت الروايتان، قال: وفي قوله في الرواية الأخرى من أهل بيته نساؤه دليل لإبطال قول من قال: هم قريش كلها؛ لأن بعض أزواجه قرشيات ا هـ[1]. **(ولكن أهل بيته)** أي: المرادون عند الإطلاق كما في الآية والخبر **(من حرم عليهم الصدقة)** أي: الواجبة **(بعده)** قال ابن اقبرس: هو أحد الأقوال، وتعارضه الأدلة الدالة على دخول نسائه في أهل بيته كما تقدم في الكلام على الآية **(قال: ومن هم)** أي: الذين تحرم عليهم **الصدقة (قال: هم آل علي وآل عقيل)** بفتح المهملة وكسر القاف **(وآل جعفر)** أولاد أبي طالب **(وآل عباس)** وبقي عليه باقي أولاد بني هاشم من آل حمزة وأولاد أبي لهب، وكون آله مؤمني بني هاشم فقط قول الحنفية، وهو أحد قولي الإمام مالك، والثاني هو مذهب إمامنا الشافعي أنهم مؤمنوا بني هاشم والمطلب، ويدل له قوله ﷺ: «نحن وبنوا المطلب كشيء واحد» **(قال)** أي: حصين **(كل هؤلاء حرم الصدقة)** بالنصب، أي: منع الصدقة، أي: الواجبة من زكاة ونذر وكفارة **(قال: نعم. رواه مسلم)** في الفضائل، ورواه النسائي في المناقب **(وفي**

---

(١) أي والبعض الآخر لسن بقرشيات فطل هذا الرأي. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

رِوَايَةٍ: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»(١).

٣٤٧ ـ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. مَعْنَى «ارْقُبُوا»: رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وَأَكْرِمُوهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٢).

رواية) هي لمسلم، قال مسلم بعد إيراد الطريق الأولى وإسناد الطريقة الثانية إلى يزيد بن حيان ما لفظه، وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان، أي: الراوي في الأولى عن يزيد، غير أنه قال **(ألا:)** أداة استفتاح يؤتى بها لتنبيه السامع لما بعدها اهتماماً، أي: ألا أنبهك **(وإني تارك فيكم ثقلين)** وفي نسخة الثقلين **(أحدهما كتاب الله وهو حبل الله)** قال المصنف: قيل المراد بحبل الله عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: نوره الذي يهدى به، «قلت»: وهو على هذه الوجوه استعارة مصرحة شبه ما ذكر في الأقوال الثلاثة بالحبل بجامع الوصل فأطلق عليه اسمه **(من اتبعه)** مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه **(كان على الهدى)** الذي هو ضد **الضلالة (ومن تركه)** فأعرض عن أمره ونهيه **(كان على الضلالة)** وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه فقال: «لا، أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها وترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده» ا هـ. وتقدم عن المصنف الجمع بين قوله في حديث الباب في نسائه أنهن من أهل بيته ونفى ذلك في هذه الرواية، وقوله في هذه «وعصبته» إن أراد الأدنين اختص ببني هاشم، وإن أراد مطلقاً دخل الجميع وخرج ما عدا بني هاشم والمطلب؛ لما يدل عليه، فيكون عليه عاماً مخصوصاً، والله أعلم.

٣٤٧ ـ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه) الموقوف ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل **(أنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)** أداء لبعض واجبات حقه **(رواه البخاري. ومعنى ارقبوا)** أي: مع المفعول كما يدل عليه ذكر الضمير في الأفعال المفسر بها وهي: **(راعوه)** قال في النهاية: المراعاة الملاحظة **(واحترموه وألزموه)** أي: افعلوا ذلك معه بمراقبة أهل بيته وتعظيمهم ووادادهم وحبهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: فضائل علي رضي الله عنه (الحديث: ٣٦١).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين (٦٣/٧).

٤٤ ــ باب: في توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهارمرتبتهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

والدخول في عقد ولائهم مع ولاء سائر من أمرت الشريعة بموالاته من الصحابة الأكرمين والعلماء العاملين والأولياء الكاملين. أحيانا الله وأماتنا على محبتهم وحشرنا في زمرتهم بمنه آمين.

باب توقير

بالقاف من الوقار وهو التبجيل، أي: تعظيم العلماء، أي: بالعلوم الشرعية وآلاتها المطلوبة، أي: وإن لم يكونوا من ذوي السن، والمراد: علماء السنة والجماعة لما ورد من الوعيد في تعظيم ذي البدعة وكذا يعتبر هذا في قوله: **(والكبار)** بكسر الكاف، أي: في السن وإن لم يكونوا أهل علم **(وأهل الفضل)** من الكرم والمروءة والشجاعة وغيرها من خصال الكمال التي بها تتفاضل الرجال **(وتقديمهم على غيرهم)** ممن لم يكونوا كذلك، وظاهر تعبيره أنهم عند اجتماعهم يرتبون بترتيبهم في الذكر، فيقدم ذو العلم على ذي السن وهو على من بعده **(ورفع مجالسهم)** وإن كانوا هم ينبغي لهم أن لا يطلبوا رفعها تواضعاً واتباعاً لحديث: «كان ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس» **(وإظهار مرتبتهم)** أداء الحق ذي الحق.

(قال الله تعالى: قل هل) استفهام إنكاري، ما **(يستوي الذين يعلمون)** أي: قام بهم العلم المطلوب تعلمه **(والذين لا يعلمون)** أي: لم يقم بهم ذلك، فالفعل فيه في الموضعين منزل منزلة اللازم، قال البيضاوي: الآية نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم، وقيل: تقرير للأول، أي: لقوله: ﴿أمن هو قانت﴾[٢]... الخ أي: كما لا يستوي العالم والجاهل لا يستوي القانت والعاصي.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٤٨ ــ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍوالبَدْرِيِّ الْأَنْصارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتاب اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا في الْقِراءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانوا في السُّنَّةِ سَواءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا. وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في

---

٣٤٨ ــ **(وعن أبي مسعود عقبة)** بالقاف **(ابن عمرو البدري)** نسب إليها لكونه سكنها، وإلا فلم يشهدها مع النبي ﷺ كما تقدم بما فيه من الخلاف **(الأنصاري)** وتقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب المجاهدة **(قال: قال رسول الله ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم)** أي: أكثرهم قراءة **(لكتاب الله)** جملة خبرية لفظاً طلبية معنى، أي: ليؤمهم، ويدل عليه حديث: «إذا كنتم ثلاثة فليؤمكم أكبركم» وحديث مالك بن الحويرث: «وليؤمكما أكبركما» وليس المراد بها الإخبار المحض؛ لأن ما أخبر ﷺ عن حصوله فلا بد منه، وكثيراً ما يؤم غير الاقرأ، فدل على ما ذكرنا **(فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة)** قال القرطبي: تأول أصحاب الحديث بأن الأقرأ في الصدر الأول هو الأفقه؛ لأنهم كانوا يتفقهون مع القراءة فلا يوجد قارىء إلا وهو فقيه، قال: وكان من عرفهم تسمية الفقهاء بالقراء ا هـ. فلا يشكل على ما قال إمامنا الشافعي وشيخه مالك من تقديم الأفقه على الأقرأ؛ لأن حاجة الصلاة إلى الفقه أتم منها إلا القراءة، وأخذ الإمام أبو حنيفة بظاهر الخبر فقدم الأقرأ على الأفقه وهو المعبر عنه بأعلمهم بالسنة، قاله الشيخ زكريا في شرح الأعلام، وقال القرطبي: السنة هي أحاديث السنن عن النبي ﷺ وهذه الزيادة، أي: فإن كانوا في القراءة سواء... الخ مما انفرد بها الأعمش، ومحلها عندنا وعند الشافعي فيما كان أول الإسلام عند عدم التفقه كان المقدم الأقرأ وإن كان صبياً كما جاء في حديث عمرو بن سلمة: «فلما تفقه الناس في الكتاب والسنة قدم الفقيه بدليل تقديم النبي ﷺ للصديق وقد نص على أن أقرأهم أبي» فلو كان المقدم الأقرأ مطلقاً لقدم على الصديق، قال: في قوله يؤم القوم أقرؤهم حجة لمنع إمامة المرأة للرجال؛ لأن القوم هم الرجال؛ لأنهم بهم يقوم الأمر كما تقدم **(فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة)** إلى النبي ﷺ أو إلى دار الإسلام، ويراعى ذلك في أولادهم، وفيه فضل الهجرة، والأولى وإن انقطعت ففضيلتها باقية **(فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً)** أي: في الإسلام كما تدل عليه الرواية الثانية «سلماً» أي: إسلاماً؛ فيقدم الشاب القديم المدة في الإسلام على الشيخ الحديثها فيه، وهذه لفضيلة السبق إلى الإسلام، قال بعض العلماء: إنما رأت الأئمة هذا الترتيب لأنها خلافة النبي ﷺ، إذ هو إمام في الدنيا والآخرة، فهي بعده للأقرب إليه منزلة والأشبه به رتبة، ومحل هذا الترتيب ما إذا لم يوجد

سُلْطانِـهِ؛ وَلَا يَقْعُـدْ في بَيْتِـهِ عَلَى تَكْـرِمَتِـهِ إِلَّا بِـإِذْنِـهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفي رِوَايَـةٍ لَـهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمـاً» بَدَلَ «سِنًّـا»: أَيْ إِسْلامـاً. وَفي رِوَايَةٍ «يَـؤُمُّ الْقَـوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتـابِ اللَّهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَواءً فَلْيَـؤُمَّهُمْ أَقْـدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَـإِنْ كَانُـوا في الْهِجْـرَةِ سَـوَاءً فَلْيَـؤُمَّهُمْ أَكْبَـرُهُمْ سِنًّـا» وَالْمُـرادُ «بِسُلْطَانِـهِ»: مَحَـلُّ وِلَايَتِـهِ،

الوالي بمحل ولايته، وإلا فيقدم حتى على الأقرأ والأفقه، فإن لم يتقدم الـوالي قدم من يصلح للإمامة وإن كان غيره أصلح منه؛ لأن الحق فيها له كما يدل عليه قوله: **(ولا يؤمن الرجل الرجل)** مثلاً **(في سلطانه)** فرب الدار مقدم على الضيف، والمعير على المستعير، والسيد على عبده غير المكاتب **(ولا يقعد على تكرمته)** في القاموس: هي الوسـادة **(إلا بإذنه)** وجه المنع من هذا ما فيه من التصرف في حق الغير بغير إذن، وإذا منع من التكرمة بغير الإذن مع التساهل فيها والتخفيف فيها فالمنع من باقي حقوق الغير بغير إذنه أولى **(رواه مسلم)** في كتاب الصلاة من خمس طرق مدارها على الأعمش، ومن طريق أخرى عن شعبة كلاهما عن إسماعيل بن رجـاء عن أوس بن ضمغج عن أبي مسعـود، وأخرجـه أبو داود والنسائي في كتاب من طريقهما، وأخرجه ابن ماجه في الصلاة، كذا لخص من الأطراف للحافظ المزي، وقال الحافظ السيوطي في الجامع: أخرجه الطبراني في الكبير وابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ا هـ. **(وفي رواية له فأقدمهم سلماً)** بكسر السين وسكون اللام **(بدل سناً)** وفسر السلم بقوله: **(أي إسلاماً)** «قلت»: لعله مأخوذ من السلم بمعنى الصلح لما فيه من الاستسلام، لاستسلام المسلم وانقياده لأحكام مولاه، وهو كذلك بكسر السين وفتحها يذكر ويؤنث كما في الصحاح **(وفي روايـة)** هي لمسلم من حديث أبي مسعود أيضاً، وكان على المؤلف ــ حيث عزا ما قبلها له ــ عزو هذه له لئلا يتوهم أنها لغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: **(يؤم القوم اقراؤهم لكتـاب الله)** أي: أرسخهم قدماً في ذلك **(و)** يقدم من الأقرأ **(أقدمهم قراءة)** وإن اختلفوا في تقدم الهمزة وتأخرها **(فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة)** منصوب على التمييز **(فإن كانوا في الهجرة سواء)** أي: وفي الأقربية وإلا فالأقرأ مقدم على الأقدم هجرة كما في الحديث قبله، فحينئذ يحمل المراد من الحديث على ما إذا تساووا في قدم الهجرة والأقرئية واختلفوا في تقدم السن في الإسلام، أو اتحدوا فيه وتفاوتوا في كبره وصغره **(فليؤمهم أكبرهم سناً)** لأنه أقرب إلى التوجه إلى المولى وأكثر عروضاً عن الدنيا وتوجهاً إلى الدار الآخرة، وتتمة الحديث قوله: «ولا يؤمن الرجل في أهله وعياله» والفعل فيه مبني للمجهول مؤكد بالنون الثقيلة **(والمراد بسلطانه محل ولايته)** من بلد إن كان أميراً **(أو الموضع الذي يختص به)** من

Made searchable using ScribeTools.com

أَوْ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ. و «تَكْرِمَتُهُ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ: وَهِيَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا[1].

٣٤٩ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ

مسجد إن كان إماماً راتباً فيه أو بيته وأهله مطلقاً، فأمير البلد وصاحب المنزل وإمام المسجد أحق بالإمامة من الغير وإن كان الغير أفقه وأقرأ **(وتكرمته بفتح التاء)** الفوقية وسكون الكاف **(وكسر الراء وهي ما ينفرد به)** أي: عن أهل منزله كرامة له **(من فراش وسرير ونحوهما)** ولا يخالف ما تقدم من أنها الوسادة عن القاموس لإمكان حمل كلامه على أنه ذكر فرداً مما ينفرد به عنهم؛ لأن الكرامة خاصة بها وإن كان ذلك ظاهر كلامه، وقال الشيخ زكريا في شرح الأعلام، وقيل: مائدته.

٣٤٩ ــ (وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة) أي: يسويها بيده الكريمة حتى لا يخرج بعضها عن بعض **(ويقول:)** حال التسوية كما هو ظاهر السياق **(استووا ولا تختلفوا)** بأن يتقدم منكب بعضكم على منكب بعض، يؤخذ منه أن الإمام إذا سوّى الصفوف باليد يسن له أن يقول ما ذكر، وجمعه ﷺ بين الفعل والقول كما هنا واقتصاره على القول فقط كما في أحاديث أخر مختلف باعتبار حال المخاطبين، فإذا علم ﷺ اكتفاءهم بالقول لفقههم وسرعة امتثالهم اقتصر عليه، وإلا لكثرتهم أو لاختلاطهم بحديثي الإسلام محتاجين لمزيد العلم جمع بينهما **(فتختلف)** بالنصب؛ لأنه جواب النهي **(قلوبكم)** أي: أهويتها وإرادتها، وفي فتح الإله: فإن قلت: هذا ينافي خبر: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله» إلى أن قال: «ألا وهي القلب»، قلت: لا منافاة؛ لأن حديث الباب دال على أن اختلاف القلوب ناشيء عن مخالفة الأعضاء هذا الأمر الذي أمرت به بخصوصها، والثاني على أن مخالفتها لما أمرت به ناشيء عن فساد القلب وخلوه عن نور الهدى واليقين، وحاصله أن فساد القلب ينشأ عنه فساد الأعضاء، وفسادها ينشأ عنه اختلاف أهوية القلوب، واختلافها ينشأ عنه اختلاف الكلمة المؤدي إلى ما لا يتدارك خرقه من الفتن وضعف الدين ا هـ. **(ليلني)** أي: ليقرب مني في الصلاة **(منكم أولوا الأحلام)** جمع حلم بالكسر كأنه من الحلم وهو الأناة والتثبت في الأمر، وذلك من شعار العقلاء، وقال المصنف: أولو الأحلام

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، (الحديث: ٢٩٠ ــ ٢٩١).

وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «لِيَلِنِي» هُوَ بِتَخْفِيفِ النُّونِ وَلَيْسَ قَبْلَهَا يَاءٌ، وَرُوِيَ بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا و «النُّهَى»: الْعُقولُ. و «أُوَّلُو الْأَحْلَامِ»: هُمُ الْبَالِغُونَ . . . . . .

هم العقلاء، وقيل: البالغون **(والنهى)** بضم النون، العقلاء، فعلى قول من يقول: أولو الأحلام العقلاء، اللفظان بمعنى عطف أحدهما على الآخر تأكيداً، وعلى الثاني معناه البالغون العقلاء، وعليه اقتصر المصنف فيما يأتي، قال أهل اللغة: وواحد النهى نهية بضم النون وهي العقل، ورجل نه ونهي وقوم نهين، وسمي العقل نهية لأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يتجاوزه، وقيل: لأنه ينهى عن القبائح، قال أبو علي الفارسي: ويجوز أن يكون مصدراً كالهدى، وأن يكون جمعاً كالظلم، قال: والنهي في اللغة الثبات والحبس ومنه النهي بكسر النون وفتحها للمكان الذي ينتهي إليه الماء فيستنقع، قال الواحدي: فرجع القولان في اشتقاق النهية إلى قول واحد وهو الحبس والنهية تنهى وتحبس عن القبيح **(ثم الذين يلونهم)** كالصبيان سواء المراهقون وغيرهم فهم في درجة واحدة**(ثم الذين يلونهم)** وهم الخناثا **(رواه مسلم)** وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، كلهم في كتاب الصلاة، وفيه كما قال المصنف: تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى بالإكرام؛ ولأنه ربما احتاج الإمام الى استخلاف فيكون هو أولى؛ ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام عن السهو ما لا يتفطن له غيره وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها ويتعلموها ويعلموها الناس، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة تقديم أهل الفضل في كل مجمع إلى إمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والإفتاء واستماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاية في ذلك الباب، والأحاديث متعاضدة على هذا، وفيه تسوية الصفوف والاعتناء بها والحث عليها **(وقوله: ليلني هو بتخفيف النون)** أي: هي للوقاية **(وليس قبلها ياء)** أي: قد حذفت للجازم **(وروي بتشديد النون مع ياء قبلها)** كذا جعلها هنا رواية، وعبارته في شرح مسلم: ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون على التوكيد ا هـ. وهو من زيادات هذا الكتاب على شرح مسلم، فليلحق بطرته وينبه عليه، ثم تنبهت لكون كلام شرح مسلم في حديث ابن مسعود وكلامه هنا في حديث أبي مسعود، ولم يذكر في الأخير شيئاً في شرح مسلم بعد ما قدمه مما نقله عنه في حديث ابن مسعود، وظاهر أن الرأي لا مجال له في هذا الشأن، وجوز ابن حجر الهيتمي إثبات الياء ساكنة مع تخفيف النون، وقال: إن ذلك لغة صحيحة **(والنهى العقول)** سكت عن كون النهى جمعاً أو مفرداً وإن كان تفسيره بالجمع يومىء إلى الأول؛ لما علمت ما فيه عن الفارسي من الاحتمالين **(وأولو الأحلام هم البالغون)** اقتصر عليه ليكون العطف على

Made searchable using ScribeTools.com

وَقِيلَ: أَهْلُ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ[١].

٣٥٠ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ النُّهى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ثَلَاثًا «وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢].

٣٥١ ـ وَعَنْ أَبِي يَحْيَى وَقِيلَ: أَبِي مُحَمَّدٍ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ «بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الثاءِ المثلثةِ» الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ

أصله في المغايرة، وتقدم أنه قيل: إنهم العقلاء وأنه عليه من عطف الرديف **(وقيل أهل الحلم)** أي: الأناة والتثبت في الأمر **(والفضل)** أي: العلم، وعليه فيكون عطف أولي النهى عليه من عطف العام على الخاص، وحكاية هذا القول مزيدة على شرح مسلم.

٣٥٠ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود)** الهذلي الصحابي الجليل، تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الصبر **(قال: قال رسول الله ﷺ: ليلني)** بحذف الياء وتخفيف النون كما ضبطه المصنف في شرح مسلم **(منكم أولو الأحلام والنهى)** يجوز في الظرف أن يكون لغواً معلقاً بالفعل وأن يكون مستقراً حالاً من الفاعل مقدماً عليه **(ثم الذين يلونهم ثلاثاً)** أي: كرر ذلك ثلاث مرات، والتكرار باعتبار صفوف المأمومين، فالأولون البالغون والثانون الصبيان والثالثون الخناثى **(وإياكم)** منصوب على التحذير، وكرره لمزيد التأكيد فقال: **(وإياكم)** أي: احذروا أنفسكم **(وهيشات)** بفتح الهاء وسكون التحتية والشين المعجمة **(الأسواق)** أي: اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها، قاله المصنف، وقال القرطبي: هيشات الأسواق قال أبو عبيدة: هو شاذ، والهوشة الفتنة والهيج والاختلاف، يقال هوش القوم إذا اختلفوا **(رواه مسلم)**.

٣٥١ ـ **(وعن أبي يحيى وقيل: أبي محمد سهل)** بفتح المهملة وسكون الهاء **(ابن أبي حثمة بفتح الحاء المهملة وإسكان المثلثة)** واسم أبي حثمة عبد الله بن ساعدة، **وقيل:** عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي بن خيثم ابن مخدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس **(الأنصاري الخزرجي)** الأوسي الحارثي **(رضي الله عنه)** وهو مدني، توفي النبي ﷺ وهو ابن ثمان سنين، وقد حفظ عن رسول الله ﷺ أحاديث، روي له عن النبي ﷺ خمسة وعشرون حديثاً، اتفقا على ثلاثة منها، روى عنه نافع بن جبير

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها... (الحديث: ١٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها... (الحديث: ١٢٣).

سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعودٍ إِلَى خَيْبَرَ، وَهِيَ يَـوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَـرَّقَا، فَـأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْـدِ آللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُـوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيـلاً فَدَفَنَـهُ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَـدِينَـةَ، فَـانْـطَلَقَ عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ بْنِ سَهْـلٍ وَمُحَيِّصَـةُ وَحُـوَيِّصَـةُ ابْنَـا مَسْعُـودٍ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ، فَـذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «كَبِّرْ كَبِّـرْ» وَهُوَ أَحْـدَثُ الْقَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمـا. فَقَالَ:

وعبـد الرحمن بن مسعـود والزهـري، وقيل: لم يسمـع منه ا هـ. ملخصـاً من التهـذيب للمصنف. **(قال: انطلق عبد الله بن سهل)** بن زيد بن عامر بن عمرو بن مخدعة بن حارثة الأنصاري الحارثي **(ومحيصة)** بتشديد التحتية وتخفيفها لغتان مشهورتان فيه وفي حويصة الآتي، قال المصنف: ذكرهمـا القاضي أشهـرهما التشـديد **(ابن مسعـود)** ابن كعب بن عامر بن عمرو بن مخدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري **(إلى خيبر)** البلدة المعروفة، ذكر الحازمي أن أراضي خيبر يقال فيها: خيابر، بفتـح المعجمة وخروجهما إليها ليمتارا منها **(وهي يومئذ صلح)** أي: مع النبي ﷺ، أي: بعد فتحها وإقرار أهلها عليها صلحاً **(فتفرقا)** لحوائجهما **(فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط)** أي: يتخبط ويضطرب **(في دمه قتيلاً)** لحال من فاعل يتشحط **(فدفنه ثم قدم)** بكسر الدال **(المدينة)** علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ، مأخوذة من دان إذا أطاع، وهي محل الدين في الحديث «أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» **(فانطلق عبد الرحمن بن سهل)** أخو المقتول **(ومحيصة وحويصة)** بتشديد الياء على المشهور فيهما كما تقدم **(ابنا مسعود)** ابنا ابن عم أبي المقتول **(إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن)** قال الشيخ زكريا في شرح الأعلام: وفي رواية، محيصة **(يتكلم)** فيجوز أن يكون كل منهما ذهب يتكلم، وكان حويصة أكبر منهما، والجملة في محل الحال **(فقال)** النبي ﷺ للمتكلم: **(كبر كبر)** بتشديد الموحدة، أي: راع الكبر بضم الكاف، كذا في شرح الأعلام، لكن في مسلم بعد قوله: كبر الكبر في السن، قال المصنف: معناه يريد الكبر في السن والكبر منصوب بإضمار يريد أو نحوها، وفي نسخة المكبر ا هـ. ومقتضى ضبطه النسخة الأولى أن يكون بالكسر والفتح، قال في المصباح: كبر الصغير وغيره يكبر من باب تعب كبراً بوزن عنب، وكبر الشيء كبراً من باب قرب عظم فهو كبير أيضاً ا هـ. وظاهر أن ما نحن فيه من المادة الأولى، ثم رأيت العاقولي بين وجه ما في الأعلام كما يأتي عنه قريباً **(وهو)** أي: عبد الرحمن **(أحدث القوم)** سناً وأسن منه محيصة وأسن منهما حويصة **(فسكت فتكلما)** بأن يذكر الأصغـر الأكبر مـا نسيه، قال المصنف: واعلم أن حقيقة الدعوى إنما هي لأخيه عبد الرحمن لا حق فيها لابني عمه، وإنما أمر ﷺ أن يتكلم الأكبر وهو حويصة؛ لأنه لم يكن المراد بكلامه حقيقة الدعوى

Made searchable using ScribeTools.com

«أَتَحْلِفونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَديثِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» مَعْنَاهُ: يَتَكَلَّمُ الْأَكْبَرُ(١).

٣٥٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ (يَعْني في الْقَبْرِ) ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُما أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرآنِ؟» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِما

بل سماع صورة القصة وكيف جرت، وإذا أراد حقيقة الدعوى تكلم عبد الرحمن، ويحتمل أن يكون وكلهما في الدعوى، وقال العاقولي: هذا إرشاد وتأديب لأنهما ابنا عم أبيه وقد حضرا معه لنصره، وإذا لم يوقرهما بأن يجعل الكلام إليهما فقد أضاع حقهما، إذن لا نصيب لهما في الإرث ولا ترك لهما مجالاً في القول، والإنسان إنما يتسلى بأحد هذين: مال يأخذه أو كلام ينصت إليه فيه ويذعن له، ويؤخذ منه استحباب تقديم الكبير سناً؛ لأن حويصة أسن من عبد الرحمن ورتبة فإنه في عداد والده، والكبر بالضم، يقال: فلان كبر في قومه إذا كان أقعدهم سناً ا هـ. وله نظائر، فإنه يقدم بذلك في الإمامة وولاية النكاح ندباً وغير ذلك **(فقال: أتحلفون)** أي: خمسين يميناً كما جاء في رواية **(وتستحقون قاتلكم)** أي: يثبت حقكم عليه، وهل هو قصاص أو دية؟ فيه خلاف بين العلماء، وعرضه اليمين عليهم محمول على أن المراد إن علموا ذلك أو ظنوه، إذ لا يجوز الحلف إلا عند وجود ذلك، وعرضته على الثلاثة مع أنها للوارث وهو الأخ، وأما الآخران فلا ميراث لهما مع وجوده للعلم بأنها لا تجب على غير الوارث، فأطلق الخطاب لهم ومراده من يختص به اليمين، والإطلاق لكونه معلوماً عند المخاطبين كما سمع صورة الواقعة من القوم، وإن الدعوى مختصة بالأخ، قاله المصنف **(وذكر تمام الحديث)** مما لا يتعلق به غرض الترجمة وهو تقديم أهل الفضل والسن **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في خمسة أماكن من صحيحه، ومسلم في الحدود، وأبو داود والترمذي وابن ماجه في الديات، والنسائي في القضاء **(وقوله ﷺ كبر كبر)** بالتكرير للتأكيد **(معناه يتكلم)** أي: ليتكلم **(الأكبر)** أي: في السن كما ذكره المصنف في شرح مسلم، أو في الرتبة كما تقدم عن العاقولي وغيره.

٣٥٢ ـ (وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان) للحاجة من كثرة القتلى وقلة العمال **(يجمع بين الرجلين من قتلى أحد)** بضمتين، الجبل المعروف بالمدينة، وكان غزوته سنة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الديات، باب: القسامة (٦/١٩٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة، باب: القسامة (الحديث: ١).

قَدَّمَهُ في اللَّحْد. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٣٥٣ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَرَاني فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِواكٍ فَجَاءَني رَجُلانِ أَحَدُهُما أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ فَقِيلَ لِي كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُسْنَداً . . . . . .

أربع من الهجرة على قول الأكثر، قال الحافظ في الفتح: روى أصحاب السنن عن هشام بن عامر الأنصاري قال: «جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا: أصابنا قرح وجهد فقال ﷺ: احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر» صححه الترمذي، وأما دفن الرجل مع المرأة فروى عبد الرزاق بإسناد حسن عن وائلة بن الأسقع: «أنه كان يدفن الرجل والمرأة في القبر الواحد فيقدم الرجل ويجعل المرأة وراءه وكان يجعل بينهما حائل من تراب ولا سيما إذا كانا أجنبيين» ا هـ. وقوله: **(يعني في القبر)** بيان للمجموع فيه، وخرج به الكفن فكان كل يفرد بكفنه **(ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً)** أي: حفظاً **(للقرآن فإذا أشير)** أي: بكثرة الأخذ **(إلى أحدهما)** أي: الرجلين **(قدمه في اللحد)** إلى جهة القبلة من غيره ولو أسن منه تعظيماً له أو تشريفاً لما خص به من أكثرية لأخذ للقرآن، وظاهر منه بالأولى تقديم الآخذ لشيء من القرآن على من لم يأخذ بالمرة **(رواه البخاري)** في الجنائز وفي المغازي، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في الجنائز أيضاً، وقال الترمذي: حسن صحيح.

٣٥٣ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أراني) قال الحافظ في الفتح: بفتح الهمزة من الرؤية ووهم من ضمها **(في المنام)** مصدر ميمي، أي: النوم، والظرف في محل الحال وجملة: **(أتسوك)** بتشديد الواو، في محل المفعول الثاني **(بسواك)** الباء فيه للاستعانة **(فجاءني رجلان)** في المنام **(أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر)** لعلة أو لمعنى رآه ﷺ فيه من علم أو نحوه **(فقيل لي: كبر)** بتشديد الموحدة، والقائل جبريل كما جاء كذلك في رواية ابن المبارك **(فدفعته إلى الأكبر منهما)** قال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام، قال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم، فإن ترتبوا فالسنة تقديم الأيمن وهو صحيح، ويؤيده تقديم الأعرابي على الصديق في دفع الشراب إليه، وفيه أن استعمال سواك الغير بإذنه غير مكروه إلا أن المستحب غسله ثم استعماله **(رواه مسلم)** في الرؤيا وفي آخر الكتاب **(مسنداً)** عن نصر بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: دفن الرجلين والثلاثة في قبر، وفي المغازي (٣/ ١٧٠).

Made searchable using ScribeTools.com

وَرَوَاهُ الْبُخارِيُّ تَعْلِيقاً[١].

٣٥٤ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» حَدِيْثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[٢].

علي عن أبيه عن صخر بن جويرية عن رافع عن ابن عمر **(ورواه البخاري تعليقاً)** بصيغة الجزم، فقال: وقال عفان ثنا صخر بن جويرية بالإسناد المذكور، قال الحافظ في الفتح: قال الإسماعيلي: أخرجه البخاري بلا رواية، «قلت»: وقد وصله أبو عوانة في صحيحه عن محمد بن إسحاق الصنعاني، وغيره عن عفان، وكذا أخرجه أبو نعيم والبيهقي من طريقه، والتعليق حذف أول السند واحداً فأكثر ولو لجميع السند مأخوذ من تعليق الجدار.

٣٥٤ ــ (وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من إجلال الله) أي: من تعظيمه وتبجيله **(إكرام ذي)** أي: صاحب **(الشيبة المسلم)** الذي شاب شعره، أي: أبيض ونفذ عمره في الإسلام والإيمان، فتعظيمه وتقديمه في الصلاة بشرطه على غيره، وفي المجامع والمجالس وفي القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته عند مولاه سبحانه **(وحامل القرآن)** أي: قارئه، سمي **حاملاً** لما تحمل في حفظه من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره، فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة **(غير)** بالنصب على الاستثناء وبالجر على الوصفية **(الغالي)** بالمعجمة **(فيه)** المتجاوز الحد في التشدد، والعمل به، وتتبع ما خفي منه، واشتبه عليه من معانيه، والكشف عن دقيق علله التي لا يصل فيها عقله بما يبتدعه في الدين ليضل ويضل غيره ويجاوز حدود قراءته ومخارج حروفه ومده **(والجافي عنه)** أي: التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه، فإن هذا من الجفاء وهو البعد عن الشيء، قال في النهاية: وإنما قال ذلك لأن من أخلاقه التي أمر بها القصد في الأمر، والغلو التشديد في الدين ومجاوزة الحد، والتجافي البعد عنه، «قلت»: لا سيما من أعرض عنه بكثرة النوم والبطالة والإقبال على الدنيا والشهوات، وما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ بأحكامه ولا يعمل بها فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً **(وإكرام ذي)** أي: صاحب **(السلطان)** أي: الملك والتسلط **(المقسط)** بضم الميم، أي: العادل في حكمه بين رعيته **(حديث حسن رواه أبو داود)** في الأدب من سننه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الرؤيا، باب: رؤيا النبي ﷺ (الحديث: ١٩).
وأخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: دفع السواك إلى الأكبر (١/٣٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم (الحديث: ٤٨٤٣).

٣٥٥ ــ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرحَمْ صَغيرَنا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرِنَا» حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «حَقَّ كَبِيرِنا»[1].

٣٥٦ ــ وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّ بِها سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ

---

٣٥٥ ــ (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه) شعيب **(عن جده)** أي: جد أبيه، أي: إن أباه رواه عن جده وهو عبد الله بن عمرو **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا)** أي: من أهل سنتنا وهدينا وطريقتنا **(من لا يرحم صغيرنا)** أي: الصغير من المسلمين بأن يشفق عليه ويرحمه ويحسن إليه ويلاعبه **(ويعرف شرف كبيرنا)** أي: بما يستحقه من التعظيم والإجلال والتبجيل، وتوضحه رواية أحمد: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا» ولأحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه: «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» **(حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي)** في أبواب البر واللفظ له عن ابن عمر **(وقال الترمذي: حديث صحيح)** الذي في الجامع، وقال: حسن صحيح، وكذا في نسخة من الرياض، والظاهر أنه حسن باعتبار، طريق صحيح باعتبار آخر، لأنه رواه من طريقين ينتهيان إلى عمرو بن شعيب، وفي رواية له عن أنس مرفوعاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يوقر كبيرنا» وقد نبه المصنف على أن اللفظ المذكور للترمذي فقال: **(وفي رواية أبي داود حق كبيرنا)** أي: عبر بحق بدل شرف، وقد أخرجه باللفظ المروي عن الترمذي وأحمد والحاكم في مستدركه.

٣٥٦ ــ (وعن ميمون) بفتح الميم الأولى وسكون التحتية **(ابن أبي شبيب)** بفتح المعجمة وكسر الموحدة بوزن حبيب، وهو الربعي أبو نصر الكوفي، قال الحافظ في التقريب: صدوق، كثير الإرسال من الثالثة، مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجماجم **(أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل)** أي: متعرض بالسؤال لطلب الإحسان **(فأعطته كسرة)** بكسر

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الرحمة، (الحديث: ٤٩٤٣).
وأخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الصبيان، (الحديث: ١٩٢٠، ١٩٢١).

Made searchable using ScribeTools.com

كِسْرَةً، وَمَرَّ بِها رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيابٌ وَهَيْئَةٌ فَأَقْعَدتْهُ فَأَكَلَ، فَقِيلَ لَهَا في ذَلِكَ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. لَكِنْ قَالَ: مَيْمُون لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ. وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ في أَوَّلِ صَحِيحِهِ تَعْلِيقاً، فَقَالَ: وَذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ،

الكاف وسكون المهملة، وهي هنا القطعة المكسورة من الخبز، والجمع كسر كسدرة وسدر **(ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة)** هي في اللغة الحالة الظاهرة، والمراد هنا حالة حسنة **(فأقعدته فأكل)** قال السخاوي في المقاصد: ولفظ أبي نعيم في الحلية: «فمر رجل غني ذو هيئة فقالت: ادعوه فنزل فأكل ومضى وجاء سائل فأمرت له بكسرة فأكل فقالت: إن هذا الغني لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يرضاه وإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم» **(فقيل لها في ذلك)** بحذف الفاعل لغرض من أغراض حذفه **(فقالت: قال رسول الله ﷺ: انزلوا الناس منازلهم)** هو حض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام والمخاطبة والمكاتبة وغير ذلك من الحقوق كما تقدم عن المصنف، قال الإمام مسلم: فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يرفع متضع القدر فوق منزلته، ويعطى كل ذي حق حقه من قوله تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾[1] وهذا في بعض الأحكام أو أكثرها، وقد سوى الشرع بينهم في القصاص والحدود وأشباهها مما هو معروف ا هـ. قال العلماء في الحديث: إن العالم إذا فعل شيئاً يخفى أمره وسئل عن ذلك يستدل بالحديث النبوي، إذ هو من أقوى الحجج الشرعية وهو أبلغ من ذكر الحكم بلا دليل. **(رواه أبو داود)** في الأدب من سننه، قال السخاوي: ورواه ابن خزيمة في صحيحه والبزار وأبو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الأدب والعسكري في الأمثال، ومداره عندهم على ميمون **(لكن قال:)** أبو داود **(ميمون لم يدرك عائشة)** أي: فالحديث منقطع، قال السخاوي في كتاب الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: وتعقب ابن الصلاح ما ذكر عن أبي داود بأن ميمون أدرك المغيرة وهو قد مات قبل عائشة، وأشار إلى أنه على شرط مسلم لاكتفائه بالمعاصرة مع إمكان التلاقي، وأقره النووي على ذلك، وفيما أشار إليه نظر؛ فإن الاكتفاء بالمعاصرة محله في غير المدلس، وميمون قد قال فيه عمرو بن الغلاس: ليس بقوي في شيء من حديثه[2]، سمعت ولم أخبر أن أحداً منهم يزعم أنه سمع الصحابة ا هـ. وصرح غيره بأنه روى عن جمع من الصحابة لم يدركهم، منهم معاذ وأبو ذر وعلي، فلذا قال أبو

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٢) هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا.

قَالَتْ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «مَعْرِفَةُ عُلومِ الْحَدِيثِ» وَقَالَ هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ(١).

٣٥٧ ــ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ.....

حاتم: إن روايته عنها مرسلة، بل صرح أيضاً بأن روايته عن عائشة غير متصلة، وكذا قال البيهقي، حديثه عنها مرسل، وقال أبو نعيم: إنه ضعيف، ثم ذكر السخاوي تصحيح بعض المحدثين لروايته عن أبي ذر وعن معاذ والمغيرة، ثم قال: وهذا كله مشعر بإدراك ميمون لعائشة، ثم إن الجواب عن أبي داود ممكن بأن يكون مراده أنه لم يدرك السماع منها، وجزم ابن القيم بفساد التعقب المشار إليه، أي: بالرواية عن المغيرة وغيره بأن ميموناً كان بالكوفة فسماعه من المغيرة لا ينكر لأنه كان معه بها بخلاف عائشة فإنها كانت بالمدينة، قال: وأئمة هذا الشأن لهم أمر وراء المعاصرة على أن الحافظ العراقي قال: لم يأت في خبر قط إدراك ميمون للمغيرة إنما أخذه ابن الصلاح من رواية مسلم في المقدمة عنه عن المغيرة حديثاً استشهاداً وقال فيه: إنه حديث مشهور، ثم أشار السخاوي إلى أن من ذكر رواية موقوفاً عليها **(وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً)** وهو في مسلم قليل جداً **(فقال: وذكر)** بالبناء للمفعول **(عن عائشة)** قال المصنف: هو بالنظر إلى أن لفظه ليس جازماً لا يقتضي حكمه بصحته، وبالنظر إلى أنه احتج به وأورده إيراد الأصول لا إيراد الشواهد يقتضي حكمه بصحته **(قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل)** بضم النون الأولى وسكون الثانية مضارع أنزل، وفي رواية بضم الأولى وفتح الثانية وتشديد الزاي وهي المشهورة **(الناس منازلهم وذكره الحاكم أبو عبيد الله)** من الربيع بفتح الموحدة وتشديد التحتية **(في كتابه معرفة علوم الحديث)** في النوع السادس عشر **(قال: وهو حديث صحيح)** وعبارته: صحت الرواية عن عائشة رضي الله عنها، وساقه بلا إسناده، وكذا صححه ابن خزيمة لأنه أخرجه في كتاب السياسة من صحيحه وتعقب التصحيح بما تقدم من انقطاعه، وباختلاف رواته في رفعه تارة ووقفه على عائشة أخرى، قال السخاوي في الجواهر: هذا حديث حسن وفي المقاصد، وبالجملة فحديث عائشة حسن، قال أبو أحمد العسكري في الأمثال: وهذا الحديث مما أدب به النبي ﷺ أمته في إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء وإكرام ذي الشيبة وإجلال الكبير وما أشبهه.

٣٥٧ ــ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة) بضم العين وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية بعدها نون فهاء **(ابن حصن)** بكسر المهملة الأولى، ابن حذيفة بن بدر بن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم(الحديث: ٤٨٤٢).

Made searchable using ScribeTools.com

فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً. فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ،

عمرو بن حوبة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن مفيض بن ربيع بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ــ بالمهملة ــ الفزاري، أسلم بعد الفتح، وقيل: قبله، وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم والأعراب الجفاة، ثم ارتد وقاتل مع طليحة الأسدي فأسرته الصحابة وحملوه إلى الصديق فأسلم فأطلقه، والمراد أنه قدم المدينة **(فنزل على ابن أخيه الحر)** بضم المهملة وتشديد الراء **(ابن قيس)** والحر صحابي، أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وهو الذي خالف ابن عباس في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه، فقال ابن عباس: هو الخضر فسألا أبياً فذكر حديثاً مرفوعاً كما قال ابن عباس، وحكاية الخلاف بينهما في كتاب العلم من صحيح البخاري، وقيل: المخالف لابن عباس عوف البكالي وهو كذلك في مسلم، قال العلائي: كان للحر، ابن شيعي وابنة حرورية وامرأة معتزلية وجارية مرجئية فقال لهم الحر: أنا وأنتم كما قال تعالى: ﴿كنا طرائق قدداً﴾ [1] **(وكان)** أي: الحر **(من النفر)** بفتح النون والفاء، وهو كما في المصباح جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: إلى سبعة، ولا يقال فيما زاد على العشرة اهـ. «قلت»: فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه **(الذين يدنيهم)** بضم التحتية الأولى، أي: يقربهم **(عمر رضي الله عنه)** منه لعلمهم وعملهم **(وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه)** المقدمين فيه **(و)** أصحاب **(مشاورته)** مصدر شاورته في الأمر، قال في المصباح: شاورته في كذا واستشرته فيه راجعته لأرى رأيه فيه فأشار علي بكذا، أي: أراني ما عنده من المصلحة والاسم المشورة، وفيها لغتان: سكون الشين وفتح الواو وضم الشين وسكون الواو، ويقال: هي من شار الدابة إذا عرضها في المشوار، وقيل: من شرب العسل، شبه حسن النصيحة بشرب العسل اهـ. **(كهولاً)** خبر مقدم لقوله: **(كانوا أو شباناً)** عطف على كهولاً وهو بضم الشين المعجمة وتشديد الموحدة الأولى، جمع شاب كفارس وفرسان، ويجوز أن يقرأ شباب بفتح المعجمة وتخفيف الموحدة الأولى جمع شاب أيضاً، كما في مصدر شب، فيكون على تقدير مضاف أو على تقدير المبالغة كزيد عدل، قال في الفتح: الأولى رواية الأكثر والثانية رواية الكشميهني، والشباب قبل الكهولة، وقد

---

(١) سورة الجن، الآية: ١١.

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ[1]: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ

تقدم بيان الاسنان ونظمها للدماميني في باب تعظيم حرمات المسلمين، وفيه تقديم أولي الفضل على من عداهم وإن كانوا دونهم في السن أو في النسب والحسب **(فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه)** أي: تقدم **(عند هذا الأمير)** يعني عمر **(فاستأذن لي عليه)** أي: اسأل لي منه الإذن في الدخول عليه **(فاستأذن له فأذن عمر رضي الله عنه فلما دخل)** معطوف على مقدر، أي دخل فلما دخل **(قال: هي)** بكسر الهاء وسكون التحتية، كلمة تهديد، وقيل: ضمير وثم محذوف، أي: هي داهية **(يا ابن الخطاب)** بفتح المعجمة وتشديد المهملة **(فوالله ما تعطينا الجزل)** أي: ما يجزل لنا من العطاء، وأصل الجزل ما عظم من الحطب **(ولا تحكم فينا بالعدل)** هو خلاف الجور، يقال: عدل على القوم من باب ضرب عدلاً **(فغضب عمر)** لما نسبه إليه من الجور **(حتى هم)** بتشديد الميم، أي: أراد **(أن يوقع)** بضم التحتية **(به شيئاً)** أي: من العقوبة أو شيئاً من الإيقاع، وذلك لجفاه وسوء أدبه معه **(فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه ﷺ: خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)** أي: والأصل في أحكام التكاليف اشتراك أمته معه حتى يدل دليل على التخصيص والاقتداء فيما لم يدل دليل على الخصوص مطلوب، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[2] وقوله: ﴿خذ العفو﴾[3] أي: ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد، أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل أو ما يسهل من صدقاتهم، وقوله: ﴿وامر بالمعروف﴾[4] أي: بالمعروف المستحسن من الأفعال وقوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾[5] أي: فلا تمارهم ولا تكافئهم مثل أفعالهم، وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها **(وإن هذا من الجاهلين)** أي: المأمور بالإعراض عنهم **(ووالله)** الواو الأولى عاطفة على فقال له الحر والثانية للقسم **(ما جاوزها)** وفي نسخة: ما جازها **(عمر رضي الله عنه)** أي: بالمخالفة لها **(حين تلاها عليه)** بل وقف عندها فأعرض عن مكافأة جهله **(وكان وقافاً)** بتشديد القاف

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

Made searchable using ScribeTools.com

كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٣٥٨ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلاماً، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ أَنَّ هَهُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ مِنِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

(عند) أوامر (كتاب الله) يعني القرآن، كناية عن امتثالها والقيام بأداء ما أمر بأدائه وترك ما نهي عنه (رواه البخاري) في كتاب التفسير والاعتصام من صحيحه، وهذا الحديث ذكره المصنف في أواخر باب الصبر وتقدم شرحه، ثم وفيه بعض فوائد زائدة على ما هنا.

٣٥٨ ــ (وعن أبي سعيد) وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو سليمان، وقيل: أبو محمد حكاها في التهذيب (سمرة) بفتح السين وضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم والدال المهملة وبفتح الدال بينهما نون ساكنة، ابن هلال بن حريج ــ بمهملة مفتوحة فراء مكسورة فتحتية ساكنة فجيم ــ ابن مرة بن حزن بن عمر جابر بن خشين ــ بخاء وشين معجمتين ابن لاي بن عصم بن شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الفزاري الصحابي (رضي الله عنه) توفي أبوه وهو صغير فقدمت به أمه المدينة فتزوجها أنصاري، وكان في حجره حتى كبر، فقيل: أجازه النبي ﷺ في المقاتلة يوم أحد وغزا مع النبي ﷺ غزوات ثم سكن البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة وعلى الكوفة إذا سار إلى البصرة، وكان الحسن وابن سيرين وفضلاء البصرة يثنون عليه، روي له عن النبي ﷺ مائة حديث، اتفقا منها على حديثين وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بأربعة، توفي بالبصرة سنة تسع، وقيل: ثمان وخمسين، وقال البخاري: توفي سمرة بعد أبي هريرة يقال آخر سنة تسع وخمسين ويقال سنة ستين (قال: لقد كنت على عهد) أي: زمن حياة (رسول الله ﷺ غلاماً) تقدم ما يؤخذ منه أن سنه كانت عند وفاة النبي ﷺ نيفاً وعشرين سنة، فالمراد من الغلام الصغير في السن (فكنت أحفظ عليه) معطوف على كنت الأول (فما يمنعني من القول) أي: من التحديث (إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني) أخذ منه علماء الأثر قولهم: يكره أن تحدث إذا كان في البلد من هو أولى به لزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن أو نحو ذلك، بل يدل عليه، وهذا بخلاف باقي العلوم فلا يكره تعاطيها للمفضول المتأهل مع وجود الأعلم بها منه (متفق عليه).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/ الأعراف والاعتصام، باب: الاقتداء بسنن النبي ﷺ (٨/٢٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: أين يقوم الإمام من الميت... (الحديث: ٨٨)، وأخرجه =

٣٥٩ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

٤٥ ــ باب: في زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

٣٥٩ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما أكرم شاب)** بتشديد الموحدة **(شيخاً)** أي: داخلاً في سن الشيخوخة، وهو ما بعد الخمسين **(لسنه)** أي: لأجل كبره **(إلا قيّض)** بتشديد التحتية والضاد المعجمة، أي: قدر **(الله له من يكرمه عند سنه)** أي: كبره، ففيه إيماء إلى وعد من أكرم شيخا لسنه لله تعالى بأن يطول عمر المكرم حتى يبلغ ذلك السن، ويقدر الله له من يقوم بكرامته فيدان بما دان به **(رواه الترمذي وقال: غريب)** في الجامع الصغير على الحديث علامة الحسن.

باب زيارة أهل الخير

أي: قصدهم تشوقاً إليهم، قال في المصباح: زاره يزوره قصده شوقاً إليه فهو زائر وزور وزوار، مثل: سافر وسفر وسفار ونسوة زور أيضاً، وزور مثل نوح وزائرات ا هـ. والمراد من أهل الخير حزب الله المنقطعون إليه اللائذون به الحائزون لشرف العلم والعمل به مع الإخلاص فيه، ومن شبه بقوم فهو منهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، أماتنا الله على محبتهم وحشرنا كذلك في زمرتهم **(ومجالستهم)** أي: ليحفظ نفسه ذلك الزمن عن المخالفة لمولاه، فإن ذلك أقل ثمرات مجالستهم، ويراعي في ذلك الأدب ويحفظ نفسه من الخواطر بين يدي أهل الله تعالى **(وصحبتهم)** أي: المصاحبة معهم **(ومحبتهم)** أي: تعاطي ما يوصل إليها، والمصادر مضافة لمفعولها والفاعل محذوف **(وطلب زيارتهم ودعائهم)** مصدران مضافان لفاعلهما، واستحباب طلبه لزيارتهم له لتعود بركتهم على منزله ومن به، وطلبه لدعائهم له لأنه أقرب إلى الإجابة وأرجى إلى الحصول **(وزيارة)** معطوف على زيارة المضاف إليه الباب، أي: وزيارته **(المواضع الفاضلة)** وفضلها بكونها مساجداً وبكونها مأثورات عن النبي ﷺ، أو عن أحد من الصحابة، أو عن متعبدات الأولياء الصالحين فالمكان بالمكين.

= البخاري في كتاب: الفضائل (١/٣٣٦، ٣/١٦٢).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في إجلال الكبير، (الحديث: ٢٠٢٢).

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[٢]: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾.

(قال تعالى: وإذ قال موسى لفتاه) أي: واذكر إذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون بن أفراثيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام، فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذا سمي فتاه، وقيل: لعبده **(لا أبرح)** لا أزال أسير، فحذف الخبر لدلالة حاله ــ وهو السفر ــ عليه، وقوله: **(حتى أبلغ مجمع البحرين)** من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه، ويجوز أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا تستدعي خبراً، ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق، وعد لقاء الخضر فيه، وقيل: البحران موسى وخضر، فإن موسى كان بحر علم الظاهر، وخضر كان بحر علم الباطن، وقرىء مجمع بكسر الميم الثانية على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع **(أو أمضي حقباً)** أي: أسير زمناً طويلاً، والمعنى: حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب وهو الدهر، وقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون سنة، وكان الخضر في أيام أفرندون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى **(فلما بلغا مجمع بينهما)** أي: مجمع البحرين، وبينهما ظرف، وأضيف إليه على الاتساع أو بمعنى الوصل **(نسيا حوتهما)** أي: نسي موسى أن يطلب حاله ويتعرفه، ويوشع أن يذكر ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وكان ذلك العلامة من الله تعالى لموسى على مكان الخضر، وكان الحوت مشوياً فوثب في ذلك المكان في البحر معجزة لموسى أو الخضر **(فاتخذ سبيله في البحر سرباً)** فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً، وسرباً مفعول ثان، وفي البحر حال منه أو من السبيل، ويجوز تعلقه باتخذ **(فلما جاوزا)** مجمع البحرين **(قال لفتاه آتنا غداءنا)** أي: ما نتغدى به **(لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)** قيل: لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر ألقي عليه الجوع والنصب، وقيل: لم يعي موسى في سفر غيره، ويؤيده التقييد باسم الإشارة **(قال: أرأيت إذ أوينا)** أي: أرأيت ما دهاني إذ أوينا **(إلى الصخرة)** يعني التي وعد عندها موسى بلقاء الخضر **(فإني نسيت الحوت)** أي: فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه **(وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره)** أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان، فإن أذكره بدل من مفعول إنساني، وهو اعتذار عن نسيانه لشغل الشيطان له بوسواسه، والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها، لكنه لما جرت بمشاهدة أمثالها عن موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٠ ــ ٦٦.

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

٣٦٠ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ .....

في الاستقبال وانجذاب شراشره إلى جانب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه، أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الأخرى يعد من النقصان **(واتخذ سبيله في البحر عجباً)** سبيلاً عجباً وهو كونه كالسرب، أو اتخاذاً عجباً، والمفعول الثاني هو الظرف، وقيل: هو مصدر فعله المضمر، أي: قال في آخر كلامه: أو موسى في جوابه عجباً تعجباً من تلك الحال، وقيل: الفعل لموسى، أي: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً **(قال ذلك)** أي: أمر الحوت **(ما كنا نبغ)** نطلب؛ لأنه إمارة المطلوب، قال البكري: وحذف الياء على التشبيه بالفواصل وسهل **ذلك** أن الياء لا تضم ههنا، وقرىء بإثباتها وهو الجيد ا هـ. **(فارتدا)** فرجعا **(على آثارهما)** في الطريق التي ذهبا منها **(قصصاً)** يقصان قصصاً، أي يتبعان آثارهما اتباعاً، أو مقتصين حتى أتيا الصخرة **(فوجدا عبداً من عبادنا)** الجمهور أنه الخضر واسمه بليامين ملكان، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس **(آتيناه)** بالمد، أعطيناه **(رحمةً)** هي الوحي والنبوة **(من عندنا وعلمناه من لدنا علماً)** مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب **(قال له موسى وهل أتبعك)** ففي هذا دليل لزيارة أهل الخير في أماكنهم ومصاحبتهم ومجالستهم والتواضع معهم، قال السيوطي في «الإكليل في أحكام التنزيل»، في الآية أنه لا بأس بالاستخدام واتخاذ الرفيق والخادم في السفر، واستحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العالم من العلم، وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه في المرتبة ا هـ. ملخصاً. **(وقال تعالى: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)** تقدم الكلام عليها في باب فضل ضعفة المسلمين.

٣٦٠ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد)** ظرف للقول **(وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن)** هي بفتح الهمزة والميم وسكون التحتية بينهما، مولاة رسول الله ﷺ **(رضي الله عنها)** صارت إليه بالإرث من أبيه، قاله بعض، وقال القرطبي: كانت لأمه آمنة فورثها عنها، ونقله الدميري عن أبي بن شيخ، **وقال** في الديباجة: عتقها عبد الله أبو النبي ﷺ، قال: وقال الواقدي: كانت لعبد المطلب وصارت للنبي ﷺ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: «مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لاَ أَبْكِي أَنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى

ميراثاً، أي: بأن وهبها لابنه عبد الله، ثم ورثها النبي، إذ من البين أن النبي ﷺ لم يرث عبد المطلب لوجود أولاده، وفي فتح الباري في أواخر كتاب الهبة، قال ابن شهاب: كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر، فأعتقها ﷺ ثم أنكحها زيد بن حارثة، وتوفيت بعده ﷺ بخمسة أشهر، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان رضي الله عنهما، وهي أم أيمن غلبت عليها كنيتها، كنيت بابنها أيمن بن عبيد، وهي بعده أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بن حارثة عبيد الحبشي فولدت له أسامة، يقال لها مولاة رسول الله ﷺ وخادمه، وتعرف بأم الظباء، وشربت هى وأم أيمن بركة مولاة أم حبيبة، جاءت بها من أرض الحبشة بوله ﷺ، قال السهيلي: أم أيمن بركة المذكورة، أي: في الترجمة هي التي هاجرت في حر شديد من مكة إلى المدينة وليس معها أحد، فبينا هي كذلك إذ سمعت حفيفاً فوق رأسها فالتفتت فإذا دلو أدلي لها من السماء فشربت منها فلم تظمأ بعدها أبداً، وكانت تتعمد الصوم في خيار القيظ لتعطش فلا تعطش **(نزورها)** جملة مستأنفة **(كما كان رسول الله ﷺ يزورها)** كرامة لها، وكان يقول: «أم أيمن أمي»، وكان ﷺ يكرمها ويبرها مبرة الأم ويكثر زيارتها وكان عندها كالولد ولذا تصخب عليه، أي: ترفع صوتها عليه وتدمر، أي: تغضب وتضجر فعل الوالدة بولدها، قاله القرطبي: وقال المصنف: في هذه الجملة زيارة الصالحين وفضلها، وزيارة الصالح لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره لأهل ود صديقه، وزيارة جماعة من الرجال المرأة واستصحاب العالم والكبير في العيادة والزيارة ا هـ. **(فلما انتهيا إليها بكت)** تذكراً لعهد المصطفى ﷺ، وزيارتها برؤيتها لكثرة ملازمتها له وعدم مفارقتها له في الغالب **(فقالا لها: ما يبكيك أما)** استفهام تقريري **(تعلمين أن ما)** أي: الذي **(عند الله)** مما أعد لنبيه مما لا تستطيع العبارة الإعراب عن أدناه فضلاً عن أقصاه **(خير لرسول الله ﷺ)** قال تعالى: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾[1] **(قالت: إني لا أبكي أني)** أي: لأني **(لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ)** أي: لا أبكي لجهلي بأخيرية ما عند الله له وأنا أعلم ذلك، كما

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.

البُكَاءِ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣٦١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ:

جاء عنها عند ابن ماجه، قالت: «إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله» **(ولكن)** استدراك لما قد يتوهم من انتفاء مقتضى البكاء عند علمها بشرف مقامه المتنقل إليه بأن للبكاء سبباً آخر هو قولها: **(أبكي أن)** أي: لأن **(الوحي قد انقطع من السماء)** أي: لانقطاع الوحي من السماء عن الأرض بموته ﷺ، فإن ــ بفتح الهمزة على إضمار حرف التعليل ــ كما ضبطه القرطبي، قال: وانقطاع الوحي سبب اختلاف مذاهب الناس ووقوع التنازع والفتن وحصول المصائب والمحن، ولذا نجم بعده النفاق وفشا الارتداد والشقاق، ولولا أن الله تعالى تدارك الدين بثاني اثنين لما بقي منه أثر ولا عين ا هـ. **(فهيجتهما)** بتشديد التحتية **(على البكاء)** أي: أثارتهما عليه بذكرها ما يدعو إليه **(فجعلا)** من أفعال الشروع، أي: فشرعا **(يبكيان معها)** قال المصنف: فيه البكاء حزناً على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل ما كانوا عليه **(رواه مسلم)** في باب فضل أم أيمن، ورواه ابن ماجه، ومن العجيب قول الترمذي في الديباجة: انفرد به المصنف، وهو حديث صحيح رجاله حفاظ ثقات مخرج لهم في الصحيحين أو في أحدهما ا هـ.

٣٦١ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له)** أي: في الدين، وقوله: **(في قرية أخرى)** في محل الحال من المفعول لتخصيصه بوصف الظرف **(فأرصد الله تعالى على مدرجته)** أي: محل دروجه، أي: في طريقه **(ملكاً فلما أتى)** أي: مر الرجل **(عليه قال)** ظاهره أن الملك خاطبه وشافهه **(أين تريد)** واستفهم عنه مع اطلاع الله له على ذلك إن كان ليبني ما بشره الله به مما يأتي على جوابه، وهو: **(قال: أريد أخاً لي)** كائناً **(في هذه القرية)** قال العاقولي: هو جواب على المعنى الغائي من السؤال؛ لأن قوله أين تريد يقتضي أن يقول له قرية كذا، فيقول: ما تفعل بها؟ فيقول: أريدأخاً لي، فقدمه وأجابه من الأول علماً بما يؤول إليه السؤال **(قال هل لك عليه من نعمة)** أي: عطية وإحسان **(تربها عليه)** بضم الراء والموحدة المشددة، أي: تسعى في صلاحها بتربيتها وحفظها بالزيارة **(قال لا)** أي: لا نعمة لي أربها بزيارته، قال القرطبي: أي: لم أزره لغرض من أغراض الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أم أيمن... (الحديث: ١٠٣).

Made searchable using ScribeTools.com

لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. يُقَالُ: أَرْصَدَهُ لِكَذَا إِذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ. و«المَدْرَجَةُ» بِفَتْحِ الميمِ والرَّاءِ: الطَّرِيقُ. ومَعْنَى «تَرُبُّهَا» تَقُومُ بِهَا وَتَسْعَى فِي صَلَاحِهَا[1].

ا هـ. وهو تفسير مراد لا بيان لمعنى اللفظ كما هو واضح، ثم استثنى استثناء منقطعاً قوله: (غير) أي: لكن (أني أحببته في الله) في تعليلية، ومنه حديث «عذبت امرأة في هرة حبستها»... الحديث (قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك) الظرفان متعلقان برسول (كما أحببته فيه) الكاف في محل المفعول المطلق، قال ابن أبي شريف في شرح المسايرة في قوله في تعريف النبي أنه إنسان أوحي إليه بشرع: خرج بقوله: «شرع» الوحي بغيره فيكون لغير النبي، أي: كحديث الباب، وكقوله تعالى في حق مريم: ﴿فأوحينا﴾[2] أرسلنا إليها روحنا، إلى أن قال الملك ﴿إنما أنا رسول ربك﴾[3] الآية، والأصح عدم نبوتها، وفي المواهب اللدنية قال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق: يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي وهو باطل؛ لحصوله لمن ليس بنبي كمريم، وليست نبية على الأصح مع قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾[4] و﴿أن الله يبشرك﴾[5] وفي مسلم فذكر حديث الباب: وليس بنبوة لأنها عند المحققين إيحاء الله لبعض بحكم إنساني يختص به كقوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾[6] فهذا تكليف يختص به في الوقت، فهذه نبوة لا رسالة، فلما نزل: ﴿قم فأنذر﴾[7] كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره أيضاً، فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره، فالرسول أخص مطلقاً ا هـ. (رواه مسلم) والمراد من محبة الله تعالى للعبد إرادته الخير والتوفيق له واللطف به، وفي الحديث ما يدل على عظم فضل الحب في الله والتزاور فيه وأنه من أعظم الأعمال وأفضل القرب إذا تجرد عن هوى النفس، قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» (يقال أرصده لكذا إذا وكله بحفظه) فمعنى أرصد الله على مدرجه ملكاً، أي: جعله يرتقبه وينتظره ليبشره، قال العاقولي: ويقال أرصدته إذا قعدت له على طريقه (والمدرجة بفتح الميم والراء) وسكون الدال المهملة بينهما وبعد الراء جيم ثم هاء (الطريق) أنسب منه قول القرطبي: موضع الدروج وهو المشي وإن كان المآل إلى واحد (ومعنى تربها تقوم بها وتسعى في صلاحها) أي: فيتعاهده بسبب ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله (الحديث: ٣٨).
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٣. (٤) سورة مريم، الآية: ١٧. (٦) سورة العلق، الآية: ١.
(٣) سورة مريم، الآية: ١٩. (٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٩، ٤٥. (٧) سورة المدثر، الآية: ٢.

٣٦٢ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ زَارَ أَخاً لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادِيانِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ. وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ غَرِيبٌ[1].

٣٦٣ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، .....

---

٣٦٢ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله) مخلصاً في ذلك لله سبحانه **(ناداه مناديان)** أي: من الملائكة **(طبت)** أي: انشرحت بمالك عند الله تعالى من جزيل الأجر في ذلك، أو طهرت من الذنوب بغفرانه لك بذلك **(وطاب ممشاك)** أي: عظم ثوابه **(وتبوأت من الجنة منزلاً)** أي: اتخذت منها داراً تنزله **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن وفي بعض النسخ)** حديث **(غريب)**.

٣٦٣ ــ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إنما) أداة حصر على الراجح كما تقدم أول الكتاب **(مثل)** بفتحتين، الشأن العجيب والأمر الغريب، ويقال بكسر فسكون ومثيل بوزن رغيف، أي: نظير **(الجليس الصالح وجليس السوء)** كذا وقفت عليه في الرياض بتوصيف الأول وإضافة الثاني، وكأن حكمة ذلك مع التفنن في التعبير الإشارة إلى مجانبة الجليس السيء حيث أطلق عليه لفظ المصدر وهو السوء ــ بالفتح ــ مبالغة في التنفير، أما السوء بالضم فاسم مصدر، ويجوز ضم وفتح السين فيما ذكر، كقولك: رجل سوء، وفي نسخة من الرياض: توصيف الصاحب بوصفه في كليهما **(كحامل المسك)** أعم من أن يكون صاحبه أو غيره **(ونافخ الكير)** وهو بكسر الكاف وسكون التحتية معروف، وحقيقته البناء الذي يركب عليه الزق والزق هو الذي ينفخ فيه، فأطلق على الزق اسم الكير مجازاً لمجاورته له، وقيل: واقتصر عليه في القاموس الكير نفس الزق، وأما البناء فاسمه الكور وهذا فيه لف ونشر مرتب، ثم فضل ثمرة ذينك الحالين فقال: **(فحامل المسك إما أن يحذيك)** بضم التحتية أوله وسكون الحاء المهملة وبالذال المعجمة، أي: يعطيك وزناً ومعنى **(وإما أن تبتاع)** مضارع من باب الافتعال للمبالغة، أي: تطلب البيع **(منه)** وفيه جواز بيع المسك والحكم بطهارته؛ لأنه ﷺ مدحه ورغب فيه، ففيه الرد على من كرهه، وهو منقول عن الحسن البصري وعطاء وغيرهما، ثم انقرض هذا الخلاف، واستقر الإجماع على

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في زيارة الإخوان، (الحديث: ٢٠٠٨).

Made searchable using ScribeTools.com

وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «يُحْذِيَكَ»: يُعْطِيكَ. . . . . .

طهارته وجواز بيعه **(وإما أن تجد)** من الوجدان بكسر الواو، والوجود لغة لبني عامر **(منه ريحاً طيبة)** أي: فجليس الأخيار إما أن يعطي بمجالستهم من الفيوض الإلٰهية أنواع الهبات حياء وعطاء، وإما أن يكتسب من المجالس خيراً وآداباً يكتسبها عنه ويأخذها منه، وإما أن يكتسب حسن الثناء بمخاللته ومخالطته **(ونافخ الكير)** هو بكسر الكاف وسكون التحتية، قال الحافظ في الفتح: وفيه لغة أخرى ــ كور ــ بضم الكاف والمشهور بين الناس أنهّ الزق الذي ينفخ فيه، لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير حانوت الحداد، قال ابن التين: وقيل: الكير هو الزق والحانوت هو الكور، وقال صاحب المحكم: الزق الذي ينفخ فيه الحداد، ويؤيد الأول ما رواه عمر بن شبة في أخبار المدينة أن عمر رضي الله عنه رأى كير حداد في السوق فضربه برجله حتى هدمه ا هـ. **(إما أن يحرق ثيابك)** بناره إن وصلت إليها **(وإما أن تجد منه ريحاً منتنة)** بضم الميم وكسر المثناة الفوقية، وقد تكسر الميم اتباعاً للتاء وضم التاء اتباعاً للميم قليل، قاله في المصباح، أي: قبيحة متغيرة، أي: فجليس الصاحب السيىء إما أن يحترق بشؤم معاصيه، قال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾[1] وقال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[2] وإما أن يدنس ثناءه بمصاحبته، وقد ورد: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، ففي الحديث بيان نتائج كل من صحبة الأخيار والأشرار، وفي الحديث ضرب المثل، وتقدم معناه في الأصل وهو المراد في الحديث، ثم خصص بالقول السائر الممثل مضربه بمورده، قال البيضاوي: الشرط في ضرب المثل أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والشرف، وفائدته كشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم؛ لأن من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة، وإنما يضرب بما فيه غرابة ا هـ. ملخصاً من مواضع منه. ولعل حكمة ذكر الظرف بعد تجد الأول دون الثاني ما في الأول من الكرامة، فناسب اكرام المحكي عنه به، وما في الثاني من ضدها فترك دفعاً للمكافحة لما يكره. **(متفق عليه)** قال الحافظ المزي في الأطراف: أخرجاه في البيوع، وتعقبه الحافظ العسقلاني بأن البخاري إنما أخرجه في الذبائح، نبه عليه القطب الحلبي في شرحه ووجدته كذلك، «قلت»: وقد أخرجه البخاري في أوائل البيوع بتفاوت يسير، فصح

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٦٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِها، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»

ما قاله المزي (**ويحذيك يعطيك**) وزناً ومعنىً.

٣٦٤ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تنكح**) بالبناء للمفعول، أي: تتزوج (**المرأة لأربع**) أي: من الخصال (**لمالها**) بدل مطابق، بدل مفصل من مجمل بإعادة العامل اهتماماً (**ولحسبها**) بفتح المهملتين وبالباء الموحدة، أي: نسبها بأن تكون طيبة الأصل، وفي المصباح: الحسب ما يعد من المآثر، وقال ابن السكيت: الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف ورجل حسب كريم بنفسه، قال: وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الإنسان إلا إذا كانا فيه وفي آبائه، وقال الأزهري: الحسب الشرف الثابت له ولآبائه، قال: وقوله عليه السلام: «تنكح المرأة لحسبها» أحوج أهل العلم إلى معرفة الحسب؛ لأنه مما يعتبر في مهر المثل، فالحسب الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه، ومما يشهد لقول ابن السكيت قول الشاعر:

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن ... له حسب كان اللئيم المذمما

فجعل الحسب فعال الشخص مثل الشجاعة والجود وحسن الخلق، ومنه قوله: «حسب المرء دينه» اهـ. وصحف من ضبطه في الحديث بالنون بدل الموحدة؛ لأن ذلك مذكور في قوله: (**ولجمالها**) هو كما قال سيبويه رقة الحسن (**ولدينها**) وأعاد الجار في المتعاطفات إيماء إلى أن كل واحد منها مما يقصد على انفراده واستقلاله، (**فاظفر**) أيها المسترشد (**بذات الدين**) أي: بصاحبته، وهو أبلغ من صاحبته؛ لأنها كناية (**تربت يداك**) أي: افتقرت؛ وأسند إلى اليدين لأن التصرف يقع بهما غالباً، ولم ترد العرب بهذه الكلمة وأمثالها معناها الأصلي من الدعاء بل إيقاظ المخاطب للمذكور بعده وحث وتحريض عليه ليعتني به، وقيل: معناه افتقرت إن لم تفعل ما أرشدتك إليه، وقد ورد ما يؤيده، أخرج ابن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الذبائح، باب: المسك، والبيوع، باب: في العطار وبيع المسك (٩/٥٦٩ و٥٧٠).

وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين... (الحديث: ١٤٦).

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدونَ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ هَذِهِ الْخِصَالَ الأَرْبَعَ فَاحْرِصْ أَنْتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ وَاظْفَرْ بِهَا وَاحْرِصْ عَلَى صُحْبَتِهَا[1].

٣٦٥ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزورُنَا؟» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ

ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يؤذيهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولامرأة جذماء سوداء ذات دين أفضل» **(متفق عليه)** رواه في النكاح، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة **(ومعناه أن الناس يقصدون)** بكسر المهملة الأولى **(في العادة من)** نكاح **(المرأة هذه الخصال الأربع)** زاد في شرح مسلم: «وآخرها عندهم ذات الدين» **(فاحرص أنت)** تفسير لقوله اظفر بضميره المستكن فيه **(على ذات الدين)** وعطف قوله: **(واظفر بها واحرص على صحبتها)** إطناباً للتأكيد، قال الرافعي في المجلس الثالث عشر من أماليه: يرغب في النكاح لفوائد دينية ودنيوية، والفوائد المتعلقة بمطلق النكاح تحصل بنكاح أي امرأة كانت، ثم قال: فمن الدواعي القوية إليه الجمال، وقد نهي عن تزوج المرأة الحسناء، وليس المراد النهي عن رعاية الجمال على الإطلاق، ألا ترى أنه قد أمر بنظر المخطوبة ليكون النكاح عن موافقة الطبع، ولكنه محمول على ما إذا كان القصد مجرد الحسن واكتفي به عن سائر الخصال، أو على الحسن التام البارع؛ لأنه يخاف بسببه من الإفراط في الإدلال المورث للوحشة والمنازعة والأطماع الفاسدة، فالمنهل العذب كثير الزحام، ومن شدة الصبوة والميل، ولا يؤمن منها تولد أمور مضرة؛ ولأنها قد تصرفه عن كثير من الطاعات في غالب الأوقات، ومن الدواعي الغالبة المال، وهو غاد ورائح، وإذا كان كذلك فلا يوثق بدوام الألفة سيما إذا قل، وقد قيل: «من عظمك عند استغلالك استقلك عند إقلالك» وأما إذا كان الداعي الدين فهو الحبل المتين الذي لا ينفصم، فكان عقده أدوم وعاقبته أحمد اهـ. ملخصاً.

٣٦٥ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل ﷺ: ما يمنعك أن تزورنا) زيارة **(أكثر مما تزورنا)** فأكثر مفعول مطلق، ويجوز أن يكون منصوباً على نزع الخافض، قال الحافظ في الفتح: روى الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: «احتبس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين (٩/١١٥، ١١٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، (الحديث: ٥٣).

أَيْدِينا وَمَا خَلْفَنا﴾[١]. رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ[٢].

٣٦٦ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِناً، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» . . . . . .

جبريل عن النبي ﷺ» وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال: «أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً فقال له: يا جبريل ما نزلت حتى اشتقت إليك فقال: أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبريل قل له: ﴿وما نتنزل﴾ الآية. . . وعند ابن إسحاق عن ابن عباس: أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فلما نزل قال: أبطأت، فذكره اهـ. (فنزلت) أنث باعتبار أنها كلمات (وما نتنزل) قال البيضاوي: التنزل على مهل؛ لأنه مطاوع نزل، وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل بمعنى أنزل، والمعنى: وما نتنزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته (**إلا بأمر ربك**) قال الحافظ في الفتح: الأمر هنا بمعنى الإذن بدليل سبب النزول المذكور، ويحتمل الحكم، أي: ننزل مصاحبين لأمره تعالى عباده بما شرع لهم، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك عند من يجيز حمل اللفظ على جميع معانيه اهـ. (**له ما بين أيدينا وما خلفنا**) كذا في الصحيح الاقتصار على ذلك، والمراد ما أمامنا وما خلفنا من الأزمنة والأمكنة، فلا ننتقل من شيء إلى شيء إلا بأمره ومشيئته (**رواه البخاري**) في التفسير، وكذا رواه الترمذي.

٣٦٦ ــ (**وعن أبي سعيد**) سعد بن مالك بن سنان (**الخدري**) بضم المعجمة وسكون المهملة، تقدمت ترجمته (**رضي الله عنه عن النبي** ﷺ قال: **لا تصاحب إلا مؤمناً**) فيه نهي عن موالاة الكفار ومودتهم ومصاحبتهم، قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[٣]. . . الآية (**ولا يأكل طعامك إلا تقي**) فيه الأمر بملازمة الأتقياء ودوام مخالطتهم وترك الفجار، فهو نهي له بالمعنى عن إكرام غير التقي وإسداء الجميل إليه، وفي مرقاة الصعود للسيوطي: هذا الحديث في إطعام الدعوة دون إطعام الحاجة، وإنما حذر من مصاحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب، يقول: لا تؤالف من ليس من أهل التقوى والورع ولا

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/ مريم، باب: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ وفي بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة والتوحيد، باب: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ (٨/٣٢٦).

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ(١).

٣٦٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(٢).

تجالسه ولا تطاعمه ولا تنادمه ا هـ. **(رواه أبو داود)** في الأدب من سننه **(والترمذي)** في الزهد من جامعه **(بإسناد لا بأس به)** فرواه أبو داود عن عمرو بن عون، ورواه الترمذي عن سويد بن نصر كلاهما عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن سالم بن غيلان عن الوليد بن قيس عن أبي سعيد، قال سالم: أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به، وقال الترمذي: إنما نعرفه من هذا الوجه وأشار إلى أنه غريب.

٣٦٧ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الرجل على دين خليله)** ويروى: «المرء بخليله» والخليل الصديق، فعيل بمعنى مفاعل وقد يكون بمعنى مفعول **(فلينظر أحدكم من يخالل)** أي: فلينظر أحدكم بعين بصيرته إلى أمور من يريد صداقته وأحواله، فمن رآه ورضي دينه صادقه ومن سخط دينه فليجتنبه، ومن رآه يرى له مثل ما يرى له صحبه، روى ابن عدي في الكامل من حديث أنس: «لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى له» فأقل درجات الأخوة والصداقة النظر بعين المساواة والكمال رؤية الفضل للأخ **(رواه أبو داود)** في أبواب الأدب من السنن **(والترمذي بإسناد صحيح وقال: الترمذي حديث حسن)** قال الحافظ السيوطي في المرقاة: هذا الحديث أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح وزعم أنه موضوع، «قلت»: قال الحافظ العلائي: نسبة هذا الحديث إلى الوضع جهل قبيح بل هو حسن كما قال الترمذي، فإن موسى بن وردان وثقه العجلي وأبو داود، وقال فيه الإمام أحمد: لا أعلم إلا خيراً، وقال أبو حاتم والدارقطني: لا بأس به، ولم يتكلم فيه أحد، وزهير بن محمد هو المروزي وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما، واحتج به الشيخان في الصحيحين وذلك يدفع ما تكلم به فيه، فتفرده يكون حسناً غريباً ولا ينتهي إلى الضعف فضلاً عن الوضع ا هـ. وقال الحافظ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، (الحديث: ٤٨٣٢).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن، (الحديث: ٢٣٩٥).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من يُؤمر أن يجالس، (الحديث: ٤٨٣٣).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٤٥، (الحديث: ٢٣٧٨).

٣٦٨ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

العسقلاني في رده عليه: قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم وقد أورده ابن عدي في ترجمة زهير، ونقل عن أبي زرعة الدمشقي قال: قلت لمحمد بن السري: حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن زهير به موصولاً فقال: لم يصنع صاحبك شيئاً، حدثنا يحيى بن حمزة به مرسلاً، وقال: وقد رواه هشام ابن عمار عن الوليد بن مسلم عن زهير به، وزهير بن محمد استشهد به البخاري، ولكن قالوا: إن في رواية الشاميين عنه مناكير، كأنه لما دخل الشام حدث من حفظه فوهم، فروايتهم عنه غير معتبرة، وهذا الحديث مما اشترك فيه الشاميون وغيرهم، وموسى المذكور وثقه جماعة وضعفه بعضهم، فحديثه من هذه الحيثية من قبيل الحسن ا هـ. وبه يعلم ما في قول المصنف بإسناد صحيح إلا أن يريد به المقبول مجازاً فيشمل الحسن ا هـ. والله أعلم.

٣٦٨ ــ **(وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: المرء)** بفتح الميم وسكون الراء وبالميم بعده، أي: الشخص **(مع من أحب)** وكونه معه لا يستلزم مساواته له في منزلته وعلو مرتبته؛ لأن ذلك متفاوت بتفاوت الأعمال الصالحة والمتاجر الرابحة، قال في الفتح: المعية تحصل بمجرد الاجتماع، في شيء ما ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية وإن تفاوتت الدرجات ا هـ. **(متفق عليه)** أي: من حديث أبي موسى، ورواه أحمد والشيخان والنسائي من حديث أنس، والترمذي من حديثه وزاد: «له ما اكتسب» والشيخان من حديث ابن مسعود، كذا يؤخذ من الجامع الصغير **(وفي رواية)** للبخاري في أبواب الأدب عن أبي موسى الأشعري **(قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل)** أل فيه للجنس **(يحب القوم)** أي: من أهل الصلاح **(ولما يلحق بهم)** قال أهل العربية: لما تنفي الماضي المستمر، فدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم، فإنها للنفي في الزمن الماضي مطلقاً **(قال: المرء مع من أحب)** هو عام، فمن أحب رسول الله ﷺ أو أحداً من المؤمنين كان معه في الجنة بحسن النية؛ لأنها الأصل والعمل تابع لها، ولا يلزم من كونه معهم كونه في منزلتهم ولا أن يجزى مثل جزائهم من كل وجه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله (١٠/٤٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب (الحديث: ١٦٤).

Made searchable using ScribeTools.com

٣٦٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِياً قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ . . . . . .

---

٣٦٩ ـ (وعن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً) هو يختص بسكان البوادي من العرب وغيرهم، أما العرب فأولاد إسماعيل عليه السلام، وفي البخاري: وهو في مسلم أيضاً بلفظ: «أن رجلاً» وفي الفتح للحافظ أنه ذو الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد، وحديثه بذلك مخرج عند الدارقطني، ومن زعم أنه أبو موسى أو أبو ذر فقد وهم؛ لأنهما وإن اشتركا في معنى الجواب وهو «أن المرء مع من أحب» إلا أنهما اختلفا في السؤال، فإن كلاً من أبي موسى وأبي ذر سأل عن «الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم» وهذا سأل «متى الساعة» ا هـ. **(قال يا رسول الله متى الساعة)** أي: القيامة، وعبر عنها بذلك لأنها تظهر في أدنى لحظة **(قال له رسول الله ﷺ: ما أعددت لها)** أي: حتى تسأل عنها إذ هي زمن الجزاء ويوم الدين، قال العاقولي: وقوله ما أعددت لها من أسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن الوقت فقيل له: مالك ولها إنما يهمك التزود لها والعمل بما ينفعك فيها، فطرح الرجل ذكر أعماله لأنه كان لا يرى لها قدراً، ونظر إلى ما في قلبه من خصوص محبة الله سبحانه ورسوله فقدمه بين يديه **(قال: حب الله و)** حب **(رسوله)** يجوز رفعه نظراً لصدر جملة السؤال، ونصبه نظراً لعجز جملته، وقد قرىء بالوجهين «العفو» في قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[1] نظراً لما ذكر، والمراد من حب الإنسان لله ورسوله طاعتهما والانقياد لأحكامهما **(قال: أنت مع من أحببت)** واللفظ عام لكون كل محب مع محبوبه من خير أو شر، ومعية الله مع الإنسان بالنصر والإعانة والتوفيق **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في أبواب الأدب **(وهذا لفظ مسلم)** في أبواب البر والصلة **(وفي رواية لهما)** أي: عن أنس أيضاً قال: **(ما أعددت لها من)** صلة لتأكيد النفي واستغراقه **(كثير)** بالمثلثة **(صوم ولا)** كثير **(صلاة ولا)** كثير **(صدقة)** يحتمل أن يراد من المثبت من ذلك الغرض، فيكون كقول البوصيري:

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

أي: سواه، ويحتمل أن يكون بعض النوافل إلا أنها غير كثيرة، وفي العبارة توجيه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[١].

٣٧٠ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

٣٧١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا،

(ولكن) في نسخة من مسلم، ولكن استدراك مما يوهمه الكلام السابق من نفي تقديم ما يرجو ثمرته في آخرته، أي: ولكن لي أعظم الذخائر هو إني **(أحب الله ورسوله)** قال ﷺ: «فأنت مع من أحببت».

٣٧٠ ــ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل)** قال الشيخ زكريا في تحفة القارىء: هو أبو ذر **(إلى رسول الله ﷺ: فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم)** عند ابن حبان «ولا يستطيع أن يعمل بعملهم» **(فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب. متفق عليه)** أخرجاه في الأبواب المذكورة، وأخرجه أبو نعيم وزاد: «وله ما اكتسب».

٣٧١ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الناس)** أي: باعتبار الأفراد **(معادن)** أي: أصولاً للخير والشر بحسب ما جعلهم الله مستعدين له، والمعادن جمع معدن بكسر الدال؛ لأنه موضع العدن، أي: الإقامة اللازمة، وسمي المعدن بذلك لأن الناس يقيمون فيه شتاءً وصيفاً، قاله الجوهري **(كمعادن الذهب والفضة)** وجه الشبه اشتمال المعدن على الجواهر المختلفة نفاسة وخسة وكل معدن يخرج منه ما في[٣] أصله، وكذا كل إنسان يظهر منه ما في أصله من خسة أو شرف **(خيارهم في الجاهلية)** أي: أشرافهم فيها وهي ما قبل الإسلام، سموا به لكثرة جهالاتهم **(خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)** بكسر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: مناقب عمر وفي كتاب الأدب (١٠/٤٦٢ و٤٦٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب (الحديث: ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله (١٠/٤٦١ و٤٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب (الحديث: ١٦٥).

(٣) ما هو أصله نسخه.

Made searchable using ScribeTools.com

وَالأَرْوَاحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَرَوَى البُخَارِيُّ قَوْلَهُ «الأَرْوَاحُ» إِلَى آخِرِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1][2].

٣٧٢ ـ وَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، وَيُقَالُ ابْنُ جَابِرٍ «وَهُوَ بِضَم الهمْزَةِ وَفَتْحِ السينِ

القاف، أي: علموا، وبضمها، وتقدم في باب الأمر بالمحافظة على السنة أن الضم هو المشهور ومعناه صار الفقه سجيتهم، أي: فقد وصل بما حازه في شرف الإسلام والفقه فيه إلى ما كان عنده من الشرف والكرم والسماحة ونحوها في الجاهلية، وهذه القطعة من الحديث تقدم الكلام عليها في باب التقوى في آخر حديث أبي هريرة «قيل يا رسول الله من أكرم الناس...» الحديث **(والأرواح جنود مجندة)** معطوف على جملة الناس معادن، أي: جموع مجتمعة وأنواع مختلفة **(فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)** قال السيوطي: قال الخطابي، قوله الأرواح... الخ يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر، فالخير يحن إلى شكله والشرير إلى نظيره، فتعارف الأرواح بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير أو شر، فإذا اتفقت تعارفت وإن اختلفت تناكرت، «قلت»: وحكاه المصنف في شرح مسلم عنه وعن غيره، ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء: «أن الأرواح خلقت قبل الأجسام فكانت تلتقي وتلتئم فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم فتميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار» قال ابن الجوزي: يستفاد من الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة عن ذي فضل وصلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته فيتخلص من الوصف المذموم، وكذا عكسه، وقال ابن عبد السلام: المراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والتفاوت فيها؛ لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان، فهذا من مجاز التشبيه شبه المنكر بالمجهول والملائم بالمعلوم **(رواه مسلم)** بجملته **(وروى البخاري قوله والأرواح إلى آخره من رواية عائشة)** أي: فهذا اللفظ لهما لكن من طريقين.

٣٧٢ ـ **(وعن أسير بن عمرو ويقال ابن جابر وهو بضم الهمزة)** وذكره الحافظ العسقلاني بالتحتية بدلها، قال: وقيل، أصله أسير فسهلت الهمزة **(وفتح السين المهملة)** وسكون التحتية بعدها راء، قال الحافظ في التقريب: مختلف في نسبه فقيل: كندي، وقيل: غير

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الأرواح جنود مجندة (الحديث: ١٥٩).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة (٦/٢٦٣).

المهملة» قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ

ذلك، وقيل: له رؤية، وقيل: إن ابن جابر آخر تابعي، وفي أسد الغابة هو ابن عمرو الكندي السلولي، وقيل: الدريكي، وقيل: الشيباني له صحبة مخضرم، توفي النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين، قاله ابن معين، وقيل: كان له أحد عشر سنة، قال ابن معين أبو الخيار الذي يروي عن ابن مسعود: اسمه أسير بن عمرو، أدرك النبي ﷺ وعاش إلى زمن الحجاج، روى عن النبي ﷺ حديثين أحدهما في تلقيح النخل والآخر في الحجامة، وقال ابن المديني: أهل البصرة يقولون أسير بن جابر ويروون عنه عن عمر بن الخطاب حديث أويس القرني، وأهل الكوفة يسمونه أسير بن عامر ا هـ. ملخصاً. **(قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن)** هم الجماعات الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مدد **(سألهم أفيكم أويس بن عامر)** كذا رواه مسلم وهو المشهور، وقال ابن ماكولا: ويقال أويس بن الخليص ا هـ. قال: وكنيته أبو عمرو، قال قائل: قتل بصفين، وسيأتي بيان الخلاف في ذلك عند ذكر ترجمته فما زال كذلك **(حتى أتى على أويس رضي الله عنه)** وهو تصغير أوس وهو الذئب، وبه سمي الرجل، وقيل: سمي بمصدر أست الرجل أوساً إذا أعطيته، فالأوس العطية، قاله القرطبي، وفي كلامه الترضي على غير الصحابي، وفيه خلاف الأصح جوازه كما في التقريب للنووي، وعن بعض الحنفية يقال فيما دون الصحابة رحمه الله، ولا يقال فيه رضي الله عنه تمييزاً لهم بذلك عن باقي الأمة، كامتياز المعصوم بالدعاء له بالصلاة **(فقال: أنت أويس بن عامر)** بتقدير همزة الاستفهام وحذفت تخفيفاً بدليل قوله: **(قال: نعم)** وكذا الهمزة مقدرة بعده في أول كل سؤال **(قال: من مراد)** اسم قبيلة، قال ابن الكلبي: واسم مراد جابر بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ **(ثم من قرن)** بفتح القاف والراء وبالنون، من مراد، وهو قرن بن ردماد بن ناجية بن مراد، وما ذكرنا من أنه بطن من مراد وإليه ينسب هو الصواب ولا خلاف فيه، وفي صحاح الجوهري أنه منسوب إلى قرن المنازل المعروف ميقات إحرام أهل نجد، قال المصنف: وهذا غلط فاحش **(قال نعم وكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم)** أبقى ليذكر ما كان به من هذا الداء ثم عوفي فيبعثه ذلك على الزيادة في الشكر **(قال: نعم قال: لك والدة قال: نعم)** ظاهره أنها كانت موجودة ذلك الحين **(قال: فإني سمعت**

Made searchable using ScribeTools.com

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِها بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرْ لي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِها؟ قَالَ: أَكُونُ في غَبْراءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوافَى

رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن) إضافة أمداد لأهل يجوز أن تكون بيانية، والأقرب كونها لامية، والظرف محتمل لكونه لغواً متعلقاً بيأتي، ولكونه مستقراً حالاً من أويس أو صفة لأمداد، وكونه حالاً أنسب مما بعده، وعليه فيكون **(من مراد)** حالاً منه مترادفة، أو حالاً منه متداخلة **(ثم من قرن وكان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم)** سيأتي في الرواية الآتية «إلا موضع الدينار أو الدرهم» بالشك **(له والدة و)** اسمها **(هو بها بر)** بفتح الباء الموحدة، أي: بالغ في البر والإحسان إليها **(لو أقسم على الله)** أي: أقسم عليه بحصول أمر **(لأبره الله)** بحصول ذلك المقسم على حصوله **(فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)** لا يفهم من هذا أفضليته على عمر ولا أن عمر غير مغفور له للإجماع على أن عمر أفضل منه لأنه تابعي، والصحابي أفضل منه، إنما مضمون ذلك الإخبار بأن أويساً ممن يستجاب له الدعاء، وإرشاد عمر إلى الازدياد من الخير واغتنام دعاء من ترجى إجابته، وهذا نحو مما أمرنا النبي ﷺ به من الدعاء له والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له، وإن كان النبي ﷺ أفضل ولد آدم، وكذا ما يأتي من قوله لعمر: «أشركنا في دعائك يا أخي» ثم سأله عمر ذلك بقوله: **(فاستغفر لي فاستغفر له)** ففيه طلب الدعاء من الصالحين، وإن كان الطالب أفضل **(فقال له عمر: أين تريد فقال: الكوفة)** هي البلدة المعروفة بالعراق، وسميت بذلك لاستدارة بنائها **(قال: ألا)** بتخفيف اللام أداة استفتاح **(أكتب لك إلى عاملها)** أي: ليقوم من بيت مال المسلمين منها بكفايتك **(قال: أكون)** أي: كوني **(في غبراء الناس أحب إلي)** فالأصل أن أكون فحذف أن فارتفع الفعل أو أطلق وأريد منه المصدر، فهو نظير قولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه بوجهيه المذكورين **(فلما كان من العام المقبل)** بضم الميم وكسر الموحدة، اسم فاعل وهو بالنسبة لعام ملاقاة عمر له **(حج رجل من أشرافهم)** أي: أشراف أهل الكوفة، ولعل إضافته إليهم لسكناه بينهم وإلا فسيأتي ما قد يؤخذ منه أنه من مراد، وسكت عن بيانه وتعيينه المصنف والقرطبي وكأنه لعدم وقوفهما عليه، والمراد بشرفه ظهوره وغناؤه **(فوافق عمر)** يحتمل أن يكون فاعل وافق ضميراً يعود إلى رجل، وأن يكون

عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَأَتَى أُوَيْساً فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لي، قَالَ أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ . . . . . .

الفاعل عمر ومفعول الفعل ضمير متصل بالفعل محذوف، وهذا أقرب ليوافق قوله: **(فسأله عن أويس فقال: تركته رث البيت)** أي: رث متاعه وهو المتاع الدون أو الخلق البالي، وقال المصنف: هو بمعنى قوله بعده قليل المتاع، ويجوز أن لا يقدر مضاف بمعنى أن بيته الذي هو به خلق بال **(قليل المتاع)** قال في المصباح: المتاع في اللغة كل ما ينتفع به كالطعام والبر وأثاث البيت، وأصل المتاع ما يتبلغ به من ذلك وتقليله من المتاع زهد في الدنيا وإعراض عنها **(قال:)** أي: عمر **(سمعت النبي ﷺ يقول: يأتي عليكم)** وفي نسخة بالإفراد خطاباً لعمر، ويناسبه قوله: فإن استطعت **(أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)** هذا كله مرفوع كما تقدم مع الكلام عليه، وهو من جملة معجزاته ﷺ لما فيه من الإخبار عن الأمر قبل وقوعه وذكره باسمه وصفته وعلامته واجتماعه بعمر فكان كما أخبر عنه، وفيما فعل عمر رضي الله عنه تبليغ الشريعة ونشر السنة والإقرار بالفضل لأهله والثناء على من لا يخشى عليه عجب بذلك ليقينه وكمال إيمانه، والخطاب باستطعت من النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه وهو حكي لفظ خطابه ﷺ له، وليس مدرجاً في آخر الخبر خطاباً لذلك الشريف كما قد يتوهم، فإن كون المصطفى ﷺ يأمر عمر مع كونه أفضل من أويس بأن يطلب منه الدعاء أبلغ في إظهار فضله وإثارة رغبة المخاطب لطلب الدعاء منه، فلهذا قال: **(فأتى)** أي: ذلك الرجل **(أويساً فقال استغفر لي فقال)** أي: أويس **(أنت أحدث عهداً بسفر صالح)** أي: أقرب، وعهداً منصوب على التمييز كقوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثاً﴾[1] وأشار إلى فضل السفر الصالح وأن القادم منه أرجى لإجابة دعائه، فلذا سأل منه أويس الدعاء بقوله: فاستغفر لي وقد ورد: «إذا لقيت الحاج فمره فليستغفر لك» وفي حديث آخر: «إن الله يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج حتى يرجع إلى بيته» **(فقال)** أي: الرجل **(استغفر لي قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لي)** وكأن الرجل طلب من أويس ثالثاً الدعاء ففطن أنه عرف بمقامه **(فقال: لقيت عمر)** بتقدير همزة

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٤.

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضاً عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ. فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لاَ يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَأَذْهَبَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ

الاستفهام **(قال: نعم فاستغفر له)** لأنه علم أنه أعلمه بعلي مقامه وأنه لما علم ذلك لا يتركه حتى يدعو له، ودعا له بطلب المغفرة لورود ذلك في حديث عمر **(ففطن)** بكسر الطاء المهملة **(له الناس)** وأقبلوا عليه **(فانطلق على وجهه)** خارجاً؛ لأن في ذلك إشغالاً له عن شأنه المتوجه هو إليه من إفراد الحق بالقصد والانقطاع إليه عن الخلق **(رواه مسلم)** انفرد به عن باقي الستة، ذكره في الفضائل، وقال في آخر الحديث: قال ابن المنير، وكسوته بردة فكان كل ما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة **(وفي رواية لمسلم أيضاً عن أسير بن جابر)** المروي عنه الحديث الأول **(رضي الله عنه)** زيادة في الحديث **(أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر رضي الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس)** لعله الذي عبر عنه في الرواية السابقة بقوله: «من أشرافهم»، ولعل سخرياه منه لغنى ذلك الرجل وغروره بما هو فيه من الجاه والمال، واحتقار أويس لرثاثته وقلة متاعه زهداً في الدنيا واطراحاً لها وإعراضاً عن زهراتها، والسخرياء الاستهزاء، وسخر من باب تعب كما في المصباح **(فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين)** بفتح القاف والراء، نسبة لقرن بطن من مراد كما تقدم **(فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع)** أي: يترك **(باليمن غير أم له)** وهذا مما زادت به هذه الرواية على ما قبلها **(قد كان به بياض)** هو الذي عبر عنه في الرواية السابقة بقوله: برص **(فدعا الله فأذهبه)** ليس ذلك منه اعتراضاً على مولاه وعدم رضاه بقضاه، ولكن لعله دعاء لذلك أمر آخر مطلوب من بر والدته، وأن لا تقذر مخالطته وتستنكف من خدمته وهو شديد العناية بها **(إلا موضع الدينار أو)** شك من الراوي **(الدرهم)** والشك في ذلك عند مسلم في طريق زهير بن حرب بهذا اللفظ، فيحتمل كون الشك منه أو من أحد شيوخه، والطريق المجزوم فيها بأنه موضع الدرهم السابقة، رواها مسلم عن شيوخه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن المثنى وابن بشار، قال: واللفظ لابن المثنى والطريقان مختلفان في رجال الإسناد إلى أسير **(فمن لقيه منكم فليستغفر**

الدِّينارِ أَوِ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ عُمَرَ، قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ والِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ». قَوْلُهُ: «غَبْرَاءِ النَّاسِ» بِفَتْحِ الغَينِ المُعْجَمَةِ

لكم) أي: فليطلب منه ذلك كما قال في الرواية الآتية: «فمروه فليستغفر لكم» ثم إن كان اللفظان من عمر فيحتمل على أنه تارة باللفظ وتارة بالمعنى، ويحتمل أنه تعدد ذكره منه ﷺ، فتارة ذكر بلفظ إحدى الروايتين وأخرى بلفظ الأخرى، وفيه على الاحتمال الأول دليل جواز الرواية بالمعنى بشرطه **(وفي رواية له)** أي: لمسلم **(عن عمر رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه)** فيه دليل لعدم اعتبار الاستعلاء والعلو في الأمر خلافاً لبعض الأصوليين **(فليستغفر لكم)** كأن حكمه الإتيان بالمؤكد في صدر الجملة ما قد يعتري الناظر له في التردد في أخيريته على التابعين فأكد ذلك لذلك، قال المصنف في شرح مسلم: وهذا الحديث صريح في أنه خير التابعين، وقد قال أحمد وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب أن مرادهم أن سعيداً أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه لا في الخير عند الله تعالى ا هـ. قال في الإرشاد عن أحمد بن حنبل قال: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، قيل: فعلقمة والأسود؟ فقال: سعيد وعلقمة والأسود، وعنه: لا أعلم في التابعين مثل أبي عثمان الهندي وقيس بن أبي حازم، وعنه أفضلهم قيس وأبو عثمان وعلقمة ومسروق، وعن عبد الله بن حنيف الزاهد، قال أهل المدينة: يقولون أفضل التابعين ابن المسيب، وأهل الكوفة يقولون أويس القرني، وأهل البصرة يقولون الحسن البصري، والله أعلم. ومثله في التقريب له باختصار، قال السيوطي في شرح التقريب، واستحسنه، أي: ما قال ابن حنيف ابن الصلاح، وقال العراقي: الصحيح بل الصواب ما ذهب إليه أهل الكوفة لما ثبت في صحيح مسلم، وأشار إلى الحديث، قال: فهذا قاطع للنزاع، قال: وأما تفضيل أحمد لابن المسيب وغيره فلعله لم يبلغه الحديث أو لم يصح عنده أو أراد الأفضلية في العلم لا الخيرية، قال السخاوي: فقد فرق بينهما بعض شيوخ الخطابي فيما حكاه الخطابي عنه، وأما قوله لعل أحمد لم يبلغه الحديث أو لم يصح عنده فإنه أخرجه في مسنده من الطريق التي خرجها مسلم منها بلفظ: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس» لكن قد أخرجه في المسند أيضاً بلفظ: «إن من خير التابعين» فقال: حدثنا أبو نعيم ثنا شريك فذكره بذلك، قال السخاوي: وكذا رواه الجماعة عن شريك فزال الحصر ا هـ. **(قوله غبراء الناس بفتح الغين)** المعجمة **(وإسكان الباء)** الموحدة **(وبالمد)** قال القرطبي: هذه الرواية الجيدة فيه

Made searchable using ScribeTools.com

وَإِسْكَانِ البَاءِ وبالمد وهم: فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لاَ يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أَخْلاطِهِمْ. و «الأَمْدادُ» جَمْعُ مَدَدٍ وَهُمُ: الأَعْوانُ والنَّاصِرونَ الَّذينَ كَانوا يُمِدُّونَ الْمُسْلِمينَ في الجِهَادِ[1].

٣٧٣ ــ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ في

(وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا تعرف عينه من أخلاطهم) قال القرطبي: والغبراء الأرض، يقال الفقراء بنوا الغبراء كأن الفقر والحاجة ألصقهم بها، قال القرطبي: وقد روى غبر بضم الغين وتشديد الموحدة جمع غابر كشاهد وشهد، ويعني به بقايا الناس ومتأخريهم وهم ضعفاء الناس؛ لأن وجوه الناس يتقدمون للأمور ويصحبون بها ويتفاوضون فيها ويبقى الضعفاء لا يلتفت إليهم ولا يؤبه بهم، فأراد أويس أن يكون خاملاً بحيث لا يلتفت إليه طالباً للسلامة وظافراً بالغنيمة ا هـ. والمعنى الأول يؤول إلى هذا أيضاً، والصعاليك بمهملتين أوله جمع صعلوك ــ بضم الصاد المهملة ــ الفقير كما في الصحاح، وقوله من لا يعرف عينه، أي: لخموله وعدم ظهوره، والأمداد جمع مدد ــ بفتح أوليه ــ وهم الأعوان والناصرون الذين كانوا يمدون من الأمداد، أي: اتصال المدد المسلمين في الجهاد وقضية ترتيب المتن تقديم بيان الأمداد على ما قبله؛ لأنه كذلك فيه فائدة، قال القرطبي: كان أويس من أولياء الله المخلصين المخففين الذين لا يؤبه بهم، ولولا أن رسول الله ﷺ أخبر عنه ووصفه بوصفه ونعته بنعته وعلامته لما عرفه أحد، وكان موجوداً في حياة النبي ﷺ وآمن به وصدقه ولم يلقه ولا كاتبه فلم يعد من الصحابة، وقد أخبر النبي ﷺ أنه من التابعين حيث قال: «إنه خير التابعين» وقد اختلف في زمن وفاته، فروي عن عبد الله بن مسلم قال: «غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ومعنا أويس القرني فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فإذا لا قبر ولا أثر» وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «نادى رجل من الشام يوم صفين أفيكم أويس القرني قلنا: نعم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أويس خير التابعين بإحسان وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي قال عبد الرحمن فوجد في قتلى أصحاب علي» وله أخبار كثيرة وكرامات ظاهرة ذكرها أبو نعيم وأبو الفرج بن الجوزي في كتابيهما ا هـ. كلام القرطبي، وقد أفرد بعض فضلاء زبيد بعضها جزأ في مناقبه وقفت عليه وهو حسن.

٣٧٣ ــ (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة) فيه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضل أويس القرني رضي الله عنه، (الحديث: ٢٢٣).

العُمْرَةِ فَأَذِنَ لي وَقَالَ: «لَا تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّني أَنَّ لي بِها الدُّنْيا. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «أَشْرِكْنا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

استئذان التلميذ لأستاذه والمريد لشيخه في مهماته إذا كان مع من ذكر في أمر جامع بهم يجمعهم طاعة الله ليكون على ذهنه إذا تفقده، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾[2] **(فأذن لي)** في ذلك ودعا لي بالمغفرة، قال ابن رسلان: روى الثعلبي عن ابن أبي حمزة الثمالي واسمه ثابت بن أبي صفية: «كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يقضي الحاجة لم يخرج من المسجد حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف رسول الله ﷺ أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم» **(وقال: لا تنساني يا أخي)** بفتح الياء المشددة وكسرها قراءتان في السبع في يا بني، وظاهر أنهما على ضم الهمزة والتصغير، وعليه اقتصر الشربيني الخطيب في شرح جمع الجوامع وفي شرح جمع الجوامع للمحلي بعد ذكر الحديث، وأخي بضم الهمزة مصغر لتقريب المنزلة، أي: لا للتحقير وبفتحها روايتان ا هـ. **(من دعائك)** فيه دليل على استحباب طلب المقيم من المسافر ووصيته له بالدعاء في مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر، وإن كان يعرف أنه يدعو له فلا بأس أن يذكره بالدعاء له لا سيما إن كان سفره عبادة كحج أو عمرة أو غزو، فتتأكد الوصية كما تقدم، وفي الحديث: «يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج» والعمرة في معنى الحج، وهذا الحديث يؤيده **(وفي رواية)** هي لأبي داود، قال بعد إيراد الحديث كما تقدم من طريق شعبة: قال شعبة: ثم لقيت عاصماً بعد بالمدينة فحدثته **(فقال)** في حديثه **(أشركنا)** بفتح الهمزة، أي: اجعلنا شركاء معك **(يا أخي)** بالوجهين **(في)** صالح **(الدعاء حديث صحيح رواه أبو داود)** في باب الدعوات آخر كتاب الصلاة **(والترمذي)** في الدعوات من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)** لعل صحته لغيره وإلا ففي سند أبي داود والترمذي عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ليس من رجال الصحيح، إنما روى له البخاري في كتاب خلق الأفعال، وفي سند الترمذي أيضاً سفيان بن وكيع وهو الراوي، وقد تكلم فيه من قبيل دخوله

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: في الدعاء (الحديث: ١٤٩٨).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ١١٠ (الحديث: ٣٥٦٢).
(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.

Made searchable using ScribeTools.com

٣٧٤ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءً رَاكِباً

في صنعة الوراقة، وقد رواه ابن ماجه في الحج من سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عن عاصم أيضاً، والله أعلم. (وقال: عمر فقال) أي: رسول الله ﷺ (كلمة) أراد بها معناها اللغوي وهو الجمل المفيدة، وهل هو مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل؟ أو استعارة مصرحة شبه الكلام بالكلمة في توقف فهم المراد على تمام كل منهما فأطلق عليه اسمها؟ وجهان ذكرهما شيخنا الشيخ المحقق عبد الرحمن الحساني، والمشهور في كتب النحو الأول منهما، وعليه اقتصر ابن رسلان في شرح السنن (ما يسرني أن لي بها) أي: بدلها، فالباء فيه بمعنى البدل، ومنه قول الحماسي:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا

(الدنيا) وما فيها، قال ابن رسلان: فيه فضل الدعاء بظهر الغيب واستحبابه للحاج إذا حضر في الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء لنفسه ولإخوانه في الله تعالى بأعيانهم ومن سأله الدعاء ووعده فيتعين ويتأكد عليه الدعاء له ا هـ. وهذا الحديث دليل قول المصنف في الترجمة، وطلب الدعاء منهم وذكر لدليل ندب زيارة المواضع المأثورة قوله.

٣٧٤ ــ (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يزور قباء) بضم القاف وتخفيف الباء وبالمد، وهو مذكر منون مصروف في اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى صاحب المطالع وغيره فيه لغة أخرى وهي القصر، حكاها في المطالع عن الخليل، وأخرى وهي التأنيث وترك الصرف، والمختار ما قدمت وهو الذي قاله الجمهور ونقله صاحب المطالع عن أبي عبيد البكري وعن أبي علي القالي كذا في التهذيب للمصنف، وجمعت هذا كله من عبارة المغني للشيخ محمد طاهر الهندي الفتني قباء، بالمد والتذكير والصرف أشهر من أضدادهن، وبضم القاف وخفة الموحدة، وفي المصباح: هو بضم القاف ويقصر ويمد ويصرف ولا يصرف، وفي عبارته إبهام تساوي الوجوه، وقد علمت الأشهر منها، قال السمهودي: هو قرية حوالي المدينة، قال ابن جبير: مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة، وفي خط المداعي: إنما سميت قباء ببئر كانت هناك تسمى قباراً فتطيروا منها فسموها قباء كما نقله ابن زبالة، قال الباجي: على ميلين من المدينة، ونقله النووي عن العلماء، وفي مشارق عياض ثلاثة أميال، وهو معنى قول الحافظ ابن حجر على فرسخ من المدينة، قال السمهودي: وقد اختبرت ذلك فرأيته على فرسخ من باب جبريل إلى باب مسجد قباء ا هـ. (راكباً وماشياً) أي: تارة وتارة، ويحتمل أن يكون باعتبار بعض المسافة،

وَمَاشِياً فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتينِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفي رِوَايَةٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتي مَسْجِدَ قُباءٍ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِباً وَمَاشِياً، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ(١).

٤٦ ــ باب: في فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه

والأول أقرب لقربه **(فيصلي فيه)** أي: في مسجده **(ركعتين، متفق عليه)** وقد ورد في فضل الصلاة في مسجد قباء أحاديث كثيرة أوردها السمهودي في فضل مسجد قباء من تاريخه، منها ما رواه الترمذي عن أسد بن ظهير الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» قال الترمذي: حديث حسن غريب ولا نعرف لأسيد شيئاً يصح غير هذا الحديث، ثم أورد السمهودي أحاديث في كونها فيه كعمرة **(وفي رواية)** هي للبخاري والنسائي من حديث ابن عمر **(كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت)** وعند ابن حبان في صحيحه: «كل يوم سبت» قال السمهودي: فيرد به على من قال: السبت الأسبوع **(راكباً وماشياً)** أي: للصلاة فيه كما تقدم فيما قبله **(وكان ابن عمر يفعله)** قال السمهودي: ولابن أبي شيبة عن شريك عن عبد الله بن عمر مرسلاً: «أن النبي ﷺ كان يأتي قباء يوم الاثنين» وعن ابن أبي عروبة قال: «كان عمر بن الخطاب يأتي مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس» الحديث. ففيه استحباب زيارته ومثله سائر الأماكن المأثورة في الحرم المكي وغيره.

باب فضل الحب

بضم المهملة وتشديد الموحدة، وهو كما في القاموس: الود كالحباب والحب بكسرها، وفي المصباح: أن الحب بالضم اسم مصدر حابب من باب قاتل **(في الله)** أي: لأجله لا لغرض آخر، ففي تعليلية **(والحث)** بتشديد المثلثة، أي: التحريض **(عليه وإعلام)** عطف على فضل مصدر مضاف إلى فاعله وهو: **(الرجل من يحبه أنه يحبه)** على تقدير الباء، وحذف الجار من أن وإن وكي المصدريات مقيس بغير خلاف **(وماذا يقول)** أي: المحبوب **(له)** أي: للرجل المعلم **(إذا أعلمه)**.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أبواب التطوع، باب: من أتى مسجد قباء كل سبت (٥٦/٣).

وأخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: فضل مسجد قباء (الحديث: ٥١٥).

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

(**قال الله تعالى: محمد رسول الله**) جملة مبينة للمشهود به في الآية قبلها، ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ (**والذين معه**) معطوف عليه، وخبرهما: (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) وأشداء جمع شديد، ورحماء، جمع رحيم، والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[٣] (**تراهم ركعاً سجداً**) لأنهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم (**يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**) الثواب والرضى (**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**) يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلاً، من سامه إذا علمه، وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن في الجار (**ذلك**) إشارة إلى الوصف المذكور أو إشارة مبهمة يفسرها كزرع (**مثلهم في التوراة**) صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها (**ومثلهم في الإنجيل**) عطف عليه، أي: ذلك مثلهم في الكتابين، ثم التوراة والإنجيل إسمان أعجميان، قال البيضاوي: ومن زعم عربيتهما واشتقاقهما فهو متكلف، وقوله: (**كزرع**) تمثيل مستأنف أو تفسير، ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وكزرع خبره (**أخرج شطأه**) أي: فراخه، يقال اشطأ الزرع إذا فرخ (**فآزره**) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة، أو من الأيزار وهو الإعانة (**فاستغلظ**) فصار من الرقة إلى الغلظ (**فاستوى على سوقه**) فاستقام على قصبه، جمع ساق (**يعجب الزراع**) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره، وهو مثل ضربه الله للصحابة: قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس (**ليغيظ بهم الكفار**) علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه، أو لقوله: (**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**) فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك، ومنهم للبيان، ولما قال المصنف (**إلى آخر السورة**) تكلمنا على خاتمتها بجملتها (**وقال تعالى: والذين تبوءو الدار والإيمان**) عطف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما، وقيل: المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الإيمان، فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام، أو تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله:

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

٣٧٥ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ

علفتها تبناً وماءً بارداً

وقيل سمّى المدينة بالإيمان لأنه مظهره ومصيره **(من قبلهم)** أي: من قبل هجرة المهاجرين، وقيل: تقدير الكلام «والذين تَبوَّءُو الدار من قبلهم والإيمان» **(يحبون من هاجر إليهم﴾)** ولا يثقل عليهم.

٣٧٥ ــ (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ثلاث) أي: من خصال، أو ثلاث خصال، أو خصال ثلاث **(من كنّ)** أي: وجدن، فهي تامة و **(فيه)** ظرف لغو متعلق به، كذا أعربه الحافظ في الفتح، ويجوز أن تكون كان ناقصة والظرف الخبر **(وجد)** من الوجدان، بكسر الواو في المصدر **(بهن حلاوة الإيمان)** قال المصنف: المراد من حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك معصيته وكذا الرسول ا هـ. **وقال الحافظ**: فيه استعارة تخييلية، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيءٍ حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله تعالى شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾[1] فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل للإيمان، وأغصانها اتباع الأوامر واجتناب النواهي، وزهرها ما يهم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الشجرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها **(أن يكون الله ورسوله أحب)** بالنصب خبر يكون **(إليه مما سواهما)** قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له، ويلتذ بذلك التذاذاً عقلياً، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، وشاهد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم﴾[2] إلى أن قال: ﴿أحب إليكم من الله

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

Made searchable using ScribeTools.com

لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

ورسوله﴾[٢] ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله: ﴿فتربصوا﴾[٣] قال المصنف: إنما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل، وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية، وأما قوله للذي خطب فقال: ومن يعصمها فقال: بئس خطيب القوم أنت، فليس من هذا؛ لأن المراد في الخطب الإيضاح، وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ، وثم أجوبة أخرى، قال الحافظ في الفتح: من محاسنها أن تثنية الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر المجموع المركب من الجهتين لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى، وأما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كلاً من العصيان مستقل باستلزام الغواية، إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[٤] فأعاد أطيعوا في الرسول دون أولي الأمر؛ لأنهم لاستقلالهم في الطاعات كاستقلال الرسول ا هـ. ملخصاً من كلام البيضاوي والطيبي. **(وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)** قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء **(وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه)** الإنقاذ أعم من العصمة منه ابتداء بأن يولد على الفطرة ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة، وعلى الأول فيحمل قوله: يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثاني، فإن العود فيه على ظاهره، وعدى العود بفي دون إلى لتضمنه معنى الاستقرار، كأنه قيل: ويستقر فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾[٥] **(كما يكره أن يقذف في النار)** الكاف في محل المفعول المطلق، واستدل به على فضل من أكره على الكفر فصبر وترك التقية حتى قتل، قال الحافظ: وأخرجه البخاري في الأدب في فضل الحب في الله بلفظ: «وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه» وهو أبلغ من لفظ حديث الباب؛ لأنه سوى فيه بين الأمرين، وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذي أنقذه الله بالخروج منه من نار الآخرة **(متفق عليه)** ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، قال المصنف: هو حديث عظيم من أصول الدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (١/٥٦، ٥٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف... (الحديث: ٦٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

٣٧٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، .....

---

٣٧٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سبعة)** أي: سبعة أنفس، فلذا صح الابتداء به، ويجوز أن يعتبر مسوغ آخر ومفهوم العدد ليس بحجة على الصحيح عند الأصوليين فلا يشكل عليه أن الذين يظلون تحت العرش يوم القيامة فوق السبعين، وقد جمع في ذلك جزأً الحافظ السخاوي، وكذا الحافظ السيوطي **(يظلهم الله في ظله)** أضافه إليه تشريفاً، قيل: المراد بظله كرامته أو حمايته كما يقال: أنا في ظل فلان، وهو قول عيسى بن دينار وقواه عياض، وقيل: المراد في ظل عرشه، ويدل عليه حديث سلمان «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه» فذكر الحديث، وإن أريد ظل العرش استلزم كونه في كنف الله وكرامته من غير عكس، فهو أرجح وبه جزم القرطبي، ويؤيده التقييد بيوم القيامة في رواية ابن المبارك، فترجح أن المراد ظل العرش لا ظل طوبى وظل الجنة، خلافاً لمن زعم، لأن ذلك إنما يكون بعد دخول الجنة وهو عام لكل داخلها، ومقصود الحديث ما اختص به أصحاب تلك الخصال **(يوم لا ظل إلا ظله)** وجه الكرماني الحصر في السبعة المذكورة بما ملخصه: «إن الطاعة إما أن تكون بين العبد والرب أو بينه وبين الخلق، فالأول باللسان وهو الذكر أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد أو بالبدن وهو الناشىء في العبادة، والثاني إما عام وهو الإمام العادل أو خاص بالقلب وهو التحاب أو بالمال وهو الصدقة أو بالبدن وهو العفة» **(إمام عادل)** اسم فاعل من العدل، والمراد به صاحب الولاية العظمى، ويلحق به من ولي شيئاً من أمر المسلمين فيعدل فيه، ويؤيده رواية مسلم من حديث ابن عمر ورفعه: «أن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه بغير إفراط ولا تفريط، وقدمه في الذكر لعموم النفع به **(وشاب)** بتشديد الموحدة، اسم فاعل **(نشأ في عبادة الله)** زاد ابن زيد في روايته «حتى توفي على ذلك»، وعند سلمان: «أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله» وفيه إيماء إلى فضل من لم يزاول المعصية أصلاً على من أقلع وتاب منها **(ورجل قلبه معلق في المسجد)** ظاهره أنه من التعليق كأنه شبه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجاً عنه، ويدل عليه رواية الحوفي: «كأنما قلبه في المسجد» ويحتمل أن يكون من العلاقة شدة الحب، ويدل عليه رواية أحمد: «متعلق بالمساجد» ورواية الكشميهني بزيادة فوقية بعد الميم وكسر اللام، زاد

Made searchable using ScribeTools.com

وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»

سلمان: من حبها، وزاد مالك: إذا خرج منه يعود إليه **(ورجلان تحابا)** بتشديد الموحدة وأصله تحابيا، أي: اشتركا في جنس المحبة وأحب كل منهما صاحبه حقيقة لا ظاهراً فقط، وفي قوله: **(في الله)** تعليلية **(اجتمعا عليه)** هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: «اجتمعا على ذلك» والمشار إليه ومرجع الضمير هو الحب المدلول عليه بقوله تحابا **(وتفرقا عليه)** المراد أنهما داما على المحبة ولم يقطعاها لعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت، وعدت هذه الخصلة واحدة مع أن متعاطيها اثنان؛ لأنها لا تتم إلا باثنين، ولما كان المتحابان بمعنى واحد كان عد أحدهما مغنياً عن الآخر؛ لأن الغرض عد الخصال لا عد جميع المتصف بها وهذا مقصود الترجمة **(ورجل دعته امرأة ذات منصب)** أي: أصل وشرف **(وجمال)** وصفها بالأوصاف التي جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصل فيه وقل من يجتمع فيها ذلك من النساء، والمراد: دعته إلى نفسها كما زاد ابن المبارك في روايته، وعن البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة: «فعرضت نفسها عليه» والظاهر أنها دعته إلى الفاحشة، وبه جزم القرطبي، ولم يحك غيره، وقال بعضهم: يحتمل أنها دعته إلى التزويج فخشي أن يشغله عن عبادة مولاه الافتتان بها، أو خاف أن لا يقوم بحقها لشغله بالعبادة عن التكسب لها، والأول أظهر، ويؤيده وجود الكناية في قوله إلى نفسها، ولو كان المراد التزويج لصرح به، والصبر عن الموصوفة بما ذكر من أكبر المراتب لكثرة الرغبة في مثلها وعسر تحصيلها سيما وقد أغنت عن مشاق التوصل إليها بمراودة ونحوها **(فقال إني أخاف الله)** زاد في رواية كريمة: «رب العالمين» والظاهر أنه يقول بلسانه ليزجرها وتعتبر بقلبها، ويحتمل أنه بقلبه، قاله عياض، قال القرطبي: إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله ومتين تقوى وحياء **(ورجل تصدق)** بلفظ الماضي، قال الكرماني: جملة حالية بتقدير قد **(بصدقة)** نكرها ليشمل كل ما تصدق به من قليل وكثير، وظاهره يشمل المفروضة والمندوبة، لكن نقل المصنف أن إظهار المفروضة أولى من إخفائها **(فأخفاها حتى لا تعلم)** بضم الميم وفتحها **(شماله ما تنفق يمينه)** هكذا في معظم الروايات في البخاري وغيره، ووقع في صحيح مسلم مقلوباً «حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله» وقد بسط الحافظ في الفتح في بيان من وهم بذلك، وما في البخاري هو الصواب وهو وجه الكلام؛ لأن السنة في الصدقة إعطاؤها باليمين، والقصد من الحديث الحث على المبالغة في إخفاء الصدقة، بحيث إن شماله مع قربها من

. . . . . .

يمينه وتلازمها لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه، ويؤيده أنه جاء في رواية «تصدق بصدقة كأنما أخفى يمينه عن شماله» ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف، أي: حتى لا يعلم ملك شماله **(ورجل ذكر الله)** أي: بقلبه من التذكر، أو بلسانه من الذكر **(خالياً)** أي: عن الخلق؛ لأنه حينئذ يكون أبعد من الرياء، أو المراد خالياً عن الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ، ويؤيده رواية البيهقي: «ذكر الله بين يديه» ويؤيد الأول رواية ابن المبارك وحماد بن زيد «ذكر الله خلاء» أي: في موضع خال وهي أصح **(ففاضت عيناه)** أي: فاضت الدموع منهما، وإسناد الفيض إليهما مبالغة كأنها هي التي فاضت، قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر وما ينكشف له، فبكاؤه خشية من الله تعالى حال أوصاف الجلال وشوقاً إليه سبحانه حال أوصاف الجمال، قال الحافظ في الفتح: وذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له فيما ذكر إلا إن أريد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم ويخرج خصلة ملازمة المسجد؛ لأن صلاتها في بيتها أفضل من المسجد وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن.

«فائدة» أورد الحافظ السخاوي في جزئه المسمى بالخصال الموجبة للظلال تسعة وثمانين خصلة ذكر أدلة ذلك، وما ورد فيه في آخره أن الأديب معمر بن عبد القوي المكي المالكي نظمها على ترتيب لها في جزئه فقال:

أناس روينا في الصحيحين سبعة ... يظلهم الرحمان في برد ظله
وقد حازهم زين الهدى شيخ وقته ... أبو شامة في النظم منه بقوله
محب عفيف نشيء متصدق ... وباك مصل والإمام بعدله
وزاد عليه شيخ الإسلام عدة ... ثلاثة سبعات رواها بنقله
وأبرزها نظماً فقال ونظمه ... هو الدر لا نظم يكون كمثله
وزد سبعة إصلال غاز وعونه ... وإنظار ذي عسر وتخفيف حمله
وحامي غزاة حين ولوا وعون ذي ... غرامة حق مع مكاتب أهله
وزد مع ضعف سبعتين إعانة ... لا خرق مع أخذ لحق وبذله
وكره وصبر ثم مشي لمسجد ... وتحسين خلق ثم معظم فضله
وكافل ذي يتم وأرملة وهت ... وتاجر صدق في المقال وفعله
وحزن وتصبير ونصح ورأفة ... تربع بها السبعات من فيض فضله

Made searchable using ScribeTools.com

. . . . . .

وقد زاد فيما بعد ستاً ولم تقع ... منظمة منه كسابق قوله
وفي نظمها حكم لغير كنفسه ... محب لسيف الله شيعة عدله
وترك الزنا ترك الرياء ورشوة ... وأول إنعام نهاية كله
فأربعة صار الجميع وقبلها ... ثلاثون فاقرأ العلم تحظ بنبله
وزاد عليها حافظ العصر شيخنا ... وعلامة الإسلام جامع شمله
عنيت السخاوي الذي كل عالم ... يروي صداه من تفيض فضله
ثمانية من بعد خمسين خصلة ... تتبعها فيما رواه وأصله
فدونكها نظماً ليحسن حفظها ... فأحسن تعليم يكون بسهله
فأولها في العد من هو ساكت ... بحلم وذو ثبت بعلم وعقله
ومن حفظ القرآن في حال صغره ... وقاد كبيراً في الأنام بحمله
مراقب شمس للمواقيت تاجر ... أمين بلا مدح وذم لرحله
عيادة مرضى ثم تشييع ميت ... ومن لم يخف في الله لوماً لعدله
وقبض يد عن غير حق وغضة ... لطرف عن المحظور قصداً لحله
وترك غريم ثم فضل لمعسر ... وإشباع ذي جوع يتوق لأكله
وواصل رحم ثم رحمة أيم ... بأيتامها تعني بيتم وشغله
وصانع طعم لليتيم وموقن ... عليه رقيقاً في ارتحال وحله
محب لخلق الله يبغي جلاله ... مؤذن فراج «لكرب» وكله
ومحيي طريقاً للنبي ومكثر ... صلاة عليه في النهار وليله
وحامل قرآن قراءة أصفيا ... كذا أنبياء الله أكرم بأهله
وإفراد إبراهيم بالذكر منهم ... علي ونجلاه فطوبى لنجله
مريض وذو جوع وصوم وهائم ... ثلاثة عشر من مرحب حوله
مصل بقرآن أتى بعد مغرب ... وأطفال أتباع النبي وسبله
ونجل رسول الله ذكرنا به ... وغير حسود والعقوق لأصله
وتارك مشي بالنميمة ظاهر ... بريء ومذكور بذكر المولة
منيب لذا ذكر الإله وغاضب ... بحرمته ثم المحب لأجله
وعمار بيت الله جل جلاله ... ومستغفر الأسحار يا طيب قوله
ومذكور رب الناس ذاكره كذا ... شهيد ومن في أحد فاز بقتله
معلم أبناء وأخبار ديننا ... أمانة أمر بالجميل وفعله

مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ(١).

٣٧٧ ــ وَعَنْـهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ: قَالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى يقـولُ يومَ القِيامَةِ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ بِجَلالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي» . . . . . .

ونهى وداعي الخيـر واختـم بخـاتـم ... الـنـبـيـيـن حـب الله أكـرم رسـله
عـلـيـه صـلاة الله ثـم سـلامـه ... وآل وأصـحـاب كـرام بـوصـلـه
وقـد كملت تـسعـين تـعجـز واحـد ... مـبيـنـه جـاءتـك من فـيض فـضـله
ونـسـأل مـولانـا الـكـريـم إلٰـهـنـا ... يـصـيـرنـا مـمـن يـظلهـم بـظله

ا هـ. **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي كلهم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد، ورواه مسلم أيضاً عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً كذا في الجامع الصغير.

٣٧٧ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول) فيه رد على من يكره أن يؤتى بالمضارع في القول المحكي عنه تعالى؛ لأن كلامه قديم أزلي، والجواب أن الإتيان به للدلالة على أنه مستمر أبدي **(يوم القيامة أين المتحابون لجلالي)** والسؤال عنهم مع علمه بمكانهم وغيره من أحوالهم لينادي بفضلهم في ذلك الموقف ويصرح به، **(تحذف)** واللام فيه للتعليل، أي: تحابوا لجلاله وعظمته لا لغرض سوى ذلك من دنيا أو نحوها، وروى بجلالي، قال العاقولي: أي: في جلالي، فالباء بمعنى في، وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة، وأنهم في حبهم لله قائمون بحق تعظيمه والخوف منه مطرقون إجلالاً لهيبته، فجمع بينهما هذا الوصف العظيم لا كما يجمع حب أهل المتحابين على شهواتهم الخسيسة الباعثة على ترك الهيبة وإلقاء جلباب الحياء، هيهات كم بين المحبتين ا هـ. **(اليوم أظلهم في ظلي)** قال القاضي عياض: إضافة الظل إليه تعالى إضافة ملك، قال الحافظ: ولو قال إضافة تشريف لكان أولى والمراد ظل العرش، وجاء في غير مسلم «ظل عرشي» قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهيج الموقف وأنفاس الخلق، قال: وهذا قول الأكثر، وقال عيسى بن دينار: معناه أمنه من المكاره وأنه تعالى يكرمه ويجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم: «السلطان ظل الله في أرضه» وقيل: الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم يقال هذا عيش ظليل، أي: طيب **(يوم لا ظل إلا ظلي)** أي: لا يكون في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أبواب صلاة الجمعة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (٢/١١٩، ١٢٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة (الحديث: ٩١).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣٧٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

ذلك اليوم من له ظل مجازاً كما في الدنيا (**رواه مسلم**) وأحمد، وهو من الأحاديث القدسية، وقد جمع منها الحافظ العلائي أربعين حديثاً وفي روايته طريقتان، إحداهما: كما ذكر المصنف، «والثانية»: أن يقال عن النبي ﷺ عن ربه تعالىٰ أنه قال، والفرق بين الحديث والقرآن من وجوه انتفاء الإعجاز، وجواز روايته بالمعنى، وعدم تعلق ثواب بقراءة ألفاظه، وجواز مسه وحمله مع الحدث وقراءته مع الجنابة وغير ذلك.

٣٧٨ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده) أقسم لتأكيد الأمر وتحقيقه والقسم يندب لذلك **(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا)** أي: يؤمن كل منكما صاحبه بوائقه كما جاء في الحديث **(ولا تؤمنوا)** قال المصنف: هكذا في جميع الأصول والروايات بحذف النون وهي لغة معروفة صحيحة ا هـ. وفي التسهيل: وحذفها لغير ناصب وجازم نادر، قال المرادي في شرحه: وقال بعض النحويين أنه ضرورة، قال العاقولي: وأما إثبات النون في بعض نسخ المصابيح فمن إصلاح الناظرين، وحذف النون نظراً لحذفها فيما قبله فأتبعه ما بعده مشاكلة وإعادة ليعلق عليه حكماً آخر، والمراد: لا تؤمنوا إيماناً كاملاً ولا يؤمن بعضكم بعضاً **(حتى تحابوا)** بحذف إحدى التاءين تخفيفاً وتشديد الموحدة، والأصل تتحابوا، لأن المحب يأمن من محبوبه **(أو لا أدلكم)** الهمزة للاستفهام والواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة، أي: أتتركوا التحاب ولا أدلكم **(على شيء إذا فعلتموه تحاببتم)** فالاستفهام وارد على الهيئة المجموعية **(أفشوا)** بقطع الهمزة المفتوحة **(السلام بينكم)** فيه الحث على إفشاء السلام وبذله للمسلم من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس والتواضع وإعظام حرمات المسلمين **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان من صحيحه، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، قاله المنذري في الترغيب.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله (الحديث: ٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن لا يدخل الجنة... (الحديث: ٩٣).

٣٧٩ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً» وَذَكَرَ الحَدِيثَ إِلَى قَولِهِ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ سَبَقَ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ(١).

٣٨٠ ــ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٣٨١ ــ وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ . . . . . .

---

٣٧٩ ــ (وعنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً وذكر) أي: أبو هريرة **(الحديث)** المذكور في الباب قبله **(إلى قوله إن الله قد)** للتحقيق **(أحبك)** أي: أراد بك خيراً **(كما أحببته فيه رواه مسلم وقد سبق في الباب قبله)** لكن لما تعلق عرض الترجمة بقوله منه إن الله قد أحبك... الخ أورده.

٣٨٠ ــ (وعن البراء) بتخفيف الراء والمد **(ابن عازب)** صحابي بن صحابي، ولذا نبه عليه بقوله: **(رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في)** حق **(الأنصار)** هم أولاد الأوس والخزرج، وتقدم أنه اسم إسلامي، سموا به لنصرهم الإسلام ومبالغتهم فيها **(لا يحبهم إلا مؤمن)** لأن لهم في الإسلام الأيادي الجميلة من النصر والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم وبذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثاراً للإسلام **(ولا يبغضهم)** مع ذلك **(إلا منافق)** ومحل ذلك إن أبغضهم من الحيثية المذكورة، أما إذا كان بغضه لأحد منهم لخصام أو لأمر اقتضاه معه بخصوصه فلا **(من أحبهم)** أي: لله تعالى **(أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)** كما يدين الفتى يدان **(متفق عليه)**.

٣٨١ ــ (وعن معاذ) ــ بضم الميم وبالعين والذال المعجمة ــ هو ابن جبل **(رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: المتحابون)** بتشديد الموحدة، أي:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، (الحديث: ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الأنصار (٨٧/٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار... (الحديث: ١٢٩).

Made searchable using ScribeTools.com

في جَلالي لَهُمْ مَنابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٣٨٢ ــ وَعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتَىً بَرَّاقُ الثَّنايا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَروا عَنْ رَأْيِهِ،

المتحابون **(في جلالي)** في تعليلية كما تقدم **(لهم منابر من نور)** يجلسون عليها، وفي حديث الطبراني عن أبي أيوب مرفوعاً: «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش» والمنابر جمع منبر ــ بكسر فسكون ففتح ــ من النبر وهو الغلو **(يغبطهم النبيون والشهداء)** الغبطة تمني مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه، فدل هذا الحديث القدسي على أن لهؤلاء العباد منازل شريفة عظيمة في الآخرة، ولا يلزم من تمني الأنبياء أن يكون أولئك أفضل من الأنبياء؛ لأنه قد يكون لك مائة فرس من العتاق ثم ترى لأخيك فرساً فتشتهي أن تشتريه منه أو تشتري مثله وهذا من هذا القبيل، ويجوز أنه لم يقصد النظر إلى معنى الغبطة أصلاً وإنما أريد بيان فضلهم وشرفهم عند الله فقط **(رواه الترمذي)** في الزهد من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)**.

٣٨٢ ــ (وعن أبي إدريس) اسمه عايذ الله ــ بتحتية ومعجمة ـ ابن عبد الله **(الخولاني)** نسبة إلى خولان، بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن يشخب، قبيلة نزلت الشام، كذا في لب اللباب للأصبهاني، ولد أبو إدريس **(رحمه الله)** عام حنين وهو من كبار التابعين، روى عنه الزهري، توفي سنة ثمانين، قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء **(قال: دخلت مسجد دمشق)** بكسر الدال المهملة وفتح الميم، وحكى في المطالع كسرها، أعظم بلاد الشام **(فإذا فتى براق)** بتشديد الراء **(الثنايا)** أي: أبيض الثغر حسنه، وقيل: معناه كثير التبسم **(وإذا الناس معه)** أتباع له لكونه صحابياً عالماً فقيهاً **(فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقيل هو معاذ بن جبل)** هو الأنصاري الذي قال في حقه ﷺ: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ» وقال السيوطي: قال الباجي، قال أحمد بن خالد، وهو أبو حازم، وفي هذا القول نظر، وإنما هو عبادة بن الصامت، فقد رواه شعبة عن يعلى عن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أبي إدريس الخولاني «قال: لقيت عبادة بن الصامت» فذكر الحديث، وقال ابن عبد البر: زعم قوم أن هذا الحديث خطأ وأن مالكاً وهم فيه وأسقط من إسناده أبا مسلم الخراساني، وزعموا أن أبا إدريس رواه عن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الحب في الله، (الحديث: ٢٣٩٠).

فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ فَقَالَ أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ،

أبي مسلم عن معاذ، وقال آخرون: وهم فيه أبو حازم، قال: وهذا كله تخرص، وقد روي عن أبي إدريس من وجوه شتى غير طريق أبي حازم أنه لقي معاذاً وسمع منه، فلا شيء في ذلك على مالك ولا على أبي حازم ا هـ. قلت: وحديث أبي مسلم عن معاذ رواه ابن حبان في صحيحه بنحو حديث أبي إدريس **(فلما كان)** أي: حصل **(من الغد هجرت)** أي: إلى المسجد **(فوجدته قد سبقني بالتهجير)** لمسارعته إلى طريق البر واهتمامه به **(ووجدته يصلي)** نافلة **(فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه)** فيه تنبيه على أن الأدب لمن ورد على مشغول بالله تعالى أن لا يشغله ويلهيه عما هو فيه، فقد ورد: «من أشغل مشغولاً بالله أدركه المقت في الوقت» وفيه أن الأدب قصد الإنسان من قبل وجهه، كما يستحب الدخول إلى البيت من باب السلام؛ لأنه من جهة وجه البيت **(فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك)** القسم للتأكيد وكأنه طلباً لاقباله عليه **(فقال الله)** بهمزة الاستفهام الممدودة المعوض بها عن حرف القسم فلذا وجب جر ما بعدها **(قال)** أبو إدريس **(الله)** ضبطه المصنف بالهمزة المقصورة وهو مجرور لنيابة الهمزة مناب صرف القسم **(فقال)** أي: تأكيداً للقسم **(آلله؟ فقلت الله فأخذ بحبوة ردائي)** يحتمل أن تكون الإضافة بيانية، ويحتمل أن تكون بمعنى اللام، والحبوة من الاحتباء **(فجبذني إليه)** قال في النهاية: الجبذ لغة في الجذب، وقيل: هو مقلوب منه، وفي المصباح: جبذه جبذاً من باب ضرب مثل جذبه، قيل: مقلوب منه لغة تميمية، وأنكره ابن السراج وقال: ليس أحدهما مأخوذ من الآخر لأن كل واحد يتصرف في نفسه **(فقال: أبشر)** بقطع الهمزة وكسر الشين، ويجوز وصل الهمزة وفتح الشين وضمها، قال في المصباح: بشر بكذا يبشر من باب فرح وزناً ومعنى وهو الاستبشار أيضاً، ويقال: بشرته أبشره من باب قتل في لغة تهامة، وتكون البشرى في الخبر السار، واستعمالها في الشر قليل للتهكم ا هـ. وحذف المبشر به لدلالة الحديث عليه وهو قوله: **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي)** من الوجوب وهو الثبوت، أي: ذلك كائن لا محالة **(للمتحابين فيّ)** أي: من أجلي لا لعرض ولا لغرض **(والمتجالسين فيّ**

Made searchable using ScribeTools.com

وَالْمُتَجالِسينَ فِيَّ، وَالْمُتَزاوِرينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ مَالِكٌ في المُوَطَّإِ بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحِ. قَولُهُ: «هَجَّرْتُ»: أَيْ بَكَّرْتُ. وَهُوَ بِتَشْدِيدِ الجِيمِ. قَوْلُهُ: «آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهِ» الأَولُ بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ للاسْتِفْهامِ والثاني بِلَا مَدٍّ[1].

والمتزاورين فيّ) تفاعل من الزيارة (**والمتباذلين فيّ**) تفاعل من البذل، قال الباجي: أي: الذين يبذلون أنفسهم في مرضاتي من الإنفاق على عدوه[2] وغير ذلك مما أمروا به، والمراد: أنا فاعل كل من هذه الأمور من الجانبين، كما يدل عليه صيغة التفاعل إذا كان لوجه الله تعالى لا لعرض فانٍ ولا لغرض، فإنه تجب له محبة مولاه، وهذا أعظم الجزاء وأشرف الحياء، فيدل على شرف هذا، وقد ورد: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» كما تقدم (**حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح**) فإنه رواه فيه عن أبي حازم عن أبي إدريس الخولاني، قال الحافظ المنذري في الترغيب: وأخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه (**وقوله هجرت أي: بكرت**) ومنه حديث: «لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا إليه» (**وهو بتشديد الجيم**) قال في النهاية: التهجير التكبير إلى كل شيء والمبادرة إليه، يقال: هجر تهجيراً فهو مهجر، وهي لغة حجازية (**قوله آلله فقلت الله الأول بهمزة ممدودة والثاني بلا مد**) قال الشيخ نفيس الدين العلوي: ومن خطه نقلت سماعاً في الموطأ بالمد فيهما، ثم إن المصنف سكت عن بيان إعرابهما قال النحاة: والعبارة للرضى في شرح الكافية إذا حذف حرف القسم الأصلي أعني الباء، فإن لم يبدل منه فالمختار النصب بفعل القسم، ويختص لفظ الله بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض، «قلت»: عبارة الجامع الصغير تومىء إلى وجوب الجر حينئذ، ويختص لفظ الله بتعويض لفظها، أو همزة الاستفهام من الجار، وكذا عوض من الجار فيها قطع همزة الله في الدرج وكأنها حذفت للدرج ثم ردت عوضاً من الحروف وجار الله: جعل هذه الأحرف عوضاً من الواو، ولعل ذلك لاختصاصها بلفظ الله، ثم قال: وإذا دخلت همزة الاستفهام على الله فإما أن تبدل همزة الله ألفاً صريحة وهو الأكثر، وتسهل كما هو القياس في الرجل ونحوه، ولا تحذف للبس ولا تبقى للاستثقال، قال: ودليل كون هذه الثلاثة إبدالاً معاقبتها لحرف القسم ولزوم الجر معها دون النصب، مع أن النصب بلا عوض أكثر اهـ. ملخصاً. وفي شرح الجامع الصغير: المغاربة كما قال أبو حيان، يعبرون عن هذه الهمزة بهمزة الاستفهام، والمراد الصورة لا معنى الاستفهام، قال: وقد قرىء ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾[3] بتنوين شهادة

---

(١) الموطأ: (٢/٩٥٣)، ابن حبان وصححه (٢٥١٠).

(٢) هكذا في الأصل في جميع النسخ فليحرر. ع. (٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

٣٨٣ ــ وَعَنْ أَبِي كَرِيمَةَ الْمِقْدَادِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٣٨٤ ــ وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ واللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: . . . . . .

وقطع الهمزة؛ فلذا سموها ألف القطع، وليس المراد إلا قطع همزة الوصل التي مع لام التعريف في الاسم المعظم؛ لأن هناك ألف قطع جيء بها عوضاً من حرف القسم لكنهم يتسامحون فيعبرون عنها بألف القطع كذلك ا هـ.

٣٨٣ ــ **(وعن أبي كريمة)** بوزن حليمة، وقيل: أبو يحيى **(المقداد)** بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة **(ابن معدي كرب)** بكسر الدال وفتحها وسكون الياء تخفيفاً، ويجوز في كرب لغات: منع الصرف وإضافة الأول إليه مصروفاً وممنوعاً، وأصل معنى معدي كرب في لغة قحطان أو حمير، وجه الفلاح، وفي لغة غيرهم معنى معدي كرب: يا من جاوز الحد، نبه على الأول السهيلي وعلى الثاني الشيخ خالد الأزهري في شرح التوضيح، ابن سناد بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي **(رضي الله عنه)** كذا نسبه ابن عبد البر، وقيل غير ذلك، وهو أحد الوفد الذين قدموا على النبي ﷺ من كندة بالشام، توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة، روي له عن النبي ﷺ سبعة وأربعون حديثاً، كذا في المستخرج المليح لابن الجزري **(عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الرجل أخاه)** في الله تعالى **(فليخبره)** ندباً، وعند بعضهم فليعلمه **(أنه يحبه)** على تقدير الجار، وحكمته أنه سبب لمزيد الحب وتأكده **(رواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)** ورواه أحمد بسند صحيح والبخاري في الأدب المفرد، ولفظه كما قال السخاوي في المقاصد «أنه أحبه»، ورواه ابن حبان والحاكم وصححاه.

٣٨٤ ــ **(وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده)** تأنيساً وتلطفاً معه **(وقال: يا معاذ والله)** أتى به للتأكيد المطلوب لأجله القسم **(إني لأحبك ثم أوصيك يا معاذ)** وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمور ديانته، حيث حصل له هذا المقام الأسنى من المصطفى وذكره توطئة وبعثاً له على امتثال أمره بعده، قال بعضهم: لما صحت محبة معاذ للنبي ﷺ جاراه بأعلا منها كما هو عادة الكرام، ولا أكرم منه ﷺ،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل بمحبته إياه، الحديث: ٥١٢٤).

وأخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ماجاء في إعلام الحب (الحديث: ٢٣٩٢ أ).

Made searchable using ScribeTools.com

لَا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (١).

٣٨٥ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَأَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ»، فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ في اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (٢).

ولذا أكده بإن واللام **(لا تدعن)** أي: لا تتركن **(في دبر)** بضم المهملة والموحدة، أي: عقب **(كل صلاة)** أي: مفروضة **(تقول)** أي: أن تقول، أو قولك، فهو كما تقدم نظير قولهم: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وهو في محل المفعول لتدع **(اللهم أعني)** بقطع الهمزة **(على ذكرك)** الشامل للقرآن وسائر الأذكار **(وشكرك)** أي: شكر نعمتك الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية التي لا يمكن إحصاؤها **(وحسن عبادتك)** أي: بالقيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع وإخلاص واستغراق وتوجه تام **(حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح)** بل قال الحاكم في موضعين من مستدركه إنه على شرط مسلم، وتعقبه الحافظ في تخريج الأذكار النووية فقال: أما قوله إنه صحيح فمسلم، وأما قوله على شرطهما ففيه نظر، فلم يخرجا لبعض رواته وأخرج الحديث أيضاً أحمد والطبراني في كتاب الدعاء وابن حبان في صحيحه.

٣٨٥ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: إن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل)** وهو عند النبي ﷺ **(فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا)** كان الداعي إلى التأكيد التردد الناشىء مما يدل عليه حاله **(فقال له النبي ﷺ أعلمته)** بتقدير همزة الاستفهام قبله **(قال: لا قال: أعلمه)** أي: ندباً، ويحتمل أن يكون أمر ذلك بخصوصه على سبيل الوجوب لتهاجر كان بينهما أو تقاطع **(فلحقه فقال: إني أحبك في الله)** أي: لله تعالى **(فقال)** أي: ذلك المعلم **(أحبك الذي أحببتني له)** عدل إليه عن الإتيان بالاسم الجامع إعلاماً بسبب حبه تعالى لذلك وإيماء إليه، قال العاقولي: والجملة دعائية أخرجها مخرج الماضي تحققاً له وحرصاً على وقوعه **(رواه أبو داود بإسناد صحيح)**.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل بمحبته إياه (الحديث: ٥١٢٥).
وأخرجه النسائي في كتاب السهو، باب: نوع آخر من الدعاء (الحديث: ١٣٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل بمحبته أخاه (الحديث: ٥١٢٥).

٤٧ ــ باب: في علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

باب علامات حب الله تعالى العبد

بالنصب مفعول المصدر، ويجوز جره باللام المقوية للعامل لضعفه **(والحث)** عطف على علامات، والتحريض **(على التخلق بها)** أي: بتلك الخصال للمحبوب **(والسعي في تحصيلها)** ليستدل به بوجودها على وجوده، فإن شأن العلامة الاطراد.

(قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) أي: تدعون محبته، نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه، أي: إن كنتم كذلك فاتبعوني، فعلامة حبه تعالى العبد توفيقه لاتباع المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، وقوله: **(يحببكم الله)** جواب الشرط المقدر، أي: إن تتبعوني يحببكم الله **(ويغفر لكم ذنوبكم)** ولا يخفى ما في هذه الآية من الوعد للمتبعين بالمحبة من المولى وغفران الذنب، وهذه تقدم الكلام عليها في باب المحافظة على السنة وآدابها، وفي باب النهي عن البدع، وزاد هنا خاتمة الآية، أي: قوله: **(والله غفور رحيم)** وهو كالدليل لما تضمنه قوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾[٣] **(وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم)** بالكفر **(عن دينه)** قال البيضاوي: وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها، وقد ارتد من العرب في آخر عهد رسول الله ﷺ بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد، فقتل العنسي رئيس بني مدلج الذي تنبأ ليلة قبض النبي ﷺ، قتله فيروز وأخبر به النبي ﷺ فسر به المسلمون، وأتى الخبر بذلك أواخر ربيع، ومسيلمة رئيس بني حنيفة، وادعى النبوة، قتله وحشي قاتل حمزة، وبنو أسد قوم طليحة بن خالد، تنبأ فبعث إليه النبي ﷺ خالد بن الوليد ففر إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه، وقد ارتد في عهد الصديق سبع فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر[٤] المتنبئة زوجة

(١) و (٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) المعروف أنها بنت الحارث. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٣٨٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بِشَيْءٍ أَحَبَّ

مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنوا بكر بن وائل قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده، وفي إمرة عمر غسان قوم جبلة ابن الأيهم، تنصر وسار إلى الشام **(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)** قيل: هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام «أشار إلى أبي موسى وقال هم قوم هذا» وقيل: سلمان لما روي «أنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه» وقيل: الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس، والراجع إلى من محذوف والتقدير: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم **(أذلة على المؤمنين)** عاطفين عليهم متذللين لهم، جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل، واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو أو التنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم أو لمقابلة **(أعزة على الكافرين)** أي: شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه، وقرىء بالنصب على الحال **(يجاهدون في سبيل الله)** صفة أخرى لقوم، أو حال من الضمير في أعزة **(ولا يخافون لومة لائم)** عطف على يجاهدون، بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دين الله، أو حال، بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين، فإنهم يخرجون مع المسلمين في الجهاد خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعلمون ما يلحقهم به لوم من جهتهم، واللومة المرة من اللوم، وفي تنكير لائم مبالغتان **(ذلك)** أي: ما تقدم من الأوصاف **(فضل الله يؤتيه)** يمنحه ويوفق له **(من يشاء)** من خلقه **(والله واسع)** كثير الفضل **(عليم)** بمن هو أهله.

٣٨٦ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال:) هكذا أورده هنا بصيغة الماضي، وفي الأربعين يقول بصيغة المضارع، وعلله بعض الشراح بقوله مضارعاً لأن المضارع يدل على الحال الخاص **(من عادى لي ولياً)** من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو، فهو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو من الموالاة ضد المعاداة، فهو من: «تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصرة» وقدم الظرف للاختصاص، أي: من اتخذ ولياً لي لا لغيري عدواً **(فقد آذنته)** بالمد، أي: أعلمته **(بالحرب)** أي: أني محارب له عنه، أي: مهلكه بأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد

إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشي بِها، وَإِنْ سَأَلَني أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَني لَأُعِيذَنَّهُ» . . . . . .

لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى، ويلزم من ثبوت محاربته تعالى لأعداء أوليائه ثبوت موالاته لمن والاهم **(وما تقرب إليّ عبدي)** إضافته إضافة تشريف **(بشيء)** أي: بأداء شيء **(أحب إلي مما افترضته عليه)** أي: من أداء ما افترضته عليه عيناً كان أو كفاية، وإنما كان أحب إليه من النفل لأنه أكمل من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه، بخلافه: فإن الأمر به غير جازم يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه؛ ولأنه كما قيل جزء من سبعين جزءاً من الفرض **(وما يزال عبدي يتقرب إلي)** بعد أداء فرائضه **(بـ) أداء (النوافل)** من صلاة وصيام وحج وصدقة **(حتى أحبه فإذا أحببته)** ورضيت عليه وأوردت به الخير **(كنت سمعه)** يجوز أن يكون على تقدير مضاف فيه وفيما عطف عليه، أي: حافظ سمعه، وهو القوة المرتبة في العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الأصوات بتموج الهواء، وقوله: **(الذي يسمع به)** صفة توضيحية جيء بهذا للتأكيد، ويجوز أن تكون مخصصة احترازاً من اليد والرجل الشلاوين، أي: حافظه عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما في معناهما **(وبصره الذي يبصر به)** هو قوة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان إلى العينين يدرك بها الألوان ونحوها، ويؤخذ من تقديم السمع عليه أنه أفضل منه؛ ولأنه شرط النبوة، وقيل: إنه من باب الترقي؛ لأن متعلق البصر الأنوار ومتعلق السمع الريح وهو يرى من بعيد، أي: حفظه عما يحرم النظر إليه من الصور المحرمة **(ويده التي يبطش بها)** فلا يبطش إلا فيما يحل **(ورجله التي يمشي بها)** فلا يمشي إلا فيما يحل، وحاصل ذلك حفظ جوارحه وأعضائه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات، فلا يسمع ولا يبصر إلّا ما ورد به الشرع وكذا اليد والرجل، ويجوز أن يكون مجازاً عن نصره وتأييده، فكأنه تعالى نزل نفسه منزلة جوارحه التي يدرك بها ويستعين بها تشبيهاً، وزيادة في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي[1]، هذا والاتحادية والحلولية قبحهم الله يزعمون أن هذا في حقيقته، وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً حال فيه ومتحد به **(وإن سألني أعطيته)** بتاء الضمير، وحذف المفعول الثاني لدلالة قوله: «سألني» عليه، أي: أعطيته سؤله **(ولئن استعاذني لأعيذنه)** وأكد هذه الجملة بالقسم

(١) قوله: هذا، لعله تؤيد هذا.

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. مَعْنَى «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ. وَقَوْلُهُ «اسْتَعَاذَنِي» رُوِيَ بِالباءِ، وَرُوِيَ بِالنُّونِ[1].

٣٨٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدَ

ونون التوكيد اهتماماً بمضمونها؛ لأنه درء مفسدة وذلك جلب مصلحة والأول أهم والعناية به أتم **(رواه البخاري)** منفرداً به عن باقي الكتب الستة، ورواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في حليته، والبيهقي في الزهد، قال السخاوي بعد أن تكلم على رجال إسناده: ولذا قال الذهبي، وقد أورد الحديث في الميزان في ترجمة خالد بن محمد أنه غريب جداً، انفرد به خالد، ولولا هبة الجامع الصحيح لعدوه من منكرات خالد، وذلك لغرابة لفظه؛ ولأنه مما تفرد به شريك ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد، قال السخاوي: وهذا الحصر متعقب، فقد قال ابن حبان عقب إيراده لهذا الحديث ما نصه: «لا يعرف له إلا طريقان وهما هشام الكناني عن أنس وعبد الواحد ابن ميمون عن عروة عن عائشة، قال: وكلا الطريقين لا يصح وإنما الصحيح ما ذكرنا، أي: طريق خالد عن شريك بن عبد الله عن أبي نمر عن عطاء وهو ابن يسار عن أبي هريرة»، قال السخاوي: وحصره في الطريقين مردود، فقد رواه الطبراني عن أبي أمامه من طريق علي بن يزيد، قال السخاوي: وهو ضعيف، بل قال أبو حاتم الرازي: إن الحديث منكر، وروى الطبراني أيضاً من طريق حذيفة بنحوه وسنده حسن، وأخرجه ابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب بنحوه وسنده ضعيف، وأخرجه أبو يعلى بسند ضعيف عن ميمونة أم المؤمنين، وأخرجه الطبراني عن ابن عباس بنحوه ا هـ. ملخصاً، وهو أصل في السلوك والتقرب إلى الله تعالى والتعرف إليه والوصول إلى معرفته ومحبته؛ لأن المفترض إما باطن وهو الإيمان أو ظاهر وهو الإسلام أو مركب منهما وهو الإحسان المتضمن لسلوك السالكين كالإخلاص والزهد والتوكل والمراقبة **(معنى آذنته)** بالمد **(أي: أعلمته بأني محارب له)** في العبارة تسامح، إذ هذا معنى آذنته بالحرب لا معنى آذنته فقط والأمر سهل **(وقوله استعاذني روي بالباء)** أي: استعاذ مستعيذاً بحولي وقوتي في الحفظ من كل مؤذ كما يؤذن به حذف المعمول **(وروي بالنون)** **(فائدة)** قال السخاوي: روينا في الزهد للبيهقي من طريق عثمان الحيري أنه سأل عن معنى هذا الخبر فقال: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي ا هـ.

٣٨٧ ـ **(وعنه عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الله العبد)** بأن أراد له الخير والهداية والإنعام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع (١١/٢٩٢ و٢٩٧).

نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانَاً فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنادي في أَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانَاً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في الأَرْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا

عليه والرحمة (**نادى جبريل**) الظاهر أنه نداء بالكلام النفسي المنزه عن الصوت وغيره من سمات الحدوث، ومذهب الشيخ أبي الحسن أن لا يشترط الصوت في المسموع خلافاً للماتريدي، وجبريل: اسم عبراني للملك المعظم ومعناه بالعربية كما تقدم عبد الرحمن وهو أمين الوحي، قيل: إنه أفضل الملائكة (**إن الله يحب فلاناً**) يحتمل أن يكون بفتح الهمزة مفعول نادى، ويحتمل كسرها بإضمار قول، ويؤيد هذا ما يجيء في الرواية الآتية: «فدعا جبريل فقال إني أحب فلاناً» وعبر بالمضارع إيماء إلى دوام ذلك الفضل لذلك المحبوب واستمراره، وفي الحديث: «إن الله كريم يستحي أن ينزع السر من أهله» وفي الحديث عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بموت أهله» (**فأحببته**) بفك الإدغام كما هي لغة الحجار، ويجوز إن لم يصد عنه رواية الإدغام وهي لغة تميم (**فيحبه جبريل**) قال المصنف: محبته محتملة أن يراد استغفاره وثناؤه عليه ودعاؤه له، وأن يراد بها ظاهرها المعروف من الخلق وهو ميل القلب إلى المحبوب وشوقه إلى لقائه، وسبب حبه إياه كونه مطيعاً لمولاه محبوباً له (**فينادي**) بالبناء للفاعل، أي: جبريل، ويشهد له قوله في الرواية الثانية: «ثم ينادي في السماء فيقول» ويجوز أن يكون مبنياً للمفعول، وقوله إن الله يحب نائب فاعله وبقرينة ما قرينة للمفعول[1] أي يوضع (**في أهل السماء**) أي: في الملائكة الساكنين بها (**إن الله يحب فلاناً**) نداؤه بذلك تنويه به وتشريف له في الملأ الأعلى وليحصل من المنزلة المنيفة على الحظ العظيم، وهذا نحو قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» (**فأحبوه**) الفاء فيه للتفريع (**فيحبه أهل السماء**) الفاء عاطفة على جملة ينادي، والوجهان السابقان في محبة جبريل يجريان هنا من غير فرق (**ثم يوضع له القبول في الأرض**) المراد بالقبول الحب في قلوب أهل الدين والخير له والرضا به، واستطابة ذكره في حال غيبته كما أجرى الله عادته بذلك في حق الصالحين من سلف هذه الأمة ومشاهير الأئمة (**متفق عليه، وفي رواية لمسلم**) أورد مسلم الروايتين المذكورتين أواخر كتاب البر والصلة، ووقع للحافظ المزي أنه ذكر أن مسلماً خرج الحديث

---

(١) وبقرينة الخ. كذا بالأصول ولعله وبقربه بناء ما بعده للمفعول. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانَاً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهِ أَبْغَضَ فُلاناً فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضاءُ فِي الأَرْضِ»[1].

في الأدب من صحيحه فاعترضه الحافظ في النكت الظراف بما لفظه: «كتاب الأدب فيما عندنا من صحيح مسلم بعد كتاب اللباس وبعد كتاب الأدب كتاب الطب وبعده كتاب الرؤيا وبعده كتاب القضاء وهو كبير وبعده كتاب البر والصلة وحديث: إذا أحب الله عبداً، بجميع طرقه في أثناء كتاب البر والصلة» اهـ. **(قال رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبداً)** يحتمل كون التنوين فيه للتعظيم، وعظمته بإضافته إلى مولاه وتأهيله لخدمته والقيام بعبوديته **(دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي)** أي: جبريل **(في)** أهل **(السماء)** ويحتمل ألا يكون مضاف مقدر ويكون بياناً لمحله حال ندائه، لكن يشهد للأول قوله: «فيحبه أهل السماء»، وقوله في قرينه: «ثم ينادي في أهل السماء» **(فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه)** فيحبه أهل السماء **(ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً)** التنوين فيه للتحقير، والمراد من البغض المسند إليه تعالى غايته من إرادة الخذلان والإعراض والإبعاد **(دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل)** الإبغاض بالنسبة إليه وإلى الملائكة محتمل للحقيقة، أي: الكراهية القلبية والنفرة النفسية وللمعنى المجازي، أي: دعاؤهم عليه بالطرد وأنواع المقت **(ثم ينادي في أهل السماء فيقول: إن الله أبغض فلاناً فأبغضوه)** الفعل في جميع ما ذكر من الإبغاض من باب الإفعال من البغض، قال في المصباح: بغض الشيء بالضم بغاضة فهو بغيض وأبغضته إبغاضاً فهو مبغض والاسم البغض، قالوا: ولا يقال بغضته بغير ألف اهـ. **(فتوضع له البغضاء)** بالمد، هي شدة البغض **(في الأرض)** وحديث الباب رواه النسائي وأيضاً كما ذكره الحافظ المزي، ولم يرو فيه للبخاري مع أنه الأول عنده في أبواب الملائكة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٦/ ٢٢٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، (الحديث: ١٥٧).

٣٨٨ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ فَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، .....

---

٣٨٨ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً)** قيل: هو كلثوم بن الهدم ــ بكسر الهاء وسكون الدال المهملة ــ ونظر فيه بأنه مات في أول قدوم النبي ﷺ المدينة فيما ذكره الطبري وأصحاب المغازي قبل أن يبعث السرايا، وهذا قالت فيه عائشة أنه بعث **(على سرية)** بفتح أوليه وتشديد التحتية، وهي القطعة من الجيش، فعيلة بمعنى فاعلة؛ لأنها تسري في خفية، وجمعها سرايا وسريات كعطية وعطايا وعطيات، كذا في المصباح، وفي المواهب اللدنية: قال في الفتح السرية هي التي تخرج بالليل، والنهارية التي تخرج بالنهار، قال: وقيل سميت سرية لأنه يخفى ذهابها، وهذا يقتضي أنها أخذت من السر، ولا يصح ذلك لاختلاف المادة، وهي قطعة من الجيش تخرج ثم تعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، يقال له منسر ــ بالنون والمهملة ــ فإن زاد على الثمانمائة سمي جيشاً، فإن زاد على الأربعة آلاف سمي جحفلاً، والخميس الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمى بعثاً ا هـ. قال الحافظ في الفتح: ثم رأيت بعض من تكلم على العمدة فسر المبهم في الحديث بأنه كلثوم بن زهدم وعزاه لابن منده، لكن رأيت بخط رشيد بن العطار نقلاً عن صفة التصوف لابن طاهر عن ابن منده فسماه كرز بن هدم، والله أعلم. **(فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم)** لكونه إمامهم **(فيختم بقل هو الله أحد)** يدل على أنه يقرأ بغيرها، ففيه دليل جواز الجمع بين سورتين غير الفاتحة في ركعة واحدة **(فلما رجعوا)** أي: عادوا من السرية **(ذكروا ذلك)** أي: ما ذكر من ختمه بسورة الإخلاص **(لرسول الله ﷺ فقال: سلوه)** أصله اسألوه؛ فنقلت حركة الهمزة إلى السين المهملة فحذفت همزة الوصل لذهاب المعنى الذي جيء بها لأجله **(لأي شيء يصنع ذلك)** أي: ليرتب جزاءه على حسب نيته وقصده، ففيه إيماء إلى أن الأعمال بمقاصدها **(فقال: لأنها صفة الرحمن)** فقد اشتملت على ما يجب له سبحانه من التوحيد وما يجوز في حقه من توجيه الخلق حوائجهم إليه وقصدهم إياه في سائر أمورهم، وما يستحيل في حقه من كونه مولداً من شيء أو يتولد منه شيء تعالى عما لا يليق به مما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وقال الدماميني: يحتمل أن يراد بقوله: «إنها صفة الرحمن» أن فيها ذكر صفته كما إذا ذكر وصف، فعبر عن ذلك الذكر بأنه الوصف وإن لم يكن ذلك الذكر نفس الوصف، ويحتمل أن يراد به غير ذلك إلا أنه لا يختص ذلك «بقل

Made searchable using ScribeTools.com

فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٨ ــ باب: في التحذير من إيذاء الصالحين والضَعَفة المساكين

هو الله أحد»؛ ولعلها خصت به لاختصاصها بصفاته تعالى دون غيرها (**فأنا أحب**) تقديم المبتدأ للتأكيد لتكرار الإسناد وللاهتمام (**أن أقرأ بها**) أي: محبته للدال على صفته تعالى (**فقال: رسول الله ﷺ**) لمن أخبره عنه بمراده، أو لغيره من بعض الحاضرين (**أخبره**) على وجه البشارة (**أن الله يحبه**) قال الدماميني: يحتمل أن يريد لمحبته قراءة هذه السورة، ويحتمل أن يكون لما يشهد به كلامه في محبته لذكر الرب واعتقاده ا هـ. وقد دل تبشيره بذلك على الرضا بفعله، وعبر عنه بصيغة المضارع إيذاناً بدوام هذا الشأن واستمراره، قال ناصر الدين ابن المنير: وفي الحديث أن المقاصد بغير أحكام الفعل؛ لأن الرجل لو قال إن الحامل له على إعادتها أمر غير ما ذكره لأجابه بما يناسبه، فلما ذكر أن الداعي لذلك محبتها وظهرت صحة قصده لذلك صوبه، وقال: فيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجراناً للبعض (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في التوحيد، ومسلم في الصلاة، ورواه النسائي في كتاب الصلاة أيضاً وفي اليوم والليلة، قاله الحافظ المزي.

باب التحذير من إيذاء الصالحين

يحتمل أن يراد به المعنى الأعم، أي: المسلمين، كما حمل عليه الولد الصالح في قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...» الحديث، ويشهد لهذه الآية الأولى، ويحتمل أن يراد به المعنى الخاص وهو القائم بما عليه من حق الله سبحانه أو لأحد من عباده (**والضعفة**) جمع ضعيف (**والمساكين**) المراد منه ما يشمل الفقراء، والمراد: التحذير من إيذاء من لا ناصر له إلا الحق سبحانه من صالح ومسكين وضعيف لا يؤبه به ولا يقام للتعرض، وظاهر أن الكلام في الإيذاء بغير حق كما في الآية فلا يرد نحو حد لأنه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ... (١٣/٣٠١).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قل هو الله أحد (الحديث: ٢٦٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالى[١]: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَكَثِيرَةٌ. مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَ هَذا «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، وَمِنْهَا حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابِقِ فِي بَابِ مُلَاطَفَةِ الْيَتِيمِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

٣٨٩ ــ وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....

مأمور به. **(قال تعالى: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا)** بغير جناية استحقوا بها **(فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)** ظاهراً، قيل: إنها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه، وقيل: في أهل الإفك، وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات **(وقال تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر)** تقدم الكلام عليها في باب ملاطفة اليتيم والمسكين **(وأما الأحاديث)** المرفوعة في ذلك **(فكثيرة منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الباب الذي قبل هذا)** وقوله: **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)** بيان لحديث، فيكون المراد من حديث بعضه أو بدل بعض من كل **(ومنها حديث سعد بن أبي وقاص)** بتشديد القاف وبالصاد المهملة آخره، واسمه مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة **(رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم. ومنها قوله ﷺ: يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم)** أي: بلال وسلمان وصهيب **(فقد أغضبت ربك)** ولا يخفى ما في هذه الجملة المؤكدة بالقسم من مزيد الاهتمام بشأن أولئك، ومثلهم سائر المؤمنين لحرمة الإيمان وشرفه.

٣٨٩ ــ (وعن جندب) بضم الجيم وفتح الدال المهملة وسكون النون بينهما آخره موحدة **(ابن عبد الله)** بن سفيان البجلي العلقي ــ بفتح المهملة وباللام وبالقاف ــ نسبة إلى علقة بن عبقر بن إنمار، سكن جندب **(رضي الله عنه)** الكوفة ثم تحول عنها إلى البصرة، وقد تقدمت ترجمته في باب تحريم الظلم، روي له عن رسول الله ﷺ ثلاثة وأربعون حديثاً، اتفقا على سبعة منها وانفرد مسلم بخمسة منها، وروى عنه الحسن وأبو عمران الجوني،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨. (٢) سورة الضحى، الآيتان: ٩، ١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

مات بعد الستين رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاة الصبح)** أي: جماعة كما في رواية أخرى لمسلم، قال العلقمي: فهي مقيدة لبقية الروايات المطلقة **(فهو في ذمة الله)** بكسر الذال المعجمة وتشديد الميم، قيل: ضمانه، وقيل: أمانه، وكأنها إنما خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت انتشار الناس في حوائجهم المحتاجين فيه، وفي دوامه إلى أمن بعضهم من بعض لا لأفضليتها؛ لأن الأصح أن العصر هي الوسطى فهي أفضل منها **(فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء)** أي: لا تتعرضوا له بغير حق، فذلك سبب طلبه سبحانه ما وقع منكم من نقض عهده وخيانة أمانه، فهو من باب وضع المسبب موضع السبب **(فإنه)** تعليل للنهي **(من يطلبه)** أي: الله تعالى **(من ذمته)** أي: من أجل خيانته لأمانته، ويصح أن يكون من للتبعيض، وظاهر جريان هذين الوجهين في من المذكورة أولاً **(بشيء يدركه)** إذ لا مهرب ولا مفر منه تعالى **(ثم)** بعد إدراكه **(يكبه)** بضم الكاف، يقال: كبه فأكب، وهو من غرائب اللغة إذ المعروف أن الهمزة يتعدى بها اللازم وهنا صار بها المتعدي قاصراً، أي: يلقيه **(على وجهه في نار جهنم)** فيه غاية التحذير عن التعرض لمن صلى الصبح المسلتزم ذلك لصلاة بقية الخمس، وأن في التعرض له بسوء غاية الإهانة والعذاب **(رواه مسلم)** ورواه الترمذي إلا أنه قال: «فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته» وليس فيه قوله فإنه.. الخ، كذا يستفاد من الجامع الصغير، والعجب أنه لم يورد فيه حديث مسلم واقتصر على حديث الترمذي المذكور، وفي الجامع الكبير: «من صلى الغداة فهو في ذمة الله فإياكم أن يطلبنكم الله بشيء من ذمته» رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس مرفوعاً، وفيه: «من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله تعالى فلا تخفروا الله في ذمته فإنه من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه» رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعاً(٢) اهـ. والحديث هذا قد تقدم مع شرحه في باب تعظيم حرمات المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، (الحديث: ٢٦١).

(٢) في نسخة «موقوفاً» بدل مرفوعاً. ع.

٤٩ ــ باب: في إجراء أحكام الناس على الظاهر، وسرائرهم إلى الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

٣٩٠ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، . . . . . .

باب إجراء أحكام الناس على ظواهرهم وسرائرهم

بالرفع مبتدأ خبره مقدر تقديره: موكولة أو مفوضة **(إلى الله تعالى. قال الله تعالى: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)** فدعوهم لا تتعرضوا لهم بشيء من القتل والحصر، وإطلاق الآية شامل لمن كان كذلك حقيقة أو ظاهراً لا باطناً، قال السيوطي في الإكليل: لم يكتف في تخلية السبيل بالتوبة من الشرك حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، واستدل به الشافعي على قتل تارك الصلاة وقتال مانع الزكاة، واستدل به من قال بتكفيرهما.

٣٩٠ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أمرت) بالبناء لغير الفاعل، حذف فاعله تفخيماً له وتعظيماً، والمفهوم منه أن الله تعالى هو الذي أمر كما يفهم من قول الصحابي: أمرنا، أن الآمر له هو النبي ﷺ، وإنما عدل إليه تعويلاً على شهادة العقل أنه تعالى هو الآمر لا يحتاج إلى تصريح باسمه ولا يذهب الوهم إلى غيره، إذ لا أحد يأمره سوى الله تعالى، أي: أمرني الله **(أن أقاتل الناس)** أي: بأن أقاتلهم؛ لأن الأمر يتعدى إلى ثاني مفعوليه بحرف الجر وحذفه كثير شائع، قالوا: والمراد بالناس هنا عبدة الأوثان لا أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية، قال الدلجي في شرح الأربعين: ويحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الأمر المتناول لقتالهم أيضاً **(حتى يشهدوا أن)** أي: أنه **(لا إله)** أي: لا مستغنى بذاته عما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه موجود **(إلا الله و)** يشهدوا **(أن محمد رسول الله)** وفي رواية: «حتى يقولوا لا إله إلا الله» اكتفاء بها عن أختها مع إرادتها كما في ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[٢] أي: والبرد، أي: حتى يؤمنوا بأنه تعالى واحد لا شريك له وأن محمداً رسول الله **(ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)** بشروطهما وأركانهما على وفق الأمر

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

Made searchable using ScribeTools.com

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

الإلهي، وعطفهما على ما قبلهما تنزيلاً لهما منزلته في كون فعلهما غاية للقتال وللأمر به إيذاناً بأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية، ومن ثم قدمهما على مقرهما لدخولهما تحت نطاق حق الإسلام بشهادة إحدى روايتي أبي هريرة؛ فإنه لم يذكرهما فيها لأنهما من حقه ولم يخصهما في روايته الأخرى بل قال: «ويؤمنوا بما جئت به» ولم يذكر الصوم والحج إما لكونهما لم يفرضا حينئذ وإما لكونهما لا قتال على تركهما، إذ تارك الصوم يحبس ويمنع المفطر والحج على التراخي، وحتى هنا جارة لأن ما قبلها غير ما بعدها وهو غاية للقتال ومتضمن لمعنى الشرط، فالكف عن قتالهم مشروط بذلك منتف بانتفائه كأنه قيل: إن شهدوا وصلوا وآتوا الزكاة كففت عنهم بشهادة الآية السابقة. **(فإذا فعلوا ذلك)** غلب فيه الفعل على القول، إذ الشهادة قول إلا أن يقال هي عمل اللسان فهو فعل، أي: فإن أتوا بذلك **(عصموا)** أي: منعوا وحقنوا **(مني دماءهم)** جمع دم وأصله دمو **(وأموالهم إلا بحق الإسلام)** استثناء مفرغ من عام، والعصمة متضمنة لنفيه ليصح تفريغ الاستثناء إذ هو شرطه، أي: لا تهدر دماؤهم ولا تستباح أموالهم بسبب من الأسباب إلا بحقه كفعل الواجبات وترك المنهيات فإنها واجبة بحقه، وقد التزمها المسلمون بإسلامهم، فإن فعلوا واجتنبوا بنية صالحة فمؤمنون، أو تقية وخوفاً حقنوا ذلك وعصموه **(وحسابهم على الله)** أي: إليه **(تعالى)** ما يخفون وما يسترون من عقائدهم لا ما يظهرون بل يعاملون بما يقتضيه، وحاصله تفويض أمر بواطنهم إليه سبحانه؛ لأنه الذي يتولى خبايا أسرارهم وخفايا ضمائرهم من إيمان وكفر ونفاق، وأما الرسول الله ﷺ فإنما أمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم، ولفظ على وإن كانت مشعرة بالإيجاب فهو على سبيل التشبيه البليغ، أي: هو كالواجب عليه تعالى بمقتضى إخباره بوقوعه حذراً من الخلف في أخباره تعالى شرعاً بمقتضى وعده فلا يخلف الميعاد، خلافاً لقول المعتزلة بوجوبه عليه عقلاً **(متفق عليه)** ورواه الأربعة عن أبي هريرة وهو متواتر، كذا في الجامع الصغير للسيوطي، وفي قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي: أخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة ومسلم عن جابر بن عبد الله وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي بكر الصديق وعمر وابن أويس وجرير البجلي والطبراني عن أنس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة﴾ (١/ ٧٠، ٧٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى... (الحديث: ٣٦).

٣٩١ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسابُهُ عَلى اللَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣٩٢ ــ وَعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ الْمِقْدادِ بنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ

وسمرة بن جندب وسهل بن سعد وابن عباس وأبي بكر وأبي مالك الأشجعي والبزار عن عياض الأنصاري والنعمان بن بشير ا هـ.

٣٩١ ــ (وعن أبي عبد الله طارق) بالمهملة والراء والقاف **(ابن أشيم)** بالشين المعجمة والتحتية بوزن، أحمد ابن مسعود الأشجعي الكوفي والد سعد بن طارق وأبي مالك **(رضي الله عنه)** روى عن النبي ﷺ فيما قاله البرقي أربعة أحاديث، روى عنه مسلم حديثاً واحداً، قال العامري في الرياض المستطابة: يقال لم يرو عن النبي ﷺ غيره، وروى عنه الأربعة خلا أبي داود، لكن قال المصنف في التهذيب: روى عنه مسلم في صحيحه حديثين، ثم رأيت الحافظ المزي ذكر في أطرافه كما قال المصنف فخرج من أحاديث مسلم عنه حديث الباب وقال: أخرجه مسلم في الإيمان، وحديث: «كان النبي ﷺ يعلم من أسلم يقول قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني» وقال: أخرجه مسلم وابن ماجه في الدعوات **(قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال لا إله إلا الله)** أي: مع قرينتها وهي محمد رسول الله، ففيه اكتفاء تقدمت الإشارة إليه في شرح الحديث قبله **(وكفر بما يعبد من دون الله)** أي معبود كان **(حرم ماله وروحه)** بضم راء الفعل ورفع الاسمين بعده، وقوله: **(وحسابه على الله)** جملة مستأنفة مسوقة لبيان تعلق أحكام الشريعة بالظاهر دون ما يخفيه ويسره ذو العقيدة الفاسدة أو يخفيه ذو الأعمال القبيحة، فيفوض أمر ذلك إلى المولى سبحانه **(رواه مسلم)** منفرداً به عن باقي الكتب الستة.

٣٩٢ ــ (وعن أبي معبد) بفتح الميم والموحدة وسكون العين المهملة بينهما آخره دال مهملة، وقيل: كنيته أبو الأسود، وقيل: أبو عمرو حكاها المصنف في تهذيبه **(المقداد بن الأسود رضي الله عنه)** هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن دهير ــ بفتح الدال المهملة وكسر الهاء ــ ابن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد ــ بفتح الشين المعجمة ــ ابن هون، وقيل: ابن أبي هون بن فاس، ويقال: بن قاس، ويقال: قائس بن درنم بن القين بن أهرد بن بهز بن عمرو بن الحاف بن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى... (الحديث: ٣٧).

Made searchable using ScribeTools.com

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ

قضاعة البهراني الكندي الصحابي، فهو المقداد بن عمرو حقيقة، وإنما قال المصنف كغيره المقداد بن الأسود لأنه كان في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه إليه، ويقال: المقداد الكندي، لأنه أصاب دماء في بهز فهرب منهم إلى كندة فحالفهم ثم أصاب فيهم دماً ثم هرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث، فهو نهراني، ويقال: كندي، ويقال: زهري، قديم في الإسلام والصحبة من السابقين إلى الإسلام، قال ابن مسعود: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة منهم المقداد، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد لمكة ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ سائر المشاهد ولم يثبت أنه شهد بدراً فارس مع رسول الله ﷺ غيره، وكذا الزبير في قول، روي له عن رسول الله ﷺ اثنان وأربعون حديثاً، اتفقا على واحد منها وانفرد مسلم بثلاثة منها، روى عنه من الصحابة علي وابن مسعود وابن عباس وآخرون وجمع كثير من التابعين، توفي بالجرف على عشرة أميال من المدينة وحمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وقيل: توفي بها في خلافة عثمان سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان وأوصى إلى الزبير، وشهد فتح مصر، ومناقبه كثيرة، منها قوله ﷺ: «أمرني الله أن أحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمهم لنا، قال: علي منهم، يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر والمقداد وسلمان» قال الترمذي: حديث حسن **(قال: قلت لرسول الله ﷺ أرأيت)** بفتح التاء، أي: أخبرني **(إن لقيت)** بتاء المتكلم **(رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي)** بتشديد الياء ويدي مثنى الياء الأولى علامة الجر والثانية مضاف إليه **(بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة)** لاذ بالذال المعجمة، قال المصنف: أي اعتصم، وقال القرطبي: أي استتر، يقال: لاذ يلوذ لواذاً إذا استتر والملاذ ما يستتر به، وفي المصباح: لاذ يلوذ ومصدره اللواذ بكسر اللام، وقيل: بتثليثها، أي التجأ، وبين ما تجوز عنه بقوله: **(فقال أسلمت لله)** أي: دخلت في دين الإسلام وتدينت به، وفيه دليل على أن كل من صدر عنه ما يدل على الدخول في دين الإسلام من قول أو فعل حكم به لذلك الإسلام، وأنه ليس مقصوراً على النطق بكلمتي الشهادة، وقد حكم ﷺ بإسلام بني خزيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد بما يقولون صبأنا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ثلاث مرات رافعاً يديه إلى السماء ثم وداهم» ويحتمل أن يكون قوله هنا «فقال أسلمت لله» على أنه رواية بالمعنى، وأنه عبر به بعض الرواة عن قوله فقال: لا إله إلا الله كما جاء مفسراً كذلك في رواية أخرى ا هـ. ملخصاً قاله القرطبي **(أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها)** أي: وأحمل ذلك منه على

قَالَهَا؟ فَقَالَ: «لاَ تَقْتُلْهُ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَمَا قَطَعَهَا؟ فَقَالَ: «لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى «إِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ»: أَيْ مَعْصُومُ الدَّمِ مَحْكُومٌ بِإِسْلاَمِهِ، وَمَعْنَى «إِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ»: أَيْ مُبَاحُ الدَّمِ بِالْقِصَاصِ لِوَرَثَتِهِ، لاَ أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكُفْرِ، واللَّه أَعْلَمُ(١).

الخشية لا على الحقيقة **(فقال: لا تقتله)** لجريان الأحكام الشرعية على مقتضى الظاهر **(فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي ثم قال ذلك)** متعوذاً به من القتل **(بعد ما قطعها فقال: لا تقتله)** ثم قال مبيناً حكمه أن قتل القائل الكلمة المذكورة **(فإن قتلته)** أي: بعد نطقه بذلك **(فإنه)** بعد الإتيان بكلمة الشهادة **(بمنزلتك)** من عصمة الدم والحكم بإسلامه **(قبل أن تقتله وإنك بمنزلته)** في إهدار الدم **(قبل أن يقول كلمته التي قال)** بحذف العائد، أي: قالها، أي: فتصير غير معصوم الدم ولا يحرم القتل بعد قتلك له، قال ابن القصار: يعني لولا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك وما فسرت به الحديث تبعاً للمصنف كما يأتي هو ما قاله الإمام الشافعي وابن القصار المالكي وغيرهما، وقال المصنف: إنه أحسن ما قيل فيه وأظهره، وقيل: إنه بمنزلته في إخفاء الإيمان، أي: إنه ممن كان يخفي إيمانه بين الكفار وأخرج مكرهاً كما كنت أنت بمكة إذ كنت تخفي إيمانك، قال القرطبي: ويعضد هذا التأويل بما زاده البخاري في هذا الحديث من أنه عليه السلام قال للمقداد: إذا كان مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه تقتله، كذلك كنت تخفي إيمانك بمكة ا هـ. قال القاضي: وقيل معناه إنك مثله في مخالفة الحق وارتكاب الإثم وإن اختلفت أنواع المخالفة والإثم، فيسمى إثمه كفراً وإثمك معصية وفسقاً، قال القرطبي: قوله «وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال» ظاهر في الكفر وليس ذلك بصحيح؛ لأنه إنما قتله متأولاً بقاءه على كفره ولا يكون كبيرة، وإذا لم يكن كبيرة لم يصح لأحد وإن كان ممن يكفر بالكبائر أن يقول هذا كفر بوجه، فدل ذلك على أنه متأول. **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في المغازي، ومسلم في الإيمان، ورواه أبو داود في الجهاد، والنسائي في السير **(ومعنى أنه بمنزلتك أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه ومعنى أنك بمنزلته أي مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلته في الكفر)** والله أعلم. أي: لما تقدم عن القرطبي من تأويله وعدم قصده المعصية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً وفي فاتحة كتاب الديات (١٢/١٦٦، ١٦٧).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن... (الحديث: ١٥٥).

Made searchable using ScribeTools.com

٣٩٣ ــ وَعَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذاً، فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَـهَ

---

٣٩٣ ــ **(وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما)** سبقت ترجمته أوائل الكتاب **(قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة)** بضم المهملة وتخفيف الراء وبالقاف، موضع معروف **(من)** بلد **(جهينة)** كذا قال ابن رسلان، ولا ينافي ما يأتي للمصنف أنه اسم للقبيلة، فلعلها سميت باسم مكانها ــ بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية بعدها نون ــ قبيلة من قضاعة نزلوا الكوفة والبصرة، كذا في لب اللباب للأصفهاني **(فصبحنا القوم)** أي: أتيناهم صباحاً، قال في الصحاح: ويقال صبحته إذا أتيته صباحاً، ولا يراد بالتشديد هنا التكثير ا هـ. **(على مياههم)** بكسر الميم وتخفيف التحتية، جمع ماء **(ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم)** الواو عاطفة على محذوف يدل عليه رواية أبي داود عن أسامة قال: «فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلاً منهم» **(فلما غشيناه)** بكسر الشين المعجمة، أي: قربنا منه **(قال: لا إله إلا الله فكف)** بتشديد التاء، أي: أمسك **(عنه الأنصاري)** لإتيانه بكلمة التوحيد **(وطعنته برمحي حتى قتلته)** عند أبي داود «وضربناه حتى قتلناه» قال شارحه ابن رسلان: رواه مسلم «فطعنته» فيجمع بينهما بأن طعنه ثم طعنه غيره حتى قتلوه، وفيه دليل على أنه لا يقتصر في القتال على ضربة واحدة ثم ينتقل إلى غيره، بل يكرر الضرب هو وغيره على العدو حتى يقتلوه **(فلما قدمنا)** بكسر الدال، أي: **(المدينة بلغ ذلك رسول الله ﷺ)** في الرواية الآتية لمسلم: «فجاء البشير إلى النبي ﷺ فأخبره خبر الرجل فدعاه» يعني أسامة صرح في رواية أبي داود بأنه الذي ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال المصنف: يحتمل الجمع بأن أسامة وقع في نفسه من ذلك شيء بعد قتله ونوى أن يسأل عنه فجاء البشير فأخبر به قبل مقدم أسامة، وبلغ النبي أيضاً بعد قدومهم فسأل أسامة فذكره، وليس في قوله فذكرته ما يدل على أنه قاله ابتداء قبل تقدم علم النبي ﷺ ا هـ. **(فقال لي)** منكراً ما فعلته وموبخاً عليه **(يا أسامة أقتلته بعد ما قال)** أي: بعد قوله **(لا إله إلا الله)** أي: وهي العاصمة لدم قائلها **(قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً)** منصوب على الحالية، أي: وإنما عاذ وأراد حقن دمه بالتلفظ بها لا الإسلام حقيقة، ولعل أسامة قام عنده ما علم به ذلك حتى أقدم على قتله فكان متأولاً باستصحاب كفره وعدم النفع بما أتاه؛ لأنه لم يكن عن حقيقة ولم يتمكن من السؤال عن حكم ذلك فوقع في ذلك وهو

إِلَّا اللَّهُ؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ. «الْحُرَقَةُ» بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ: بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ الْقَبِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ. . . . . .

غير آثم باعتبار أن ذلك هو الحكم بالنسبة إليه، ولكن لما وردت الشريعة بإجراء الأحكام على الظواهر لم يكن ذلك التأويل مؤثراً في جواز قتله في نفس الأمر له فقرر النبي ﷺ المنع من ذلك بأبلغ وجه، وأكده ليزيل ما في نفسه من تلك الشبهة وليبين وجوب الانكفاف عمن كان كذلك، فكان تأويله مانعاً من القود لأنه قتله بظن كفره كما يدل عليه قوله: «إنما قالها خوفاً من السيف» بخلاف الكفارة، وسكوته ﷺ من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة، وفي وجوب الدية قولان للعلماء **(فما زال يكررها)** أي: هذه الجملة **(عليّ)** منكراً وموبخاً **(حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك)** معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدأته الآن ليمحوا عني ما تقدم، وقال هذا الكلام من عظم ما وقع فيه، قاله المصنف، قال ابن رسلان: وكأنه استصغر ما كان منه **قبل** من الإسلام والعمل الصالح في جنب ما ارتكبه من هذه الجناية لما حصل في نفسه من شدة إنكار النبي ﷺ وتعظيمه لذلك، وفي حاشية الكشاف: تمنى إسلاماً خالياً عن الإثم لا عدم الإسلام، فلا إشكال ا هـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري في المغازي وفي الديات، ومسلم في الإيمان، ورواه أبو داود في الجهاد، والبزار، كذا من الأطراف للمزي ملخصاً. **(وفي رواية)** هي عند مسلم **(فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته)** مدخول همزة الإنكار قولُه وقتلته، أي: أقتلته مع قوله ذلك **(قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح)** أي: لا إيماناً حقيقياً **(قال: أفلا شققت)** أي: اعتقدت ذلك وجزمت به فلا شققت **(عن قلبه)** لتعلم أنه كذلك، أو لا تعي أن الإيمان الحقيقي خفي محله القلب لا يطلع عليه إلا الرب والأحكام إنما تناط بالظواهر، فإذا كنت غير مكلف بها فهلا شققت عن قلبه واطلعت على ما فيه من صدق أو نفاق **(حتى تعلم أقالها)** أي: قلبه وتكلم بها في نفسه، وفاعل قال ضمير يعود على القلب **(أم لا)** وفيه دليل لأهل الحق على ثبوت الكلام النفسي خلافاً للمعتزلة، وفيه دليل على جريان الاحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة الخفية **(فما زال يكررها حتى تمنيت أني ما أسلمت يومئذ)** وهذه الجملة رواها أبو داود أيضاً **(الحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء)** الخفيفة وبالقاف كذلك **(بطن من جهينة القبيلة المعروفة)** قال ابن عبد البر في كتاب الانباء في أصول الأنساب: في بطون قضاعة ما لفظه:

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَوْله «مُتَعَوِّذاً»: أَيْ مُعْتَصِماً بِهَا مِنَ الْقَتْلِ لاَ مُعْتَقِداً لَهَا(١).

٣٩٤ ــ وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمُ الْتَقَوا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأَنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ

«وجهينة ابن زيد بن أسود بن أسلم بن عمر بن الحاف بن قضاعة رهط عقبة بن عامر الجهني، والحرقة في جهينة هم بنو حميس بن عامر بن مودعة بن جهينة ا هـ» **(فائدة)** للنسب مراتب، القبيلة فالشعب فالفخذ فالفصيلة فالبطن فالعشيرة **(وقوله متعوذاً)** بصيغة الفاعل **(أي: معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها)** فتوهم أسامة أن الرافع للقتل المانع منه الإيمان الحقيقي ولم يتحققه فيه، والحال أن المانع منه الإسلام ولو ظاهراً.

٣٩٤ ــ (وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً) بفتح الموحدة وسكون المهملة وبالمثلثة، أي: جيشاً، تسمية بالمصدر والجمع بعوث وبعاث، كذا في المصباح، وفي المواهب: البعث طائفة من الجيش تبعث لأمر **(من المسلمين)** في محل الصفة **(إلى قوم من المشركين)** هم الحرقة كما في الحديث السابق، ويحتمل أن يكونوا أهل الميفعة، وهي بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الفاء بعدها عين مهملة، قال في القاموس: بلدان بساحل اليمن، وكان الأمير على السرية إليهم عبد الله بن غالب الليثي، ذكر القسطلاني في المواهب لما ذكرها ما لفظه: «قالوا وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيل بن مرداس بعد أن قال لا إله إلا الله فقال ﷺ ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب» وفي الإكليل أنه فعل ذلك في سرية كان أميراً عليها سنة ثمان وهي الحرقة ا هـ. واستفيد منه تسمية المقتول في تاريخ عام خروجه للحرقة **(وأنهم)** أي: البعض **(التقوا)** لما تقدم من شراد الكفار لما أنذروا بالمسلمين **(وكان رجل من المشركين إذا شاء)** أي: أراد **(أن يقصد)** بكسر الصاد المهملة **(إلى رجل من المسلمين قصد له)** عداه أولاً بإلى، وثانياً باللام، وذلك من وجوه استعمالاته، وثالثها تعديه بنفسه كما فيما بعده، قال في المصباح: قصدت الشيء وله وإليه قصداً من باب صرف طلبته بعينه ا هـ. أي: أنه لمعرفته بالحرب كان إذا طلب إنساناً بعينه قصده ولا نهاية لجرأته **(فقتله وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة، وفي الديات باب: قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها﴾ (١٢/١٧١ و١٧٢).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر... (الحديث: ١٥٨ ــ ١٥٩).

غَفْلَتَهُ وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ؟ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟!» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» ؛ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَجَعَلَ لا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ

أي: طلبها **(وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد)** بن حارثة الحب بن الحب **(فلما رفع عليه السيف قال)** أي: قبل وصوله إليه **(لا آلـه إلا الله)** أي: مع قرينتها وهي محمد رسول الله؛ لأنه لا يتم الإيمان إلا بهما، فاقتصر على كلمة التوحيد اكتفاء بدلالتها عليها **(فقتله فجاء البشير)** أي: المبشر **(إلى رسول الله ﷺ فسأله)** أي: عما وقع في الجيش من الأمور ليبين حكم ما فعل منها مما لم يتقدم فيه منه بيان **(وأخبره)** متدرجاً من أمر إلى آخر **(حتى أخبره خبر الرجل)** أي: أسامة **(كيف صنع)** تقدم الجمع بينه وبين ما في الرواية الثانية من كونه أخبر بذلك النبي ﷺ **(فدعاه فسأله فقال: لم قتله)** أي: ما الباعث لك **(فقال يا رسول الله: أوجع)** أي: أوقع الوجع والنكاية **(في المسلمين)** وحذف الوجع به تفهيماً، ولتذهب النفس فيه كل ممكن، وبين بعضه بقوله: **(وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له نفراً)** بفتح النون والفاء، وتقدم أنه ما بين الثلاثة إلى التسعة من الرجال، وقيل: إلى السبعة، ولا يقال فيما زاد على العشرة نفر **(وإني حملت)** بفتح أوليه، أي: جهدت **(عليه)** قال في الصحاح: حمل عليه في الحرب حملة، قال أبو زيد: يقال حملت على بني فلان إذا أرشت بينهم وحمل على نفسه في السير إذا أجهدها فيه ا هـ. **(فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله قال رسول الله ﷺ: أقتلته)** أي: مع قوله لها **(قال: نعم قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة)** أي: من يشفع لك ومن يحاج عنك ويجادل إذا جيء بكلمة التوحيد وقيل له كيف قتلت من قالها وقد حصل له ذمة الإسلام وحرمته **(فقال: يا رسول الله استغفر لي)** أي: هذا الذي وقعت فيه **(قال)** محذراً من الوقوع في مثله وموبخاً منه المرة بعد المرة تأكيداً ودفعاً لما يقوم عنده شبهة استصحاب كفره المجوز لقتله بحمل لفظه بالشهادتين على الخوف لا على الحقيقة **(فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة فجعل)** أي: رسول الله ﷺ **(لا يزيد على أن يقول**

Made searchable using ScribeTools.com

تَصْنَعُ بِلَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣٩٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً أَمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءاً لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ.

كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) ولا يلتفت لقول أسامة استغفر لي؛ وذلك لاهتمامه بالأمر واعتنائه به **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان من صحيحه **(فائدة)** رأيت بخط محدث اليمن نفيس الدين العلوي ما لفظه، ذكر أبو الشيخ في عواليه أن الله سبحانه وتعالى أنزل توبة أسامة ا هـ.

٣٩٥ ــ (وعن عبد الله بن عتبة) بضم العين المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة ثم هاء **(ابن مسعود)** الهذلي فهو ابن أخي عبد الله بن مسعود من أبناء المهاجرين له رواية: سمع عمه وعمر وعنه ابناه الفقيه عبيد الله والزاهد عون وابن سيرين، قال ابن سيرين: قال ابن سعد ثقة رفيع كثير الفتيا والحديث، توفي بالكوفة سنة أربع وسبعين، كذا في الكاشف **(قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أن ناساً)** أصله أناس على الصحيح فحذف فاؤه تخفيفاً **(كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ)** أي: عصره وزمنه **(وإن الوحي قد انقطع)** بموت النبي ﷺ **(وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً)** إيماناً وعدالة **(أمناه)** بهمزة بغير مد وميم مكسورة ونون مشددة من الأمن، أي: صيرناه عندنا أميناً، وفي رواية: «ومن يظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه» **(وقربناه وليس لنا)** أي: لا تعلق لنا **(من سريرته)** أي: ما أسره وأخفاه **(شيء)** اسم ليس وأحد الظرفين السابقين خبرها وثانيهما حال من اسمها لتقدمه عليه، وهو نكرة **(الله يحاسبه)** جملة مستأنفة، وهو هكذا فيما وقفت عليه بإثبات ضمير المفعول، وفي الفتح للحافظ بحذفه وقال: كذا لأبي ذر عن الحموي بحذفه، وللباقين: «الله محاسبه» بميم أوله وهاء آخره، وهو يقتضي أن إثبات الضمير مع الفعل ليس عند البخاري، لكن رأيته كذلك في أصل مصحح معتبر، فلعله رواية لم يطلع عليها الحافظ **(ومن أظهر لنا سوءاً)** في رواية الكشميهني «شراً» **(لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة)** وفي رواية لأبي فراس: «ومن يظهر لنا شراً ظننا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر... (الحديث: ١٦٠).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

به شراً وأبغضناه عليه، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم»، قال المهلب: هذا إخبار من عمر عما كان الناس عليه في عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده، ويؤخذ منه أن العدل من لم توجد منه ريبة، وهو قول أحمد وإسحاق كذا قال، وإنما هو في حق المعروفين لا من لا يعرف حاله أصلاً **(رواه البخاري)** في أوائل الشهادات من صحيحه، قال الحافظ في النكت الظراف: أغفل هذا الحديث المزي وهو في جميع روايات البخاري ا هـ.

بعونه تعالى تم
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
وأوله باب: الخوف

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الشهوات، باب: الشهداء العدول (٥/ ١٨٥).

Made searchable using ScribeTools.com

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

العالم العلامة المفسر، محمد بن علان الصديق الشافعي
الأشعري المكي، المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ

طبعة جديدة مصححة
مرقمة ومخرجة الآيات والأحاديث
اعتنى بها

الشيخ خليل مأمون شيحا

الجزء الرابع

Made searchable using ScribeTools.com

٥٠ ــ باب: في الخوف

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

باب الخوف

أي من الله عز وجل. قال الشيخ زكريا في شرح الرسالة: هو فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته. وسببه تفكر العبد في المخلوقات كتفكره في تقصيره وإهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه، وتفكره فيما ذكره الله عز وجل في كتابه من إهلاك من خالفه وما أعد له في الآخرة، وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهبة والخيفة والخشية. **(قال الله تعالى: وإياي فارهبون)** أي: خافون خوفاً معه تحرز فيما تأتون وتذرون. قال البيضاوي: وهو آكد في إفادة التخصيص من ﴿إياك نعبد﴾[٤] لما فيه مع التقديم من تكرير المفعولية، والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل: إن كنتم راهبين شيئاً فارهبون. وفي الآية أن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً إلا الله سبحانه وتعالى، **(وقال تعالى: إن بطش ربك لشديد)** البطش، هو الأخذ بعنف وشدة بالمأخوذ بحسب إرادته تعالى: **(وقال تعالى: وكذلك)** أي: ومثل ذلك الأخذ للأمم الماضين **(أخذ ربك إذا أخذ القرى)** أي: أهلها. وقرىء إذ لأن المعنى على المضي **(وهي ظالمة)** حال من القرى، وهي في الحقيقة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة البروج، الآية: ١٢.
(٣) سورة هود، الآيات: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

Made searchable using ScribeTools.com

شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ، ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

لأهلها، لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها. وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم، وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة **(إن أخذه أليم شديد)** وجيع غير مرجو الخلاص عنه، وهو مبالغة في التهديد والتحذير **(إن في ذلك)** أي: ما أنزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم **(لآية)** لعبرة **(لمن خاف عذاب الآخرة)** يعتبر بها عظة لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد للمجرمين في الآخرة، أو ينزجر به عن موجبه لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم، لم يقل بالفاعل المختار، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها **(ذلك)** إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة. دل عليه **(يوم مجموع له الناس)** أي: يجمع له الناس: والتعبير له بالجمع للدلالة على ثبات معنى الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة **(وذلك يوم مشهود)** أي: مشهود فيه أهل السموات والأرض، واتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول، ولو جعل اليوم مشهوداً في نفسه، لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك **(وما نؤخره)** أي: اليوم **(إلا لأجل معدود)** إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على خلاف المضاف. وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها، فإنه غير معدود **(يوم يأت)** أي: الجزاء أو اليوم كقوله: ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾[1] على أن يوم بمعنى حين أو الله تعالى كقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾[2] ونحوه **(لا تكلم)** أي: لا تتكلم **(نفس)** بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة، وهو الناصب للظرف، ويحتمل أن نصبه بإضمار أذكر أو بالانتهاء المحذوف **(إلا بإذنه)** أي: بإذن الله، كقوله: ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾[3] وهذا في موقف وقوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[4] في موقف آخر، أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة، والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة **(فمنهم شقي)** وجبت له النار بمقتضى الوعيد، **(و)** منهم **(سعيد)** وجبت له الجنة بمقتضى الوعد، والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكروا؛ لأنه معلوم مدلول عليه بقوله: لا تكلم نفس أو الناس **(فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق)** الزفير:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٨.
(٤) سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

وَقَالَ تَعَالَى [١]: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٢]: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٣]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا .....

إخراج النفس، والشهيق: رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم، فالمراد تشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير. **(وقال تعالى: ويحذركم الله نفسه)** أي: يغضب عليكم من فعل ما حظر وملابسة ما منع. **(وقال تعالى: يوم)** بدل من إذا الظرفية المتضمنة معنى الشرط المذكور في آخر الآية قبله **(يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته)** أي: زوجته **(وبنيه)** بدأ بالأخ ثم بالأبوين؛ لأنهما أقرب ثم بالصاحبة والولد؛ لأنهما أقرب والأخ من الأبوين والأخ إيذاناً أنه لا يقف لأحد منهم **(لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)** أي: يشغله عن شأن غيره أي: اشتغل كل بنفسه. والجملة حال وهو دليل جواب إذا المحذوف، وقيل: يفر حذراً من تبعاتهم؛ فيقول الأخ: لم تواسني بمالك، والأبوان قصرت في برنا، والصاحبة أطعمتني الحرام، وفعلت، والولد لم تعلمني، ولم ترشدني. قال الكواشي: وهذا عام في كل كافر، في كل موطن من مواطن القيامة، وخاص بالمؤمن في بعض مواطنها. **(وقال تعالى: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة)** تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي، أو تحريك الأشياء فيها، فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير، وإضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به **(شيء عظيم)** هائل، علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم، ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى، فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى **(يوم ترونها تذهل كل موضعة عما أرضعت)** تصوير لهولها، والضمير للزلزلة، ويوم منتصب بتذهل. وقرىء معلوماً ومجهولاً. أي: تذهلها الزلزلة، والذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه وذهلت عنه، وما موصولة أو مصدرية **(وتضع كل ذات حمل حملها)** أي: جنينها، قال المصنف في آخر كتاب الإيمان

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة عبس، الآيات: ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧. (٣) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

Made searchable using ScribeTools.com

وَتَـرَى النَّـاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الآياتِ.

وَقَالَ تَعَالَى[2]: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

من شرح مسلم: وقد اختلف العلماء في وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور، فقيل: عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا، وقيل هو يوم القيامة، وليس فيها حمل ولا ولادة، وتقديره تنتهي به الأهوال والشدائد إلى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعت حملهن، كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب فيه الولد، يريدون شدته. اهـ. **(وترى الناس سكارى)** كأنهم سكارى **(وما هم بسكارى)** حقيقة **(ولكن عذاب الله شديد)** فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم. **(وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه)** موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله، من قام عليه: إذا راقبه، أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين، فأضافه إلى الرب تفخيماً وتهويلاً، أو ربه، ومقام مفخم للمبالغة **(جنتان)** جنة لعقيدته، وأخرى لعمله، أو جنة لفعل الطاغات، وأخرى لاجتناب المعاصي، أو جنة يثاب بها، وأخرى يتفضل بها عليه، أو روحانية وجسمانية **(الآيات)** إلى أواخر السورة. وفيه إن هذه الآيات من آيات الوعد المثيرة للرجاء لا من آيات الوعيد الباعثة للخوف. وكان المصنف عقب الآيات الأول بها إيماء إلى أنه ينبغي أن يكون للمؤمن خوف يمنعه من العصيان، ورجاء يبعثه على الطاعة وعمل البر، وقدم تلك على هذه؛ لأنها أدلة الباب وأساس بنيانه، وإيماء إلى أن الخوف من باب التخلية، والرجاء من باب التحلية بالمهملة، والأول مقدم، وختم بما هو من قبيل الأول لمناسبته بالباب، فقال: **(وقال تعالى: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)** أي: يسأل بعض أهل الجنة بعضاً عن أحواله وأعماله **(قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين)** خائفين من عصيان الله تعالى، معتنين بطاعته، أو وجلين من المعاقبة **(فمن الله علينا)** بالرحمة والتوفيق **(ووقانا عذاب السموم)** عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم **(إنا كنا من قبل)** أي: من قبل ذلك في الدنيا **(ندعوه)** نعبده، أو نسأله الوقاية **(إنه هو البر)** المحسن. وقرىء بفتح الهمزة أي: لأنه

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الطور، الآيات: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مَعْلُومَاتٌ، وَالْغَرَضُ الإِشَارَةُ إِلى بَعْضِهَا وَقَدْ حَصَلَ.

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا فَنَذْكُرُ مِنْهَا طَرفاً، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

٣٩٦ ــ عَنِ ابْنِ مِسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ. «أَنَّ أَحَدكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ . . . . . .

(**الرحيم**) الكثير الرحمة (**والآيات**) الواردة (**في الباب**) أي: في باب الخوف (**كثيرة جداً**) بكسر الجيم أي: قطعاً (**والغرض**) أي: المطلوب (**الإشارة إلى بعضها**) تبركاً وتشرفاً (**وقد حصل. وأما الأحاديث**) المرفوعة (**فكثيرة جداً، فنذكر منها طرفاً**) أي: جانباً. والظرف حال؛ لأنه كان وصفاً لطرف قدم عليه ومن فيه للبيان (**وبالله**) لا بغيره (**التوفيق**) وهو لغة: جعل الأسباب موافقة للمسببات. وشرعاً: خلق قدرة الطاعة في العبد.

٣٩٦ ــ (**عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق**) في أقواله، وأفعاله، وأحواله (**المصدوق**) فيما يأتيه من الوحي والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الأحوال كلها (**إن أحدكم**) أي: الواحد منكم (**يجمع**) بالبناء للمفعول أي: يقدر (**خلقه**) أي: ما يخلق منه (**في بطن أمه**) صفة خلق، أو حال منه، أي: مادة خلقه الحاصلة أو حاصلة (**أربعين يوماً**) ظرف لمتعلق الظرف المحذوف (**نطفة**) وهي الماء القليل، والمراد هنا المني لأنه ينطف أي: يسيل ومعنى جمعه فيها: مكثه أربعين ليلة منتشراً في بشرة المرأة، بعد أن انتشر تحت كل ظفر وشعر منها، ثم ينزل منها دم في الرحم، فذلك جمعه، وهو وقت كونه علقة، ولا ينتقل عن كونه منياً قبل الأربعين (**ثم يكون**) أي: يصير خلقه (**علقة**) هي دم جامد؛ لأنها إذ ذاك تعلق بالرحم (**مثل ذلك**) بالنصب صفة علقة، وذلك إشارة إلى خلقه، أي: علقة مماثلة لخلقه في أنهما يكونان أربعين يوماً (**ثم يكون**) أي: يصير خلقه (**مضغة**) أي: قطعة من اللحم قدر ما يمضغ (**مثل ذلك**) أي: أربعين يوماً، وفيها يصورها الله تعالى، ويجعل الأعضاء والسمع والبصر وغيرهما ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كما يشاء﴾[1] (**ثم**) إذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (**يرسل**) بالبناء للمفعول، أي: يرسل الله (**الملك**) في الطور الرابع ولا مخالفة بين حديث الباب وحديث مسلم عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.

Made searchable using ScribeTools.com

فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. . . . . .

وجلدها وعظامها ثم يقول: أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ثم يكتب أجله ورزقه» لأن لتصرف الملك أوقاتاً.

أحدها: حين كونه نطفة ثم انقلابه علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد، وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذ ربه يكتب رزقه وأجله وعمله وخلقته وصورته، ثم يتصرف فيه بتصويره، وخلق أعضائه، وذلك في الأربعين الثالثة، فينفرد بالتصوير بعد أن يكتب ذلك، ثم ينقله في وقت آخر؛ لأن التصوير بعد الأربعين الأولى غير موجود عادة، أشار إليه المصنف في شرح مسلم، وقد استفاض بين النساء أن النطفة إذا قدرت ذكراً، تتصور بعد الأربعين الأولى، بحيث يشاهد منه كل شيء حتى السرة، فتحمل رواية ابن مسعود على البنات، أو الغالب **(فينفخ فيه)** أي: فينفخ الملك في ذلك المخلوق **(الروح)** بعد كمال الجسم وخلقه وفيه دليل على حدوث الروح، والنفخ بالمعجمة وبالمهملة، والنفث يستعملان بمعنى، إلا أن الأولين يستعملان على طريق الخير والشر والثالث في الثاني فقط **(ويؤمر)** أي: ذلك الملك عطف على ينفخ **(بأربع كلمات)** أي: يؤمر بكتابة الأحكام المقدرة له على جبهته، أو بطن كفه، أو ورقة تعلق بعنقه، قاله مجاهد. واعلم أن الكتابة التي في أم الكتاب تعم الأشياء كلها. وهذا ما خص به كل إنسان، إذ لكل سابقة وهي ما في اللوح، ولاحقة تكتب ليلة القدر، ومتوسطة أشير إليها في الحديث **(يكتب)** بدل كل من قوله: بأربع ويروى بالمضارع على الاستئناف **(رزقه)** ما ينتفع به حلالاً كان أو حراماً، مأكولاً أو غيره **(وأجله)** أي: مدة عمره، أو الوقت الذي ينقرض فيه **(وعمله)** من صلاح وضده **(وشقي أو سعيد)** خبر لمبتدأ، تقديره هو. وعدل إليه عن شقاوته وسعادته بحكاية صورة المكتوب، والتقدير، وأنه شقي أو سعيد، وكان العدول فيه؛ لأن التفصيل الآتي وارد عليهما، ذكره الطيبي. والسعادة: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخيرات. وتقابلها الشقاوة. وقدمت ليعلم أنها كالخير من عند الله تعالى، وحول الإنسان أطواراً في بطن أمه، والقدرة صالحة لخلقه جملة في لمحة لدفع المشقة عن الأم؛ لأنها غير معتادة فربما ظنته علة فدرج في حال إلى آخر؛ لتعتادها، ولإظهارها قدرة الله سبحانه؛ ليعبدوه ويشكروه، إذ قلبهم من أخس الأشياء ومستقذرها إلى أحسن صورة، محلى بالعقل ولإرشاد الناس إلى كمال قدرته تعالى على الحشر والنشر، إذ من قدر على خلق إنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة، قادر على إعادته ونفخ الروح به ولغير ذلك. ثم اعلم أن الآيات القرآنية تشهد أن

فَوَالَّذِي لاَ إِلَـهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ . . . . . .

التصوير من الله تعالى، وفي بعض الروايات إضافته إلى الملك الموكل بالرحم، والحمل على ظاهر التنزيل أولى، وجمع بعض بأن الملك الموكل بالرحم من أعوان إسرافيل، وبيده الصور، وهو ناظر إلى إسرافيل، وإسرافيل ناظر إلى الصورة المنقوشة في العرش، فقد ورد «إن الله تعالى جعل لكل ما خلق صورة مخصوصة في ساق العرش، وتلك الصورة، حكاية عما في عمل الله الأزلي» فيأخذ إسرافيل الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها إلى الرحم، وملك الأرحام يلقيها إلى الجنين، فيصوره بتلك الصورة. فحيث أسند التصوير إليه تعالى؛ فلأنه المقدر للصورة حقيقة الموجد لها، وحيث أسند للملك؛ فلأنه المباشر لها حسبما رأى في نسخة إسرافيل **(فوالذي)** هو من جملة المرفوع كما يدل عليه ظاهر رواية الصحيحين هذه وغيرها. وأما ما رواه الخطيب البغدادي في المدح: من أن من هنا إلى الآخر من كلام ابن مسعود، فلا يعارض ما في الصحيحين، بل ما فيهما مقدم عليه، وبفرض ثبوت ما فيه، فالذي توقف عليه إنما هو هذه المباني، وإلا فقد جاء هذا المعنى مرفوعاً في أحاديث كثيرة، بينتها أواخر شرح الأذكار، الفاء فصيحة وهي العاطفة على مقدر، وقيل: الواقعة جواباً لشرط مقدر وقد بسطت الكلام في تحقيق هذه الفاء وأحوالها في كتابي المسمى: بإيقاظ النائم من سنة نومه ببعض فوائد قوله تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾[1] أي: فإذا كانت السعادة والشقاوة مكتوبتين فوالذي **(لا إلَه غيره)** أكده بالقسم؛ لتأكيد أمر القضاء **(إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى)** أي: إلى أن ينتهي إلى أمد **(ما يكون)** ما: نافية، ويكون مرفوع إجراء لحتى وما بعدها مجرى الحكاية الحالية، قاله الكازروني شارح الأربعين، قال: والنصب فيه وفي الجملة الثانية خطأ **(بينه وبينها)** أي: الجنة **(إلا ذراع)** أراد به التمثيل للقرب من موته، ودخوله عقبة الجنة **(فيسبق)** أورد الفاء لتدل على حصول السبق بلا مهلة، وعداه بعلى في قوله **(عليه الكتاب)** لتضمنه معنى يغلب أي: يغلب عليه ما كتب عليه قبل النفخ من الشقوة **(فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)** بفصل القضاء السابق المحتوم لشقوته **(وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون)** أي: إلى أن لا يبقى **(بينه وبينها إلا**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

Made searchable using ScribeTools.com

ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٩٧ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) من الإنابة والاستغفار وعمل الأبرار **(فيدخلها)** فالخاتمة نسخت السابقة، وبذر السعادة والشقاوة قد اختفى في الأطوار الإنسانية، ولا يظهر إلا إذا انتهى إلى الغاية الإيمانية أو الطغيانية، ففي الحديث إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال والركون إليها، بل بالخاتمة، وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة «وإنما الأعمال بالخواتيم» فلا يقطع لأحد معين بدخول الجنة إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها، فعليك أن لا تتكل على عمل ولا تعجب به، واسأل الله حسن الخاتمة، واستعذ به من سوئها، ولا تقل: قوله تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾(٣) مخبر بأن من أخلص عمله، أمن من سوئها لأنا نقول: يجوز أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسنه. ثم قال القاضي عياض: الثاني كثير، وأما الأول فقليل؛ لأن الله كريم يستحي أن ينزع السر من أهله، وفيه إثبات القدر، وهو مذهب أهل الحق، وأن جميع ما في الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضر **(متفق عليه)** وكذا رواه أصحاب السنن الأربعة.

٣٩٧ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم) قال المصنف: اختلف أهل العربية **هل** جهنم اسم عربي؟ أم عجمي؟ فقيل: عربي مشتق من الجهومة: وهي كراهة المنظر، وقيل من قولهم: بئر جهنام أي: عميقة، فعلى هذا لم تصرف للعلمية والتأنيث. وقال الأكثرون: هي عجمية معربة، وامتنع صرفها للعلمية والعجمة **(يومئذ)** أي: يوم إذ يقوم العباد للحساب **(لها سبعون ألف زمام)** جملة حالية، والزمام لغة: ما يجعل في أنف البعير يشد عليه المقود، فيحتمل أن يكون ذلك على حقيقته، وأن تكون تمثيلاً لعظمها وفرض كبرها بحيث إنها تحتج في الإتيان بها إلى هذه الأزمة **(مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. رواه مسلم)** في باب الجنة والنار، ورواه الترمذي في جامعه في باب صفة جنهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٦/ ٢٢٠)، والقدر والأنبياء.
وأخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي... (الحديث: ١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حرّ نار جهنم... (الحديث: ٢٩).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

٣٩٨ ــ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٩٩ ــ وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ

---

٣٩٨ ــ (وعن النعمان بن بشير) بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة، **(رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أهون أهل النار)** أي: الكفار لأنهم أهلها الملازمون لها الخالدون أبداً، أما العصاة من مؤمني الأمة المحمدية الذين سبق في العلم الأزلي تعذيبهم بها، فليسوا أهلها لخروجهم ودخولهم الجنة **(عذاباً يوم القيامة لرجل)** هو أبو طالب **(يوضع في أخمص)** بفتح الهمزة **(قدميه)** أي: المتجافي من الرجل عن الأرض **(جمرتان يغلي)** بالتحتية، والغين المعجمة مبني للفاعل: والغليان معروف، وهو: شدة اضطراب الماء ونحوها على النار لشدة إيقادها، يقال: غلت القدر تغلي غلياناً، قاله المصنف **(منهما دماغه)** بكسر الدال المهملة معروف. قال القسطلاني في المواهب: جاء في رواية: حتى يسيل **دماغه (ما يرى)** بفتح التحتية أي: يعتقد **(أن أحداً أشد منه عذاباً)** لقوة ما يلقاه منه **(وإنه لأهونهم عذاباً متفق عليه)** رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في صفة النار، كذا قال المزي. والذي رأيته أنه منه في كتاب الإيمان.

٣٩٩ ــ (وعن سمرة) بفتح المهملة وضم الميم **(ابن جندب)** بضم الجيم والدال المهملة وبفتحها، والنون ساكنة بينهما آخره موحدة، تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب توقير العلماء **(أن نبي الله ﷺ)** قال الشافعي فيما نقل البيهقي عنه: يكره أن يقال في حقه ﷺ النبي أو الرسول بغير إضافة وإنما يقال: رسول الله أو نبي الله بها ولا يرد نحو قوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾(٢) لأن خطاب الله تعالى لنبيه تشريف بأي صيغة كانت. اهـ. وكأن القوم لم ينظروا لذلك لعدم حضور ما يوهمه لفظ الرسول أو النبي في الذهن، كما استقر فيه من شرفه وعظمته مع ما فيه من كثرة الدوران المقتضي للتخفيف في اللفظ **(قال منهم)** أي: من أهل النار، ومرجع الضمير دل عليه حال التكلم، أو سياق الكلام. وفي رواية أخرى لمسلم بزيادة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (١١/٧٧٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أهون أهل النار عذاباً (الحديث: ٣٦٤).
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

Made searchable using ScribeTools.com

تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْحُجْزَةُ»: مَعْقِدُ الْإِزَارِ تَحْتَ السُّرَّةِ. وَ«التَّرْقُوَةُ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ هِيَ: الْعَظْمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وَلِلْإِنْسَانِ تَرْقُوَتَانِ فِي جَانِبَيِ النَّحْرِ(١).

٤٠٠ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» .....

«إن في أوله» والتأكيد مناسب للوعيد والتشديد (من **تأخذه النار إلى كعبيه**) وهو العظم الناتىء عند مفصل الساق من القدم (**ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه**) وهو مجمع عظم الساق والفخذ (**ومنهم من تأخذه إلى حجزته**) بضم الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالزاي (**ومنهم من تأخذه إلى ترقوته**) أي: وباقي الجسد الذي لم يأخذه العذاب يغلي بما أخذه منه العذاب (**رواه مسلم**) في صفة النار (**الحجزة**) بضبطها السابق، وكان عليه ذكر ذلك (**معقد الإزار**) والسراويل كما في شرح مسلم له (**تحت السرة**) المراد ما يحاذي ذلك المحل من جنبيه (**والترقوة بفتح التاء**) المثناة الفوقية (**وضم القاف**) وسكون الراء، وفتح الواو، تفعلة وجمعها تراقي (**هي العظم الذي عند ثغرة النحر**) الثغرة بضم المثلثة، وسكون المعجمة، بعدها راء مهملة التي في وسطه. قال في شرح مسلم: الترقوة بين ثغرة النحر والعاتق (**وللإنسان ترقوتان في جانب النحر**) قال في المصباح: قال بعضهم: ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان إلا للإنسان خاصة.

٤٠٠ ــ (**وعن ابن عمر**) ابن الخطاب (**رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: يقوم الناس**) أي: من قبورهم (**لرب العالمين**) أي: لأمره وجزائه. قال كعب: يقومون ثلاثمائة عام (**حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**) قيل: سبب هذا العرق، تراكم الأحوال، وتزاحم حر الشمس والنهار كما جاء في الرواية «إن جنهم تدير أهل المحشر، فلا يكون لأهل الجنة طريق إلا الصراط» فيكون الناس في ذلك العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يلجمه ويصير له كاللجام ويمنعه من الكلام ويصل لأذنه، ومنهم دون ذلك، حتى أنه يكون للبعض إلى كعبه فإن قلت: إذا كان العرق كالبحر يلجم البعض، فكيف يصل إلى كعب الآخر؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حرّ نار جهنم... (الحديث: ٣٣).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ «الرَّشْحُ»: الْعَرَقُ(١).

٤٠١ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ! فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً»، فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. . . . . .

قلنا: يجوز أن يخلق الله ارتفاعاً في الأرض تحت أقدام البعض، أو يقال: يمسك الله عرق كل إنسان عليه بحسب عمله، فلا يصل إلى غيره منه شيء، كما أمسك جرية البحر لموسى وقومه حتى أتبعهم فرعون، قاله ابن ملك في شرح المشارق **(متفق عليه)** والسياق لمسلم **(الرشح)** بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالحاء المهملة **(العرق)** بفتح أوليه المهملتين.

٤٠١ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ) أي: وعظ، وسميت خطبة لأنهم كانوا يلقونها عند الخطب والمهام. وحذف المفعول للتعميم أو للجهل بأعيانهم **(خطبة، ما سمعت مثلها قط)** لكمال بلاغتها، وقط بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة في اللغة الفصحى، ظرف؛ لاستغراق ما مضى من الزمان، نحو: مافعلته قط. قال ابن هشام: وقول العامة لا أفعله قط، لحن **(فقال)** أي: من جملتها، أو يحتمل أن يكون ذلك هو المقول كله **(لو تعلمون ما أعلم)** أي: من أهوال الآخرة، وما أعد في الجنة من نعيم، وفي النار من العذاب الأليم **(لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)** قيل: إن كان الخطاب للكافرين، فليس لهم ما يوجب الضحك أصلاً، وإن كان للمؤمنين فعاقبتهم الجنة أبداً، وإن دخلوا النار فما يوجب البكاء بالنسبة إلى ما يوجب الضحك شيء يسير، فينبغي أن: يكون الأمر بالعكس. «قلنا»: الخطاب للمؤمنين لكن خرج هذا الحديث في مقام ترجيح الخوف على الرجاء، **قال** الكازروني: ففي الحديث الحث على البكاء، والتحذير من إكثار الضحك **(فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم)** فيه استحباب تغطية الوجه عند البكاء، وقد ورد الأمر به حال العطاس، وكأنه ستر لما يعرض حينئذ في بشرة الوجه **(ولهم خنين)** في المشارق للقاضي عياض أنه بالمهملة للقابسي والعذري، وبالمعجمة للكافة وهو الصواب، وهو تردد في البكاء بصوت أغن. وقال أبو زيد الحنين كالجنين. اهـ. وفي شرح مسلم للمصنف: هو بالمعجمة في معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالمهملة ومن ذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: تفسير يوم يقوم الناس لرب العالمين (١١/ ٣٤٠)، وفي الرقاق. وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة... (الحديث: ٦٠).

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ والنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. «الْخَنِينُ» بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ هُوَ الْبُكَاءُ مَعْ غُنَّةٍ وَانْتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأَنْفِ[1].

الوجهين، صاحب التحرير وآخرون، وسيأتي معناه **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في التفسير واللفظ له، ومسلم في فضائل النبي ﷺ بنحوه، ورواه الترمذي في التفسير وقال: حسن صحيح غريب، ورواه النسائي في الرقائق مختصراً «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». اهـ. ملخصاً من الأطراف للمزي. وللحافظ العسقلاني تعقب عليه في بعضه في كتابه: النكت الظراف **(وفي رواية)** هي لمسلم **(بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت عليّ الجنة والنار)** قال القاضي عياض: قال العلماء: يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما، كما فرج له عن بيت المقدس حين وصفه، ويحتمل أن يكون عرض وحي، وعلم من أمورهما تفصيلاً ما لم يعلمه قبل ذلك، ومن عظم شأنهما ما زاده علماً بأمرهما وخشيةً وتحذيراً ودوام ذكر. فلذا قال: «لو تعلمون» الخ. قال القاضي: والتأويل الأول أولى. والتنبيه بألفاظ الحديث لما جاء في الأحاديث مما يؤيده كتناوله العنقود، وتأخره مخافة أن تلحقه النار. وفيه أن الجنة والنار. مخلوقتان موجودتان اليوم، وهو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة **(فلم أر كاليوم في الخير والشر)** قال المصنف: معنى الحديث لم أر خيراً أكثر مما رأيته اليوم في الجنة، ولا شراً أكثر مما رأيته في النار **(ولو تعلمون ما أعلم)** مما رأيته اليوم **(لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)** أي: لحصل من الإشفاق البليغ ما يقل ضحككم، ويكثر بكاءكم. وفيه دليل على أنه لا كراهة في استعمال لو في مثل هذا **(فما أتى)** أي: جاء **(على أصحاب النبي ﷺ يوم أشد منه)** في إزعاجهم بالموعظة وتأثرهم بها **(غطوا)** بتشديد الطاء المهملة أي: ستروا **(رءوسهم)** بالغطاء **(ولهم خنين)** جملة حالية **(الخنين بالخاء المعجمة)** المفتوحة بنونين، أولاهما مكسورة خفيفة، وبينهما تحتية ساكنة **(هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت)** وفي شرح مسلم ومعناه بالمعجمة: صوت وهو نوع من البكاء دون الانتحاب. قالوا: وأصل الخنين خروج الصوت **(من الأنف)** كالحنين بالمهملة. وقال الخليل: هو صوت فيه غنة. وقال الأصمعي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: لا تسألوا عن أشياء... (٨/ ٢١٠، ٢١١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ... (الحديث: ١٣٤).

٤٠٢ ــ وَعَنِ الْمِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، (قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ الرَّاوِي عَنِ الْمِقْدَادِ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ: أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ) فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً» .....

إذا تردد بكاؤه وصار في كونه غنة، فهو خنين. وقال أبو زيد: الخنين: هو شدة البكاء.

٤٠٢ ــ **(وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تدنى)** بالبناء للمفعول، وحذف الفاعل للعلم بأنه الله تعالى **(الشمس يوم القيامة من الخلق)** أل فيه للجنس أي: من المخلوقين **(حتى تكون)** تصير **(منهم كمقدار)** أي: مثل مقدار **(ميل)** وذلك تشديد في الهول والكرب **(قال سليم)** بضم المهملة وفتح اللام وتخفيف التحتية **(ابن عامر)** وهو الجنائزي بالجيم والنون وهمزة بعد ألف ثم زاي الحمصي **(الراوي عن المقداد)** فهو تابعي يروي عن أبي الدرداء وعوف بن مالك. والمقداد ثقة، بقي إلى بعد عشر ومائة. روى عنه مسلم والأربعة، كذا في الكاشف للذهبي **(فوالله ما أدري مايعني)** أي: النبي ﷺ **(بالميل لمسافة الأرض)** أي: أراد المسافة التي هي عند العرب مقدار مد البصر من الأرض. وعند القدماء من أهل الهيئة: ثلاثة آلاف ذراع. وعند المحدثين: أربعة آلاف ذراع. قال في المصباح: والخلف لفظي، فإنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف إصبع، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون إصبعاً، والمحدثون أربع وعشرون إصبعا. فإذا قسم الميل على رأي المحدثين أربعاً وعشرين، كان المتحصل أربعة آلاف ذراع. اهـ. **(أم)** أراد **(الميل الذي تكتحل به العين)** قال في المصباح: قال الأصمعي: العامة يقولون لما يكتحل به ميل، وهو خطأ، وإنما هو ملمول، وقال الليث: الميل المملول الذي يكتحل به البصر، والله أعلم **(فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق)** أي: اختلافهم في مكان العرق منهم بحسب اختلافهم في العمل صلاحاً، وفساداً، ثم فصله كذلك زيادة في البيان فقال: **(فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه)** بفتح الحاء المهملة وكسرها، وهما معقد الإزار. والمراد هنا: ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه **(ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً)** أي: يصل إلى فيه وأذنيه فيكون له بمنزلة اللجام من

Made searchable using ScribeTools.com

وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلى فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٤٠٣ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى «يَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ»: يَنْزِلُ وَيَغُوصُ(٢).

٤٠٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ

الحيوانات كما قال الراوي: **(وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. رواه مسلم)**.

٤٠٣ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يعرق)** بفتح التحتية والراء **(الناس)** من شدة كرب يوم القيامة وأهوالها **(يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم)** بضم التحتية من ألجمه الماء إذا بلغ فاه **(حتى يبلغ آذانهم)** وهذا لبعض الناس لتفاوت الناس في ذلك كما تقدم في الحديث قبله، واستثنى من ذلك: الأنبياء، والشهداء، ومن شاء الله من المؤمنين والمؤمنات ثم أشد الناس عرقاً الكافر ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم **(متفق عليه)** رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في باب صفة الجنة والنار. **(ومعنى يذهب في الأرض أي: ينزل فيها ويغوص)** في المصباح يقال: نزل من علو إلى أسفل، ينزل نزولاً، وما ذكره المصنف في الحديث وجه وفسر الشيخ زكريا يذهب بقوله يجري، ولا مانع من جريانه على وجه الأرض. هذا القدر دون ما زاد عليه مع ارتفاعه وبلوغه إلى آذانهم، لأنه ممكن، والقدرة صالحة له.

٤٠٤ ــ **(وعنه قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة)** بفتح الواو وسكون الجيم، وبالموحدة أي: سقطة. **قال** في المصباح: يقال: وجب الحائط، ونحوه سقط **(فقال هل تدرون ما هذا)** أي: المسموع وظاهره أنهم سمعوها أيضاً كرامة، ولا مانع. فقد سمعوا حنين الجذع، وتسبيح الحصا في يده، وغير ذلك، لكن قوله أولا إذ سمع النبي ﷺ، ربما يومىء إلى اختصاصه ﷺ بذلك. **والله أعلم (فقلنا الله ورسوله أعلم)** فيه بيان أن الأدب إذا سئل الإنسان عما لا علم له به، أن يكل العلم فيه إلى الله سبحانه، ولا يتكلم فيما لا علم له

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة... (الحديث: ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: قول الله تعالى: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ (٨/٢١٠، ٢١١).

وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة... (الحديث: ٦١).

سَبْعِينَ خَرِيفاً، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حِينَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٤٠٥ ــ وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا

به، وليس من التكلم بلا علم ما يستنبطه أهل العلم ويستخرجونه بما عندهم من جودة الذهن، وحسن الفكر. بل هو من التكلم بالعلم. قال تعالى: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾(٢) منهم **(قال هذا حجر)** أي: صوت حجر **(رمي)** بالبناء للمفعول **(به في النار من)** كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بمن الجارة وهو في مسلم بلفظ منذ، وهي هنا بمعنى من؛ لأنها جارة لاسم الزمان الماضي. فما في الرياض إن كان من المصنف، فرواية بالمعنى **(سبعين خريفاً)** أي: عامة والمقام يقتضي حمله على حقيقته. ويحتمل أنها كناية عن الكثرة بما فوق وما دون **(فهو يهوي)** بكسر الواو أي: ينزل **(في النار الآن)** اسم للزمان الحال، وهو ظرف خبر مقدم؛ لقوله **(حين انتهى إلى قعرها)** وجملة انتهى مضاف إليها، وفتحت حين لإضافتها إلى جملة صدرها مبني فهو مرفوع، وتقديره الآن حين انتهى بها إلى قعر النار **(فسمعتم وجبتها)** بفتح الواو وسكون الجيم هكذا في أصل مصحح، ويحتمل أن يكون بكسر الجيم وبالتحتية فالموحدة ومعناه الاضطراب أي: صوت اضطراب النار من نزول الحجر إليها **قال** في المصباح: وجب القلب وجيباً ووجباً رجف، ثم قوله: فسمعتم وجبتها ليس هو عند مسلم في حديث حتى انتهى إلى قعرها، إنما هو عنده بإسناد آخر للحديث، وفيه «وقال: هذا وقع في أسفلها فسمع وجبتها» فيكون ذكر فسمعتم وجبتها مدرجاً في الحديث الذي ذكره المصنف؛ لأنه ليس عنده بإسناد ذلك الحديث، إنما هو بإسناد آخر، والله أعلم **(رواه مسلم)** في باب صفة الجنة والنار.

٤٠٥ ــ **(وعن عدي)** بفتح العين المهملة وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية **(ابن حاتم)** بالمهملة فالفوقية **(رضي الله عنه)** تقدمت ترجمته في الكلام على الحديث في باب بيان كثرة طرق الخير **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد)** من مزيدة في الفاعل لتأكيد العموم فيه لوقوعه بعد النفي **(إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)** قال في المصباح: ترجم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حرّ نار جهنم... (الحديث: ٣١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

Made searchable using ScribeTools.com

مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٠٦ ــ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ

فلان كلامه إذا بينه وأوضحه، وترجم كلام غيره: إذا عبر عنه بلغة عن المتكلم واسم الفاعل ترجمان، وفيه لغات أجودها فتح التاء وضم الجيم ثم ضمهما ثم فتحهما والجمع تراجم والتاء والجيم فيه أصليتان، فترجم بوزن دحرج. اهـ. والمراد هنا أنه تعالى يكلمه بلا واسطة **(فينظر أيمن منه)** أي: جانباً أيمن منه **(فلا يرى)** أي: يبصر **(إلا ما قدم)** من صالح العمل **(وينظر أشأم منه)** بالشين المعجمة والهمزة من الشومى: وهو من أسماء الشمال **(فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء)** بكسر الفوقية وبالمد أي: قبالة **(وجهه، فاتقوا النار)** أي: اجعلوا صالح العمل وقاية بينكم وبينها **(ولو)** كان **(بشق)** بكسر الشين المعجمة أي: نصف **(تمرة متفق عليه)**.

٤٠٦ ــ **(وعن أبي ذر)** بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني أرى)** أي: أبصر أو أعلم **(ما لا ترون)** أي: تبصرون أو تعلمون **(أطت السماء وحق)** بضم الحاء المهملة وتشديد القاف أي: ويحق **(لها أن تئط)** أي: لما فيها من أعمال البر وعمالها كما قال: **(ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك)** قال الدلجي: موضع بالتنوين، وقوله أربع أصابع ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي، «إلا وملك» حال من فاعل الظرف أعني موضعاً أي: فيه **ملك (واضع)** بالتنوين ويجوز تركه **(جبهته ساجدا)** حال من الضمير قبله لكون المضاف بعض ما أضيف إليه **(لله تعالى)** واستدل به على فضل السماء على الأرض، وهو المختار عند أصحابنا الشافعية فهي محل الطاعة ولم يقع عليها عصيان، وامتناع إبليس من السجود كان وهو خارج عنها. ويؤخذ منه فضل مواضع أعمال البر من الأرض على مواضع غيره، وقد أشار إليه إمامنا الشافعي بقوله:

إني نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

(والله) أتى به تأكيداً لما بعده **(لو تعلمون ما أعلم)** من عظم جلال الله تعالى وشدة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: طيب الكلام والزكاة وغيرها (٣/٢٢٥) و (١٣/٣٩٧). وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة... (الحديث: ٦٧).

كَثيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرونَ إِلى اللَّهِ تَعَالَى» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَديثٌ حَسَنٌ. وَ«أَطَّتْ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ. وَ«تَئِطُّ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ مكسورة. والْأَطِيطُ: صَوْتُ الرَّحْلِ والْقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ كَثْرَةَ مَنْ في السَّمَاءِ مِنَ الْمَلائِكَةِ الْعَابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى

انتقامه **(لضحكتم قليلاً)** خوفاً من سطوة المولى سبحانه **(ولبكيتم كثيراً)** كذلك، وفي قوله قليلاً أولاً وكثيراً ثانياً إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده من الخوف ما ينزجر به عن المخالفة، ويكون تارة في مظهر الجمال وتارة في مظهر الجلال **(وما تلذذتم بالنساء على الفرش)** أي: لشدة ما كان يحصل لكم من الوجل **(ولخرجتم إلى الصعدات)** أي: الطرقات **(تجأرون)** بسكون الجيم وبعدها همزة مفتوحة أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة إلى الله تعالى، والجملة في موضع الحال أي: رافعي أصواتكم متضرعين **(إلى الله تعالى. رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** قال ابن اقبرس: أخرجه مرفوعاً، وأخرجه أيضاً في الزهد، ويروى عن أبي ذر موقوفاً، وأخرجه ابن ماجه. اهـ. وكذا ذكر السيوطي في تخريج الشفاء أن ابن ماجه أخرجه أيضاً **(وأطت بفتح الهمزة وتشديد الطاء)** المهملة **(وتئط بفتح التاء)** أي: الفوقية **(وبعدها همزة مكسورة)** مكتوبة بصورة الياء على القاعدة **(والأطيط)** بفتح الهمزة وكسر الطاء الأولى **(صوت الرحل)** بالحاء المهملة: هو ما يشد على البعير ويوضع عليه الحمل ويسمى بالكور. قال في النهاية: وقد تكرر ذكر الرحل مفرداً وجمعاً وهو له كالسرج للفرس اهـ. **(والقتب)** بفتح القاف والفوقية وبالموحدة قال في المصباح: القتب للبعير جمعه أقتاب كسبب وأسباب وعليه فيكون من عطف الرديف **(وشبههما)** من ذي الصوت **(ومعناه)** أي: معنى هذا الكلام **(أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت)** أي: حصل الصوت منها كما يحصل من الرحل إذا ركب عليه، أجرى المصنف الكلام على ظاهره. وقال ابن الأثير في النهاية: وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط إنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. زاد الدلجي بعد حكايته قوله فأفرغ هذا الكلام في قالب الاستعارة التمثيلية تقريباً وتقريراً لعظمة الله تعالى. وقال ابن اقبرس: وهذا عندي على طريق الاستعارة بالكناية، شبهت السماء بذي الصوت من الإبل، ثم ذكر شيئاً من لوزام الإبل والأقتاب المركوب عليها وهو الصوت المعبر عنه بقوله أطت لينتقل الذهن منه إليه، وأنت خبير بما بين الكلامين يعني كلامه وكلام النهاية من الحسن. اهـ. وما ذكره من أن الاستعارة المكنية لفظ المشبه به مراداً به المشبه مذهب

Made searchable using ScribeTools.com

أَطَّتْ. وَ «الصُّعُدَاتُ» بِضَمِّ الصَّادِ وَالْعَيْنِ: الطُّرُقَاتُ. وَمَعْنَى «تَجْأَرُونَ»: تَسْتَغِيثُونَ[1].

٤٠٧ ـ وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ «بِرَاءٍ ثُمَّ زَايٍ» نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ

فيها. ومذهب الخطيب وعليه الجمهور أنها التشبيه المضمر في النفس وقرينتها الاستعارة التخييلية أي: إثبات لازم المشبه به للمشبه، والله أعلم **(والصعدات بضم الصاد والعين)** وبالدال المهملة **(الطرقات)** بضم أوليه جمع طريق **(ومعنى تجأرون تستغيثون)** مضارع من الاستغاثة بالمثلثة: سؤال للغوث.

٤٠٧ ـ **(وعن أبي برزة)** بموحدة **(ثم راء ثم زاي)** ثم هاء **(نضلة)** بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عبيد بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية، هذا هو الصحيح المشهور في اسمه واسم أبيه، ويقال نضلة بن عمرو، ويقال: نضلة بن عبد الله. قال الحاكم في تاريخ نيسابور: وقيل: اسمه عبد الله بن نضلة، وقيل: نضلة بن دينار. قال: وقيل: كان اسمه نضلة بن دينار فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وقال دينار شيطان **(الأسلمي)** من ولد أسلم بن أقصى بن حارثة **(رضي الله عنه)** وأبو برزة كنية انفرد بها لا يعرف في الصحابة من يكنى بها غيره، كما قاله الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي البغدادي في التنبيه على الغريبين، وذكره الحاكم في الكنى المفردة، ومعناه: ليس في الناس من يكنى بها غيره ومراده من قبله، ولا فقد كني بها بعده أبو برزة الفضل بن محمد الحاسب، أسلم أبو برزة قديماً وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، روي له عن رسول الله ﷺ ستة وأربعون حديثاً، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بأربعة، نزل البصرة وولده بها ثم غزا خراسان. وقيل إنه رجع البصرة وبها توفي، وقيل: توفي بخراسان في خلافة معاوية أو يزيد، وقيل: توفي سنة ستين، وقيل: سنة أربع وستين. ا هـ. ملخصاً من التهذيب للمصنف. **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد)** أي: من موقفه للحساب إلى جنة أو نار **(حتى يسأل)** بالبناء للمفعول **(عن عمره)** بضم أوليه ويسكن ثانيه تخفيفاً أي: حياته وبقائه في الدنيا **(فيما أفناه)** في طاعة أم معصية، فما استفهامية فيه وفيما بعده وإثبات ألفها مع كونها مجرورة قليل والكثير حذفها **(وعن عمله فيما**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: في قول النبي ﷺ «لو تعلمون»... (الحديث: ٢٣١٢).

أَبْلَاهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٠٨ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾(٢) ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؛ فَهَذِهِ .....

عمله) لوجه الله تعالى خالصاً فيثاب عليه، أو رياء وسمعة فيعاقب عليه إن شاء الله تعالى (**وعن ماله من أين اكتسبه**) أمن حلال ذلك أو حرام؟ (**وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**) في طاعة مولاه أم في سواه؟ ويستثنى من ذلك الأنبياء وبعض صالحي المؤمنين كالذين يدخلون الجنة بغير حساب (**رواه الترمذي**) في أبواب الزهد من جامعه (**وقال: حديث حسن صحيح**) وطريقه واحد، فالتقدير على ما قرره الحافظ العسقلاني في مثله كما تقدم حسن أو صحيح.

٤٠٨ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: يومئذ تحدث أخبارها ثم قال أتدرون ما أخبارها؟**) المحدثة بها (**قالوا: الله ورسوله أعلم**) أي: عالم، وليس مرادهم أن عندهم به علم. والله ورسوله أعلم بذلك منهم فافعل فيه بمعنى أصل الفعل، ويحتمل كونه على ظاهره وسكوت العالم إما أدباً أو لزيادة استبصار ووقوف على ما لم يعلم (**قال: فإن أخبارها أن تشهد**) بلسان قالها كما هو الظاهر، ولا مانع منه لأنه ممكن وهو أبلغ في إلزام الحجة (**على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها**) الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، ويحتمل عموم الخبر لهم ويكون شهادتها بذلك تذكيراً لمزيد إنعام الله عليه حيث سامحه بسوء عمله ولم يعاقبه عليه بل أثابه من فضله، وقوله: (**تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا**) تفصيل للشهادة وبيان لكيفيتها وكذا كناية عن مقدار الشيء وعدته، وتكون كناية عن الأشياء فتقول: فعلت كذا وقلت كذا قال: فإن قلت فعلت كذا وكذا فلتعدد الفعل، والأصل ذا ثم أدخل عليه كاف التشبيه بعد زوال معنى التشبيه والإشارة، وجعل كناية عما يراد به وهو معرفة فلا يدخله أل قاله في المصباح (**فهذه**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: في القيامة، (الحديث: ٢٤١٧)، الترغيب والترهيب: (٣٥٧/٥).

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

Made searchable using ScribeTools.com

أَخْبَارُهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

٤٠٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَٱسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. «الْقَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ

أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر **(رواه الترمذي)** في الزهد والتفسير من جامعه **(وقال حديث حسن)** ورواه النسائي في التفسير.

٤٠٩ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنعم) بفتح العين من النعمة بفتح النون: وهي المسرة والفرح. قال في المصباح: نعم عيشه ينعم من باب تعب: اتسع ولان أي: كيف اتسع في الدنيا والتذ بها؟ قال المظهري: أي: كيف أطيب عيشاً وقد قرب أمر الساعة، وكأنه خاف على أصحابه منها وقد علم أنها لا تقوم إلا على أشرار الناس، أو حث لأصحابه على الوصية لمن بعدهم بالتهيؤ لها **(وصاحب القرن)** أي: الصور يعني الملك الموكل به وهو إسرافيل **(قد التقم القرن)** أي: وضع فاه عليه. قال المظهري في المفاتيح: يقال التقمت اللقمة أي: ابتلعتها يعني وضع الصور في فمه **(واستمع)** أي: أصغى **(الإذن)** يحتمل أن يكون مفعولاً به أي: يستمعه وينتظره وأن يكون مفعولاً له **(متى يؤمر بالنفخ)** أي: ينفخ الصور **(فينفخ)** أي: عقب الأمر فحينئذ يصعق من في السموات والأرض، أي: يموت **(فكان ذلك)** أي: المذكور من قرب الساعة، وهي إنما تقوم على الأشرار **(ثقل)** بفتح المثلثة وضم القاف أي: عظم ومصدره **ثقل** بوزن عنب كما في المصباح أي: فكأن ثقل **(على أصحاب رسول الله ﷺ فقال)** أي: النبي ﷺ **(لهم: قولوا: حسبنا)** أي: محسبنا وكافينا من أحسبه الشيء أي: كفاه وهو خبر والمبتدأ هو **(الله ونعم الوكيل)** أي: الموكول إليه والمخصوص بالمدح مضمر بعد الواو والجملة الفعلية خبره والأصح وقوع الجملة الإنشائية خبراً بلا تأويل وفي الكلام عطف خبرية على مثلها. قال في المفاتيح: والدليل أن حسبك بمعنى محسبك وقوعه صفة للنكرة في نحو مررت برجل حسبك فلو لم يصح لكان اسم فاعل، وإضافته على معنى الانفصال لما وصف به النكرة لأنه مضاف لمعرفة **(رواه الترمذي)** في أبواب الزهد من جامعه **(وقال: حديث حسن)** ورواه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة إذا زلزلت الأرض(الحديث: ٣٣٥٣).

تَعَالَى[١]: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، كَذَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٢].

٤١٠ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَ«أَدْلَجَ» بِإِسْكَانِ الدَّالِ، وَمَعْنَاهُ: سَارَ مِنْ

النسائي في التفسير من طريق عن أبي هريرة بنحوه (**القرن**) بفتح القاف وسكون الراء مضاف لمعرفة (**الصور**) بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبالراء (**الذي قال الله تعالى**) أي: فيه (**ونفخ في الصور كذا فسره رسول الله ﷺ**) قلت: رواه أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصور قرن ينفخ فيه» وفي الترمذي بيان سببه قال: «قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه» قال ابن رسلان: قوله الصور قرن هو على هيئة البوق دائرة رأسه كعرض السموات والأرض. ولأبي الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة «إن الله تعالى لمَّا خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر». وفي رواية لأبي الشيخ «فأطرق صاحب الصور وقد وكل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» وإسنادهماجيدا هـ.

٤١٠ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من خاف**) أي: خاف البيات (**أدلج**) أي: هرب في أول الليل (**ومن أدلج بلغ المنزل**) الذي يأمن فيه البيات. قال العاقولي: هذا مثل طالب الآخرة وكون الشيطان على طريقه، فإن تبتل بالطاعة وصبر مدة أيامه القلائل وأمن فيه الشيطان، وقال المظهري: أي: من خاف الله فليهرب من المعاصي إلى طاعته تعالى (**ألا**) أداة استفتاح (**إن سلعة الله**) بكسر السين المهملة وجمعها سلع فهي كسدرة وسدر والسلعة المتاع (**غالية**) بالمعجمة أي: رفيعة القيمة (**ألا إن سلعة الله هي الجنة**) وهي عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال (**رواه الترمذي**) في باب الزهد (**وقال: حديث حسن**) وروي عن مطرف عن أبي سعيد، وقيل: عن ابن عباس ا هـ. (**وأدلج بإسكان الدال**) المهملة وبالجيم معناه (**سار من أول الليل**) وهو أنسب بالحديث لكونه أدل على مزيد الاهتمام والاعتناء وأمكن في القصد للبعد عن العدو، وما ذكره المصنف هو ما في النهاية وزاد فيها وأدلج بالتشديد: إذا سار من آخره، والاسم منها الدلجة بالضم والفتح،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في شؤون الصور (الحديث: ٢٤٣١).

Made searchable using ScribeTools.com

أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَالْمُرَادُ: التَّشْمِيرُ فِي الطَّاعَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَم[1].

٤١١ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً، غُرْلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ»، وَفِي

ومنهم من يجعل الإدلاج أي: بوزن إكرام مصدر أدلج بالتخفيف لليل كله ولم يفرق بين أوله وآخره، وأنشدوا:

لعلي أصبر على السير والإدلاج في السحر

ا هـ. **(قلت)**: وجرى على هذا الأخير صاحب المصباح، وعبارته أدلج إدلاجاً مثل أكرم إكراماً: سار كله فهو مدلج، وإن خرج آخر الليل فقد أدلج بالتشديد. ا هـ. وكان المصنف جرى على القول المذكور في الأصل لأنه أنسب بالحديث لما ذكرنا **(والمراد التشمير في طاعة الله)** أي: أنه تمثيل لذلك كما سبق عن العاقولي وإلا فلا مسافة حسية تقطعها بسيرك ليلاً، إنما هي المجاهدات المورثة بالفضل الإلهي للمشاهدات.

٤١١ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس)** عام مخصوص فقد جاء في صحيح مسلم «أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ثم أكسى» الحديث **(يوم القيامة حفاة)** بضم أوله المهمل وبالفاء جمع حاف: وهو الذي لا حذاء في رجله ولا خف **(عراة)** بالضبط المذكور جمع عار وهو الذي لا ثوب ببدنه **(غرلاً)** أي: غير مختونين، والعائدة في خلق الجلدة المقطوعة من الذكر والعلم عند الله تعالى التنبيه على أحكام خلقته إذ خلقه للأبد لا للفناء إذ لم ينقص من أعضائه بل أعيد كاملاً، أو أنه التزم عوده كما كان قاله المظهري، والثلاثة منصوبة على الحال من الفاعل **(قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً)** منصوب على الحال من الرجال الفاعل بمحذوف دل عليه ما قبله أي: الحشر حال كونهم مجموعين، وقولها **(ينظر بعضهم إلى بعض)** يحتمل أن يكون حال من ذلك أو من ضمير جميعاً المستكن في وأن تكون مستأنفة لبيان السؤال عن جميعهم في الحشر **(فقال: يا عائشة الأمر)** أي: هول الأمر وشدته **(أشد من أن يهمهم)** بفتح التحتية وضم الهاء أو بضم التحتية وكسرها. قال في المصباح: يقال أهمني الأمر بالألف: أقلقني، وهمني هما من باب قتل مثله **(ذلك)** أي: النفوس إنما تنظر لذلك عند الاستراحة وهم في

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: ١٨، (الحديث: ٢٤٥٠).

رِوَايَةٍ: «الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «غُـرْلًا» بِضَمِّ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ: أَيْ غَيْرَ مَخْتُونِينَ[1].

٥١ ــ باب: فـي الرجـاء

هول يذهل به الخليل عن خليله كما تقدم أول الباب. **(وفي رواية هي للصحيحين أيضاً كما في المشكاة وهي عند النسائي وابن ماجه كما في الجامع الكبير (الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)** جاء في رواية ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعاً «قـالت عائشـة: ينظر بعضهم إلى بعض، قال: شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم إلى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون» **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في أبواب صفة الجنة والنار **(غرلاً بضم الغين المعجمة)** وسكون الراء **(أي: غير مختونين)** في المصباح، الغرلة مثل القلفة وزناً ومعنًى، وغرل غرلاً من باب تعب: إذا لم يختن فهو أغرل والأنثى غرلاء والجمع غرل من باب أحمر. ا هـ. والله أعلم.

بـاب الرجـاء

بفتح الراء وبالمد: هو ضد الخوف، وعرف بأنه تأمل الخير وقرب وقوعه، ويطلق على الخوف ومنه قوله تعالى ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾[2] وقال الرغب في مفرداته: قيل: ما لكم لا تخافون؟ ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان. وفي الرسالة القشيرية: الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل. والفرق بينه وبين التمني أن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجد وضده صاحب الرجاء، وقدم المصنف الخوف عليه لأنه باعتبار نتائجه من باب التخلية بالخاء المعجمة إذ ينتج ترك المخالفة والرجاء من باب التحلية بالمهملة إذ يبعث على صالح العمل إذ لولا الرجاء لما وجد عمل، أما تمني الثواب لا مع صالح العمل فذلك أمنية وليس من الرجاء في شيء. وفي الحديث عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر (١١/٣٣٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا... (الحديث: ٥٦).
(٢) سورة نوح، الآية: ١٣.

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى[٢]: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٤]: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

(**قال الله تعالى: قل يا عبادي**) إضافتهم إليه إضافة تشريف وتكريم ليذهب عنهم ما عداهم من خشية المعصية وبعد المخالفة وتخصيصهم بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن (**الذين أسرفوا على أنفسهم**) أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعصية (**لا تقنطوا من رحمة الله**) لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً (**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**) عفواً ولو بعد بعد، وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر، ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾[٥] الآية والتعليل بقوله (**إنه هو الغفور الرحيم**) للمبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم، والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها، وتعليله بأن الله يغفر الذنوب، ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد، وما روي من خصوص نزولها بعياش أو الوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا، أو في وحشي لا ينفي عمومها إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (**وقال تعالى: وهل نجازي إلا الكفور**) أي: هل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر، وفيه إيماء إلى أن المؤمنين لا يجازون كذلك للغفران الكائن لهم بشرف الإيمان (**وقال تعالى**) مخبراً عن موسى وهارون: (**إنا قد أوحي إلينا أن العذاب**) وهو عبارة عن الألم مع الإهانة (**على من كذب وتولى**) وفيه إيماء إلى سلامة من أمن من ذلك، ولا ينافيه ما ورد من تعذيب قوم من أهل التوحيد لأنه ليس لإهانتهم بل لتطهيرهم لما حصل لهم من دنس المخالفة حتى يتأهلوا لدخول الجنة والحلول بها، جعلنا الله من أهل الجنة بمحض الفضل والمنة. (**وقال تعالى**):

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٧.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

٤١٢ ــ وَعَنْ عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـداً عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْـدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاها إِلَى مَرْيَمَ وَروحٌ مِنْه،، وَالْجَنَّةَ والنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا

﴿رحمتي وسعت كل شيء﴾[1] المؤمن والكافر. قال البيضاوي: وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة قوله: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾[2] الآية.

٤١٢ ــ **(وعن عبادة بن الصامت)** الأنصاري الخزرجي، تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الأمر بالمعروف: **(قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد)** أي: علم **(أن لا إله)** أي: لا معبود بحق في الوجود **(إلا الله)** بالرفع بدلاً من محل اسم لا قبل دخولها ولا يجوز الإبدال من محله بعد دخولها لأنها لا تعمل في المعارف. وفي إعرابها بسط ذكرته في باب فضل الذكر وباب التشهد من شرح الأذكار **(وحده)** أي: منفرداً بالألوهية وغيرها من أوصاف الكمال **(لا شريك له)** في ذلك ولا في شيء من أوصافه ولا من أفعاله بل كل ما في الوجود خلق الله وحده، والمراد من صدق بمضمون ذلك وأذعن له بجنانه ونطق به بلسانه، فإن منع من النطق مانع من خرس أو معاجلة منية فهو مؤمن، وإلا فنقل المصنف في أول شرح مسلم الإجماع على كفره، وعورض بأن الغزالي نقل فيه عن جمع أنه مؤمن عاص بترك النطق بها **(و)** شهد **(أن محمداً عبده)** هو أشرف أوصافه فلذا ذكره به في الكتاب في أشرف المواطن كمقام الإسراء وإنزال الكتاب عليه ولذا قدمه على قوله **(ورسوله)** وفيه إيماء إلى ما جنح إليه ابن عبد السلام في تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على إرساله لتعلقها بالخلق، وذلك؛ لأنه قدم العبودية لكونها إضافة إلى الحق له بها شرف على الخلق، والرسالة ليست كذلك وإن كان الأصح عند الجمهور تفضيل الرسالة لوجود التعلق بالحق فيها كالنبوة وزيادتها بالإبلاغ للخلق **(وأن عيسى)** اسم معرب يسوع كما في البيضاوي، قال: واشتقاقه من العيس، وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته **(عبد الله)** خصه بالذكر رداً على النصارى في إنكارهم ذلك، وقولهم: إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك **(ورسوله)** إلى بني إسرائيل **(وكلمته)** سمي به لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الأوامر. قال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق: وسماه كلمة مبالغة لأنه تكلم في غير أوانه وأضيف إلى الله تعالى تعظيماً **(وروح منه)** سماه روحاً لأنه أحيى به الأموات فكان كالروح وأحيى به القلوب من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

Made searchable using ScribeTools.com

كَانَ مِنْ الْعَمل» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»[1].

موت الجهالة، أو لأنه حدث من نفخ الروح كما قال تعالى: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾[2] قيل: كان النافخ جبريل وإضافته إلى الله تعالى لأنه كان بأمره، وفي تفسير البيضاوي أي: ذي روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة **(والجنة والنار)** بالنصب عطفاً على ما قبله أي: وشهد أنهما **(حق)** أي: ثابتان موجودان، وأفرد الخبر مع تثنية المخبر عنه إما لأنه مصدر أو لإرادة كل واحدة منهما **(أدخله الله الجنة على ما فيه من العمل)** أي: على أي: عمل كان سيئاً أو حسناً، وهو حال نحو رأيت فلاناً على أكله أي: آكلاً وفيما نحن فيه لا يجوز أن يقدر عاملاً، لأن العمل غير حاصل وقت الدخول فيقدر مستحقاً بما يناسب عمله من الثواب والعقاب، يعني من مات على الإيمان لا تخرجه الكبائر عن إيمانه فيدخل الجنة، أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار فمفوض إلى مشيئة الله تعالى، قال الطيبي في شرح المشكاة: لا يتصور هذا في حق العاصي الذي مات قبل التوبة إلا إذا دخل الجنة قبل استيفاء العقوبة. فإن قلت: ما ذكرت يستدعي أن لا يدخل أحد من عصاة المؤمنين النار. قلت: اللازم عموم العفو وهو لا يستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عنهم بعد دخولها قبل استيفاء العذاب، فليس يحتم عندنا أن يعذب بالنار أحد من الأمة بل الواجب العفو عن الجميع بموجب وعده حيث قال: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً» **(متفق عليه)** رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، ومسلم في الإيمان، ورواه النسائي في اليوم والليلة، وفي التفسير من سننه كذا قاله المزي في الأطراف. **(وفي رواية لمسلم)** أي: عن عبادة بن الصامت أيضاً رواه الإمام أحمد والترمذي قاله في الجامع الصغير. وقال الحافظ المزي: أخرجه مسلم والترمذي في الإيمان، وأخرجه النسائي في اليوم والليلة، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه **(ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)** ويلزم من شهادته برسالته ﷺ شهادته برسالته بسائر الأنبياء لأن النبي ﷺ جاء بذلك **(حرم الله عليه النار)** أي: الخلود فيها. وأول الحديث كما في مسلم عن الصالحي قال: «دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال لي: مهلاً لم تبك؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا﴾... والتفسير(٦/٣٤٢).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات... (الحديث: ٤٦).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

٤١٣ ــ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها أَوْ أَزْيَدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُها، أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، . . . . . .

لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعته يقول: من شهد الخ».

٤١٣ ــ (وعن أبي ذر) الغفاري **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل)** فيه دليل على عدم كراهة استعمال المضارع، فيه لأن المراد به الدلالة على دوام ذلك وعدم انقطاعه. خلافاً لمن كرهه من السلف لما يدل عليه من التجدد والحدوث، وأوصاف الله تعالى قديمة أزلية، والحديث من الأحاديث القدسية **(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)** أي: عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله، أي: جزاءها مكرراً عشراً لا أنه يكرر نفس الحسنة كذلك، وقد نبه الشيخ زكريا في سورة النساء من حاشيته على البيضاوي على أن هذا أقل مراتب المضاعفة ولذا قال: **(أو أزيد)** وأو فيه يحتمل أن تكون بمعنى بل أي: بل أزيد من ذلك كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾[1] وقال تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[2] وقال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[3] قال البيضاوي: وهذا أي: العشر أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، ولذا قيل: المراد بالعشرة الكثرة دون العدد **(ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها)** قضية العدل **(أوأغفر)** فضلاً وإحساناً، وانظر إلى ما انطوى عليه هذا الحديث من اللطف في جانب الحسنة إضافتها للجائي بها باللام الدالة على الاختصاص تشريفاً وتكريماً، وفي جانب السيئة ترك ذلك إيماء إلى قبح المعصية وإن حقها أن تباعد وتزايل حتى لا تنسب لأحد **(ومن تقرب مني)** أي: من فضلي ورحمتي **(شبراً)** بالمبالغة في المجاهدة وأداء واجب الألوهية **(تقربت منه)** أي: بفضلي وتوفيقي **(ذراعاً ومن تقرب مني)** بذلك **(ذراعاً)** وهو دون ما قبله **(تقربت منه باعاً)** ففيه أن الجزاء على قدر العمل وبحسبه، والباع والبوع بضم الموحدة وفتحها: طول ذراعي الإنسان وعضده

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

Made searchable using ScribeTools.com

وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. مَعْنَى الحَدِيثِ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَإِنْ زَادَ زِدْتُ، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً:

وعرض صدره. قال الباجي: وهو قدر أربعة أذرع **(ومن أتاني يمشي)** وأسرع نحو طاعتي **(أتيته هرولة)** أي: صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى مزيد مشي في وصوله لمراده، والمقصود أن جزاءه يكون على حسب عمله وتقربه، والهرولة بفتح الهاء وسكون الراء: وهي إسراع في المشي دون الخبب. قال المصنف: هذا الحديث من أحاديث الصفات ومستحيل إرادة ظاهره لما فيه من باب التمثيل كما سيأتي، قال القرطبي: إن قيل مقتضى ظاهر الخطاب أن جزاء الحسنة بمثلها إذ الذراع شبران والباع ذراعان وتقدم في الكتاب والسنة أن أقل ما يجازى على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف لا تحصى فما وجه الجمع؟ «قلنا» هذا الحديث ما سيق لبيان مقدار عدد الأجور وعدد تضاعيفها، وإنما سيق لتحقيق أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل قليلاً كان أو كثيراً، وأن الله يسرع إلى قبوله وإلى مضاعفة الثواب عليه إسراع من جيء إليه بشيء فبادر لأخذه وتبشبش له بشبشة من سرته ووقع منه الموقع، ألا ترى إلى قوله «وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» وفي لفظ آخر أسرعت إليه ولا تتقدر الهرولة والإسراع بضعفي المشي، وأما عدد الأضعاف فيؤخذ من حديث آخر لا من هذا الحديث. اهـ. وما ذكره من أن الباغ ذراعان مخالف لما نقله المصنف عن الباجي من أنه أربعة أذرع **(ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة)** تمييز لقراب الأرض أي: بما يقارب ملأها من الخطايا لو كان جسماً وجرماً، وقوله: **(لا يشرك بي شيئاً)** جملة في محل الحال من فاعل لقي **(لقيته بمثلها مغفرة، رواه مسلم)** في كتاب الدعوات، ورواه ابن ماجه في فضائل التسبيح. **(ومعنى الحديث)** أن قوله تعالى: فيه من تقرب مني شبراً إلى قوله: أتيته هرولة ليس على ظاهره لاستحالته على الباقي لما فيه من اعتوار الحركة وغيرها عليه تعالى عن ذلك، بل معناه: من تقرب إلى بطاعتي تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدت. ظاهره أن قوله: وإن زاد زدت تفسير للمراد من قوله: ومن تقرب مني ذراعاً، وفيه ما لا يخفى بل الظاهر أنها أومأت إلى جزاء العامل على عمله الصالح وإن قل، فالجملة الأولى لبيان عظم الثواب على كثرة العمل ومزيد المجاهدة، والثانية لبيان حصول ثواب العمل وإن قل ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[1] والله أعلم. **(وإن أتاني)** أي: أقبل على طاعتي

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

أَيْ صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهـا وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثير في الْوُصولِ إِلَى الْمَقْصُودِ. و «قُرابُ الأَرْضِ» بِضَمِ القَافِ وَيُقَال بِكَسْرِهـا والضَّمُّ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ، وَمَعْناه: مَا يُقَارِبُ مِلْأَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَم[1].

٤١٤ ــ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتانِ؟ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ» . . . . . .

(**يمشي**) أي: يجد ويجتهد (**وأسرع في طاعتي**) حسب طاقته فيها ولم يقدم عليها علائقه (**أتيته هرولة أي: صببت عليه الرحمة صباً وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود**) قال القرطبي: هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب إلى الله تعالى تدل على أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قل عمله، بل يقبله ويثيبه مضاعفاً، ولا يفهم من الحديث الخطأ بنقل الأقدام إلا من ساوى الحمر في الإفهام ا هـ. (**وقراب الأرض بضم القاف، ويقال**) فيما نقله القاضي عياض وغيره (**بكسرها**) مصدر قارب الأمر: إذا داناه، يقال لو أن لي قراب هذا ذهباً أي: ما يقارب ملأه ولو جاء بقراب الأرض بالكسر أيضاً بما يقاربها ا هـ. (**والضم أفصح وأشهر**) مقتضى كلامه في شرح مسلم أن الكسر غريب، وعبارته فيه بضم القاف على المشهور فيخالف ما هنا من أن الكسر مشهور إلا أن الضم أشهر منه ولا مخالفة تأمل. (**ومعناه: ما يقارب ملأها**) بكسر الميم (**والله أعلم**).

٤١٤ ــ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي**) واحد الأعراب وهم سكان البادية من العرب (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال:**) أي: النبي ﷺ (**من مات لا يشرك بالله شيئاً**) أي: من الشرك الجلي أو من المعبودات أي: وحد الله تعالى وأفرده بالعبودية (**دخل الجنة**) قال المصنف: هذا مما أجمع عليه المسلمون ابتداء مع الفائزين إن لم يمت مصراً على الكبائر، وإن مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة وإن شاء أدخله إياها ابتداء بفضله (**ومن مات يشرك به شيئاً**) من الشرك الجلي أو من المعبودات (**دخل النار**) وخلد فيها ولم يخرج منها أبداً ولا فرق بين كتابي وعابد وثن وسائر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء. . . (الحديث: ٢٢).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٣١٥ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: «يَا مُعاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاثاً، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقاً مِنَ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِها النَّاسَ فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: «إِذاً يَتَّكِلوا» فَأَخْبَرَ

الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام ولا من انتسب إليها، ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده أو غير ذلك أما الشرك الخفي من الرياء والسمعة فلا يقتضي أن يؤبد في النار إذا مات صاحبها على الإيمان **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان.

٤١٥ ــ (وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ، ومعاذ) كذا وقفت عليه في نسخ الرياض بالرفع وهو مبتدأ خبره قوله **(رديفه)** بفتح الراء وكسر المهملة وقوله **(على الرحل)** متعلق بالخبر والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها وهو قوله: **(قال: يا معاذ، قال: لبيك)** بتشديد الموحدة أي: إجابة بعد إجابة، وقيل: قرباً منك وطاعة لك، وقيل: أنا مقيم على طاعتك، وقيل محبتي لك، وقيل غير ذلك **(وسعديك)** أي: ساعدت طاعتك مساعدة لك بعد مساعدة فهما مثنيان مراداً منهما التكثير **(قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً)** ظرف لمكرر مقدر وتكرير نداء معاذ لتأكيد الاهتمام بما يخبره به وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه، وثبت في الصحيح «أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لهذا المعنى» قاله المنصف **(قال: ما من)** مزيدة لتأكيد عموم النفي **(عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً)** حال أي: حال كونه صادقاً في ذلك، أو مفعول مطلق أي: شهادة صدقاً أو شهادة صدق فأقيم المضاف مقامه فانتصب انتصابه **(من قلبه)** وهذا القيد لإخراج شهادة اللسان إذا لم يطابقها الجنان كالمنافقين **(إلا حرمه الله على النار)** أي: الخلود فيها فلا ينافي تعذيب بعضهم **(قال)** أي: معاذ **(يا رسول الله ألا أخبر بها الناس)** إدخالاً للسرور عليهم وحثاً على صدق الإيمان وتحريضاً على الإخلاص **(فيستبشروا، قال إذاً يتكلوا)** أي: يتركوا الأعمال ويتكلوا على ذلك فيفوتهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك... (الحديث: ١٥١).

بِهـا مُعَاذٌ عِنْـدَ مَوْتِـهِ تَأَثُّمـاً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قَـولُهُ «تَـأَثُّماً»: أَيْ خَـوْفَـاً مِنَ الإِثْمِ فِي كَتْمِ هَذَا الْعِلْمِ[1].

٤١٦ ــ وَعَنْ أَبِـي هُـرَيْرَةَ أَوْ أَبِـي سَعِيـدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَـا (شَـكَّ الـرَّاوِي وَلَا يَضُرُّ الشَّكُ فِي عَيْنِ الصَّحابِـيِّ لأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ) قَـالَ: لَمَّا كَـانَ يَوْمُ غَـزْوَةِ تَبوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَـأَكَلْنا وَادَّهَنَّـا؟

بذلك عالي المنازل في العقبى، وهو ﷺ لمزيد اهتمامه بأمته واعتنائه بشأنهم لا يريد لهم إلا المنازل العلى، فأشار إلى معاذ بالترك لأنه رأى الثمرة المترتبة عليه أتم من المترتبة على الإعلام **(فأخبر بها)** أي: بالبشارة المدلول عليها بقوله: يستبشرون **(عند موته تأثماً)** مفعول له أي: خروجاً من إثم كتم ما للناس إليه حاجة من الشريعة. وقد جاء الوعيد الشديد في الكتم، قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾[2] الآية. **(متفق عليه)** أخرجاه في الإيمان. **(قوله تأثماً أي: خوفاً من الإثم)** الكائن أو كائناً **(في كتم هذا العلم)** أي: كتم هذا القدر منه.

٤١٦ ــ **(وعن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما)** وقوله أو **(شك الراوي)** أي: وهو الأعمش كما في صحيح مسلم بيان؛ لأن أو للتردد والشك في عين الراوي منهما **(ولا يضر الشك في غير الصحابي لأنهم كلهم عدول)** من خالط الفتن ومن اعتزلها لأنهم فيها بين مجتهد مصيب فله أجران أو مخطىء فله أجر، وإذا كانوا كذلك فلا غرض في تعيين الراوي منهم. وقد قال علمـاء الأثر إذا قال الراوي: حدثني فلان أو فلان وهما ثقتان احتج به بلا خلاف؛ لأن المقصود الرواية عن ثقة سمي وقد حصل. وهذه قاعدة ذكرها الخطيب البغدادي في الكفاية وذكرها غيره وهي في غير الصحابي، ففي الصحابي أولى لعدالتهم أجمعين، قاله المصنف في شرح مسلم **(قال: لما كان يوم)** المراد به هنا الزمن أي: زمن **(غزوة تبوك)** تقدم ضبطه وبيان جواز صرفه وعدمه، ووجه تسميته بذلك وبيان تاريخ الغزوة في باب التوبة أول الكتاب **(أصاب الناس مجاعة)** قال في النهاية: مفعلة من الجوع. اهـ. ومقتضى قول الصحاح وقد جاع يجوع جوعاً ومجاعة أنه مصدر ميمي والجوع ضد الشبع **(قالوا: يا رسول الله)** استئناف بياني كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ؟ فقال: قالوا: يا رسول الله **(لو**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم (١/١٩٩، ٢٠١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات... (الحديث: ٥٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

Made searchable using ScribeTools.com

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلوا» فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ في ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا في أَوْعِيَتِكُمْ» فَأَخَذوا في أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكوا

أذنت لنا) أي: في نحر دوابنا المأكولة كما يدل عليه ما بعده، ولو فيه للتمني فلا جواب لها، ويحتمل كونها الشرطية والجواب محذوف أي: لو أذنت لنا في نحرها **(فنحرنا نواضحنا)** جمع ناضح أصله البعير الذي يستقى عليه الماء، قال في المصباح: ثم استعمل في كل بعير وإن لم ينضح عليه ومنه حديث «أطعمه ناضحك» أي: بعير: «قلت»: وما هنا محتمل لذلك **(فأكلنا)** لحومها **(وادهنا)** من شحومها، وقال صاحب التحرير: ليس المقصود منه ما هو المعروف من الأدهان، إنما معناه لو اتخذنا من شحومها لاتفقنا بذلك أو لكان خيراً أو لكان صواباً أو رأياً مبيناً أو مصلحةً ظاهرة وما أشبه ذلك، وعلى كونها شرطية محذوفة الجواب جرى المصنف في شرح مسلم، ثم قال: وقولهم «لو أذنت لنا» هذا من أحسن أدب خطاب الكبار والسؤال منهم، وهو أجمل من قولهم للكبير: افعل كذا بصيغة الأمر، وفيه أنه لا ينبغي للعسكر أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بدون إذن الإمام، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة ا هـ. **(فقال رسول الله ﷺ: افعلوا)** وذلك مراعاة لمصلحتهم وتقديم الأهم فالأهم وارتكاب أخف الضررين دفعاً لأشدهما **(فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر)** أي: الدواب، سميت بذلك لكونها يركب على ظهورها أو لكونها يستظهر بها ويستعان بها على السفر وإسناد فعلهم وهو نحرها إليه مجاز عقلي لكونه عن أمره فهو كقولهم: بنى الأمير المدينة. وفي الخبر جواز الإشارة على الأئمة والرؤساء وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه **(ولكن)** استدراك عن معنى الكلام السابق أي: لا تنظر لمصلحتهم بذلك لئلا يقل الظهر ولكن انظر إليها بوجه آخر. وهو قوله: **(ادعهم بفضل أزوادهم)** متعلق الظرف أي: يأتون به والجملة في محل الحال، والفضل بفتح الفاء وسكون الضاد مصدر فضل يفضل كنصر ينصر وجاء كنعت ينعت، وهو البقية أي: بالباقي من أزوادهم، وزاد المسافر: طعامه المتخذ لسفره **(ثم ادع الله عليها بالبركة)** أتى بثم إشارة إلى تراخي اجتماعه وانضمامه عن أمرهم بذلك الذي عندهما يكون الدعاء **(لعل الله**

في الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَؤوهُ وَأَكَلوا حَتَّى شَبِعوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِما عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ

أن يجعل في ذلك) قال المصنف: كذا وقع في الأصول التي رأينا وفيه محذوف تقديره: يجعل في ذلك بركة أو خيراً، فحذف المفعول به لأنه فضلة، وأصل البركة كثرة الخير وثبوته، وتبارك الله ثبت الخير عنده **(فقال رسول الله ﷺ: نعم)** بفتح أوليه وهي هنا لكونها بعد الطلب للوعد فهو وعد منه ﷺ يفعل ذلك لتصويبه له **(قال: فدعا بنطع)** فيه أربع لغات مشهورة أشهرها كسر النون مع فتح الطاء وبفتحها وتفتح النون وكسرها مع سكون الطاء فيهما حكاه المصنف في شرح مسلم ولم يبين معناه، وكأنه لوضوحه قال في المصباح: هو المتخذ من الأديم معروف ا هـ. **(فبسطه)** أي: نشره **(ثم دعا بفضل)** أي: بقية **(أزوادهم، قال)** أي: الصحابي الراوي **(فجعل الرجل يجيء بكف)** أي: بملئه **(ذرة)** بتخفيف الراء: نوع من الحبوب معروف قال **(ويجيء الآخر)** بفتح الحاء المعجمة أي: غير من قبله **(بكف تمر)** بفتح المثناة الفوقية، والإضافة فيه وفيما قبله بيانية من إضافة المميز إلى تميزه كخاتم حديد إذ المراد بالكف هنا ملؤه كما قدرنا **(ويجيء الآخر بكسرة)** بكسر الكاف: القطعة المكسورة من الشيء ومنه كسرة الخبز وجمعها كسر كسدرة وسدر كذا في المصباح **(حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير)** حتى في غاية لمقدر أي: جمعوا حتى اجتمع **(فدعا رسول الله ﷺ بالبركة)** في الإتيان بالفاء إيماء إلى مزيد اهتمامه ﷺ بشأن أمته وبما ينفعهم **(ثم قال: خذوا في أوعيتكم)** أي: واجعلوه أي: المأخوذ في أوعيتكم، فمتعلق الظرف محذوف. والأوعية بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر العين المهملة جمع وعاء، وهو ما يوعى فيه الشيء أي: يجمع **(قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى)** عاطفة على عموم الآنية **(وما)** تركوا **(في العسكر)** وهو الجيش قال ابن الجواليقي: فارسي معرب كذا في المصباح **(وعاء إلا ملؤوه قال: فأكلوا)** أي: بعد ملء الأواعي **(حتى شبعوا وفضل فضلة)** تقدم أنه يجوز فتح العين في الغابر وضمها في المضارع وكسرها في الماضي وفتحها في المضارع، وهما كما قال المصنف: لغتان مشهورتان، وأما فضل كعلم يفضل كينصر فمن باب التداخل **(فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)** فيه بيان كيفية إتيانه بشهادته لنفسه بالرسالة، وجاء أنه أذن فقال «وأشهد أن محمداً رسول الله» قال: وفيه أنه ﷺ كان يجب عليه الإيمان برسالته ونبوته **(لا يلقى الله بهما عبد)** بعد موته **(غير شاك)** يجوز رفعه صفة لعبد، وهو الذي رأيته في أصل مصحح، ونصبه حالاً منه لتقدم النفي عليه، والمراد به إخراج المنافقين ممن قال ذلك بلسانه غير موقن بمضمونه بجنانه **(فيحجب)** بالنصب أي: فيمنع

Made searchable using ScribeTools.com

الْجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٤١٧ ـ وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَإِنَّ الْوَادِي

(عن الجنة) بل لا بد من دخولها، إما ابتداء مع الناجين، أو بعد إخراج من النار (رواه مسلم) في كتاب الإيمان.

٤١٧ ـ (وعن عتبان بن مالك) بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السالمي (رضي الله عنه) قال المصنف: كابن الأثير في أسد الغابة (وهو ممن شهد بدراً) قال ابن الأثير: ولم يذكره ابن إسحاق في البدريين وذكره غيره، ولم يخرج له الشيخان غير هذا الحديث الواحد، مات في خلافة معاوية وكان قائماً بديات قومه إلى أن مات رضي الله عنه (قال: كنت أصلي لقومي بني سالم) أي: لأجلهم، والمراد أنه يؤمهم كما صرح به أبو داود الطيالسي إماماً بهم (وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار) أي: يحول السيل الكائن فيه عند مجيء الأمطار (فيشق علي اجتيازه) أي: الجواز فيه والمرور به (قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أي: جهة (مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت له: إني أنكرت بصري) كذا ذكره جمهور أصحاب الزهري، وهو عند البخاري ومسلم في بعض طرقه، وعند مسلم من طريق أخرى «أصابني في بصري بعض الغي» وعند الطبراني «لما ساء بصري» قال الحافظ: وهو ظاهر في أنه لم يعم إذ ذاك، لكن أخرج البخاري من طريق أخرى عن محمود بن الربيع أنه كان يؤم قومه وهو أعمى وأنه قال: يا رسول الله إنها تكون الظلمة والسيل وأنا رجل ضرير البصر «قلت»: وعند مسلم في رواية أنه عمي، وقد جمع المصنف في شرح مسلم بأنه أراد به بعض الشيء في تلك الرواية العمى، وهو ذهاب البصر جميعه. ويحتمل أنه أراد به ضعفه وذهاب معظمه، وسماه عمى في الرواية الأخرى لقربه منه ولمشاركته في فوات بعض ما كان حاصلاً في حال السلامة. قال الحافظ بن حجر: ويجمع بأن قوله إنه كان يؤم قومه، وهو أعمى أراد أن عماه كان حين لقي محمود له وسمع فيه حديثه لا حين سأل عتبان النبي ﷺ. وقوله فيه وأنا ضرير البصر كقوله أنكرت بصري. قال الحافظ: وجمع ابن خزيمة بأن قوله أنكرت بصري يطلق على

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات... (الحديث: ٤٥).

الَّذي بَيْني وَبَيْنَ قَوْمي يَسيلُ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتي فَتُصَلِّي في بَيْتي مَكَاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَفْعَلُ» فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا اشْتَدَّ النَّهارُ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ .....

من في بصره سوء وإن أبصر بصراً ما، وعلى من صار أعمى لا يبصر شيئاً ا هـ. الأولى أن يقال أطلق عليه العمى لقربه منه ومشاركته له في فوات بعض ما كان يعهده حال الصحة، وبهذا تأتلف الروايات، انتهى كلام الحافظ **(وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل)** إسناد السيل إلى الوادي إسناد مجازي من إسناد ما للحال إلى المحل **(إذا جاءت الأمطار فيشق)** بضم الشين المعجمة أي: يصعب **(علي اجتيازه فوددت)** بكسر الدال الأولى أي: تمنيت، وحكى الفراء فتح الدال في الماضي والواو في المصدر، والمشهور في المصدر الضم، وحكي أيضاً الكسر فهو مثلث وتقدم التنبيه عليه في باب فضل بر أصدقاء الأب **(أنك تأتي فتصلي)** هو بإسكان الياء ويجوز النصب لوقوع الفاء بعد التمني إمكاناً ظرف، وقوله: **(أتخذه مصلى)** صفة لمكان. وعند البخاري فأتخذه ويجوز فيه ما جاز في يصلي من الرفع والنصب **(فقال رسول الله ﷺ: سأفعل)** في البخاري بزيادة إن شاء الله، قال الحافظ: هو للتعليق لا لمحض التبرك كذا قيل، ويجوز أن تكون للتبرك لاحتمال إطلاعه بالوحي على الجزم بوقوع ذلك. «قلت»: ويؤيده إدخال حرف التنفيس عليه وتقدم في الكاشف أنها في مثله للتأكيد، قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾[1] لفظه وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر، لكن اعترضه في التقريب بأن سوف للتأخير، وأما جزم وقوعه فمن خارج وهو قرينة إخباره به سبحانه **(فغدا عليّ رسول الله ﷺ)** زاد الإسماعيلي بالغدو، وعند الطبراني في بعض طرقه أن السؤال وقع يوم الجمعة وأن الوصول إليه كان يوم السبت **(وأبو بكر رضي الله عنه)** لم يذكر جمهور الرواة عن الزهري غيره حتى أن في رواية الأوزاعي «فاستأذنا فأذنت لهما» لكن عند مسلم في طريق «فأتاني ومن شاء الله من أصحابه» وللطبراني في طريق آخر «فجاءني في نفر من أصحابه» وجاء في رواية ومعه أبو بكر وعمر، ويحتمل الجمع بأن أبا بكر صحبه وحده ابتداء ثم عند الدخول اجتمع عمر وغيره فدخلوا معه **(بعد ما اشتد النهار قال في النهاية: أي: علي وارتفعت شمسه واستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٢.

Made searchable using ScribeTools.com

أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ! أَلَا تَرَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ

أصلي من بيتك؟) هذا لفظ إحدى روايات البخاري، وهو بين في المراد أي: إنه لم يجلس حتى صلى بخلاف ما وقع منه في بيت مليكة حيث جلس وأكل، ثم صلى لأنه هناك دعي إلى الطعام فبدأ به رهناً إلى الصلاة فبدأ بها، ثم هو هكذا عند رواة البخاري. ووقع عند الكشميهني وحده في بدلها **(فأشرت له إلى المكان الذي أحب)** أي: أريد **(أن يصلي فيه فقام رسول الله ﷺ)** أي: شرع في الصلاة **(وكبر وصففنا)** المفعول محذوف أي: أنفسنا، ويمكن أن لا حذف والمراد فحصل منا التصاف **(وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم)** ففيه صحة الجماعة في النافلة المطلقة وإن كانت لا تشرع فيها **(فحبسته)** عند البخاري فحبسناه أي: منعناه من الرجوع **(على خزيرة)** يأتي ضبطها ومعناها ففيه إكرام الضيف **(تصنع له)** في محل الصفة لما قبله **(فسمع أهل الدار)** أي: المحلة لقوله ﷺ «خير دور الأنصار دار بني النجار أي: محلتهم» والمراد أهلها **(أن رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم)** ثاب بالمثلثة وبعد الألف موحدة أي: اجتمعوا بعد أن تفرقوا. قال الخليل: المثابة مجتمع الناس بعد افتراقهم، ومنه قيل: للبيت مثابة، وفي الحكم يقال ثاب إذا رجع وثاب إذا أقبل. «قلت»: وكلا المعنيين هنا محتمل **(حتى كثر الرجال في البيت فقال رجل منهم)** قال الحافظ: لم يسم هذا المبتدىء **(ما فعل مالك؟ لا أراه)** أي: ابن الدخيشن أو الدخشن بالدال والخاء والشين المعجمتين والنون، شك فيه الراوي عند البخاري هل هو مصغر أو مكبر وعند أحد رواة البخاري بالميم بدل النون. قال الطبراني: عن أحمد بن صالح الصواب الدخشم بالميم. قال الحافظ: وهي رواية أبي داود الطيالسي وكذا لمسلم في بعض طرقه **(فقال رجل)** قيل هو عتبان، واستدل قائله لتسمية المبهم به بما لا دليل فيه على دعواه **(ذلك منافق لا يحب الله ورسوله)** تقدم أن محبة العبد لله وللرسول المراد منها انقياده لأحكامهما والدخول بالرضا تحت طاعتهما **(فقال رسول الله ﷺ: لا تقل ذلك)** أي: أنه منافق **(ألا تراه)** أي: ما تعلمه **(قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى)** فيه شهادة

اللَّهِ تَعَالَى؟» فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّهِ لَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُنَافِقِينَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«عِتْبَانَ» بِكَسْرِ العَينِ المُهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوْق، وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ. و«الْخَزِيرَةُ» بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ والزَّايِ هِيَ: دَقِيقٌ يُطْبَخُ بِشَحْمٍ. . . . . .

منه ﷺ بالإيمان له. قال ابن عبد البر: لم يختلف في شهود مالك بدراً وهو الذي أسر سهيل بن عمرو، ثم ساق الحديث بإسناد حسن عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لن تكلم فيه «أليس قد شهد بدراً» قال الحافظ العسقلاني: وفي مغازي ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث مالكاً ومعن بن عدي فحرقا مسجد الضرار فدل على أنه بريء من النفاق، أو كان قد أقلع عن ذلك أو النفاق الذي اتهم به نفاق العمل لا نفاق الكفر، وإنما أنكر عليه الصحابة لتردده للمنافقين ولعل له عذراً في ذلك كما وقع لحاطب **(فقال: والله ورسوله أعلم، أما)** بتشديد الهمزة[1] أداة متضمنة لمعنى الشرط **(نحن فوالله لا نرى)** أي: نعلم **(وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين)** الظاهر أنه متعلق بوده، وإلى فيه بمعنى اللام فإن الود تعدى بها ومفعول حديثه محذوف **(فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد حرّم على النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله)** وقوله **(يبتغي بذلك)** أي: القول **(وجه الله)** لإخراج من نافق بها لحقن دمه وحفظ ماله فلا يكون كذلك. والمراد من تحريمها على المؤمن الحقيقي تحريم خلوده فيها كما تقدم أو تحريم الدخول في طبقة الكفار الخاصة بهم لا الطبقة المعدة لعصاة المؤمنين، أو المراد تحريم دخولها بشرط حصول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيىء والله أعلم **(متفق عليه)** رواه البخاري في مواضع من صحيحه وهذا سياقه في بعضها، ورواه مسلم في كتاب الإيمان بنحوه **(وعتبان بكسر العين المهملة)** قال: في شرح مسلم: هذا هو الصحيح المشهور الذي لم يذكر الجمهور سواه. قال صاحب المطالع: وقد ضبطناه من طريق ابن سهل بالضم أيضاً. اهـ. وكذا قال في المغني نقل عن الزركشي بكسر العين وقد تضم، ومقتضى قول الحافظ في الفتح بكسر العين ويجوز ضمها جوازهما معاً والله أعلم **(وإسكان المثناة الفوقية بعدها باء موحدة)** وبعد الألف نون **(والخزيرة بالخاء المعجمة)** المفتوحة **(والزاي)** المكسورة وحكى في المطالع أنها رويت في الصحيحين بحاءين وراءين مهملات **(هي دقيق يطبخ بشحم)** وقال ابن قتيبة: يصنع من لحم صغار ثم يصب عليه ماء

---

(١) كذا في أصله وصوابه تشديد الميم إذ الهمزة لا تشدد. ع

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَوْلُهُ: «ثَابَ رِجَالٌ» بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ: أَيْ جَاؤوا واجْتَمَعُوا(١).

٤١٨ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟» قُلْنا:

كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهو عصيدة، وكذا ذكره يعقوب وزاد من لحم بات ليلة، قال: وقيل: حساء من دقيق فيه دسم، وحكي في الجمهرة نحوه. قال في النهاية: وزاد وقيل: إذا كان من دقيق حريرة وإذا كان من نخالة فخزيرة، وحكى الأزهري عن أبي الهيثم أن الحريرة من النخالة، وكذا حكاه البخاري في الأطعمة عن النضر بن إسماعيل، قال عياض والمراد بالنخالة دقيق لم يغربل، قال الحافظ في الفتح: ويؤيد هذا التفسير قوله في رواية الأوزاعي عند مسلم فحبسناه على جشيشة بجيم ومعجمتين. قال أهل اللغة: أن تطحن الحنطة قليلاً ثم يلقى فيها شحم أو غيره ا هـ. **(وثاب رجال بالثاء المثلثة)** وآخره باء موحدة **(أي: جاؤوا واجتمعوا)** تقدم بسطه.

٤١٨ ـ **(وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم)** بالبناء للمفعول **(على النبي ﷺ بسبي)** أحد الظرفين نائب الفاعل والآخر في محل الحال والسبي بفتح المهملة وسكون الموحدة مصدر سبى كرمى يرمي والمراد منه اسم المفعول أي: المسبي **(فإذا)** فجائية **(امرأة)** مبتدأ، وقوله: **(من السبي)** في محل الصفة له والخبر جملة **(تسعى)** هذه رواية البخاري بالسين المهملة من السعي ورواية مسلم تبتغي بالموحدة والفوقية، من الابتغاء وهو الطلب. قال القاضي عياض: ورواية مسلم وهم والصواب ما في رواية البخاري، قال المنصف: كلاهما صواب لا وهم فيه فهي ساعية وطالبة ومبتغية لابنها **(إذا)** ظرفية مضمنة معنى الشرط أي: كل وقت **(وجدت صبياً)** الظاهر أن المراد به ما يشمل الأنثى أي: رضيعاً **(في السبي أخذته فألزقته ببطنها)** رحمة له **(فأرضعته)** لذلك **(فقال رسول الله ﷺ: أترون)** يحتمل أن تكون بفتح الفوقية أي: أتعتقدون؟ وأن يكون بضمها أي: أتظنون؟ **(هذه المرأة)** مفعول أول على الأول وثان على الثاني، والمرأة نعت، واسم الإشارة بدل، أو عطف بيان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: إذا زار الإمام قوماً فأوم في أبواب الجماعة والإمامة (٣/٤٩، ٥٠).

وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف... (الحديث: ٢٦٣).

لَا واللَّهِ. فَقَالَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤١٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي وَفي رِوَايَةٍ: سَبَقَتْ غَضَبِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٤٢٠ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ

عليه (طارحة) حال على الوجه الثاني و(ولدها) مفعول طارحة، و(في النار) متعلق بطارحة (قلنا لا) أي: لا نرى ذلك وأكد عدم اعتقاد ذلك بالقسم فقال: (والله، فقال) أي: النبي ﷺ (الله) وفي نسخة من البخاري «والله لله» بإدخال لام القسم عليه وفي أخرى لله من غير قسم قبله فاللام حينئذ إما للتوكيد أو جواب قسم مقدر (أرحم بعباده من هذه بولدها. متفق عليه) أخرجه البخاري في الأدب ومسلم في التوبة.

٤١٩ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله الخلق كتب في كتاب) أي: من صحف الملائكة وإلا فأقضية الله قديمة أزلية (فهو) ضمير شأن والخبر جملة إن مع اسمها وخبرها (عنده فوق العرش) ظرفان في محل الحال حذف عاملهما أي: اعنيه حال كونه عنده، عندية شرف ومكانة فوق العرش (إن رحمتي تغلب غضبي. وفي رواية) أي: لهما (سبقت غضبي) قال المصنف: قال العلماء: غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة، فإرادته الإثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضاه ورحمته، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه يسمى غضباً، وإرادته سبحانه صفة له قديمة يريد به جميع المراد، قالوا: والمراد بالسبق والغلبة هذا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه اهـ. (متفق عليه) رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في التوبة.

٤٢٠ ــ (وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء) قال الدماميني وفي تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح: اعلم أنه يجوز عند المتكلمين في تأويل ما لا يسوغ لنسبته إلى الله تعالى على حقيقته اللغوية وجهان أحدهما،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الوالد (١٠/ ٣٦٠، ٣٦١).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله... (الحديث: ٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ وفي بدء الخلق باب: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ (٣/ ٣٢٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله... (الحديث: ١٤، ١٥).

Made searchable using ScribeTools.com

مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ،

الحمل على الإرادة فيكون من صفات الذات، والآخر، الحمل على فعل الإكرام فيكون من صفات الفعل، كالرحمة فإنها في اللغة مشتقة من الرحم، وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلي، وهذا مستحيل من الباري سبحانه، فمنهم من يحملها على إرادة الخير، ومنهم من يحملها على فعل الخير، ثم بعد ذلك يتعين أحد التأويلين في بعض السياقات لمانع يمنع من الآخر. مثالها ههنا فيتعين تأويلها بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الأشعري، فيتسلط الخلق عليها ولا يصح تأويلها هنا بالإرادة؛ لأنها من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالإرادة في قوله تعالى: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾[1] لأنك لو حملتها على الفعل لكانت العصمة بعينها فيكون استثناء الشيء من نفسه، وكأنك قلت: لا عاصم إلا العاصم، فتكون الرحمة الإرادة به والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات كأنه قيل: لا يمتنع من المحذور إلا من أراد الله له السلامة. ا هـ. هذا وقد جاء في رواية لمسلم «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض» (**فأمسك عنده تسعة وتسعين**) جزءاً، وفي رواية وأنه أخر عنده تسعة وتسعين رحمة (**وأنزل في الأرض جزءاً واحداً**) وفي رواية «وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة» (**فمن ذلك الجزء**) من يحتمل أن تكون تعليلية، وأن تكون بمعنى الباء أو الابتداء أو التبعيض (**يتراحم الخلائق**) في رواية «فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها» (**حتى ترفع الدابة حافرها**) هو للفرس وللحمار بمنزلة الظلف من البقر والخف من الجمل (**عن ولدها خشية**) مفعول له (**أن تصيبه**) وخص ذو الحافر بالذكر، قال ابن أبي جمرة: لأنه أشد الحيوان المألوف الذي يرى المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها (**وفي رواية**) أي: لهما من حديث أبي هريرة كما يقتضيه قول المصنف بعد «متفق عليه» ولكن رأيته في باب التوبة من مسلم ولم أره في أبواب الأدب من البخاري (**إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس**) الظرف محتمل للحالية لوصف النكرة، والوصفية لنكارتها (**والبهائم**) جمع بهيمة. قال البيضاوي: والبهيمة كل حي لا يميز، وقيل كل ذات أربع. قال القرطبي: سمي بهذا لأنه بهم عن أن يبين، قال الراغب: البهيمة ما لا نطق له من الحيوان ثم خص في التعارف بما عدا السباع والطير. ثم

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٣.

فَبِهَا يَتَعاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ أَيْضاً مِنْ رِوَايَةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحَمُ بِها الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسْعونَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ» وَفِي رِوَايَةٍ «إِنْ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِباقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْها فِي الأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا . . . . . .

استعملت في الأزواج الثمانية إذا كان فيها الإبل وسمي بذلك لإبهامه الأمر وكتمه **(والهوام)** بتشديد الميم جمع هامة: وهي الحشرات وفي الفتح الهوام بتشديد الميم جمع هامة وهي ما يدب من الأحناش **(فيها)** أي: بتلك الرحمة **(يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش)** بفتح الواو، وهو ما لا يستأنس من دواب البر كذا في المصباح، وهو اسم جنس فلذا أعاد الضمير عليه مؤنثاً فقال: **(على ولدها وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)** ففيه إيماء إلى مزيد الكرم وتقوية الرجاء في فضل المولى سبحانه **(متفق عليه)** أخرجه البخاري بالرواية الأولى في الأدب، ومسلم بروايته في التوبة. **(وفي رواية مسلم)** في باب التوبة **(أيضاً)** انفرد بها عن البخاري وغيره **(من رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تعالى)** دون غيره كما يؤذن به تقدم ما حقه التأخير وهو الخبر الظرف على الاسم وهو قوله **(مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم)** بمعنى المجرد والعدول إلى التفاعل للمبالغة أي: يرحم **(بها الخلق بينهم وتسع)** وفي نسخة مصححة من مسلم وتسعة بالتاء آخره **(وتسعون ليوم القيامة)** يحتمل أن تكون الواو عاطفة ويكون تسع مبتدأ خبره محذوف تقديره منها. دل عليه ذكره في الجملة قبلها، والظرف حال سوغه خصوص المبتدأ بتقديم خبره الظرفي عليه، ويحتمل أن يكون الظرف الخبر، والأول أنسب بمقام التفصيل **(وفي رواية)** هي أسلم في باب التوبة أيضاً **(إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة)** أي: مائة نوع من الأنعام والأفضال كما تقدم الإيماء عليه في كلام البدر **(كل رحمة طباق)** بكسر الطاء المهملة قال في النهاية أي: غشاء **(ما بين السماء والأرض)** أي: ما يملأ ذلك لو كان جسماً من كبره وعظمه **(فجعل منها في الأرض رحمة فيها)** أي: بسببها، ويحتمل أن تكون للتبعيض كهي في قوله تعالى: ﴿يشرب بها عباد الله﴾[1] ويؤيده أنها تعود في الآخرة وتكمل بها المائة فما ظهر في الدنيا بعض ثمراتها والبعض إلى الآخرة أي:

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.

Made searchable using ScribeTools.com

تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[1].

٤٢١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْباً فَعَلِمَ

فبعضها **(تعطف)** بكسر الطاء **(الوالدة على ولدها)** قال: في المصباح: عطفت الناقة على ولدها عطفاً من باب ضرب: حنت عليه ودر لبنها ا هـ. **(والوحش والطير)** قال أبو عبيدة: وقطرب **والطير** يقع على الواحد والجمع، وقال ابن الأنباري: **الطير** جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير، ولا يقال للواحد طير بل طائر وقل ما يقال للإنسان[2] طائرة. وفي المصباح أنه جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار **(بعضها)** مبتدأ، وقوله **(على بعض)** أي: يعطف وحذف مع كونه كوناً لدلالة ما قبله عليه، ويجوز إعراب بعضها بدلاً مما قبله بدل بعض من كل **(فإذا كان)** أي: وجد **(يوم القيامة)** وأتى بإذا الشرطية لتحقق الأمر **(أكملها)** أي: التسعة والتسعين المدخرة عنده **(الله بهذه الرحمة)** قال المصنف: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله به عليه، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء والله أعلم.

٤٢١ ـ (وعنه) أي: عن أبي هريرة لا عن سلمان كما قد يتوهم من كونه أقرب **(عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تعالى قال. إذا أذنب)** أي: أثم **(عبدي ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي)** في الإتيان بالفاء إيذان بوجوب المبادرة إلى التوبة عقب المخالفة **(فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي)** إضافة تشريف، هذا من كمال الكرم ومزيد الفضل أنه من فضله عليه بعفوه عنه أضافه إليه إضافة تشريف وتكريم **(ذنباً فعلم أن له رباً)** كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك في نسخة مصححة من مسلم، وفي أخرى منه بإثباتها وهو في صحيح

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، وفي الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف (١٠/٣٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله... (الحديث: ١٧).

(٢) هكذا بالأصل ولعله للأنثى. ع

أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أي رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» . . . . . .

البخاري بلفظ «فقال ربه، أعلم عبدي أن له رباً؟» وعلى هذا المعنى يحمل ما حذف منه الفاء والهمزة، أي: اعلم أن له رباً، والاستفهام ليس على حقيقته، ولا يجوز أن يكون مما حذف فيه العاطف؛ لأنه لا يحذف إلا الواو فقط عند أمن اللبس **(يغفر الذنوب جميعاً)** أي: الكثيرة فما بالك بالذنب الواحد **(ثم عاد)** أي: بعد التوبة منه إليه أو إلى ذنب آخر **(فأذنب فقال أي:)** بفتح الهمزة المقصورة، وحكى الكسائي أنها قد تمد أيضاً كما قاله المرادي قال: وحكى بعضهم أنها قد تمد إذا بعدت المسافة فيكون المد لها دليلاً على البعد وسكون الياء حرف نداء، قيل للتعدية وعليه فأتى بها لكونه كالبعيد من حيث أنه لا يراه أحد سوى المصطفى ﷺ من العباد في الدنيا بالعين الشحمية، وقيل إنها للقرب كالهمزة وعليه فالنداء بها لكونه أقرب إلى كل من حبل الوريد، ونادى ثانياً بأي: لما يومىء إليه العود إلى الذنب من البعد وقلة الاهتمام بالديانة وعقب النداء بقوله (رب) بكسر الموحدة الدالة على الياء المضاف إليها المحذوفة، ويحتمل أن يكون بفتحها دلالة على الألف المحذوفة المنقلبة إليها آلياً تخفيفاً، ويحتمل أن يكون بضمها وهذه الوجوه الثلاث من جملة اللغات الست الجائزة في المضاف الياء من مثله، وكان النداء للفظ الرب توسلاً إلى التكميل والتخليص من نقص المخالفة، فإن الرب هو الذي يربي الشيء ويبلغه إلى كماله **(اغفر لي ذنبي فقال الله تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب)** أي: إن شاء ال فيه للجنس فيساوي لكونه مفرداً محلى بأل الجنسية الذنوب في العموم والشمول **(ويأخذ)** أي: يعاقب **(بالذنب)** وأتى به مظهراً تقبيحاً له وتنبيهاً على داعي الأخذ وهو المخالفة **(ثم عاد فأذنب ذنباً فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي)** أي: لتوبته الصحيحة المشير إليها «قوله: اللهم اغفر لي» أو بمحض الفضل وإن لم يتب، والأول أقرب وسيأتي في كلام المصنف ما يقويه **(فليفعل ما شاء)** أي: من الذنب المعقب بالتوبة الصحيحة، ففيه أن التوبة الصحيحة لا يضر فيها نقض بالذنب ثانياً بل مضت على صحتها ويتوب من المعصية الثانية وهكذا

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ تعالَى: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»: أَيْ مَا دَامَ يَفْعَلُ هَكَذَا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا»(١).

٤٢٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرون اللَّهَ تعالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

٤٢٣ ـ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

(**متفق عليه**) والسياق لمسلم أخرجه في التوبة وأخرجه البخاري بنحوه في التوحيد (**وقوله: فليفعل ما شاء أي: ما دام يفعل هكذا**) أي: مدة دوامه يفعل ذلك، فما فيه مصدرية ظرفية وهو ظرف لقوله اغفر له وقوله هكذا فيه إجمال بينه بقوله (**يذنب ويتوب**) أي: فلا يتوهم منه إباحة المخالفة واكتساب الآثام (**اغفر له**) وبين حكمته ذلك بقوله (**فإن التوبة**) الصحيحة الجامعة لشروطها ومعتبراتها (**تهدم**) بكسر الدال المهملة أي: تسقط (**ما قبلها**) أي: من الذنب.

٤٢٢ ـ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده) أي: بقدرته، والقسم أتى به لتأكيد المقام وتقويته عند السامع (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله**) أي: عقب الذنب فوراً (**فيغفر لهم. رواه مسلم**).

٤٢٣ ـ (وعن أبي أيوب الأنصاري) واسمه زيد بن خالد وتقدمت ترجمته (**رضي الله عنه**) في باب بر الوالدين وصلة الأرحام، قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم. رواه مسلم**) وأحمد والترمذي كما في الجامع الصغير. ورواه مسلم أيضاً بلفظ «لو أنكم لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (١٣/٣٩٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب... (الحديث: ٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار... (الحديث: ١١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار... (الحديث: ٩، ١٠).

٤٢٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا قُعوداً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنا فَأَبْطَأَ عَلَينا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا فَقُمْنا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطاً لِلْأَنْصَارِ ــ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ .....

وبهذا اللفظ أورده الصغاني في المشارق ورمز بالقاف التي هي للمتفق عليه، وقد رواه أحمد عن ابن عباس بلفظ لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون ليغفر لهم قال ابن مالك: ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب بل كان صدوره لتسلية الصحابة وإزالة شدة الخوف عن صدورهم؛ لأن الخوف كان غالباً عليهم حتى فر بعضهم إلى رؤوس الجبال للعبادة، وبعضهم اعتزل النساء، وبعضهم النوم. وفي الحديث تنبيه على رجاء مغفرة الله تعالى وتحقق أن ما سبق في علمه كائن؛ لأنه سبق في علمه تعالى أنه يغفر للعاصي، فلو قدر عدم عاص لخلق الله من يعصيه فيغفر له.

٤٢٤ ــ **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** كنا قعوداً) بضم أوله جمع قاعد (مع رسول الله ﷺ، معنا) بفتح العين من مع فيها على الظرفية هذه هي اللغة المشهورة ويجوز تسكينها في لغة حكاها صاحب المحكم والجوهري وغيرهما، وهي للمصاحبة قال صاحب المحكم: مع اسم معناه الصحبة (أبو بكر وعمر في نفر) بفتح أوليه جمع الرجال من الثلاثة إلى التسعة، وقيل إلى السبعة (فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا) أي: من بيننا بإقحام المضاف وزيد لظهور كونه بينهم (فأبطأ علينا) أي: تأخر مجيئه عنا كما في المصباح (وخشينا أن يقتطع) بالبناء للمفعول أي: يؤخذ (دوننا) ولعل ذلك كان قبل نزول قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾[1] أو بعده وخافوا أن يصيبه من الضرر ما دون القتل (ففزعنا) بكسر الزاي، الفزع يأتي بمعنى الروع ويأتي بمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به وبمعنى الإغاثة. قال القاضي عياض: فتصح هذه المعاني الثلاثة أي: ذعرنا باحتباسه ﷺ عنا ألا تراه كيف قال: وخشينا أن يقتطع دوننا، ويدل على الوجهين الأخيرين قوله أي: خفنا أي: حصل لنا خوف وحذف المعمول؛ لأن القصد حصول الفعل دون تعلقه بمعمول (فقمنا فكنت أول من فزع أي:) خاف (فخرجت أبتغي) أطلب (رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار) حتى فيه للغاية لمقدر تقديره فسرت والحائط البستان وجمعه حوائط. قال المصنف: سمي حائط؛ لأنه لا سقف له (وذكر الحديث بطوله) أي: مما لا يتعلق غرض

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

Made searchable using ScribeTools.com

إِلَى قَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٤٢٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي

الترجمة به فلذلك حذفه ويؤخذ منه كما تقدم التنبيه عليه جواز تقطيع الحديث إذا كان لا تعلق للمأتي به بالمحذوف بأن لا يكون غاية ولا استثناء ولا نحو ذلك **(إلى قوله فقال رسول الله ﷺ)** مخاطباً لأبي هريرة **(اذهب فمن لقيته)** بكسر القاف **(وراء هذا الحائط)** أي: البستان **(يشهد أن لا إله إلا الله)** أي: مع قرينتها التي لا يعتد بها إلا معها وهي: محمد رسول الله كما تقدم نظيره **(مستيقناً بها قلبه)** أي: موقناً بها قلبه والسين فيها للمبالغة؛ لأن كثرة المبني تدل على زيادة المعنى غالباً، وخرج بها المنافق **(فبشره بالجنة)** أما ابتداء أن مات عقب الإسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الإسلام بمدة ولم يفعل معصية أو فعلها وكانت صغائر وله حسنات لم تغلب عليها المعاصي أو كانت كبائر فتاب منها، أو بعد إدخال النار مدة أن مات على صغائر زايدة على حسناته أو على كبيرة ولم يتب منها، ويجوز أن يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء، قال تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾(٢) وحذف المصنف ما أشار به عمر من ترك هذا التبشير مخافة مما يترتب عليه من ترك صالح العمل المقتضي لغوات المراتب العلية في الجنة فوافقه ﷺ على ذلك لعدم تعلق غرض الترجمة به **(رواه مسلم)**.

٤٢٥ ــ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا) أي: قرأ **(قول الله تعالى في قصة إبراهيم ﷺ)** رب أي: يا رب بكسر الموحدة وحذف حرف النداء لمزيد الشهرة المستغني به عن النداء الكائن للبعيد عادة **(إنهن)** يعني الأصنام **(أضللن)** أي: أوقعن في الضلال **(كثيراً من الناس)** وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾(٣) **(فمن تبعني)** على ديني **(فإنه مني)** أي: بعضي لا ينفك عني في أمر الدين **(ومن عصاني فإنك غفور رحيم)** تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة، قال البيضاوي: وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك، إلا أن الوعيد فرق بينه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات... (الحديث: ٥٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[١] الآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ــ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ــ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٣].

وبين غيره ا هـ. وهذا مذهب الأشعري. وذهب الماتريدي إلى استحالة ذلك عقلاً وعدم إمكانه أصلاً، قال؛ لأن ذنبه لقبحه منع من الجوار العفو **(وقال)** مصدر معطوف على قول الله تعالى، قال القاضي عياض: قال هو اسم للقول لا فعل، يقال قال قولاً وقالاً وقيلاً كأنه قال وتلا **(عيسى ﷺ: إن تعذبهم فإنهم عبادك)** أحقاء بالتعذيب؛ لأنك المالك المتصرف **(وإن تغفر لهم)** أي: للمؤمنين منهم **(فإنك أنت العزيز الحكيم)** تلخيصه إن تعذب فعدل وإن تغفر ففضل **(فرفع)** ﷺ **(يديه وقال: اللهم أمتي أمتي)** أي: ارحمهم أو الحظهم أو نحو ذلك فهو مفعول به بعامل محذوف، ويجوز أن يكون مبتدأ. أي: أمتي عبادك فنعمتك فيهم فضل وعقابك عدل **(وبكى)** خضوعاً لله وتذللاً له **(فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد)** وقوله **(وربك أعلم)** جملة معترضة أتي بها لدفع توهم أن الاستفهام منه تعالى على حقيقته، وهو استكشاف ما يجهله المستفهم، بل علمه تعالى محيط بجميع المعلومات قبل وجودها فيه وفيه وبعد انقضائها، وقوله **(فسله ما يبكيك)** معطوف على جملة اذهب، وهو هكذا في الأصول سله بحذف همزة الوصل والهمزة عين الفعل والأصل اسأله فنقلت حركة الهمزة إلى السين فحذفت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها والهمزة المنقول حركتها لالتقاء الساكنين والاستفهام معلق للسؤال عن الجملة بعده **(فأتاه جبريل إظهاراً لشرف المصطفى ﷺ وأنه بالمحل الأعلى عند مولاه فيسترضى ويكرم بما يرضيه فأخبره ﷺ بما قال)** أي: من قوله: أمتي أمتي **(وهو)** أي: الله **(أعلم)** أي: بما قال نبيه ﷺ **(فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك)** هو موافق لقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[٤] **(ولا نسؤك)** قال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى أي: لا نخزيك؛ لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك خزياً بل ننجي الجميع **(رواه مسلم)** قال المصنف: في الحديث أنواع من

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦. (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: دعاء النبي ﷺ... (الحديث: ٣٤٦).

(٤) سورة الضحى، الآية: ٥.

Made searchable using ScribeTools.com

٤٢٦ ــ وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللَّهِ؟قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ

الفوائد: منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة، زادها الله شرفاً بقوله: سنرضيك في أمتك، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، ومنها بيان عظمة النبي ﷺ.

٤٢٦ ــ **(وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف)** بكسر الراء وسكون الدال المهملة هذه الرواية المشهورة وهي التي ضبطها معظم الرواة. وحكى القاضي عياض أن أبا علي الطبري الفقيه الشافعي أحد رواة الكتاب ضبطه بفتح الراء وكسر الدال، قال: والرديف هو الراكب خلف الراكب، يقال منه ردفته أردفه بكسر الدال في الماضي وفتحها في المضارع: إذا ركبت خلفه. قال القاضي عياض: ولا وجه لرواية الطبري إلا أن يكون فعل هذا، اسم فاعل مثل عجل إن صحت رواية الطبري ا هـ. **(النبي ﷺ على حمار)** جاء في رواية أخرى لمسلم على حمار يقال له عنبر بضم المهملة وفتح الفاء وسكون التحتية: قال المصنف: وهو يقتضي أن يكون في مرة غير المرة المقدمة في الحديث السابق فإن الرحل يخص البعير، قال: ويحتمل أن يكونا قصة واحدة. «قلت»: وتجوز بالرحل عما يرحل عليه على مطلق الدابة والله أعلم **(فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله)** قال صاحب التحرير: اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، والله سبحانه هو الحق الموجود الأزلي الباقي الأبدي والموت والجنة والنار حق أي: إنها واقعة لا محالة فحق الله على العباد ما يستحقه عليهم وحقهم عليه معناه محقق لا محالة ا هـ ملخصاً. وقال غيره: قول الرجل: حقك واجب علي أي: متأكد قيامي به قاله المصنف **(قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد)** أي: واجبه الثابت عليهم **(أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)** من المعبودات **(وحق العباد)** بالنصب عطفاً على ما قبله، ويجوز الرفع على الابتداء والواو عاطفة للجملة أو مستأنفة **(على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)** أي: وإدخال بعض عصاة المؤمنين النار ليس من العذاب؛ لأن العذاب فيما قال بعضهم الألم مع الإهانة والإذلال، والله تعالى إذا أدخل المؤمن النار فهو لتطهيره حتى يتأهل لمنازل الأخيار **(فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس)** أي: أسكت عن نشر ذلك فلا أبشر

النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٢٧ ــ وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى(٢): ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

٤٢٨ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِها طُعْمَةً .....

الناس (**قال: لا تبشرهم فيتكلوا**) رجح ﷺ مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحث على الإكثار من صالح العمل على التبليغ لما قد يؤدي إليه من التعطيل (**متفق عليه**) رواه البخاري في التوحيد ومسلم في الإيمان.

٤٢٧ ــ (**وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: المسلم**) الحقيقي (**إذ سئل في القبر**) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به، وهما الملكان الموكلان بذلك منكر ونكير والمسؤول عنه للعلم به أي: **سئل** عن ربه ونبيه (**يشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**) أي: الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم (**متفق عليه**) رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار، ورواه النسائي في الجنائز.

٤٢٨ ــ (**وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الكافر**) بأي: نوع من أنواع الكفر (**إذا عمل حسنة**) أي: طاعة لا تتوقف على نية كإعتاق وتصدق وإطعام محتاج، أما المتوقفة عليه كالصيام والصلاة فلا تصح منه لفقد شرط النية المتوقفة عليه من الإسلام، وإنما حكم بصحة غسل الكتابية من نحو الحيض فحلت لحليلها للضرورة ولذا تجب إعادته إذا أسلمت (**أطعم**) بالبناء للمجهول (**بها طعمة**) بضم الطاء وسكون العين المهملتين، وهو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى... (٦/٤٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات... (الحديث: ٤٩).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: في تفسير سورة إبراهيم (٣/١٨٤ و٨/٢٨٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة... (الحديث ٧٣٠).

Made searchable using ScribeTools.com

مِنَ الدُّنْيا، وَأَمَّا الْمُؤمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيا عَلَى طَاعَتِهِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً؛ يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيا، وَيُجْزى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٤٢٩ ــ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ

الرزق وجمعه طعم كغرفة وغرف قاله في المصباح **(من الدنيا)** في محل الصفة لطعمة فيكون ذلك حظه من عمله الذي جاء به **(وأما المؤمن)** ظاهره وإن كان فاسقاً، ويحتمل تخصيصه بكاملي الإيمان **(فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة)** أي: ثوابها إلى الآخرة. وقد يجزي بها مع ذلك في الدنيا أيضاً كما قال **(ويعقبه)** بضم التحتية أي: يعطيه مع ذلك **(رزقاً في الدنيا على طاعته)** ولا مانع من جزائه بها فيهما، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده، قاله المصنف. **(وفي رواية)** هي لمسلم أيضاً **(إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة)** أي: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته، والظلم يطلق بمعنى النقص. وحقيقة الظلم محالة في حقه تعالى **(يعطى)** بالبناء للمفعول **(بها في الدنيا)** أحد الظرفين نائب الفاعل والآخر في محل الحال **(ويجزى بها)** أي: ثواباً مع ذلك **(في الآخرة)** وجملة يعطى الخ استئنافية جواب ما يقال ماذا يكون له بها **(وأما الكافر فيطعم)** بالبناء للمفعول أي: يرزق **(بحسنات ما عمل بها)** الباء الأولى للسببية والثانية للبدل أي: بدلها، وقوله (لله) في محل الحال من فاعل **عمل**. وفيه تنبيه على أن جزاء الكافر على عمله بالحسنة الدنيوية إنما هي فيما إذا كان العمل الصالح لله لا لرياء أو سمعة. وفيه إيماء إلى إحباطهما ثواب العمل وصفة الثواب دنيا وأخرى **(حتى إذا أفضى)** أي: صار **(إلى الآخرة)** أي: وقد مات على كفره **(لم يكن له حسنة يجزى بها)** أما إذا أسلم الكافر على مثل هذه الحسنات فيثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح **(رواه مسلم)** في آخر أبواب صفة الجنة والنار.

٤٢٩ ــ (وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثل) بفتح أوله وثانيه المثلث تقدم معناه **(الصلوات الخمس كمثل)** الكاف زائدة **(نهر)** بسكون الهاء ويجوز فتحها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: جزاء المؤمن بحسناته... (الحديث: ٥٦).

مُسْلِمٌ. «الْغَمْرُ» الْكَثِيرُ(١).

٤٣٠ ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

٤٣١ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا

وهما لغتان في كل ما كان هكذا وعينه حرف حلق كشعر ونحر (جار) جاء في رواية عند أحمد بزيادة «عذب» قال في النهاية الماء العذب هو الطيب الذي لا ملوحة فيه (غَمر) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم، أي: يغمر من دخله ويغالبه (على باب أحدكم) أشار به إلى سهولته وقرب تناوله (يغتسل منه كل يوم خمس مرات) زاد في رواية أحمد: فما بقي ذلك من الدنس، وما فيه استفهامية والدنس الوسخ أي: كما أن الغسل المكرر كذلك يذهب الدنس الحسي كذلك الصلوات الخمس مذهبة للدنس المعنوي (رواه مسلم) في كتاب الصلاة والإمام أحمد في مسنده بزيادة نبهت عليها (الغمر: الكثير) كما في النهاية.

٤٣٠ ــ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من) زائدة لتأكيد العموم المستفاد من (رجل مسلم) لكونه نكرة في سياق النفي، وذكره لشرفه وإلا فالمرأة كذلك في ذلك (يموت فيقوم) بالرفع عطفاً على يموت ويجوز النصب؛ لأنه في جواب النفي (على جنازته أربعون رجلاً) أي: يصلون عليه (لا يشركون بالله شيئاً) من الإشراك (إلا شفعهم الله فيه) أي: بأن يغفر له. ولا ينافيه حديث الطبراني وأبي نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعاً «ما من رجل يصلي عليه مائة إلا غفر له» إما؛ لأن العدد لا مفهوم له. وعلى الاعتداد بمفهومه فما في الصحيح مقدم على غيره، وإن جمع فيحمل ما عند الطبراني على أنه ﷺ أخبر بما فيه فأخبر به، ثم تفضل الله على عباده بحصول ذلك العدد المذكور في الصحيح فأخبر به ﷺ ثانياً (رواه مسلم) في الجنائز.

٤٣١ ــ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة) بضم القاف وتشديد الموحدة من الخيام: بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب قاله في النهاية (نحواً

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة... (الحديث: ٢٨٤).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: من صلى عليه أربعين... (الحديث: ٥٩).

Made searchable using ScribeTools.com

مِنَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»قُلْنا: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ

من أربعين) يجوز أن يكون نحواً حالاً والظرف قبله خبر كان ويجوز عكسه **(فقال: أترضون أن تكونوا ربع)** بضم أوليه وكذا ثلث **(أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال)** أي: بعد أخبر بثبوت ذلك **(أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قلنا نعم، قال: والذي نفس محمد بيده)** أتى بالقسم وباسمه ﷺ مظهراً تأكيداً للأمر وتفخيماً له **(إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)** قال العلماء: كل رجاء جاء عن الله تعالى، أو عن النبي ﷺ فهو كائن البتة، وإنما أتى فيه بصيغة الرجاء دون صيغة الجزم على عادة الملوك في وعد ما يقطعون بفعله يقولون: عسى تعطي ذلك وهم جازمون. قال القرطبي: وهذه الطماعية فقد حققت له بقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[1] وبقوله: إنا سنرضيك في أمتك. كما تقدم لكن عللوا هذه البشرى بالطمع أدباً مع الحضرة الإلهية ووقوفاً مع أحكام العبودية. قال المصنف: والحكمة في قوله «ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة» ثم الشطر ولم يقل أولاً شطر أهل الجنة إن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن اعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وإن ذلك فيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى. وفيه حملهم على تجديد شكره تعالى وحمده على كثرة نعمه. قال المصنف: وقد جاء في الحديث الآخر «إن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً هذه الأمة منها ثمانون صفاً» فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة. ولا يشكل ذلك على حديث الباب بل يكون ﷺ أخبر بما في حديث الباب أولاً ثم زاده الله في العطاء فأخبر به بعد، وله نظائر كحديث «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين وفي رواية سبع وعشرين» ثم بين وجه ذلك بقوله **(وذلك)** أي: التبشير المشار إليه **(أن الجنة)** أي؛ لأن الجنة **(لا يدخلها إلا نفس مسلمة)** هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً وهذا النص على عمومه بإجماع المسلمين **(وما أنتم في أهل الشرك)** من سائر الأمم ومنهم ياجوج وماجوج **(إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو)** شك من الراوي **(كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)** يعني الأبيض

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.

الأَحْمَرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٤٣٢ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ» . . . . . .

(متفق عليه) أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في الإيمان ورواه الترمذي وابن ماجه في الجنة.

٤٣٢ ــ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان) أي: وجد (يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً) يحتمل أن يقال إنهما مقيدان لمطلق الكافر الوارد في رواية أخرى لمسلم عن أبي موسى مرفوعاً «إذا كان يوم القيامة أعطي كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار» ويحتمل أن لا يقيد بل هو من ذكر بعض الأفراد وهي لا تقيد (فيقول) أي: الله عز وجل (هذا فكاكك من النار) وعند مسلم في الحديث الذي ذكرناه عنه هذا فداؤك من النار «قال المصنف» الفكاك بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وأشهر: وهو الخلاص والفداء (وفي رواية) هي لمسلم أيضاً (عنه) أي: عن أبي موسى (عن النبي ﷺ قال يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) أي: عظيمة كما يؤخذ من قوله (أمثال الجبال يغفرها الله لهم) اقتصر المصنف على هذا القدر من الحديث لحصول غرض الترجمة، وهي الرجاء به وتتمته «ويضعها على اليهود والنصارى» فهو بمعنى الحديث الذي قبله. قال المصنف: ومعناه أن الله يغفر ذنوب المسلمين بفضله ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بعملهم، وهذا التأويل لا بد منه لقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[٢] فقوله يضعها مجاز أي: يضع مثلها عليهم بذنوبهم لكن لما أسقط تعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو آثامهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاماً كان الكفار سبباً فيها بأن سنوها، فيسقط عن المسلمين بعفو الله ويوضع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، وفي الأيمان والنذور، باب: كيف كان النبي ﷺ (١١/ ٣٣٥و٣٣٦).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (الحديث: ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ: «دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» مَعْنَاهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ بِكُفْرِهِ» وَمَعْنَى «فَكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضاً لِدُخُولِ النَّارِ، وَهَذَا فَكَاكُكَ؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لِلنَّارِ عَدَداً يَمْلَؤُها، فَإِذَا دَخَلَها الْكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٤٣٣ ـ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ

على الكفار مثلها لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها (رواه مسلم. **قوله دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً**) ليس هو على ظاهره من وضع أعمال المؤمنين على الكافرين لأن الله تعالى يقول ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[2] لكن (**معناه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: لكل أحد**) أي: سواء كان مسلماً أو كافراً (**منزل من الجنة ومنزل من النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة**) أي: منزله فيها (**خلفه الكافر في النار، لأنه مستحق لذلك**) أي: دخول النار (**بكفره، ومعنى فكاك**) من النار (**إنك كنت معرضاً لدخول النار**) أي: لو كنت خذلت (**وهذا فكاكك**) أي: بمنزلته صورة (**لأن الله تعالى قدر للنار عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكافرون بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين**) من حيث إن بهم تم عدد أهل النار فأمنها المسلمون. قال المصنف: قال عمر بن عبد العزيز والشافعي: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين، وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء، ولله الحمد اهـ.

٤٣٣ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدنى**) بالبناء للمفعول أي: يقرب (**المؤمن يوم القيامة من ربه**) قرب مكانة لا قرب مكان قال المصنف: هو دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة، والله تعالى منزه عن المسافة (**حتى يضع عليه كنفه**) بفتح الكاف والنون أي: ستره (**فيقرره بذنوبه**) ويسترها عن سائر أهل المحشر (**فيقول: ألا تعرف ذنب كذا**) تقدم أنه من ألفاظ الكنايات، ويكنى به عن المجهول وما لا يراد التصريح

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل... (الحديث: ٤٩).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «كَنَفَهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ(١).

٤٣٤ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى(٢): ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ

به (**فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا**) بأن لم يطلع عليها أحد من الناس. ويحتمل سترها حتى عن الملكين مبالغة في الستر (**وأنا أغفرها لك اليوم**) عطف على الجملة المحكية بالقول (**فيعطى صحيفة**) أي: كتاب (**حسناته. متفق عليه**) أخرجه البخاري في الرقاق ومسلم في صفة الجنة والنار (**كنفه**) بفتح أوليه كما تقدم (**ستره ورحمته**) قال في شرح مسلم: ستره وعفوه ا هـ. فالرحمة هنا مجاز عن الإحسان.

٤٣٤ ــ (**وعن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً**) عند ابن أبي خيثمة زيادة من الأنصار يقال له معتب وقد جاء اسمه كعب بن عمرو وهو أبو اليسر بفتح التحتية والسين المهملة الأنصاري. أخرجه الترمذي والنسائي والبزار عن أبي اليسر بن عمرو نفسه، وذكر بعض الشراح أن اسمه نبهان التمار، وقيل عمرو بن عزبة، وقيل عامر بن قيس، وقيل عباد. قال الحافظ: بعد ذكر قصتي نبهان وعمرو ومن أخرجهما: فإن ثبت حمل أيضاً على التعدد. قال الحافظ العسقلاني: وظن الزمخشري أن عمرو بن عزبة اسم أبي اليسر فجزم به فوهم، وعباد اسم جد أبي اليسر فلعله نسب ثم سقط شيء وأقوى الجميع أنه أبو اليسر ا هـ ملخصاً. (**أصاب من امرأة قبلة**) أخرج قصته الترمذي ومن منه عنه قال «أتته امرأة وزوجها قد بعثه ﷺ في بعث فقالت له بعني تمراً بدراهم، قال: وأعجبتني فقلت لها: إن في البيت تمراً أطيب من هذا، فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فزع حتى قالت له اتق الله، فخرج فلقي أبا بكر فقال تب ولا تعد، ثم أتى النبي ﷺ» الحديث (**فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى: أقم الصلاة**) كذا هو بحذف الواو في الصحيحين والتلاوة بإثباتها (**طرفي النهار**) أي: غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية؛ لأنه مضاف إليه (**وزلفاً من الليل**) أي: ساعات منه قريبة من النهار، فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة قال المصنف: ويدخل في صلوات طرفي النهار

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/ هود، باب: تفسير سورة هود وفي غيره (١٠/٤٠٦، ٤٠٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل... (الحديث: ٥٢).

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

Made searchable using ScribeTools.com

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٣٥ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

الصبح والظهر والعصر وفي زلفاً من الليل المغرب والعشاء. وقرىء زلفاً بضمتين وبضمة فسكون كبسر باللغتين في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (**إن الحسنات يذهبن السيآت**) يكفرنها، وفي الحديث «إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر» قال الإمام الرازي: وفي تفسير الحسنات قولان. قال ابن عباس: معناه الصلوات الخمس مكفرة سائر الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، وقال مجاهد: الحسنات قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد حكاهما المصنف في شرح مسلم (**فقال الرجل: ألي هذا يا رسول الله؟**) يعني خاص بي أي: إن صلاتي تذهب معصيتي، وظاهر هذا أن القائل هو السائل. وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عباس فقال: يا رسول الله ألي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب عمر بصدره فقال لا ونعمة عين بل للناس عامة، فقال ﷺ: صدق عمر وهذا من اجتهاد عمر الموافق للصواب، لكن جاء عند مسلم في رواة «فقال معاذ: يا رسول الله أله وحده أم للناس؟» ووقع مثله عند الدارقطني، قال الحافظ: ويحمل على تعدد السائلين، وقوله ألي بفتح الهمزة استفهام والظرف بعده خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر وقدم عليه خبره لإفادة التخصيص (**قال لجميع أمتي كلهم**) والمكفر بالحسنات صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى كما قاله المصنف (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في التفسير ومسلم في التوبة.

٤٣٥ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل) قال الشيخ زكريا: في تحفة القارىء هو أبو اليسر (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصبت حداً**) أي: مقتضيه والمراد من الحد ما فيه التعزير أو توهم أن فيه حداً مخصوصاً (**فأقمه علي وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله ﷺ، فلما قضى الصلاة**) أي: أتمها معه ﷺ (**قال: يا رسول الله إني أصبت حداً**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة، والتفسير، تفسير سورة هود باب: وأقم الصلاة... الخ (٨/٢٦٨، ٢٦٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، (الحديث: ٣٩).

فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتابَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «أَصَبْتُ حَدًّا» مَعْنَاه: مَعْصِيَةً توجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيْسَ الْمُرادُ الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ الْحَقيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهما، فَإِنَّ هَذِهِ الْحُدودَ لاَ تَسْقُطُ بِالصَّلاةِ، وَلاَ يَجُوزُ لِلإِمَامِ تَرْكُها. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٣٦ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» . . . . . .

فأقم فيّ كتاب الله. قال: هل حضرت معنا الصلاة؟ قال: نعم، قال: قد غفر لك) قال المصنف: هذا المقتضي للحد في كلامه معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير وهي هنا من الصغائر؛ لأنها كفرتها الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غيره موجبة له لما كفرتها الصلاة، فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحد لا تسقط الحد بالصلاة وهو معنى قول المصنف هنا. **(قوله أصبت حداً: معناه معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة)** أي: بعد تعيينها كما يعلم من الوجه الآتي **(ولا يجوز للإمام تركها)** قال المصنف في شرح مسلم: وهذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث. وحكى القاضي عن بعضهم أن المراد به الحدّ المعروف، قال: وإنما لم يحده؛ لأنه لم يفسر موجب الحد ولم يستفسره ﷺ عنه إيثاراً للستر، بل استحب تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحاً **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في المحاربين ومسلم في التوبة.

٤٣٦ ــ **(وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليرضى)** المراد منه في حقه تعالى غايته من القبول أو إرادته **(عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها)** يحتمل أن يكون قبل أن، لام التعليل أي: لأجل أو بسبب أكله، ويحتمل أن يكون أن ومدخولها بدل من العبد بدل اشتمال والمرضي منه هو الحمد على الأكل والشرب، وبحمد روي بالرفع والنصب. قال بعض شراح الشمائل: والظاهر من حيث العربية الأول أي: رضي أكله المسبب للحمد مع أن نفعه لنفسه فكيف بالحمد على ما لا نفع له فيه بوجه **(أو يشرب الشربة فيحمده عليها)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المحاربين، باب: إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه (١٢/١١٨، ١١٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿إن الحسنات. . .﴾ (الحديث: ٤٤).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِم. «الْأَكْلَةُ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَهِيَ: الْمَرَّةُ الوَاحِدَةُ مِنَ الْأَكْلِ كَالْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ، واللَّهُ أَعْلَمُ(١).

٤٣٧ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

٤٣٨ ــ وَعَنْ أَبِي نَجِيحٍ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ «بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْبَاءِ» السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

يعني يرضى لأحد هذين الفعلين أياً كان، وليس هو بشك من الراوي خلافاً لزاعمه. وفي الحديث حصول أصل سنة الحمد بأي لفظ اشتق من مادة ح م د بما يدل على الثناء على الله تعالى (رواه مسلم) في باب الحمد، ورواه أحمد والترمذي في جامعه وشمائله، والنسائي كلهم من حديث أنس (**الأكلة بفتح الهمزة: وهي المرة الواحد من الأكل كالغداء والعشاء**) وبضمها اسم للقمة، قال بعض شراح الشمائل: ويرجحه ملاءمته للشربة. «قلت»: بل هو ملائم للفتح (**والله أعلم**).

٣٣٧ ــ (**وعن أبي موسى**) وهو الأشعري (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله يبسط**) بضم السين (**يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**) قال المصنف: معناه يقبل التوبة من التائبين نهاراً وليلاً (**حتى تطلع الشمس من مغربها**) ولا يختص به قبولها بوقت، وبسط اليد استعارة في قبول التوبة. قال المازري: المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد؛ لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر يفهمونه وهو مجاز، فإن اليد بمعنى الجارحة محال عليه تعالى: (رواه مسلم) في باب التوبة وكذا أحمد.

٣٣٨ ــ (**وعن أبي نجيح**) ضبطه صاحب المغني بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية بعدها حاء مهملة، وقيل كنيته أبو شعيب (**عمرو بن عبسة بفتح العين**) المهملة (**والباء**) الموحدة ثم سين مهملة على وزن عدسة. قال المصنف في التهذيب: هذا الضبط لا خلاف فيه بين أهل الحديث والأسماء والتواريخ والسير والمؤتلف وغيرهم من أهل الفنون. ورأيت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (الحديث: ٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب... (الحديث: ٣١).

عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ:

جماعة ممن ضبط ألفاظ المهذب يزيد فيه نوناً، وهو غلط فاحش ومنكر ظاهر نبهت عليه لئلا يغتر به، وعبسة هو ابن عامر بن خالد بن عاصرة بن عتاب ويقال ابن غفار بن امرىء القيس بن بهثة بموحدة مضمومة ثم هاء ساكنة ثم مثلثة ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار **(السلمي)** الصحابي الصالح، أسلم عمرو **(رضي الله عنه)** رابع أربعة، وحديث هجرته هو الحديث المذكور، وقدم المدينة بعد الخندق فسكنها ثم نزل الشام. روي له عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثون حديثاً. روى مسلم منها الحديث المذكور. روى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو أمامة وسهل بن سعد وجماعة من التابعين، سكن حمص وتوفي بها ا هـ ملخصاً. **(قال: كنت وأنا في الجاهلية)** هي ما قبل الإسلام سموا به لكثرة جهالاتهم والجملة حال من اسم كان وخبر كان جملة **(أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء)** ينفعهم عند الله تعالى **(وهم يعبدون الأوثان)** جملة حالية من اسم ليس والأوثان جمع وثن، قيل هو والصنم بمعنى وعليه اقتصر المصباح في مادة وثن وزاد في مادة صنم قوله: وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية، والوثن المتخذ من حجر أو خشب. وقال ابن فارس: الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة ا هـ. **(فسمعت برجل بمكة)** الباء الثانية ظرفية **(يخبر أخباراً)** بفتح الهمزة أي: أخباراً عجيبة الشأن عظيمة الموقع فالتنوين فيه للتعظيم **(فقعدت على راحلتي)** أي: ركبت عليها مسافراً **(فقدمت)** بكسر الدال **(عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً)** حال من ضمير خبر المبتدأ المحذوف تقديره كائن أي: هو حال كونه مستخفياً أي: مستتراً من الكفار الأشرار **(جراء)** بضم الجيم وتشديد الراء بعدها همزة ممدودة جمع جريء: من الجرأة وهي الإقدام والتسلط، وسيأتي فيه بسط عند ذكر المصنف الاختلاف في ضبطه وهو حال مترادفة أو متداخلة، وقوله **(عليه قومه)** الظرف متعلق به وقومه فاعله؛ لأنه وصف اعتمد على ذي الحال **(فتلطفت)** أي: ترفقت في الأمر مع قرشي **(حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت؟)** قال البيضاوي: كما تقدم نقله عنه ما، يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العاقل إذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد فقيه أم طبيب؟ ا هـ. ولما كان مسؤول عمرو عن وصف النبي ﷺ قال: ما أنت؟ ويدل له

Made searchable using ScribeTools.com

بِـأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَـامِ، وَكَسْـرِ الْأَوْثَـانِ، وَأَنْ يُـوَحَّـدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَـهُ: : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَـذَا؟ قَالَ: «حُـرٌّ وَعَبْدٌ»، قَـالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِـلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِمَّنْ آمَنَ بِـهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَـالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيـعَ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَـالِي وَحَالَ النَّـاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِـعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَـإِذَا سَمِعْتَ بِـي قَدْ ظَهَـرْتُ فَـأْتِنِي»، قَـالَ: فَـذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَـدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ

قوله ﷺ له **(قال أنا نبي)** وكذا قال المصنف: في شرح مسلم قال: ما ولم يقل من؛ لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته وما لصفات من يعقل ا هـ. **(فقلت وما نبي؟)** أي: ما حقيقة النبي المميزة له عن سواه **(قال: أرسلني الله)** أي: أرسل الله إياي **(قلت: بأي شيء أرسلك؟)** لما عمم النبي ﷺ بحذف معمول أرسل استفهمه عمرو عنه وسأل بيانه **(فقال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله)** بالمضارع المبني للمفعول، وكذا في قوله **(لا يشرك)** بالرفع ونائب فاعله شيء من قوله **(به شيء)** قال المصنف: هذا فيه دلالة ظاهرة على الحث على صلة الأرحام؛ لأن الله تعالى قرنها بالتوحيد، ولم يذكر له جزئيات الأمور وإنما ذكر مهمها وبدأ بالصلة. «فإن قلت»: ما الحكمة في أنه أتى بالمصدر في الأولين وبأن والفعل في الثالث «قلت»: الإشارة إلى تجديد ذلك الثالث كل آن ذكراً بقول لا إله إلا الله، فقد ورد الأمر بالإكثار منها مع ما فيه من التفنن فجمع التعبير المورث للكلام نظرية وتحسيناً **(قلت: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد ومعه يومئذ)** المراد باليوم فيه مطلق الحين أي: حينئذ **(أبو بكر وبلال رضي الله عنهما)** وكان الاقتصار عليهما مع تقدم إسلام خديجة على إسلامهما، إذ هي أول الناس إسلاماً وإسلام علي أيضاً، قيل إنه أسلم قبل الصديق وإن كان الراجح خلافه لأنهما كاملان في الرجولية والبلوغ فقد كان علي حينئذ صبياً **(فقلت: إني متبعك)** أي: على إظهار الإسلام هنا وإقامتي معك **(قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا)** أي: في هذا الزمن الحاضر وذلك لضعف شوكة الإسلام فيخاف عليك من أذى كفار قريش **(ولكن ارجع إلى أهلك)** قال القاضي عياض: ليس معناه أنه رده دون إسلام، وإنما رده عن صحبته واتباعه؛ لأنه كان في أول الإسلام وقبل قوته فخاف عليه لغربته أن تهلكه قريش أو تفتنه ا هـ. وحينئذ فتقدير الكلام كما أشار إليه المصنف: «لكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وارجع إلى قومك واستمر على إسلامك حتى تعلمني ظهرت» **(فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)** فيه معجزة للنبي هي إعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر **(فذهبت)** أي: رجعت **(إلى أهلي وقدم)** بكسر الدال **(رسول الله ﷺ المدينة)** منصوب على التوسع كدخلت المسجد أو على حذف الجار **(وكنت في أهلي)** أي: مقيماً فيهم **(فجعلت)** من أفعال

الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ أَنتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ» قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، فَقُلْتُ: يا نَبِيَّ الله أَخبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وأَجهَلُهُ، أَخبِرنِي عَنِ الصَّلاة؟ قَالَ: . . . . . .

الشروع **(أتخبر الأخبار)** أي: أتكلف الوقوف عليها وأعاني ذلك **(واسأل الناس حين قدم المدينة)** أي: وقت قدومه لها **(حتى قدم نفر من أهل المدينة)** غاية لتخبره وسؤاله، والنفر كما تقدم مراراً بفتح أوليه: ما بين الثلاثة والتسعة، وقيل السبعة من الرجال ومعنى قوله من أهل المدينة أي: المقيمين بها القاطنين فيها **(فقلت ما فعل هذا الرجل)** أتي باسم الإشارة الموضوع؛ لأن يستعمل في المشار إليه الحاضر إليه تفخيماً لشأن المصطفى ﷺ وإن حقه لكمال مجده أن لا يغيب عن النفوس بل لا تزال مشاهدة بعين لبها لجمال كماله **(الذي قدم المدينة فقالوا: الناس إليه سراع)** بكسر السين أي: مسرعين **(وقد أراد قومه)** أي: كفار قريش **(قتله)** بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم في كتب السير **(فلم يستطيعوا ذلك)** بل رد الله كيدهم في نحرهم وحفظ نبيه ﷺ من ذلك **(فقدمت المدينة)** أي: امتثالاً لقوله «فإذا سمعت بي ظهرت فأتني» **(فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم)** وسؤاله لطول مدة غيبته ثم هو في نسخ الرياض هكذا ووقع في مسلم بلفظ قال بلى قال المصنف في شرحه: فيه صحة الجواب ببلى وإن لم يكن قبلها نفي وصحة الإقرار بها وهو صحيح في مذهبنا. وشرط بعض أصحابنا أن يتقدمها نفي أو نهي، وبه يعلم أن ما هنا إن لم يكن في بعض نسخ مسلم اختلاف من تحريف الكتاب. «قلت»: ولمن اعتبر تقدم النفي أن يقول: تقدير الكلام أما تعرفني ويكون قرينة تقديرها قوله في الجواب بلى. والله أعلم **(قال: فقلت: أخبرني عما علمك الله)** العائد ضمير نصب محذوف أي: علمكه، قال المصنف: هكذا هو وهو صحيح، ومعناه أخبرني عن حكمه وصفته وبينه لي. ا هـ. «قلت»: ويحتمل أن يكون عن للتعليل كما قيل به في قوله تعالى: ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾[1] أي: لأجله، وقوله **(وأجهله)** يحتمل أن يكون أتى به على وجه الإطناب، ويحتمل أن يكون الاحتراز عما علمه منه ﷺ في اجتماعه السابق به **(أخبرني عن الصلاة)** أي: النافلة **(قال:**

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

Made searchable using ScribeTools.com

«صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإنها تَطْلُعُ حِيْنَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِيْنَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإنَّ الصَّلاةَ مَشْهودَةٌ مَحْضورةٌ حَتَّى يَستَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ فإنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ

صل الصبح ثم اقصر) بضم الصاد أي: اقعد **(عن الصلاة)** أي النفل المطلق الذي لا سبب له، أو له سبب متأخر **(حتى تطلع الشمس حتى ترتفع)** يحتمل أن يكون بدلاً مما قبله، ويحتمل أن يكون غاية بعد غاية لتحريم النفل المذكور. قال المصنف: فيه أن النهي عن الصلاة بعد الصبح لا يرتفع بنفس الطلوع بل لا بد من الارتفاع والمراد ارتفاعها كرمح في رأي العين. ثم النافلة تحرم من صلاة الصبح إلى ارتفاعها على من صلى الصبح، أما من لم يصلها فلا تحرم عليه إلا من طلوع الشمس لا قبل، إلى الغاية المذكورة **(فإنها)** أي: الشمس **(تطلع)** بضم اللام **(حين تطلع)** أي: وقت طلوعها **(بين قرني شيطان)** سيأتي بيان معناه وتنكير شيطان لتحقيره، وقرناه: ناحيتا رأسه. قال المصنف: وسمي شيطاناً لتمرده وعتوه وكل مارد عات شيطان، والأظهر أنه مشتق من شطن إذا بعد لبعده من الخير والرحمة، وقيل من شاط إذا هلك واحترق، أي: فالمصلي حينئذ كالساجد للشيطان **(وحينئذ يسجد لها الكفار)** أي: وحين تطلع بين قرنيه، قال القاضي عياض: هذا يدل على صحة تأويل من جعله على ظاهره، وإن الشيطان يفعل ذلك ويتطاول لها ليخادع نفسه أن السجود له **(ثم صل)** أي: ماشئت من النفل **(فإن الصلاة مشهودة محضورة)** أي: يحضرها الملائكة، فهي أقرب إلى القبول وحصول الرحمة. قال في فتح الإله أي: تحضرها ملائكة النهار لتكتبها وتشهد بها لمن صلاها، فهي بمعنى رواية مشهودة مكتوبة خلافاً لمن زعم أن بينهما فرقاً أو أن هذه أحسن **(حتى يستقل)** من القلة لا من الإقلال الذي هو الارتفاع وهو غاية لقوله صل **(الظل بالرمح)** المغروس بالأرض وهذا من باب القلب كطينت الطين بالقصر، وعرضت الناقة على الحوض، أي: حتى يستقل الرمح بالظل أي: يبلغ ظله أدنى غاية النقص، ففيه محسن القلب من المبالغة المتولدة عنه لإفادة كون الرمح صار بمنزلة الظل في القلة، والظل صار بمنزلة الرمح في عدم وجود شيء في الأرض إلا بمقدار مركزه، وذلك؛ لأن ظل الشاخص يكون أول النهار طويلاً إلى جهة المغرب، ثم ما زاد يتناقص إلى أن يصل إلى غايته وذلك وقت الاستواء، أو يزول بميل الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظل إلى جهة الشرق، وهذا هو وقت الزوال الذي به يدخل وقت الظهر ويزول وقت النهي، والظل الموجود عند الاستواء يسمى ظل الزوال لوجوده عنده في أكثر البلاد قبل ظهور الزيادة. وأقول: لا يحتاج إلى هذا التكلف لأن الباء للإلصاق، والرمح كناية عن الشاخص. والتقدير

جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَلاةَ مَشْهودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي الْعَصرَ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغرُبَ الشَمسُ، فَإنها تَغرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله فَالوضوءُ حَدِّثْني عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا مِنكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ

حتى يقل الظل الملصق بالشاخص أي: ينتهي إلى غاية قلته أو حتى تنتهي أي: يرتفع الظل الملصق بالشاخص عما حواليه حتى لا يبقى على الأرض منه إلا نذر لا يظهر ببادىء الرأي، وما ذكر هو ما في نسخ مسلم المعتمدة وفي بعض نسخه حتى يستقل الرمح بالظل. وقال القاضي عياضٌ معنى «قوله يستقل الظل» بالرمح أي: يكون ظله قليلاً كأنه قال: حتى يقل ظل الرمح، والباء زائدة جاءت لتحسين الكلام، وقد جاء في رواية أبي داود: حتى يعدل الرمح ظله. قال الخطابي: هذا إذا قامت الشمس وتناهى قصر الظل ولا أدري موافقة هذا ليعدل، ولعل معنى يعدل هنا يكون مثله في الظل لا يزيد كما لا يزيد الرمح في طوله، أو يكون يعدل بمعنى يصرف كأن الرمح صرف ظله عن النقص إلى الزيادة ومن الميل إلى المغرب إلى الميل إلى المشرق، وأضافها إلى الرمح لأنه سبب، فالمصنف لا يرتضي هذا الكلام منه وقال القاضي عياض: كلام عجيب في تفسير الحديث نبهت عليه لئلا يغتر به. ا هـ. وفي هذه الجملة حجة على مالك في تجويزه الصلاة عند الاستواء مطلقاً مستدلاً بأنه لم يزل يرى الناس يصلون حينئذ يوم الجمعة، وما استدل به لا ينهض له، لأن يوم الجمعة مستثنى (**ثم اقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر**) أي: تهيج بالوقود (**جهنم**) وتسجر بتقدير أن المصدرية قبله اسم إن على حد قوله تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾[1] واسمها ضمير شأن، وما قيل إنه لا تحذف لأن القصد به التعظيم وهو يفوت بحذفه مردود بأن سبب دلالته على التعظيم إبهامه وحذفه أدل على الإبهام، ومن ثم حذف في قوله تعالى ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾[2] (**فإذا أقبل الفيء**) أي: إلى جهة المشرق. والفيء مختص بما بعد الزوال، وأما الظل فيقع على ما قبل الزوال وبعده. وفي التهذيب للمصنف نقلاً عن ابن قتيبة في أدب الكاتب: إنما سمي بعد الزوال فيئاً؛ لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب، أي: رجع. والفيء: الرجوع. (**فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصل العصر**) قال المصنف: فيه دليل على أن النهي لا يدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الإنسان، وإنما يكره لكل بصلاته حتى لو أخرها عن أول الوقت لم يكره التنفل. ا هـ. ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرر: أنها من الإصفرار يكره لمن صلى ولغيره (**ثم اقصر عن الصلاة**) أي: النافلة التي لا سبب لها، أو لها سبب متأخر (**حتى تغرب فإنها تغرب بين قرني شيطان**)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

Made searchable using ScribeTools.com

وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا

في تنكيره ما مر (**وحينئذ يسجد لها الكفار**) هذه حكمة النهي وليست بعلة لعدم اطرادها وإلا لنهي عن ذات السبب وفي مكة أيضاً. وقال العز بن عبد السلام: التعليل بذلك لا يظهر؛ لأن تعظيم الله في وقت يسجد فيه لغيره أولى لما فيه من إرغام أعدائه، ولو صح التعليل فأي فرق بين ذي السبب وغيره. اهـ. «وأجيب» بإنها حكمة فلا يلزم إطرادها. ووجه اختصاصها بغير ذي السبب وبوقتي الطلوع والغروب أن إنشاء صلاة لا سبب لها في هذا الوقت فيه نوع تشبه بالكفار في عبادتهم للشمس حينئذ وقد نهينا عن التشبه بهم بل وعما يؤدي إليه أو يوهمه ولا شك أن إيقاع ذلك حينئذ يستلزم ذلك بخلاف ذات السبب كالعيد والضحى بناء على دخول وقتهما بالطلوع، فإن ظهور السبب الحامل عليها ينفي ذلك. وقد ذكر ابن الأثير ما يؤيد ذلك وهو أن كلا من هذين وقت لظهور سلطانها وانفصالها فكره لئلا يتوهم تعظيم شأنها كما هي عادة الملوك عند قدومهم وانفصالهم. «فإن قلت»: إنما يتضح ذلك إذا كان السبب غير نفس الطلوع، أما إذا كان هو الطلوع كما في المثالين المذكورين فكيف يظهر ما ينفي ذلك؟ «قلت»: الظهور وعدمه إنما هو بالنسبة إلى نية المصلي فحيث نوى سبباً انتفى ذلك عند من علم بنيته وحيث لا فلا، وبه يتضح الجواب عما يقال الصلاة عندنا للقبلة وسجود الكفار إنما هو لجهة الشمس فيكف يتأتى التشبه أو إيهامه؟ وجوابه ما تقدم أن نية الصلاة حينئذ لا لسبب يوهم أن للشمس باعتبار ظهور سلطانها وانفصالها حينئذ دخلا في ذلك فامتنعت لذلك، وإنما حرمت النافلة من بعد صلاتي الصبح والعصر قبل طلوعها وغروبها مع انتفاء الحكمة أو العلة؛ لأن ما قارب الشيء أعطي حكمه كما حرمت مباشرة ما بين سرة الحائض وركبتها؛ لأنه حريم الفرج، وأيضاً فعباد الشمس ربما تهيؤوا لتعظيمها من أول ذينك الوقتين فيرصدونها إلى أن تظهر فيخروا لها سجداً، فلو أبيح التنفل حينئذ لكان فيه تشبه بهم أو إيهامه أو التسبب إليه (**قال: فقلت يا رسول الله فالوضوء حدثني عنه**) أي: من حيث الفضيلة بدليل الجواب (**فقال: ما منكم رجل يقرب وضوءه**) بفتح الواو أي: يحضر ما يتوضأ به: وخص بالذكر؛ لأنه يترتب عليه من الثواب ما لا يترتب على من يزاول مشقة في تحصيل الماء وإحضاره (**فيتمضمض**) سكت عما يسن قبلها من نحو التسمية لعله لعلمه أنه يعلم ذلك، أو لأن الغرض ذكر ما فيه ثواب عظيم من أعمال الوضوء لا سيما ما اختلف في وجوبه كالمضمضة (**ويستنشق**) الواو بمعنى ثم (**فيستنثر**) أي: يجذب الماء بخياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما في أنفه من الأذى (**إلا خرت خطايا وجهه وفيه**) «خرت» بالخاء المعجمة على المختار كما يأتي أي: سقطت صغائر خطاياه ثم يحتمل أن يراد خطايا جميع وجهه، وإن لم يظهر إلا بعضه؛ لأنه أقذر ما فيه فخرت خطاياه الآني بعد كناية عن مزيد التطهير،

غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطرافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْماءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرافِ شَعْرِهِ مَعَ الْماءِ، ثُمَّ يَغسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنامِلِهِ مَعَ الْماءِ فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ

ويحتمل أن يراد بعضه لذكر كله الآني فعطف **(وخياشيمه)** بيان لذلك البعض المبهم، والخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف، وقيل: عظام رقاق في أصل الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل: غير ذلك **(ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله)** أي: بقوله عز وجل ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾[1] وفائدة قوله كما أمره الله الإيماء إلى وجوب الترتيب في الوضوء عند من يوجبه كإمامنا الشافعي المأخوذ وجوبه من الآية لما فيه من الفصل بالمسح بين مغسولين والعرب سيما الفصحاء منهم، لا توسط أجنبياً بين متجانسين إلا لحكمة هي هنا وجوب الترتيب لا ندبه؛ لأن الآية لبيان واجبات الوضوء والإيماء إلى المبادرة بامتثال هذا الأمر والمسارعة إليه عند من لا يقول بوجوب الترتيب؛ لأن كونه أمراً لله يحمل العاقل على امتثاله والإتيان به على الوجه الأكمل، وذكر هذا في أول فروضه فيه للتنبيه على أنه مراعي في باقيها فلم يحتج لتكرير **(إلا خرت خطايا وجهه)** إن قلت: الوجه لا يتصور منه خطايا في العادة إلا باعتبار منافذه وقد غفرت خطايا منفذين فلم يبق إلا خطايا البصر. «قلت»: يحتمل أن يراد هنا بعضه الباقي وهو العينان، ويحتمل أن يراد الثلاثة. وفائدته أن الأولين لو لم يطهرا بأن غسل وجهه أولاً كفرت خطاياهما وإن لم يغسلا بواسطة غسل ظاهر الوجه **(من أطراف لحيته)** عبر بها للغالب وإلا فمن لا لحية له كالأمرد والمرأة كذلك **(مع الماء)** في العطف بها دلالة لوجوب الترتيب **(يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من)** أطراف **(أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء)** ذكره للغالب أيضاً **(ثم يغسل قدميه إلى الكعبين)** فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن الواجب غسل الرجلين وقالت الشيعة: الواجب مسحهما. وقال ابن جرير: هو مخير. وقال بعض الظاهرية: يجب الغسل والمسح حكاه المصنف في شرح مسلم **(إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء)** وما بعد إلا الأولى مستثنى من مقدر هو خبر ما أي: ما منكم رجل متصف بذلك كائناً على حال من الأحوال إلا على حال خروج خطايا وجهه، وما واسمها مقدران فيما بعد ثم الأولى وفيما بعد ثم الثانية، وهكذا كما دل عليه العطف أي: ثم ما منكم رجل متصف بغسل وجهه كائناً على حال إلا على حال خروج خطايا وجهه وهكذا **(فإن)** شرطية

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

Made searchable using ScribeTools.com

أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعالى إلا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» فَحَدَّثَ عَمْرو ابْنُ عَبَسَةَ بِهٰذا الْحَدِيثِ أبا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ له أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ انظر مَا تَقُولُ فِيْ مَقَامٍ واحِدٍ يُعْطَى هٰذا الرَّجُل؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبا أُمَامَةَ كَبِرَتْ سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي واقْتَرَبَ أَجَلِي، ومَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله تَعالَى وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَو لَمْ

(هو) أي: المتوضىء الدال عليه سياق الكلام وسابقه، ورافعه فعل الشرط محذوف يفسره (قام) ولحذفه برز ضميره المستكن فيه (فصلى فحمد الله) أي: أثنى عليه بالصفات الثبوتية (وأثنى عليه) بالتنزيه عما لا يليق به، وقيل هما بمعنى والعطف للتأكيد (ومجده) بتشديد الجيم أي: وصفه (بالذي هو) سبحانه (له أهل) من أوصاف المجد وهو العز والشرف كما في المصباح، وقدم الخبر أي: له على المبتدأ لإفادة الاهتمام والاختصاص (وفرغ قلبه لله تعالى) هو بتشديد الراء للمبالغة في تنظيف القلب وتنزيهه من دنس التعلق بغير المولى سبحانه والركون إلى سواه، ومن سائر الشواغل والخواطر لله تعالى دون غيره ولو ثواباً؛ لأن ربط القصد به ينافي مقام الكمال المشار إليه بقوله تعالى ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[1] وجواب إن الشرطية مقدر أي: فلا ينصرف خارجاً من شيء من الأشياء (إلا انصرف) خارجاً (من خطيئته) أي: صغائره فيصير متطهراً منها (كهيئته) أي: طهارته من كل خطيئة (يوم ولدته أمه) وقصرنا التشبيه على ما ذكرنا لقيام الأدلة عليه وكون التطهير من الذنوب بمعنى إزالتها بعد وقوعها ومن المدلول لمعنى عدم وجودها لا ينافي التشبيه، وقدرنا الجواب نفياً لأنه في سياق النفي بما وإلا لا لوجوبه، لجواز قرأت إلا يوم كذا (فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ) وأبو أمامة كنيته، واسمه صدي بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وتشديد التحتية ابن عجلان وتقدمت ترجمته في باب التقوى (فقال له أبو أمامة: يا عمرو) يجوز ضمه وفتحه لوصفه بقوله (ابن عبسة) المتعين فيه النصب لكونه مضافاً (انظر) بضم الظاء أي: تفكر وتأمل (ما تقول في مقام) بفتح الميم أي: مكان (واحد يعطى هذا) الثواب العظيم (الرجل؟) وليس ذلك منه استبعاداً ولا استعجاباً من سعة الفضل إنما هو استكشاف لليقين وحذراً من وهل[2] عمرو في ذلك (فقال عمرو: يا أبا أمامة لقد كبرت) بكسر الباء الموحدة أي: تقدمت (سني) أي: عمري. قال في المصباح: السن واحد الأسنان وقد يعبر بالسن عن العمر، «قلت»: وعليه فتأنيث الفعل؛ لأنها بمعنى المدة (ورق عظمي) أي: نحف ونحل (واقترب أجلي) أي:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) غلط ونسيانه يقال وهل كفرح معناه غلط ونسي

أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا (حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَاتٍ) مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَداً، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ «جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ» هُوَ بِجِيْمٍ مضمومَة وَبِالمَدِّ عَلَى وَزْنِ عُلَمَاءَ: أَيْ جَاسِرونَ مُسْتَطِيلُونَ غَيْرَ هَائِبِينَ. هَذِهِ الرِوَايَةُ المَشْهُورَةُ، وَرَوَاهُ الحُمَيْدِيُّ وَغَيْرُهُ «حِراء عليه» بِكَسْرِ الحاءِ المُهملةِ وَقَالَ: مَعناه: غِضَابٌ ذَوو غَمٍّ وَهَمٍّ قَدْ عِيلَ صَبْرُهُمْ بِهِ حَتَّى أَثَّر فِي أجسامِهِمْ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَرَى

قرب والإتيان بالتاء مبالغة في ذلك **(وما بي حاجة)** أي: داعية **(أن أكذب على الله تعالى ولا على رسول الله ﷺ)** أي: في أو إلى أن أكذب **(لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً)** منصوبات على الظرفية **(حتى عد سبع مرات)** أي: بأن قال: أو أربعاً إلى أن قال: أبو سبع مرات **(ما حدثت به أبداً ولكني سمعته أكثر من ذلك)** قال المصنف: هذا الكلام قد يستشكل من حيث إن ظاهره أنه لا يرى التحديث إلا بما سمع أكثر من سبع مرات، ومعلوم أن من سمع مرة واحدة جاز له الرواية، بل تجب عليه إذا تعين لها وجوابه أن معناه: لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به، وذكر المراتب بياناً لصورة حاله ولم يرد أن ذلك شرط، والله أعلم **(رواه مسلم)** قبيل باب صلاة الخوف وبعضه عند النسائي وابن ماجه. **(قوله جرآء عليه قومه، هو بجيم مضمومة وبالمد على وزن علماء)**؛ لأن واحدة جريء فهو كعليم وعلماء وشريف وشرفاء **(أي: جاسرون مستطيلون)** من الاستطالة، لكن في شرح مسلم من الجرأة: وهي الإقدام والتسلط. وقضيته أن يكون جاسرون متسلطون وكذا هو في المشارق للقاضي عياض أي: جرآء متسلطون عليه **(غير هائبين)** أي: له لعدم معرفتهم بعظيم قدره لعمى بصائرهم عن مشاهدة أنواره:

لكن نور الله جل فلا يرى إلا بتوفيق من الله الصمد

(هذه الرواية المشهورة) وعليها اقتصر عياض في المشارق ولم يحك الثانية، وفي شرح مسلم هكذا في جميع الأصول **(ورواية الحميدي)** أي: في الجمع بين الصحيحين **(وغيره)** ولم يذكر في شرح مسلم هذه الرواية عن غير الحميدي **(حرآء عليه بكسر الحاء المهملة)** أما الراء المهملة والمد ففيهما معاً فلذا سكت عنه المصنف **(وقال: معناه غضاب)** بكسر الغين المعجمة **(ذوو غم)** هو الحزن على فوات أمر **(وهم)** هو الخوف من أمر يترقب وقوعه **(قد عيل صبرهم به)** قال في النهاية: في أثناء كلام له: يجوز أن يكون من عاله يعوله إذا غلبه، ومنه قولهم عيل صبرك ا هـ. أي: غلبهم صبرك عنه **(حتى أثر)** أي: الصبر **(في أجسامهم)** مأخوذ من قولهم **(حرى جسمه يحري)** قال في شرح مسلم: كضرب

Made searchable using ScribeTools.com

جِسْمُهُ يَحرِي إِذَا نَقَصَ مَنْ أَلَم أَو غَمٍّ وَنَحْوِهِ. والصَّحيحُ أَنَّـهُ بِالجيمِ، قـولهُ ﷺ «بَينَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ» : أَي ناحِيتَيْ رَأْسِهِ. وَالمُرادُ التَّمثِيلُ. مَعْنَـاهُ: أَنَّهُ حِينَئِـذٍ يَتَحَرَّكُ الشَيـطَانُ وَشِيعَتُهُ ويتسَلَّطُونَ. وقولهُ «يُقَرِّبُ وضوءَهُ» معناه يُحْضِرُ الماءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ. وقـولُهُ«إِلاَّ خَرَّ خَطَايَا» وهوَ بِالخَاءِ المُعْجَمَةِ أَيْ سَقَطَتْ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ«جَرَتْ» بِالجِيمِ. والصَّحيحُ بِالخاءِ. وَهُـوَ رِوايَةُ الجُمهُـورِ. وَقَوْلُهُ: «فَيَنْتَثِرُ»: أَيْ يَسْتَخرِج مَا فِي أَنْفِـهِ مِنْ أَذًى. والنَّثرَةُ: طَرَفُ الأَنْفِ[1].

يضرب **(إذا نقص من ألم أو غم ونحوه والصحيح أنه)** أي: قوله جرا لا جرى جسمه يجري كما قد يتوهم من قربه **(بالجيم قوله ﷺ بين قرني شيطان أي: ناحيتي رأسه)** كمـا تقدم **(والمراد)** منه **(التمثيل)** وبينه بقوله **(معناه)** أي: المراد منه في الحديث **(أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطون)** فشبه تحركهم وانتشارهم وتمكنهم من الأذى واستعير للحاصل من ذلك قوله: بين قرني شيطان فهي استعارة تمثيلية. وقال القاضي عياض: قيل إن ذلك استعارة وكناية عن أضراره لما كانت ذوات القرون تتسلط بقرونها على الأذى استعير للشيطان ا هـ. وفي شرح مسلم قيل المراد بقرني شيطان حزبه وأتباعه، وقيل قوته وغلبته وانتشار فساده وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى قالوا ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة، وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط ظاهر، وتمكن من أن يلبسوا على المصلين فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها عن ذلك، وهذا الأخير هو الظاهر لما فيه من السلامة من تأويل الخبر عن ظاهره الذي لا يعارضه معارض **(وقوله يقرب وضوءه: معناه يحضر الماء الذي يتوضأ به)** ويطلق الوضوء لغة على الماء المغسول به أعضاء الوضوء بضم الواو. وعلى الباقي في الإناء بعد تمام الوضوء **(وقوله إلا خرت خطاياه هو بالخاء المعجمة أي: سقطت، ورواه بعضهم)** هو ابن أبي جعفر أحد رواة مسلم كما نقله عنه القاضي عياض **(جرت)** أي: **(بـالجيم)** وتخفيف الـراء معناه على هـذا ظاهـر **(والصحيح بـالخاء)** أي: المعجمـة **(وهو روايـة الجمهور)** قال في شرح مسلم: وكذا نقله القاضي عياض عن جميع الرواة إلا ابن أبي جعفر **(وقـوله فيستثر أي: يستخرج مـا في أنفه من أذى)** بعـد أن يجذب المـاء بالنفس إلى الخيشوم، والانتثار افتعال من النثرة **(والنثرة)** بفتح النون وسكون المثلثة **(طرف الأنف)**.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عنبسة (الحديث: ٢٩٤).

٤٣٩ ــ وَعنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذا أَرَاد الله رَحْمَةَ أُمَةٍ قَبَضَ نَبِيَّها قَبْلَها فَجَعَلَهُ لَها فَرَطاً وسَلَفاً بَيْنَ يَدَيْها، وإِذَا أَرَاد هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَها وَنَبِيُّها حَيٌّ فَأَهْلَكَها وَهوَ يَنْظُرُ فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلاكِها حِينَ كَذَّبوه وَعَصَوْا أَمرَهُ» رواه مُسْلِمٌ[1].

---

٤٣٩ ــ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله رحمة أمة) أي: الإحسان إليهم واللطف بهم ولا يصح تأويلها هنا بإرادة ذلك؛ لأن الإرادة لا تتعلق بالإرادة كما سبق عن الدماميني **(قبض)** بفتح الموحدة أي: توفى **(نبيها قبلها)** ليكون صبرهم على المصاب به واحتسابهم ذلك زيادة في أجورهم قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾[2] الآية. وقال ﷺ: من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته فيَّ، أو كما قال، دل مجموع الحديث والآية على أن المؤمن إذا صبر على مصيبته على فقد المصطفى ﷺ واحتسب ذلك عند مولاه أجر، كما أن الإنسان إذا ذكر مصابه بمن تقدم له من القرابة فاحتسب عند ذلك يؤجر فكذا ما ذكرنا وهو ظاهر، والله أعلم **(فجعله لها فرطاً)** الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط الذي يتقدم الوراد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من أمور الاستقاء أي: أنه المهيء لمصالحها في عقباها من مزيد رحمته **(وسلفاً)** قال في النهاية: قيل: هو من سلف المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازي به على الصبر عليه، وقوله **(بين يديها)** ظرف مستقر متعلق بمحذوف صفة لهما أي: كائنتين بين يدي الأمة، أو حال من مفعول جعله أي: كائناً بين يديها أو ظرف لغو متعلق بجعل **(وإذا أراد هلكة)** بفتح حروفه مصدر هلك الشيء هلكاً من باب ضرب وهلاكاً وهلوكاً ومهلكاً بفتح الميم وتثليث اللام، وأهلكه بوزن أتعبه والهلكة بوزن القصبة مثل الهلاك أي: في كونه مصدراً كذا في المصباح أي: وإذا أراد هلاك **(أمة عذبها ونبيها حي)** جملة حالية من فاعل عذب والمراد منه الرسول؛ لأنه الذي له أمة لكونها مأمورة بالتسلي، بخلاف النبي هذا هو المشهور **(فأهلكها وهو)** أي: نبيها **(ينظر)** هلاكها والجملة الاسمية حالية **(فأقر)** أي: الله تعالى **(عينه)** أي: عين نبيه لتلك الأمة **(بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره)** أي: وقت تكذيبهم له وعصيانهم أمره **(رواه مسلم)** في باب فضائل النبي ﷺ فقال: وحدثت عن أبي أسامة قال المازري والقاضي: هذا الحديث من الأحاديث المنقطعة في مسلم لفظاً بجهل الذي حدثه عن أبي أمامة. قال المصنف: قلت: ليس هذا حقيقة انقطاع وإنما هو رواية مجهول. «قلت»: هو وإن كان كذلك إلا أن المحدثين المتقدمين يعبرون عنه بالمنقطع، وبعضهم بالمرسل. قال العراقي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: إذا أراد الله تعالى... (الحديث: ٢٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

Made searchable using ScribeTools.com

٥٢ ــ باب: في فضل الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى إِخْباراً عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ [١]: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمرِي إلى الله إِنَّ الله بَصِيرٌ بِالْعِبادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَروا﴾.

٤٤٠ ــ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ

في ألفيته:

ورسموا منقطعاً عن رجل وفي الأصول رسمه بالمرسل

قال الشيخ العراقي في شرحها قلت: وفي كلام غير واحد من أهل الحديث أنه متصل في سنده مجهول، وحكاه الرشيد العطار في الغرر المجموعة عند الأكثرين واختاره شيخنا الحافظ أبو سعيد العلائي في كتاب جامع التحصيل، قال المصنف: وقد وقع في حاشية بعض النسخ المعتمدة. قال الخلودي: حدثنا محمد بن المسيب الأرعياني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري بهذا الحديث عن أبي أسامة بإسناده ا هـ. وفي النكت على الأطراف للحافظ: وقع لنا أن مسلماً لم يسمعه من إبراهيم إنما سمعه من محمد بن المسيب عن إبراهيم، وأخرجه البزار في مسنده عن إبراهيم بن سعيد، وأخرجه أبو نعيم من طريق أبي يعلى وغيره عن إبراهيم بن سعيد ا هـ.

باب فضل الرجاء

أي: ما جاء فيه من الكتب والسنة. **(قال الله تعالى إخباراً)** أي: مخبراً، ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية بكون الإخبار من أنواع القول **(عن العبد الصالح)** هو مؤمن آل فرعون **(وأفوض أمري إلى الله)** أي: أسلمه إلى الله تعالى ليعصمني من كل سوء **(إن الله بصير بالعباد)** فيجزيهم وكأنه جواب بوعد[٢] المفهوم من قوله **(فوقاه الله سيآت ما مكروا)** شدائد مكرهم، وقال البيضاوي: وقيل الضمير لموسى.

٤٤٠ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي)** قال ابن الجوزي: أي: في الرجاء وأمل العفو. قال القاري في شرح الحصن الحصين: ويؤيده ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أمر الله بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت وقال: أما والله يا رب إن

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٤، ٤٥.
(٢) وفي نسخة توعد.

وَجلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، واللَّهِ، للَّهُ أَفرَحُ بتوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالفَلاةِ، وَمَنْ تقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إليهِ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبتُ إليه بَاعاً، وَإذا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقبَلْتُ إليهِ أُهَرْوِلُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهَذَا لَفْظُ إحدَى روايات مُسْلِمٍ. وَتقَدَّمَ شرحُه في البابِ قبله. وَرُوِيَ في الصَّحيحَينِ: «وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يذكُرُنِي» بِالنون. . . . . .

كان ظني بك لحسن، فقال الله: ردوه أنا عند ظن عبدي بي ذكره السيوطي في البدور السافرة، وعليه فالظن بمعناه أي: الطرف الراجح، وقيل: بمعنى اليقين، والمعنى أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إلي وحسابه علي وأن ما قضيت له به من خير أو شر فلا مرد له لديّ. ﴿فائدة﴾ الظن في الشرع ينقسم إلى واجب كحسن الظن بالله تعالى، وإلى حرام كسوء الظن به تعالى، قال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾[1] وبكل من ظاهره زيادة العدالة، ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين، وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم **(وأنا معه)** أي: بالرحمة والتوفيق والإعانة والنصر **(حيث ذكرني)** بين الملأ أو في الخلاء **(والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته)** الذي هو في غاية الاحتياج إليها والاضطرار كما بينته رواية أخرى في الصحيح **(بالفلاة)** هي كما في المصباح الأرض التي لا ماء فيها وجمعها فلا. قال المصنف: قال العلماء: فرح الله هو رضاه، قال المازري: الفرح ينقسم إلى وجوه منها السرور، والسرور يقارنه الرضى بالمسرور به، والمراد هنا أن الله يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واحد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضى بالفرح تأكيداً لمعنى الرضى في نفس السامع ومبالغة في تقريره **(ومن تقرب إليّ)** أي: إلى فضلي ورحمتي بصالح العمل **(ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول. متفق عليه)** رواه البخاره في باب الرجاء ومسلم في باب التوبة **(وهذا لفظ إحدى روايات مسلم وتقدم شرحه)** أي: شرح قوله ومن تقرب إليّ إلخ الموهم ظاهره المكان وجواز الإعراض على الباري سبحانه **(في الباب قبله)** بما حاصله أنه مؤول بأن المراد بالتقرب إليه التقرب إلى فضله وإحسانه بصالح العمل، والمراد بتقربه تعالى من العامل إسباغ فضله عليه زيادة على قدر عمله **(وروي في الصحيحين)** أي: في رواية أخرى **(وأنا معه حين يذكرني بالنون)** فيكون منصوباً على الظرفية الزمانية **(و)** روي **(في هذه**

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٣.

Made searchable using ScribeTools.com

وفي هَذِه الروايةِ «حَيْثُ» بالثَاءِ وكلاهمَا صحيحٌ(١).

٤٤١ ــ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عنهُ أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يقولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحدُكمْ إِلَّا وهُو يُحسِنُ الظَّنَّ بالله عَزَّ وجَل» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

الرواية بالثاء) أي: المثلثة **(وكلاهما)** أي: المرويين **(صحيح)** زاد في شرح مسلم بعد قوله صحيح: ظاهر المعنى، وأفرد الخبر باعتبار لفظ كلا وهو الأصح، قال تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾(٣) ويجوز مطابقة معناهما وقد اجتمع الاستعمالان في قوله:

كلاهما حين جد الجري بينهما ... قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

٤٤١ ــ **(وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ)** أي: قبل موت النبي ﷺ بثلاثة أيام كما صرح به في مسلم **(يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بالله عز وجل)** قال المصنف: وفي رواية وهو يحسن الظن بالله قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق أنا عند ظن عبدي بي قال العلماء: معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حال الصحة يكون خائفاً راجياً، وسيأتي الخلاف في أنهما هل يكونان متساويين حينئذ أو لا؟ وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على إكثار الطاعة وصالح العمل، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده حديث «يبعث كل عبد على ما مات عليه» قال العلماء: معناه يبعث على الحال التي مات عليها. قال القرطبي: نهى أن يموتوا على غير حالة حسن الظن، وذلك ليس بمقدورهم بل المراد الأمر بتحسين الظن ليوافي الموت وهو عليه. اهـ. ونظيره قوله تعالى: ﴿فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(٤) وفي الديباجة للدميري في مروج الذهب عن فقير بن مسكين، قال: دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾(١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨). وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى (الحديث: ٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله... (الحديث: ٨١).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٢

٤٤٢ ــ وعن أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله تعالَى: يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَاكَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابن آدمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطايَا ثُمَّ لقيتَنِي لا تُشْرِكُ .....

ولكأس المنية شارباً ولا أدري إلى الجنة تسير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ا هـ. وما يعزى للرافعي قوله:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أحبائي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

٤٤٢ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحد معين عدل إليه ليعلم من يتأتى نداؤه، وآدم عربي مشتق من أديم الأرض أي: وجهها وأصله أأدم بهمزتين وزن أفعل فأبدلت الثانية ألفاً ومنع الصرف للعلمية والوزن، وقيل: أعجمي وعليه فمنع صرفه للعلمية والعجمة وأضيف إليه المنادى للعموم؛ لأن إضافة المفرد تفيده فالنداء هنا لا يختص به منادى دون آخر **(إنك ما دعوتني ورجوتني)** أي: مدة دعائك إياي نفعاً وصلاحاً وتأميلك خير ما عندي **(غفرت لك ما كان منك)** أي: محوت ما كان من الذنوب منك كذنب الكفر بالإيمان وغيره بالاستغفار **(ولا أبالي)** بما كان منك منها عظم أو لا، وذلك لحسن رجاء العبد والله عند حسن ظن عبده به **(يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)** أي: ما يملأ ما بينها وبين الأرض لو كان جسماً **(ثم استغفرتني)** أي: سألتني غفران ذلك **(غفرت لك)** إياها وذلك؛ لأنه تعالى كريم يقيل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال بالغ في الكثرة جيء به تنبيهاً على أن كرمه وفضله ورحمته لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما ذكر **(يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض)** أي: ما يقارب ملأها **(خطايا)** جمع خطيئة، قال في الصحاح: وكان الأصل خطائي على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت ياء؛ لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين ا هـ. **(ثم لقيتني لا تشرك**

Made searchable using ScribeTools.com

بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً» رَوَاه التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حديْثٌ حَسَنٌ. «عَنَان السَّماءِ» بِفَتحِ العينِ قِيْلَ هو: مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَي ظَهَرَ إذا رفَعْتَ رَأسكَ، وَقِيلَ هو: السَّحاب. و«قُرابُ الأرضِ» بِضَمِّ القَاف، وقيلَ بِكسرها، والضَّم أصحُّ وأَشهَرُ وهوَ: مَا يُقارِبُ مِلأَها، والله أَعْلَم[1].

٥٣ ــ باب: في الجمع بين الخوف والرجاء

اعلم أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

بي) جملة في محل الحال من الفاعل **(شيئاً)** أي: من الشرك أو من المعبودات **(لأتيتك بقرابها مغفرة)** أي: لغفرتها لك وذلك؛ لأن الإيمان به تعالى شرط في العفو عن الذنب غير الشرك؛ لأنه أصل يبنى عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية، بخلاف الشرك إذ لا أصل معه يبنى عليه العفو عنه ولا بد أن يضم إلى الإيمان بالله تعالى الإيمان بنبيه محمد ﷺ وبما جاء به. هذا، والمراد من أتيتك غايته من المغفرة، أو إرادتها لاستحالته عليه وأتى به مشاكلة، والحديث من الأحاديث القدسية **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** زاد في الجامع بعد قوله: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الحافظ العلائي في الأربعين: «قلت»: يعني غريباً من جهة أنس، وقد روي من حديث ابن عباس وأبي ذر ثم أخرج حديث ابن عباس من طريق الطبراني وحديث أبي ذر من طريقين وقال بعد إخراجه: رواه الحافظ أبو عوانة في صحيحه «قلت»: وذكر السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف إن لحديث أنس طريقاً آخر غير طريق الترمذي عند ابن فنجويه[2] بنحو الحديث المذكور، وقال بعد تخريجه: سنده ضعيف والأول أصح **(عنان السماء بفتح العين)** المهملة وبنونين خفيفتين **(قيل هو ما عنّ)** بتشديد النون **(لك منها أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السحاب)** هو ما اقتصر عليه صاحب المصباح المنير، وعبارته: العنان قيل: السحاب وزناً ومعنى الواحدة عنانة **(وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر، وهو ما يقارب ملأها)** تقدم الكلام من المصنف أوائل باب الرجاء، وتقدم ما يتعلق به من الشرح ثمة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار... (الحديث: ٣٥٤٠).
(٢) بضم الجيم وفتح الياء.

سواءً، وفي حَالِ الْمَرَضِ يَتَمَحَّضُ الرَجاءَ. وَقَوَاعِدُ الشَّرعِ مِن نُصوصِ الْكِتَابِ والسُّنَّة وَغَيْرِ ذٰلِكَ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ.

قالَ الله تَعَالَى: (١) ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخاسِرونَ﴾.

وقال تعالَى: (٢) ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكافِرونَ﴾

وقال تعالى: (٣) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

باب الجمع بين الخوف

من الله تعالى **(والرجاء)** لفضله وإحسانه **(اعلم أن المختار للعبد)** أي: المكلف حراً كان أو رقيقاً ذكراً كان أو غيره **(في حال صحته)** أي: سلامته من المرض **(أن يكون خائفاً راجياً)** ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح **(ويكون خوفه ورجاؤه سواء)**؛ لأن الغالب في القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين، وهذا أصح الوجهين عند الأصحاب، وقيل: يكون خوفه أكثر، ومحل الخلاف ما لم يغلب عليه القنوط فيغلب على نفسه باب الرجاء، وما لم يغلب عليه سعة الرجاء ويخشى انحلال ربقة التكليف فيغلب حينئذ باب الخوف **(وفي حال المرض يتمحض الرجاء)** لما تقدم في حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» **(وقواعد الشرع)** جمع قاعدة وهو قانون كلي يتعرف منه أحكام جزئياته. والشرع ما شرعه الله من الأحكام للعباد مما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم، وتسمى القاعدة قانوناً وضابطاً وأصلاً، ويرادف الشرع من حيث المصداق الإسلام والدين والملة، وإن كانت متخالفة من حيث الاعتبار **(من نصوص الكتاب)** أي: القرآن **(والسنة)** وهو ما أضيف إليه ﷺ من قول أو صفة أو فعل أو تقرير **(وغير ذلك)** كالإجماع **(متظاهرة على ذلك)** أي: المذكور والتظاهر بالهاء كأن بعضها يشد ظهر الدليل الآخر. **(قال تعالى: فلا يأمن مكر الله)** قال البيضاوي: ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذ. من حيث لا يحتسب **(إلا القوم الخاسرون)** أي: الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار. **(وقال تعالى: إنه لا ييأس)** أي: يقنط **(من روح الله)** أي: من رحمته التي يحيي به العباد **(إلا القوم الكافرون)** بالله وصفاته، فإن العارف لا يقنط من رحمته تعالى في شيء من الأحوال **(وقال تعالى: يوم تبيض وجوه)** وهو يوم القيامة تبيض وجوه المحقين سرمداً ونوراً **(وتسود وجوه)** هي وجوه

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

Made searchable using ScribeTools.com

وقال تعالى: [١] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال تعالى: [٢] ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٣]: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ. فَيجتَمِعُ الخَوفُ والرَّجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أَوْ آياتٍ أَوْ آيَةٍ.

٤٤٣ ـ وعَن أبي هُرَيْرة رَضِي الله عَنهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ من العُقوبَة ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أحدٌ» . . . . . .

المبطلين تسود خزاية ودحوراً **(وقال تعالى: إن ربّك لسريع العقاب)** لمن عصاه **(وإنه لغفور)** لأهل طاعته **(رحيم)** بهم **(وقال تعالى: إن الأبرار)** المؤمنين الصادقين **(لفي نعيم)** جنة **(وإن الفجار)** الكفار **(لفي جحيم)** نار محرقة. **(وقال تعالى: فأما من ثقلت موازينه)** بأن رجحت حسناته على سيآته **(فهو في عيشة راضية)** في الجنة أي: ذات رضى برضاها أي: مرضية له **(وأما من خفت موازينه)** بأن رجحت سيآته على حسناته **(فأمه)** مسكنه **(هاوية)** وبينها سبحانه مهولاً لشأنها بقوله **(وما أدراك ماهيه نار حاميه)** نسأل الله العافية **(والآيات في هذا المعنى)** أي: الجمع بين الرجاء والخوف **(كثيرة، فجمع الخوف والرجاء في آيتين مقرونتين)** كآية ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾[٤] **(أو آيات)** وذلك كثير في التنزيل **(أو آية)** كقوله ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[٥].

٤٤٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لو يعلم المؤمن ما عند الله) من العقوبة **(ما طمع بجنته أحد)** وذلك لما يشهده من جلال الحق سبحانه ويخشاه من انتقامه وهو العدل في جميع ذلك **(ولو يعلم الكافر ما عند الله)** من الرحمة **(ما قنط)** من القنوط بالضم: وهو الإياس **(من رحمة الله)** قال في المصباح: قنط يقنط من باب ضرب يضرب وتعب فهو قانط وقنوط وقنط. وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قعد ا هـ. أي: ما

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.
(٢) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤
(٣) سورة القارعة، الآيات: ٦، ٧، ٨، ٩.
(٤) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٤٤٤ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ واحْتَمَلَها الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُوني قَدِّمُوني، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

يئس من جنته أحد بل كان يرجوها لما يعلمه من كثرة الرحمة وسعتها (**رواه مسلم**) وفي الجامع الصغير رواه الترمذي، وهو منه عجيب كان حقه حيث ما هو في الصحيح عزوه إليه، وفي المشارق رمز متفق عليه، وتعقبه شارحه الكازروني بأن الحديث لمسلم انفرد به عن البخاري.

٤٤٤ ــ (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا وضعت الجنازة**) أي: بين يدي الرجال ليحملوها (**واحتملها الرجال**) على أعناقهم قيد، إذ لا يتولى حمل الجنازة ولو امرأة إلا الرجال إن وجدوا لضعف النساء غالباً فيكره لهن حملها، ويكره للرجال كراهة شديدة تمكينهن منها بل أطال بعضهم في الانتصار لحرمته نعم الأولى لا يتولى حمل المرأة من المغتسل إلى النعش وتسليمها لمن في القبر وحل ثيابها إلا النساء على أعناقهن (**فإن كانت صالحة**) يحتمل أن المراد مطلق الصلاح وهو الإيمان، أو الصلاح الذي هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي (**قالت: قدموني قدموني**) اشتياقاً إلى ما أعده الله لها من نعيم القبر ونضارته (**وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها**) إضافته ومابعده إليها بضمير الغيبة على خلاف القياس من ويلي؛ لأنه حكاية كلامها وكراهة أن الويل يضاف لنفس المتكلم، وهو كلمة جزع وتحسر. والمعنى يا حسرته وندامته هذا وقتك فاحضريني. والويل الهلاك (**أين تذهبون بها يسمع**) الظاهر أنه بمعنى يستمع (**صوتها كل شيء**) عمومه متناول للجماد. ولا بعد في خلق قوة الاستماع في الجماد (**إلا الإنسان**) وحكمة استثنائه قوله (**ولو سمعه لصعق**) بكسر العين: أي: مات لشدة ذلك الصوت الناشىء عن شدة ما يرى مما أعد له من الويل والثبور (**رواه البخاري**) في الجنائز.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى... (الحديث: ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: حمل الرجال الجنازة (١٤٦/٣).

Made searchable using ScribeTools.com

٤٤٥ ــ وعنِ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبيُّ ﷺ: «الْجنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مَن شِراكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٥٤ ــ باب: في فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه

قالَ اللَّهُ تعَالى[٢]: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

---

٤٤٥ ــ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء وآخره كاف: أحد سيور النعل التي تكون في وجهها، ويطلق على كل سير وقى به القدم **(والنار مثل ذلك)** أي: في الأقربية. قال ابن بطال فيه: إن الطاعة موصلة إلى الجنة وإن المعصية مقربة إلى النار، وإن الطاعة والمعصية قد يكونان في أيسر الأشياء، وفي هذا المعنى حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» الحديث. فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط الله عليه بها. وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اهـ. من فتح الباري **(رواه البخاري)** ورواه أحمد أيضاً كما في الجامع الصغير.

باب فضل البكاء من خشية الله تعالى

الخشية: الخوف المقرون بإجلال، وذلك للعلماء بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[٣] أماتنا الله على محبتهم **(وشوقاً إليه)** معطوف على محل المجرور بمن إذ هو مفعول له، وقد صرح النحاة بأن المفعول له عند اجتماع شروط نصبه لا يجب النصب بل يجوز جره حينئذ وما هنا كذلك، ويجوز العطف بالنصب على محل ذلك، قال الله تعالى: ﴿والخيل البغال والحمير لتركبوها وزينة﴾[٤] فزينة معطوف على محل لتركبوها على أحد الأقوال في إعراب الآية، وأشار المصنف بالترجمة إلى أن الداعي للبكاء إما أن يكون خشية لما علم العارف من عظم جلال مولاه، وإما شوقاً لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه، فضلاً عن أقصاه. **(قال الله تعالى:)** مبيناً حال من اطلع على الكتب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله (١١/٢٧٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩. (٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨. (٤) سورة النحل، الآية: ٨.

وَقال تَعالَى: (١) ﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾.

٤٤٦ ــ وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ» قُلتُ: يا رَسولَ الله أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ من غَيْرِي» فَقَرَأتُ عَلَيهِ سورةَ النِّساءِ حَتَّى جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾(٢) .....

السابقة وعرف حقيقة المصطفى وما أنزل عليه في تلك الكتب **(ويخرون للأذقان يبكون)** أي: لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى، وذكر الذقن؛ لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرورية **(ويزيدهم)** أي: سماع القرآن **(خشوعاً)** كما يزيدهم علماً ويقيناً بالله تعالى. **(وقال تعالى: أفمن هذا الحديث)** يعني القرآن **(تعجبون)** إنكاراً **(وتضحكون)** استهزاءً **(ولا تبكون)** تحزناً على كشف ما فرطتم.

٤٤٦ ــ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ علي القرآن فقلت يا رسول الله أقرأ عليك)** بتقدير همزة الاستفهام قبله أي: أأقرأ عليك **(وعليك)** أي: لا على غيرك **(أنزل؟)** الجملة حالية من ضمير المخاطب، والرابط الواو، فهم ابن مسعود أنه أمر بالقراءة ليتلذذ بقراءته، لا ليختبر ضبطه، فلذا سأل متعجباً وإلا فلا مقام للتعجب **(قال: إني أحب أن أسمعه من غيري)** لكونه أبلغ في التفهيم والتدبير؛ لأن القلب حينئذ يخلص لتعقل المعاني والقارىء مشغول بضبط الألفاظ وآدائها حقها؛ ولأنه اعتاد سماعه من جبريل والعادة محبوبة بالطبع، ولهذا كان عرض القرآن على الغير سنة. قالوا: ومن فوائد هذا الحديث التنبيه على أن الفاضل لا يأنف من الأخذ عن المفضول. قال ابن النحوي: وقراءته عليه يحتمل أن يراد بها علم الناس بحاله أو خشي ﷺ أن يغلبه البكاء عنها **(فقرأت عليه سورة النساء)** فيه رد على من قال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها كذا **(حتى جئت)** أي: وصلت **(إلى هذه الآية)** وعطف عليها عطف بيان قوله: **(فكيف)** أي: فكيف حال الكفار **(إذا جئنا من كل أمة بشهيد)** يشهد عليها بعملها وهو نبيها **(وجئنا بك على هؤلاء)** أي: الأشخاص المعينين من الكفرة **(شهيداً)** وزعم المغني أن كل نبي شهيد على أمته وكذا نفعل بك وبأمتك يا محمد، رده الطيبي بقوله تعالى: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٥٩، ٦٠. (٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

Made searchable using ScribeTools.com

قَـالَ: حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. . . . . .

شهداء على الناس﴾[1] فالشهادة لهم لا عليهم. وقال ابن النحوي: وهؤلاء هم سائر أمته يشهد عليهم أو لهم. فعلى بمعنى اللام، وقيل: أراد به أمته الكفار، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار قريش وفيما يشهد به البلاغ أو بالإيمان أو بالأعمال أقوال ا هـ. **(قال: حسبك)** أي: يكفيك ذلك **(الآن، فالتفت إليه)** أي: لأنظر الداعي إلى الأمر بالكف، عن القراءة بعد الأمر بها **(فإذا عيناه تذرفان)** بذال معجمة ساكنة وكسر الراء أي: تسيل دموعهما. قال ابن النحوي في شرح البخاري: يقال ذرف الدمع وذرفت العين دمعها. قال في تفسير السمرقندي من حديث محمد بن فضالة عن أبيه: «أنه عليه السلام أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه، فأمر قارئاً يقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾[2] بكى حتى اخضلت لحيته وقال: يا رب هذا على من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أرهم؟» وللثعلبي: «فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: حسبنا الله». وفي تفسير ابن الجوزي ﴿عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾[3] قال ابن النحوي: وبكاؤه عند هذه الآية؛ لأنه لا بد من أداء الشهادة، والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد، فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو السامع بكى على المفرطين منهم. وقيل: بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب. وقيل: بكى فرحاً بقبول شهادة أمته وتزكيته لهم ذلك اليوم. ا هـ. وقال بعض شراح الشمائل: بكاؤه عليه لفرط رأفته ومزيد شفقته حيث عز عليه عنتهم ويؤخذ من قوله حسبك الآن جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة. قال الحراني: إنما قال ﷺ للقارىء: «حسبك الآن» حفيظة على حسن ترديه بالصبر في هيئته، فإن كان ينكف عن السماع الذي يغلب تأثيره في ظاهره الهيئة فكانت سنته العلمية أن يتردى رداء السكون ويصون ظاهر أعضائه عن الخروج عن الإحساس في الهيئة كما كان لا تبدو عليه في أقواله وأعماله عندما ترهقه الإرهاقات حركة، فكان لا يزول عن ظاهر رداء الصبر ولا يخرج عن حسن السمت وهيئة السكون. وقد كان عيسى عليه السلام إذا ذكر الساعة يخور كما تخور البقرة فكأن أثر السماع يظهر في كثير من الأنبياء والأولياء، وكان المصطفى ساكناً فيه حتى

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٤٧ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» قَالَ: فَغَطَّىٰ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي

يفيض سكونه على جلسائه، وكان قليلاً ما يخرج حاضروه عن هيئة السكون كما قال العرباض: «خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب» الحديث، فقلما كان يغلب عليهم السماع لما يصل إليهم من بركة ترديه برداء الصبر ولزوم حسن السمت، فأنبأنا رسول الله ﷺ أن انفعال النفس لما تسمع الأذن لا بد منه، لكن ينبغي الستر والتثبت وعدم إظهار الحركة والصرخة، فكان على من على سنته في الوجد التثبت وحسن السمت والصبر على جميع مواجيده التي لا يجدها سواه، وكان يدعو حاضريه لذلك فعلمنا التأسي به **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في التفسير، ومسلم في كتاب فضائل القرآن، وأخرجه الترمذي والنسائي في التفسير. ﴿فائدة﴾: قال ابن النحوي في شرح البخاري: روى عبد بن حميد في تفسيره أن عبد الله بن مسعود لما قرأ هذه الآية قال ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضاً طرياً فليقرأ على قراءة ابن أم عبد» اهـ.

٤٤٧ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ خطبة)** بضم الخاء المعجمة في الوعظ وهي فعلة بمعنى مفعول نحو نسخة بمعنى منسوخ، وجمعها خطب **(ما سمعت مثلها قط)** من كمال البلاغة ومزيد التذكير والتنبيه على ما يحتاج إليه **(فقال: لو تعلمون ما أعلم)** أي: من إجلال الله سبحانه وعظمته **(لضحكتم قليلاً)** لما تشهدون من مظهر الرحمة المنبثة من فضله في الأكوان، ففيه إيماء إلى أن الكمال عدم غلبة الخوف بحيث يؤدي إلى الانقطاع عن الرجاء **(ولبكيتم كثيراً)** والاسمان منصوبان على المفعولية المطلقة، ويحتمل نصبهما على الظرفية الزمانية أي: في قليل وكثير من الزمان **(قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين)** جملة حالية من فاعل غطى والرابط الضمير **(متفق عليه وسبق بيانه)** مع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/ النساء، باب: فكيف إذا جئنا... الخ (٨/١٨٨، ١٨٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن... (الحديث: ٢٤٧).

Made searchable using ScribeTools.com

بَابِ الْخَوْفِ(١)(٢).

٤٤٨ ــ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ الله عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّار رَجُلٌ بَكَى مَنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعودَ اللبنُ في الضَّرعِ. ولا يجتمعُ غُبارٌ في سَبِيْلِ الله ودُخَانُ جَهَنَّمَ». . . . . .

شرحه (في باب الخوف).

٤٤٨ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يلج النار رجل بكى من خشية الله) من فيه تعليلية أي: لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم إلا تحلة القسم. وقال العاقولي: لعل المراد به العارف به تعالى وهو العالم العامل لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(٣) وبالجملة فلا بد من نوع معرفة ليتصور الخشوع والبكاء؛ لأن البكاء ممن لا يعرفه بوجه ممتنع انتهى. وأشار إلى سبب البكاء، وما ذكرته أولى؛ لأن الموصوف بما ذكرته القائم به من أهل الجنة ابتدأ بالوعد الكريم، وظاهر الخبر إن لم يحمل على ذلك معارض لما جاء في الأخبار من دخول قوم من عصاة المؤمنين النار. وقوله: (حتى يعود اللبن في الضرع) أي: يدخل من مسامه إليه أي: وذلك محال عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي بعود اللبن إلى الضرع، والمراد بالولوج الدخول فيها فلا ينافي وجوب المرور عليها المفسر به الورود، أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه، إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه، وإن شاء حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه ثم أدخله الجنة لإيمانه بمحض فضله وما ذكرت من أن المراد عود اللبن إلى الضرع من مسامه ليكون محالاً عادياً وإلا فقد صرح الفقهاء بأن اللبن إذا تنجس أمكن تطهيره بأن تسقاه نحو الشاة ثم يخرج من ضرعها ظاهراً، وكذا إذا تنجس العسل يسقاه النحل ثم يمجه طاهراً (ولا يجتمع غبار في سبيل الله) المراد جهاد أعداء الدين لوجه الله تعالى (ودخان جهنم) ظاهره أن الجهاد في سبيل الله مقتض لسلامة المجاهد من العذاب بالوعد الذي لا يخلف فيحمل على ما إذا مات

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: لا تسألوا عن أشياء... (٨/٢١٠، ٢١١)، سبق تخريجه.
وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ... (الحديث: ١٣٤).

(٢) سبق تخريجه في رقم (٤٠١).

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٤٩ ــ وعنهُ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِل إلّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المساجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في الله اجْتمعا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذات منصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إنِّي أخَافُ الله، وَرَجلٌ تصَدَّقَ بِصَدقَةٍ فَأخْفاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٤٥٠ ــ وَعَنْ عَبْد الله الشِّخِّير .....

فيه أو بعده ولم يقترف موبقاً يصده عن ذلك (**رواه الترمذي**) في كتاب الجهاد (**وقال: حديث حسن صحيح**).

٤٤٩ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله) هي ما تعبد به بشرط معرفة المتقرب إليه، فالطاعة توجد بدونهما في النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى إذ معرفته ربما تحصل بتمام النظر، والقربة توجد بدون العبادة في القرب التي لا تحتاج إلى نية كالعتق والوقف (**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب**) بكسر الصاد (**فقال**): أي: بقلبه لنفسه لينزجر عن العصيان، ويحتمل أن يكون بلسانه لينزجر طالبه منه ولا مانع أن يأتي بهما نظير ما قاله الفقهاء فيما يسن للصائم إذا خوصم من قوله: إني صائم (**إني أخاف الله**(٣) **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**) خشية من الله تعالى (**متفق عليه**) وقد تقدم مع شرحه في باب فضل الحب في الله.

٤٥٠ ــ (وعن عبد الله بن الشخير) بشين وخاء معجمتين مكسورتين والخاء مشددة وآخره

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، (الحديث: ١٦٣٣).
وأخرجه في كتاب: فضائل الجهاد، من حديث ابن عباس بلفظ آخر غير هذا اللفظ، باب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (الحديث: ١٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: أبواب صلاة الجمعة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة. (٢/١١٩، ١٢٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، (الحديث: ٩١).

(٣) لم نجد في جميع النسخ التي بأيدينا جملة ورجل قلبه معلق بالمساجد. ع

Made searchable using ScribeTools.com

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو يُصَلِّي، وَلِجَوفِهِ أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرجَلِ مِن البُكَاءِ. وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ رواهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ في الشَّمَائِلِ بإسناد صحيحٍ [1].

راء الصحابي، هو عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وفدان بن الجرش وهو معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكعبي الجرشي البصري، والد مطرف بن يزيد، روي له عن النبي ﷺ نحو ستة أحاديث، قال ابن الجوزي في مختصر التلقيح: ذكره البرقاني وقال: له نحو ستة أحاديث ا هـ. انفرد مسلم بالرواية عنه عن البخاري، فروى له حديثين، وأورد له المزي في الأطراف تسعة أحاديث وقد ذكرته في رجال الشمائل بأبسط من هذا (**رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه**) أي: صدره وداخله وجوف كل شيء داخله، والجوف: البطن وما انطبقت عليه الكتفان والأضلاع (**أزيز**) بفتح الألف وكسر الزاي الأولى: صوت البكاء أو غليانه في الجوف، وفيه أن الصوت الغير المشتمل على الحروف لا يضر في الصلاة (**كأزيز المرجل**) بكسر فسكون ففتح، مذكر والقدور كلها مؤنثة إلا المرجل، وهو قدر من نحاس أو حجر أو يختص بالنحاس، أو كل قدر، ورجحه الحافظ ابن حجر. قال الزمخشري: سمي بذلك؛ لأنه إذا نصب أقيم على رجل (**من البكاء**) أي: من أجله، وذلك ناشيء عن عظيم الرهبة والخوف والإجلال لله سبحانه، وذلك مما ورثه من أبيه إبراهيم عليه السلام، فقد ورد أنه كان يسمع من صدره صوت كغليان القدر من مسيرة ميل ا هـ. وفيه دليل على كمال خوفه وخشيته وخضوعه لربه. قال الحراني: ومن هذا الحديث ونحوه أستن أهل الطريق الوجد والتواجد في أحوالهم وعرفوا به في أوقاتهم، وهذا الحال إنما كان يعرض للمصطفى ﷺ عند تجلي الصفات الجلالية والجمالية معاً: يعني الجلال الممزوج بالجمال، وإلا فغير الممزوج بالجمال لا يطيقه أحد من البشر بل ولا واحد من الخلائق، وكان إذا تجلى لقلبه الجمال المحض يمتلىء نوراً وسروراً وملاطفةً وإيناساً وتبسطاً، وكل وارث من أمته له نصيب من هذين التجليين، فتجلي الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج وتجلي الجمال يورث الأنس والسرور (**حديث صحيح**) فيه دليل على جواز تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه لمن تمكن منه وفيه أهلية ذلك، خلافاً لابن الصلاح في منع ذلك وقد تقدم ذلك (**رواه أبو داود**) في كتاب الصلاة من سننه (**والترمذي في الشمائل**) في باب البكاء (**بإسناد صحيح**) والنسائي في

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: البكاء في الصلاة(الحديث: ٩٠٤).
وأخرجه الترمذي في كتاب: «الشمائل»٢/ ١٤٤.

٤٥١ ــ وَعَن أَنَسٍ رضِيَ الله عنهُ قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ لأُبـيٍّ بن كَعبٍ رَضِيَ الله عَنْـهُ؛ «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَـلَّ أَمَرَني أَنْ أَقْـرَأَ عَلَيْـكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَـرُوا﴾[1] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى مُتَّفَقٌ عَلَيْه. وفِي رِوَايَـة فَجَعَلَ . . . . . .

الصلاة بنحوه.

٤٥١ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأُبَيّ) بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية **(ابن كعب)** بسكون العين المهملة آخره موحدة، وهو الأنصاري سيد القراء تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه:)** في باب بيان كثرة طرق الخير **(أن الله عز وجل أمرني أن أقـرأ عليك: لم يكن الـذين كفروا)** أي: السـورة بكمالهـا **(قـال)**: أي: أبي للنبي ﷺ **(وسماني لك)** الواو عاطفة على مقدر أي: أمرك بذلك وسماني، وسببه احتمال أن يكون الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يقرأ على رجل من أمته ولم ينص على خصوص أبي فأراد تحقق ذلك، فيؤخذ منه الاستثبات، ويوضح ذلك لفظ البخاري «هل نص علي باسمي أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت؟» **(قال نعم)** أي: سماك لي. وعند الطبراني عن أبي بن كعب قال نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى **(فبكى)** إما فرحاً وسروراً بذلك أو خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة أو استحقاراً لنفسه وخشيةً وتعجباً وهذا شأن الصالحين إذا فرحوا بشيء خلطوه بالخشية، وقيل: الفرح والسرور دمعته باردة ولذلك يقال: اقـر الله عينه قاله ابن النحوي. قال أبو عبيد: المراد بالعرض على أبي ليعلم منه القراءة «قلت»: ويؤيده أن عند أحمد بن حنبل من حـديث علي بن زيد عن عمـار بن أبي دحية البدري «لما نزلت لم يكن قال جبريل لرسول الله ﷺ إن الله يأمرك أن تقرئها أبياً فقال له رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن أقرئك هذه السورة فبكى وقال: يا رسول الله، وقد ذكرت ثمة؟ قال: نعم»، ويستثبت فيها ليكون عرض القرآن سنة. وللتنبيه على فضيلة أبي وتقدمه في حفظ القرآن وليس المراد أن يتذكر منه ﷺ شيئاً بذلك العرض، وحكمة تخصيص هذه السورة لوجازتها وجمعها لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته، والإخلاص وتطهير القلوب وكان الوقت يقتضي الاختصار، قاله المنصف والقرطبي في شرحيهما على مسلم. ويؤخذ من الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في فضائل أبي وفي التفسير ومسلم في كتاب فضائل القرآن من كتاب الصلاة من صحيحه. **(وفي رواية)** أي: لمسلم في الكتاب المذكور من صحيحه **(فجعل**

---

(١) سورة البيّنة، الآية: ١.

Made searchable using ScribeTools.com

أُبَيٌّ يَبْكِي[1].

٤٥٢ ــ وعَنهُ رَضِيَ الله عَنهُ قالَ: قالَ أَبُو بَكرٍ لِعُمرَ رَضِيَ الله عَنهُما بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ: انْطلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورهَا كَما كَانَ رَسولُ الله ﷺ يَزورُهَا، فَلَمَّا انتَهَيَا إلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالاَ لَهَا مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ لِرسُول الله ﷺ قَالَتْ: إنِّي لا أَبْكِي أَنِّي لا أَعْلَمُ أنَّ مَا عَنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهما عَلَى البُكَاءِ فَجَعَلاَ يَبْكِيَان مَعَهَا.

أبي يبكي) وهذه أبلغ من الأولى للإتيان بالجملة المضارعية الدالة على التجدد والحدوث.

٤٥٢ ــ (وعنه) أي: أنس **(قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد)** ظرف لقال **(وفاة رسول الله ﷺ:)** أي: وانتظام أمر الخلافة **(انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها)** جملة مستأنفة لبيان المقصود بالانطلاق إليها، وقوله: **(كما كان رسول الله ﷺ يزورها)** فيه إيماء إلى الاقتداء به ﷺ في كل أفعاله مما لم يقم الدليل على تخصيصه ﷺ **(فلما انتهينا إليها بكت)** لتذكرها برؤيتهما النبي ﷺ لملازمتهما له وعدم مفارقتهما إياه في الغالب، ونظيره بكاء الصحابة لما سمعوا أذان بلال بالشام مرة بأمر عمر رضي الله عنهما حين قدومهما تذكراً لأيام المصطفى ﷺ **(فقالا لها: ما يبكيك؟)** بضم التحتية **(أما تعلمين أن ما عند الله)** مما تقصر العبارة عن تعريف أدناه فضلاً عن أعلاه **(خير لرسول الله ﷺ؟)** يحتمل أن يكون خير بغير ألف مصدراً، ويحتمل أن يكون أفعل تفضيل، فيدل على أنه كان له في الدنيا خير وهو كذلك لما يشرعه من الأحكام ويهدي من الأنام ويوصل المنقطعين إلى حضرة المولى ويقرب المبعدين إلى الفيض الأعلى، وعليه فحذف معمول أفعل أي: مما في الدنيا للتعميم وإيماء إلى أن ما عند الله لا يليق أن تقابل به الدنيا لقائها وانقطاعها **(قالت: إني لا أبكي أني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ)** بتقدير لام التعليل قبل أن أي: لا أبكي لعدم علم ذلك وأعادت الجملة بلفظها مع إغناء اسم الإشارة عنها استعذاباً لذكر المحبوب، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره **(ولكن)** استدراك مما يفهمه كلامها السابق مع ما قبله الموهم انحصار سبب البكاء في عدم العلم بذلك أي: ليس البكاء لذلك ولكن **(أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء)** تقدم في باب المحبة في الله عن المواهب وغيرها أن المخصوص بالنبي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: مناقب أبي (٧/٧٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن... (الحديث: ٢٤٥).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ سَبَقَ فِي بَابِ أَهْلِ الخَيْرِ[1].

٤٥٣ ــ وعنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لمّا اشْتدَّ بِرَسولِ الله ﷺ وَجَعُهُ قِيْلَ لَهُ في الصلاةِ، قَالَ: «مُروا أبَا بَكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ الله عنهَا: إنّ أبَا بَكرٍ رجُلٌ رَقِيْقٌ إذَا قَرأ غَلَبَهُ البُكاء. فَقَالَ: «مُرُوهُ فَليُصَلِّ». وفي رِوايَةٍ عَنْ

الوحي بالشريعة، أما مطلق الوحي فيكون لغير الأنبياء فيحمل قولها على ذلك **(فهيجتهما)** أي: حملتهما **(على البكاء فجعلا يبكيان معها)** ففيه البكاء على فقد الأخيار، وأن ذلك لا يعارض التسليم للأقدار **(رواه مسلم وقد سبق)** مع شرحه **(في باب زيارة أهل الخير)**.

٤٥٣ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما اشتد) بالشين المعجمة أي: قوي وعظم **(برسول الله ﷺ وجعه)** زاد في رواية لما اشتكى شكوه[2] الذي توفي فيه رواه البخاري كما في الأطراف وذلك لتضاعف أجره وإعلاء أمره كما يدل عليه حديث «أشد الناس بلاء الأنبياء» الحديث **(قيل له في الصلاة)** أي: من يقيمها للقوم ويؤم بهم فيها **(فقال: مروا)** بضم الميم وأصله اؤمروا بهمزتين أولاهما للوصل وثانيتهما فاء الكلمة فحذفت تخفيفاً ومثله خذوا **(أبا بكر)** أي: الصديق وسكت عن وصفه بذلك لتبادره إليه وحذف المأمور به أي: بإقامة الصلاة لدلالة قوله: **(فليصل بالناس)** على ذلك أورده الحافظ المزي بلفظ الناس باللام محل الباء أي: ليصل إماماً لأجلهم ليعقدوا صلاتهم بصلاته، وفي الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب إيماء إلى كمال مبادرته لامتثال أمر المصطفى ﷺ وعدم توانيه وأخذ منه أفضلية الصديق على باقي الصحابة الذين هم أفضل من جميع الأمة وأنه الخليفة من بعده، ولذا قال عمر رضي الله عنه: رجل اختاره النبي ﷺ لديننا ألا نرضاه لدنيانا **(فقالت عائشة)** لتصرف ذلك عن أبيها خوفاً من تطير الناس به **إن** مات ﷺ ولما تعلمه من كراهتهم للواقف موقفه لما جبلوا عليه من كمال محبته ﷺ **(إن أبا بكر رجل رقيق)** أي: رقيق قلبه وإسناده إليه باعتبار ذلك لما غلب عليه من شهود مظهر الجلال **(إذا قرأ)** أي: القرآن **(غلبه البكاء)** أي: فلا يتمكن من إظهار القراءة المأمور بها الإمام، وليس مرادها أن ذلك يقع منه بسببه ظهور حرفين؛ لأنه مبطل للصلاة **إن** لم يكن عن غلبة بحيث لا يمكن دفعه ولو كان كذلك لما أمر به ثانياً بقوله: **(قال: مروه فليصل وفي رواية)** أي: لهما **(عن عائشة)** أي: من سندها بخلاف ما قبله فهو

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أم أيمن رضي الله عنها (الحديث: ١٠٣)، وتقدم الحديث برقم: ٣٦٠.

(٢) الشكو المرض كما في القاموس. ع

Made searchable using ScribeTools.com

عَائِشَةَ قالتْ: قُلتُ: إنَّ أبَا بَكرٍ إذا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ الناسَ مِنَ البُكَاءِ. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[1].

٤٥٤ ــ وعن ابْراهِيمَ بن عبْدِ الرحمن بْنِ عوفٍ أنَّ عَبْد الرحمنِ بنَ عَـوفٍ رَضِيَ الله

من سند ابن عمر **(قالت)**: أي: للنبي ﷺ لما أمر أن يؤم الناس أبو بكر **(قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك)** أي: إماماً بالناس، والمقام بفتح الميم اسم مكان من القيام **(لم يسمع الناس من البكاء)** من فيه تعليلية أي: بسببه، وإيراد المصنف لهذا الحديث في الباب؛ لأن النبي ﷺ رضي ذلك الأمر من الصديق وأبقاه على تقديمه فهو دليل على كونه محبوباً، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾[2] **(متفق عليه)** أخرجاه في كتاب الصلاة واللفظ للبخاري، ورواه النسائي في عشرة النساء من سننه كما في الأطراف.

٤٥٤ ــ (وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف) الزهري، قال الحافظ في التقريب: قيل له رواية، وسماعه من ابن عمر أثبته يعقوب بن شيبة، مات سنة خمس، وقيل سنة ست وتسعين، خرج عنه الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه **(أن عبد الرحمن بن عوف)** بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي الزهري أحد العشرة أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: غير ذلك، ومن مناقبه التي لا توجد لغيره كما قال المصنف في التهذيب: أن النبي ﷺ صلى وراءه في غزوة تبوك حين أدركه، وقد صلى بالناس ركعة، وحديثه في مسلم وغيره، قال: وقولنا لا توجد لغيره من الناس احترازاً من صلاة النبي ﷺ خلف جبريل حين أعلمه بالمواقيت ا هـ. وما أفهمه من أنه ﷺ لم يصل خلف غير عبد الرحمن يشكل عليه ما أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي عن عائشة قالت: صلى النبي ﷺ خلف أبي بكر في مرضه الذي مات فيه قاعداً، وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أنس قال: ﷺ خلف أبي بكر قاعداً في ثوب متوشحاً به. قال الحافظ السيوطي بعد إيراد ذلك وأحاديث أخر بمعناه وإيراد حديث: تأخر أبي بكر واقتدائه بالنبي ﷺ، واقتداء الناس بأبي بكر ما لفظه: هذه الأحاديث قد جمع بينها ابن حبان والبيهقي وابن حزم. وقال ابن حبان: لا معارضة بين هذه الأحاديث، فإنه ﷺ صلى صلاتين، لا صلاة واحدة؛ لأن في خبر عن عائشة أنه ﷺ خرج بين رجلين تريد بأحدهما العباس والآخر علياً، وفي خبر آخر عنها: أنه ﷺ خرج بين بريدة وثوبة قال: فهذا يدلك على أنهما صلاتان لا صلاة واحدة. قال البيهقي في المعرفة: والذي نعرفه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: حد المريض أن يشهد الصلاة واللفظ له، (٢/١٣٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا... (الحديث: ٩٤).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

عَنْهُ أُتِيَ بِطَعامٍ، وَكَان صائِماً فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ رضِيَ الله عنهُ، وَهوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَم يوجَدْ لهُ ما يُكَفَّن فِيهِ إلاّ بُرْدَةٌ، إنْ غُطِّيَ .....

بالاستدلال بسائر الأخبار أن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر هي صلاة صبح يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاًها حتى مضى لسبيله، هي غير التي صلاها أبو بكر خلفه. قال: ولا يخالف هذا ما ثبت عن أنس في صلاتهم يوم الاثنين، فكشف النبي ﷺ الحجرة ونظر إليهم وهم صفوف في الصلاة وأمرهم بإتمامها وإرخائه الستر فإن ذلك إما كان في الركعة الأولى، ثم إنه وجد في نفسه خفة فخرج فأدرك معه الركعة الثانية. ثم ذكر ما يدل له من كلام موسى بن عقبة. قال البيهقي: فالصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ وهو مأموم صلاة الظهر، وهي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بين الفضل بن عباس وغلام له. قال: وبذلك جمع بين الأخبار. وقال ابن حزم: وهما صلاتان متغايرتان بلا شك، إحداهما التي رواها الأسود عن عائشة وعبيد الله عنها وعن ابن عباس صفتها: أنه ﷺ صلّى الناس خلفه وأبو بكر عن يمينه في موقف المأموم يسمع الناس تكبيره والثانية التي رواها مسروق وعبيد الله عن عائشة وحميد عن أنس صفتها: أنه ﷺ كان خلف أبي بكر في الصف مع الناس فارتفع الإشكال جملة. قال: ومرضه ﷺ كان نحو اثني عشر يوماً فيه ستون صلاة أو نحو ذلك ا هـ. ملخصاً. وحينئذ فليست هذه الفضيلة من خصائص ابن عوف بل كما هي له فهي لجدنا الصديق رضي الله تعالى عنه أيضاً. روي له عن النبي ﷺ خمسة وستون حديثاً، اتفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بخمسة، وفضائله شهيرة طوينا عن نشرها خوف التطويل **(أتي)** بالفوقية مبني للمجهول خبر إن أي: أنه جيء إليه **(بطعام)** لعل تنوينه للتعظيم كما يومىء إليه آخر القصة **(وكان صائماً)** جملة في محل الحال وأتى بها لبيان كماله أنه مع توفر الداعي لتناول الطعام تركه لما صرفه عنه مما يخاف منه أن يكون مؤخراً له عن الدرجات العلا **(فقال: قتل)** بالبناء للمجهول **(مصعب)** بضم الميم وسكون الصاد المهملة وفتح العين المهملة وبالباء الموحدة **(ابن عمير)** بضم العين المهملة وسكون التحتية ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم. ومن السابقين إلى الإسلام، وكان قتله يوم أحد قتله عبد الله بن قتيبة وهو يظنه النبي ﷺ **(رضي الله عنه)** جملة دعائية **(وهو خير مني)** هذا من تواضعه وكمال فضله وإلا فأفضل الصحابة العشرة الذين منهم ابن عوف **(فلم يوجد له ما يكفن فيه)** الفعلان مبنيان للمجهول **(إلا بردة)** بضم الموحدة وبالرفع بدل من ما، ويجوز نصبه على الاستثناء، وهو عربي فصيح وإن كان الأول أفصح، وقوله: **(إن غطي)** بضم المعجمة وكسر المهملة

Made searchable using ScribeTools.com

بها رَأسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وإن غُطِّيَ بِها رِجلاهُ بَدَا رَأسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنيا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، قَد خشِيْنا أنْ تكُونَ حَسَناتُنَا عُجِّلَتْ لنا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

٤٥٥ ــ وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلاَنَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلى اللَّهِ تَعالَى مِنْ قَطْرَتَينِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشيةِ

المشددة أي: ستر **(بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطي بها رجلاه بدا رأسه)** جملة شرطية في محل الصفة لبردة، وأتي بقوله وإن غطي بها رجلاه مع دلالة ما قبله عليه واستلزامه إياه؛ لأن المقام للاطناب **(ثم بسط)** بالبناء للمجهول أي: وسع **(لنا في الدنيا ما بسط)** الموصول نائب الفاعل والظرفان في محل الحال منه **(أو)** شك من الراوي في أنه قال: ما بسط أو **(قال: ما أعطينا)** وقوله **(قد خشينا أن تكون حسناتنا)** أي: أعمالنا الصالحة الحسنة **(عجلت لنا)** أي: عجل لنا جزاؤها فلا تقدم على ثواب مدخر جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له، خشي أن يكون ما هو فيه من اليسار من جزاء طاعته التي فعلها مع أن ذلك اليسار من أسباب عمله الصالح ومتجره الأخروي الرابح كما علم من إنفاقه في سبيل الله تعالى وتصدقه على عباد الله ومع ذلك لعدم نظره لعمله واعتداده خشي أن يكون ما يدخره سواه من أسباب إبعاده عن مولاه **(ثم جعل يبكي)** خوفا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الأعمال في المآل، **وجعل** هنا من أفعال الشروع، وقوله: **(حتى ترك الطعام)** غاية لبكائه أي: تمادى به إلى أن أدى به لذلك **(رواه البخاري)** في الجنائز وفي المغازي من صحيحه كما في الأطراف.

٤٥٥ ــ **(وعن أبي أمامة)** بضم الهمزة **(صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه)** صدي بضم المهملة الأولى وفتح الثانية كما تقدم مع ترجمته في باب التقوى **(عن النبي ﷺ قال: ليس شيء أحب)** بالنصب خبر ليس، وهو من الفعل المبني للمجهول أي: ليس شيء أكثر محبوبية **(إلى الله تعالى)** أي: ليس شيء أكثر ثواباً عنده وأعظم مكانة من فضله **(من قطرتين)** بفتح القاف وهي كما في المصباح النقطة **(وأثرين)** بفتح الهمزة والثاء المثلثة: هي ما بقي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الكفن في جميع المال، وباب: إذا لم يوجد إلا ثوب واحد، وفي المغازي، باب: غزوة أحد (٣/١١٣).

اللَّهِ، وَقَطْرَةِ دَمٍ تُهْرَاقُ في سَبِيلِ اللَّهِ. وأَمَّا الأَثَرانِ: فَأَثَرٌ في سَبِيلِ اللَّهِ تَعالَى، وَأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ مِنْ فَرائِضِ اللَّهِ تَعالَى» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

وفي البَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ. مِنْهَا حَدِيثُ العِرباضِ بن ساريَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً وجِلَت مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرِفَتْ .....

من الشيء دلالة عليه **(قطرة دموع)** أي: قطراتها وأفردت لإضافتها إلى الجمع ثقة بذهن السامع **(من)** الأقرب أنها سببية ويحتمل كونها ابتدائية أي: دمعاً مبتدأ من **(خشية الله)** أي: ناشئة منها وهي تكون من المعرفة الناشئة من العلم والعمل به. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(٢) وقال ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية» **(وقطرة دم)** قال العاقولي: إفراد الدم يدل على أن إهراقه أفضل من الدموع **(تهراق)** بضم الفوقية وفتح الهاء وذلك؛ لأنه مضارع للرباعي ولا نظر للهاء فيه؛ لأنها زائدة، وقد استثناه ابن هشام في الجامع الصغير مما يفتح فيه حرف المضارعة من الخماسي فإنه مضموم فيه وإن كان الماضي خماسياً؛ لأنه رباعي، وإنما زيدت فيه الهاء على غير قياس. قال ابن فلاح: ويؤيد بقاءه على حكم الرباعي قطع الهمزة فيه ولو خرج إلى الخماسي لغير إلى همزة الوصل والجملة الفعلية في محل الصفة لقطرة، وقوله: **(في سبيل الله)** أي: في الجهاد للكفار لإعلاء كلمة الله متعلق بالفعل المذكور، وقوله قطرة الخ بيان للقطرتين، وكان الظاهر أما القطرتان فقطرة دموع إلخ كما يدل عليه قوله: **وأما الأثران)** ولعله مقدر كذلك بشهادة العطف **(فأثر في سبيل الله تعالى)** أي: ما يبقى بعد الاندمال من ضربة سيف أو طعنة رمح **(وأثر في فريضة الله تعالى)** وذلك لبلل في أعضاء الوضوء وأثر السجود **(رواه الترمذي)** في كتاب الجهاد من جامعه **(وقال: حديث حسن)** زاد فيه بعد قوله: حسن قوله غريب، وكأن المصنف سكت عنه لعدم ضرره في حسن الحديث؛ لأنها غرابة نسبية لا غرابة مطلقة. **(وفي الباب)** أي: باب البكاء من خشية الله **(أحاديث كثيرة)** وصف توكيدي وإلا فصيغة لأحاديث من جموع الكثرة الدالة عليها **(منها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة)** يحتمل أن تكون منصوبة على المصدر أي: وعظنا وعظاً بليغاً كما يدل عليه العدول عن وعظاً إليها، ويحتمل أن تكون منصوبة بحذف الخافض **(ذرفت)**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل المرابط (الحديث: ١٦٦٩).
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

مِنْهَا العُيُونُ. وَقَد سَبَقَ في باب النَّهي عَنِ الْبِدَعِ[١].

٥٥ ــ باب: في فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها، وفضل الفقر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[٢]: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ

بوزن علم، أي: دمعت (منه العيون، وقد سبق في باب البدع) وتقدم ثمة شرحه.

باب فضل الزهد في الدنيا

الظرف لغو متعلق بالزهد. قال السيد الشريف في التعريفات: الزهد في اللغة: ترك الميل إلى الشيء. وفي الاصطلاح هو بغض الدنيا والإعراض عنها. وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، اهـ. وتقدم المراد من الدنيا في حديث «إنما الأعمال بالنيات» (والحث) بالمثلثة المشددة أي: التحريض (على التقلل منها) عبر بباب التفعيل المؤذن بالتكلف لما أن ذلك خلاف داعي الطبع البشري، قال تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾[٤] أي: فيتكلف الاستقلال منها وإن كان ذلك خلاف طبعه ليسلم من تبعات ذلك (وفضل الفقر) أي: غير المذموم، وهو الفقر مما زاد على الكفاية والحاجة. (قال الله تعالى: إنما مثل الحياة الدنيا) أي: صفتها العجيبة الشأن في سرعة نقصها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها (كماء) أي: كمطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) أي: بسببه (نبات الأرض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والأنعام) من الكلأ (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) عذابنا (ليلاً أو نهاراً فجعلناها) أي: زرعها (حصيداً) كالمحصود بالمناجل (كأن) مخففة أي: كأنها (لم تغن) لم تكن (بالأمس كذلك نفصل) نبين (الآيات لقوم

---

(١) والحديث تقدم برقم (١٥٧).
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٦.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى(١): ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا كَمَاءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً* الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيا والْباقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى(٢): ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ في

يتفكرون) فإنهم المنتفعون بها. قال البيضاوي: الممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعد ما كان غضاً والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح، لا الماء وإن وليه حرف التشبيه؛ لأنه من التشبيه المركب. اهـ. **(وقال تعالى:)** علواً معنوياً أي: تنزه عما لا يليق به **(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا)** أي: اذكر لقومك ما تشبه الحياة في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة. وقوله: **(كماء)** خبر محذوف أي: هو كماء، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لا ضرب على أنه بمعنى صبر، وعليه اقتصر المحلي في تفسيره والمفعول الأول مثل **(أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)** فالتف بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه أو تجمع في النبات حتى روي ورقه. وعلى هذا كان حقه **فاختلط** بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته **(فأصبح)** أي: صار النبات **(هشيماً)** مهشوماً مكسوراً **(تذروه الرياح)** تفرقه والمشبه به كما في الذي قبله الحالة المتفرقة في الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر براقاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن **(وكان الله على كل شيء)** من الأشياء **(مقتدراً)** قادراً **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا)** أي: يتزين بها الإنسان في الدنيا وتفنى عنه عما قريب **(والباقيات الصالحات)** هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما ورد تفسيرها بذلك في الأخبار. وقال البيضاوي: هي أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد. ويندرج فيه ما فسرت به من الصلوات الخمس وصيام رمضان: وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر والكلام الطيب **(خير عند ربك)** من المال والبنين عندية مكانة وشرف **(ثواباً)** عائدة **(وخير أملاً)** أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى؛ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا. **(وقال تعالى: اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)** قال بعضهم: اللعب فعل

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٤٥، ٤٦. (٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

Made searchable using ScribeTools.com

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

يدعو إليه الجهل يروق أوله ولا ثبات له، واللهو صرف الهم عن النفس بفعل ما لا يجوز. ا هـ. وقال البيضاوي: بين سبحانه وتعالى أن الدنيا أمور خالية قليلة النفع سريعة الزوال؛ لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبي في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم، وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة، وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد، وهذا كما قال المحلي في الاشتغال: بالدنيا. أما الطاعات وما يعين عليها فليست منها، ثم قرر حال الدنيا وشأنها بقوله: **(كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً)** وهو تمثيل للدنيا في سرعة نقصها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب منه الحراث والكافرون بالله؛ لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا؛ ولأن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجاباً، ثم هاج أي: يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاماً فتاتاً يضمحل بالرياح. قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تفسيره: فإن الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، وكذا الإنسان يكون في أول عمره شاباً غضاً طرياً لين الأعضاء بهي المنظر ثم يكتهل فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه السير كما قال الله تعالى: ﴿الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾[1] ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال: **(وفي الآخرة عذاب شديد)** أي: لمن انهمك في الدنيا، ينفر عن الانهماك في الدنيا وحثاً على ما يوجب الكرامة في العقبى، ثم أكده بقوله: **(ومغفرة من الله ورضوان)** لمن لم ينهمك في الدنيا أي: ليس في الآخرة الآتية القريبة إلا أحد هذين **(وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** أي: لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها، قال ابن كثير: هي متاع، فإن عاد لمن ركن إليها فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، أقرؤوا: وما الحياة الدنيا

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

وَقَالَ تَعَالَى [١]: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٢]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . . . .

إلا متاع الغرور» وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة. اهـ. قاله المحلي. **(وقال تعالى: زين للناس حب الشهوات)** أي: ما تشتهيه النفس وتدعو إليه من لعب ولهو وزينة وتكاثر، زينها الله ابتلاء، أو الشيطان **(من النساء والبنين والقناطير)** أي: الأموال الكثيرة **(المقنطرة)** المجتمعة والقناطير جمع قنطار أو جمع قنطرة. واختلف في قنطار هل هو فعلال أو فنعال، والقنطار المال الكثير بعضه على بعض قاله الربيع بن أنس. وقيل: مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم قاله سعيد بن جبير وعكرمة وقيل: ملء مسك ثور ذهباً أو فضة قاله أبو نصرة وسمي قنطاراً من الأحكام، يقال قنطرت الشيء: إذا أحكمته ومنه القنطرة. وقيل ما بين السماء والأرض من مال قاله صاحب الحكم والمقنطرة قيل إنها مأخوذة من القنطار للتأكيد كبدرة مبدرة. وقيل لغيره فقال الضحاك: أي: المحصنة، وقال قتادة: أي: الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض. وقال يمان: هي المدقوقة. وقال الفراء: المضعفة، فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة **(من الذهب والفضة)** قال في لباب التفاسير: سمي الذهب ذهباً لسرعة ذهابه في الإنفاق والزكاة، والفضة فضة؛ لأنها تفرق بضرب الدراهم وتفرق بالإنفاق والفض التفريق اهـ. والظرف في محل الحال بيان للقناطير **(والخيل المسومة)** المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها أو المطهمة أي: المجملة **(والأنعام)** جمع نعم بفتح أوليه وهي الإبل والبقر والغنم سميت به لعظم الانتفاع بها **(والحرث)** أي: الزرع **(ذلك)** أي: ما ذكر **(متاع الحياة الدنيا)** أي: ما يتمتع به فيها وهو فان مضمحل لا يقابل ما أدخره في الآخرة وقد عم ذلك بقوله: **(والله عند حسن المآب)** أي: المرجع، وهو تحريض على استبدال ما عند الله تعالى من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية **(وقال تعالى: يأيها الناس إن وعد الله حق)** لا خلف فيه. قال أبو حيان في النهر: شامل لجميع ما وعد به من ثواب وعقاب وغير ذلك. «قلت»: وكأن اقتصار البيضاوي على قوله بالحشر والجزاء؛ لأنهما الأهم، بل اقتصر الحافظ ابن كثير على الأول وهو مستلزم للجزاء؛ لأن ذاك لذلك **(فلا تغرنكم الحياة الدنيا)**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤. (٢) سورة فاطر، الآية: ٥.

Made searchable using ScribeTools.com

وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ

فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها **(ولا يغرنكم بالله الغرور)** قال مالك عن زيد بن أرقم: هو الشيطان أي: بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية، فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول الشتم اعتماداً على دفع الطبيعة، وقد عقب تعالى هذه الآية بما يدل على عداوة الشيطان لنا بقوله ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾[٣] الآية وقرىء بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود. **(وقال تعالى: ألهاكم)** أي: أشغلكم، وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لها إذا غفل **(التكاثر)** بالأموال والأقوال **(حتى زرتم المقابر)** إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم، فزيارة المقابر عبارة عن الموت **(كلا)** ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة **(سوف تعلمون)** خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتهوا عن غفلتهم **(ثم كلا سوف تعلمون)** تكرير للتوكيد، وفي ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول، أو الأول عند الموت أو في القبر، والثاني عند النشور **(كلا لو تعلمون علم اليقين)** أي: لو تعلمون ما بين أيديكم على الأمر اليقين أي: كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكيف، فحذف الجواب ولذا اقتصر المصنف على ذلك. قال البيضاوي: ولا يجوز أن يكون قوله: «لترون الجحيم» جواباً؛ لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً ا هـ. **(وقال تعالى: وما هذه الحياة الدنيا)** قال في النهر: الإشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها **(إلا لهو ولعب)** أي: كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين **(وإن الدار الآخرة لهي الحيوان)** أي: لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو جعلت هي في ذاتها حياة مبالغة. والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة مبالغة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واواً وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليهما هنا. وفي فتح

---

(١) سورة التكاثر، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥. (٣) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.
والآياتُ في البابِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ فَنُنَبِّهُ بِطَرَفٍ مِنْها عَلَى مَا سِوَاهُ:

٤٥٦ ــ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ

الرحمن بكشف ما تلبس في القرآن للشيخ زكريا قدم اللعب في الأنعام والقتال والحديد، وعكس في الأعراف والعنكبوت؛ لأن اللعب زمن الصبا واللهو زمن الشباب وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب فناسب إعطاء المقدم للأكثر والمؤخر للأقل ا هـ. **(لو كانوا يعلمون)** لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة، والحياة فيها عارضة سريعة الزوال **(والآيات في الباب كثيرة مشهورة)** لا منافاة بين ما دل عليه جمع السلامة من القلة وقوله كثيرة؛ لأن تلك بالنظر إلى الأحاديث فيه وإن كانت الآيات فيه في نفسها كثيرة. ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى أن محل كون جمع السلامة من جموع القلة كما عده النحاة حيث لم يكن معرفاً وإلا فلا، بل هو من ألفاظ العموم كما قاله الأصوليون: **(وأما الأحاديث)** في الباب **(فأكثر من أن تحصر)** لكمال كثرتها، وفي ذلك منه إيماء إلى الاعتناء بما عقد له الباب لاعتناء النبي ﷺ بذلك كما يدل عليه كثرة الأخبار فيه **(فنبه)** النون فيه للعظمة تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه بالعلم والتأهيل له **(بطرف)** بفتح أوليه المهملين، أي: بقطعة وجانب **(منها)** ويجوز أن يقرأ بضم أوله وفتح ثانية على أنه جمع طرفة بالضم. قال في المصباح: الطرفة أي: بالضم والسكون ما يستطرف، جمعه طرف كغرفة وغرف ا هـ. والأول أنسب بقوله **(على ما سواها)** وهو والظرف قبله متعلقان بالمضارع.

٤٥٦ ــ **(عن عمرو)** ويقال فيه عمير بالتصغير كما نبه عليه في الفتح **(ابن عوف الأنصاري)** زاد المزي في وصفه قوله: «البدري حليف بني عامر بن لؤي» وخرج بقوله الأنصاري عمرو بن عوف المزني راوي حديث تكبيره ﷺ خمساً في الجنازة وأحاديث أخر غير ذلك. قال الحافظ في الفتح بعد قول البخاري الأنصاري: المعروف عند أهل المغازي أنه من المهاجرين، وهو موافق لقوله هنا: وهو حليف لبني عامر بن لؤي؛ لأنه يشعر بكونه من أهل مكة. ويحتمل أن يكون وصفه بالأنصار بالمعنى الأعم، ولا مانع أن يكون أصله من الأوس أو الخزرج فنزل مكة وحالف بعض أهلها، فبهذا الاعتبار هو أنصاري مهاجري ثم ظهر كأن لفظة الأنصاري وهم تفرد بها شعيب عن الزهري، ورواه أصحاب الزهري كلهم عنه بدونها في الصحيحين وغيرهما، وهو معدود من أهل بدر اتفاقاً، وقول المزي البدري؛ لأنه

Made searchable using ScribeTools.com

أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ

(رضي الله عنه) شهد بدراً مع رسول الله ﷺ. أخرج ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن إسحاق قال: ممن شهد بدراً عمرو بن عوف مولى سهيل بن عمرو، وقال: هكذا جعله ابن إسحاق مولى وجعله غيره حليفاً، قيل؛ لأنه سكن المدينة ولا عقب له وليس له في الكتب الستة سوى هذا الحديث **(أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة)** قيل: اسمه عامر بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن عامر **(بن الجراح)** والأول أصح أحد العشرة المبشرة بالجنة **(رضي الله عنه)** وعنهم. والجراح بفتح الجيم وتشديد الراء آخره حاء مهملة **(إلى البحرين)** أي: البلد المشهورة بالعراق، وهي بين البصرة وهجر. وفي كتاب أسامي البلدان قال الزهري: إنما ثنوا البحرين؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ، وهذه البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ولا يفيض ماؤها، وماؤها راكد زعاف ا هـ. **(يأتي بجزيتها)** أي: بجزيه أهلها، وكان غالب أهلها إذ ذاك مجوساً. وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ بعد قسمة الغنائم بالجعرانة أرسل العلاء إلى المنذر بن ساوى عامل الفرس على البحرين يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وصالح مجوس تلك البلاد على الجزية من المجوس **(فقدم بمال من البحرين)** قال في كتاب الصلاة ومن التوشيح نقلاً عن مصنف بن أبي شيبة: كان قدر المال مائة ألف وأنه أول خراج حمل إلى النبي ﷺ ا هـ. **(فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة)** أي: بالمال **(فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ)** قال الحافظ: يؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون الجميع في كل الصلوات إلا لأمر يطرأ، وكانوا يصلون في مساجدهم إذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه فلأجل ذلك عرف ﷺ أنهم اجتمعوا لأمر ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر، وهو احتياجهم للمال للتوسعة عليهم. ويحتمل أن يكون وعدهم بأن يعطيهم منه إذا حضروا. وقد وعد جابراً بعد هذا أن يعطيه من مال البحرين فوفى له أبو بكر **(فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف)** أي: ذاهباً إلى مقصده **(فتعرضوا له)** أي: قصدوا له. قال في الصحاح: تعرضت أسألهم ا هـ. **(فتبسم ﷺ حين رآهم)** يحتمل أن يكون تبسمه لما ظهر من مقتضى الطبع من طلب الدنيا مع أن قضية حالهم وشرفهم وكون المصطفى ﷺ بين أظهرهم مع كمال إعراضه عنها ترك ذلك **(ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء)** يحتمل أن يكون تنوينه للتعظيم باعتبار كثرة كميته. ويحتمل

يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا

أن يكون للتحقير لحقارة الدنيا في جانب ما أعد الله للمؤمنين في الدار الآخرة **(من البحرين)** يحتمل أن يكون مستقراً صفة لشيء ويحتمل أن يكون لغواً متعلقاً بالفعل **(فقالوا: أجل)** هو في المعنى مثل نعم لكن نعم يحسن أن تقال جواب الاستفهام، وأجل أحسن من نعم في التصديق **(يا رسول الله)** وأتوا به تلذذاً بالخطاب وإلا فقد حصل بقولهم أجل الجواب **(فقال: أبشروا)** أمر معناه الإخبار بحصول المقصود **(وأملوا)** قال في تحفة القارىء: بفتح الهمزة وتشديد الميم **(فوالله ما الفقر)** بالنصب مفعول مقدم لقوله **(أخشى عليكم)** وتقدم المفعول إهتماماً بنفي خشية الفقر عليهم عكس الآباء مع أولادهم، فإن الوالد الشفيق يخشى على ولده الضيعة بعده، والنبي ﷺ لهم مثل الوالد ولم يخش عليهم الفقر، قال الطيبي: لأن الأب الدنيوي يخشى على ولده الفقر الدنيوي. والأب الديني يخشى على ولده الفقر الديني، قال الحافظ في الفتح: يجوز رفع الفقر بتقدير ضمير أي: ما الفقر أخشاه عليكم، والأول هو الراجح، وخص بعضهم جواز ذلك بالشعر اهـ. وأصله للزركشي وتعقبه فيه الدماميني بأن ضعف ذلك مذهب كوفي، قال في التسهيل، ولا يختص بالشعر خلافاً للكوفيين. «فإن قلت»: تقديم المفعول هذا يؤذن بأن الكلام في المفعول لا في الفعل كقولك ما زيداً ضربت فلا يصح أن يعقب المنفي بإثبات ضده، فيقول: ولكن أكثر منه؛ لأن المقام في المفعول هل هو زيد أو عمرو مثلاً، لا في الفعل هل هو إكرام أو إهانة. والحديث قد وقع فيه استدراك بإثبات ضد الفعل المنفي فقال: ولكن أخشى إلخ فكيف يأتي هذا؟ «قلت»: المنظور إليه في الاستدراك هو المنافسة في الدنيا عند بسطها عليهم، فكأنه قال: ما الفقر أخشى عليهم ولكن المنافسة في الدنيا فلم يقع الاستدراك إلا في المفعول كقولك ما ضربت زيداً ولكن عمراً ضربت ثم لا يضر؛ لأنه في الحقيقة استدراك بالنسبة إلى المفعول لا إلى الفعل اهـ. **(ولكن أخشى أن تبسط)** أي: توسع **(الدنيا عليكم)** هو ما فتحه الله عليهم من الدنيا بعده حتى أن أحدهم لا يجد للمال موضعاً يحطه فيه **(كما بسطت على من كان قبلكم)** ما موصول اسمي أو نكرة موصوفة أي: دنيا يعود الضمير النائب عن الفعل المستتر في بسطت عليه على من كان قبلكم أي: من الأمم وسقطت كان من بعض نسخ البخاري **(فتنافسوها كما تنافسوها)** الأول مضارع حذفت إحدى تائيه تخفيفاً والأصل فتتنافسوها، وفي بعض نسخ البخاري حذف الضمير المنصوب من الفعل الثاني، قال المصنف: والتنافس المسابقة إلى الشيء وكراهة أخذ الغير له، وهو أول

Made searchable using ScribeTools.com

فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٤٥٧ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيا وَزِينَتِها» .....

درجات الحسد ا هـ. وبمعناه ما في تحفة القارىء من أنه الرغبة في الشيء والانفراد به **(فتهلككم)** أي: في الدين **(كما أهلكتهم)** في ذلك وإسناد الإهلاك إليها مجاز عقلي من باب الإسناد إلى السبب إذ التنافس فيها سبب قد يجر لفساد الدين وهلاكه، قال الحافظ في الفتح؛ لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمتنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك ا هـ. وقد وقع عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً «تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون» أو نحو ذلك. قال في الفتح: وفي الحديث إشارة إلى أن كل خصلة من المذكورات مسببة عما قبلها، وفي الحديث: «واتقوا الشح فإنه أهلك كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». قال ابن بطال. فيه إن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها عنه. وفي تفسير البيضاوي والخازن: أي: زينتها وبهجتها أي: فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس بها أيضاً ا هـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري واللفظ له في الجزية، وفي المغازي من صحيحه ورواه مسلم في آخر صحيحه في باب تحريم الظلم السابق، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه أيضاً، فرواه الأول في باب الزهد والثالث في الفتن، ومدار الحديث عندهم على الزهري.

٤٥٧ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر)** بكسر الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة، قال في الصحاح: نبرت الشيء أنبره نبراً: رفعته، ومنه سمي المنبر **(وجلسنا حوله)** لسماع أقواله وتلقي مواعظه، وحول منصوب على الظرفية. قال في الصحاح: يقال: قعدوا حوله وحواله وحواليه، ولا يقل: حواليه بكسر اللام، وقعد حياله وبحياله بالكسر أي: بإزائه وأصله الواو ا هـ. **(فقال: إن مما أخاف عليكم بعدي)** أي: بعد موتي وقدمه اهتماماً بأمره على الاسم وهو قوله: **(ما يفتح)** بالبناء للمفعول **(عليكم من زهرة الدنيا)** قال في المصباح: زهرة بوزن تمرة لا غير أي: لا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: الجزية والموادعة (والجزية والمغازي والرقاق واللفظ له) (١١/٢٠٨).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ٦).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٥٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيا، وَاتَّقُوا النِّساءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

فتحها بخلاف واحدة الزهر ففيها ذلك أيضاً. ويرده ما في تفسير البيضاوي من قوله: وقرأ يعقوب زهرة بالفتح، وهي لغة في الزهرة ا هـ. ومثله في تفسير النهر إلا أنه لم يعين اسم القارىء وعبارته «وقرىء زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو زهر ونهر». «قلت»: إن ثبت ما في المصباح من منع الفتح في لغة فيحمل على أنه جمع زاهر كما جوزه البيضاوي فيها أيضاً قال: وهي متاعها وزينتها. وفي تفسير البيضاوي والخازن أي: زينتها وبهجتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا يتأنس بها ا هـ. «قلت»: وعليه فعطف قوله: **(وزينتها)** على الزهرة من عطف الخاص على العام وخشيته ﷺ من ذلك لئلا يتعلق حبه بالقلب ويأخذ بهجته بالبصر فيوقع في الأسباب المؤدية إلى فساد الدين مما تقدم في الحديث قبله **(متفق عليه)** ورواه البخاري في الصلاة، وفي الجهاد، وفي الزكاة وغيرها، ومسلم في باب(٣) ورواه النسائي في الجهاد.

٤٥٨ ــ **(وعنه)** أي: أبي سعيد الخدري **(أن رسول الله ﷺ قال: إن الدنيا خضرة)** بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية **(حلوة)** أي: جامعة بين الوصفين المحبوبين للبصر والذوق فهي كالفاكهة التي راق منظرها وحلا مذاقها **(وإن الله مستخلفكم فيها)** بكسر اللام أي: بمنزلة الخلفاء عنه في التصرف فيها أي: فلا تتصرفوا بما لم يأذن لكم به **(فينظر كيف تعملون)** فيجازيكم على ما يبدو منكم من حسن وضده في عالم الشهادة الذي ظهر كما سبق في علم الغيب الأزلي **(فاتقوا الله)** أي: من ميلكم إلى زهرتها وحلاوتها وخضرتها عما يطلب منكم من الوقوف عند ما أبيح لكم دون ما حظر عليكم، والفاء فيه فصيحة أي: إذا علمتم أن ما تعملون فيه بمرأى من الله تعالى فاتقوه في ذلك **(واتقوا النساء)** أي: احذروهن أن يحملكم الافتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف أو أن يخدعنكم بكيدهن فتقعوا في شيء من أغراضهن الممنوع منها شرعاً **(رواه مسلم)** في آخر الدعوات، ورواه النسائي أيضاً في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الصدقة على اليتامى (٣/٢٥٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: تخوّف ما يخرج من زهرة الدنيا (الحديث: ١٢٣).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة... (الحديث: ٩٩).
(٣) بياض في جميع النسخ. ع

Made searchable using ScribeTools.com

٤٥٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٦٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

عشرة النساء، والحديث قدمه المصنف في باب التقوى وتقدم شرحه ثمة بأبسط مما هنا.

٤٥٩ ـ (وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:) في أشد أحواله لما رأى تعب أصحابه لحفر الخندق (اللهم) أي: يا الله (إن العيش) الحياة الدائمة (عيش الآخرة) فلا يحزن الإنسان لما يصيبه في هذه الدار فإنه منقض وأجره باق دائم. وقاله: في أسر الأحوال أيضاً لما رأى كثرة المؤمنين في يوم عرفة في حجة الوداع لبيك أن العيش عيش الآخرة أي: شأن العاقل أن لا يفرح بما يسره من الدنيا لانقضائها وأن يكون اهتمامه بما يفرح به في آخرته؛ لأن حياتها الدائمة الأبدية (متفق عليه) وقد تقدم هذا الحديث مع شرحه.

٤٦٠ ـ (وعنه) أي: عن أنس (عن رسول الله ﷺ قال: يتبع الميت) من منزله إلى مدفنه في الغالب (ثلاث) من الأشياء، وحذف التاء منه لحذف المعدود، وأبدل من ثلاث بدل مفصل من مجمل قوله (أهله وماله) أي: الذي كان ما له قبل موته أي: بعضه كعبيده وما يصحب مع أهله للنفقة على مؤن دفنه (وعمله) أي: جميع ما عمله في الدنيا كما يومىء إليه إضافة المفرد، ويحتمل أن يراد ما عمله مما يتعلق به جزاء دون ما كفر لنحو توبة أو عمل صالح أو فضل إلهي فيكون عاماً أريد به خاص (فيرجع اثنان ويبقى واحد) ذكره مجملاً ثم مفصلاً؛ ليكون أوقع في النفس وأقر فيها فقال: (يرجع أهله) بعد دفنه (وماله) كذلك أو ما بقي مما هيىء لمؤن الدفن بعد تمامه (ويبقى عمله) معه مرتهناً هو به، قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾(٣) اللهم وفقنا لمرضاتك بمنك وكرمك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (متفق عليه) أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد، وكذا رواه الترمذي في الزهد من جامعه، وقال: حسن صحيح، والنسائي في ذلك من سننه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق والجهاد، باب: التحريض على القتال ومناقب الأنصار والمغازي (٧/٣٠٢، ٣٠٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق (الحديث: ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت (١١/٣١٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ٥).

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

٤٦١ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، .....

ومداره عند الجميع على سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن أنس كذا يؤخذ من الأطراف.

٤٦١ ــ **(وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى)** بالبناء للمفعول ونائب الفاعل الظرف بعده والفاعل إما الله تعالى؛ لأنه الموجد للجميع، وإما الملائكة؛ لأنهم المنتصبون في ذلك بأمره **(بأنعم أهل الدنيا)** أي: بأكثرهم نعمة فيها من لذات الدنيا وزهراتها **(من أهل النار)** في محل الحال نائب الفاعل، وفيه إيماء إلى أن من أنعم الله عليه في الدنيا بالنعم في ظاهره من أهل الإيمان وصالح الأعمال ليسوا كذلك **(يوم القيامة)** ظرف للفعل أي: بعد فصل القضاء والحكم بين العباد **(فيصبغ)** أي: يغمس **(في النار صبغة)** بفتح الصاد أي: غمسة ولعل التنوين فيه للتقليل فيكون أبلغ فالتعقيب بالنسبة للإتيان كذلك هنا وفي قرينه **(ثم)** لعل الإتيان بها إيماء إلى أنه يهان بإهماله كذلك مدة و**(يقال)** له بعدها تبكيتاً والقائل إن كان خزنة جهنم فالأمر ظاهر، وإن كان الحق سبحانه بلا واسطة فلا دلالة فيه على شرف لهم، لأن خطابه تعالى لهم على سبيل الإهانة والإذلال، ثم رأيت حديث النسائي مصرح بالشق الثاني **(هل مر بك نعيم قط)** بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة ظرف للزمان الماضي **(فيقول:)** عقب السؤال بلا تراخ كما تؤذن به الفاء **(لا والله)** الجواب مقدم بعد لا، أغنى عن التصريح به دلالة ما قبله عليه والقسم بعد لتأكيد نفي ذلك، وكأن ذلك منه لغلبة العذاب عليه حتى يذهل عما مضى له في الدنيا من النعيم فيقول ذلك، وإلا فالآخرة لا يقع فيها الكذب من أحد، ويحتمل أنهم عدوا جميع ما ذاقوه من النعيم في جنب ما أصابهم من أقل العذاب كالعدم فصيروه في حكم المعدوم فقالوا: ذلك وقوله: **(يا رب)** بحذف الياء اكتفاء بدلالة الكسرة عليها أتى به للتعطف والترحم **(ويؤتى بأشد الناس بؤساً)** بالهمز أي: شدة قاله المصنف قال في المصباح: ويجوز التخفيف أي: لغة **(في الدنيا)** يحتمل أن يكون ظرفاً مستقراً صفة لبؤس وأن يكون لغواً متعلقاً به وقوله **(من أهل الجنة)** في محل النصب بيان لأشد وهو المؤمن ولو عاصياً **(فيصبغ)** أي: يغمس **(صبغة في الجنة)** وسمى ماذكر صبغة لظهور أثره عليهم ظهور أثر المصبوغ. قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ

Made searchable using ScribeTools.com

فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٤٦٢ ــ وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا الدُّنْيا

باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة﴾[2] ثم قوله: فيصبغ إلخ ثابت في صحيح مسلم ساقط فيما وقفت عليه من نسخ الرياض ولعله من قلم الناسخ سهواً ولعل حكمة تقديم شأن أهل النار لكونه من باب الإنذار وهو كالتخلية على ما يتعلق بأهل الجنة الذي هو من باب البشارة لكونه كالتحلية بالمهملة، والظاهر أن تقديم المفعول المطلق هنا على نائب الفاعل وتأخيره ثمة للتفنن في التعبير **(فيقال له:)** أي: عقب إذاقته لأول ما يلقاه من النعيم الذي هو جزء يسير مما أعد له من النعيم كما تؤذن الفاء، والمبادرة بذلك للتشريف **(هل رأيت؟)** أي: وجدت **(بؤساً)** أي: شدة **(قط هل مر بك بؤس قط؟)** يحتمل أن يكون بمعنى ما قبله وكرر تأكيداً وإطناباً لزيادة التذكير بالنعمة التي آل إليه أمرها حتى هان عليه ما لاقاه في الدنيا في جانبها يقال ما يأتي: ويحتمل أن لا يكون كذلك بأن المسؤل عنه أولاً ما وجد مشقته وشدته وثانياً ما نزل به مما لم يكن كذلك لما عارضه من خفي لطف إلهي **(فيقول: لا والله)** وصرح بالمحذوف بعد لا النافية الدال عليه سياق الكلام بقوله: **(ما مر بي بؤس)** أي: شدة **(قط ولا رأيت شدة قط)**، لأن المقام للإطناب شكراً لما أبيح من تلك المنة التي يقصر عن بيان أدناها البيان **(رواه مسلم)** في التوبة من صحيحه وكذا رواه النسائي في الجهاد من سننه كذا قال الحافظ المزي في الأطراف: وتعقبه الحافظ ابن حجر في النكت الظراف عليه بأنهما حديثان، وكأن عليهما إفرادهما وذلك بين من سياقهما ولفظ حديث مسلم عن يزيد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ما ذكر، ولفظ حديث النسائي عن بهز عن حماد «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول: ربي خير منزل، فيقول عز وجل: سل وتمنى فيقول: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما رأى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول تبارك وتعالى: يا ابن آدم كيف منزلك الحديث». فهذان حديثان مختلفان في السياق والمعنى وإن اتحد إسنادهما وقد أخرج الثاني الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم ا هـ.

٤٦٢ ــ (وعن المستورد) هو بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح الفوقية وكسر الراء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صبغ أنعم أهل الدنيا... (الحديث: ٥٥).

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٢٢ ــ ٢٥.

في الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٤٦٣ ــ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ والنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ

آخره دال مهملة (ابن شداد) بفتح المعجمة وتشديد المهملة الأولى، ابن عمرو بن حنبل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري (رضي الله عنه) وأمه دعد بنت جابر بن حنبل بن الأحب أخت كرز بن جابر، ولما قبض النبي ﷺ كان غلاماً قاله الواقدي، وقال غيره؛ إنه سمع من النبي ﷺ سماعاً وأتقنه، سكن الكوفة ثم مصر، روى عنه أهل الكوفة وأهل مصر كذا في أسد الغابة، قال ابن الجوزي: روي له عن النبي ﷺ سبعة أحاديث، قال البرقي: في هذه السبعة التي جاءت عنه منها أربعة لأهل مصر، وحديثان لأهل الكوفة، وحديث لأهل الشام. اهـ. روى عنه مسلم هذا الحديث وأخرج عنه حديثاً آخر ولم يرو له البخاري (قال: قال رسول الله ﷺ: ما الدنيا) أي: ما مثلها أو نعيمها أو زمانها (في الآخرة) أي: في جانبها أو بالنظر إليها (إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه) قال في المصباح: فيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الموحدة، والعاشرة أصبوع كعصفور والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء، وهي التي ارتضاها الفصحاء وقد نظمتها بقولي:

وفي أصبع عشر بتثليث همزة ... وباء له والعاشر أصبوع فاعلم

(في اليم) بفتح التحتية وتشديد الميم: البحر (فلينظر) أي: أحدكم (بم) أصله بما حذفت الألف أي: بأي شيء (يرجع) بالتحتية والضمير راجع لأحد أي: بما يرجع أحدكم إصبعه لا لإصبع؛ لأنها مؤنثة كما في المصباح، ثم قال: وفي كلام ابن فارس ما يدل على تذكير الإصبع، وقال الصغاني: يذكر ويؤنث والغالب التأنيث، قال في المفاتيح: يجوز في مثل أن يقرأ بالرفع والفتح على أنه مبني؛ لأن ما في ما تجعل مصدرية يعني نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وزمانها إلى نعيم الآخرة، ليس الأمثل نسبة الماء اللاصق بإصبع أحدكم إذا غمسها في اليم أي: البحر (رواه مسلم) في صفة الدنيا والآخرة من صحيحه ورواه الترمذي في الزهد، وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي في الزهد.

٤٦٣ ــ (وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق) داخلاً من بعض طرق العالية كما في صحيح مسلم، وحذفه المصنف اختصاراً لعدم تعلق غرضه، قال في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا... (الحديث: ٥٥).

Made searchable using ScribeTools.com

أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هٰذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: واللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْباً أَنَّهُ

المصباح: يذكر ويؤنث، وقال أبو إسحاق: مؤنثة وهي أفصح وأوضح وتصغيرها سويقة والتذكير خطأ؛ لأنه قيل بسوق نافقة ولم يقل نافق بغير هاء ا هـ. سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم إليها أو؛ لأنهم يقومون فيها على سوقهم أو لتصاكك السوق فيها من الازدحام **(والناس كنفيه)** جملة في محل الحال من ضمير مر، وفي شرح مسلم للمصنف قوله: والناس كنفيه، وفي بعض النسخ كنفتيه، معنى الأول جانبه والثاني جانبيه ا هـ. ولم يظهر وجه تفسير ما حذفت الياء[1] منه بالمفرد وما أثبت فيه ياء بالمثنى، وفي النهاية أنهما كذلك بمعنى والله أعلم، وفي المصباح: الكنف بفتحتين الجانب وجمعه أكناف كسبب وأسباب **(فمر بجدي)** هو ولد المعز كذا في المفاتيح. وفي المصباح قال ابن الأنباري: هو الذكر من أولاد المعز والأنثى عناق، وقيده بعضهم في السنة الأولى والجمع أجد وأجداء كدلو وأدلاء، والجدي بالكسر لغة رديئة ا هـ. **(أسك)** أي: صغير الأذن من السكك بفتحتين وهو صغيرها كذا في المفاتيح، ويأتي مثله في الأصل. وقال العاقولي: الأسك مصطلم الأذنين مقطوعهما **(ميت فتناوله)** فيه دليل على أن لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس **(فأخذ بأذنه)** كأن الأخذ بها لمزيد الحقارة، والأذن بضمتين ويجوز تخفيفها بتسكين الثانية **(ثم قال:)** كان الإتيان بثم؛ لبيان أنه عرض بين الأخذ والتكلم ما تأخر بسببه التكلم، ويحتمل أن تكون استعيرت في موضع الفاء وعدل إليها تفنناً ودفعاً لثقل التكرار في الجملة **(أيكم يحب أن هذه له بدرهم؟)** أحد الظرفين في محل الخبر والآخر في محل الحال والأولى إعراب الأول خبراً والثاني حالاً كما يومىء إليه ما بعده، قال العاقولي: هو استفهام إرشاد وتنبيه ليلقوا السمع لما يوجهه إليهم من الخطاب الخطير في ضمن التمثيل بهذا المعنى الحقير **(فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء)** أي: من الأشياء التي هي أقل من الدرهم فضلاً عنه **(وما نصنع به)** وهو نجس لموته قد انقطعت الأطماع بذلك عن الانتفاع به **(قال:)** تأكيداً للمقام **(تحبون)** أي: أتحبون **(أنه لكم)** أي: من غير شيء **(قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً)** أي: معيباً أو ذا عيب ويجوز إبقاؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تقدير، ويكون في الجمل مبالغة أنه لكمال قيام العيب به ولصوقه صار كأنه عيب وحذفت اللام من جملة لو، حملاً على جواب أن كما أثبتت اللام في جواب أن حملاً على جواب لو في قولهم وإلا لكان كذا أي: لو كان حياً لترك مع رجاء الانتفاع به لكونه معيباً وقوله: **(إنه أسك)** تفسير

---

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعل الصواب التاء بدل الياء وبالمثنى بدل المثنى.

أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ «كَنَفَتَيْهِ»: أَيْ عَنْ جَانِبَيْهِ. و«الأَسَكُّ» الصَّغِيرُ الأُذُنِ[1]

٤٦٤ ــ وَعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ،

العيب (فكيف وهو ميت؟) لا ينتفع به (فقال: والله للدنيا) بفتح اللام صدر بها جملة جواب القسم المركبة من مبتدأ هو الدنيا وخبر هو قوله: (أهون على الله من هذا عليكم) وأهون أفعل من الهون بضم الهاء وسكون الواو، قال في المصباح: هان يهون هوناً بالضم وهواناً: ذل وحقر، وفي التنزيل ﴿أيمسكه على هون﴾[2] قال أبو زيد: والكلابيون يقولون: على هوان ولم يعرفوا الهون وفيه مهانة أي: ذلك وضعف، والمعنى أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من هذا عندكم فعلى بمعنى عند. قال في المصباح: تأتي على بمعنى عندقال الشاعر:

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها

قال الأصمعي: معناه من عنده، ثم قال العلماء: الأنبياء والأصفياء والكتب الإلهية والعبادات في الدنيا وليست منها فلا تدخل في الهوان (رواه مسلم) في الزهد من صحيحه، ورواه أبو داود في الطهارة من سننه (قوله: كنفيه أي: عن جانبيه) تقدم في المصباح الكنف الجانب وكأن التأنيث باعتبار معنى الجهة (والأسك الصغير الأذن) قال في المصباح: السكك أي: بفتحتين مصدر من باب تعب، وهو صغر الأذنين وبه يتأيد ما تقدم عن المفاتيح ويحمل قوله: «مصطلمهما» أن ذلك خلقي لا أن ذلك طارىء بقطعهما كما يعطيه لفظ الاصطلام إذ معناه كما في الصحاح أيضاً القطع. ثم رأيت الصحاح قال: السكك بالتحريك صغر الأذن، يقال: كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد فالسكاء التي لا أذن لها والشرقاء التي لها أذن وإن كانت مشقوقة، ويقال: سكه يسكه إذا اصطلم أذنيه ا هـ. ومنه يعلم أن العاقولي اشتبهت عليه مادة بمادة فحمل الأسك على أنه من باب المضاعف المضموم العين المفسر بالاصطلام وإنما هو من باب علم كما تقدم في المصباح وغيره فهو الصغير الأذن كما قاله المصنف وغيره.

٤٦٤ ــ (وعن أبي ذر) بفتح المعجمة وتشديد الراء كنية جندب بن جنادة (رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ) فيه كمال تواضعه ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه على أحد منهم (في حرة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء: هي أرض ذات حجارة سود والجمع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ٢).

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٩.

Made searchable using ScribeTools.com

بِالمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَباً، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينارٌ إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ

حرار بكسر أوله (**بالمدينة**) علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ (**فاستقبلنا أحداً**) بضمتين: الجبل المعروف بالمدينة (**فقال: يا أبا ذر**) فيه تكنية العالم تلميذه وتابعه تأنيساً وتكريماً وهو من كمال فضله وحسن خلقه ﷺ (**قلت**): في نسخ البخاري المصححة فقلت بالفاء أوله (**لبيك يا رسول الله**) فيه الجواب بذلك زيادة في الأدب (**قال: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا**) والإتيان به للتعظيم كقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾[1] وقوله: (**ذهباً**) تمييز لمثل وجاء في رواية البخاري في باب الاستئذان من صحيحه «فلما أبصر أحداً قال: ما أحب أن يحول لي ذهباً» قال الحافظ بعد ذكر اختلاف ألفاظ رواياته: وقد اختلفت ألفاظ هذا الحديث ومخرجه متحد فهو من تصرف الرواة ويمكن الجمع بين قوله: مثل أحد وبين قوله: يحول أحد بحمل المثلية على شيء يكون وزنه من الذهب وزن أحد، والتحويل على أنه إن انقلب ذهباً كان على قدر وزنه أيضاً، وذهباً على تلك الرواية الثانية جعله ابن مالك مفعولاً ثانياً لحول ومفعوله الأول ضمير أحد. واستدل به على مجيء حول بمعنى صير وعمله عملها وهو استعمال كثير يخفى على أكثر النحاة، ورده الحافظ بقوله بعد أن ذكر أن اختلاف ألفاظه من تصرف الرواة ما لفظه فلا يكون حجة في اللغة (**تمضي عليّ ثالثة**) أي: ليلة ثالثة وإنما قيد بالثلاث، لأنه لا يتهيأ تفريق قدر من الذهب في أقل منها غالباً لكن يعكر عليه رواية يوم وليلة، فالأولى أن يقال: الثلاث أقصى ما يحتاج إليه في تفريق مثل ذلك والليلة الواحدة أقله (**وعندي منه دينار**) جملة حالية (**إلا شيء**) كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالرفع وقد ذكر الحافظ في الفتح: أن فيه روايتين: الرفع والنصب، قال: وهما جائزان؛ لأن المستثنى منه مطلق عام والمستثنى مقيد خاص فاتجه النصب، وتوجيه الرفع أن المستثنى منه في سياق النفي والشيء فسر في رواية بالدينار ووقع في رواية غير أبي ذر «وعندي منه دينار أو نصف دينار»وفي رواية أخرى «وأدع منه قيراطاً، قال: **قلت**: قنطاراً، قال: قيراطاً» وفيه «ثم قال: يا أبا ذر إنما أقول الذي هو أقل» (**أرصده لدين**) قال الدماميني: بفتح الهمزة والصاد مضمومة أو مكسورة[2] أي: أعده وأحفظه وهذا الإرصاد أعم من أن يكون لصاحب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) الذي في القاموس وغيره أن الذي بمعنى أعد هو أرصد الرباني فيكون قوله أرصده بضم الهمزة وكسر الصاد. ع

خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ، فَقَالَ: «إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» . . . . . .

دين غائب حتى يحضر أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفي (**إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه**) هو استثناء بعد استثناء فيفيد الإثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فما دام الإنفاق في سبيل الله موجوداً لا يكره وجود المال وإذا انتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر ولو قدر أحد أو أكبر مع استمرار الإنفاق، وقوله عن يمينه إلخ هكذا اقتصر على ثلاث وحمل على المبالغة؛ لأن العطية لمن بين يديه هي الأصل. قال في الفتح: والذي يظهر لي أن ذلك من تصرف الرواة وأن أصل الحديث مشتمل على الجهات الأربع، ثم ذكر أنه وجده كذلك في رواية بإثبات الأربع قال: وقد أخرجه في الاستئذان فاقتصر على اثنتين وعدى إلى الأولين بحرف المجاوزة؛ لأن المنفق منهما كالمنحرف عن المنفق المار على عرضه، ونظيره جلست عن يمينه وعدى الثالث بحرف الابتداء إيماء إلى كمال المبالغة في الكرم حتى كأنه ابتدأ به من جهة الخلف بعد أن أتمه من جهة الأمام وجاوز به من عن جانبيه، وقال الحافظ: قوله من خلفه بيان للإشارة وخص عن باليمين والشمال؛ لأن الغالب في الإعطاء صدوره باليدين ا هـ. وما قلناه أظهر فتدبر (**ثم سار فقال:**) في رواية للبخاري: ثم قال: وبها يتبين أن أحد العاطفين استعير في محل الثاني (**ألا**) أداة استفتاح يؤتى بها لتنبيه السامع لما بعدها اهتماماً به (**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة**) هكذا عند البخاري الأقلون بالهمزة في الاستقراض والاستئذان من صحيحه ووقع عنده في الرقاق منه المقلون بالميم محل الهمز، قال الحافظ: والمراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة، وهذا في حق من لم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعد من الإنفاق بقوله: (**إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه**) في رواية عند أحمد إلا من قال: هكذا وهكذا هكذا فحثى عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره فاشتملت الروايتان على الجهات الأربع وإن كان كل اقتصر على ثلاث منها، وقد جمعها عبد العزيز بن رفيع في روايته ولفظه إلا من أعطاه الله خيراً أي: مالاً فنفح بنون وفاء ومهملة أي: أعطى كثيراً بلا تكلف يميناً وشمالاً وبين يديه ووراءه وبقي من الجهات فوق وأسفل والإعطاء من قبل كل منهما ممكن لكن حذف لندوره، وقد فسر بعضهم الإنفاق من وراء بالوصية وليس قيداً فيه بل قد يقصد الصحيح الإخفاء فيدفع لمن وراء ما لم يدر به من أمامه، وقوله: هكذا صفة لمصدر محذوف أي: لمن أشار إشارة مثل هذه الإشارة (**وقليل ما هم**) ما صلة مزيدة؛

Made searchable using ScribeTools.com

ثُمَّ قَالَ لِي: «مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتاً قَدِ ارْتَفَعَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَولَهُ «لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي. فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتاً تَخَوَّفْتُ مِنْهُ فَذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ

لتأكيد القلة، ويحتمل أن تكون موصوفة ولفظ قليل هو الخبر وهم المبتدأ والتقدير وهم قليل وقدم الخبر اهتماماً بمضمونه كما يؤذن به تأكيده ففيه التحريض على الإنفاق لأصحاب الأموال ليندرج في القليل الذي هو الجليل، والله الموفق **(ثم قال لي: مكانك)** بالنصب أي: الزمه وقوله: **(لا تبرح)** تأكيد له ودفع لتوهم أن الأمر بلزوم المكان ليس عاماً في الأزمنة **(حتى آتيك)** غاية للزوم المكان المذكور **(ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى)** فيه إشعار بأن القمر كان قد غاب حتى توارى أي: غاب شخصه. «قلت»: ويحتمل أن يكون التواري بسبب زيادة البعد حتى خفي عن البصر سيما ونور القمر يغيب فيه الشخص عن العين في بعد لا يتوارى عنها في مثله في الشمس لضعف ضوئه **(فسمعت صوتاً قد ارتفع)** في رواية لغطاً وهو اختلاط الأصوات **(فتخوفت أن يكون)** أي: من أن يكون **(أحد قد عرض)** أي: تعرض بسوء **(للنبي ﷺ فأردت أن آتيه)** أي: أتوجه إليه كما جاء في رواية أن أذهب أي: إليه ولم يرد أن يتوجه لحال سبيله بدليل رواية الباب **(فذكرت قوله: لا تبرح فلم أبرح حتى أتاني)** في رواية: فانتظرته حتى جاء، وفي الحديث الوقوف عند أمره ﷺ ولزوم طاعته قال في الفتح: ففيه أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفعها أولى ا هـ. **(فقلت)**: جاء في رواية للبخاري زيادة: يا رسول الله **(لقد سمعت صوتاً تخوفت منه)** اللام هي المؤذنة بالقسم المقدر الداعي إليه تأكيد مقام الأخبار **(فذكرت له)** المفعول محذوف أي: ما سمعت وقد جاء مصرحاً به في بعض رواياته بلفظ فذكرت له الذي سمعت **(فقال: وهل سمعته)** المعطوف عليه محذوف أي: أتذكر ذلك وهل سمعته؟ ومفعول سمع محذوف لدلالة ما قبله أي: وهل سمعت صوتاً؟ وظاهر أن الاستفهام للتثبت والتقرير لتقدم إخباره بالسماع فجوز أن يكون التبس عليه صوت نحو ريح حينئذ بصوت متكلم فقال: ذلك لذلك **(قلت: نعم)** أي: من غير تردد **(قال: ذلك)** أي: الذي كنت أخاطبه **(جبريل)** أو ذلك الصوت الذي سمعته صوت جبريل، ففيه على الثاني مضاف مقدر **(أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً)**

شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ(١).

٤٦٥ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ .....

أي: من الشرك الجلي، أما الخفي وهو نحو الرياء فغير مانع من دخول الجنة **(دخل الجنة)** فقيل: المراد إما ابتداء أو بعد المجازاة على المعصية، وقيل المراد دخلها ابتداء. وقد حمله كذلك البخاري على من تاب عند الموت وهذا ما فهمه أبو ذر، والأول أولى للجمع بين الأدلة، جواب الشرط، رتب دخول الجنة على الموت بغير إشراك بالله، فقد ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر، وبعدم دخول الجنة لمن عملها ولذا وقع الاستفهام بقول أبي ذر: **(قلت: وإن زنى وإن سرق)** بتقدير همزة الاستفهام قبله. قال ابن مالك: حرف الاستفهام مقدر أول هذا الكلام ولا بد من تقديره **(قال: وإن زنى وإن سرق)** أي: يدخلها وإن زنى وإن سرق، إن وصلية والواو الداخلة عليها قيل: عاطفة على مقدر، وقيل: حالية واقتصر على ذكر هذين؛ لأن أحدهما متعلق بحق الله سبحانه، والآخر بحق العباد فكأنه يقول: إن من مات على التوحيد دخلها وإن تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده وزيادة شرب الخمر في رواية للإشارة إلى فحش تلك الكبيرة؛ لأنها تؤدي إلى خلل في العقل الذي به شرف الإنسان على البهائم، وبوقوع الخلل فيه قد يزول التوقي الذي يحجز عن ارتكاب بقية الكبائر، وأسقط المصنف تكرار استفهام أبي ذر لذلك وجوابه ﷺ عن ذلك مرتين أخريين زاد في الثالثة «وإن رغم أنف أبي ذر» لعدم تعلق غرض الترجمة به **(متفق عليه، وهذا لفظ البخاري)** في الرقاق من صحيحه، وقد أخرجه في مواضع أخرى منه، وأخرجه مسلم في الزكاة، ورواه الترمذي في الإيمان من جامعه، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، ومداره عندهم على زيد بن وهب عن أبي ذر، كذا يؤخذ من الأطراف للمزي.

٤٦٥ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لو كان لي) أي: وجد، فهي تامة فاعلها **(مثل أحد)** والظرف حال منه، ويجوز أن تكون ناقصة والظرف خبراً مقدماً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: المكثرون وهم المقلون، باب: أحب أن لي مثل أحد ذهباً والاستقراض والاستئذان (١١/ ٢٢٤ و٢٢٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة (الحديث: ٣٢).

Made searchable using ScribeTools.com

ذَهَباً لَسَرَّني أَنْ لاَ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٦٦ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ

(ذهباً) تمييز مثل (لسرني ألا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء) بالرفع مستثنى من شيء ورفع لكونه مستثنى من كلام منزل منزلة المنفي، وهو أنه في حيز جواب لو إذ هو في تقدير النفي كما أشار إليه الحافظ في الفتح (أرصده) في محل الصفة للمستثنى أي أعده (لدين) أي: لأدائه عند مجيء الدائن، أو عند حلول أجل الدين كما تقدمت الإشارة لذلك. وفي الحديث الحث على الإنفاق في وجوه الخير والحض على ذلك في الحياة وفي الصحة، وترجيحه على إنفاقه عند الموت، وقد تقدم منه حديث «أن تصدق وأنت صحيح شحيح» وأنه ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء منها لإنفاقه فيمن يستحقه أو(٢) لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبل ذلك منه لتقييده في رواية عند البخاري بقوله: أجد من يقبله. وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع وفيه الحث على وفاء الدين وأداء الأمانة وجواز استعمال لو عند تمني الخير، وتخصيص الحديث الوارد بالنهي عن استعمال ما يكون في أمر غير محمود شرعاً، وفيه غير ذلك (متفق عليه) أخرجه البخاري مع الحديث قبله في باب واحد.

٤٦٦ ــ (وعنه) أي: أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: انظروا إلى من) الأقرب أنه موصول، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة (أسفل) بالنصب على أنه ظرف مستقر صلة للموصول أو صفة له، وإعرابه خبراً لضمير محذوف هو العائد لمن يأباه إن شرط حذف العائد ألا يصلح ما بقي لكونه صلة، وما هنا صالح له، وإن شرطه أن يكون مبتدأ مخبراً عنه بمفرد وذلك خاص بصلة أي: لاستطالتها بالإضافة، وقراءة على الذي أحسن برفع أحسن على أن التقدير الذي هو أحسن شاذ، وفي بعض نسخ مسلم إثبات هو قبل أسفل هو العائد وهو مبتدأ والظرف مستقر في محل الخبر والجملة صلة، والمراد أسفل في أمور الدنيا كما يبينه الحديث بعده ويدل عليه فهو أجدر إلخ، أما في أمور الدين فينظر الإنسان لمن هو أعلى منه فيها جداً أو استقامة ليدأب كذلك، وفي الحديث رحم الله عبداً نظر في دنياه لمن هو دونه فحمد الله وشكره، وفي دينه لمن هو فوقه فحمد(٣) واجتهد قال في الفتح: وقد وقع في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: المكثرون هم المقلون وغيره(١١/٢٢٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة (الحديث: ٣١).

(٢) (قوله أو لإرصاده الخ) كذا، ولعله «إلا لإرصاده لمن له حق أو لتعذر الخ». ع

(٣) لعله فجد.

مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُروا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. . . . . .

نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً: من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به، ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، وأما من نظر في دنياه إلى من هو فوقه وأسف على ما فاته فإنه لا يكتب شاكراً ولا صابراً ا هـ. **(ولا تنظروا إلى من)** أي: الذي أو شخص **(هو فوقكم)** أي: في ذلك على سبيل استعظام ما ناله واستكثاره **(فهو)** أي: قصر النظر عمن فوقه أو هو مع ما قبله **(أجدر)** أي: أحق **(ألا تزدروا)** أي: بألا تحقروا وتستصغروا افتعال من الإزدراء قلبت فاؤه[1] دالاً لتجانس الزاي في الجهر **(نعمة الله عليكم)** ثم ما أذن به أفعل من التفضيل المؤذن بثبوت أصله عند النظر المذكور باعتبار ما ركز في الطباع السالمة من الآفة من شكر نعم الله وإن قلت: وعدم احتقارها. قال ابن جرير وغيره: هذا الحديث جامع لأنواع الخير وذلك؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه من ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله وحرص على الازدياد ليلحق من فضل عليه فيها أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس قال بعض السلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن أرى داراً واسعةً ودابةً فارهةً ولا عندي شيء من ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. وفي معناه ما أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعه أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أحرى أن لا تزدروا نعمة الله أورده في الفتح، وأما إذا نظر في الدنيا إلى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير وكذا إذا نظر إلى من هو فوقه في الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه، وألا ينظر لعمله ولا يعجب به ويزداد في الجهد في العمل والدأب فيه، والله الموفق، وسيأتي له مزيد إن شاء الله تعالى **(متفق عليه)** أي: في الجملة، وإلا فالحديث المذكور رواه مسلم في الزهد من صحيحه من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، وكذا رواه الترمذي وابن ماجه في الزهد من جامعه وقال الترمذي: صحيح، وحديث البخاري باللفظ الآتي بعده هو الذي اتفقا عليه فرواه مسلم عقب هذا الحديث عن يحيى بن يحيى وقتيبة قال: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة والبخاري في أواخر الرقاق من صحيحه عن إسماعيل عن مالك عن أبي الزناد به فالحديث الآتي هو المتفق عليه، أما الأول فانفرد به مسلم عن البخاري، وقد صنع كذلك المزي في الأطراف فرمز على حديث الباب برمز مسلم دون رمز

(١) الصواب تاؤه بدل فاؤه. ع

Made searchable using ScribeTools.com

وهٰـذا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَفِي رِوَايَةِ ٱلْبُخَـارِيِّ: «إِذَا نَظَرَ أَحَـدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْـهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»(١).

٤٦٧ ــ وَعَنْـهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ، قَـالَ: «تَعِسَ عَبْـدُ الـدِّينـارِ وَالـدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ! . . . . . .

البخاري، ورمز على الحديث الثاني برمز البخاري دون مسلم، وكأن المصنف اعتمد آخر كلامه فقال: (**وهذا لفظ مسلم. وفي رواية البخاري**) الظاهر في اختصاص البخاري باللفظ الثاني بل إنه عند مسلم أيضاً عقب الحديث الذي قبله من غير فاصل، ولكن سبحان من لا يسهو، وقد حرر السيوطي في الجامع الصغير ذلك، فرمز في الحديث الأول لمسلم فقط وفي الثاني للمتفق عليه (**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه**) بضم الفاء وبالمعجمة مبني للمجهول (**في المال والخلق**) بفتح الخاء المعجمة أي: الصور المدركة بحاسة البصر. قال في الفتح: ويحتمل أن يدخل في ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا، قال: ورأيته في نسخة معتمدة من الغرائب للدارقطني بضم الخاء واللام. «قلت»: إن ثبتت تلك الرواية فتحمل على أن المراد الأخلاق الدنيوية؛ لأنها المأمور فيها بما يأتي (**فلينظر إلى من هو أسفل منه**) أي: في ذلك، قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير؛ لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه، فإذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده. وقال غيره: في هذا الحديث دواء كل داء؛ لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن من أن يؤثر فيه الحسد، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك باعثاً له على الشكر.

٤٦٧ ــ (وعنه) أي: عن أبي هريرة (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تعس**) بكسر العين المهملة، ويجوز الفتح أي: خر لوجهه، والمراد هنا هلك. قال ابن الأنباري: التعس الشر، وقيل البعد (**عبد الدينار والدرهم والقطيفة**) بالقاف والطاء المهملة والتحتية والفاء بوزن صحيفة هي الثوب الذي له خمل (**والخميصة**) بالخاء المعجمة وبالميم والصاد المهملة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: من ينظر إلى من هو أسفل منه(١١/٢٧٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق في فاتحته (الحديث: ٩).

إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٤٦٨ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطوا في أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْها مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَينِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَبْدُوَ عَوْرَتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

بالوزن المذكور هي الكساء المربع أي: عبد كل مما ذكر. وقد جاء التصريح بالمضاف مع كل في رواية للبخاري بلفظ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة رواه كذلك في كتاب الجهاد أي طالب ما ذكر الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده، قال: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا كالأسير الذي لا يجد مخلصاً، ولم يقل مالك ولا جامع الدنيا؛ لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على الحاجة. وقال غيره: جعله عبداً لها لشغفه وحرصه، فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه إياك نعبد وإياك نستعين فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً قاله في الفتح: **(أن أعطي)** بالبناء للمفعول مما ذكر **(رضي، وإن لم يعط لم يرض)** هذان الشرطان وجوابهما مسوقان لبيان سبب شدة حرصه على ذلك **(رواه البخاري)** في الرقاق من صحيحه.

٤٦٨ ــ **(وعنه قال: لقد رأيت)** أي: أبصرت **(سبعين من أهل الصفة)** يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين، وهؤلاء الذين رآهم غير السبعين الذين استشهدوا ببئر معونة، وكانوا من أهل الصفة أيضاً لكنهم استشهدوا قبل إسلامه **(ما منهم رجل)** جاز الابتداء به مع نكارته لتقدم الخبر الظرفي عليه أو لكونه في سياق النفي أو لوصفه بجملة **(عليه رداء)** ولا مانع من تعدد المسوغات؛ لأنها معرفات لا مؤثرات، والرداء ما يستر أعالي البدن فقط، وقوله: **(إما إزار وإما كساء)** أي: إما إزار وهو ما يستر أسافل البدن فقط، وإما كساء وهو بالمد معروف، وقوله: **(قد ربطوا في أعناقهم)** جملة في محل الصفة لكساء **(فمنها)** أي: الأكسية المدلول عليها بقوله: وإما كساء **(ما يبلغ نصف الساقين)** لقصره **(ومنها ما يبلغ الكعبين)** لطوله، والكعب العظم الناتىء، عند مفصل الساق والقدم سمي به لنتوئه **(فيجمعه)** أي: ما ذكر من الكساء بقسميه **(بيده)** ليستر العورة **(كراهية)** مفعول له **(أن تبدو)** بالواو أي: تظهر **(عورته)** من صغر الكساء وقصره، واقتصارهم على ذلك زهداً في زهرات الدنيا وإقبالاً على العبادة وعمارة الدار الآخرة **(رواه البخاري)** في المساجد من صحيحه. قال السخاوي في مؤلفه في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: الحراسة وفي الرقاق (١١/٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المساجد، باب: نوم الرجال في المسجد. (١/٤٤٧).

Made searchable using ScribeTools.com

٤٦٩ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

أهل الصفة، وفي لفظ أبي نعيم عنه رأيت سبعين منهم يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته وبعضه عند الحاكم عنه ولفظه لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلاً ما لهم أردية وقال: صحيح على شرطهما، والمراد أن ذلك قدر ما رآه كما تقدم. قال أبو نعيم: الظاهر من أحوالهم والشاهد من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الطعام لونان ا هـ. وقد ألف في أهل الصفة الحافظ أبو نعيم كما نقله الحافظ في الفتح في أبواب المساجد والسخاوي وغيرهما.

٤٦٩ ــ (وعنه) أي: أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن)** أي: بالنسبة لما أعد له من النعيم **(وجنة الكافر)** أي: بالنسبة لما أعد له من العذاب، أو يقال: المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة فكأنه في السجن، والكافر عكسه فهي كالجنة له قاله الشيخ أكمل الدين، وأشار إلى أنه من التشبيه البليغ أي: حذفت أداته وحمل المشبه على المشبه به مبالغة وادعاء أنه من أفراده، لا استعارة؛ لأن شرطها طي ذكر المشبه أو المشبه به، وأشار بعضهم إلى أنه على حقيقته وأن المؤمن لما عليه في الدنيا من التكاليف وتوالي المحن والمكابدات للهموم والغموم والأسقام وغير ذلك في سجن وأي سجن أعظم من ذلك، ثم هو في السجن لا يدري بماذا يختم له من عمل كيف وهو يتوقع أمراً لا شيء أعظم منه ويخاف هلاكاً لا هلاك فوقه، فلولا أنه يرتجي الخلاص من هذا السجن لهلك حالاً، ولكن لطف الله به بما وعده على صبره وبما كشف له من حميد عاقبة أمره، والكافر منفك عن تلك التكاليف آمن من تلك المخاوف مقبل على لذته منهمك في شهوته فهو كالأنعام، وعن قريب يستيقظ من هذه الأحلام، ويحصل في السجن الذي لا يرام، نسأل الله العافية. ا هـ. وفي الحديث تحريض للمؤمن على الإعراض عنها وعدم النظر لها نظر محبة؛ لأن ذلك شأن السجن **(رواه مسلم)** في أواخر صحيحه. قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني والحاكم في المستدرك(٢) عن ابن عمر، وأخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك عن ابن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ١).

(٢) هنا سقط يعلم بمراجعة الجامع الصغير والأصل هكذا «في المستدرك عن سليمان والبزار عن ابن عمر». ع.

٤٧٠ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَساءَ، . . . . . .

عمر[1] بلفظ الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة. ا هـ. «لطيفة» حكى القرطبي في كتاب جمع الحرس بالقناعة عن سهل[2] الصعلوكي الفقيه الخراساني، وكان ممن جمع رياسة الدين والدنيا أنه كان في بعض مواكبه ذات يوم إذ خرج عليه يهودي من إيوان حمام وهو بثياب دنسة وصفة نجسة فقال: ألستم تزعمون أن نبيكم ﷺ قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ وأنا عبد كافر وترى حالي. وأنت مؤمن وترى حالك، فقال له على الفور: إذا صرت غداً إلى عذاب الله كانت هذه الجنة لك، وإذا صرت أنا إلى النعيم ورضوان الله صار هذا سجني، فعجب الخلق من فهمه وسرعة جوابه ا هـ.

٤٧٠ ــ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي)** بتشديد التحتية إحداهما ياء التثنية ويروى بتخفيف الياء على الإفراد، والمنكب بوزن مسجد مجتمع رأس العضد والكتف؛ لأنه يعتمد عليه كذا في المصباح، وأخذه ﷺ بمنكبيه ليقبل بقلبه على ما يلقيه إليه ويستيقظ إن كان في غفلة لذلك عما هو فيه مع ما فيه من التأنيس والتنبيه والتذكير، إذ محال عادة أن ينسى من فعل معه هذا ما يقال له، وهذا لا يفعل غالباً إلا مع من يميل إليه الفاعل دليل على محبته ﷺ، ونظير هذا قول ابن مسعود: علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه **(فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)** زاد الترمذي «وعد نفسك من أهل القبور» ورواه أحمد والنسائي أوله «اعبد الله كأنك تراه وكن في الدينا» الخ **(وكان ابن عمر)** راوي الخبر **(يقول)**: أي: عقب روايته له كما يؤذن به سياق المصنف وهو كالرديف لما قبله، قال الأعمش راويه عن مجاهد عن ابن عمر وقال: قال لي ابن عمر، وفي لفظ آخر عنه قال مجاهد: ثم قال لي ابن عمر: وكذا جاء في رواية غير الأعمش **(إذا أمسيت)** أي: دخلت في المساء، وهو لغة من الزوال إلى نصف الليل **(فلا تنتظر)** أي: بأعمال المساء **(الصباح، وإذا أصبحت)** أي: دخلت في الصباح فالفعلان تامان، والصباح من نصف الليل إلى الزوال كما ذكره السيوطي **(فلا تنتظر)** أي: بأعمال النهار **(المساء)** وذلك أن لكل منهما عملا يخصه فإذا أخر عنه فات ولم يستدرك كماله وإن شرع قضاؤه فطلبت المبادرة بعمل كل

---

(١) صوابه عن ابن عمروكما في الجامع الصغير. ع

(٢) لعله أتى سهل. ع

Made searchable using ScribeTools.com

وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، قَالوا في شَرْحِ هَذَا الحَدِيث مَعْنَاهُ: لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَناً، وَلَا

وقت في وقته، أو المراد إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى الصباح وكذا عكسه بل انتظر الموت كل وقت واجعله نصب عينيك، وعقب به المصنف ما قبله؛ لأن الحديث للحض على ترك الدنيا والزهد فيها كما سيأتي بيانه في الأصل، وهذا الحض على تقصير الأمل فذاك متوقف على هذا؛ لأنه المصلح للعمل والمنجي من آفات التراخي والكسل، فإن من طال أمله ساء عمله، فعلم أن هذا سبب للزهد في الدنيا، وقولهم: إنه هو مرادهم أن بينهما تلازماً صيرهما كالشيء الواحد فهو مجاز وإلا فالحقيقة ما قلنا، فمن قصر أمله زهد، ومن طال أمله رغب وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لنسيان الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الأهوال **(وخذ من صحتك)** أي: أعمالاً صالحة نستعين في تحصيلها بها مبتدأة منها منتهية أو مدخرة **(لمرضك)** أي: لمدته التي تشتغل عنها في المرض أي: فلا تغفل عنها في زمن تمكنت فيه منها، وهو زمن الصحة لئلا تغبن في صفقتك **(و)** خذ **(من حياتك لموتك)** يحتمل أن يكون أعم مما قبله بأن يراد الإكثار منها ولو في زمن المرض المتمكن فيه منها فيكون فيه ترق وزيادة في التحريض على اغتنام الطاعة وعدم التواني فيها مع إمكانها ولو شقت وصعبت على النفوس لمرض أو غيره ويحتمل أن يكون بمعنى ما قبله أي: من زمن صحتك مدة حياتك فيكون تأكيداً لما قبله واهتماماً به وزيادة تحريض عليه، وبالجملة فرأس مال المؤمن صحته وحياته وأيام حياته زمن تجارته فلا ينبغي له أن يفرط فيها مع التمكن منها ليحصل له من ربح التجارة ونفعها ما يدوم نفعه عليه عند حاجته إليه لنحو مرض، وفي الحديث إذا مرض العبد أو سافر يقول الله لملائكته: اكتبوا ما كان يعمله صحيحاً مقيماً وهذا فيه توسل لدوام فضل المولى سبحانه بحسن العمل، وفي الحديث: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقلت في هذا المعنى:

أيها السالك المريد تنبه ... من منامك وغفلة قبل فوتك
خذ لسقم من الشباب وبادر ... ومن الوقت قبل فوت لموتك

(رواه البخاري) في الرقاق من صحيحه، ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن حبان في صحيحه، وقد صرح الأعمش فيه بتحديث مجاهد له في الصحيح بخلاف رواية ابن حبان، ولذ قال: مكثت مدة أتوهم أن الأعمش سمع هذا الحديث من ليث ودلسه حتى رأيت ابن المديني رواه عن الطفاوي فصرح بقول الأعمش سمعت مجاهداً، ذكره السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف، ثم نقل أنه أنكر الاتصال وقال: إنما رواه الأعمش بالعنعنة، وكذا رواه عنه

تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا، وَلَا بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغِلُ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذِي

أصحابه، وكذا أصحاب الطفاوي عنه، وتفرد ابن المديني بالتصريح قال: ولم يسمعه الأعمش عن مجاهد وإنما سمعه من ليث عنه فدلسه: يعني فرجع الحديث إلى ليث وسكت عن رده، وكأنه لوضوحه بأن الصحيح ما في الصحيح فلا عبرة بما يخالفه **(قالوا:)** أي: شراح الحديث المدلول عليهم بالسياق **(معناه)** أي: معنى الحديث من حيث الجملة **(لا تركن)** بفتح الكاف وبضمها؛ لأنه جاء من بابي علم ونصر كما في مفردات الراغب، زاد في الصحاح أن الذي حكاه من باب علم أبو زيد قال: وما حكى أبو عمرو ركن يركن بالفتح فيهما فإنما هو على الجمع بين اللغتين ا هـ. أي: لا تمل وتسكن **(إلى الدنيا)** وتطمئن بها **(ولا تتخذها وطناً)** يحتمل أن يكون من عطف الجزء على الكل اهتماماً، وذلك؛ لأن السكون إليها والطمأنينة بها إنما يكون مع توطنها، ويحتمل أن يكون من عطف المغاير، فالأولى للنهي عن النظر لزهراتها على وجه الإعجاب بها والميل إليها. والثانية للنهي عن استيطانها والإقامة بها، وذلك؛ لأن من توطن مكاناً سعى في عمارته، وعمارتها خلاف شأن الحازم؛ لأنه مفارق لها إلى دار لا يفارقها الأبد، فحقه الاحتفال بتلك لا بهذه، وهذا راجع لقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب»؛ لأن شأن الغريب عدم الركون لغير وطنه وترك التوطن بسواه، وقوله: **(ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها)** راجع لقوله: أو عابر سبيل، لأن شأن من دخل بلداً في أثناء سفره ألا يحدث نفسه بالمقام بها لأنه ينقطع بذلك عن الرفق[1] فتلحقه المشاق، ولا بالاعتناء بتلك البلد؛ لأن المرء لا يعتني بحسب طبعه إلا بما يعود نفعه عليه من وطنه، وقوله: **(ولا تتعلق منها)** ظرف مستقر صفة لمحذوف أي: بشيء منها أو بمعنى[2] متعلق بالفعل أي: تعلقاً مبتدأ منها، فمن للتبعيض أو للابتداء **(بما)** أي: بالذي **(لا يتعلق به الغريب في غير وطنه)** مما لا تدعو إليه ضرورته من زاد ومركوب، فكذا شأن الحازم ألا يتعلق في سفره إلى مولاه بشيء من الدنيا إلا براحلته التي يتوصل بها إلى مرضاة ربه وهي نفسه، فيشتغل بما يتوصل به إلى أن يؤديها حقها ويكفها عن الغير، وكذا يكتسب ما يقوم به من تجب عليه مؤنتهم وبزاده[3] الذي هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ويعرض عما عداه **(ولا يشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي**

---

(١) بضم ففتح جمع رفقة. ع.

(٢) (قوله أو بمعنى متعلق إلخ) كذا، ولعل الصواب (أولغومتعلق إلخ). ع.

(٣) معطوف على قوله (براحلته). ع

Made searchable using ScribeTools.com

يُرِيدُ الذَّهابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ[1].

٤٧١ ـ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وازْهَدْ فِيما عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ

يريد الذهاب) أي: العود **(إلى أهله)** فإن شأنه ألا يستكثر من المتاع؛ لأن ذلك يتعبه في مقصده ويثقله عن مطلبه بخلاف من أضرب عن العود فذلك لا يحتفل بأمر السفر، فالحازم لا يتخذ من الدنيا ما يثقله في سفره إلى مولاه، والغافل عن ذلك معرض عن آخرته مقبل على زهرة دنياه وهذا راجع لمجموع الحديث وذلك؛ لأنه إذا كان المسافر المذكور، وإن كان يقيم بتلك البلاد، شأنه الإعراض عما يثقله في سفره، فالعابر بها من غير إقامة أولى بذلك، والله أعلم.

٤٧١ ـ **(وعن أبي العباس)** بتشديد الموحدة وبعد الألف مهملة **(سهل بن سعد الساعدي)** تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الدلالة على الخير **(قال: جاء رجل)** لم أقف على تسميته **(إلى النبي ﷺ)** أي: جاء ساعياً إليه **(فقال: يا رسول الله دلني)** سؤال من الدلالة أي: نبهني **(على عمل)** التنوين فيه للتعظيم وعظمه إنما هو بحسب ثمرته كما يومىء إليه قوله: **(إذا عملته)** أي: مريداً به وجه الله **(أحبني الله)** بإرادة الثواب **(وأحبني الناس)** أي: مالوا إلي ميلاً طبيعياً لا يدخل تحت الاختيار، والجملة الشرطية صفة عمل **(فقال: ازهد في الدنيا)** أي: أعرض عما لا تدعو إليه الضرورة مما زاد عنها من المباح احتقاراً له وإرباء بنفسك عنها بغضاً له. فحب الدنيا رأس كل خطيئة. والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفاً من النار وطمعاً في الجنة أو ترفعاً عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى، ولا يكون ذلك إلا بعد انشراح الصدر بنور اليقين **(يحبك الله)** جواب الشرط المقدر لوقوعه جواب الأمر كما هو الرواية، ويجوز من حيث الصناعة أن يكون مستأنفاً، وفيه إيماء إلى شرف الزهد لعظم ثمرته التي هي محبة المولى، ثم المراد من كون حبها مذموماً حبها كذلك إيثاراً لشهوة نفس ونحوها؛ لأنه يشتغل عن الحق سبحانه، أما حبها لفعل الخير، وإعانة محتاج وإغاثة ملهوف وإطعام بائس فعبادة بشهادة قوله ﷺ: «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح؛ يصل به رحماً ويصنع به معروفاً» **(وازهد فيما عند الناس)** من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ كن في الدنيا... إلخ (١١/١٩٩، ٢٠٠).

النَّاسُ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ[١].

نحو مال وجاه بإعراضك عنه ورفضك إياه **(يحبك الناس)** أي: بسبب ذلك، ومتى نازعتهم في ذلك بغضوك[٢] ونازعوك إياه فإنهم بطباعهم يتهافتون عليه تهافت الذباب على النتن، والكلاب على الجيف، ومن ثم شبه الشافعي رضي الله عنه الدنيا بها، والناس بالكلاب بقوله:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(حديث حسن) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخريج الأربعين التي جمعها المصنف بعد كلام ذكره في إسناد الحديث ما لفظه: فالظاهر أن الحديث الذي أوردناه آنفاً لا يصح ولا يطلق على إسناده أنه حسن. ا هـ. قال السخاوي: كأنه أشار بهذا الكلام إلى شيخه أي: الحافظ الزين العراقي، فإنه حسنه في أماليه وسبقه إليه الشيخ: يعني النووي **(رواه ابن ماجه)** في سننه **(وغيره)** قال السخاوي في تخريج الأربعين المذكورة: وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير وابن حبان في روضة العقلاء له والحاكم في الرقائق من مستدركه وقال: إنه صحيح الإسناد وليس كذلك **(بأسانيد حسنة)** فرواه ابن ماجه عن أبي عبيدة بن السفر عن شهاب بن عباد، ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد بن المسيب عن يوسف بن سعيد بن مسلم، ورواه الحاكم عن أبي بكر محمد بن جعفر الآدمي عن أحمد بن عبيد بن ناصح، ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام، أربعتهم عن خالد بن عمرو القرشي وأخرجه الحافظ السخاوي من طريق محمد بن كثير المصيصي قالا وتقاربا في اللفظ: ثنا سفيان الثوري عن أبي حازم المدني عن سهل، وكذا أخرجه العقيلي والبيهقي والقضاعي في مسند الشهاب من طريق البغوي، وقال الحاكم: إنه صحيح الإسناد، وليس كذلك، فخالد مجمع على تركه، ضعفه أحمد بن معين والبخاري في آخرين، ونسبه أحمد وابن معين وآخرون إلى وضع الحديث، وابن كثير أيضاً ليس عمدة ضعفه أحمد جداً وقال مرة: حدث بمناكير لا أصل لها، وقال مرة: لم يكن عندي بثقة، وضعفه النسائي ولينه البخاري. قال السخاوي: بعد نقل كلام الحافظ السابق في منع تحسين الحديث ما لفظه: ويساعد شيخنا قول أبي جعفر العقيلي ليس له من حديث الثوري أصل، ولعل ابن كثير أخذه عن خالد ودلسه؛ لأن المشهور به خالد كذا قال، وخالفه

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: الزهد في الدنيا (الحديث: ٤١٠٢).

(٢) الأفصح تعديته بالهمز فيقال أبغضه يبغضه. ع

Made searchable using ScribeTools.com

٤٧٢ ــ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الدَّقَلُ» بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ: رَدِيءُ التَّمْرِ[1].

٤٧٣ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وما في بَيْتِي شَيْءٌ

الخطيب فذكر الحديث عن الثوري وقال: أشهر طرقه عن الثوري ابن كثير، لكن وافقه ابن عدي على أنه منكر من حديث الثوري ا هـ. وبه يعلم أن الحديث له عند من ذكر سند واحد وهو الثوري إلى منتهاه لا أسانيد، ولعله باعتبار الطرق الموصلة إليه وأن سند الحديث ليس بحسن لما علمت، والله أعلم.

٤٧٢ ــ (وعن النعمان) بضم النون وسكون المهملة **(ابن بشير)** بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية ابن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي **(رضي الله عنهما)** له ولأبويه صحبة وتقدمت ترجمته في باب الأمر بالمحافظة على السنة **(قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس)** أي: حازوه وحصلوه **(من الدنيا)** أي: المال والخول والجاه وغير ذلك من الأعراض المخدجة فما موصولة عائدها محذوف ومن بيانية **(فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل)** مضارع ظل التي هي لاتصاف اسمها بخبرها نهاراً **(اليوم)** ظرف لقوله: **(يلتوي)** وقوله: **(ما يجد دقلاً يملأ به بطنه)** جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لسبب التوائه طول يومه **(رواه مسلم)** في آخر صحيحه وابن ماجه في الزهد من سننه ورواه مسلم أيضاً فيه ورواه الترمذي في الزهد من سننه في شمائله[2] لكن من حديث النعمان نفسه أنه قال: «ألستم في طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه» وقال الترمذي: صحيح ورواه أبو عوانة **(الدقل بفتح الدال المهملة والقاف)** آخره لام **(رديء)** بالهمز فعيل من الرداءة **(التمر)** قال في الصحاح: أردأ التمر وما ذكره الشيخ هو ما في النهاية وعبارتها، الدقل هو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً ا هـ.

٤٧٣ ــ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق في فاتحته (الحديث: ٣٦).

(٢) (قوله من سننه في شمائله) كذا بالأصول. ع

يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُها «شَطْرُ شَعيرٍ»: أَيْ شَيْءٌ مِنْ شَعِيرٍ. كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمِذِيُّ(١).

كبد) بفتح الكاف وكسر الموحدة في الأفصح أي: حيوان وعبرت به؛ لأنه من الأجزاء الرئيسية في البدن **(إلا شطر شعير)** لا يخفى ما اشتمل عليه هذا الخبر من مزيد إعراضه ﷺ عن الدنيا بالمرة وعدم النظر إليها؛ لأنه إذا كان هذا حالها وهي أحب أمهات المؤمنين إليه ﷺ وقد دانت له الأرض شرقاً وغرباً وجيء بثمراتها فضة وذهباً ولم يوجد عندها إلا ما ذكر، ففيه أعظم دليل على مزيد إعراضه ﷺ عنها **(في رف)** بفتح الراء وتشديد الفاء، قال في النهاية: هو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الدار يوقي به ما يوضع عليه، وجمعه رفوف أو رفاف، وفي الفتح للحافظ قال الجوهري: الرف شبه الطاق في الحائط. وقال عياض: الرف خشب يرفع عن الأرض يوضع فيه ما يراد حفظه. «قلت»: والأول أقرب للمراد ا هـ. وقولها **(لي)** في محل الصفة لرف **(فأكلت منه)** من ابتدائية أو تبعيضية وقولها: **(حتى طال علي)** غاية لمحذوف أي: وداومت على الأكل منه حتى طال علي **(فكلته)** بكسر الكاف **(ففني)** أي: ففرغ وقد وقع نظير ذلك في قصة أخرى، رواه مسلم أيضاً أنه ﷺ أطعم رجلاً وسقاً من شعير فأكلوا منه مدة حتى كالوه ففني، فأخبر النبي ﷺ فقال: لو لم يكل لأكلتم منه ولكفاكم قال المصنف: إنما فني عند كيله عقوبة؛ لأن كيله مضاد للتسليم ومتضمن للتدبير وتكلف للإحاطة بأسرار الله تعالى. قال التلمساني في شرح الشفاء: ولا يخالف هذا حديث «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه»؛ لأن ما أمر به ﷺ عند إرادة المناولة فيكون استعمال آلة النبي ﷺ وشريعته، وما أمر به مطردة للشيطان، وأي: مطردة له أكثر من تناوله ﷺ بيده المباركة، وأيضاً فإن تكثير الطعام القليل من أسرار الله تعالى الخفية، وشرط السر إخفاؤه وقال الحافظ في الفتح: أجيب بأن الكيل عند المبايعة محبوب من أجل تعلق حق المتبايعين ولذا يندب، وأما الكيل عند الإنفاق فالباعث عليه الشح فلذا كره. وقال القرطبي: سبب رفع الماء عند الكيل والله أعلم الالتفات بعين الحرص مع معاينة إدرار نعم الله تعالى ومواهب كراماته وكثرة بركاته والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذي وهبها والميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادات. ويستفاد منه أن من رزق شيئاً أو أكرم بكرامة أو لطف به في أمر فالمتعين عليه موالاة الشكر وتنزيه المنة لله تعالى، ولا يحدث في تلك الحالة تغييراً ا هـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري في الخمس، وفي الرقاق من صحيحه، ورواه مسلم في آخر صحيحه، ورواه ابن ماجه في الأطعمة. **(وقولها: شطر شعير أي: شيء)** قليل كما يومىء إليه السياق **(من شعير كذا فسره الترمذي)**، وكأنه مستند

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته والرقاق، باب: فضل الفقر. =

Made searchable using ScribeTools.com

٤٧٤ ــ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَماً وَلَا دِينَاراً وَلَا عَبْداً وَلَا أَمَةً وَلَا شَيْئاً، إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُها، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ

الحافظ في قوله في الفتح المراد بالشطر هنا البعض. والشطر يطلق على النصف وعلى ما يقاربه وعلى الجهة وليست مرادة هنا، ويقال: أرادت نصف وسق. قال الحافظ: الذي يظهر أنه ﷺ كان يؤثر بما عنده ففي الصحيحين «أنه ﷺ كان إذا جاءه ما فتح الله عليه من خيبر أو غيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقي في سبيل الله، ثم كان مع ذلك إذا طرأ عليه طارىء ونزل به ضيف يشير على أهله بإيثارهم فربما أدى ذلك إلى نفاد ما عنده أو معظمه» وقد روى البيهقي عن عائشة قالت: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية، ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه» ا هـ.

٤٧٤ ــ **(وعن عمرو)** بفتح المهملة **(ابن الحارث)** بن أبي ضرار بكسر المعجمة وتخفيف الراء الأولى الخزاعي المصطلقي **(أخي)** بالجر عطف بيان لعمرو. وفي بعض نسخ البخاري أخوه بالرفع خبر مبتدأ هو، هو **(جويرية)** بضم الجيم وتخفيف الواو وسكون التحتية الأولى وكسر الراء وتخفيف التحتية بعدها هاء **(بنت الحارث أم المؤمنين)** في الاحترام ووجوب الإكرام **(رضي الله عنهما)** قال الحافظ في التقريب: هو صحابي قليل الحديث بقي إلى بعد الخمسين. أخرج البخاري عنه هذا الحديث الواحد وانفرد به عن مسلم **(قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة)** أي: باقيين على الرق: قال الحافظ في الفتح: وفيه دلالة على أن من ذكر من أرقاء النبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتقه **(ولا شيئاً)** في رواية الكشميهني ولا شاة، والأول أصح وهي رواية الإسماعيلي، نعم روى مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عائشة ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء **(إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها)** قال السهيلي في الأعلام: أهداها له رفاعة الضبيبي من لخم ا هـ. وسيأتي في الملح والمنثورات أن الذي أهداها له فروة بن نفاثة بالنون والفاء والمثلثة على الأشهر الجذامي، وإنما اسمها الدلدل وليس له بغلة غيرها **(وسلاحه)**وبيان ما خلفه ﷺ من السلاح والكراع مذكور في كتب السير **(وأرضاً)** هي نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهم من

= (٢٣٩/١١).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ٢٧).

صَدَقَةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٤٧٥ ــ وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً؛ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ .....

خمس خيبر وضيعة من أرض بني النضير **(جعلها)** أي: الثلاث المذكورة كما في تحفة القاري **(لابن السبيل صدقة)** أي: لم يترك مالاً غير ما ذكر مما جعله صدقة على المسلمين **(رواه البخاري)** في مواضع من صحيحه منها في الوصايا وفي فرض الخمس وفي المغازي، ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي.

٤٧٥ ــ **(وعن خباب)** بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الأولى **(ابن الأرت)** بفتح الهمزة والراء وتشديد المثناة الفوقية وتقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** ونسبه في باب الصبر **(قال: هاجرنا)** أي: فارقنا أوطاننا لنصرة الدين الحنيفي **(مع رسول الله ﷺ)** وكان ذلك منهم من مكة إلى المدينة، وكونهم معه ليس المراد مصاحبتهم له في السفر؛ لأنه لم يصحبه ﷺ في الهجرة إلى الصديق وعامر بن فهيرة، بل المراد المعية في مفارقة الوطن إلى وطن آخر لنصرة الدين، وقوله: **(نلتمس)** أي: نطلب بهجرتنا **(وجه)** أي: ذات **(الله تعالى)** جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً للحامل على الهجرة، وفي الصحاح: الالتماس الطلب، وفي الجملة بيان نعم الله تعالى عليهم أن أهلهم للهجرة وحركهم لها ومن عليهم بالإخلاص فيها ليجنوا ثمرة الاجتهاد ويحبوا بالمراد **(فوقع)** أي: كتب[2]، وجاء في رواية للبخاري في المغازي فوجب، وذلك لإيجاب الله تعالى ذلك على ذاته وبوعده[3] الصادق، وإلا فلا يجب على الله شيء **(أجره)** أي: إثابتنا وجزاؤنا **(على الله)** ويصح أن يراد منه ثمرة العلم ولو دنيوية على الله **(فمنا)** أي: فبعض المهاجرين **(من مات)** حال كونه **(لم يأكل)** أي: لم يصب، وعبر عنها بالأكل؛ لأنه المقصود من إصابة المال **(من أجره شيئاً)** قال في الفتح: وهذا كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح. ولما كان المراد بالأجر عرقه فليس مقصوراً على أجر الآخرة **(منهم مصعب)** بضم الميم بصيغة المفعول **(ابن عمير)** بصيغة التصغير العبدري، يجتمع مع النبي ﷺ في قصي يُكنى أبا عبد الله من السابقين إلى الإسلام وإلى

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا، باب: الوصايا والجهاد، باب: بغلة النبي ﷺ البيضاء، والمغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته(٨/١١٣).

(٢) في نسخة «ثبت». ش

(٣) قوله (وبوعده) لعل الواو من زيادة النساخ. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِها رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ؛ فَأَمَرَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُها» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «النَّمِرَةُ»: كِسَاءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ. وَقَوْلُهُ «أَيْنَعَتْ»: أَيْ نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وَقَوْلُهُ «يَهْدِبُها» هُوَ بِفَتْحِ الياءِ وَضَم الدَّالِ وَكَسْرِهَا لُغَتانِ: أَيْ يَقْطِفُهاوَيَجْتَنيها. وَهَذِهِ اسْتِعارَةٌ

الهجرة. قال البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرءان القرآن، أخرجه البخاري. وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ أرسله مع أهل العقبة الأولى يقرئهم ويعلمهم **(رضي الله عنه قتل يوم أحد)** بضم أوليه: وقعة مشهورة كانت سنة أربع من الهجرة على الصحيح، وكان **قتل** مصعب بها شهيداً. وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ يومئذ **(وترك نمرة)** بفتح النون وكسر الميم ثم راء، وهي إزار من صوف مخطط أو بردة **(فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت)** أي: ظهرت **(رجلاه، وإذا غطينا رجليه)** أي: بالنمرة المذكورة **(بدا رأسه)** هذه الجملة مسوقة لبيان مزيد صغرها، ففيه مزيد تقلله من الدنيا **(فأمر رسول الله ﷺ أن يغطى)** بالتحتية مبني للمفعول[1] مرفوعه قوله: **(رأسه)** وذلك أشرفه على باقي الأعضاء **(ويجعل على رجليه شيء من الأذخر)** هو نبت معروف طيب الرائحة **(ومنا)** أي: وبعضهم **(من أينعت)** بفتح الهمزة والنون وسكون التحتية بينهما ويأتي معناها في الأصل **(له ثمرته)** والفاء في قوله: **(فهو يهد بها)** تفريعية ومدخولها معطوف على جملة الصلة **(متفق عليه)** رواه البخاري في الجنائز والهجرة من صحيحه، ومسلم في الجنائز، ورواه أبو داود في الوصايا، والترمذي في المناقب وقال: حسن صحيح، والنسائي في الجنائز (النمرة) تقدم ضبطها على الأفصح ويجوز كسر النون وفتحها مع سكون الميم فيهما **(كساء)** قال في الصحاح: هو واحد الأكسية **(ملون)** أي: ذو ألوان وخطوط **(من صوف)** زاد في الفتح أو بردة **(وقوله أينعت)** قال في فتح الباري وفي بعض النسخ ينعت بغير ألف، وهي لغة، قال الفراء: وأينعت أكثر **(أي: نضجت)** بفتح النون والمعجمة والجيم من النضج وهو الاستواء **(وأدركت)** أي: زمن القطف **(وقوله: يهدبها بفتح الياء)** التحتية وسكون الهاء **(وضم الدال)** المهملة **(وكسرها لغتان)** ضبطه في الفتح بكسر المهملة وقال: إن النووي ضبطها بالضم، وحكى ابن التين تثليثها. «قلت»: وعليه اقتصر السيوطي في التوشيح ولم ينسبه إليه **(أي: يقطفها)** بكسر المهملة من باب ضرب كما أشار إليه في الصحاح بقوله: قطف العنب

---

(١) في النسخ المجردة نعطي ونجعل بالنون والبناء للفاعل. ع

لِمَا فُتِحَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيا وَتَمَكَّنُوا فِيها[1].

٤٧٦ ــ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْها شَرْبَةَ مَاءٍ» رَوَاهُ

قطفاً، ثم رأيته في المصباح من ضرب، وقيل معناه قطع **(ويجنيها)** عطف تفسير في الصحاح جنيت الثمرة أجنيها واجتنيتها بمعنى **(وهذه استعارة لما فتح الله عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها)** أي: جملة قوله أينعت إلخ استعارة تمثيلية. شبه حالهم في تمكنهم من الدنيا التي فتح عليهم بها وتمكنوا منها بتمكن ذي الثمرة النضيجة من قطفها واجتنائها، ويحتمل أن يكون أستعير يهدبها لمعنى التمكن منها فتكون استعارة تبعية، شبه التمكن من الدنيا بالهدب وهو القطف للثمرة بجامع سهولة الوصول في كل، فأطلق اسم المشبه على المشبه به، استعارة مصرحة مرشحة بقوله أينعت، ثم سرت الاستعارة منه إلى الفعل، والله أعلم.

٤٧٦ ــ **(وعن سهل بن سعد)** الأنصاري **(الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح)** بفتح الجيم **(بعوضة)** فعول من البعض وهو القطع غلب على هذا النوع من الحيوان المضروب به المثل في الحقارة وجناحها في غايتها ومنتهاها. قال النيسابوري في تفسيره: ومن عجائب البعوض أن خرطومه مع كونه في غاية الصغر مجوف، ومع كونه كذلك يغوص في جلد الجاموس كما يغوص الإصبع في الخبيص، وذلك لما ركب الله في رأس خرطومه من السم ا هـ. **(ما سقى كافراً منها شربة ماء)** لهوانه عليه وسقوطه. قال العاقولي أي: لو كان لها عنده تعالى أدنى قدر ما تمتع فيها كافر أدنى تمتع. وفي الديباجة: هو أن الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وإن لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار انتقال وارتحال، وأنه تعالى ملكها في الغالب للكفار والفساق، وحمى منها الأنبياء وورائهم، ويكفيك حديث الباب في هوانها عند الله وصغرها وحقرها وذمها وبغضها وبغض أهلها والمحبين لها، وليس من الدنيا ما يوجد فيها من الأنبياء والصديقين والعلماء العاملين والطاعة الموصلة لمرضاة رب العالمين ويدل له الاستثناء في الحديث الآتي؛ لأنه من قوله فيه «وما فيها» ومع كون الدنيا بهذا المقام عند الله سبحانه، فهو يوم القيامة يستوفي لذي الظلامة منها ظلامته من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: إذا لم يجد كفناً إلا ما يواري رأسه أو قدمه غطى رأسه، وفي فضائل الصحابة والمغازي والرقاق(١١/ ٢٣٧، ٢٣٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في كفن الميت(الحديث: ٤٤).

Made searchable using ScribeTools.com

التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ[١].

٤٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِماً وَمُتَعَلِّماً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[٢].

ظالمه ولو كان كافراً من مؤمن إظهاراً لمزيد العدل **(رواه الترمذي)** في الزهد وانفرد به عن باقي الكتب الستة **(وقال: حديث صحيح)** غريب من هذا الوجه، وكأن سكوت المصنف عن هذا لكون الغرابة نسبية فلا تنافي التصحيح.

٤٧٧ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا)** بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤتى به لتأكيد ما بعده وليتوجه السامع له **(إن الدنيا ملعونة)** أي: مبغوضة ساقطة فعبر عنه بذلك؛ لأن من لازم المبغوض الساقط الإبعاد **(ملعون ما فيها)** أي: من الأموال الدنيوية المخدجة الفانية من شهوات وغيرها أي: الاشتغال بذلك مبعد عن حضرة الحق، فقد جاء حب الدنيا رأس كل خطيئة **(إلا ذكر الله وما والاه)** أي: وما أدناه[٣] مما أحبه الله تعالى، والولي: القرب والدنو، والمعنى: الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاته **(وعالماً ومتعلماً)** كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالألف فيهما وهو ظاهر؛ لأنهما معطوفان على المستثنى المنصوب وجوباً لكونه من كلام تام موجب، لكنهما في نسخ الترمذي من غير ألف. قال الحافظ السيوطي في حواشيه: عليه منصوبان؛ لأن الاستثناء عن كلام تام موجب وكتبا بلا ألف على طريق كثير من المحدثين **(رواه الترمذي)** في الزهد من جامعه، ورواه ابن ماجه في المشكاة **(وقال:)** أي: الترمذي **(حديث حسن)** قال القرطبي: لا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقاً ولعنها، فقد جاء من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، وإذا قال العبد: لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه أخرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله الهاشمي، والجمع بين ذلك بحمل الأحاديث الواردة في إباحة لعن الدنيا على ما يبعد منها عن الله تعالى ويشغل عنه وحمل

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (الحديث: ٢٣٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ١٤، (الحديث: ٢٣٢٢).

(٣) كذا، والصواب «وما داناه». ع

٤٧٨ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ، فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

٤٧٩ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نُعالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «مَا أَرَى الأَمْرَ إِلاَّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ» .....

الوارد بالمنع على ما قرب إلى الله تعالى أو أعان على عبادته سبحانه، كما يومىء إليه الاستثناء في حديث الباب بقوله إلا ذكر الله وما والاه إلخ.

٤٧٨ ــ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتخذوا الضيعة)** بالضاد المعجمة: العقار، والجمع ضيع وضياع بكسر ففتح قاله في الصحاح وفي النهاية: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزارعة وغير ذلك، والمراد لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فترغبوا عن صلاح آخرتكم كما قال: **(فترغبوا في الدنيا)** أي: في صلاحها وتشتغلوا به من صلاح دار القرار. قال صاحب المفاتيح: وذلك؛ لأن بأخذها تحصل الرغبة في طلب الدنيا فلا تشبعون حينئذ منها **(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن)** ورواه أحمد والحاكم في المستدرك.

٤٧٩ ــ **(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مر علينا)** لعل الإتيان بعلى لعلو محل مروره ﷺ على محل الخص، أو كان راكباً، وإلا فمر يعدى بالباء **(رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصالنا)** بضم الخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة، قال في النهاية: هو بيت يعمل من خشب وقصب، وجمعه خصاص وأخصاص، سمي به لما فيه من الخصاص وهي الفرج والأثقاب. وفي الصحاح: الخص البيت من القصب ا هـ. وهو محتمل لتخصيص القصب بذلك فيخالف كلام النهاية، ويحتمل أن يراد من ذلك وغيره مثلاً فيوافقه، **والله أعلم (فقال: ما هذا)** أي: المعالج **(فقلنا قد وهى)** بفتحتين أي: ضعف وهم بالسقوط كما في الصحاح **(فنحن نصلحه)** بإدعامه بما يذهب به ويدوم به قوامه **(فقال: ما أرى)** يحتمل أن يكون بضم الهمزة بمعنى أظن، وأن يكون بفتحها بمعنى أعلم **(الأمر)** أي: الأجل **(إلا أعجل)** أي: أسرع **(من ذلك)** أي: الإصلاح المذكور، وعبر به مع أن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٢٠ (الحديث: ٢٣٢٨).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٨٠ ـ وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِياضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٢).

٤٨١ ـ وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَيُقَالُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ أَبُو لَيْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ

المقام لهذا الموضوع للقريب، إيماء بأن الاشتغال بالبناء بعيد من شأنهم مع توقع الأجل ساعة فساعة ولحظة فلحظة **(رواه أبو داود والترمذي بإسناد البخاري ومسلم)** أي: برجال روياً عنهم، فهو على شرطهما **(وقال الترمذي: حسن صحيح)**.

٤٨٠ ـ **(وعن كعب)** بفتح الكاف وسكون العين المهملة بعدها موحدة **(ابن عياض)** بكسر المهملة وتخفيف التحتية آخره ضاد معجمة، الأشعري معدود في الشاميين. روى عنه جابر بن عبد الله، وقيل: روت عند أم الدرداء **(رضي الله عنه)** خرج عنه الترمذي والنسائي **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل أمة فتنة)** بكسر الفاء أي: ما يمتحنون ويختبرون أي: يعاملون به معاملة المختبر للجاهل بحاله. قال الراغب في مفرداته: جعلت الفتنة كالبلاء يستعمل في الخير والشر. وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾(٣) اهـ. **(وفتنة أمتي)** ما تمتحن به في دنياها **(المال)** كما قال ﷺ: «إن هذا المال حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» **(رواه الترمذي)** في الزهد من جامعه ورواه النسائي في الرقاق من سننه ورواه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة كما في أسد الغابة **(وقال:)** أي: الترمذي **(حديث حسن صحيح)**.

٤٨١ ـ **(وعن أبي عمرو)** بفتح العين كني باسم أحد أولاده **(ويقال:)** بالبناء للمجهول أي: ويقال: في كنيته **(أبو عبد الله)** قال في أسد الغابة: يكنى أبا عبد الله ويقال: أبو عمرو. وقيل: كان يكنى أولاً بابنه عبد الله، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ ثم كني بابنه عمرو اهـ. **(ويقال: أبو ليلى)** بفتح اللامين بينهما تحتية ساكنة **(عثمان بن عفان)** بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي المكي ثم المدني أمير

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في البناء (الحديث: ٥٢٣٥).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال (الحديث: ٢٣٣٦).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال (الحديث: ٢٣٣٦).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ، قَـالَ: «لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِـوى هَـذِهِ الْخِصَـالِ: بَيْتٌ

المؤمنين (رضي الله عنه) أمه أروى بنت كريز بضم الكاف وفتح الراء ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. أسلم عثمان قديماً، دعاه أبو بكر إلى الإسلام، فأسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فهاجر بزوجته رقيـة بنت النبي ﷺ إلى الحبشة الهجـرتين الأولى والثانيـة، ويقال لعثمان ذو النورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ إحداهما بعد الأخرى، قالوا: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره روي لعثمان عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثاً، اتفق الشيخان منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. روى عنه جمع من الصحابة منهم زيد بن خالد الجهني وابن الزبير وغيرهم وخلق من التابعين. ولد في السنة السادسة بعد الفيل، وقتل شهيداً يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمان وقيل: ثنتين وثمانين سنة، وقيل غير ذلك. وهو رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام كما تقدم، وأحد العشرة المبشرة بالجنة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الستة أصحاب الشورى. بويع بالخلافة غرة محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا ليال. وقال ابن عبد البر: بويع بعد دفن عمر بثلاث ليال، وحج بالناس في خلافته عشر سنين متوالية، وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل غيره. ودفن بالبقيع ليلاً وأخفي قبره ذلك الوقت ثم أظهره وقيل دفن بحش كوكب. قال ابن قتيبة: وهي أرض اشتراها عثمان وزادها في البقيع. والحش: البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار، والأحاديث الواردة في فضله وعلو مقامه كثيرة شهيرة رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال: ليس لابن آدم حق) قال العاقولي: أراد بالحق ما يستحقه الإنسان لاحتياجه إليه في كنه من الحر والبرد وستر بدنه وسد جوعته، وهذا هو المراد الحقيقي من المال. وقيل: أراد ما لم يكن معه حساب إذا كان مكتسباً من وجه حلال طيب، ويؤيد القول الثاني ما قال ابن كثير: أخرج الإمام أحمد بسنده إلى أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال: «خرج النبي ﷺ ليلاً فمر بي فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى أتى حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط: أطعمنا» الحديث وفي آخره فأخذ عمر العذق الذي جاء به الأنصاري فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: نعم إلا من ثلاثة: خرقة كفى بها الرجل عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو جحر يدخل فيه من الحر والبرد وقال ابن كثير: تفرد به أحمد (في سوى هذه الخصال) ظاهره استعمال سوى غير ظرف فيكون متصرفاً بوجوه الإعراب كغير، وهذا ما ذهب إليه ابن مالك وصححه في أكثر

Made searchable using ScribeTools.com

يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيْحٌ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَسَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنَ أَسْلَمَ الْبَلْخِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ شُمَيْلٍ يَقُولُ: الْجِلْفُ: الْخُبْزُ لَيْسَ مَعَهُ إِدَامٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ غَلِيظُ الْخُبْزِ.

كتبه وبالغ في نصرته في شرح التسهيل، لكن قال أبو حيان: لا سلف له في ذلك إلا الزجاجي. واستدل ابن مالك بشواهد من الحديث وغيره شعراً ونثراً، ونازعه أبو حيان بأنه لا حجة له في ذلك، ومذهب سيبويه والبصريين أنها لا تخرج عن الظرفية المكلية إلا في الشعر، وصححه ابن الحاجب في سبك المنظوم، وجرى عليه العاقولي هنا فقال موصوف سوى محذوف أي: شيء سوى هذه الخصال[1]، والمراد هنا ما يحصل للرجل ويسعى في تحصيله **(بيت)** رأيته مضبوطاً بالقلم في أصل مصحح بالرفع على القطع بإضمار مبتدأ أي: هي، ويجوز إن لم تصد عنه الرواية نصبه بإضمار أعني، ويجوز جره على الإتباع، وهذه الأوجه جارية في بدل المفصل من المجمل إذا استوفى العدة، وجملة **(يسكنه)** في محل الصفة احترازاً عن بيت يعده للكراء فإن ذلك من اتخاذ الضيعة المنهي عنه بما تقدم في حديث ابن مسعود **(وثوب يواري)** أي: يستر **(عورته)** يجوز أن يراد من العورة ما يجب ستره في نحو الصلاة، فلا يدخل فيه ستر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجل والأمة، وأن يراد به ما يجب ستره في الرجال عن النساء الأجانب فيشمل ذلك ولعل الثاني أقرب سيما إن كان تركه مخلاً بالمروءة فلا يكون لبسه من حظوظ النفس بل من حقوقها، ويؤيده أنهم أوجبوا على المعتمد في كفن الميت ساتر جميع بدنه لا العورة فقط وأصل العورة الخلل، ومنه أعور المكان ورجل أعور **(وجلف)** بكسر الجيم وسكون اللام، وقال في النهاية: ويروى بفتح اللام جمع جلف[2]: وهي الكسرة من الخبز. «قلت»: وعليه فيكون كحلق بكسر ففتح في جمع حلقة بفتح فسكون **(الخبز والماء: رواه الترمذي وقال: حديث صحيح)** قال في الجامع الصغير: ورواه الحاكم في مستدركه. وفي النهاية حديث عثمان «كل شيء سوى جلف الطعام وظل وثوب وبيت يستر فضل» **(قال الترمذي: وسمعت أبا داود سليمان)** بصيغة التصغير **(ابن أسلم)** بفتح الهمزة فسكون المهملة **(البلخي)** بفتح الموحدة فسكون اللام بعدها معجمة نسبة إلى بلخ: بلد معروف، ويقال له المصاحفي نسبة إلى عمل المصاحف، والترمذي تارة يصفه بتلك، وتارة بهذه كما بينته في باب الكنى من حرف الدال من كتابي في أسماء رجال الشمائل بقول: **(سمعت النضر)** بإعجام الضاد في مقدمة فتح الباري ما كان

---

(١) في الجامع الصغير «فيما سوى إلخ». ع.

(٢) لعلها «جلفة». ع

وَقَالَ الْهَرَوِيُّ الْمُرادُ بِهِ هُنا: وِعَاءُ الْخُبْزِ كَالْجَوَالِقِ وَالْخُرْجِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٤٨٢ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ «بِكَسْرِ الشِّينِ وَالخَاءِ الْمُشَدَّدَةِ الْمُعْجَمَتَيْنِ» رَضِيَ

بهذه الصورة معرفاً بالإعجام ومنكراً بالإهمال (ابن شميل) بضم المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية والنضر هو الإمام الكبير الشأن في العلوم العربية، وقد ذكرت ترجمته في كتابي المذكور آنفاً (**يقول: الجلف**) أي: بكسر فسكون اسم مفرد (**الخبز ليس معه إدام: وقال غيره: هو غليظ الخبز**) أي: وإن كان معه إدام، وهذا الغير هو الليث كما في تكملة الصحاح للصغاني، وعبارته قال: قال الليث: الجلف فحال النخل، والجلف أيضاً من الخبز الغليظ اليابس. اهـ. ويحتمل أن يكون غيره؛ لأن المحكي هنا أعم مما حكي عنه؛ لأنه اعتبر فيه أمرين الغلظ واليبس. والمحكي عن الغير هو الأول فقط (**وقال الهروي**) صاحب كتاب الغريبين (**المراد به هنا وعاء الخبز كالجوالق**) بضم الجيم، قال في الصحاح: الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن تكون معربة أو حكاية صوت نحو الجردقة وهي الرغيف، وذكر ألفاظاً إلى أن قال: والجوالق بضم الجيم: وعاء والجمع الجوالق بالفتح والجواليق بالياء أيضاً اهـ. (والخرج) بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبالجيم قال في المصباح: وعاء معروف عربي صحيح والجمع خرجة نحو عنبة. اهـ. وفيه أيضاً قيل الجلف كل ظرف ووعاء، وهذا القول الذي حكاه المصنف أعرض عن ذكره العاقولي في شرح المصابيح والحافظ السيوطي في حاشية الترمذي والعلقمي في حاشية الجامع الصغير وكأنه لبعده عن مقام الحديث؛ لأن المراد به التحريض على الزهد، وأخذ الوعاء لنحو الخبز إنما يكون عادة عند نحو ادخار واهتمام به وذلك خلاف المقصود والله أعلم. وكأن من حمل الحديث عليه يمنع كون ذلك عادة عند الادخار بل يكون لنحو ما يحفظ لوقت آخر من اليوم مثلاً والله أعلم.

٤٨٢ ــ (وعن عبد الله بن الشخير بالشين والخاء المشددة المعجمتين) كأن وجه إفراد المشددة وتثنية ما بعده مع أن الوصفين سيان الاكتفاء بكون الشين لا ينطق بها إلا كذلك؛ لأن اللام تبدل منها وتدغم فيها، وليس في الخاء ما يدل على وجوب ذلك فيها فنبه على ما يحتاج إلى التنبيه. وأيضاً فتشديد الشين عارض عند دخول أل فيه بخلاف تشديد الخاء، وعبارة تبصير المنتبه في تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر شخير بالكسر وتشديد الخاء المعجمة بعدها ياء ثم راء، عبد الله بن الشخير له صحبة وأولاده. اهـ. والظاهر أن أل فيه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٣٠ (الحديث: ٢٣٤١).

Made searchable using ScribeTools.com

اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1]، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ دُنْيَاكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2].

٤٨٣ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

مقارنة للنقل فتكون لازمة والله أعلم، وعبد الله **(رضي الله عنه)** تقدمت ترجمته في باب فضل البكاء من خشية الله تعالى **(أنه قال)** بفتح الهمزة مبتدأ خبره الظرف قبله أي: وعنه قوله: **(أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ)** جملة في محل الحال من المفعول **(ألهاكم التكاثر)** أي: السورة المسماة بما ذكر لكونه صدرها **(قال)** أي: النبي ﷺ بعد إتمامها كما عند النسائي حتى ختمها **(يقول: ابن آدم)** أتي بصيغة المضارع إيماء إلى أن هذا القول ديدنه ودأبه بحسب طبعه **(مالي مالي)** أي: مالي هو الذي أعتني به وأهتم، فالتكرار لفظاً للتعظيم والاهتمام، قال الحافظ في الفتح؛ لأن المبتدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد به بعض اللوازم **(وهل لك)** المعطوف عليه مخاطب مقدر أي: أتقول ذلك **(يا بن آدم)** وتهتم بأمره **وهل لك (من دنياك)** التي اهتممت بأمرها واحتفلت بشأنها والاستفهام فيه للإنكار أي: مالك منها على الحقيقة **(إلا ما أكلت فأفنيت)** فوصل نفع ذلك إلى أجزاء البدن واستقام به أمرها **(أو لبست)** بكسر الموحدة **(فأبليت)** من الإبلاء إخلاق الجديد **(أو تصدقت)** على محتاج قاصداً وجه الله تعالى **(فأمضيت)** قال في المصباح: أمضيت الأمر أنفذته اهـ. والمراد أمضيت التصدق ونجزته فأبقيت ثوابه مدخراً لك عند المولى. وملخصه: مالك من دنياك إلا ما انتفعت به في دنياك بأن أكلت أو لبست أو أخرك بأن تصدقت، وما عدا ذلك من باقي المال فإنما أنت فيه بمنزلة الخادم الخازن لغيره كما تقدم في حديث «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» ففيه تحريض على الزهد من جمع الدنيا والعروض[3] عنها وتحريض على الاقتصار على ما تدعو إليه ضرورة الحياة وادخار ما عداه عند الله. وما أحسن قول بعضهم: اجعل ما عندك ذخيرة لك عند الله واجعل الله ذخيرة لأولادك، **(رواه مسلم)** في أواخر صحيحه، ورواه الترمذي في الزهد وقال: حسن صحيح، والنسائي في الوصايا وفي التفسير.

٤٨٣ ـ **(وعن عبد الله بن مغفل)** بصيغة اسم المفعول من التغفيل بالغين المعجمة والفاء

---

(١) سورة التكاثر، الآية: ١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: كتاب الزهد والرقائق (الحديث: ٣).

(٣) قوله (العروض) لعله (الإعراض). ع.

يَـا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّـكَ، فَقَالَ: «انْـظُرْ مَـاذَا تَقُـولُ؟» قَـالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّـكَ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) فَقَـالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي .....

قال المصنف: في التهذيب: هو أبو سعيد، وقيل أبو عبد الـرحمن وأبو زيـاد عبد الله بن مغفل بن عبد غنم، وقيل ابن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار المزني البصري **(رضي الله عنه)** ومزينة امرأة عثمان بن عمرو نسبوا إليها وهي مزينة بنت وهب بن وبرة، فولد عثمان يقال لهم مزنيون وكان عبد الله من أهل بيعة الرضوان قال: إني لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله ﷺ، سكـن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بها داراً قرب الجامع قال الحسن: ما نزل البصرة أشرف منه وقد تقدمت ترجمته وذكر بعض مناقبه وعدة ماله من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في باب المحافظة على السنة وقد ذكرت زيادة على ذلك في ترجمته في كتابي في رجال الشمائل **(قال: قال رجل)** قال ابن أقبرس في شرح الشفاء: هذا الرجل من المجاهيل **«قلت»**: ويجوز أن يكون أبا سعيد الخدري ففي الشفاء وقد قال ﷺ لأبي سعيد: «إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله» ثم أورد حديث ابن مغفل المذكور وقال بعد ذكره إلى قوله تجفافاً، ثم ذكر[1] نحو حديث أبي سعيد بمعناه، ثم رأيت الحافظ السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء جزم بأن حديث أبي سعيد بعض حديث ابن مغفل، فهو يقوي ما فهمته من تفسير المبهم بأبي سعيد. والله أعلم. **(للنبي ﷺ)** اللام فيه للتبليغ **(يا رسول الله والله إني لأحبك)** لعل ذكر المؤكدات لزيادة تثبيت مضمون الخبر عنده ﷺ خصوصاً إن قلنا إنه أبو سعيد أو غيره من خلص المؤمنين، وإن كان من المنافقين ثم صدق في إيمانه فلإذهـاب ما توهم من حاله السابق **(فقال: انظر ماذا تقول)** يريد منه الاستكشاف عن حقيقة قوله، ولذا علقه بالشرط الآتي، وفي الاصطفاء انظر ماذا تقول أي: تأمله، وتذكر فيه فلك رمت خطة عظيمة ومشقة وخيمة تورثك خطراً يجعلك هدفاً لبلايا فظيعة ورزايا وجيعة، فأمره بالنظر ليوطن نفسه على ما يرهقه عسراً أو يكلفه أمراً إصراً ا هـ. ولا يخفى ما فيه **(قال: والله إني لأحبك)** وقال الدلجي مؤكداً بالقسم والتكرير **(ثلاث مرات)** وهو ظرف لقال **(فقال: إن كنت تحبني)** أني بأن الدالة على عدم الجزم مع تأكيد المتكلم بالمؤكدات السابقة، أما لعدم علمه ﷺ بحال القائل عند معرفته بثمرة المحبة بعد ذكرها له، فلعله يرجع عن ذلك لعدم ثباته كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾[2] الآية، أو تحريضـاً على

---

(١) قوله (ثم ذكر) لعلها (فذكر). ع

(٢) سورة الحج، الآية: ١١.

Made searchable using ScribeTools.com

فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً، فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ. «التِّجْفَافُ» بِكَسْرِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ وَإِسْكَانِ الجِيمِ وبِالفَاءِ المكَرَّرة وَهِيَ: شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الْفَرَسُ لِيُتَّقَى بِهِ

الصبر على نتائج دعواه كقول الوالد لابنه: إن كنت ولدي فأطعني **(فأعد)** بتشديد الدال أمر من الإعداد أي: فهيء **(للفقر تجفافاً)** قال ابن أقبرس المعنى: أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويستتر عن استنمائها بمثل التجفاف كما يستتر بالترس في الحرب من آثار السلاح التي هي آلة الجراح ا هـ. ففيه استعارة كما يأتي، وعلل ﷺ ما ذكره بقوله على سبيل الاستئناف البياني **(فإن الفقر)** أتى به ظاهراً والمقام للضمير زيادة لتمكينه عند سامعه **(أسرع إلى من يحبني)** زاد في حديث أبي سعيد لمذكور آنفاً قوله: منكم، فيحتمل أن يكون له مفهوم ويحتمل أن لا؛ لأن خطابه لما كان معهم ذكره لا لتخصيصهم بذلك والثاني أقرب **(من السيل إلى منتهاه)** أي: من مكان وصول السيل من الجبل أو أعلى الوادي إلى منتهاه من أسفل الجبل أو آخر الوادي، وإنما كان كذلك؛ لأن الناس على دين ملوكهم. ولما كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا بشهادة حديث ملك الجبال «إن شئت جعل الله لك الأخشبين ذهباً فأبى» وحديث «عرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً فقال لا يا رب، ولكني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» كان المحب التابع له أسرع إلى اتصافه بما هو متصف به من السيل كما قال: لقوة الرغبة وصدق المحبة؛ ولأن المحب يجب أن يتصف بصفات المحبوب، فالمرء مع من أحب، ومولى القوم منهم في الخير والشر، فمن أحب أن يكون معهم في نعيم الآخرة فليصبر كما صبروا في الدنيا عن شهواتها، لكن هذا مقام عال شريف لا يقدر عليه إلا الأفراد، فلذا قال له: انظر ماذا تقول؟ أي: إنك قد ادعيت أمراً عظيماً يستدعي الصبر على أمر عظيم قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[1] **(رواه الترمذي وقال حديث حسن)** وفيه بعد قوله حسن غريب. وأسقطه المصنف؛ لأن الغرابة النسبية لا تضر في الحكم بالحسن. **(التجفاف بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة، وهي)** أنث الضمير باعتبار المعنى فإنها في معنى السترة **(شيء يلبسه)** بالبناء للمجهول من ألبس ومفعوله الثاني الضمير، قدم لكونه ضميراً متصلاً على مفعوله الأول **الذي أقيم مقام الفاعل وهو (الفرس)** ويجوز أن يقرأ بفتح التحتية وبالموحدة مبنياً للفاعل من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

الأَذَى، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإِنْسَانُ[١].

٤٨٤ ــ وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» رَوَاهُ

لبس بكسر الموحدة (**ليتقى به الأذى**) أي: أن يصيبه من السلاح شيء من الجراح، وقد يلبسه الإنسان، ظاهره أن التجفاف معد لثوب يلبسه الفرس (**وقد يلبسه الإنسان**) وعلى ذلك جرى العاقولي فقال: وقد يلبسه الإنسان أيضاً ولعله تبع فيه المصنف. والذي في المصباح: التجفاف تفعال بالكسر شيء يلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف، قيل سمي به لما فيه من الصلابة واليبوسة. وقال ابن الجواليقي التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن، وهو الذي يسمى في عصرنا بركصطوان ا هـ. وفي شرح الشفاء لابن أقبرس قال أبو علي: التاء زائدة، وأشار العاقولي إلى أن في الحديث استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية بقوله: شبه الفقر بالسهم الصائب والسيف القاطع والرمح النافذ، وشبه صبره عليه بالتجفاف الذي يلبسه الإنسان أو يلبسه فرسه ليقيه ذلك أي: فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكنية وإثبات التجفاف استعارة تخييلية.

٤٨٤ ــ (**وعن كعب بن مالك**) الأنصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا فنزلت توبتهم في آية آخر سورة التوبة وتقدمت ترجمته (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما**) نافية حجازية كما اقتصر عليه الطيبي ويجوز كونها تميمية؛ لأن الباء تزاد في خبر كل منهما خلافاً لأبي علي والزمخشري زعما اختصاص الباء بلغة الحجاز. قال ابن هشام في المغني: أوجب الفارسي والزمخشري في نحو ما الله بغافل كون ما حجازية ظناً أن المقتضي لزيادة الباء نصب الخبر، وإنما المقتضي نفيه لامتناعها في نحو: كان زيد قائماً وجوازها في: لم أكن بأعجلهم. وفي: ما أن زيداً بقائم ا هـ. (**ذئبان جائعان أرسلا**) بالبناء للمجهول (**في غنم**) متعلق به، وهذان وصفان لذئبان مفرد وجملة فهو كقوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾[٢] (**بأفسد لها**) أي: بأكثر فساداً للغنم وأنث ضميرها لاعتبار الجنسية فيها (**من**) فساد (**حرص المرء على المال**) متعلق بحرص ومن فساد هو المفضل عليه (**والشرف**) أي: الجاه معطوف على المال واللام في قوله: (**لدينه**) لام البيان كهي في قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾[٣] كأنه قيل لمن؟ قال لمن أراد. وكذا هنا، كأنه قيل بأفسد لأي شيء؟ فقيل

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في فضل الفقر(الحديث: ٢٣٥٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

Made searchable using ScribeTools.com

التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٨٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، فَقُلْنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: «مَالِي وَلِلدُّنْيا! مَا أَنا في الدُّنْيا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،

لدينه ولا يصح جعلها متعلقة بأفسد؛ لأنه لا يجوز تعلق حرفي جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد إلا على سبيل البدل **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)** قال في الجامع الصغير: ورواه أحمد من حديث كعب أيضاً.

٤٨٥ ــ (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير) قال في المصباح: هو البارية وجمعه حصر مثل بريد وبرد وتأنيثه بالتاء عامي ا هـ. وفي الشفاء من حديث عن حفصة وكان ينام أحياناً على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه، قال السيوطي في تخريجه: رواه الشيخان من حديث طويل عن عمر والترمذي وابن ماجه **(فقام)** أي: استيقظ واستوى جالساً **(وقد أثر)** أي: الحصير **(في جنبه)** فإن بدنه الشريف كان ألين من الحرير. وفي الحديث عن أنس «ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ» وإذا كان هذا شأن كفه وهو يزاول الأعمال، فكيف بباقي بدنه الشريف ﷺ؟ والجملة في محل الحال من فاعل قام **(فقلنا)** أي: الحاضرون الذين منهم ابن مسعود، ويبعد أن يريد نفسه فقط، ولا يشهد له ما سيأتي عن ابن ماجه من قول ابن مسعود فقلت كما هو ظاهر **(لو اتخذنا لك وطاء)** بكسر الواو وبالمد بوزن كتاب قال في المصباح: هو الوطء. وقد وطؤ الفرش بالضم فهو وطيء كقرب فهو قريب. وجواب لو محذوف أي: لا استراح بذلك أو نحو ذلك، وعند ابن ماجه «فقلت: يا رسول الله لو كنت أذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك» **(فقال: مالي وللدنيا)** قال الأنطاكي في حواشي الشفاء: قيل: يجوز أن تكون ما نافية أي: ليس لي ألفة ومحبة لي وللدنيا حتى أرغب فيها، ويجوز أن يكون التقدير أي: شيء حالي مع الميل للدنيا ا هـ. أي: فتكون ما إستفهامية والمعنى أي: شيء لي ولها أي: جامع فأشتغل بها. وقال الدلجي: هو استفهام بمعنى النفي أي: لا أرب فيها **(ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)** وذلك؛ لأن الدنيا ليست دار قرار ولا منزل استقرار إنما هي دار عبور يقطعها السائر إلى ميادين الآخرة، فالإنسان فيها بمثابة

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٤٣ (الحديث: ٢٣٧٦).

وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٨٦ ــ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمَائَةِ عَامٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ .....

المسافر النازل في أثناء سفره تحت شجرة يطلب ظلالها من حر الشمس، ثم إذا ذهبت الشمس إذا جلس تحت الشجرة منها راح عن الشجرة أي: سار بعد الزوال وتركها، ففيه أتم إرشاد إلى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا والاشتغال بتحصيلها وحث وحض على الاعتناء بعمارة منزل العبد من الدار الآخرة وتحصينه، وبالله التوفيق **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)** قال في الجامع الصغير: بعد إيراد الحديث المرفوع: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والضياء كلهم عن ابن مسعود.

٤٨٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام)** لحبس الأغنياء تلك المدة في الموقف حتى يحاسبوا عما خولوه من الغنى من أين اكتسبوه وفيم أذهبوه كما سيأتي في حديث أسامة. قال العاقولي: وجه الجمع بين هذا الحديث وقوله في حديث عائشة: «أنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً» إن الأربعين أريد بها تقدم الفقير الحريص، على الغني الحريص وأريد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب، فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد، وهذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة؛ لأن الخمسمائة عشرون مضاعفة خمساً وعشرين مرة والأربعون عشرون مضاعفة مرة، فالأربعون خمساً خمس الخمسمائة التي هي نصف يوم فيكون الأربعون خمس خمس اليوم الذي هو ألف سنة. وحاصله أن الفقير الحريص يسبق الغني الراغب بخمس خمس يوم، والفقير الزاهد يسبقه بنصف يوم ا هـ. وفي حاشية الترمذي للسيوطي: وروى محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الخلال في كتابه فضل الفقير على الغني حديث أنس بن مالك قال: «بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ» الحديث، وفيه يدخل الفقير الجنة قبل الغني بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال الحارث: قال سفيان يفسره: «إن للجنة ثمانية أبواب ما بين الباب إلى الباب خمسمائة عام لكل باب أهل فينسى الغني فيجيء إلى باب غيره فيقول البواب: ارجع إلى بابك، فيرجع إلى بابه وهو مسيرة خمسمائة عام» ا هـ. **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٤٤ (الحديث: ٢٣٧٧).

Made searchable using ScribeTools.com

حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٤٨٧ ـ وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ وَعِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا

صحيح) هذا. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أثراً عن ابن عباس. قال إنما هي ضحوة فتقبل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين وتقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين، وقال سعيد بن جبير: «يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾(٢)» ثم نقل نحوه عن عكرمة، وإن ذلك للفريقين في الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة ثم روى عن ابن مسعود «لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ: ﴿أصحاب الجنة﴾(٣) إلخ وقوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾(٤) وروى آثاراً أخر. «قلت»: وهذا كله لا يخالف حديث الباب، فإن الله تعالى يطول ذلك الزمان حتى يكون على الكافر قدر خمسين ألف عام، ويرى الغني أنه تأخر في الموقف عن الفقير بعد دخوله خمسمائة عام، والله على كل شيء قدير.

٤٨٧ ـ (وعن ابن عباس وعمران) بكسر العين المهملة (ابن حصين) بضم المهملة وفتح الثانية وسكون التحتية آخره نون وسبقت ترجمتهما. وقوله: (رضي الله عنهم)؛ لأنهما صحابيان ابنا صحابيين (عن النبي ﷺ قال: اطلعت) بتشديد الطاء المهملة أي: أشرفت. وقال العاقولي: ضمن معنى تأملت (في الجنة) يحتمل أن يكون ذلك فيه وفيما بعده ليلة الإسراء، ويحتمل أن يكون لما كشف له في صلاته في الكسوف، والله أعلم (فرأيت) أي: علمت فلذا عدي لمفعولين (أكثر أهلها الفقراء) قال ابن بطال: لا يوجب فضل الفقير على الغني وإنما معناه الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك؛ وليس الفقر أدخلهم الجنة إنما دخلوا بصلاحهم معه، فالفقير إذا لم يكن صالحاً لا يفضل، حكاه عنه الحافظ في الفتح. قال العلقمي: ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع في الدنيا «قلت»: وهو الذي فهمه المصنف، ولذا أورد الخبر في باب فضل الزهد في الدنيا (واطلعت في النار

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (الحديث: ٢٣٥٣).
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٦٨.

النِّسَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضاً مِنْ رِوَايَةِ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ(١).

فرأيت أكثر أهلها النساء) فيه التحريض لهن على المحافظة على أمر الدين ليسلمن من النار، قال الحافظ: وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجتاه ولأبي يعلى عن أبي هريرة فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله زوجتين من ولد آدم واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه عنه مسلم في صحيحه وهو واضح، لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف «أكثر أهل النار». «ويجاب» بأنه لا يلزم من أكثرهن في النار، نفي كون أكثرهن في الجنة لكن يشكل عليه حديث. «اطلعت» الخ، ويحتمل أن الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه كونهن أقل ساكني الجنة وليس ذلك بلازم لما قدمته، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة والله أعلم. قال شيخ الإسلام زكريا: ويجاب أيضاً بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافي ا هـ. **(متفق عليه من رواية ابن عباس)** قال الحافظ المزي في الأطراف: رواه البخاري في النكاح تعليقاً. «قلت»: قال الحافظ في نكته عليه: هذا التعليق في كتاب الرقاق لا في كتاب النكاح وقال في النكاح: تابعه أيوب ومسلم بن زيد كذا هو في الأصول قال: ورواه مسلم في الدعوات من صحيحه، ورواه الترمذي في صفة جهنم وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي في عشرة النساء من سننه ا هـ. ملخصاً. وفي الجامع الصغير حذف رمز البخاري من رواته وكأنه سهو وزاد فيه ورواه أحمد **(ورواه البخاري)** في صفة الجنة، وفي النكاح وفي الرقاق **(أيضاً)** أي: دون مسلم **(من رواية عمران بن حصين)** والراوي للحديث عنهما هو أبو رجاء عمران بن تيم، وقد رواه من حديث عمران أيضاً الترمذي في صفة جهنم والنسائي في عشرة النساء والرقاق، قال المزي بعد أن ذكر اختلاف الرواة عن عوف، فقال بعضهم عن أبي رجاء، عن عمران. وقال أيوب عن أبي رجاء عن ابن عباس وكلا الإسنادين ليس فيه مقال، ويحتمل أن يكون أبو رجاء سمعه منهما، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وفي النكاح والرقاق (١١/٢٣٨، ٩/٢٦١، ٢٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة... (الحديث: ٩٤).

Made searchable using ScribeTools.com

٤٨٨ ـ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَها الْمَساكِينَ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «وَالْجَدُّ»: الْحَظُّ وَالْغِنَى. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا الحَدِيْثِ .....

---

٤٨٨ ـ **(وعن أسامة)** بضم الهمزة **(ابن زيد)** بن حارثة الحب بن الحب، تقدمت ترجمته في باب الصبر في أوائل الكتاب **(رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قمت على باب الجنة)** أي: لأنظر أهلها، أو لأمر آخر اقتضى القيام ثمة **(فكان عامة)** قال في المصباح: هم خلاف الخاصة والجمع عوام كدابة ودواب والهاء في عامة للتأكيد ا هـ. وفي كتاب تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم للحافظ العلائي: وأما عامة مثل فعله عامة الناس فلا ريب أنه من صيغ العموم، كيف وهو من مادته وبنيته؟ والعموم معناه الشمول والإحاطة وهو خلاف الخصوص وهذا ظاهر لا حاجة إلى الاستشهاد إليه. ا هـ. وعليه فالمعنى فإذا عموم **(من دخلها المساكين)** جمع مسكين، والمراد به ما يشمل الفقير أي: المحتاج. ويجوز من حيث صناعة الإعراب رفع المساكين على أنه اسم كان مؤخر ونصب عامة على أنه خبرها مقدماً ويجوز العكس **(وأصحاب الجد محبوسون)** أي: في الموقف عن دخول الجنة ليحاسبوا عما كانوا فيه من الغنى تحصيلاً وتضييعاً، والفقراء سالمون من ذلك **(غير)** بالنصب على الاستثناء **(أن أصحاب النار)** أي: منهم قد أمر بهم إلى النار والغني لكن أصحاب النار منهم غير محبوسين. وفي المفاتيح: أصحاب النار هم الكفار **(قد أمر بهم إلى النار)** أي: لا يوقفون في العرصات بل يؤمرون بدخول النار فالاستثناء منقطع، وكذا قال العاقولي: غير بمعنى لكن والمغايرة بحسب التفريق، فإن القسم الأول أي: والمراد به المؤمنون من غني وفقير، بعضهم محبوس وهو ذو الجد وبعضهم غير محبوس وهو الفقير، والقسم الثاني غير محبوسين، ويدل على أن القسم الأول بعضه محبوس قوله في الحديث عن صعاليك المهاجرين: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، فلولا ذلك الحبس للأغنياء لدخلوا جميعاً **(متفق عليه)** قال المزي في الأطراف: رواه البخاري في النكاح. **«قلت»**: زاد الحافظ في نكته عليه وفي الرقاق قال المزي: ورواه مسلم آخر كتاب الدعوات، ورواه النسائي في عشرة النساء من سننه، وفي المواعظ والرقائق منها وهما ليس من سنن النسائي في الرواية ا هـ. ملخصاً، وقال السيوطي في الجامع الصغير: ورواه أحمد في مسنده **(الجد)** بفتح الجيم وتشديد اللام المهملة **(الحظ والغنى وقد سبق بيان هذا الحديث)** بزيادة

في بَاب فَضْلِ الضَّعَفَةِ(١).

٤٨٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيْدٍ: .....

في آخره «وقمت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»(في باب فضل الضعفة) وتقدم شرح الحديث ثمة أيضاً بما بينه وبين ما هنا عموم وخصوص.

٤٨٩ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أصدق كلمة) أي: أكثر جملة مفيدة مطابقة للواقع، وجملة (قالها الشاعر) في محل الصفة لكلمة احترز بها عن قول الله سبحانه وأقوال أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: فتلك أصدق، والمراد بالتفضيل ما عدا ذلك وإطلاق الكلمة على الجمل المفيدة هو في اللغة، وتخصيصها بالقول المفرد عرف طارىء وليس للشارع اصطلاح خاص في إطلاق الكلمة فتحمل على معناها اللغوي لكن مقتضى كلام النحاة أن إطلاق الكلمة على الجمل المفيدة مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل، وجوز بعضهم كونه استعارة مصرحة بأن شبهت الجملة في توقف الإفادة على جميع أجزائها بتوقف فهم معنى الكلمة على جميع حروفها فأطلق اسم المشبه على المشبه به حينئذ فتكون القرينة في الحديث على إرادة المجاز منها ما فسر به الخبر من شطر البيت (كلمة) بفتح الكاف وكسر اللام لغة أهل الحجاز وهي أفصح من فتح الكاف وكسرها مع سكون اللام فيهما وهما لغة تميم، ويكفي في تغاير المبتدأ والخبر التغاير بحسب الإضافة (لبيد) بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية ثم دال مهملة وهو ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العامري، هكذا ذكر نسبه أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وكان من فحول شعراء الجاهلية وكان من المعمرين عاش مائة وأربعاً وقيل: وسبعاً وخمسين سنة. وقال السمعاني: مات أول خلافة معاوية وله مائة واثنتان وأربعون سنة، ولم يقل شعراً بعد إسلامه، وكان يقول: أبدلني الله به القرآن وقيل: قال بيتاً واحداً:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

وقال جمهور أصحاب السير والأخبار: لم يقل شعراً منذ أسلم. وقال عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه والرقاق(٩/٢٦١). وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: أكثر أهل الجنة (الحديث: ٩٣).

Made searchable using ScribeTools.com

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٦ ــ باب: في فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

يوماً للبيد: أنشدني شيئاً من شعرك فقال: ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام. وفي ترجمته زيادة في التهذيب **(ألا)** أداة استفتاح **(كل شيء ما خلا الله)** أي: وصفاته وإنما لم يذكرها؛ لأنها معلومة من ذكر الذات كما هو مقرر عند الأشاعرة أنها ليست غيراً أي: يجوز انفكاكها كما أنها ليست عيناً أي: باعتبار المعلوم فلكونها غير قابلة الانفكاك كان المتبادر من ذكر الذات ذكرها، وبهذا يبطل تعلق المبتدعة بالبيت **(باطل)** يحتمل أن يكون المراد منه هلاكه بالفعل فينعدم كل مخلوق ساعة لتصدق الكلية ثم يوجد، ويحتمل أن المراد قبوله للبطلان والهلاك، إذ المتعقل إما واجب العدم كالمحال الذاتي، أو البقاء كذات الله وصفاته أو محتمل لهما كالعالم، والبيت المذكور في معنى قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾(٢) ولو عد هذا البيت من موافقات لبيد للقرآن لم يبعد بما ذكر من استشهاد النبي ﷺ بشعر لبيد وشهادته له بأنه شاعر كما جاء في رواية أخرى وأن ذلك أصدق ما قاله شاعر، ضرب الإمام الشافعي المثل به حيث يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

(متفق عليه) رواه البخاري في الأدب والرقاق وغيرهما من صحيحه، ومسلم في الشعر، ورواه الترمذي في الاستئذان من جامعه وفي الشمائل، ورواه ابن ماجه أيضاً في الأدب كذا في الأطراف.

باب فضل الجوع وخشونة

بضم أوليه المعجمين مصدر خشن خشنة وخشونة خلاف نعم كذا في المصباح **(العيش)** والمراد ترك الترفه فيه والاقتصار على الجلف؛ لأنه حق النفس وما فوقه حظها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: أيام الجاهلية وفي الأدب والرقاق وغيرهما (٧/١١٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الشعر (الحديث: ٣).

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾.

(والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها) كالمفروش والمسكون والمنكوح **(من حظوظ النفس)** يصح كونه بياناً للغير، إذ قليل المأكول والمشروب مما تقوم به البنية، والملبوس مما يستر البدن حق النفس لاحظها، ويصح كونه بياناً للجميع بأن يراد من **القليل** ما زاد على ما يحتاج إليه في ذلك من الترفهات والتنعمات **(وترك الشهوات)** أي: مشتهى النفس وإن كان من قليل ما ذكر، فعطفه عليه من عطف العام على الخاص، ويصح أن يراد مشتهاها مما عدا ذلك فيكون من عطف المغاير. **(قال الله تعالى: فخلف من بعدهم)** أي: الذين أثنى عليهم في الآيات السابقة من الأنبياء والذين منّ الله عليهم بتوفيقه **(خلف)** أي: عقب سوء، يقال خلف صدق بالفتح[٢] وخلف سوء بالسكون **(أضاعوا الصلاة)** تركوها أو أخروها عن وقتها **(واتبعوا الشهوات)** كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب. وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **(فسوف يلقون غياً)** شراً، أو جزاء غي كقوله: يلق أناماً أو غياً من طريق الجنة، وقيل: هو واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها، والإتيان بحرف التنفيس لتأكيد الوعيد **(إلا من تاب وآمن)** يدل على أن الآية في الكفرة، لكن ذكر العماد ابن كثير في تفسيره عن مجاهد قال: عند ذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. ومن طريق آخر عنه قال: هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام في الطرق، لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون الناس في الأرض ثم أخرج من طريق ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً» الحديث، ثم ذكر أحاديث وآثاراً في ذلك **(وعمل)** عملاً **(صالحاً)** ليتركوا به إيمانه ويزداد إيقانه فالإيمان يزيد بزيادة الطاعة **(فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً)** من الظلم، أو لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم، قال العماد ابن كثير: والاستثناء في هذه الآية كقوله في سورة الفرقان:

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٩، ٦٠.

(٢) أي فتح اللام(.) ع

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات﴾[٣] **(وقال تعالى: فخرج)** أي: قارون **(على قومه في زينته)** كما قيل إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وهو بضم الهمزة والجيم وسكون الراء بينهما: شجر على قصبان حمر يوصف به الثور الأحمر وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه، وقوله في زينته في موضع الحال من فاعل خرج، أي: متزيناً بها **(قال: الذين يريدون الحياة الدنيا)** على ما هو عادة الناس من الرغبة **(يا ليت)** المنادى محذوف أي: يا قوم ليت **(لنا مثل ما أوتي قارون)** تمنوا مثله لا عينه حذراً من الحسد **(أنه لذو حظ)** في المصباح: الحظ الجد وفلان محظوظ وهو أحظ من فلان، والحظ: النصيب ا هـ. ويصح إرادة كليهما والأول أبلغ في مرادهم، لكن قول البيضاوي: **حظ (عظيم)** من الدنيا، وقول ابن كثير **حظ** وافر من الدنيا يومىء إلى حمل الحظ على النصيب؛ لأن الأول يستعمل بفي **(وقال: الذين أوتوا العلم)** النافع، وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله فيها لصالحي عباده المتقين للمتمنين ذلك **(ويلكم)** دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضي **(ثواب الله)** في الآخرة **(خير لمن آمن وعمل صالحاً)** مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها، وترك المصنف ذكر باقي الآية وهو قوله: «ولا يلقاها» أي: الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب وأنث؛ لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل الصالح، وأنث أيضاً؛ لأن ذلك في معنى السيرة والطريقة «إلا الصابرون» على الطاعات وعن المعاصي، لأنه اختلف فيه هل هو من جملة كلام العلماء أي: فيفسر بما عدا الأول من مراجع الضمير وعليه السدى. قال ابن كثير: فجعله من تمام كلامهم، أو من كلام الله ثناء عليهم بالإصابة ويفسر بالأول وعليه ابن جرير. قال ابن كثير: قال ابن جرير: وما يلقي هذه الكلمة إلخ، وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك وجعله من كلام الله تعالى وإخباره ا هـ. ولعل المصنف يقوى عنده الجانب الثاني. **(وقال تعالى: ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)** أي: الذي ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٧٩، ٨٠.
(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.

وَالآياتُ في البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلومَةٌ.

والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله﴾[٢] ﴿كلوا من الطيبات﴾[٣] وقيل يعمان، إذ كل يسأل عن شكره، وقيل الآية مخصوصة بالكفار، وفي التفسير الصغير للكواشي: النعيم هو الصحة والأمن، أو هي والفراغ. قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». «قلت»: قال ابن كثير: معناه أنهم مقصرون في شكرهما لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون ا هـ، أو هو الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء. قال ﷺ: أول ما يسأل العبد من النعيم ألم نصح جسمك؟ ونروك من الماء البارد؟ أو هو خبز البر والماء العذب، أو كل لذة من اللذات ا هـ. وفي تفسير ابن كثير بعد ذكر الأقوال في ذلك أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾[٤] قال: الأمن والصحة وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾[٥] يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ثم ذكر ابن كثير أقوالاً أخر ختمها بحديث قال: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «يقول الله عز وجل: يا بن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك ترتع وترأس فأين شكر ذلك؟» وقال ابن كثير: تفرد به أحمد ا هـ. **(وقال تعالى: من كان يريد العاجلة)** مقصوراً عليها همه **(عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)** قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة؛ لأنه لا يجد كل متمن متمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه، وليعلم أن الأمر بالمشيئة ولمن يريد بدل من له بدل البعض، وقرىء يشاء أي: بالتحتية والضمير فيه لله ليطابق المشهورة، وقيل لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد به ذلك، وقيل: الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولا غرض لهم غير مساهمتهم في الغنائم ونحوها **(ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً)** مطروداً من رحمة الله تعالى **(والآيات)** القرآنية **(في الباب)** أي: فيما تضمنه من المطالب **(كثيرة معلومة)**.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.
(٤) و(٥) سورة التكاثر، الآية: ٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٤٩٠ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ[1].

---

٤٩٠ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنه قالت: ما شبع آل محمد ﷺ)** المراد منهم هنا أهل بيته من أزواجه وخدمه الذين كان يمونهم **(من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)** أي: توفي ﷺ، وهذا لإعراضه عن الدنيا وزهده فيها، ولم يضطره مولاه سبحانه لذلك، بل عرض عليه جبال مكة وبطحاء تسير منه ذهباً أينما سار كما تقدم في الباب قبله، فاختار ذلك إعلاماً بحقارة الدنيا وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ تحريضاً لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة منها ولا منافاة كما قال المصنف في شرح مسلم: بين حديث الباب وحديث أنه ﷺ كان يدخر قوت عياله سنة؛ لأنه كان يفعل ذلك أواخر حياته، لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها، فصدق أنه ادخر قوت سنة وأنهم لم يشبعوا كما ذكر؛ لأنه لم يبق عندهم ما ادخره لهم **(متفق عليه. وفي رواية)** هي للبخاري في كتاب الأطعمة والرقاق من صحيحه، ولمسلم في أواخر الكتاب، ورواها النسائي وابن ماجه من طريق منصور بن المعتمر عن الأسود عن عائشة، وأما اللفظ الذي قال المصنف إنه متفق عليه: فقضية كلام المزي أنه انفرد به مسلم عن البخاري وعبارته بعد ذكره من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن خالد عن الأسود عن عائشة رواه مسلم في آخر الكتاب والترمذي في الزهد وقال: حسن صحيح، وفي الشمائل والنسائي في الأطعمة ثم أشار المزي إلى وهم جمع من المحدثين توهموا أنهما من طريق واحد وليس كذلك، وكأن مراد المصنف بقوله فيما تقدم متفق عليه أي: من حيث المعنى لا بخصوص المبنى **(ما شبع آل محمد ﷺ منذ)** بضم الذال أي: من حين **(قدم المدينة)** خرج ما كانوا قبل الهجرة **(من طعام بر)** بضم الموحدة وتشديد الراء، قال في المصباح: هو القمح، الواحدة برة خرج ما عداه من باقي المأكولات **(ثلاث ليال)** أي: بأيامها **(تباعاً)** بكسر المثناة الفوقية أي: متتابعة يخرج المتفرقة **(حتى قبض)** أشار إلى استمراره على ذلك مدة إقامته بالمدينة، وهي عشر سنين، وزاد ابن سعد في رواية له «وما رفع عن مائدته كسرة خبز فضلاً حتى قبض» ووقع في رواية بلفظ ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون والرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (٩/٤٧٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ٢٠ و٢٢).

٤٩١ ــ وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلالِ ثُمَّ الْهِلالِ: ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَارٌ قَطُّ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَت: الأَسْوَدانِ: التَّمْرُ

شبع من خبز بأدم أخرجه مسلم، وعند ابن سعد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كانت[1] عليه أربعة أشهر ما شبع من خبز البر، وفي حديث أبي هريرة نحو حديث الباب «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا» أخرجه البخاري في الأطعمة وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه.

٤٩١ ــ **(وعن عروة)** بضم المهملة الأولى وسكون الثانية ابن الزبير **(عن)** خالته **(عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا بن أختي إن)** بكسر الهمزة وسكون النون مخففة من الثقيلة أي: إنا **(كنا)** واللام في **(لننظر)** هي الفارقة بينها وبين أن النافية **(إلى الهلال)** قال في المصباح: الأكثر أنه القمر في حالة مخصوصة، ويسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمى قمراً. وقال الفاراني وتبعه الجوهري: الهلال لثلاث ليال من أول الشهر ثم هو قمر بعد ذلك، وقيل: الهلال هو الشهر بعينه والجمع أهلة كسنان وأسنة ا هـ. وفي كتاب إشارات المحتاج إلى لغات المنهاج لابن النحوي: الهلال معروف سمي به؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه، قال السهروردي في شرح ألفاظ المصابيح: وحكى صاحب المهذب خلافاً فيما يخرج به عن تسميته هلالاً، ويسمى قمراً فقيل: إذا استدار، وقيل: إذا بهر ضوءه ا هـ. وصاهر أن المراد هنا بالهلال هو في أول ليلة الشهر **(ثم)** أتى بها لبعد ما بين كل من الهلالين، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿أياماً معدودات﴾[2] لأن ذلك لئلا ينفروا عن الانقياد للصوم لو سمعوه بلفظ الشهر أو الثلاثين **(الهلال ثم الهلال)** بالجر فيهما عطفاً على ما قبلهما، ويجوز نصبه بإضمار ثم نري، ويكون ثم لعطف الجمل، وقولها **(ثلاثة أهلة في شهرين)** يجوز أن يقرأ بالرفع مبتدأ خبره متعلق الظرف أو خبراً لمحذوف أي: هي ثلاثة أهلة والظرف في محل الحال. قال في الفتح: المراد بالهلال الثالث هلال الشهر، وهو يرى عند انقضاء الشهر وبرؤيته يدخل أول الشهر الثالث. **(قلت يا خالة)** يجوز فيه الضم على أنه منادى مفرد والكسر والفتح على أنه مضاف لياء المتكلم حذفت منه، واكتفى بدلالة الكسرة عليها على الأول أو بعد إبدالها ألفاً واكتفى بدلالة الفتحة عليها على الأخير **(فما كان يعيشكم)** بضم التحتية وفي بعض نسخ البخاري ما يغنيكم بسكون المعجمة بعدها نون فتحتية ساكنة **(قالت: الأسودان التمر**

---

(١) كذا بالأصول. ع

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

Made searchable using ScribeTools.com

والْمَاءُ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنايِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبانِها فَيَسْقِينا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

والماء) قال الصغاني: أطلق الأسودان على التمر والماء. والسواد للتمر دون الماء، فنعتا بنعت واحد تغليباً، وإذا اقترن الشيئان سميا باسم أشهرهما. وعن أبي زيد الماء يسمى الأسود أيضاً، واستشهد له بشعر نظر فيه الحافظ في الفتح. قال: ووصف التمر بالأسود؛ لأنه غالب تمر المدينة. وزعم صاحب المحكم وتبعه بعض المتأخرين من شراح البخاري أن تفسير الأسودين بالتمر والماء مدرج، وإنما أرادت الحرة والليل واستدل له بما رده عليه الحافظ في أوائل كتاب الهبة من فتح الباري، وقد يقع للخفة والشرف كالعمرين لأبي بكر وعمر، والقمرين للشمس والقمر **(إلا أنه كان للنبي ﷺ جيران من الأنصار)** زاد أبو هريرة في حديثه جزاهم الله خيراً والاستثناء منقطع، والجملة المستثناة في محل نصب على الاستثناء كما نبه عليه في مغني اللبيب، وزادها على حصر الجمل المعربة المحل في سبع. والجيران: جمع جار وهو المجاور في السكن، وللجار معان أخر. حكى ثعلب عن ابن الأعرابي: الجار الذي يجاورك بيتاً ببيت، والجار الشريك في العقار مقاسماً كان أو غير مقاسم، والجار الخفير الذي يجير غيره أي: يؤمنه مما يخاف، والجار المستجير أيضاً وهو الذي يطلب الأمان والجار الحليف، والجار الناصر، والجار الزوج، والجار أيضاً الزوجة ويقال فيها أيضاً جارة والجارة الضرة، قيل لها جارة استكراهاً للفظ الضرة اهـ. من المصباح. والأنصار: اسم إسلامي علم بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج كما تقدم **(وكانت لهم منايح)** جمع منيحة بنون وحاء مهملة اسم من المنحة بكسر الميم: وهي الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع لبنها كذا في المصباح، والجملة معطوفة على خبر إن، ويصح أن تكون في محل الحال بإضمار قد **(فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها)** يحتمل كون من للتبعيض ويحتمل كونها للتبيين لمقدر أي: شيئاً هو ألبانها، والثاني أنسب لكونها منيحة كما علم من معناها لغة **(فيسقينا)** يجوز ضم التحتية وفتحها مزيد ومجرد من السقي. قال ابن اقبرس في شرح الشفاء: «إن قلت»: كتم هذا الخبر مما يدل عليه صحيح الأثر لما فيه من إبهام الشكوى وإفشاء ما يستحب ستره من العبادات[2] «قلت»: هو من مثلها على طريق الإرشاد إذ لا يليق كتم أفعال المشرع؛ لأنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب: في فاتحة كتاب الهبة وفي الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (١١/٢٥١).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ٢٨).

(٢) قوله (العبادات) لعله (العادات) ع

٤٩٢ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. «مَصْلِيَّةٌ»: بِفَتْحِ الميمِ أَيْ مَشْوِيَّةٌ(١).

٤٩٣ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمْ يَأْكُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خِوانٍ حَتَّى

علم الهدى وإمام الاقتداء ا هـ. **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الهبة ومسلم في آخر الكتاب.

٤٩٢ ــ (وعن سعيد) بن أبي سعيد كيسان **(المقبري)** قال السيوطي في لب اللباب في الأنساب بفتح الميم وسكون القاف وضم الموحدة، وكأنه اقتصر عليه لكونه أفصح، وإلا فقد ذكر غير واحد منهم المصنف في شرح مسلم والشيخ محمد طاهر في المغني جواز الفتح للموحدة والكسر نسبة إلى مواضع القبور. قال الحافظ ابن حجر في التقريب: يكنى أبا سعيد مدني ثقة من كبار التابعين. تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة، مرسلة روى عنه الستة **(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أي: عن قصته **(أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل)** ورأى أنه من الترفهات وشأن المحب أن يتبع آثار محبوبه ويأتم بها فلذا امتنع **(وقال:)** موضحاً لسبب إبائه **(خرج رسول الله ﷺ من الدنيا)** أي: توفي **(ولم يشبع من خبز الشعير)** لا ينافي ما سيأتي في حديث أبي الهيثم، فلما أن شبعوا؛ لأن الشبع ثم لم يكن من خبز الشعير بل كان من التمر واللحم، أو؛ لأن المنفي الشبع العام الذي لا يبقى معه مساغ لتناول غيره كما هو شأن الشره المهتم ببطنه، والمثبت أصل الشبع أو المنفي الشبع لحظ نفسه، والمثبت أنه يشبع لحظ غيره كأن ينزل به ضيف فيشبع لأكله مؤانسة له أو ينزل ضيفاً بغيره فيشبع ليقر عين رب المنزل بذلك ويكرمه به لا لحاجته ﷺ إلى الطعام **(رواه البخاري)** في الأطعمة من صحيحه **(مصلية بفتح الميم)** اسم مفعول من صليت اللحم أصليه أي: شويته **(أي: مشوية)**.

٤٩٣ ــ (وعن أنس) بن مالك **(رضي الله عنه قال: لم يأكل رسول الله ﷺ على خوان)** بكسر الخاء المعجمة ويجوز ضمها وهي المائدة ما لم يكن عليها طعام، وهو معرب يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازاً من خفض رؤوسهم فهي بدعة لكنها جائزة

---

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٩/٤٧٨).

Made searchable using ScribeTools.com

مَـاتَ، وَمَا أَكَـلَ خُبْزاً مُـرَقَّقاً حَتَّى مَـاتَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَـةٍ لَهُ: وَلَا رَأَى شَـاةً سَمِيطاً بِعَيْنِهِ قَطُّ[1].

٤٩٤ ــ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَقَـدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ مَا يَجِـدُ

(حتى مات وما أكل خبزاً مرققاً) أي: محسناً ملياً كخبز الحواري[2] وشبهه، والترقيق التليين، وقد يراد بالمرقق الموسع، قال القاضي عياض، وجزم به ابن الأثير فقال: وهو السميد وما يصنع به من كعك ونحوه، كذا في أشرف الوسائل. والذي في النهاية المرقق هو الأرغفة الواسعة الرقيقة، يقال: رقيق ورقاق كطويل وطوال. ا هـ. وقال ابن الجوزي: هو الحفيف كأنه أخذه من الرقاق: وهي الخشبة التي يرقق بها وهو قريب من كلام النهاية: وظاهر قوله: **(حتى مات)** أنه لم يأكل ذلك قبل البعثة ولا بعدها سواء خبز له أو لغيره، ويؤيده رواية البخاري عن أنس الآتية بعده **(رواه البخاري)** في الأطعمة ورواه مسلم أيضاً كما في الأطراف. **(وفي رواية له)** أي: للبخاري في الرقاق من صحيحه عن أنس قال: «فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله» **(ولا رأى شاةً سميطاً بعينه قط)** السميط: هو ما أزيل شعره بماء سخن وشوي بجلده، وإنما يفعل ذلك بصغير السن وهو من فعل المترفهين. قال ابن الأثير: ولعله يعني أنه لم ير السميط في مأكوله، إذ لو كان غير معهود لم يكن في ذلك تمدح. **وقط** بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة، ظرف لما مضى من الزمان أي: لم يره في شيء من أزمنته ﷺ.

٤٩٤ ــ (وعن النعمان) بضم النون وسكون المهملة **(ابن بشير)** بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية بعدها راء تقدمت ترجمته وهو صحابي ابن صحابي **(رضي الله عنهما قال: لقد)** هذه اللام مثلها في قوله تعالى: ﴿ولقد علمتم﴾[3] قال أبو حيان: هي لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد، ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وألا يكون. وقال ابن الحاجب في الأمالي: لام الابتداء يجب أن يكون معها المبتدأ. وقال الزمخشري في: ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾[4] لام الابتداء لا تدخل إلا على مبتدأ وخبر، وقال في: «لا أقسم»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة وباب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون والرواية في الرقاق باب فضل الفقر، وباب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، (١١/ ٢٣٩، ٢٥١).

(٢) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء لباب الدقيق ويسمى السميد والسميد بالذال أفصح. ع.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٥. (٤) سورة الضحى، الآية: ٥.

مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأ بِهِ بَطْنَهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٍ، و «الدَّقَلُ» تَمْرٌ رَدِيءٌ[1].

٤٩٥ ــ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ في عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعالَى

لام ابتداء دخلت على مبتدأ محذوف ولم يقدرها لام قسم؛ لأنها عنده ملازمة للنون، وكذا زعم في ولسوف أن التقدير ولأنت سوف. وقال ابن الحاجب: هي لام التأكيد ا هـ. **(رأيت نبيكم ﷺ)** الظاهر أن الرؤية فيه بصرية، وجملة **(وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه)** في محل الحال، وقيل إنها علمية والجملة مفعول ثان دخلتها الواو وإلحاقاً لها بخبر كان على رأي الأخفش، وإضافة النبي إلى المخاطبين ليحثهم على الاقتداء به والإعراض عن الدنيا ما أمكن فلذا لم يقل نبي ونبيكم، وقتل خالد مالك بن نويرة لما قال له: كان صاحبكم يقول كذا فقال: صاحبنا وليس بصاحبك فقتله ليس لمجرد هذه اللفظة بل لما بلغه من ارتداده وتأكد عنده ذلك بما أباح له به الإقدام على قتله **(رواه مسلم)** في آخر صحيحه، ورواه الترمذي في الزهد من جامعه وقال: صحيح وفي الشمائل، ورواه أبو عوانة وغيره وهو طرف حديث أوله «ألستم في طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت» الخ **(الدقل)** بفتح الدال المهملة والقاف **(تمر رديء)** وفي النهاية هو رديء التمر ويابسه، وما ليس له اسم خاص فنراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً ا هـ. وفي المصباح الدقل أردأ التمر وقد تقدم الحديث مع الكلام عليه في الباب قبله.

٤٩٥ ــ (وعن سهل بن سعد) الساعدي **(رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقي)** أي: الخالص من النخالة، ونفي رؤيته مبالغة في نفي أكله **(من حين ابتعثه الله)** أي: نبأه وبعثه، والتاء فيه للمبالغة في تحمل أعباء الرسالة لثقلها **(حتى قبضه الله)** أي: توفاه سبحانه ونقله إلى دار كرامته **(فقيل له: هل كان لكم في عهد)** أي: زمن **(رسول الله ﷺ مناخل)** جمع منخل بضم أوله وثالثه المعجم وسكون النون بينهما، وهو أحد ما خرج عن قياس بناء اسم الآلة؛ لأن قياسه الكسر وجمعه باعتبار جمع المخاطبين **(قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين)** بالفتح على الأفصح لإضافته لجملة **(ابتعثه الله)** تعالى وهي مبينة الصدر وقال بعض المحققين، أظنه احترز بهذا عما قبل البعثة لكونه ﷺ سافر تلك المدة إلى الشام تاجراً، وكانت الشام إذ ذاك مع الروم،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ٣٦).

Made searchable using ScribeTools.com

حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قَوْلُهُ: النَّقِيُّ، هُوَ بِفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الياءِ: وَهُوَ الْخُبْزُ الْحَوَّارى وَهُوَ الدَّرْمَكُ. قَوْلُهُ: ثَرَّيْنَاهُ هُوَ بِتَاءٍ مُثَلَّثَةٍ، ثُمَّ رَاءٍ مُشَدَّدَةٍ ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتُ ثُمَّ نُونٍ: أَيْ بَلَلْنَاهُ وعَجَنَّاهُ[1].

٤٩٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُما مِنْ بُيوتِكُما هَذِهِ

والخبز النقي عندهم كثير، وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه لا ريب أنها كانت عندهم **(حتى قبضه)** بفتح الموحدة أي: توفاه **(الله إليه فقيل له:)** لم أقف على تعيين القائل **(كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول)** بالنصب على الحال، ووجه التعجب من ذلك كثرة نخالته فربما نشب في الحلق **(قال: كنا نطحنه وننفخه)** أي: المطحون الدال عليه نطحنه **(فيطير ما طار)** من نخالته **(وما بقي)** بكسر القاف أي: فضل من النخلة في الدقيق بعد نفخه **(ثريناه. رواه البخاري)** في الأطعمة والرقاق من صحيحه والنسائي **(قوله: النقي هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء)** ولم يحتج إلى تقييد بالتحتية المأتي به للاحتراز عن الفوقية؛ لأن الصورة الخطية هنا دالة على التعيين **(وهو الخبز الحواري)** بضم المهملة وتشديد الواو وبالراء ثم ألف، من الحور: البياض فهو الخبز الأبيض كما قال: **(وهو الدرمك)** بفتح الدال وسكون المهملة. قال في الصحاح: هو دقيق الحواري اهـ. وبه يعلم أن في كلام المصنف مضافاً مقدراً أي: خبز الدرمك **(قوله ثريناه هو بثاء مثلثة ثم راء مشددة)** مفتوحتين **(ثم ياء مثناة من تحت)** ساكنة **(ثم نون)** الأوضح ثم بالنون؛ لأن ما ذكره يوهم أنها نون النسوة **(أي: بللناه)** بفتح أوليه الموحدة فاللام المخففة كما في المصباح، قال: بللته بالماء بلاً فابتل ويجمع البل على بلال مثل سهم وسهام والاسم البلل بفتحتين، وقيل: البلال ما يبل به الحلق من ماء ولبن، وبه سمي الرجل اهـ. **(وعجناه)** أي: فيلين ما يبقى من نخالته فلا ينشب في الحلق.

٤٩٦ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم) أي: في الحقيقة التي هي اليوم وأتى بذات دفعاً لتوهم أن المراد به مطلق الزمان **(أو)** شك من الراوي **(ليلة)** بالإضافة، والمضاف لفظ ذات **(فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما)** أي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: النفخ في الشعير وباب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٩/٤٧٨).

السَّاعَةَ؟»قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومَا» فَقَامَا . . . . . .

ففاجأ خروجه رؤيتهما، وهو مبتدأ والظرف بعده خبر **(فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟)** أي: التي لم تجر العادة بالخروج فيها؛ لأنها ليست وقت صلاة ولا ما يجتمع له من كسوف أو نحوه من الحوادث **(قالا: الجوع)** يجوز أن يعرب مبتدأ خبره جملة محذوفة دل عليها السؤال أي: أخرجنا، ويجوز إعرابه فاعلاً لأخرجنا مقدراً وأيهما أولى يبنى على الخلاف في أي المرفوعات أصل المبتدأ أو الفاعل أو هما في مرتبة واحدة فعل الأول يعرب مبتدأ وعلى الثاني فاعلاً وعلى الثالث يخير **(قال:)** ﷺ: **(وأنا)** الواو فيه للاستئناف ثم في رواية صاحب الشمائل وغيره الغابة[1] قال أبو بكر: خرجت للقاء رسول الله ﷺ والنظر في وجهه والسلام عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قد وجدت بعض ذلك فيحتمل أن الصديق كان قال: كلا من المقالتين وإنما اكتفى بلقي المصطفى ﷺ والنظر إليه والسلام عليه؛ لأن بذلك يحصل كمال القوى فيذهل عن ألم الجوع كما قال ﷺ في وصاله في صومه: إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني على أحد الأقوال فيه **(والذي نفسي بيده)** أي: بقدراته، فيه ندب القسم لتأكيد الأمر عند السامع والحلف من غير استحلاف **(لأخرجني الذي أخرجكما)** وعند الترمذي في شمائله وأنا وجدت بعض ذلك أي: الجوع قال في أشرف الوسائل: فيحتمل أنه جمع بين المقالتين. وفي عقد التقي الفاسي عن جده قال: سمعت الإمام محمداً المرجاني يقول: قوله الذي أخرجكما لفظ مبهم ظاهره الجوع، والمراد والله أعلم هو الله، إذ هو الذي أخرجه حقيقة فعبر بلفظ الذي الصادق على السبب وعلى المسبب ليشاركهم في ظاهر الحال دفعاً للوحشة الواقعة في ذكر الجوع. «قلت»: وهذا من معالي الأخلاق وكريم الشيم وهو من معنى قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[2] اهـ. كلامه. «قلت»: وهذا يسميه البديعيون بالتوجيه، ومنه قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه في خياط أعور:

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

فإنه محتمل الدعاء له والدعاء عليه **(قوموا فقاموا)**[3] أي: على الفور كما تؤذن الفاء

---

(١) قوله (الغابة) كذا، ولعله (كما في أسد الغابة). ع

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٣) كذا ببعض نسخ المتن المجردة والممزوجة وفي بعضها قوما فقاما. ع

Made searchable using ScribeTools.com

مَعَهُ فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرأَةُ قَالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلاَنٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

وانصرفوا (**معه فأتى رجلاً من الأنصار**) يأتي تعيينه في الأصل بما فيه (**فإذا هو ليس في بيته**) أي: ففاجأ مجيئهم فقدانه من البيت، وهو مبتدأ والجملة بعده في محل الخبر (**فلما رأته**) أي: أبصرته (**المرأة**) فيؤخذ منه جواز نظر الأجانب إليه ﷺ كما يجوز نظره للأجانب منهن وإنه معهن كالمحارم في جواز الخلوة والنظر، ويحتمل أن تكون الرؤية علمية والمفعول الثاني محذوف لدلالة المقام عليه أي: مقبلاً، والمرأة بوزن التمرة ويجوز نقل حركة هذه الهمزة إلى الراء فتحذف وتبقى مرة بوزن سنة، ويقال فيها امرأة كما يقال مرأة وربما قيل إمرأ بغير هاء اعتماداً على قرينة تدل على المسمى. قال الكسائي: سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول: أنا إمرأ أريد الخبز وجمع امرأة نساء ونسوة من غير لفظها كذا في المصباح، ولم أقف على اسمها (**قالت: مرحباً**) أي: وجدت منزلاً رحباً أي: واسعاً فأنزل (**وأهلاً**) أي: وصادفت أهلاً فأنس كذا في هذه الرواية، وفي رواية أنهم كرروا السلام ولم يجبهم حتى هم ﷺ بالانصراف، ثم أجابت واعتذرت بأنها أرادت كثرة دعائه ﷺ وتكريره لها ولصاحب منزلها فلعلها قالت: ما ذكر قولاً نفسياً ثم أخبرت عنه والله أعلم. (**فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟**) قال المصنف في التهذيب: قال ابن السراج: كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالب ا هـ. وتقدم هذا المعنى بزيادة في باب الصبر وزاد في تفسيري البيضاوي والكشاف قولهما كما أن هذا كناية عن الأجناس (**قالت: ذهب يستعذب لنا الماء**) يؤخذ منه أن استعذاب الماء لا ينافي شأن الصحابة من الإعراض عن زهرات الدنيا ومستلذاتها (**إذ جاء الأنصاري**) يحتمل أن تكون للمفاجأة بناء على مجيئها لذلك كما قال به جمع وأن توزعوا فيه بما بينته أول رسالتي «إنباه النائم من سنة نومه» ببعض فوائد قوله تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾[1] (**فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه**) أي: وقع النظر إليهم عقب مجيئه، وهذا يحتمل أن يكون اتفاقاً، ويحتمل أن يكون لما حل عليه من الإشراق والتجلي الرباني ولم يدر سببه من نفسه، فنظر ليرى سببه من الخارج فرأى مشكاة أنوار المصطفى المختار ﷺ ومعه صاحبيه رضوان الله عليهما (**ثم قال**) أي: بعد أن رَحّب وأظهر كمال الفرح الكامن فيه الكائن عنده بحلول المصطفى في منزله وأتى بما يدل على ذلك (**الحمد لله**) أي: هذه نعمة يجب شكر المنعم بها شرعاً ليدوم نفعها، وقوله: (**ما أحد اليوم**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

الْحَمْدُ للَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافاً مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي

أكرم أضيافاًمني) جملة مستأنفة: ليبين الحامل له على الحمد والداعي إليه، وفيه دليل كمال فضيلته وبلاغته وعظم معرفته؛ لأنه أتى بكلام بديع مختصر في هذا الموطن، وما حجازية وأكرم خبره واليوم ظرف للنفي المدلول عليه بما أي: انتفى وجدان أحد اليوم أكرم، من الكرم وهو الجود والخيار ومنه حديث «إياك وكرائم أموالهم» وأضيافاً منصوب على التمييز ومني متعلق بأكرم **(فانطلق)** أي: من محل رؤيته من حائطه عقب قول ما ذكر **(فجاءهم بعذق)** وجاء عند الترمذي بدله بقنو وهو بكسر القاف وسكون النون: العذق الغصن من النخل **(فيه بسر)** هو المتلون من ثمر النخل قال المصنف في التهذيب: قال الجوهري: البسر أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر الواحد بسرة والجمع بسرات وبسر وأبسر النخل صار ما عليه بسراً ا هـ. **(وتمر)** بفتح الفوقية وسكون الميم. قال في المصباح: هو من تمر النخل كالزبيب من العنب، وهو اليابس بإجماع أهل اللغة؛ لأنه يترك على النخل بعد إرطابه حتى يجف أو يقارب ثم يقطع ويترك في الشمس حتى ييبس، الواحدة تمرة والجمع تمور وتمران بضم[1] والتمر يذكر ويؤنث في لغة يقال: هو التمر وهي التمر ا هـ. **(ورطب)** بضم ففتح قال في المصباح: الرطب ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يجف والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب[2] **(فقال كلوا)** زاد الترمذي في الشمائل فقال النبي ﷺ: أفلا تنقيت فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا **(وأخذ المدية)** بسكون الدال المهملة **(فقال له رسول الله ﷺ: إياك والحلوب)** أصله احذر تلاقي نفسك والحلوب فحذف العامل وجوباً وفاعله، ثم المضاف الأول وأنيب عنه الثاني فانتصب ثم الثاني وأنيب عنه الثالث، فانتصب وانفصل لتعذر اتصاله، قاله ابن هشام في التوضيح في نحوه: وإنما نهى عن ذبحها شفقة على أهله بانتفاعهم بلبنها مع حصول المقصود بغيرها، فهو نهى إرشاد لاكراهة في مخالفته لزيادة إكرام الضيف وإن أسقط حقه **(فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق)** أتى بمن التبعيضية إشعاراً بالإعراض عن الدنيا مع تمام الداعية ومزيد الحاجة **(وشربوا)** أي: من الماء العذب **(فلما أن شبعوا ورووا)** بضم الواو التي هي عين الفعل والأصل رويوا بوزن علموا **(قال رسول الله ﷺ لأبي بكر**

(١) أي ضم التاء وآخر الثاني نون لا تاء كما في النسخ.

(٢) كذا. ع «وبمراجعة المصباح وجد ما نصه الواحدة رطبة والجمع أرطاب انتهت، وقوله رطاب الخ. سبق قلم».

Made searchable using ScribeTools.com

بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعوا حتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَولُها «يَسْتَعْذِبُ» أَيْ يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ وَهُوَ الطَّيِّبُ. و«الْعِذْقُ» بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ الْكِبَاسَةُ، وَهِيَ الْغُصْنُ. و«الْمِدْيَةُ» بِضَمِّ المِيمِ وَكَسْرِهَا: هِيَ السِّكِّينُ،

وعمر رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده) أي: قبض روحي بقدرته **(لتسألن)** بضم اللام والفعل مبني للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة فحذف لالتقاء الساكنين **(عن هذا النعيم يوم القيامة)** ثم قال مبيناً وجه السؤال المذكور على وجه الاستئناف البياني **(أخرجكم من بيوتكم)** بضم الموحدة وتكسر إتباعاً لحركة الياء **(الجوع)** ونسبة الإخراج إليه مجاز عقلي من الإسناد إلى السبب، وإلا فالمخرج لهم من منازلهم هو الله تعالى **(ثم لم ترجعوا)** بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول إن لم تصد عنه رواية **(حتى أصابكم هذا النعيم)** وهو الطعام والشراب **(رواه مسلم)** في أواخر صحيحه، ورواه الترمذي في جامعه وشمائله، وقال في جامعه في باب الاستئذان: رواه غير واحد عن شيبان، وشيبان صاحب كتاب وهو صحيح الحديث، وقال في الزهد منه وقد رواه من طريق شيبان أيضاً: حسن غريب، ورواه فيه من طريق أخرى ثم وشيبان ثقة عندهم صاحب كتاب وهو صحيح الحديث، ورواه النسائي في الوليمة وابن ماجه في الأدب **(وقولها يستعذب أي: يطلب الماء العذب)** فالسين فيه للطلب، وهو أحد معاني استفعل كما ذكرته في رسالتي إنباه النائم من سنة نومه وفي الصحاح استعذب لنا الماء استقى لنا ماء عذباً واستعذب الماء سقاه عذباً ا هـ. وبه يعلم أن الفرق بينه مع لنا ودونها. وإنما ذهب لطلب الماء العذب؛ لأن أكثر مياه المدينة حينئذ كانت مالحة **(وهو)** أي: الماء العذب **(الطيب)** أي: ما يستطاب من الماء، وليس المراد منه معنى العذب لغة وهو ما يسوغ شربه ولو مع بعض الكزازة؛ لأن ذلك ثابت لجميع مياه المدينة **(والعذق بكسر العين)** المهملة **(وإسكان الذال المعجمة وهو الكباسة)** قال في المصباح: هي بالكسر عنقود النخل والجمع كبائس، وهو معنى قوله **(وهي)** أي: الكباسة **(الغصن)** أي: من أغصان النخل لا مطلقاً كما هو ظاهر، واكتفى عن تقييد ذلك بدلالة السياق **(والمدية بضم الميم)** بوزن غرفة وجمعها غرف، ومقتضى كلام المصباح أنها الفصحى **(وكسرها)** قال في المصباح: وبنو قشير تقول مدية بكسر الميم والجمع مدى كسدرة وسدر **(هي السكين)** بكسر السين المهملة وتشديد الكاف ونون أصلية قيل بوزن فعيل، وقيل: زائدة فيكون وزنه فعلين مثل غسلين الشفرة سمي بذلك لأنه يسكن حركة المذبوح. وحكى ابن الأنباري فيه التذكير والتأنيث وقال السجستاني: إن أبا زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهما ممن أدركه أنكروا

و «الْحَلُوبُ» ذَاتُ اللَّبَنِ وَالسُّؤالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤالُ تَعْدِيدِ النِّعَمِ لَا سُؤالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْذِيبٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذَا الأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوهُ هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ. كَذَا جَاءَ مُبَيَّناً فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ . . . . . .

التأنيث. وقالوا: هو مذكر وربما أنث في الشعر على معنى الشفرة وأنشد الفراء:

بسكين مؤنفة النصاب

ولذا قال الزجاج: السكين مذكر وربما أنث بالهاء لكنه شاذ غير مختار **(والحلوب)** بفتح الحاء المهملة وضم اللام **(ذات اللبن)** قال في المصباح: فإن جعلتها اسماً أتيت بالهاء فقلت هذه حلوبة فلان مثل الركوب والركوبة **(والسؤال عن هذا النعيم)** المؤكد بالقسم واللام، وذلك لاستبعادهم له فإنه من حاجة جافة، لا من شهوة وحظ نفس **(سؤال تعداد النعم)** والامتنان بها وإظهار الكرامة بإساغتها زاد في الشمائل ظل بارد ورطب وماء بارد **(لا سؤال توبيخ)** وفي المصباح: وبخته توبيخاً لمته على سوء فعله وعنفته وعتبت عليه كلها بمعنى وقال الفارابي: عيرته. وقال الجوهري: التوبيخ التهديد أي: لعدم القيام بشكرها **(وتعذيب)** أي: يتسبب عن كفرانها وعدم شكرها؛ لأن ذلك غير كائن للصاحبين فيما تناولاه حينئذ. قال ابن القيم: كل أحد يسأل عن تنعمه الذي كان فيه هل ناله من حل أو لا وإذا خلص من ذلك يسأل هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أو لا والأول سؤال عن سبب استخراجه والثاني عن محل صرفه ا هـ. وإنما ذكر المصطفى ﷺ ذلك إرشاداً للآكلين والشاربين في حفظ أنفسهم في الشبع عن الغفلة باشتغال أحدهم بحظ نفسه ونعمتها عن تذكر الآخرة **(وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم)** بهاء مفتوحة وسكون التحتية وفتح المثلثة كنية مالك **(ابن التيهان)** بفتح الفوقية وتشديد التحتية الأنصاري الأوسي، أحد النقباء **(كذا جاء مبيناً في رواية الترمذي)** من حديث أبي هريرة نفسه رواه كذلك في جامعه وفي الشمائل، وورد في رواية أخرجها الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخرج أحاديث الأذكار من حديث ابن عباس أنهم انطلقوا إلى دار أبي أيوب الأنصاري وساق القصة بنحوه وفي آخره «إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا بسم الله وببركة الله، وإذا شبعتم فقولوا الحمد الله الذي أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل فإن هذا كفاف هذا» وذكر بقية الحديث، وحسن الحافظ الحديث وقال: وفيه غرابة من وجهين ذكر أبي أيوب والمشهور في هذا قصة أبي الهيثم، والثاني ما في آخره من التسمية والحمد ا هـ. وفي أشرف الوسائل في رواية عند الطبراني وابن حبان أنهم جاءوا إلى أبي أيوب، ولا مانع من أنهما قصتان اتفقتا لهم مع كل

Made searchable using ScribeTools.com

وَغَيْرِهِ[1].

٤٩٧ ـ وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَرَ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ وَكَانَ أَمِيراً عَلَى

واحد منهما، ورواية مسلم رجلاً من الأنصار محتملة لهما ا هـ. وكان المصنف جزم بكونه أبا الهيثم لكون رواية الترمذي عن الصحابي الذي رواه عنه مسلم والله أعلم **(وغيره)** كابن ماجه، فعنده أيضاً اذهبوا إلى بيت أبي الهيثم بن التيهان وكابن أبي عاصم في كتاب الأطعمة والحاكم كما أشار إليه الحافظ في تخريجه لأحاديث الأذكار في أماليه عليها.

٤٩٧ ـ (وعن خالد بن عمر) بضم العين وفتح الميم والراء كذا وقفت عليه في نسخ متعددة من الرياض وهو من تحريف الكتاب إنما هو «عمير» بالتصغير **(العدوي)** بفتح المهملتين وهي نسبة إلى عدي بفتح فكسر، والمنسوب إليه كذلك متعدد في المهاجرين وفي الأنصار وفي غيرهم كما في لب اللباب للأصفهاني، وخالد هذا بصري. قال الحافظ العسقلاني في التقريب: مقبول من كبار التابعين، يقال: إنه مخضرم، وهم من ذكره في الصحابة، روى عنه مسلم والترمذي في الشمائل والنسائي وابن ماجه ا هـ. «قلت»: قضيته أن الترمذي لم يرو عنه في الجامع لكن في الأطراف للحافظ المزي أن حديث الباب رواه الترمذي في صفة جهنم من جامعه وفي شمائله وأشار بقوله وهم الخ إلى الحافظ ابن عبد البر فإنه ذكره في الاستيعاب **(قال: خطبنا عتبة)** بضم المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة فهاء تأنيث **(ابن غزوان)** بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي ابن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مارن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان أبو عبد الله. ويقال أبو غزوان، قال الحاكم قال الواقدي: كان عتبة طولاً جميلاً قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة وكان من الرماة المذكورين روي له عن رسول الله ﷺ أربعة أحاديث هذا أشهرها، وليس له في الكتب الستة سواه. وروى له الحاكم أن النبي ﷺ قال يوما لقريش: «هل فيكم أحد غيركم قالوا ابن أختنا عتبة بن غزوان قال النبي ﷺ: ابن أخت القوم منهم» ثم قال غريب جداً قال في تلخيص المستدرك: إسناده مظلم. قال الشيخ أبو العباس القرطبي عتبة مازني حليف لبني نوفل قديم الإسلام هاجر وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً والمشاهد كلها. أمره عمر على جيش فتوجه إلى العراق وفتح الأيلة والبصرة بموضع يقال له معدن بني سليم، قاله ابن سعد ويقال: إنه مات بالربذه قاله ابن المدائني كذا في الديباجة للدميري **(وكان**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره... (الحديث: ١٤٠).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (الحديث: ٢٣٦٩).

الْبَصْرَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصابُّها صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلونَ مِنْها إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا فَانْتَقِلوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ .....

أميراً على البصرة) بتثليث الموحدة كما حكاه الأزهري وأفصحهن الفتح وهو المشهور، ويقال لها البصيرة بالتصغير والمؤتفكة؛ لأنها ائتفكت بأهلها في أول الدهر أي: انقلبت. قال صاحب المطالع قال أبو سعيد السمعاني: يقال للبصرة قبة الإسلام وخزانة العرب، بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثماني عشرة، ولم يعبد الصنم قط على أرضها ا هـ. وهذا[1] يصح كونها من جملة مقول القول والمحكي بالقول مجموع الجمل، ويحتمل كونها في محل الحال من فاعل خطب بإضمار قد **(فحمد الله)** أي: أثنى عليه بالأوصاف الأزلية الثبوتية **(وأثنى عليه)** بسلب ما لا يليق به سبحانه عنه ويصح كونهما بمعنى وعطفهما مع كونهما كذلك لاختلافهما لفظاً إيماء إلى أنه أطنب في الثناء على مولاه سبحانه كما يدل عليه قوله: **(ثم قال)** والأول أولى؛ لأن التأسيس خير من التأكيد، والفاء في قوله فخطب كالفاء في نحو توضأ زيد فغسل وجهه إلخ للترتيب الذكري لا للترتيب في الزمان، فإن غسل الأعضاء المذكورة سابق على الوضوء، ويصح كونها للترتيب الزماني بأن يراد أراد الخطبة وأراد الوضوء والإرادة سابقة على فعله والله أعلم **(أما بعد)** أتى بها اقتداء به ﷺ فقد كان يأتي بها في خطبه، وذكر الحافظ في الفتح أن الرهاوي أخرجها من أربعين طريقاً عنه ﷺ **(فإن الدنيا قد آذنت بصرم)** لتحول أحوالها الدال على حدوثها، وكل ما ثبت حدوثه وجب قبوله للعدم قال الشاعر:

وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على ألا يدوم خليل

(وولت حذاء) أي: منقطعة ومنه قيل للقطة حذاء، أي: منقطعة الذنب قصيرته. ويقال حمار أحذ إذا كان قصير الذنب، حكاه أبو عبيدة وهذا مثل فكأنه قال: إن الدنيا قد انقطعت مسرعة **(ولم يبق منها إلا صبابة)**؛ لأنه ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه الوسطى والمسبحة **(كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون عنها)** إذ هي دار ارتحال وانتقال **(إلى دار لا زوال لها)** ولا ارتحال عنها **(فانتقلوا)** أي: من الدنيا **(بخير ما بحضرتكم)** أي: بكسب صالح الأعمال وادخار الحسنات عند المولى سبحانه: جعل الخير المتمكن منه في الحياة كالحاضر المحتاج إليه في المال، فصاحب الحزم يدخر منه حاجته لينتفع به عند

---

(١) لعلها «وهذه» ع.

Made searchable using ScribeTools.com

فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً وَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ

احتياجه إليه. وهذا كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك، وبين الداعي لاستعداد الزاد وادخاره ليوم المعاد بما ورد من الترهيب والترغيب فقال على سبيل الاستئناف البياني **(فإنه قد ذكر لنا)** ببناء ذكر للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به أنه المصطفى ﷺ؛ لأن الصحابي الذي لم يخالط كتب أهل الكتاب لا سبيل له إلى معرفة ذلك إلا من قبله ﷺ، وقد ذكر علماء الأثر أن من الموقوف لفظاً المرفوع حكماً قول الصحابي: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا بالبناء للمجهول فيهما، وجوز في الديباجة أن ذلك ذكر له عن النبي ﷺ ولم يسمعه هو منه ﷺ وسكت عن رفعه إما نسياناً أو لأمر اقتضاه ومراده الرفع لفظاً لما ذكرناه، قال: ويحتمل أن يكون سمعه منه ﷺ وسكت عن رفعه للعلم به ا هـ. **(أن الحجر)** أل فيه للجنس، والحجر معروف قال ابن النحوي في لغات المنهاج: جمعه في أدنى العدد أحجار، وفي الكثرة حجار، والحجارة نادر وهو كقولنا: حمل وحمالة وذكر وذكارة، كذا قال ابن فارس والجوهري. ورد عليهما القرطبي بأن في القرآن «فهي كالحجارة، وإن من الحجارة، كونوا حجارة، ترميهم بحجارة، وأمطرنا عليهم حجارة» فكيف يكون نادراً إلا أن يريد أنه نادر في القياس كثير في الاستعمال فيصح ا هـ. وذلك؛ لأن ما كان كذلك وعكسه يقع في الفصيح بخلاف ما خالفهما معاً فمردود **(يلقى من)** ابتدائية **(شفير جهنم)** أي: حرفها. وشفير كل شيء حرفه أيضاً كالبئر والنهر كذا في المصباح وفي الديباجة حرفها الأعلى وحرف كل شيء أعلاه وشفيره، ومنه شفير العين، وجهنم قيل: اسم أعجمي، وقيل: عربي مأخوذ من قولهم: بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، وعلى كل فهي ممنوعة الصرف للعجمة أو التأنيث المعنوي مع العلمية وهو اسم لنار الآخرة، نسأل الله العافية منها ومن كل بلاء **(فيهوي)** بكسر الواو، أي: ينزل **(فيها سبعين)** منصوب على الظرفية الزمانية أي: في قدر سبعين **(عاماً لا يدرك)** بالبناء للفاعل أي: لا يصل والإسناد فيه مجازي والحقيقي لا يوصله الله **(لها قعراً)** بفتح القاف وسكون العين وهو كما في المصباح أسفل الشيء وجمعه قعور ا هـ. **(والله لتملأن)** بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل سبحانه أكد بالقسم وباللام دفعاً لما قد يقصر العقل عن إدراكه من ملء مالا يقطع مدى الوصول إلى قعره سبعين عاماً فما بالك بعرضه وكمال سعته أي: وإذا كانت كذلك وتمتلىء عن آخرها فاحذروا من مخالفته سبحانه لئلا توبقكم المخالفة وتوقعكم فيها المعصية، غفر الله لنا ذنوبنا وستر عيوبنا بمنّه وكرمه. ولما كان ما ذكره أمراً عظيماً جداً قال على وجه التقدير: **(أفعجبتم)** أي: من هذا الأمر الدال على عظم قدرة الله سبحانه وكمال جلاله وقوة انتقامه، وتقدم أن في

مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَاماً وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ .....

ذلك قولين: أحدهما أن التقدير أسمعتم فعجبتم فالفاء عاطفة على مقدر بعد الألف، والثاني أن ألف الاستفهام من جملة المعطوف وقدمت لصدارتها لتضمنها الاستفهام، ولما حصل عند الحاضرين من مزيد الرهبة وعظيم الخوف مما سمعوه حتى كادوا أن يظنوا عمهم العذاب لجميعهم، أراد رفع ذلك عنهم وإدخالهم في ميدان الرجاء إعلاماً بسعة رحمة الله تعالى وكمال فضله، فأكد ذلك بالقسم المقدر الدال عليه اللام في قوله: **(ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين)** بكسر الميم تثنية مصراع، ومصراع الباب ما بين عضادتيه وهو ما يسده الغلق كذا في المفهم للقرطبي. وفي المصباح: المصراع من الباب الشطر وهما مصراعان **(من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً)** برفع مسيرة خبر أن، وإذا كان هذا سعة الباب وأبوابها ثمانية وبين كل بابين خمسمائة عام كما تقدم في حديث «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» فما بالك بسعة باطنها ويكفيك في ذلك قوله تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾[1] والعادة جارية أن الطول أزيد من العرض، فسبحان المنعم المتفضل **(وليأتين عليها)** أي: الجنة **(يوم)** هو وقت دخولها **(وهو)** أي: المصراع أو محله من الباب **(كظيظ من الزحام)** وذلك يدل على كثرة الداخلين بعموم الرحمة ومزيد الفضل. ففي الحديث إيماء إلى أن المكلف ينبغي له أن يكون عنده حال الصحة خوف من مولاه سبحانه ورجاء لفضله وإحسانه بقبول ما يعمله من صالح العمل. والزحام بكسر الزاي مصدر زاحمه أي: دافعه **(ولقد رأيتني)** قال في أشرف الوسائل: هي بصرية، وقوله: **(سابع سبعة)** حال أي: واحداً من سبعة قال: لكن قضية قوله يعني في رواية الترمذي «فقسمتها بيني وبين سبعة» أنه ثامن، لكن قوله: أولئك السبعة يدل للأول وأن المراد بقوله سبعة أي: بقية سبعة ا هـ. ولا يشكل على كونها بصرية اتحاد ضمير فاعلها ومفعولها وذلك من خصائص أفعال القلوب، وعبارة الكافية لابن الحاجب، ومنها أي: خصائص أفعال القلوب أنه يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين لشيء واحد مثل علمتني منطلقاً، قال شراحها: والعبارة للمحقق الجامي، ولا يجوز ذلك في سائر الأفعال فلا يقال: ضربتني ولا شتمتني بل يقال: ضربت نفسي، وذلك؛ لأن أصل الفاعل أن يكون مؤثراً والمفعول به متأثراً، وأصل المتأثر أن يغاير المؤثر، فإن اتحدا معنى كره اتحادهما لفظاً فقصد مع اتحادهما معنى تغايرهما لفظاً بقدر الإمكان، فمن ثم قالوا: ضربت نفسي ولم يقولوا: ضربتني، فإن الفاعل والمفعول فيه ليسا بمتغايرين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

Made searchable using ScribeTools.com

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي

بقدر الإمكان لاتفاقهما من حيث إن[1] كل واحد منهما ضميراً متصلاً بخلاف ضربت نفسي فإن النفس بإضافتها إلى ضمير المتكلم صارت كأنها غيره لغلبة مغايرة المضاف إليه فصار الفاعل والمفعول فيه متغايرين بقدر الإمكان، وأما أفعال القلوب فإن المفعول به ليس المفعول الأول في الحقيقة بل مضمون الجملة، فجاز اتفاقهما لفظاً؛ لأنهما ليسا في الحقيقة فاعلاً ومفعولاً به ا هـ. لكن ألحق بأفعال القلوب في ذلك رأي البصرية، قال الشاعر:

ولقد أراني للرماح ذرية

والحلمية كقوله تعالى: ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾[2] وقوله: **(مع رسول الله ﷺ)** حال من فاعل رأى، ويصح كونها لغواً متعلقاً برأى، وقوله: **(ما لنا طعام إلا ورق الشجر)** يحتمل أن تكون في محل الحال من فاعل رأى وأن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً لكيف كنتم معه ﷺ، وقوله: **(حتى قرحت أشداقنا)** غاية لمقدر أي: فأكلناه إلى أن قرحت جوانب أشداقنا جمع **شدق** بكسر الشين المعجمة كحمل وأحمال، ويقال: **شدق** بفتح المعجمة وجمعه شدوق كفلس وفلوس **(فالتقطت بردة)** أي: عثرت عليها من غير قصد وطلب، وهي شملة مخططة وقيل: كساء أسود مربع. وقال القرطبي: البردة الشملة، والعرب تسمي الكساء الذي يلتحف به بردة، والبرد بغير تاء نوع من ثياب اليمن **(فشققتها بيني وبين سعد بن مالك)** هو ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة **(فاتزرت)** بتشديد الفوقية **(بنصفها واتزر سعد بنصفها)** وفي الترمذي: فشققتها بيني وبين سعد كما تقدم، ثم مبادرته بشقها عقب التقاطها كما تؤذن به الفاء، إمّا لعلمه برضى صاحبها، وإما بإعراضه عنها لسقوطها وتمزقها، أو لمعرفته بمالكها فإنه يرضى بذلك، أو كان قبل وجوب تعريف اللقطة **(فما أصبح)** أي: صار **(اليوم منا أحد)** اسم أصبح والظرف قبله حال منه وكان صفة له فقدم عليه فصار حالاً **(إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار)** أشار به إلى اتساع الحال عليهم بعد ضيقه أولاً، زاد في آخر الحديث: وسيخربون الأمراء بعدنا أي: ليسوا مثلنا من جهة العدالة والديانة والإعراض عن الدنيا وكان الأمر على ذلك، وأشاروا إلى الفرق بأنهم رأوا معه ﷺ ما كان سبباً لرياضتهم وتقللهم من الدنيا فمضوا على ذلك وغيرهم ممن بعدهم ليس كذلك، فلا يكون إلا على قضية طبعه المجبول على الخلق القبيح **(وإني**

---

(١) لعلها «كان» ع.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيراً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ «آذَنَتْ» هُوَ بِمَدِّ الأَلِف: أَيْ أَعْلَمَتْ، وَقَوْلُهُ «بِصُرْم» أَيْ بِانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِها. وَقَولُهُ «وَوَلَّتْ حَذَّاءَ» هُوَ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ ذَالٍ مُعْجَمَةٍ مُشَدَّدَة، ثُمَّ أَلِفٍ مَمْدُودَةٍ أَيْ سَرِيعَةً. و «الصُبابَةُ» هُوَ بِضَمِّ الصَّادِ المُهْمَلَة: وَهِيَ البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ، وَقَوْلُهُ «يَتَصابُّهَا» هُوَ بِتَشْدِيدِ الباءِ قَبْلَ الهاءِ: أَيْ يَجْمَعُهَا، و «الْكَظِيظُ» الْكَثِيرُ الْمُمْتَلِئُ، وَقَوْلُهُ «قَرِحَتْ» هُوَ بِفَتْحِ

أعوذ) أي: أعتصم **(بالله)** من **(أن أكون في نفسي عظيماً)** بأن يوهمني ذلك الشيطان والنفس **(وعند الله صغيراً)** لا يقبل علي بالفضل والإحسان، ولا ينصب لعملي وزن إذا نصب الميزان قال ﷺ: «يجاء يوم القيامة بالرجل العظيم لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم: فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً» أو كما قال: **(رواه مسلم)** أواخر صحيحه، ورواه الترمذي في جامعه وفي شمائله إلا أنه لم يسق منه فيها إلا من قوله: «لقد رأيتني سابع سبعة» الخ، وأشار إلى باقي الحديث، ورواه النسائي في الرقاق ورواه ابن ماجه في الزهد مختصراً **(قوله آذنت هو بمد الهمزة)** أي: وبالذال المعجمة المفتوحة، **(أي: أعلمت)** عبارة القرطبي أي: أشعرت وأعلمت وحذف المصنف الأول لإغناء الثاني عنه. **(وقوله: بصرم بضم الصاد)** أي: المهملة وسكون الراء **(أي: بانقطاعها وفنائها)** الأولى بانقطاع وفناء كما عبر به القرطبي وتبعه في الديباجة، لأن المفسر غير مضاف إليها وإن كان الكلام فيها. **(وقوله: وولت حذاء، هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أي: سريعة)** هذا تفسير للحذاء لا لمجموع المحكي كما قد توهمه عبارته، ولو قال أي: أدبرت سريعة أو قال: حذاء أي: سريعة لسلم من ذلك الإيهام إلا أن يسامح زيادة في الإيضاح كما هي عادته من بذل النصيحة جزاه الله خيراً وفي المصباح: الأحذ المقطوع الذنب، وقال الخليل: الأحذ الأملس الذي ليس مستمسكاً لشي يتعلق به والأنثى حذاء **(والصبابة بضم الصاد المهملة)** وبموحدتين خفيفتين بينهما ألف **(وهي البقية اليسيرة)** كذا في الأصول بإثبات الواو على أن الخبر الظرف السابق على الجملة وهي معطوفة عليه، ثم قوله: البقية غير مقيدة بشيء هو ما قاله غيره ومنهم القرطبي والدميري، وبه يعلم أن قول المصباح: الصبابة بالضم بقية الماء مراده به التمثيل لا التقييد، قال القرطبي: والصبابة بالفتح: رقة الشوق ولطيف المحبة ا هـ. **(وقوله: يتصابها)** بفتح التحتية والفوقية **(هو بتشديد الموحدة)** من باب التفاعل فأدغمت الموحدة في مثلها **(قبل الهاء أي: يجمعها)** قال القرطبي أي: يروم صبها على قلة الماء أي: مثلاً وضعفه **(والكظيظ)** بفتح الكاف وكسر الظاء المعجمة الأولى وسكون التحتية بينهما **(الكثير)** بالمثلثة **(الممتلىء)** يقال: كظه الشر فهو كظيظ، وفي النهاية

Made searchable using ScribeTools.com

الْقَافِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أَيْ صَارَتْ فِيهَا قُرُوحٌ[١].

٤٩٨ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً وَإِزَاراً غَلِيظاً، قَالَتْ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

حديث عتبة في باب الجنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ أي: ممتلىء، والكظيظ: الزحام اهـ. ومثله في مجمع البحار نقلاً عنها، وكأنه أشار بذلك إلى أنه مشترك بين الممتلىء والزحام أي: ذي الزحام؛ لأنه تفسير الوصف، والله أعلم. **(وقوله: قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء)** وبالحاء المهملة **(أي: صار فيها قروح)** بضمتين جمع قرح بفتح القاف وضمها، وفي النهاية: قيل بالفتح المصدر وبالضم اسم مصدر وبضم أوليه أيضاً، ولم يذكر المصنف في تحريره سوى فتح القاف وضمها وقال: إنه الجرح، وقال غيره: إنه كالجدري وفي مفردات الراغب: القرح الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقرح أثرها من داخل كالبثرة ونحوها، ونقل ابن عطية في تفسيره قرح بفتح القاف وضمها وإسكان الراء، ثم قال: قال أبو علي: هما لغتان كالضعف والضعف، والفتح أولى؛ لأنه لغة أهل الحجاز وقال الأخفش: هما مصدران بمعنى واحد، ومن قال: القرح بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألمها قبل منه إذا أتى برواية؛ لأن هذا مما يعلم[٣] بقياس. وقرأ ابن السميقع بفتح القاف والراء، قال الزمخشري: كالطرد، والطرد قال أبو البقاء: وبضمها على الاتباع كاليسر واليسر اهـ. من لغات المنهاج لابن النحوي.

٤٩٨ ـ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة كساء) بكسر الكاف وبالسين المهملة والألف الممدودة، زاد البخاري ملبداً وعندهما بلفظ كساء من التي يسمونها الملبدة **(وإزاراً)** بكسر الهمزة وبالزاي ثم الراء بينهما ألفة اسم لما يستر أسافل البدن **(غليظاً)** أي: ثخيناً. وفي رواية لمسلم «أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً ملبداً» وإخراجها ذلك لتبين إعراضه ﷺ عن الدنيا إلى مفارقته لها ونقلته لحضرة مولانا سبحانه وتهييجاً للمقتدين به المتبعين سبيله على ذلك، ولذا **(قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين)** زاد مسلم في رواية له أنثويين **(متفق عليه)** رواه البخاري في الخمس وفي اللباس ومسلم في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ١٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه، واللباس، باب: الأكسية والخمائص (١٠/٢٣٥).

وأخرجه مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: التواضع في اللباس... (الحديث: ٣٤).

(٣) لعله (مما لا يعلم). ع

٤٩٩ ــ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَالَهُ خِلْطٌ. . . . . .

اللباس، ورواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. والنسائي كلهم في اللباس من سننهم، ثم الذي في الكتب المذكورة أن الحديث عن أبي بردة بن أبي موسى قال: أخرجت إلينا عائشة، ولا ذكر فيها لأبي موسى. والذي وقفت عليه من نسخ الرياض عن أبي موسى كما شرحته، وهو إن لم يكن من تحريف الكتاب سبق قلم من الشيخ بلا ارتياب.

٤٩٩ ــ **(وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إني لأول العرب ممن رمى بسهم في سبيل الله)** وذلك في بعث حمزة وعبيدة بن الحارث، وهي ثاني سرية في الإسلام. وقيل: بل هي أول سرية فيه، وجرى عليه السيوطي في أوائله، وقد جزم به الحافظ في الفتح، وفيها كما روى ابن إسحاق وغيره ما لفظه ولم يكن بينهم يعني المسلمين والكفار قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذٍ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام، وفي أوائل السيوطي «أول من أراق دماً في سبيل الله سعد بن أبي وقاص» أسنده العسكري، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة عنه، وأنه قال في ذلك:

ألا هل أتى رسول الله أنني ... حميت صحابتي بصدور نبل
أذود بها عدوهم ذياداً ... بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتمد رام من معد ... بسهم قبل رسول الله قبلي[1]

(ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة) جملة النفي في محل الحال من فاعل نغزو **(هذا السمر)** قال القرطبي: عند عامة الرواة بحذف الواو أي: على أنه بيان ورق الحبلة، وعند الطبراني والتميمي: وهذا السمر بواو. ووقع عند البخاري إلا الحبلة وورق السمر، وكذا ذكره أبو عبيد، ورواية البخاري أحسنها؛ لأنه بين فيها أنهم كانوا يأكلون ثمر العضاه وورق شجر السمر **(حتى)** غاية لكون طعامهم ذلك **(إن)** مخففة من الثقيلة **(كان أحدنا ليضع)** كناية عن الغائط، وفي بعض طرق يبعر **(كما تصنع الشاة)** أي: من البعر ليبسه وعدم ألفة المعدة له، وهذا كان سنة ثمان في غزوة الحبط وأميرهم أبو عبيدة، وسيأتي في الأصل إن شاء الله تعالى، وعليه فالمراد بالمعية التبعية حكماً. ويحتمل أن تكون المعية على ظاهرها، وأن ذلك في غزوة أخرى غزاها سعد مع النبي ﷺ لما في الصحيحين «بينا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الحبلة» ذكره في

---

(١) (هل أتى) بفتح اللام وحذف الهمزة والشطر الأخير غير متزن فليراجع. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْحُبْلَةُ» بِضَمِّ الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ البَاءِ المُوحَّدَةِ: وَهِيَ وَالسَّمُرُ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ[1].

٥٠٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ: مَعْنَى «قُوتاً» أَيْ

أشرف الوسائل (**ما خلط**) بكسر الخاء المعجمة أي: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه ويبسه، وهذا باعتبار ما كانوا عليه من الضيق أول الإسلام، وامتحاناً ليظهر صدق ثباتهم.

لولا اشتعال النار في جزل الغضا ... ما كان يعرف طيب نشر العود

(**متفق عليه**) رواه البخاري في فضل سعد في الأطعمة، وفي الرقائق ومسلم في أواخر كتابه، ورواه الترمذي في الزهد وقال: حسن غريب، والنسائي في المناقب وابن ماجه في السنة، كذا في الأطراف للمزي (**الحبلة بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة، وهي والسمر**) بفتح فضم، قال في المصباح: شجر الطلح، وهو نوع من العضاه الواحدة سمرة اهـ. (**نوعان معروفان من شجر البادية**) قال القرطبي: الحبلة شجر العضاه. وقال ابن الأعرابي: ثمر السمر شبه اللوبيا، وذكرهما في النهاية مقدماً الثاني فيهما من غير عزو لابن الأعرابي حاكياً الأول بقيل.

٥٠٠ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اجعل رزق**) بكسر الراء مصدر بمعنى المفعول أي: ما ينتفعون به مأكلاً ومشرباً وملبساً (**آل محمد**) جاء عند بعض رواته زيادة في الدنيا بل قضية كلام الجامع الصغير أنه كذلك عند مسلم، ولم أره كذلك عند مسلم إنما الحديث فيه بحذفه. قال الثعالبي في تفسير الجواهر الحسان: وعندي أن المراد بآل محمد هنا متبعوه ﷺ (**قوتاً. متفق عليه**) أي: بالمعنى وإلا فاللفظ لمسلم في إحدى رواياته، ولفظ البخاري وهو عند مسلم أيضاً «اللهم ارزق آل محمد قوتاً» قال الحافظ في الفتح: بعد ذكر لفظ مسلم المذكور في المتن: وهو المعتمد[2] كون اللفظ الأول صالحاً؛ لأن يكون دعاء بطلب القوت في ذلك اليوم، وأن يكون طلبه لهم دائماً، بخلاف لفظ مسلم فإنه يعين الاحتمال الثاني وهو الدال على الكفاف. والحديث رواه الترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه كما في الأطراف (**قال أهل اللغة**) هم الحاكون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب سعد بن أبي وقاص وفي الأطعمة، باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون وفي الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ (١١/٢٤٦، ٢٤٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ١٢).

(٢) كذا بالأصول. ع

مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ[١].

٥٠١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنِّي كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ .....

لمعاني المفردات عن العرب (**والغريب**) هم المتكلمون على مفردات الكتاب والسنة (**معنى قوتاً أي: ما يسد الرمق**) في المصباح: القوت ما يؤكل ليمسك الرمق وقال القرطبي: معنى الحديث طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، ولم يظهر وجه إدخال أي: بين المفسر والمفسر، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً.

٥٠١ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو**) أتى به لتأكيد ما بعده في ذهن سامعه (**إن**) مخففة إني (**كنت لأعتمد بكبدي**) بفتح الكاف وكسر الموحدة أفصح من فتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة (**على الأرض**) أي: ألصق بطني بها (**من الجوع**) من فيه تعليلية، وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيده من شده الحجر على بطنه، ويحتمل أن يكون كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشياً عليه كما سيأتي في الحديث عنه عقب هذا «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي» الحديث (**وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع**) كعادة العرب وأهل الرياضة، أو أهل المدينة كانوا يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم لئلا تسترخي أمعاؤهم فتثقل عليهم الحركة. وبربط الحجر تشتد البطن والظهر فتسهل عليهم الحركة حينئذ. وقيل: حكمة شده أنه يسكن بعض ألم الجوع؛ لأن حرارة المعدة الغريزية ما دامت مشغولة بالطعام فتلك الحرارة به، فإذا نفد اشتعلت برطوبات الجسم وجوهره فيحصل التألم حينئذ ويزداد ما لم يضم على المعدة الأحشاء والجلد، فإن نارها حينئذ تخمد بعض الخمود فيقل الألم. وقيل: يفعل ذلك؛ لأن البطن إذا خلا ضعف صاحبه عن القيام لتقوس ظهره، فاحتيج لربط الحجر ليشده ويقيم صلبه (**ولقد قعدت على طريقهم**) قال في المصباح: ويذكر في لغة نجد وبه جاء قوله تعالى: ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾[٢] ويؤنث في لغة الحجاز. «قلت»: وعدم تأنيث يبس لكونه مصدراً وصف به كما ذكر البيضاوي في التفسير، قال في المصباح:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ (١١/٢٥١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ١٩).

(٢) سورة طه، الآية: ٧٧.

Made searchable using ScribeTools.com

الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ بي النَّبِيُّ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآني وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا في نَفْسي ثُمَّ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِلْحَقْ» وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لي فَدَخَلْتُ فَوَجَدَ لَبَناً

وجمعه طرق، وقد يجمع على لغة التذكير على أطرقة والضمير يرجع إلى المارة المدلول عليه بالمضاف **(الذي يخرجون منه)** أي: إلى مطالبهم، وذلك لئلا يفوتوه **(فمر بي النبي ﷺ)** قبله في البخاري مرور أبي بكر وعمر، وأنه سأل كلاً منهما[1] آية وقصد بالسؤال التعرض للنوال فلم يقع، وسكت عنه المصنف لعدم تعلق غرض الباب به، إذ غرضه التحريض على الزهد في الدنيا والإعراض عما تدعو إليه الضرورة بالمرة، وهذا الخبر وأمثاله يدل عليه، إذ لو كان حاله ﷺ بخلاف ذلك لما بلغ حال أصحابه في العقد إلى ما ذكر في الخبر لما علم من كمال كرمه وإيثاره على نفسه ﷺ **(فتبسم حين رآني وعرف ما في وجهي)** أي: مما يدل على ما في نفسي **(وما في نفسي)** أي: من الاحتياج إلى ما يسد الرمق. ووقع عند بعض رواة البخاري بأو التي للشك بدل الواو في قوله: «وما» قال في الفتح: استدل أبو هريرة تبسمه ﷺ على أنه عرف ما به؛ لأن التبسم يكون لما يعجب وتارة يكون لمن تبسم إليه ولم تكن تلك الحالة معجبة فقوي الحمل على الثاني **(ثم قال يا أبا هر)** بتشديد الراء، قال في الفتح: وهو إما رداً لاسم المؤنث إلى المذكر أو المصغر إلى المكبر، فإن كنيته في الأصل أبو هريرة تصغير هرة مؤنثاً. وأبو هريرة مذكر. وذكر بعضهم أنه يجوز فيه تخفيف الراء مطلقاً فعلى هذا فيسكن **(قلت: لبيك يا رسول الله)** هذه رواية علي بن مسهر بإثبات حرف النداء، وعند باقي الرواة له بحذفه أي: إجابة بعد إجابة **(قال الحق)** بهمزة وصل وفتح الحاء المهملة[2] أي: اتبع **(ومضى)** أي: إلى سبيل بينه **(فاتبعته)** بتشديد الفوقية، زاد في رواية علي بن مسهر، فلحقته، وفي تفسير البغوي تبع بقطع الهمزة معناه أدرك وألحق، واتبع بتشديد التاء معناه سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى أدركته ولحقته **(فدخل)** زاد علي بن مسهر إلى أهله **(فاستأذن)** قال في الفتح: بهمزة بعد التاء والنون مضمومة فعل المتكلم[3]، وعبر عنه بذلك مبالغة في التحقق؛ لأنه حكاية حال ماضية، ففيه الإشارة لكمال استحضاره لها حتى كأنه يخبر عن حاضر عنده وفي رواية ابن مسهر: فاستأذنت بضمير المتكلم **(وأذن لي)** يحتمل أن يقرأ بالبناء للفاعل أي: النبي ﷺ،

---

(١) أي: عن تفسيرها. ش.

(٢) ضبطت في نسخ المتن بهمزة قطع وكسر الحاء ومعناهما واحد.

(٣) فهو مضارع.

في قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ ــ أَوْ فُلاَنَةُ ــ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِلْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإِسْلاَمِ لاَ يَأْوونَ عَلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَني ذَلِكَ فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ: كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ

وأن يقرأ بالبناء للمفعول ما لم تكن رواية فيوقف عندها (فدخل)[1] قال في الفتح: كذا فيه وهو إما تكرار لهذه اللفظة لوجود الفصل أو التفات (فوجد لبناً في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟) وفي رواية ابن مسهر «من أين لكم؟» (قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة) كذا بالشك، قال في الفتح: ولم أقف على اسم من أهداه، وفي رواية روح «أهداه لنا فلان أو آل فلان» وفي رواية أهداه لنا فلان (قال: أبا هر قلت: لبيك يا رسول الله) بإثبات حرف النداء عند جميع رواه البخاري (قال: الحق إلى أهل الصفة) ضمن الحق معنى انطلق فلذا عداه بإلى، وقد وقع في رواية روح بدله: انطلق (فادعهم لي، قال:) أي: أبو هريرة وسقط من رواية روح ولا بد منها فإن قوله: (وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد) إلى آخر ما يأتي من بيان شأنهم من كلام أبي هريرة شرح به حال أهل الصفة والسبب الداعي لدعائهم، وأنه ﷺ كان يخصهم بالصدق ويشركهم فيما يأتيه من الهدية. ووقع في رواية يونس ما يشعر بأن أبا هريرة كان منهم، وقد عده فيهم السخاوي في مؤلفه في أهل الصفة. والصفة بناء في مؤخر المسجد منزل فقراء المهاجرين مما لا مال له ولا معارف بالمدينة، وقد تقدم فيهم بيان قبل هذا في باب فضل الزهد في الدنيا، ووقع هكذا في الرواية: لا يأوون على أهل، والكثير إلى بدل على وقوله: ولا على أحد تعميم بعد تخصيص فيشمل الأقارب والأصدقاء وغيرهم، وجملة ولا يأوون في محل الحال (وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول) وفي رواية روح: ولم يصب (منها شيئاً) أي: لنفسه. وزاد روح ولم يشركهم فيها لحرمة الصدقة عليه لعلو مقامه (وإذا أتته هدية أرسل إليهم) أي: ببعضها كما يدل عليه قوله: (وأصاب منها وأشركهم فيها) وهذه الجملة الأخيرة كالإطناب، فيها إيماء إلى أنه يجعل لهم منها حظاً وافراً، وأما هو في نصيبه منها فلا يستكثر إيثاراً، والجملة الشرطية وما عطف عليها مستأنفة فيها بيان معاملته ﷺ معهم واعتنائه بأمرهم، وما ذكر من بعث الصدقة وبعث الهدية لأهل الصفة هو أحد أحواله ﷺ معهم، وتارة كان إذا أتاه شيء

---

(١) في بعض نسخ المتن فدخلت. ع

Made searchable using ScribeTools.com

أُصيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِها فَإِذَا جَاؤوا أَمَرَني فَكُنْتُ أَنَا أُعْطيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بُدٌّ فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا

وقيل له: إنه صدقة أمر من عنده بأكله ولم يأكل منه، وإن قيل: إنه هدية ضرب بيده وأكل منه، وحمل على أن هذا كان قبل بناء الصفة وكان يقسم الصدقة فيمن يستحقها ويأكل الهدية فيمن حضر من أصحابه، ويحتمل أن يكون باختلاف حالين فيحمل حديث الباب على ما إذا لم يحضره أحد فإنه يرسل ببعض الهدية إلى أهل الصفة أو يدعوهم كما في قصة الباب، وإن حضره أحد شركه في الهدية، وإن كان هناك فضل أرسل به إلى أهل الصفة أو دعاهم. ووقع في حديث أحمد عن طلحة بن عمر: نزلت في الصفة مع رجل كان بيني وبينه كل يوم مد من تمر وهو محمول على اختلاف الأحوال، كان أولاً ينزل إلى أهل الصفة مما حضره أو يدعوهم أو يفرقه على من حضر إن لم يحضر ما يكفيهم، فلما فتحت فدك وغيرها صار يجري عليهم من التمر في كل يوم ما ذكر ا هـ. ملخصاً من الفتح **(فساءني)** بالمد أي: أحزنني **(ذلك)** أي: قوله ادعهم لي لمزيد ضرورتي وشدة فاقتي ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه فلذا قال: **(فقلت: وما هذا اللبن)** والواو عاطفة على محذوف والإشارة للتحقير **(في أهل الصفة)** وهم عدد كثير وفي رواية «وأين يقع هذا اللبن في أهل الصفة» **(كنت أحق)** أي: أولى به **(أن أصيب)** وحذف المفضل عليه مجروراً بمن لدلالة السياق عليه أي: أولى منهم إصابة **(من هذا اللبن شربة أتقوى بها)** أي: أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها يقال: تحجر الطين أي: صار حجراً، ويجوز أن يكون بمعنى المجرد أي: أقوى بها بعد الضعف **(فإذا جاء)** قال الحافظ في الفتح: كذا فيه بالإفراد أي: من أمرني بطلبه والأكثر جاءوا بصيغة الجمع. ا هـ. والموجود في بعض نسخ الرياض الوجه الثاني **(أمرني)** أي: النبي ﷺ **(فكنت أنا أعطيهم)** وكأنه عرف ذلك بالعادة؛ لأنه كان يلازم النبي ﷺ ويخدمه **(وما عسى أن يبلغني)** أي: يصل إليّ **(من هذا اللبن)** بعد أن يكتفوا منه وقال الكرماني: لفظ عسى زائد، ووقع في رواية يونس بن بكير: فيأمرني أن أديره عليهم وما عسى أن يصيبني منه، وقد كنت أرجو أن أصيب منه ما يقيتني أي: من جوع ذلك اليوم **(ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد)** أي: محيد. قال في المصباح: لا بد من كذا أي: لا محيد عنه، ولا يعرف استعماله إلا مقروناً بالنفي ا هـ، وذلك؛ لأن شكر المنعم سبحانه واجب شرعاً وطاعة الرسول ﷺ طاعة له سبحانه، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1] **(فأتيتهم)** أي: عقب الأمر لي بدعوتهم وإن كان على خلاف هواي **(فدعوتهم)**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠

وَاسْتَأْذَنوا فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى

قال الكرماني: وظاهر قوله «فأتيتهم» أن الإتيان والدعوة وقعا بعد الإعطاء وليس كذلك، ثم أجاب أن معنى قوله: فكنت أنا أعطيهم عطف على جواب فإذا جاءوا، فهي بمعنى الاستقبال، قال في الفتح: وهو ظاهر من السياق **(فأقبلوا فاستأذنوا)** أي: سألوا الإذن في الدخول **(فأذن لهم)** بالبناء للفاعل كذا في النسخ أي: النبي ﷺ ولو قرىء بالبناء للمفعول لجاز؛ لأن المدار على وجود الإذن من أي كان، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾[1] **(فأخذوا مجالسهم)** أي: فقعد كل منهم في المجلس اللائق به **(من البيت)** أي: بيت النبي ﷺ وقد أمر ﷺ بإنزال الناس منازلهم كما رواه مسلم في أول صحيحه عن عائشة معلقاً، قال الحافظ في الفتح: ولم أقف على عددهم إذ ذاك، قال أبو نعيم: عدد أهل الصفة يختلف بحسب الحال، فربما اجتمعوا فكثروا وربما تفرقوا إما لغزو أو سفر أو استغناء فقلوا. ووقع في عوارف المعارف أنهم كانوا أربعمائة وفي المصباح: المجلس أي: بفتح أوله وثالثه: مكان الجلوس والجمع مجالس. وقد يطلق على أهله مجازاً تسمية للحال باسم المحل ا هـ. **(قال: يا أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله قال: خذ)** أي: قدح اللبن المدلول عليه بالسياق والسباق **(فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت)** أي: شرعت **(أعطيه الرجل)** والإتيان به حكاية للحال الماضية إشارة لكمال استحضار القصة، ولولا ذلك لقال: فأعطيته الرجل، وأل في الرجل للجنس **(فيشرب حتى يروي ثم)** فيه إيماء إلى طول شرب الرجل منهم، وذلك لمزيد الجوع وتمام الفاقة **(يرد)** بالبناء للفاعل **(علي القدح فأعطيه)** أي: عقب رده **(الآخر)** أي: الذي إلى جنبه، هذه رواية يونس، وفي رواية علي بن مسهر «فجعلت أناول الإناء رجلاً رجلاً، فإذا روى أخذته فناولته الآخر حتى روى القوم جميعاً» ووقع في بعض نسخ البخاري: فأعطيه الرجل، وعليها شرح الحافظ كالكرماني فقال أي: الذي إلى جنبه، وهذا فيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة لا تكون عين الأول. قال: والتحقيق أن ذلك لا يطرد بل الأصل أن تكون عينه إلا أن يكون هناك قرينة. قال الحافظ: بعد ذكر اختلاف الروايات كما ذكرنا: وعليه فاللفظ المذكور من تصرف الرواة، فلا حاجة فيه لخرم القاعدة **(فيشرب حتى يروي ثم يرد علي القدح)** وقوله: **(حتى**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

Made searchable using ScribeTools.com

انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ.

انتهيت إلى النبي ﷺ) أي: فأعطيه غاية لمقدر أي: عممتهم أجمعين حتى انتهيت إليه ﷺ **(وقد روى القوم كلهم)** جملة في محل الحال، وقد للتحقيق إيماء إلى أنه تحقق لهم الري المطلوب، وأكد القوم بكلهم دفعاً لتوهم أن المراد ري بعضهم **(فأخذ القدح)** أي: وقد بقيت فيه فضلة من اللبن كما في رواية روح **(فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم)** قال الحافظ في الفتح: كأنه ﷺ تفرس في أبي هريرة ما كان وقع في توهمه أنه لا يفضل له شيء من اللبن فلذا تبسم. «قلت»: ويجوز أن يكون قد اطلع على ذلك ككثير من المغيبات **(فقال أبا هر:)** كذا في رواية، وفي رواية ابن مسهر هنا وفيما ذكر أوله أبو هر بالواو وهو على تقدير الاستفهام أي: أنه أبو هريرة وعلى لغة من لا يعرب الكنية **(فقلت: لبيك يا رسول الله قال: بقيت أنا وأنت)** كأنه بالنسبة لمن حضر من أهل الصفة، وأما من كان في البيت من أهل النبي ﷺ فلم يتعرض لذكرهم، ويحتمل أن البيت إذ ذاك ما كان فيه أحد منهم، أو أخذوا كفايتهم والذي في القدح نصيبه ﷺ **(قلت: صدقت يا رسول الله)** وهذه الجملة والتي قبلها من باب لازم الخبر **(قال: اقعد فاشرب)** فيه أن اللبن كغيره من المشروبات في استحباب الجلوس عند شربه، بخلاف المص للمشروب فإنه يستحب فيما عدا اللبن، أما هو فيعبه عباً؛ لأن ما شرع له المص من خوف الشرقة به مفقود في اللبن لقوله تعالى: ﴿سائغاً للشاربين﴾[1] **قال الحافظ السيوطي:** لم يشرق باللبن أحد أصلاً **(فقعدت فشربت، فما زال يقول لي: اشرب)** أي: لما علم من مزيد حاجته وشدة فاقته؛ ولأنه ربما يترك بعض حاجته ليبقي بعضه للنبي ﷺ فأمره بذلك ليستوفي إربه، وظاهر أنه كرر ذلك مراراً. والمذكور في أدب الضيافة أن المضيف يقول: نحو ذلك للضيف إلى ثلاثة لا يجاوزها **(حتى قلت: لا)** المنفي محذوف أي: لا أشرب. ثم علل ذلك على وجه الاستئناف البياني مؤكداً بالقسم بقوله: **(والذي بعثك)** أي: أرسلك ملتبساً **(بالحق لا أجد له مسلكاً)** بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه المهمل بينهما أي: مكاناً يسلك فيه مني **(قال: فأرني)** وفي رواية روح فقال:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٦.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٥٠٢ ــ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي

ناولني القدح **(فأعطيته القدح فحمد الله تعالى)** أي: على ما من به من البركة في اللبن المذكور مع قلته حتى روي القوم كلهم وأفضلوا **(وسعى)** في ابتداء الشرب **(وشرب الفضلة)** أي: البقية، وفي رواية روح: فشرب من الفضلة. وفيه إشعار بأنه بقي بعضه، فإن كانت محفوظة فلعله أعدها لمن بقي بالبيت إن كان **(رواه البخاري)** في الرقاق من صحيحه، ووقع في الأطراف أنه رواه في الاستئذان وهو وهم، إلا إن أراد أنه رواه كذلك مختصراً بنحوه في الباب المذكور كما نبهت عليه في حاشية كتاب الأطراف، ورواه الترمذي في الزهد من جامعه، والنسائي في الرقاق من سننه. وفي الحديث من الفوائد من علامات النبوة تكثير الطعام والشراب ببركته ﷺ وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصى غايته أخذاً من قول أبي هريرة لا أجد له مسلكاً، وتقرير النبي ﷺ على جوازه خلافاً لمن قال: بتحريمه. والجمع بين ذلك وبين الأحاديث الواردة بالزجر عن الشبع بحمل الزجر على متخذ الشبع عادة لما يترتب عليه من الكسل عن العبادة وغيرها، وحمل الجواز على من وقع له ذلك نادراً، لا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب. تنبيه: قال في الفتح: وقع لأبي هريرة قصة أخرى في تكثير الطعام مع أهل الصفة. أخرج ابن حبان عن أبي هريرة قال: «أتت علي ثلاثة أيام لم أطعم، فجئت أريد الصفة فجعلت أسقط، فجعل الصبيان يقولون: جن أبو هريرة حتى انتهيت إلى الصفة، فوافقت رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها فجعلت أتطاول لكي يدعوني حتى قاموا وليس في القصعة إلا شيء في نواحيها، فجمعه ﷺ فصار لقمة فوضعها على أصابعه فقال لي: كل باسم الله، فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت. اهـ.

٥٠٢ ــ **(وعن محمد بن سيرين)** بكسر المهملة وسكون التحتية وبالراء ثم تحتية ثم نون غير منصرف للعلمية والعجمة، وابن سيرين تابعي يكنى أبا بكر، بصري ثقة ثبت، عابد كبير القدر من أوساط التابعين، مات سنة عشر ومائة، روى عنه الستة كذا في تقريب الحافظ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني)** أي: أبصرتني وهذا طرف من أواخر حديثه، وأوله «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فتمخط فقال: بخ بخ أبو هريرة يتمخط في الكتان، ولقد رأيتني» وكان على المصنف ذكر الواو لينبه على أن ما ذكر بعض

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (١١/٢٤٠، ٢٤٦).

Made searchable using ScribeTools.com

وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنونٍ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٥٠٣ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونٌ عِنْدَ

حديث معطوف على شيء تقدمه **(وإني لأخرّ)** بكسر الخاء المعجمة أي: لأسقط والجملة حال من فاعل رأيتني أو مفعوله **(فيما)** أي: في المكان الذي أو مكان **(بين منبر)** بكسر فسكون ففتح، من النبر بالنون فالموحدة: الارتفاع **(رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها)** القياس وحجرة عائشة؛ لأن بين لا تضاف إلا إلى متعدد، وكذا رأيته عزاه الحافظ في باب الرقاق من الفتح إلى باب الاعتصام، لكن في باب الاعتصام من الصحيح بلفظ إلى، وفي كتب النحو فيما اختصت به الواو العاطفة عن باقي العواطف عطف ما لا يستغني عنه كجلست بين زيد وعمرو، ولذا كان الأصمعي يقول: الصواب: بين الدخول وحومل، لا فحومل. «وأجيب» بأن التقدير بين نواحي الدخول فهو كقولك: دخلت بين الزيدين، أو أن الدخول مشتمل على أماكن ذكره في مغني اللبيب، والجواب الأول ممكن هنا أي: ما بين ساحات المنبر إلى حجرة عائشة وما بين المنبر وحجرة عائشة، أي: بيتها، وهي مدفنه ﷺ(٢) الروضة طولاً **(مغشياً علي)** هذا محط الفائدة ومقصد الأخبار أي: مغمى علي، والإغماء زوال الشعور مع فتور في الأعضاء **(فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون)** أي: وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق وجملة يرى محتملة للحالية والاستئناف البياني **(وما بي من)** مزيدة لتنصيص على العموم الظاهر فيه **(جنون)** لكونه نكرة في سياق النفي، وهو مبتدأ والظرف قبله خبر قدم عليه اهتماماً واعتناء **(وما بي)** الباء فيه سببية أي: ليس سبب إغمائي **(إلا الجوع. رواه البخاري)** في باب الاعتصام، ورواه الترمذي في الزهد من جامعه وقال: حسن صحيح غريب، ورواه في الشمائل بنحوه.

٥٠٣ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه)** بكسر الدال المهملة: ما يلبس في الحرب، زاد البخاري في أول البيوع عنها: ورهنه درعاً من حديد **(مرهونة عند يهودي)** هو أبو الشحم، قال الحافظ في الفتح: كما بينه الشافعي ثم البيهقي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام، باب: ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان، (١٣/٢٥٨).

(٢) لعله (حد) ع.

يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، .....

من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ رهن درعاً له عند أبي الشحم اليهودي رجل من بني ظفر في شعير وأبو الشحم اسمه كنيته، وظفر بفتح الظاء والفاء: بطن من الأوس، وكان حليفاً لهم وتصحف على بعضهم فضبطه بمد الهمزة وكسر الموحدة اسم فاعل من الأباء. قال العلماء: الحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود، إما لبيان الجواز، أو؛ لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة من عندهم، أو خشي أنهم لا يأخذون ثمناً أو عرضاً فلم يرد التضييق عليهم، فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر منه على ذلك أو أكثر منه، فلعله لم يطلعهم على ذلك وإنما اطلع عليه من لم يكن موسراً به ممن نقل ذلك ا هـ. **(في ثلاثين صاعاً)** وقيل: في عشرين، وقيل: في أربعين، وقيل: وسقاً بدل الصاع كما ورد كل منها قاله الشيخ زكريا في تحفة القارىء، وجمع في الفتح بين روايتي عشرين وثلاثين بأنه لعله كان ناقصاً عن الثلاثين فجبر بذلك الكسر وألغى أخرى. قال: ووقع لابن حبان عن أنس أن قيمة الطعام كانت ديناراً **(من شعير)** قال الشيخ زكريا في شرح البهجة قيل: افتكه ﷺ قبل موته لخبر «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى» وهو ﷺ منزه عن ذلك، والأصح خلافه لقول ابن عباس رضي الله عنهما «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي» أي: ولحديث الباب، والحديث الأول محمول على من لم يخلف وفاء قال السبكي: مع أنه ﷺ ليس من الخبر؛ لأن دينه ليس لمصلحة نفسه؛ لأنه غني بالله، وإنما أخذ الشعير لأهله وهو متصرف عليهم بالولاية العامة فلا يتعلق الدين به بل بهم، ولم يثبت أنه كان عليه ديون، وإن ثبت فهو لمصلحة المسلمين، وإذا استدان الإمام لمصالحهم كان عليهم لا عليه. «فإن قيل»: هذا فيما استدانه للجهات العامة دون ما استدانه لأهله، فإنه وكيل عليهم والوكيل تتعلق به العهدة. «والجواب»: أنه ﷺ أولى بالمؤمنين، فهو يتصرف عليهم بهذه الولاية التي ليست لغيره من الأئمة ولا يخفى ما فيه ا هـ. كلام الشيخ زكريا. «أقول»: يمكن أن يجاب بأن المختار عند الأصوليين عدم دخول المتكلم في عموم كلامه، فذاك في حق من سواه، أما هو فلا يحبس عن علي مقامه تشريفاً له والله أعلم. وفي فتح الباري: فيه أي: في حديث «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة» دليل على أن المراد بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» وهو حديث صححه ابن حبان وغيره من لم يترك عند صاحب الدين ما يحصل به الوفاء وإليه جنح الماوردي. وذكر ابن الطلاع في الأقضية النبوية أن أبا بكر افتك الدرع بعد النبي ﷺ. لكن روى ابن سعد أن أبا بكر قضى عدات النبي ﷺ وأن علياً قضى ديونه. وروى إسحاق بن راهويه في مسنده عن الشعبي مرسلاً أن أبا بكر افتكها وسلمها لعلي. وأما من أجاب بأنه ﷺ

Made searchable using ScribeTools.com

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٠٤ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا صَاعٌ

افتكها قبل موته بثلاثة أيام فمعارض بحديث عائشة ا هـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري في أبواب من صحيحه بعضها باللفظ المذكور وبعضها بنحوه، رواه مسلم في البيوع، ورواه النسائي وابن ماجه.

٥٠٤ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: رهن النبي ﷺ درعه)** لفظ البخاري: درعاً له. فيه أنه من أدراعه لا الذي كان يعتاد لبسه **(بشعير)** أي: مقابلة بثمن الشعير الذي شراه ﷺ نسيئة، ففي الحديث مضاف مقدر والباء فيه للمقابلة، ويصح كونها باء السببية ولا مضاف أي: بسبب الشعير الذي شراه نسيئة **(ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير)** قال الحافظ في كتاب الرهن من الفتح: ووقع لأحمد عن أنس لقد دعا نبي الله ﷺ ذات يوم على خبز شعير وإهالة سنخة، فكان اليهودي دعا النبي ﷺ على لسان أنس، فلذا قال: مشيت إليه بخلاف ما يقتضيه ظاهره **(وإهالة سنخة)** بالسين المهملة، قال الشيخ زكريا: ويروى زنخة بالزاي بدلها والباقي سواء، ففيه إعراضه ﷺ عن المشتهيات واجتزؤه بما يسد الحاجة من القوت حتى حمل إليه مثل ذلك **(ولقد سمعته)** ظاهره أن هذا من كلام أنس، ومرجع الضمير البارز للنبي ﷺ أي: قال أنس: سمعت النبي ﷺ، وهو ما فهمه الحافظ ابن حجر، ورد على الكرماني قوله وهو كلام قتادة، والضمير المنصوب فيه لأنس. قال الحافظ: ويرد عليه أنه أخرجه أحمد وابن ماجه عن أنس بلفظ «ولقد سمعت رسول الله ﷺ **(يقول)**: والذي نفس محمد بيده» فذكر الحديث بلفظ ابن ماجه وساقه أحمد بتمامه يقول: مسلياً لأولي الفقر والحاجة من أمته **(ما أصبح لآل محمد)** أي: عندهم كقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾[٢] أي: عنده كما يدل عليه لفظ البخاري في أوائل البيوع «ما أمسى عند آل محمد صاع بر» الحديث قال في تحفة القارىء: وآل مقحم. «قلت»: ويجوز إبقاؤه على ظاهره خصوصاً ومذهب البصريين وهو المختار منع زيادة الأسماء، ويؤيده عود الضمير إليه من قوله: وإنهم لتسعة أبيات **(إلا صاع)** أي: مكيلة من الطعام لكن في باب شراء النبي ﷺ نسيئة أوائل البيوع من صحيح البخاري في حديث الباب عن أنس «ولقد سمعته يقول: ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: ما قيل في درع النبي ﷺ والمغازي (٦/٧٢، ٧٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: المساقاة، باب: الرهن وجوازه... (الحديث: ١٢٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

وَلاَ أَمْسَى، وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، «الإِهَالَةُ» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ: الشَّحْمُ الذَّائِبُ، و«السَّنِخَةُ» بِالنُّونِ وَالْخَاءِ، وَهِيَ الْمُتَغَيِّرَةُ[1].

٥٠٥ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ

أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب» ويمكن الجمع بأن المنفي في رواية صاع تام من نوع واحد، والمثبت صاع مجمع من أقوات كما يبينه أنه في جانب النفي بين فرداً خاصاً ثم عطف عليه ما يعمه وغيره، وفي جانب الإثبات لم يبين إبهام الصاع، والله أعلم **(ولا أمسى)** أي: لهم سواه كما صرح به أبو نعيم في روايته في مستخرجه بلفظ: ولا أمسى إلا صاع، وحذف ذلك إيجازاً لدلالة ما قبله عليه **(وإنهم)** أي: آله الذين ينفق عليهم من زوجاته ومن يلوذ بهن **(لتسعة أبيات)** هذا بالنسبة للزوجات وكانت له مارية وريحانة يطؤهما بملك اليمين، وجملة وإنهم في محل الحال من الظرف، قال الحافظ في الفتح: ويناسبه[2] ذكر أنس لهذا القدر مع ما قبله الإشارة إلى سبب قوله ﷺ هذا، وإنه لم يقله متضجراً ولا شاكياً معاذ الله، إنما قاله معتذراً عن إجابته لدعوة اليهودي ولرهنه درعه عنده، ولعل هذا هو الحامل الذي زعم أن قائل ذلك هو أنس فراراً من أن يظن به ﷺ أنه قاله تضجراً، والله أعلم **(رواه البخاري)** في البيوع والرهن، ورواه الترمذي في البيوع من جامعه وقال: حسن صحيح، والنسائي في البيوع أيضاً، وابن ماجه في الأحكام **(الإهالة بكسر الهمزة)** وتخفيف الهاء واللام **(الشحم الذائب)** وفي المصباح: هي الودك المذاب، وفي التحفة: هي ما يؤتدم به من الأدهان كالألية. وهما قولان، ففي النهاية كل شيء من الأدهان يؤتدم به إهالة، وقيل هو ما أذيب من الألية والشحم وبهذا بدأ الحافظ في الفتح، وقيل هو الدسم الجامد. **«قلت»**: وعلى الأول والأخير فيشمل السمن ونحوه من الزبد **(والسنخة بالنون)** المكسورة، وقال الحافظ: ويقال فيها بالزاي بدل السين **(والخاء المعجمة، وهي المتغيرة)** أي: متغيرة الرائحة من طول المكث كما في تحفة القارىء. ففي الحديث كمال تواضعه ﷺ وزهده وتقلله من الدنيا مع قدرته عليها، وكرمه الذي أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه.

٥٠٥ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين)** بتقديم المهملة على الموحدة **(من أهل الصفة)** من فيه تبعيضية لما تقدم قريباً من أنهم يبلغون إلى أربعمائة (ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: شراء النبي ﷺ بالنسيئة، والرهن، باب: الرهن في الحضر، (٥/٩٩، ١٠٠).

(٢) لعله (ومناسبة). ع

Made searchable using ScribeTools.com

مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٥٠٦ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ،

منهم رجل عليه رداء) أي: لا رداء، وهو الساتر لأعلى البدن على أحد منهم، وإنما معهم ما يسترون به عورتهم **(إما)** بكسر الهمزة للتفصيل **(إزار وإما كساء)** وهو مبتدأ خبره محذوف أي: **ما لهم**[2] ذلك أو ذلك **(قد ربطوا)** بحذف العائد وهو المفعول به أي: ربطوه **(في أعناقهم)** وذلك للاستمساك فيدوم ستر العورة **(منها)** أي: الأزر والأكسية المدلول عليها بما ذكر **(ما يبلغ نصف الساقين)** أفرد المضاف إلى المثنى وهو جائز كتثنيته وجمعه كقطعت رأسي الكبشين وكحديث «كان شعره إلى أنصاف أذنيه» وقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾[3] وفي المصباح الساق من الأعضاء أنثى، وهي ما بين الركبة والقدم وتصغيرها سويقة ا هـ. **(ومنها ما يبلغ)** أي: يدرك **(الكعبين)** قال في المصباح: الكعب من الإنسان اختلف فيه أئمة اللغة. قال أبو عمرو بن العلاء والأصمعي: الناتىء عند ملتقى الساق والقدم فيكون لكل قدم كعبان عن يمينها وشمالها، وقد صرح بهذا الأزهري وجماعة. وقال ابن الأعرابي وغيره: الكعب هو المفصل بين الساق والقدم. وذهب الشيعة إلى أن الكعب في ظهر القدم، وأنكره أئمة اللغة كالأصمعي وغيره ا هـ. وظاهر أن المراد هنا[4] لا يختلف على قول أهل اللغة الستة المذكورين إذ المراد التقريب لا التحديد، فما أدرك الناتىء قارب إدراك المفصل وبالعكس، والأول أبلغ في الإعراض عن الدنيا اللائق بأحوالهم **(فيجمعه)** أي: الرجل أعاد الضمير أولاً مجموعاً في قوله: قد ربطوه باعتبار المعنى، إذ المراد من رجل العموم وإفراده هنا باعتبار لفظه أي: فيجمع ما ذكر من الإزار والكساء **(بيده كراهية)** بتخفيف التحتية وهو الكراهة بحذفها مصدراً كره الأمر يكرهه وهو مفعول له علة للجمع أي: استقباح **(أن ترى عورته)** من طرفي نحو الإزار لصغره **(رواه البخاري)** في الصلاة من صحيحه وقد سبق الحديث في الباب قبله.

٥٠٦ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ)** أي: الذي ينام عليه **(من أدم)** بفتح أوليه والدال مهملة جمع أديم الجلد المدبوغ **(حشوه)** أي: محشوه مصدر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أبواب المساجد، باب: نوم الرجال في المسجد(١/٤٤٧).

(٢) (ما) موصولة لا نافية. ع

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) في نسخة ما بدل لا

حَشْوُهُ لِيْفٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٥٠٧ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلَا خِفافٌ وَلَا قَلَانِسُ وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي

بمعنى المفعول **(ليف)** بكسر اللام وسكون التحتية، قال في الصحاح: الليف للنخل واحده ليفة **(رواه البخاري)**.

٥٠٧ ــ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً)** بضم أوليه جمع جالس **(مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار)** أي: وقت مجيء[٢] الرجل الأنصاري وتقدم أنها تحتمل المفاجأة بناء على قول أبي عبيدة: بإفادتها له **(فسلم عليه)** أي: على النبي ﷺ **(فقال رسول الله ﷺ: يا أخا الأنصار)** أي: يا واحداً من الأنصار في الكشاف في قوله تعالى: ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾[٣] قيل: أخوهم؛ لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم، ومنه بيت الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

(كيف أخي) فيه كمال تواضعه ومزيد فضله ﷺ إذا أطلق هذا اللفظ في حقه تشريفاً له، وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٤] **(سعد بن عبادة)** سيد الخزرج **(فقال صالح:)** خبر مبتدأ محذوف لدلالة السؤال عليه، ففيه استحباب مثله لمن سأل عن حال مريض من نفسه أو غيره، وفي الحديث «أن علياً رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ فقال: بخير أصبح بارئاً بحمد الله» وقوله صالح أي: للشفاء عند مجيء إبانها في العلم الأزلي وهو كناية عن مرضه، فلذا توجه لعيادته ﷺ **(فقال رسول الله ﷺ: من يعوده منكم)** فيه أن العيادة مطلوبة على الكفاية **(فقام وقمنا معه)** ظاهره قيام جميع حاضري المجلس معه ﷺ **(ونحن بضعة عشر)** البضعة بكسر الموحدة. ما بين العقدين من العدد **(ما علينا نعال)** بكسر النون جمع نعل أي: في أقدامنا **(ولا خفاف)** بكسر أوله أيضاً جمع خف بضمه قال في المصباح: الخف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (١١/٢٥٠).

(٢) هكذا في جميع النسخ ولعله مقدم من تأخير والأصل (فسلم) الرجل الأنصاري.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

تِلْكَ السِّباخِ حَتَّى جِئْناهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمَهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٥٠٨ ــ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُكُمْ

الملبوس جمعه خفاف ككتاب أي: بل كنا حفاة **(ولا قلانس)** هي كالقلاسي جمع قلنسوة بوزن فعنلوة بفتح وأوليه وسكون النون وضم اللام. وفي التهذيب للمصنف القلنسوة هي التي تلبس النون فيها زائدة، وهي معروفة وفيها لغتان ذكرهما الجوهري وغيره، قال الجوهري: هي القلنسوة والقلنسية إذا فتحت القاف ضمت السين وإن ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء، فإذا جمعت أو صغرت فأنت بالخيار في حذف الواو أو النون؛ لأنهما زائدتان، فإن شئت حذفت الواو فقلت: قلانس، وإن شئت حذفت النون قلت: قلاس، وإن جمعت القلنسوة بحذف الهاء قلت: قلنس والأصل قلنسو، إلا أن الواو رفضت؛ لأنه ليس في الأسماء أي: المعربة اسم آخره حرف علة قبله ضمة، فإذا أدى إلى ذلك قياس وجب رفضه وتبدل من الضمة كسرة فيصير آخر الاسم ياء مكسوراً ما قبلها فتحذف كهي في غاز ا هـ. ملخصاً **(ولا قمص)** بضمتين جمع قميص ويجمع على قمصان الثوب المعروف الملبوس على البدن وجملة النفي في محال الحال من المبتدأ على مذهب سيبويه، ويصح أن يكون خبراً بعد خبر كجملة **(نمشي في تلك السباخ)** بكسر المهملة وبالموحدة جمع سبخة بوزن تمرة، أما سبخة بوزن كلمة فجمعها سبخات ككلمة وكلمات، والأرض السبخة قال في النهاية: هي التي يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. وفي هذه الجملة دلالة على الاقتصار على قليل الملبوس والإعراض عما زاد على الضرورة. وظاهر العبارة أنه ﷺ حينئذ كان كذلك ليتأسوا به، ويقتدوا بهديه **(حتى جئناه)** غاية للمشي **(فاستأخر قومه)** الخزرج أو الأنصار **(من حوله حتى دنا)** أي: قرب منه **(رسول الله ﷺ وأصحابه الذين)** جاءوا **(معه)** إكراماً للوافد وإنزالاً للناس منازلهم وليتأنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلال الذي يحصل له من طول ملازمة من عنده إن كان **(رواه مسلم)** في الجنائز من صحيحه.

٥٠٨ ــ **(وعن عمران)** بكسر المهملة **(ابن حصين)** بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وسكون التحتية بعدها نون **(رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: خيركم)** أيها الأمة وحذف المصنف لفظ إن من أول الحديث وهي ثابتة عند مسلم **(قرني)** وفي لفظ آخر لهما «خير أمتي قرني» وفي لفظ آخر لمسلم «خير الناس قرني» وحديث الباب بمعناه كما قدرناه. قال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في عيادة المريض (الحديث: ١٣).

قَرْني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُم» قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَاً: «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤتَمَنُونَ، . . . . . .

السيوطي في التوشيح: القرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة. والأصح ألا يضبط بمدة فقرنه ﷺ هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة **(ثم الذين يلونهم)** أي: ثم قرن التابعين. وقرنهم من سنة مائة نحو سبعين **(ثم الذين يلونهم)** أي: من أتباع التابعين. وقرنهم من ثمة إلى حدود العشرين ومائتين، ومن هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا: بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن ا هـ. قال المصنف: والمراد تفضيل جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء ولا تفضيل أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى جملة القرن. حكي عن عياض عن المغيرة قال: قرنه أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم والثالث أبناء أبنائهم. وقال سهل[1] قرنه ما بقيت عين رأته، والثاني ما بقيت عين رأت من رآه ثم كذلك **(قال عمران)** هذامن كلام أحد الرواة عنه. ويحتمل على بعد أن يكون عبر عن نفسه باسمه كما هي طريق كثير من الأوائل **(فما أدري قال النبي ﷺ:)** ثم الذين يلونهم **(مرتين أو)** قالها: **(ثلاثاً)** وشرف القرن الرابع باعتبار من فيه من أئمة الإسلام الناصرين للحق الذابين عنه، المجاهدين في الله، الصابرين على ما أصابهم في سبيله، كالإمام أحمد بن حنبل وأضرابه **(ثم يكون بعدهم)** أي: أهل القرون المشهود لها بالأخيرية **(قوم يشهدون ولا يستشهدون)** قال المصنف في شرح مسلم: هذا غير مخالف لحديث «خير الشهود الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسأل عنها»؛ لأن ذاك محمول على دعاوي الحسبة أو على إعلام ذي الحق بأنك تشهد به وهو لا يعلم شهادتك به، وحديث الباب محمول على الشهادة الذي ألحق العالم بها عند الحاكم قيل: طلبها منه أو على شاهد الزور أو على من ينتصب شاهداً وليس هو من أهل الشهادة أو على من يشهد لقوم بالجنة أو النار من غير توقيف، وهذا ضعيف ا هـ. ملخصاً **(ويخونون ولا يؤتمنون)** قال المصنف في شرح مسلم: بعد أن أورده بلفظ يتمنون بتشديد الفوقية، «كذا في أكثر النسخ» يعني من مسلم، وفي بعضها يؤتمنون، ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة، بخلاف من خان بحقير مرة واحدة فإنه يصدق عليه أنه خان

---

١) في نسخة (مسهر) بدل (سهل). ع

Made searchable using ScribeTools.com

وَيَنْذُرونَ وَلَا يُوفون وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٠٩ ــ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابنَ ادَمَ: إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَا تَعُولُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، .....

فلا يخرج عن الأمانة في بعض المواطن ا هـ. «قلت»: ويصح أن يكون جملة النفي في محل الحال أي: أن طبعهم الخيانة مع عدم الائتمان لهم فليس لهم سوى وبال العزم عليها من غير ظفر بشيء، والله أعلم **(وينذرون)** بفتح الفوقية[٢] وضم الذال المعجمة وكسرها لغتان كما قال المصنف: **(ولا يوفون)** قال في شرح مسلم وفي رواية: ولا يفون وهما صحيحتان يقال: وفى وأوفى **(ويظهر فيهم السمن)** أي: كثرة اللحم أي: أنه يكثر ذلك فيهم، وليس الخلقي منه مذموماً بل المكتسب له بالتوسع في المأكل والمشرب وغيره زيادة على المعتاد، وقيل: المراد التكثر مما ليس لهم وادعاء ما ليس لهم من الشرف وغيره، وقيل: المراد جمعهم الأموال **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الشهادات وفضل الصحابة وغيرهما من صحيحه، ومسلم في الفضائل، ورواه النسائي في النذور.

٥٠٩ ــ **(وعن أبي أمامة)** بضم الهمزة وميمين خفيفتين بينهما ألف **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا بن آدم إنك إن)** بفتح الهمزة **(تبذل الفضل)** أي: بذلك الفضل منصوب بدل اشتمال من اسم أن، والفضل بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة ما فضل عما يحتاج إليه عادة **(خير لك)** ليبقى لك غلته، ويحتمل أن يكون مصدراً **(وإن تمسكه شر لك)**؛ لأنك ربما لا تؤدي الحقوق الواجبة، وقد يشتغل به القلب الذي هو بيت الرب ومحل نظره من العبد عن التوجه إليه **(ولا تلام)** بضم الفوقية مبني للمجهول أي: لا يلحقك لوم أي: عتب من الشرع **(على الكفاف)** بفتح أوليه أي: قدر الحاجة من طعام وشراب وملبس ومسكن وخادم احتاجه، قال القرطبي: وهو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات، وهذا أحسن الأحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى **(وابدأ)** في الإنفاق **(بما تعول)** أي: بحق الذي تعوله وتمونه من زوجة وأصل، أو فرع محتاج أو خادم فالعائد محذوف، أو بعائلتك فما موصولة أو مصدرية **(رواه الترمذي)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، وفضل الصحابة (٥/ ١٩٠، ١٩١).

وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين... (الحديث: ٢١٤).

(٢) كذا، والصواب (التحتية). ع

وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٥١٠ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّما حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِها» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. «سِرْبِهِ» بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَة أَيْ نَفْسِهِ وَقِيلَ قَوْمِهِ(٢).

في الزهد من جامعه (**وقال: حديث حسن صحيح**) وأخرجه مسلم في الزكاة من صحيحه وكان عزوه إليه أولى، وكأنه غاب عن الشيخ ولا عيب على الإنسان في النسيان.

٥١٠ ــ (**وعن عبيد الله**) بصيغة التصغير (**ابن محصن**) بكسر الميم وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية آخره نون (**الأنصاري**) رأى (**رضي الله عنه**) النبي ﷺ. قال في أسد الغابة بعد أن أورد حديث الباب: وقال أبو عمرو يعني ابن عبد البر: منهم من جعل حديثه مرسلاً، والأكثر يصحح صحبته فيجعل حديثه مسنداً، وروى عنه أبو سلمة(٣) أيضاً ا هـ. (**قال: قال رسول الله** ﷺ: **من أصبح منكم**) الخطاب للحاضرين بمجلسه ﷺ، وحكمه ﷺ على الواحد حكمه على الجماعة (**آمناً**) من عدوه (**في سربه**) على نفسه وبضعه وأهله وماله (**معافى في جسده**) من الأمراض؛ لأن معها لا سيما الشديد منها يذهل عن نظر المرء في حسن حاله وما أنعم المولى به عليه من أمن وسعة (**عنده قوت يومه**) من طعام وشراب وسائر ما يحتاج إليه من أدوية ونحوها (**فكأنما حيزت**) بكسر المهملة وسكون التحتية بعدها زاي أي: ضمت وجمعت (**له الدنيا**) وفي رواية زيادة «بحذافيرها» أي: بجوانبها أي: فكأنما أعطي الدنيا بأسرها (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن**) ورواه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه (**سربه بكسر السين المهملة**) وسكون الراء وبالموحدة المجرورة على الحكاية (**نفسه**) قاله في النهاية وقال ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق، يقال: خل له سربه أي: طريقه «قلت»: وعليه فيكون مجازاً عن الأمن أيضاً فيرجع إلى الأول (**وقيل قومه**) **قلت**: كأن قائله أخذه من قول اللغويين السرب أي: بكسر أوله الجماعة من النساء والبقر والشاة والقطاة والوحش كذا في المصباح، فجرد السرب عن قيد النساء إلخ وأراد به مطلق جماعته وقومه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٣٢(الحديث: ٢٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ٣٤(الحديث: ٢٣٤٦).

(٣) في نسخة ابن مسلمة. ع

Made searchable using ScribeTools.com

٥١١ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٥١٢ ــ وَعَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلإِسْلام، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً وَقُنِّعَ» رَوَاهُ

---

٥١١ ــ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بفتح المهملة **(ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح)** أي: فاز بالفلاح وهو الفوز والبقاء والظفر **(من أسلم)** بدأ به؛ لأنه الأساس في الاعتدال بقبول صالح الأعمال، والمراد الإسلام الصحيح المخلص فيه؛ لأنه الكامل فينصرف المطلق إليه **(وكان رزقه كفافاً)** أي: بقدر الحاجة لا يفضل عنه، قال المصنف: هي الكفاية من غير زيادة ولا نقص، وفيه شاهد لتفضيل الكفاف على كل من الفقر والغنى **(وقنعه الله)** أي: صيره قانعاً، ولعل التضعيف إيماء إلى بعد هذا الوصف عن طبع الإنسان فكأن محاول إزالتها يحتاج إلى مبالغة في ذلك؛ لأن الطبع البشري مائل إلى الاستكثار من الدنيا والحرص عليها إلا من عصم الله، وقليل ما هم أي: وجعله الله يخفي أوصافه، قانعاً **(بما آتاه)** بالمد أي: أعطاه من الكفاف. قال القرطبي: معنى الحديث إن من حصل له ذلك فقد حصل على مطلوبه وظفر بمرغوبه في الدارين **(رواه مسلم)** قال في الجامع الصغير: ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

٥١٢ ــ **(وعن أبي محمد فضالة)** بفتح الفاء وبالضاد المعجمة **(ابن عبيد)** بصيغة التصغير ابن ناقذ بالمعجمة ابن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبا بجيمين مفتوحتين بينهما حاء ساكنة وبباء موحدة ابن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس **(الأنصاري)** العمري **(رضي الله عنه)** قال المصنف في التهذيب أول مشاهده أحد شهدها وما بعدها من المشاهد ومنها بيعة الرضوان، وشهد فتح مصر وسكن دمشق وولي قضاءها لمعاوية وأمره على غزو الروم في البحر، روي له عن رسول الله ﷺ خمسون حديثاً، روى له مسلم منها حديثين، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير سنة ثلاث وخمسين وقيل: تسع وستين. والصحيح الأول، فقد نقلوا أن معاوية حمل نعشه وقال لابنه: أعني يا بني فإنك لا تحمل بعده مثله، وتوفي معاوية سنة ستين **(أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: طوبى)** قال في المصباح قيل: من الطيب، والمعنى العيش الطيب. وقيل: الحسن. وقيل: الخير وأصلها طيبي فقلبت الياء واواً لمجانسة الضمة. وفي كتاب الجهاد من صحيح البخاري طوبى فعلى من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: في الكفاف والقناعة (الحديث: ١٢٥).

التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ(١).

٥١٣ ــ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيْتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرَ خُبْزِهِمْ خُبْزُ الشَّعِيرِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٢).

٥١٤ ــ وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ

كل شيء طيب، وهي ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب ا هـ. **(لمن هدى)** أي: أوصل **(للإسلام)** فعدى باللام لتضمنه معنى أوصل. قال تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾(٣) أي: يوصله للدخول في جملة أهله **(وكان عيشه كفافاً وقنع)** الأقرب أنه بالبناء للمفعول من باب التفعيل كما يدل عليه ما قبله، ويحتمل أن يكون بتخفيف النون مفتوحة، والجملتان الأقرب كونهما معطوفتين على جملة الصلة، ويجوز كونهما في محل الحال من نائب فاعل هدي **(رواه الترمذي وقال: حديث صحيح)** قال في الجامع الصغير ورواه ابن حبان والحاكم في مستدركه.

٥١٣ ــ **(وعن ابن عباس رضي الله عنه عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة)** أي: التابع بعضها بعضاً مع الاتصال **(طاوياً)** هذا مقصود الإخبار. قال في النهاية يقال: طوى من الجوع يطوي طوي فهو طاوي أي: خالي البطن لم يأكل **(وأهله)** بالرفع عطف على الضمير المستكن في يبيت للفصل بينهما بالظرف، ويجوز أن يقرأ بالنصب على أن الواو واو المصاحبة أي: مع من يقوم بنفقتهم، وقوله: **(لا يجدون عشاء)** بفتح العين وبالمد قال في المصباح: اسم للطعام الذي يتعشى به الإنسان وقت العشاء أي: بكسر العين ا هـ. وفي كتاب الصيام من كتب الفقه العشاء اسم لما يؤكل بعد الزوال أي: في وقت العشي جملة مستأنفة لبيان حالهم المقتضي لطواهم **(وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)** أي: وهو أقل في كلفة التحصيل من البر وغيره من نفائس الأقوات، والجملة محتملة العطف على ما قبلها ولكونها حالية بإضمار قد **(رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)** ورواه أحمد وابن ماجه كما في الجامع الصغير.

٥١٤ ــ **(وعن فضالة بن عبيد)** أي: الأنصاري **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه (الحديث: ٢٣٤٩).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله (الحديث: ٢٣٦٠).
(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

Made searchable using ScribeTools.com

يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ـ حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ: هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ

صلى بالناس) أي: وقت صلاته بهم، وهو مضمن معنى الشرط ولا يجزم إلا في الشعر، جوابه **(يخر)** بكسر الخاء المعجمة أي: يسقط **(رجال من)** ابتدائية أي: سقوط مبتدأ من **(قامتهم في الصلاة من)** تعليلية **(الخصاصة)** بفتح الخاء المعجمة وبالمهملتين الخفيفتين بينهما ألف **(وهم أصحاب الصفة)** جملة حالية من فاعل يخر لتخصيصه بالوصف **(حتى)** غاية لمحذوف أي: فتعجب من خرورهم من لم يعلم سببه إلى أن **(يقول الأعراب)** أي: من حضره ﷺ حينئذ من سكان البوادي **(هؤلاء مجانين)** يحتمل كون الجملة خبرية كما هو الظاهر، ويحتمل أنها استفهامية على تقدير الهمزة، وعلى كل فهي منصوبة المحل على الحكاية وذلك أنهم توهموا أن ذلك الخرور صادر عنهم اختيار لا عن سبب يقتضيه، وذلك بحضرة الجمع شأن المجانين، فلذا حكموا عليهم به أو سألوهم كذلك **(فإذا صلى رسول الله ﷺ)** أي: الصلاة بإتمامها بسلامه منها وانصرف عنها **(انصرف إليهم)** أي: متوجهاً إليهم **(فقال)** عقب وصوله إليهم؛ لأنه الحامل له على قصدهم **(لو تعلمون ما لكم عند الله)** أي: ما أعده لكم مما لم تسمعه أذن ولم يره بصر، وفيه شهادة لهم بمكانتهم عند المولى سبحانه لصدق إيمانهم وحسن مجاهدتهم وكمال وجهتهم **(لأحببتم أن تزدادوا فاقة)** أي: حاجة، فعطف قوله: **(وحاجة)** عليها من عطف الرديف وحبهم ذلك ليصبروا على الابتلاء بها فيكثر ما يؤجرون عليه من ذلك، فإن الجزاء على حسب المجازي عليه قلة وكثرة، أو؛ لأنهم استعذبوا جميع ما يرد عليهم من الحق سبحانه لكمال عرفانهم، فنظروا إلى النعم من حيث صدورها من الرحيم لا من حيث ذاتها فأعجبوا بها على أي أمر تجلت وعلى أي مذاق، وما أحسن قول القائل:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحاً

وقلت في هذا المعنى:

يا طالب التحقيق والعرفان ... لا تنظرن لحوادث الأزمان

فتضيق منها وانظرن لمن بدت ... منه إليك فهو العلي الشان

(رواه الترمذي) في الزهد من جامعه **(وقال: حديث صحيح. الخصاصة الفاقة**

صَحِيحٌ. «الْخَصَاصَة» الفَاقَةُ وَالْجُوعُ الشَّدِيدُ(١).

٥١٥ ــ وَعَنْ أَبِي كَرِيمَةَ الْمِقْدَادِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أَكَلاَتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، .....

والجوع الشديد) قال في النهاية: وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء.

٥١٥ ــ **(وعن أبي كريمة)** بفتح الكاف وكسر الراء **(المقداد)** بكسر الميم وسكون القاف ومهملتين بينهما ألف **(ابن معد يكرب)** بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وفتح الكاف وكسر الراء، تقدمت ترجمت رضي الله عنه في باب فضل الحب في الله **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ آدمي)** نسبة إلى آدم أبي البشر عليه السلام أي: إنسان **(وعاء شراً من بطنه)** قال الطيبي: نقله عن ابن أقبرس، جعل البطن وعاء كالأوعية المتخذة ظروفاً لحوائج البيت توهيناً لشأنه، ثم جعله شر الأوعية؛ لأنها تستعمل فيما هي له، والبطن خلق؛ لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد دينا أو دنيا فيكون شراً منها. فإن قلت: شراً أفعل تفضيل وهو ما اشتق من فعل الموصوف بزيادة على غيره فما وجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه «قلت»: ملء الأوعية لا يخلو من طمع أو حرص على الدنيا وكلاهما شر على الفاعل **(بحسب ابن آدم)** أي: كافيه فالباء مزيدة في المبتدأ **(أكلات)** بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة أي: كافية ذلك في سد الرمق، ولذا قال: **(يقمن صلبه)** والجملة في محل الصفة لأكلات، ويصح كونها مستأنفة لبيان سبب كفاية ذلك **(فإن كان لا محالة)** في الصحاح قولهم لا محالة أي: بفتح الميم أي: لا بد يقال: الموت آت لا محالة ا هـ. أي: **فإن** كان لا بد من الكثرة على ذلك فليكن أثلاثاً **(فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)** قال ابن أقبرس: أي: يبقي من ملئه مقدار الثلث ليكون متمكناً من النفس. ورأيت في بعض كتب الطب أن كسرى سأل طبيباً: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: إدخال الطعام على الطعام، فذاك الذي أفنى البرية وقتل سبع البرية، فسأله عن الحمية، فقال: الاقتصاد في كل شيء، فإذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح ا هـ. **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)** وأخرجه النسائي من طريق الترمذي ومن طريق أخرى، وأخرجه القاضي عياض في الشفاء من طريق أبي نعيم الحافظ والبزار، وفي الجامع الصغير،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (الحديث: ٢٣٦٨).

Made searchable using ScribeTools.com

«أَكَلاتٍ» أَيْ لُقَمٌ[1].

٥١٦ ـ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْماً عِنْدَهُ الدُّنْيا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ؟

وأخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك **(أكلات أي: لقم)** بضم ففتح جمع لقمة وهذا يقتضي فتح أولى أكلات والأنسب لقمات؛ لأن جمع السلامة من جموع القلة، فلذا قال التلمساني في حواشي الشفاء: فيه إيماء إلى أنه لا يصل بها العشرة، ولعل المصنف وضع جمع الكثرة موضع ضده مجازاً كقوله تعالى: ﴿ثلاثة قروء﴾[2].

٥١٦ ـ **(وعن أبي أمامة)** بضم الهمزة وميمين خفيفتين بينهما ألف **(إياس)** بكسر الهمزة والتحتية المخففة آخره مهملة. قال في الإصابة: هذا اسمه عند الأكثر، وقيل: اسمه عبد الله وبه جزم أحمد بن حنبل، وقيل: ثعلبة بن سهل، وقيل: أبو عبد الرحمن. قال أبو عمر واسمه إياس ولا يصح غيره **(ابن ثعلبة)** بالمثلثة المفتوحة والمهملة الساكنة بعدها لام فموحدة مفتوحتين فهاء **(الأنصاري الحارثي)** بالمهملة آخره مثلثة لنسبة للحارث بن الخزرج أحد أجداده، وقيل: إنه بلوى حليف بني حارثة وهو ابن أخت أبي بردة بن دينار **(رضي الله عنه)** وتوفي منصرف النبي ﷺ من أحد فصلى عليه. قال في أسد الغابة: رواية من روى عنه مرسلة؛ لأنه لم يدرك النبي ﷺ، وكذا رواية محمود بن الربيع عنه فإنه ولد قبل وفاة إياس على القول إنه قتل يوم أحد، والصحيح أنه لم يتوف حينئذٍ إنما كانت وفاة أمه عند منصرف النبي ﷺ من بدر، فرده ﷺ من أجلها، فرجع فوجدها ماتت فصلى عليها ولم يشهد بدراً لذلك. ومما يقوي أنه لم يقتل بأحد أن مسلماً روى في صحيحه بإسناده عن عبد الله بن كعب عن أبي أمامة بن ثعلبة «من اقتطع حق مسلم بيمينه» الحديث، فلو كان منقطعاً ولم يسمع أبي بن كعب منه لما أخرجه مسلم في الصحيح اهـ. روي له عن رسول الله ﷺ أحاديث ذكر منها المزي في الأطراف حديثين: حديث مسلم وحديث الباب. وقال في الإصابة: روي له عن النبي ﷺ أحاديث منها عند مسلم وأصحاب السنن انفرد به مسلم عن البخاري، فخرج له الحديث المار في كلام أسد الغابة وهو عند النسائي وابن ماجه **(قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده)** أي: النبي ﷺ بقرينة إفراد الضمير وإن كان خلاف الغالب **(الدنيا)** أي: زينتها والترفع فيها بالملبس وغيره **(فقال رسول الله ﷺ: ألا)** بالتخفيف أداة عرض، وأتي بها تحريضاً على الاستماع لما بعدها والإصغاء إليه **(تسمعون ألا**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل (الحديث: ٢٣٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ» يَعْنِي التَّقَحُّلَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. «الْبَذَاذَةَ» بِالبَاءِ المُوحَّدَةِ والذَّالَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ، وَهِيَ رَثَاثَةُ الْهَيْئَةِ وَتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ .....

تسمعون) قال ابن رسلان في شرح السنن: في الكلام أنواع من التأكيدات، إلا الدالة على العرض والتحضيض على الاستماع والتأكيد بتكرير الكلمة والتصريح بالإصغاء بالإسماع سماع فهم وانتفاع، مع أنه ﷺ عالم بأنهم يستمعون لما يقوله ويبادرون إلى امتثاله، لكن يكون أبلغ في الموعظة والإتيان بلفظ (**إن**) التي للتأكيد وهي عوض إعادة الكلام مرتين (**البذاذة من**) كمال (**الإيمان**) الراسخ في القلب، قال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم أي: جلد. وعوتب علي رضي الله عنه في إزار مرقوع فقال: يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب. قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب، وإنما كانت البذاذة من الإيمان لما تؤدي إليه من كسر النفس والتواضع، ولكن ليس ذلك عند كل أحد بل يورث عند بعض الناس من الكبر ما يورثه لبس نفيس الثياب عند آخرين، وبالجملة فالمحبوب التوسط في الثياب كما سيأتي بسطه في كتاب اللباس (**أن البذاذة من الإيمان**) وفي بعض نسخ أبي داود تكراره ثلاثاً، ولا ينافي حديث الباب وما في معناه، وإيثاره ﷺ بذاذة الهيئة ورثاثة المنظر وتبعه عليه السلف الصالح ما اختاره جمع أئمة من متأخري الصوفية وغيرهم؛ لأن السلف لما رأوا أهل الهوى يتفاخرون بالزينة والملابس أظهروا لهم برثاثة ملابسهم حقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون، والآن قد قست القلوب ونسي ذلك المعنى، فأخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا، فانعكس الأمر وصار مخالفتهم في ذلك تبعاً للسلف، ومن ثم قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلي لذي رثاثة أنكر عليه جمال هيئته: يا هذا هيئتي هذه تقول: الحمد لله، وهيئتكم هذه تقول: أعطوني من دنياكم (**يعني التقحل**) هذا قول أبي داود تفسير للبذاذة كما صرح به شارح سنن أبي داود بن رسلان فقال: قال المصنف: البذاذة يعني التقحل بفتح التاء والقاف وبالحاء المهملة المشددة. (**رواه أبو داود**) في الترجل من سننه، ورواه ابن ماجه في الزهد (**البذاذة بالباء الموحدة**) المفتوحة (**والذالين المعجمتين**) الخفيفتين (**وهي رثاثة**) بالراء والمثنتين الخفيفات مصدر رث الشيء أي: خلق، قال في النهاية: وأصل اللفظة من الرث وهو الثوب الخلق ا هـ. والمراد منه في عبارته ضد الجيد من (**الهيئة وترك فاخر الثياب**) أي: تواضعاً في اللباس، يقال: فلان بذ الهيئة وباذها أي: رث اللبسة، والمراد التواضع في اللباس وترك التبجح به. قال هارون الرشيد: سألت معناً

Made searchable using ScribeTools.com

وَأَمَّا «التَّقَحُّلُ» فَبِالقَافِ وَالحَاء، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: المتَقَحِّلُ هُوَ الرَّجُلُ الْيَابِسُ الْجِلْدِ مِنْ خُشُونَةِ العَيْشِ وَتَرْكِ التَّرفُّهِ[1].

٥١٧ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقِيْلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ

عن البذاذة فقال: هو الدون من اللباس **(وأما التقحل فبالقاف والحاء)** أي: المهملة كما تقدم **(قال أهل اللغة: المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه)** أي: التنعم لسوء الحال، قال ابن رسلان: يقال: قد قحل الرجل قحلاً: إذا التزق جلده بعظمه من الهزال.

٥١٧ ـ **(وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ)** في سنة ثمان **(وأمر)** بتشديد الميم أي: جعل أميراً **(علينا أبا عبيدة)** بن الجراح أحد العشرة **(رضي الله عنه)** وفيه تأمير أهل الفضل وقد اتفقت روايات الصحيحين على تأميره في تلك السرية، فهو المحفوظ، وفي رواية: إن أميرها قيس بن سعد بن عبادة حملت علي أن أحد رواتها ظن من ذبح قيس النياق للجيش تأميره فصرح به وليس كذلك **(نتلقى عيراً لقريش)** جملة مستأنفة لبيان سبب البعث، والعير بكسر العين المهملة: القافلة التي تحمل البر والطعام، ثم صريح هذه الرواية ما ذكر من تلقي العير، لكن عند ابن سعد أنه ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة وأن ذلك كان في شهر رجب. ويمكن الجمع بين كونهم يتلقون عير قريش ويقصدون الحي من جهينة، ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم أيضاً عن جابر قال: بعث النبي ﷺ بعثاً إلى أرض جهينة فذكر القصة الذي يتلقى[2] عير قريش لا يتصور أن يكون في الشهر الذي ذكر ابن سعد أي: رجب من سنة ثمان؛ لأنهم حينئذ كانوا في الهدنة، إلا أن كانت تلقيهم العير لحفظها من جهينة، ولذا لم يقع في الحديث أنهم قاتلوا أحداً، بل فيه أنهم أقاموا شهراً أو أكثر في مكان واحد **(وزودنا جراباً)** أي: ملأه **(من تمر)** بفتح الفوقية، وقوله: **(لم يجد لنا غيره)** استئناف لبيان سبب الاقتصار على ذلك القليل في ذلك العدد الكثير **(فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة)** هذا من باب قولهم: ركب القوم دوابهم أي: لكل

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الترجل [باب: ١]، (الحديث: ٤١٦١).

(٢) قوله (الذي يتلقى الخ) لعله (لكن تلقى الخ). ع

بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ .....

واحد تمرة، وهذا باعتبار آخر فعل أبي عبيدة، وإلا ففي البخاري: فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة، وكذا قال المصنف في شرح مسلم: الظاهر أن قوله: قسم تمرة تمرة. إنما كان بعد أن قسم قبضة قبضة فلما قل تمرهم قسم تمرة تمرة والجراب هو الذي زودهم به ﷺ وكانت عندهم أزوادهم من تمر لأنفسهم كما يدل عليه قوله في رواية للبخاري ومسلم: فكنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودي تمراً. قال في الفتح: وقول عياض: يحتمل أنه لم يكن في أزوادهم تمر غير الجراب المذكور مردود بما ذكر **(فقيل)** يحتمل أن يكون القائل وهب بن كيسان الراوي عن جابر. فإن في رواية البخاري في المغازي التصريح بأنه سأل جابراً ما يغني عنكم تمرة؟ فقال: قد وجدنا فقدها حين فقدت فلعله سأل فقال: **(كيف كنتم تصنعون؟)** قال البيضاوي في التفسير: تصنعون أبلغ من تعملون، من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتردد وترو وتحر وإجادة **(بها قال: تمصها)** لم يصدر قال بفاء ولا واو، بل أتى بها مستأنفاً؛ لأن مراده الإخبار عن قوله ذلك مع قطع النظر عن كونه أخبر حالاً أو بعد **(كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء)** أي: بعض الماء **(فتكفينا يومنا إلى الليل)** ففيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش، وفيه كرامة له ﷺ حيث كفى الواحد منهم نهاره تمرة واحدة لكونها حلت عليها بركته، وفيه أن توقف الشبع على الأكل ليس على جهة اللزوم وإنما ذلك فعل الله يفعله عقبه تارة ومن غيره أخرى كما قال ﷺ: إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني أي: يجعل فيّ قوة الطاعم والشارب على أحد الأقوال، ومنه قوله: ﴿أطعمهم من جوع﴾[1] على القول بأن من تبعيضية والله أعلم. وفني التمر كما في رواية أخرى لهما فلم يصلهم ولا تمرة تمرة فوجدوا فقدها كما تقدم عن جابر فعنده ضربوا الشجر كما قال: **(وكنا نضرب بعصينا)** بكسر أوله اتباعاً لكسر ثانيه وتشديد التحتية ويجوز ضم أوله **(الخبط ثم نبله بالماء)** هذا يدل على أنه كان يابساً بخلاف ما جزم به الداودي أنه كان أخضر رطباً قاله في الفتح. قلت: ولعل الماء كان لإذهاب خشونته ولإساغته فلا يخالف ما قاله الداودي **(فنأكله فانطلقنا على ساحل)** بالمهملتين أي: شاطىء **(البحر فرفع)** بالبناء للمجهول **(لنا على ساحل البحر كهيئة**

---

(١) سورة قريش، الاية: ٤.

Made searchable using ScribeTools.com

الْكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْراً وَنَحْنُ ثَلَاثُمائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنا نَغْتَرِفُ مِنْ

الكثيب) بالمثلثة والتحتية والموحدة بوزن قريب: الرمل المستطيل المحدودب وأحد الظروف نائب الفاعل والظرفان حالان متداخلان أو مترادفان منه **(الضخم)** بفتح المعجمة الأولى وسكون الثانية بمعنى العظيم **(فأتيناه)** أي: المرفوع لنا **(فإذا هي)** أي: المرفوع لنا والتأنيث رعاية لقوله: **(دابة تدعى)** بالبناء للمجهول **(العنبر)** بفتح أوله وثالثه الباء الموحدة وسكون ثانيه النون المزيدة ويجوز إبداله وإدغامه في الثالث. قال في فتح الباري: قال أهل اللغة: هي سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلدها الترسة، يقال: إن العرف المشموم رجيع هذه الدابة. قال ابن سينا: بل المشموم يخرج، وإنما يوجد في أجواف السمك الذي يبتلعه. ونقل الماوردي عن الشافعي قال: سمعت من يقول: رأيت **العنبر** نابتاً في البحر ملتوياً مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج **العنبر** من بطنها وقال الأزهري: العنبر سمكة تكون بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسون ذراعاً يقال لها: باله، وليست بعربية. اهـ. **(فقال أبو عبيدة)** هي **(ميتة)** أي: وإن كانت ميتة للضرورة، والميتة محرمة بنص الكتاب **(ثم)** تغير اجتهاده وأرشد للصواب فـ**(قال لا)** أي: لا يحرم تناولها وإن كانت ميتة للضرورة فالمنفي ما دل عليه كلامه السابق من تحريم تناولها وحذف لدلالة المقام عليه **(بل)** إضراب عما ظنه أولاً **(نحن رسل)** بضمتين ويجوز إسكان ثانيه تخفيفاً **(رسول الله ﷺ وفي سبيل الله)** أي: ونحن في طاعة الله وفي جهاد أعدائه وأعداء نبيه ﷺ، ففيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1] ولي في هذا المعنى بديهاً:

اتق الله سائر الأزمان ... لا تخف مني طوارق الحدثان
يرزق الله متقيه ويكفـ ... ـيه فهذا قد جاء في القرآن

(وقد اضطررتم) جملة مستأنفة ويحتمل أن تكون حالية، وعدل عن التكلم إليه تفنناً في التعبير وتحصيلاً للالتفات المورث في الكلام طراوة وحسناً ونضارة **(فكلوا)** الفاء فيه للتفريع **(فأقمنا)** المعطوف عليه محذوف أي: فأكلنا فأقمنا **(عليه شهراً)** وفي رواية

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

وَقْبِ عَيْنِـهِ بِالقِـلالِ الدُّهْنَ، وَنَقْـطَـعُ مِنْهُ الْفِـدَرَ كَالثَّـوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّـوْرِ، وَلَقَدْ أَخَـذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَأَقْعَدهُمْ في وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِـهِ فَأَقَـامَها ثُمَّ رَحَلَ أَعْضَمُ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا، .....

الصحيحين فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة، وفي رواية لهما: فأكلنا منه نصف شهر. قال في فتح الباري: ويجمع بأن الذي قال: ثماني عشرة ضبط ما لم يضبطه، غيره ومن قال: نصف شهر ألغى الكسر الزائد عليه وهو ثلاثة أيام، ومن قال: شهراً جبر الكسر وضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم، ورجح المصنف رواية الباب لما فيها من الزيادة، وجمع القاضي بأن من قال: نصف شهر أراد أكلوا منه تلك المدة. ومن قال: شهراً أراد قد زودوه فأكلوا منه باقي الشهر وقال ابن التين: إحدى الروايتين وهم. قال الحافظ: ولعل الـذي سلكته من الجمع أولى. ووقع عند الحاكم اثني عشر وهي شاذة، وأشذ منها رواية فأقمنا قبلها ثلاثاً **(ونحن ثلاثمائة)** جملة حالية من فاعل أقمنا **(حتى)** غاية للإقامة عليها أي: فأكلنا منها إلى أن **(سمنا)** يحتمل أكلهم منه زيادة على الحاجة حتى نشأ عنه السمن، أنهم يرون حل ذلك من الميتة عند الضرورة إلى التناول منها، ويحتمل أنه تغير اجتهادهم بعد فرأوا حل ميتة البحر والله أعلم **(ولقد رأيتنا نغترف)** أتي به من باب الافتعال الدال على المبالغة إيماء إلى الكثرة **(من وقب عينه)** بالإفراد **(بالقلال)** بكسر القاف وتخفيف اللام جمع قلة بضم القاف وتشديد اللام **(الدهن، ونقطع)** بتخفيف الطاء المهملة كذا في النسخ، والتضعيف فيه أنسب بالافتعال فيما قبله **(القدر كالثور)** بالمثلثة: ذكر البقر **(أو)** شك من الراوي **(كقدر الثور)** والجملة جواب القسم المقدر وهو وجوابه مستأنف عطف عليه قوله: **(ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه)** وعطف عليه أو على المعطوف عليه قوله **(وأخذ ضلعاً)** بكسر الضاد المعجمة، قال في المصباح: أما اللام فتفتح في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم وهي أنثى ا هـ. **(من أضلاعـه فأقامها)** أي: منصوبة **(ثم رحل أعظم بعير معنا)** بتخفيف الحاء المهملة أي: جعل عليه الرحل **(فمر من تحتها)** جاء في رواية عبادة بن الصامت عند ابن إسحاق: ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مسك رأسه. قال الحافظ في الفتح: ولم أقف على اسم هذا الرجل وأظنه قيس بن سعد بن عبادة فإن له ذكراً في هذه الغزوة، وكان مشهوراً بالطول، وقصته في ذلك مع معاوية لما أرسل إليه ملك الروم بالسراويل معروفة، ذكرها المعافى الحريري في الجليس وأبو الفرج الأصبهاني وغيرهما. ومحصلها أن أطول رجل من الروم نزع له قيس بن سعد سراويله، فكان طول قامة الرومي بحيث كان طرفها على أنفه وطرفها على الأرض،

Made searchable using ScribeTools.com

وَتَزَوَّدْنَا مِن لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟» فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْجِرَابُ»: وِعَاءٌ مِن جِلْدٍ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بِكَسْرِ الجِيمِ وَفَتْحِهَا وَالكَسْرُ أَفْصَحُ. قَوْلُهُ «نَمَصُّهَا» بِفَتْحِ

وعوتب قيس على نزع سراويله في المجلس فأنشد:

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وألا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عاد الأولى وثمود[1]

(وتزودنا من لحمه وشائق) معطوف على ما قبله ويحتمل أن يكون مستأنفاً، إذ لا حاجة لتأكيد مثله بالقسم؛ لأن ما ثبت عظمه من الحيوان بما ذكر قبله لا يستبعد تزود ذلك منه **(فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال:)** مبيناً لحكمه وحكمة عثورهم عليه **(هو رزق)** في الأصل مصدر والمراد به اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿هذا خلق الله﴾[2] أي: مخلوقه **(أخرجه الله لكم)** وزاد في تطمين قلوبهم في حله ونفي الشك في إباحته؛ لأنه ارتضاه لنفسه، قوله: **(فهل معكم من لحمه شيء)** ويجوز أن يكون قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله بها أشار إليه المصنف، ومن للتبعيض وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف هو الخبر وتقديمه مع وجود المسوغ للإبتداء بشيء وهو تقدم الاستفهام للاهتمام، والظرف قبله في محل الحال وكان في الأصل صفة شيء قدم عليه فصار إلى ما ذكرنا كقوله: لمية موحشاً طلل. وقوله: **(فتطعمونا)** جواب الاستفهام **(فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله)** أي: عقب وصوله بلا تراخ كما تؤذن به الباء وذلك لما تقدم في قوله: فهل معكم إلخ **(رواه مسلم)** أي: بهذا اللفظ في الأطعمة من صحيحه، وإلا فحديث جابر في هذه السرية قد رواه البخاري في الشركة وفي الجهاد وفي المغازي من صحيحه، ولعل ما ذكرنا سبب الاقتصار على العزو لمسلم، أو غاب عن الشيخ حينئذ تحريج البخاري له ولا عيب في مثله، ورواه الترمذي في الزهد وقال: حسن صحيح، والنسائي في الصيد وفي السير، وابن ماجه في الزهد كذا يؤخذ من الأطراف ملخصاً. **(الجراب وعاء)** بكسر الواو والعين المهملة المخففة بعدها ألف ممدودة **(من جلد)** أما من غيره فلا يسمى بذلك **(معروف وهو بكسر الجيم)** وجمعه جرب ككتاب وكتب وسمع أجربة

---

(١) كذا، والشطر غير متزن إلا بحذف واو (الأولى). ع
(٢) سورة لقمان، الآية: ١١.

المِيمِ. و«الْخَبَطُ»: وَرَقُ شَجَرٍ مَعْروفٍ تَـأْكُلُهُ الإِبـلُ و«الْكَثِيبُ»: التَّـلُّ مِن الـرَّمْـلِ. و«الْوَقْبُ» بِفَتْحِ الوَاوِ وَإِسْكَانِ القَافِ وَبَعْدَها بَاءٌ مُوحدَةٌ وَهُوَ: نُقْرَةُ الْعَيْنِ. وَ«الْقِلَالُ»: الْجِرارُ. و«الْفِدَرُ» بِكَسْرِ الفَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ: الْقِـطَـعُ. .....

كذا في المصباح **(وفتحها والكسر[1] أفصح)** وكذا قال في شرح مسلم: ولم يبن قائل كل من القولين، وقد بينه القاضي عياض فقال: الجراب وعاء من جلد كالمزود ونحوه وهو بكسر الجيم، وكذا قيده الخليل وغيره، وقال القزاز بفتح الجيم، ومثله في المطالع لابن قرقول، لكن في الصحاح الجراب أي: بكسر الجيم معروف، والعامة تفتحه، وفي المصباح: ولا يقال جراب بالفتح، قاله ابن السكيت وغيره **(وقوله: يمصها بفتح الميم)** وفتح التحتية[2] قبلها، وسكت المصنف عنه، لأنه معلوم وتشديد الصاد المهملة، ويجوز ضم الميم كما في شرح مسلم قال: والفتح أفصح وأشهر، لكن في المشارق والمطالع تعين فتح الصاد من قوله: «امصص بظر اللات» وأنه من باب علم، وحينئذ فهذا يعين الفتح كما اقتصر عليه المصنف هنا والله أعلم **(والخبط)** بفتح أوليه المعجمة والموحدة وبـالمهملة **(ورق شجر معروف تأكله الإبل)** عبارة لنهاية الخبط أي: بسكون الموحدة ضرب الشجر بالعصي ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خبط فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل، اهـ. ومثلها في المصباح، وحينئذ فما ذكره المصنف بيان للمراد في الحديث، وأن هذا النوع الخاص سمي وحده بهذا الاسم كما يطلق على كل ما تساقط من الورق بالخبط **(والكثيب)** بضبطه السابق في الشرح **(التل)** بفتح الفوقية وجمعه تلال وهو المرتفع أي: الـرابية **(من الـرمل)** قـال المصباح: سمي به لاجتماعه، وفي فتح الباري الكثيب: الرمل المستطيـل المحدودب **(والوقب بفتح الواو وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهي نقرة العين)** النقرة بضم النون حفرة غير كبيرة، والمراد المجوف من عظم الرأس لمحل العين **(والقلال)** بكسر القاف: جمع قلة، بضمها وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديـه كذا في شـرح مسلم، وحينئذ فكان على الشيخ أن يزيد على قوله: **(الجرار)** بكسر الجيم وتخفيف الراءين قوله: الكبار، وسميت القلة بذلك؛ لأن الرجل العظيم يقلهـا أي: يرفعهـا من الأرض **(والفدر بكسر الفاء وفتح الدال: القطع)** هذا أحد قولين: حكاهما في شرح مسلم وقال إنهما وجهان مشهوران في نسخ بلادنا أي: من صحيح مسلم أحدهما بقاف مفتوحة ثم دال ساكنة أي: مثل الثور، والثاني بفاء مكسورة ثم دال مفتوحة جمع فدرة والأول أصح. وادعى القاضي

---

(١) في النسخ (والفتح) وهو تحريف.

(٢) نسخ المتن بالنون التحتية. ع

Made searchable using ScribeTools.com

«رَحَلَ الْبَعِيرَ» بِتَخْفِيفِ الحَاءِ: أَيْ جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ. «الْوَشَائِقُ» بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ والْقَاف: اللَّحْمُ الَّذِي قُطِعَ لِيُقَدَّدَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٥١٨ ـ وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ. «الرُّصْغُ»

عياض أنه تصحيف وأن الثاني الصواب، وليس كما قال بل هما صوابان ا هـ. وبه يعلم أنه هنا متابع للقاضي عياض **(ورحل البعير بتخفيف الحاء)** قال في المصباح: من باب نفع **(أي: جعل عليه الرحل)** أي: شده عليه كما في المصباح، **والرحل** للجمل بمنزلة السرج للفرس **(الوشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذي قطع ليقدد)** اللام فيه للصيرورة أي: ليبس أي: فيؤكل يابساً، وهذا قول حكاه في الصحاح عن أبي عبيد عن بعضهم أن الوشيق بمنزلة القديد لا تمسه النار، حكاه في شرح مسلم بقوله: وقيل: الوشيق القديد، وقال أولاً: قال أبو عبيد: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا ينضج ويحمل في الأسفار، ومثله في الصحاح وزاد قوله: وهو أبقى قديد يكون.

٥١٨ ـ **(وعن أسماء)** بسكون السين المهملة آخره ألف ممدودة **(بنت يزيد)** بفتح الياء الأولى وسكون الثانية بينهما زاي مكسورة ابن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهر بن خيثم الأنصاري **(رضي الله عنها)** ولما لم يكن في الصحابيات أسماء بنت يزيد سواها لم يقيد بقوله الأنصارية، تكنى أم سلمة، ويقال: أم عامر. قال الحافظ في التقريب: لها أحاديث، قلت عدتها أحد وثمانون، خرج لها البخاري في الأدب المفرد، وروى عنها الأربعة. وفي أسد الغابة أنها ابنة معاذ بن جبل وأنها قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها **(قالت: كان كم قميص رسول الله ﷺ)** قال في المصباح: كم القميص معروف جمعه أكمام وكممة مثل عنبة **(إلى الرصغ)** وحكمة الاقتصار عليه أنه متى جاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش، ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد فكان جعله إليه أمراً وسطاً وخير الأمور أوساطها. ولا تنافي هذه الرواية رواية أسفل من الرسغ لاحتمال تعدد القميص أو أن المراد التقريب لا التحديد **(رواه أبو داود والترمذي)** قال ابن حجر الهيثمي في أشرف الوسائل: هو بالصاد عندهما **(وقال: حديث حسن)** ورواه النسائي قال: وهو عند غيرهما بالسين **(الرصغ)** بضم الراء وسكون المهملة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصيد والذبائح، باب: إباحة ميتات البحر (الحديث: ١٧).

بِالصَّادِ والرُّسْغُ بِالسِينِ أَيْضاً هُوَ: الْمِفْصَلُ بَيْنَ الْكَفِّ والسَّاعِدِ[١].

٥١٩ ــ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤوا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ

وضمها للإتباع لغة بعدها معجمة **(بالصاد والرسغ بالسين)** أي: المهملة أيضاً **(هو)** أي: هنا **(المفصل بين الكف والساعد)** وإلا ففي المصباح أنه من الإنسان مفصل ما بين الكف والساعد والقدم أي: مشترك بينهما، ثم ظاهر عبارته أن السين والصاد كل منهما أصل غير منقلب عن الآخر، وعبارة النهاية تشهد له وهي الرصغ لغة في الرسغ ا هـ.

٥١٩ ــ (وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنا كنا يوم) أي: زمن وهو ظرف للفعل الآتي بعد **(الخندق)** وكان حفره لما تحزبت قريش وأجابيشها إلى أن بلغوا عشرة آلاف، فأرادوا حرب المدينة فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة، فأمر به ﷺ وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة، قال ابن إسحاق: في شوال وقال ابن سعد: في ذي القعدة **(نحفر فعرضت لنا كدية شديدة)** أي: تامة الإباء عن تأثير الفؤوس فيها **(فجاءوا إلى النبي ﷺ)** قال في المصباح: جاء زيد يجيء مجيئاً حضر، ويستعمل متعدياً أيضاً بنفسه فيقال: جئت شيئاً حسناً أي: فعلته، وجئت زيداً إذا أتيت إليه، وجئت به إذا أحضرته معك، وقد يقال: جئت إليه: يعني ذهبت إليه ا هـ. **(فقالوا: هذه كدية)** وقولهم: **(عرضت في الخندق)** في محل الصفة للكدية أتوا به إطناباً لطول المجاورة مع المصطفى ﷺ نظير ما قيل في قول موسى عليه السلام: ﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾[٢] والخندق معروف **(فقال: أنا نازل)** عمل فيه ﷺ بنفسه ترغيباً للمسلمين، فلذا سارعوا إليه فأتموه قبل وصول المشركين وحصارهم **(ثم قام وبطنه معصوب)** قال في المصباح: البطن خلاف الظهر وهو مذكر، وفي البخاري: وبطنه معصوب بحجر أي: مربوط فوق الحجر[٣] على بطنه الشريف، وتقدم في الباب حكمة ذلك، والجملة حال من فاعل قام **(ولبثنا)** بالموحدة فالمثلثة أي: أقمنا **(ثلاثة أيام)** ظرف لقوله: **(لا نذوق ذواقاً)** بفتح الذال المعجمة مصدر بمعنى المذوق

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: اللباس، باب: ما جاء في القميص (الحديث: ٤٠٢٧).
وأخرجه الترمذي في كتاب: اللباس، باب: ما جاء في القميص (الحديث: ١٧٦٥).

(٢) سورة طه، الآية: ١٨.

(٣) كذا بالأصول. ع

Made searchable using ScribeTools.com

فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئاً مَا فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ. فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ تَنْضَجُ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ

أي: المطعوم أي: لا نطعم فيها، والجملة يحتمل كونها حالية بإضمار قد من فاعل نحفر، ويحتمل كونها معطوفة على الجملة الحالية، ففيها بيان سبب عصب بطنه ﷺ من طول مدة ترك الطعام، ويحتمل كونها معترضة أتى بها لبيان أن ما حصل منه ﷺ من التأثير في تلك الكدية ليس ناشئاً عن القوة المودعة في الإنسان عادة لغلبة الضعف عليه ﷺ حينئذ بترك تناول الطعام المدة المذكورة، إنما ذلك معجزة. ثم رأيت الحافظ في الفتح جزم بالأخير وقال: إنه سبب العصب، وغير خاف أن ما ذكرناه محتمل وله وجه والله أعلم **(فأخذ المعول)** بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو بعدها لام أي: المسحاة، وعند أحمد: فأخذ المعول أو المسحاة بالشك **(فضرب فعاد)** أي: فصارت الكدية وذكرها باعتبار المضروب الدال عليه قوله: فضرب **(كثيباً أهيل)** بوزن أحمد ثالثه تحتية، وعند البخاري أهيل أو أهيم. والمعنى أنه صار رملاً لا يتماسك. قال الحافظ في الفتح: ضبط أهيم بالمثلثة وبالتحتية، والمعروف الثاني وهي بمعنى أهيل **(فقلت يا رسول الله ائذن لي إلى البيت)** الظرف الثاني متعلق بفعل محذوف يدل عليه المقام أي: انصرف. وفي الكلام حذف صرح به أبو نعيم في روايته في المستخرج فقال: «فأذن لي» **(فقلت: لامرأتي)** اسمها سهيلة بنت معوذ الأنصارية **(رأيت)** أي: أبصرت **(بالنبي ﷺ شيئاً)** أي: عظيماً كما يدل عليه قوله: **(ما في ذلك صبر)** أي: ما في دفع ذلك، فالسعي في رفعه صبر أي: تأخير؛ لأنه بلغ الغاية **(فعندك شيء)** بتقدير همزة الاستفهام أي: أعندك ما تندفع به الحاجة في الجملة **(فقالت: عندي شعير)** جاء في رواية ابن بكير[1] أنه صاع **(وعناق)** بفتح العين المهملة وتخفيف النون هي الأنثى من المعز **(فذبحت)** بتاء المتكلم **(العناق وطحنت)** بفتح حروف الفعل الثلاثي والتاء فيه للتأنيث وفاعله يعود إلى امرأته **(الشعير)** وقوله: **(حتى جعلنا اللحم في البرمة)** بضم الموحدة وسكون الراء كما في الفتح غاية المقدر أي: واستمريت[2] غائباً عن الخندق إلى ما ذكر، وفي رواية الكشميهني: حتى جعلت **(ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر)** أي: لان

---

(١) في نسخة (أبي بكر). ع

(٢) الصواب (واستمررت) والمؤلفون كثيراً ما يتساهلون في هذا الباب. ع

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ. قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ قُلْ لَهَا لاَ تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلاَ الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» فَقَالَ: «قُومُوا» فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: وَيْحَكِ: قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُهَاجِرونَ وَالأَنْصَارُ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، .....

ورطب وتمكن منه الخبز (**والبرمة بين الأثافي**) بمثلثة وفاء: ثلاثة أحجار يوضع عليها القدر (**قد كادت**) أي: قاربت (**تنضج**) بفتح الفوقية والضاد أي: تدرك الاستواء (**فقلت: طعيم**) بتشديد التحتية صغره مبالغة في تحقيره. قيل: من تمام المعروف تعجيله وتحقيره (**لي**) في محل الصفة وأتى به طلباً لخبره ﷺ بمجيئه إلى منزله إجابة لدعوته (**فقم أنت يا رسول الله**) أكد الضمير المستكن بالضمير البارز لينبه على أنه المقصود بالأصالة فأكد دلالة على الاهتمام بذلك لا ليعطف عليه قوله: (**ورجل أو رجلان**) لوجود الفصل بالنداء بين المتعاطفين وهو كاف لذلك (**قال: كم هو؟ فذكرت له ذلك**) أي: ما ذكر قبله واستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع للبعيد؛ لأنه لما لم يسمع صار كانه بعيد (**فقال: كثير طيب**) لعل سؤاله عنه ليتنبه جابر إذا رأى شبع أولئك العدد الكثير من ذلك النزر اليسر، فيعلم أنه معجزة له كما قيل به في حكمة قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾[1] وإن ذلك أثر قوله ﷺ: كثير طيب (**قل لها**) أي: لامرأتك (**لا تنزع البرمة**) بكسر الزاي والفعل مجزوم والمراد أن لا تأخذ اللحم منها (**ولا الخبز من التنور**) بفتح الفوقية وتشديد النون وهو الذي يخبز فيه. قال في المصباح: وافقت فيه لغة العرب العجم. وقال أبو حاتم: ليس بعربي صحيح والجمع تنانير (**حتى آتي**) أي: أجيء إلى المنزل (**فقال**) أي: لمن حضر من أصحابه حينئذ (**قوموا، فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها**) أي: بعد قيامهم قبل وصولهم المنزل (**فقلت: ويحك**) بفتح الواو وسكون التحتية وهي كلمة رحمة، وويل كلمة عذاب، وقيل: هما بمعنى واحد وهو منصوب بإضمار فعل، أي: ألزمك الله ويحك، كذا يؤخذ من الصحاح (**قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم**) أي: من مواليهم والمسلمين مما لم يهاجر. جاء عنه في رواية أخرى: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، وقلت: جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتي أقول: افتضحت، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين (**قالت: هل سألك؟ قلت: نعم**) زاد في رواية فقالت: الله ورسوله أعلم. نحن قد أعلمناه بما عندنا فكشفت عني غماً شديداً. فيه دليل على وفور عقلها وكمال فضلها لعلمها

---

(١) سورة طه، الآية: ١٧.

Made searchable using ScribeTools.com

قَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ مِنْهُ. فَقَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ جَابِرٌ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ

أنه حيث علم بالطعام المدعو له ودعا من دعاه عليه إنما هو لما يعلمه، من خرق الله تعالى العادات له معجزة فلذا (قال: ادخلوا)؛ لأن في الحقيقة الدعوة إنما هي منه؛ لأن الذي أشبع القوم إنما كان منه، وما جاء به جابر لا يجدي في أولئك (ولا تضاغطوا) بإعجام الضاد والغين وإهمال الطاء أي: لا تزاحموا، زاد في رواية البخاري: فأخرجت له عجينتنا فبسق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبسق فيها وبارك (فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم) أداماً. له ونظيره ما في الشمائل للترمذي عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة فقال: هذه أدام هذه وأكل. قال بعض الشراح: يؤخذ من وضعها عليها أنه لا بأس بوضع الأدم على الخبز قال ابن حجر الهيثمي: ومحله أن سلم ما لم يقذر بحيث يعافه غيره (ويخمر البرمة والتنور) أي: يغطيهما ويستمر التخمير (حتى إذا أخذ منه) أي: إلى وقت أخذه منه[1] (ويقرب إلى أصحابه) الطعام المأخوذ (ثم ينزع) أي: يأخذ اللحم من البرمة (فلم يزل يكسر) أي: الخبز (ويغرف) أي: من البرمة (حتى شبعوا) غاية لملازمته ﷺ لإعطائهم الخبز من التنور والأدم من البرمة (وبقي منه) أي: بعد شبع القوم بقية وحذف للإبهام على السامع وتعظيماً لقدر الباقي، ويصح كون من فاعلاً بناء على ما جرى عليه في الكشاف من أنها بمعنى بعض فحلت محله أي: وبقي بعضه (فقال: كلي هذا وأهدي) بقطع الهمزة أمر للمخاطبة، ولعل تخصيصها بالخطاب دونه أنه أكل مع القوم دونها فكانت مشتغلة بالغرف والخبز. أو أنها وإن أكلت حينئذ أيضاً إلا أنها لما باشرت تعب ذلك أكثر منه جعل لها ذلك (فإن الناس أصابهم مجاعة) هذه جملة مستأنفة لبيان قوله: وأهدي جاء في رواية فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع. وذكر الفعل؛ لأن المسند إليه تأنيث مجازي، وقد فصل بضمير المفعول فهو نظير قوله تعالى: ﴿قد جاءتكم موعظة﴾[2] وجاء التأنيث في التنزيل أيضاً قال تعالى: ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾[3] قال البدر الدماميني: القوم على رجحان التذكير في ذلك على التأنيث إظهاراً

---

(١) نسخ المتن بحذف (حتى) وهي أوضح. ع.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٦

خَمَصاً، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَاباً فِيْهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيْرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُها وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَراغِي وَقَطَعْتُها في بُرْمَتِها، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

لفضل المؤنث الحقيقي على غيره، لكن الذي يظهر لي أن التأنيث أحسن بدليل أكثريته في الكتاب العزيز وفشوه فيه جداً وأكثرية أحد الاستعمالين دليل على أرجحيته، فينبغي المصير إلى القول بأن الإتيان بالسلامة في ذلك أحسن وأفصح وتركها حسن فصيح ا هـ. **(متفق عليه)** أي: من حيث المعنى، وإلا فهو بهذا للفظ للبخاري في المغازي. **(وفي رواية)** هي لهما فرواها البخاري عقب الحديث قبله ومسلم في الأطعمة من صحيحه عن سعيد بن مينا **(قال جابر: لما حفر الخندق)** بالبناء للمفعول **(رأيت النبي ﷺ خمصاً فانكفأت)** وعند البخاري: فانكفيت بتحتية بدل الهمزة **(إلى امرأتي)** بعد أن استأذنت النبي ﷺ كما في الرواية قبله **(فقلت: هل عندك شيء)** أي: من الطعام والتنوين فيه للتقليل **(فإني رأيت)** أي: أبصرت **(برسول الله ﷺ خمصاً شديداً)** وصف الخمص هنا تهييجاً على إظهار ما عندها إن كان كما هو من عادة النساء من إخفاء بعض المتاع عن الأزواج يعدونه لشدتهن أي: لا شدة يدخر لمثلها فوق هذا **(فأخرجت إلي جراباً فيه صاع من شعير)** الصاع مكيال، وصاع النبي ﷺ الذي بالمدينة أربعة أمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادي. وقال أبو حنيفة: الصاع ثمانية أرطال؛ لأنه الذي يعامل به أهل العراق. ورد بأن الزيادة عرف طار على عرف الشرع، وسبب الزيادة ما ذكر الخطابي أن الحجاج لما ولي العراق كبر الصاع ووسعه على أهل الأسواق للشعير فجعله ثمانية أرطال. قال الخطابي وغيره: وصاع أهل الحرمين إنما هو خمسة أرطال وثلث، والصاع يذكر ويؤنث. قال الفراء: أهل الحجاز يؤنثونه، وبنو أسد وأهل نجد يذكرونه، وربما أنثه بعض بني أسد. قال الزجاج: التذكير أفصح عند العلماء ا هـ. ملخصاً من المصباح. والظاهر أن المراد من الصاع المعروف عن أهل المدينة وهو الصاع الشرعي. ومن في قوله: من شعير بيانية للصاع أي: للمكيل به **(ولنا بهيمة)** بتشديد التحتية[1] بالتصغير لما تقدم **(داجن)** أي: ملازمة للبيت لا تفلت للرعي ومن شأنها أن تكون سمينة **(فذبحتها)** بضم التاء للمتكلم **(وطحنت الشعير)** بكسر تاء التأنيث الساكنة للالتقاء الساكنين والفاعل ضمير يعود إلى المرأة **(ففرغت إلى)** أي: مع **(فراغي)** أي: فرغت من الطحن مع فراغي من ذبح الداجن وسلخها **(وقطعتها)** كذا في الأصول بتخفيف الطاء المهملة ولعله لصغر جثتها، وإلا فالأنسب بالتكثير التشديد **(في برمتها)** متعلق بمحذوف

---

(١) سيأتي أنه تصغير بهمة لا بهيمة فالصواب إسكان الياء لا تشديدها. ع

Made searchable using ScribeTools.com

فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْني بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِراً قَدْ صَنَعَ سُؤراً فَحَيَّهَلاً بِكُمْ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ» فَجِئْتُ وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ

أي: وألقيتها في برمتها (ثم) كأن الإتيان بها لتأخره مشتغلاً بإيقاد النار وإصلاحها لسرعة النضج (وليت) أي: انصرفت عنها متوجهاً (إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني) بفتح الضاد المعجمة (برسول الله ﷺ ومن معه) أي: لا تكشف عواري وفاقتي بقلة ما يخرج إليهم المنبىء عن ذلك، أولاً تعبني بأن أنسب للبخل بذلك، ومرادها الكناية عن تقليل المدعو إليه لبيان الطعام فيهم (فجئته فساررته) بالمهملة والراءين وصيغة المغالبة للمبالغة في إخفاء ذلك الأمر وكتمه لئلا يطلع عليه أحد فيحضر من غير طلب لما بالناس من المجاعة فيقع في الفضيحة، وفيه جواز المسارة بحضرة الجمع، إنما نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث، وقوله: (فقلت يا رسول الله: ذبحنا) لعل الإتيان فيه بهذا الضمير؛ لأنه شورك في ذبحها بإمساك الشاة وأخذ الشفرة (بهيمة) بالتصغير (لنا) وأتى بالظرف لما تقدم في نظيره من قوله: طعيم لنا (وطحنت) بضم الفوقية أي: أمرت المرأة بطحن (صاعاً من شعير) فالإسناد مجازي كقولهم: بنى الأمير المدينة (فتعال أنت ونفر) بفتح أوليه النون والفاء، وهو كما في المصباح وغيره جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة وقيل: إلى سبعة، ولا يقال: فيما زاد على عشرة ا هـ. (معك) أتى به إعلاماً بأنه المقصود أصالة وغيره بالتبع (فصاح النبي ﷺ) يحتمل كون الإسناد حقيقياً وهو المتبادر؛ لأن الذي وصفه به أنس أنه ليس صخاباً في الأسواق والخندق ليس منها، وأيضاً فالأمر دعا هنا إلى رفع الصوت ليسمع القوم فيجيئوا، ويحتمل أن يكون مجازياً أي: أمر بذلك فيهم. وعلى الوجهين فهناك مقدر تقديره فقال: (يا أهل الخندق إن جابراً قد) للتحقيق صنع سوراً (فحيهلا) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية المفتوحة والهاء[1] منوناً وقيل: بلا تنوين أي: أقبلوا مسرعين (بكم، فقال النبي ﷺ: لا تنزلن) رأيته في أصل مصحح من البخاري بفتح الفوقية وكسر الزاي مسنداً لقوله: (برمتكم) وفي نسخة مصححة من الرياض بضم الفوقية واللام، فالفاعل ضمير الجماعة محذوف لالتقاء الساكنين، ولدلالة الضمة عليه. وفيه تغليب الحاضر على الغائب والمذكر على المؤنث فإن الأمر بذلك له ولأهله (ولا تخبزن عجينكم) وفي نسخة من البخاري بضم الفوقية

---

(١) لعله (وفتح الهاء). ع.

حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ عَجِينَنَا فَبَسَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ،

وفي أخرى بتحتية مضمومة بدل الفوقية وفتح الباء والزاي فيهما مبني للمجهول نائب فاعله ما بعده وهو على التحتية بحذف الفوقية من عجينتكم، وفي النسخة المذكورة[1] بفتح أوله وكسر الموحدة وضم الزاي فالفاعل محذوف، وعجينكم بحذف الفوقية مفعوله **(حتى أجيء)** غاية للكف عنهما المدلول عليه بالنهي عن فعل كل منهما **(فجئت وجاء النبي ﷺ)** أعاد العامل إيماء إلى أن الواو للاعتراض ببيان صفة مجيئه ﷺ كما بينه قوله: **(يقدم الناس)** إذ هو في محل الحال، قال المصنف: وإنما فعل هذا؛ لأنه ﷺ دعاهم فجاءوا تبعاً له كصاحب الطعام إذا دعا طائفة يمشي أمامهم، وكان في غير هذا الحال لا يتقدمهم ولا يمكنهم من وطء عقبه وفعله هنا لهذه المصلحة ا هـ. والجملة معترضة بين المغيا وهو مجيئه والغاية وهي قوله: **(حتى جئت امرأتي)** أي: وأعلمتها بندائه ﷺ في أهل الخندق **(فقالت: بك وبك)** بالموحدة فيهما وفتح الكاف، تكلمت عليه أولاً لظنها أنه لم يخبر النبي ﷺ بالأمر ولم يفصح له عنه فلذا قال: **(فقلت: قد فعلت)** لا يخفى ما بين قوله فقلت وفعلت من الجناس المصحف الخطي، وفيه إطلاق الفعل على القول ولعله للفرار عن التكرار المستثقل في السمع أي: **قلت (الذي قلت)** بكسر الفوقية فحينئذ سكن ما بها، وهذا كما تقدم من كمال عقلها ووفور فضلها، **(فأخرجت عجينتنا)** في المصباح: العجين فعيل بمعنى مفعول **(فبصق)** بالموحدة والصاد المهملة، قال المصنف: كذا في أكثر الأصول، وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة، والمشهور بصق وبزق، وحكى جماعة من أهل اللغة بسق لكنها قليلة ا هـ. **(فيه وبارك فيه)** أي: دعا بالبركة: وهي الخير الكثير الدائم، ودوام كل شيء بحسبه **(ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك)** أتى بثم إيماء إلى أن تأخر ذلك منه في الجملة وكأنه لأمر اقتضى تأخير وصوله ﷺ لمحل البرمة وحذف متعلق كل من الفعلين إيجازاً اكتفاء بدلالة الجملة الأولى عليه **(ثم قال:)** لعل تأخير القول عن البصق والدعاء أنه رأى الحاجة إلى ذلك بعد فأمر به عند ظهورها **(ادع خابزة فلتخبز معك)** كذا في الرياض من غير ياء في ادع، وبالكاف في معك. قال المصنف في شرح مسلم: هذه اللفظة وهي ادعي وقعت في بعض الأصول هكذا بعين ثم تحتية، وهو الصحيح الظاهر؛ لأنه خطاب للمرأة، ولهذا قال: «فلتخبز معك»، وفي بعضها ادعوني، وفي بعضها ادعني وهما أيضاً صحيحان، وتقديرها اطلبوا لي واطلب لي ا هـ. والذي في البخاري وقال ادع خابزة فلتخبز معي، ولعله

(١) أي النسخة المصححة من الرياض. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ أَلفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَكَلوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كَما هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. قَوْلُهُ «عَرَضَتْ كُدْيَةٌ» بِضَمِّ الْكَافِ وَإِسْكَانِ الدَّالِ وبالياءِ المثنَّاةِ تحتُ وَهِيَ: قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيها الْفَأْسُ. و «الْكَثِيبُ» أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالْمُرادُ هُنا: صَارَتْ تُرَاباً نَاعِماً، وَهُوَ مَعْنَى

وقع مباشرة الخبز منه ﷺ تارة، ومن المرأة أخرى فطلب في كل معيناً **(واقدحي)** أي: اغرفي **(من برمتكم ولا تنزلوها)** فيه تغليب المذكر على المؤنث لشرفه فالخطاب لجابر والأمر له ولامرأته وفيه إن لم يكونا أزيد من ذلك إطلاق الجمع على ما فوق الواحد، وكأن حكمة الإبقاء ستر السر الإلهي بإيهام الحاضرين كثرتها فتستمر سحائب الفيض متواترة معجزة له ﷺ، ولا يقع عليها نظرهم ابتداء فيستقلوها فيكون بسبب رفع البركة منها أخذاً مما يأتي عن التلمساني في قصة أبي طلحة **(وهم ألف)** قال في الفتح أي: الذين أكلوا، وهذه الرواية محكوم بها لزيادة ما فيها على رواية أنهم كانوا سبعمائة أو ثمانمائة ورواية أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة ورواية أنهم كانوا ثلاثمائة والقصة متحدة **(فأقسم بالله لأكلوا)** أكد بعدة مؤكدات دفعاً لاستبعاد العقل بحسب العادة اكتفاء هذا العدد الكثير بهذ القدر اليسير من الطعام **(حتى تركوه)** أي: المذكور من خبز العجين ولحم الشاة **(وانحرفوا)** أي: مالوا عن المنزل إلى جهة مقصدهم **(وإن برمتنا لتغط)** بكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة والجملة حالية وقوله: **(كما هي)** مفعول مطلق أي: تغط بعد انصرافهم شباعاً، مثل غطيطها قبل الأخذ منها **(وإن عجيننا ليخبز كما هو)** جملة معطوفة على الجملة الحالية، وهذه[1] القصة علمان من أعلام النبوة تكثير الطعام القليل وعلمه ﷺ بأن هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفي ألفاً وزيادة، فدعا له ألفاً قبل أن يصل إليه وقد علم إنه صاع شعير وبهيمة والله أعلم **(قوله: عرضت كدية هي)** في رواية الإسماعيلي **(بضم الكاف وسكون الدال)** المهملة **(وبالمثناة تحت وهي قطعة غليظة صلبة)** بضم الصاد المهملة أي: شديدة قوية **(من الأرض)** مثله في المصباح، وفي فتح الباري هي القطعة الصلبة الصماء وقوله: **(لا يعمل فيها الفأس)** بيان لتلك لا أنه داخل في مفهوم الكدية كما تقدم عن المصباح وغيره وعند أبي ذر أحد رواة البخاري أيضاً: كيدة بفتح الكاف وسكون التحتية قيل: هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض، وقال عياض: كأن المراد بها واحدة الكيد كأنهم أرادوا أن الكيد وهو الحيلة أعجزهم فلجئوا إلى النبي ﷺ، وعند ابن السكن كتدة بفوقية بدل

---

(١) لعله (وفي هذه). ع.

«أَهْيَل». وَ«الأَثَافِيُّ»: الأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ. و«تَضَاغَطوا»: تَزَاحَمُوا. و«الْمَجَاعَةُ»: الْجُوعُ وَهِيَ بِفَتْحِ الميمِ. و«الْخَمَصُ» بِفَتْحِ الخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالمِيمِ: الْجُوعُ. و«انْكَفَأَتُ» انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ. و«الْبُهَيْمَةُ» بِضَمِّ الباءِ تَصْغير بَهْمَةٍ .....

التحتية، قال عياض: لا أعلم لها معنى **(والكثيب)** بوزن قريب بمثلثة وتحتية فموحدة **(أصله تل الرمل، والمراد هنا صارت)** هذا تفسير عادت فإنه يأتي كذلك، ومنه قول الكفرة لشعيب: ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾[1] فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها قولاً واحداً، ويأتي عاد بمعنى رجوع الشيء لما كان عليه، وقد حمل بعضهم عليه الآية وقال إنه باعتبار تغليب قومه لكثرتهم عليه وهي هنا في الخبر لم يكن رملاً ثم انعقدت كدية[2]. **بل** الكدية أصلها فصارت بضربه ﷺ معجزة له **(تراباً ناعماً)** يسيل ولا يتماسك قال تعالى: ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ أي: رملاً سائلاً **(وهو معنى أهيل)** والاقتصار على أهيل الذي جرى عليه الشيخ هو ما في رواية الإسماعيلي، وكذا عند أحمد كثيباً بهال، وفي رواية للبخاري كما تقدم أهيل أو أهيم بالشك **(والأثافي)** تقدم ضبطه **(الأحجار التي تكون عليها القدر)** قال في النهاية: هي جمع أثفية وقد تخفف الياء في الجمع يقال: أثفيت القدر إذا جعلت لها الأثفي، وثفيتها إذا وضعتها عليها، والهمزة فيه زائدة ا هـ. **(وتضاغطوا)** بتخفيف الضاد المعجمة على أن إحدى التاءين حذفت تخفيفاً وبتشديدها على الإدغام **(تزاحموا)** بالوجهين، قال في المصباح: ضغطه ضغطاً من باب نفع دفعه إلى حائط أو غيره **(والمجاعة الجوع)** فهي مصدر ميمي **(وهي بفتح الميم)** وتخفيف الجيم قال في النهاية: مفعلة من الجوع، وفي المصابح أنها اسم مصدر كالجوع بضم الجيم المشترك بينه وبين مصدر جاع **(والخمص بفتح الخاء المعجمة والميم)** مثله في شرح مسلم، لكن في فتح الباري: وقد تسكن الميم **(الجوع)** في الفتح وهو ضمور البطن ولا منافاة، فبأحدهما يلزم الآخر **(وانكفأت)** أي: بالهمزة في رواية مسلم قال المصنف: ووقع في نسخ فانكفيت وهو خلاف المعروف في اللغة، **بل** الصواب انكفأت بالهمزة ا هـ. وتقدم أنه بالياء عند البخاري وتوجيهه كما في الفتح كأنه سهل الهمزة وقلبها ياء **(انقلبت ورجعت والبهيمة بضم الباء)** الموحدة وتشديد التحتية[3] **(تصغير بهمة)** بفتح الموحدة وسكون الهاء، قال في المصباح: ولد الضأن تطلق على الذكر والأنثى، وجمعها بهم كتمرة وتمر، وجمع البهم بهام كسهم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.

(٢) كذا والمراد أنها في الخبر لا تحمل على الرجوع لأن الكدية لم تكن رملاً. ع.

(٣) قد مر ما فيه قريباً فراجعه. ع.

Made searchable using ScribeTools.com

وَهِيَ: الْعَناقُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ. و «الدَّاجِنُ» هِيَ: الَّتِي أَلِفَتِ الْبَيْتَ. وَ «السُّؤرُ»: الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ، وَهُوَ بِالفَارِسِيَّةِ. وَ «حَيَّهَلاً»: أَيْ تَعَالَوْا، وَقَوْلُهَا «بِكَ وَبِكَ»: أَيْ خَاصَمَتْهُ

وسهام ويطلق البهام على أولاد الضأن والمعز إذا اجتمعت تغليباً فإذا انفردت قيل لأولاد الضأن: بهام ولأولاد المعز سخال، وقال ابن فارس: البهم صغار الغنم، وقال أبو زيد: يقال لأولاد الغنم سائمة تضعها الضأن والمعز ذكراً كان الولد أو أنثى سخلة ثم هي بهيمة وجمعها بهم ا هـ. **(وهي)** أي: المراد منها كما جاء التصريح به في الروايات السابقة عن جابر في الحديث السابق **(العنق بفتح العين)** المهملة وتخفيف النون آخره قاف، قال في المصباح هي الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول ا هـ. والمراد ما قاربها ليحصل به قرى الضيف **(والداجن)** بالدال المهملة والجيم والنون **(هي التي ألفت البيوت)** ولم تفلت للمرعى، وذلك للاعتناء بها المنبىء عن كرمها وسمنها **(والسؤر)** بضم السين المهملة وإسكان الواو مهموز **(الطعام الذي يدعى الناس إليه)** قال في شرح مسلم: وقيل: الطعام مطلقاً **(وهو بالفارسية)** مثله في شرح مسلم، وخالفه الحافظ في الفتح فقال: وسكون الواو بغير همز، أما بالهمز فهو البقية. قلت ويؤيده أنه ذكره في النهاية في مادة السين والواو بغير همز واقتصر على أنه الطعام المدعو إليه، قال في الفتح: وهو هنا الصنيع بالحبشة، وقيل: العرس بالفارسية، ويطلق على البناء الذي يحيط بالمدينة ا هـ، ويؤخذ منه أن إطلاقه على الطعام المذكور مجاز مرسل إذ هو بالفارسية العرس الملازم له عادة، فأطلق اللازم وأريد الملزوم **(وحيهلاً)** بتنوين هلا وقيل: بلا تنوين ويقال: حيهل **(أي تعالوا)** وقال في الفتح: هي كلمة استدعاء فيها حث أي: هلموا مسرعين وهذا تفسير مراد، وأما معناه: ففي شرح مسلم للمصنف قيل: عليك بكذا أو ادع بكذا هكذا، قاله أبو عبيدة وغيره، وقيل معناه: أعجل به، وقال الهروي: معناه هات وعجل به ا هـ، وفي النهاية هي كلمتان: جعلتا كلمة واحدة فحي معناه أقبل، وهلا أسرع وقال ابن عيش في شرح المفصل: هو من أسماء الأفعال مركب من حي وهل وهما صوتان معناهما الحث والاستعجال وجمع بينهما وسمي به للمبالغة وكان الوجه ألا ينصرف كحضرموت وبعلبك، إلا أنه وقع موقع فعل الأمر فبني كصه ومه وفيه لغات، وتارة يستعمل حي وحده نحو: حي على الصلاة وتارة هلا وحدها، واستعمال حي وحده أكثر من استعمال هلا وحده ا هـ. وقال صاحب البسيط: فيه سبع لغات حيهل بفتح الياء المشددة والهاء كخمسة عشر وحيهلاً بالتنوين لإرادة التنكير وحيهلا بالألف من غير تنوين وحيهلاً بإسكانها[1] مع التنوين وإسكان الهاء كراهة لاجتماع الحركات، وجاء

---

(١) قوله (بإسكانها الخ) لعل هنا في سقطاً وتحريفاً فلتراجع كتب اللغة. ع.

وَسَبَبُهُ لأَنَّها اعْتَقَدَتْ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهُمْ لا يَكْفِيهِمْ فَاسْتَحْيَتْ، وَخَفِيَ عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ، والآيَةِ الْبَاهِرَةِ. «بَسَقَ» أَيْ بَصَقَ، وَيُقَالُ أَيْضاً: بَزَقَ: ثَلاثُ لُغَاتٍ. و«عَمَدَ» بِفَتْحِ المِيمِ: أَيْ قَصَدَ. و«اقْدَحِي»: أَيْ اغْرِفِي. وَالْمِقْدَحَةُ: الْمِغْرَفَةُ. . . . . .

متعدياً بنفسه كحيهلا للثريد أي: ائته أو أحضره وقربه، وبالباء كحيهلا بعمر أي: ائت به وبإلى كحيهلا إلى كذا أي: سارع وبادر إليه وبعلى كحيهلا على كذا أي: أقبل عليه، كذا في مرقاة الصعود للسيوطي. ويؤخذ منه تفسير المتعدي بالباء بائت به أن معنى قوله حيهلا بكم أي: أقبلوا بأنفسكم **(وقولها: بك بك)** بالموحدة وفتح الكاف فيهما **(أي: خاصمته وسبته)** قال في شرح مسلم أي: ذمته ودعت عليه، وقيل معناه: بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم، وقيل: معناه: جرى هذا برأيك وسوء نظرك وبسببك؛ **(لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم)** وأن جابراً لم يخبر النبي ﷺ بقدره **(فاستحيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيّه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية)** العلامة الدالة على نبوته **(الباهرة)** من بهرت الشمس غلب نورها على كل ذي نور إذ كفي بهذا الطعام اليسير ذلك العدد الكثير، ولا تخالف بين ما في هذه الرواية من كونها قالت له: ما ذكر من السبب وما تقدم في الرواية قبلها من أن رفع غم جابر إنما كان بقولها: هل كان سألك؟ الخ لما في الفتح للحافظ من الجمع بينهما بأنها أوصته أولاً لا يعلمه[1] بالصورة، فلما قال لها: إنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه فخاصمته، فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بإمكان خرق العادة، ثم اختلف العلماء فيما في القصة من اكتفاء ذلك الجمع بذلك النزر اليسير هل هو مع بقاء الطعام على قلته ولكن ببركته ﷺ أجري الطعام القليل مجرى الكثير فتكفي كفايته وتوقف الشبع على كثرة المأكول أمر عادي؟ أو أن الله زاد فيه وكثره؟ ويعبر عن القول الأول بتكثير الموجود وعن الثاني بإيجاد المعدوم والثاني أقرب **(بسق)** بالسين المهملة **(أي: بصق)** بالصاد المهملة وفي المصباح أن السين بدل من الصاد، قال: ومنعه بعضهم، وقال: لا يقال بسق بالسين إلا لزيادة الطول كالنخلة وغيرها، وعزاه إلى الخليل **(ويقال له أيضاً: بزق)** بالزاي بدل الصاد **(ثلاث لغات)** وهذا لا يخالف ما ذكر عن المصباح من أن الأصل الصاد وأن السين والزاي بدلان منها **(وعمد بفتح الميم)** من باب ضرب كما في المصباح **(أي: قصد، واقدحي)** بوصل الهمزة وفتح الدال المهملة **(أي: اغرفي والمقدحة)** بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ورابعه المهملين **(المغرفة)** بالغين المعجمة وألفاً ووزن ما قبله

---

(١) كذا، ولعل الصواب «أن يعلمه». ع.

Made searchable using ScribeTools.com

و «تَغِطُّ»: أَيْ لِغَلَيانِها صَوْتٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

٥٢٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ

وهما اسما آلة (**وتغط**) تقدم ضبطها (**أي: لغليانها صوت**) وذلك كناية كثرة ما فيها إذ القليل يضعف غليانه عن رفع الصوت (**والله أعلم**).

٥٢٠ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة:**) زيد بن سهل الأنصاري (**لأم سليم**) بضم السين المهملة زوج أبي طلحة وأم أنس وما في وسيط الغزالي تبعاً لشيخه الصيدلاني ومحمد بن يحيى صاحب البحر من أنها جدة أنس فغلط اتفاقا، قاله المصنف في التهذيب، واختلف في اسمها، فقيل: سهلة وقيل: رميلة، وقيل: أنيفة، وقيل: رميثة، وقيل: الرميصاء، وهي بنت ملحان بكسر الميم ويقال: بفتحها الأنصارية (**قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً**) حال وهو مراد الإخبار، ويحتمل أن يكون ضمن معنى فعل قلبي فعمل عمله من نصب المفعولين، وإلا فسمع في مثله لا ينصب إلا واحداً اتفاقاً، وقوله: (**أعرف فيه الجوع**) في محل الصفة لما قبله، وأتى به تأكيداً أو دفعاً لتوهم أنه لم يعرف ذلك منه ﷺ بل توهمه (**فهل عندك من شيء**) من مزيدة في المبتدأ لغرض التنصيص على التعميم، واستغراق أفراد ما يطلق عليه شيء أي: يطعم بقرينة المقام، وتقدمت حكمة الإتيان بهذا مع الإخبار بالواقع في ثاني حديثي قصة جابر (**فقالت: نعم**) أي: عندي شيء (**فأخرجت أقراصاً من شعير**) أي: بادرت إلى إخراجها؛ لأن الحال تأبى عن التأخير، قال في فتح الباري عند أبي يعلى عن أنس: أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام، فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ثم جاء به الحديث (**ثم أخذت خماراً**) بكسر الخاء المعجمة: ثوب تغطي به المرأة رأسها ووصفه بقوله: (**لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته**) بفتح الدال وتشديد السين المهملتين. قال في فتح الباري يقال: دس الشيء يدسه دساً: أدخله في الشيء بقهر وقوة ا هـ. أي: أدخلته (**تحت ثوبي وردتني ببعضه**) والمراد: أنها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنساً بباقيه (**ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت فوجدت رسول الله ﷺ جالساً**) مفعول ثان كقوله تعالى: ﴿تجدوه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق. (٧/٣٠٤، ٣٠٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره... (الحديث: ١٤١).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ. فقالَ: «أَلِطَعَامٍ؟» فقلتُ: نَعَم. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا» فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فقالَ: أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا

عند الله هو خيراً﴾[1] فوجد فيه من أفعال القلوب يدل على العلم؛ لأن من وجد شيئاً بحال علمه عليها وقوله: **(في المسجد)** متعلق بثاني المفعولين ويصح تعلقه بوجدت، وكونه حالاً من فاعله أو من رسول الله، ويقربه قوله: **(ومعه الناس)** فإنها جملة حالية، ويجوز كونها معطوفة على ثاني المفعولين **(فقال رسول الله ﷺ:)** في البخاري فقال لي: **(أرسلك أبو طلحة)** بالهمزة قبله مقدرة حذفت وقال الحافظ في الفتح: إنه بهمزة ممدودة للاستفهام **(فقلت: نعم. قال: الطعام)** يحتمل نصبه بنزع الخافض، أي: يدعو إلى الطعام[2] ويؤيده قوله في رواية البخاري قال: بطعام، ويحتمل أن يكون مفعول جعل مقدراً وأل في الطعام جنسية **(فقلت: نعم)** قال الحافظ: ظاهر هذا أن النبي ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله، فلذا قال لمن عنده قوموا، وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس، فيجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي ﷺ وحده خشية أن لا يكفيهم فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حوله ﷺ استحيا وظهر له أن يدعو النبي ﷺ؛ ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه، ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من أرسله عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي ﷺ وحده خشية ألا يكفيهم أجمعين ذلك الطعام ومن عادته ﷺ ألا يؤثر نفسه على أصحابه بمثل ذلك، فلذا دعاهم **(فقال رسول الله ﷺ: قوموا فانطلقوا فانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة)** قال في الفتح: جاء في رواية زيادة: وأنا حزين لكثرة من جاء معه **(فأخبرته)** أي: بمجيئه ﷺ ومجيء من معه، وحذف ذلك إيجازاً لدلالة ما قبله عليه **(فقال أبو طلحة: يا أم سليم)** فيه إكرام الرجل زوجه ونداؤها بالكنية **(قد)** للتحقيق، ويحتمل كونها للتقريب **(جاء رسول الله ﷺ بالناس)** هو وإن كان من صيغ العموم لكونه اسم جنس محلى بأل، إلا أن المراد هنا العموم العرفي أي: الحاضرين مجلسه حينئذ فهذا عام أريد به خاص فهو مجاز قرينته الحال. وفي رواية والناس بالواو بدل الموحدة والمآل واحد؛ لأن المعنى: والناس معه لكونه الجائي بهم والداعي لهم، وجملة **(وليس عندنا ما يطعمهم)** حالية من فاعل جاء أي:

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠

(٢) في نسخ المتن الطعام بهمزة فلام مكسورة وبالتنوين وهي أظهر فليتأمل. ع

Made searchable using ScribeTools.com

مَا يُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»

ما يطعمهم بقدر كفايتهم **(فقال: الله ورسوله أعلم)** كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمداً لتظهر له الكرامة في تكثير الطعام ودل ذلك على فطنة أم سليم ورجحان عقلها، قال الحافظ بعد ذكر روايات: فيها ملاقاة أبي طلحة للنبي ﷺ وإخباره بقلة الطعام الذي عنده، وفي رواية يعقوب فقال أبو طلحة: إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يسع من أرى فقال ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك. وفي رواية أنس: فدخلت على أم سليم وأنا مندهش، وفي أخرى: أن أبا طلحة قال: يا أنس فضحتنا، وللطبراني في الأوسط: فجعل يرميني بالحجارة **(فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ: هلمي)** قال الحافظ كذا لأبي ذر عند الكشميهني ولغيره هلم، وهي لغة حجازية هلم عندهم اسم فعل لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿هلم شهداءكم﴾[1] وهي لطلب ما بعدها أي: احضري **(ما عندك يا أم سليم، فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت)** بالبناء للمجهول **(وعصرت عليه)** أي: على المفتوت المدلول عليه بالفعل قبله أو على الخبز، والأول أقرب؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يصرف صارف لكن ما يأتي في الكلام على قوله: «ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول» يؤيد الأول، إلا أن يقال: عصرها عليه بعد الفت زيادة في التطرية وعصره قبله ليلين وينكسر فيه كما يريد والله أعلم **(أم سليم عكة)** بضم المهملة وتشديد الكاف قال في النهاية: هي وعاء من جلد مستدير مختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص ومثله في الفتح **(فآدمته)** بمد الهمزة وتخفيف الدال المهملة أي: صيرت الخارج منها إداماً له **(ثم قال فيه:)** أي: عليه **(رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول)** فقال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج، ثم مسح رسول الله ﷺ به ثيابه، ثم مسح القرص فانتفخ وقال: بسم الله، فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع، وفي رواية: فمسحها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة، وفي رواية فجئت بها ففتح رباطها ثم قال: بسم الله اللهم أعظم فيها البركة. قال الحافظ بعد ذكر ذلك وتعيين راوي كل رواية منها. «وعرف بهذا المراد بقوله: ما شاء الله أن يقول» **(ثم قال: ائذن لعشرة فأذن)** بالبناء للفاعل

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.

فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حَتَّى أَكَلَ القَومُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ .....

أي: المخاطب بذلك الأمر منه ﷺ من أنس وأبي طلحة، ويحتمل أنه مبني للمفعول **(لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم)** قال في الفتح: ظاهر هذه العبارة أن النبي ﷺ دخل منزل أبي طلحة وحده، وبه صرح في رواية لابن أبي ليلى ولفظها «فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الباب» فقال لهم اقعدوا ودخل قال في الفتح: وسئلت في مجلس الإملاء عن حكمة تبعيضهم، فقلت: يحتمل أن يكون عرف أن الطعام قليل وفي صحفة واحدة فلا يتصور تحلق ذلك العدد الكثير، «فقيل»: لم لا دخل الكل وبعض ما لم يسعه التحليق فكان أبلغ في اشتراك الجميع في الاطلاع على المعجزة بخلاف التبعيض، فإنه يطرقه احتمال تكرر وضع الطعام لصغر الصحفة؟ فقلت: يحتمل أن يكون ذلك لضيق الوقت والله أعلم. اهـ. وقال التلمساني في حاشية الشفاء: وقيل: حكمة ذلك العدد لئلا يقع نظر الكل على الطعام القليل فيزداد حرصهم ويظنون أنه لا يشبعهم فتذهب بركته، وقوله: كلهم توكيد أتى به للشمول وألا يتوهم أن المراد أكل المعظم **(وشبعوا)** أي: ليس أكلاً بقدر ما يسد الرمق ويقيم البنية بل إلى حد الشبع، ولا ينافيه النهي عن الشبع؛ لأنه فيمن أدمن عليه واعتاده وأما نادراً كما في هذا فلا، وأيضاً فما هنا من قبيل خروجه ﷺ للمطر: وقوله فيه: إنه حديث عهد بربه أي: بتكوينه، ومن قبيل حثو أيوب ما تساقط عليه من جراد الذهب فقال الله له: ألم يكن فيما أعطيتك غنى عن هذا؟ قال: بلى، ولكن هذا فضلك ولا غنى بنا عن فضلك، والحديث في الصحيح **(والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون رجلاً)** قال في الفتح: كذا في هذه بالشك، وفي غيرها الجزم بالثمانين أي: كما يأتي في الرواية بعد، بل في أخرى أكل منه بضعة وثمانون رجلاً **(متفق عليه)** رواه البخاري في باب علامات النبوة بطوله وفي الصلاة مختصراً وفي الأطعمة وغيرها، ورواه مسلم في الإيمان، ورواه الترمذي في المناقب وقال: حسن صحيح، والنسائي في الوليمة كذا في الأطراف للمزي. **(وفي رواية: فما زال)** أي: النبي ﷺ **(يدخل عشرة ويخرج عشرة)** أي: يأمر بذلك فإسنادهما إليه مجازي بدليل الرواية السابقة **(حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها)** أي: جمعها بعد تمامهم أجمعين أي: وبعد أكله وأهل المنزل منه، ويحتمل كونه بعد ذاك قبل هذا **(فإذا هي)** أي:

Made searchable using ScribeTools.com

مِثْلُهـا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَـا. وَفـي رِوَايَـةٍ: فَـأَكَلُوا عَشَـرَةً عَشَـرَةً حَتَّى فَعَـلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُـلاً، ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْـدَ ذَلِـكَ وَأَهْـلُ الْبَيْت وَتَرَكُـوا سُؤراً. وَفي رِوَايَـةٍ: أَفْضَلوا مَا بَلَّغُـوا جِيرانَهُمْ. وفِي رِوَايَـةٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْماً فَوَجَدْتُهُ جَالِساً مَـعَ أَصْحابِهِ وَقَدْ عَصَبَ بَـطْنَهُ بِعِصَـابَةٍ،

الصحفة باعتبار ما فيها من الطعام **(مثلها)** على حالتها من قدر الطعام فيها حال وضعه قبل تناول أحد منه وهو مراده بقوله: **(حين أكلوا منها)** وإذا للمفاجأة والجملة الاسمية بعدها مضاف إليها، والمعنى: فاجأهم هذا الأمر الخارق للعادة معجزة له ﷺ، وذلك مساواتها بعد شبع الثمانين منها لها قبل وضعهم اليد فيها، وفي رواية لمسلم ثم أخذ ما بقي فجمعه، ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال: دونكم هذا. **(وفي رواية)** لمسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري عن أنس **(فأكلوا)** الواو فيه ضمير يعود إلى الصحابة المذكورين في الخبر، وقوله: **(عشرة عشرة)** حال بمعنى مرتبين كذلك، وكان حق الإعراب فيهما أن يكون في أحدهما لكن لما قبله كلاهما كان تخصيص أحدهما به ترجيحاً بلا مرجح فجرى الإعراب فيهما **(حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت)** قال المصنف فيه: أن يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان **(وتركوا سؤراً)** تقدم ضبطه: ومعناه في حديث جابر المذكور آنفاً. ففي الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ من كفاية هذا القدر اليسير من الطعام ذلك العدد الكثير من الأنام. **(وفي رواية)** هي لمسلم أيضاً في الأطعمة من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس **(ثم أفضلوا)** أي: أبقوا **(ما بلغوا جيرانهم)** وفي رواية وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا. وفي رواية عن أنس: حتى أهدت أم سليم لجيرانها، ثم «ما» يحتمل كونها موصولة أو نكرة موصوفة عائدها ضمير مجرور محذوف أي: ما وصلوا به جيرانهم، ويحتمل كون العائد ضميراً منصوباً أي: ما أوصلوه جيرانهم. والجيران بكسر الجيم وسكون التحتية جمع جار **(وفي رواية)** لمسلم عن يعقوب بن عبد الله بن طلحة الأنصاري **(عن أنس)** بطريق السماع منه كما صرح به مسلم **(قال: جئت رسول الله ﷺ)** أي: للقيام بشيء من الخدم؛ لأنه كان خادمه ﷺ **(فوجدته جالساً)** يحتمل كونه في المسجد كما وجده فيه في القصة، قيل: وقد صرح بذلك في رواية عنه عند مسلم قال: جئت النبي ﷺ فوجدته جالساً في المسجد يتقلب ظهراً لبطن ثم ساق الحديث، ويحتمل كونه في غيره **(مع أصحابه وقد عصب)** قال المصنف: يقال بالتخفيف والتشديد بمعنى أي: ربط **(بطنه بعصابة)** قال مسلم قال أسامة: وأنا أشك على حجر، وفعله ذلك ليسكن به مغص المعدة فيضعف عنه ألمها كما تقدم في حديث

فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحابِهِ: لِمَ عَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجوعِ. فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ قَدْ رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ عِنْدي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ. وَذَكَرَ تَمامَ الحديثِ[1].

جابر في الباب في حكمة شد الحجر على بطنه. وقوله: عصب إلخ جملة حالية من رسول الله ﷺ أو من ضميره، وهو لا يخالف قوله في الرواية السابقة: يتقلب ظهراً لبطن كما قال المصنف، بل أحدهما يبين الآخر أي: كان كلا الأمرين، فذكر في كل من الروايتين أحدهما وترك الآخر سهواً أو لغيره **(فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من)** من فيه تعليلية؛ لأنها ذكرت لبيان ما سأل عنه أنس من علة الربط أي: لأجل **(الجوع)** وبسببه كقوله: مما خطاياهم أغرقوا **(فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم)** بنت ملحان هذه جملة معترضة بين المتعاطفين أتي بها لبيان وجه مجيئه إليه، وقوله: **(فقلت: يا أبتاه)** هو زوج أمه، وسماه أبا تأدباً وألحق بآخره الهاء الساكنة للوقف عليها والجملة معطوفة على جملة ذهب **(قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه)** يحتمل أن تكون رأى علمية فتكون الجملة في محل المفعول الثاني وأن تكون بصرية فتكون الجملة في محل الحال بتقدير قد، وعلى الثاني فالمراد أنه رأى من محل العصب من بطنه ما ليس بعورة مما كان يبدو منه ﷺ في خلوته وبين خواص أصحابه، وقوله: **(فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع)** أتى به لدفع توهم أن عصب البطن كان من دأبه إنما كان من الجوع، فلذا ذكره له ليبادر إلى السعي في رفعه والإسراع في دفعه **(فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟)** من فيه مزيدة لتنصيص العموم والمراد منه ما ينتفع به من الأقوات بقرينة المقام فهو عام أريد به خاص كما تقدم في نظيره، ومجرورها مبتدأ خبره محذوف أي: عندك **(فقالت: نعم)** ثم بينت ما عندها بقولها **(عندي كسر)** بكسر ففتح جمع كسرة بكسر فسكون: القطعة **(من الخبز وتمرات)** ظاهره أنها كانت قليلة بخلاف الكسر، ويحتمل أنها تجوزت باستعمال جمع القلة في جمع الكثرة كما وقع عكسه في قوله تعالى: ﴿ثلاثة قروء﴾[2] **(فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه)** أي؛ لأن بها يحصل الشبع عادة **(وإن جاء أحد معه قل عنهم)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: علامات النبوة في الإسلام وفي المساجد والأطعمة والأيمان والنذور، (٦/ ٤٢٩، ٤٣٢) و(٩/ ٤٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره... (الحديث: ١٤٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٥٧ ــ باب: في القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

أي: بحسب العادة **(فذكر تمام الحديث)** قال المصنف في الحديث: ما كان عليه الصحابة من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ، وفيه منقبة لأم سليم ودلالة على فقهها ورجحان عقلها لقولها: الله ورسوله أعلم، معناه: أنه قد عرف الطعام فهو أعلم بالمصلحة. اهـ. وفيه ضيق حال القوم حينئذ، وفيه إجزاؤهم بالقوت وترك ما زاد عليه من شهوة النفس وحظها، والله أعلم.

باب القناعة

هي كما في الصحاح بالفتح: الرضا بالقسم **(والعفاف والاقتصاد)** افتعال من القصد وهو ما بين الإسراف والتقتير **(في المعيشة والإنفاق)** وإخراج المال الطيب في الطاعة والمباحات أي: التوسط فيها كما قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾[٣] **(وذم السؤال)** حذف معموله ليعم سائر المسؤول من مال وطعام وغيرهما **(من غير ضرورة إليه،)** قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أفاد بمفهومه ذم الاشتغال بضده. **(قال الله تعالى: وما من)** صلة للتنصيص على العموم **(دابة في الأرض)** قال ابن عطية: الدابة ما دب من الحيوان، والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق ودخل فيه الطير والقائم من حيوان. وفي حديث أبي عبيدة: فإذا دابة مثل الظرب، يريد من حيوان البحر، وتخصيصه بقوله في الأرض؛ لكون أقرب لحسهم، والطائر والقائم إنما هو في الأرض وما مات من الحيوان قبل أن يغتذي فقد اغتذى في بطن أمه **(إلا على الله رزقها)** إيجاب تفضل؛ لأنه تعالى لا يجب عليه شيء عقلاً. قال البيضاوي: وأتي به تخفيفاً للوصول، وحملاً على التوكل فيه. **(وقال تعالى للفقراء)** أي: الصدقات لهم، وهم الأولى والأحق بها وإن جاز صرفها لغيرهم كما يؤخذ من الآية التي قبلها في التلاوة **(الذي أحصروا في سبيل الله)** حبسوا أنفسهم في الجهاد. وقيل: معناه: حاسبوا أنفسهم بربقة الإسلام

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [1]: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

وقصد الجهاد وخوف العدو إذا أحاط بهم الكفرة، فصار خوف العدو عذرًا أحصروا به. قيل: المراد بهم فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم، وقيل: أصحاب الصفة المنقطعين بكليتهم إلى الله تعالى. قال ابن عطية: يتناول كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر، وقوله: في سبيل الله يحتمل الجهاد، ويحتمل الدخول في الإسلام **(لا يستطيعون ضرباً في الأرض)** ذهاباً بالتجارة فيها لاشتغالهم بالجهاد وبالله أو لغلبة الكفرة في البلاد **(يحسبهم الجاهل)** بحالهم **(أغنياء من التعفف)** من أجل تعففهم عن السؤال **(تعرفهم بسيماهم)** من التخشع وأثر الجهد والضيق، وقيل: أثر السجود. قال ابن عطية: وهذا أحسن؛ لأنهم متفرغون متوكلون لا شغل لهم غالباً سوى الصلاة فكان أثر السجود عليهم أبداً **(لا يسألون الناس إلحافاً)** أي: إلحاحاً. والآية تحتمل نفي السؤال عنهم جملة فيكون من نفي المقيد وهذا ما عليه الجمهور، ويحتمل أن سؤالهم أي: إن سألوا عن مزيد الحاجة لا يلحون أي: لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل، وباحتماله فيكون النفي للقيد، وهذا هو الأكثر في النفي المتوجه إلى كلام مقيد كما قاله السفاقسي. قال الثعالبي: بعيد من ألفاظ الآية فتأمله. وينبغي للفقير أن يتعفف في فقره ويكتفي بعلم ربه. قال العارف بالله ابن أبي جمرة: قال أهل التوفيق: من لم يرض باليسير فهو أسير. ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

استغن عمن شئت تكن نظيره ... وتفضل على من شئت تكن أميره

واحتج إلى من شئت تكن أسيره

قال ابن عطية: في الآية تنبيه على سوء حال من يسأل الناس إلحافاً. **(وقال تعالى: والذين إذا أنفقوا)** أي: في الطاعات؛ لأنهم محفوظون من غيرها كما قال ابن عطية: **(لم يسرفوا)** أي: لم يفرطوا حتى يضيعوا حقاً ناجزاً أو عيالاً أو نحوه **(ولم يقتروا)** أي: لم يفرطوا في الشح **(وكان بين ذلك قواماً)** وسطاً وعدلاً، سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما والقوام في حق كل بحسب عياله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال، وخير الأمور أوساطها، وقواماً خبر ثان أو حال مؤكدة، ويجوز أن يكون الخبر، وبين ظرف لغو. وقيل: إنه اسم كان بني لإضافته لغير متمكن، وضعف بأنه بمعنى

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَتَقَدَّمَ مُعْظَمُها فِي البَابَيْنِ السَّابِقَيْنِ. وَمِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْ:

٥٢١ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» .....

القوام فيكون كالإخبار عن الشيء بنفسه. **(وقال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** أي: إلا لأجلها، فإنهم خلقوا بحيث تتأتى منهم العبادة وهدوا إليها، فهذه غاية كمالية لخلقهم، وتعرى البعض عن الوصال إليها لا يمكن[٢] كون الغاية غاية. وأما قوله تعالى: ﴿ذرأنا لجهنم﴾[٣] فلام العاقبة نحو لدوا للموت أو إلا لنأمرهم، أو ليقروا بي طوعاً أو كرهاً، أو المراد منهم المؤمنون **(ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)** أي: يطعموني أي: ليس شأني معهم كشأن السادة مع العبيد، وقيل: أن يرزقوا أنفسهم أو أحداً من خلقي، وأسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله وإطعام العيال على الله، وفي الحديث القدسي «استطعت فلم تطعمني» **(وأما الأحاديث)** الدالة على ما ذكر في الترجمة **(فتقدم معظمها)** أي: أكثرها **(في البابين السابقين)** قبل فإن في أحاديثهما القناعة من الصحابة والاقتصاد وترك السؤال والصبر على مضض الفقر **(ومما لم يتقدم)** أي: بعضه وإلا فاستيعاب جميع ما لم يذكر فيهما مما ورد في الباب قد يشق.

٥٢١ ــ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليس الغنى)** أي: الممدوح في الشرع المرضي عند الله سبحانه المعد لثواب الآخرة أو النافع أو العظيم وهو بكسر أوله المعجم مقصوراً، وقد مد في ضرورة الشعر **(عن كثرة العرض)** عن فيه سببية **(ولكن)** بتشديد النون فيما وقفت عليه من نسخ الرياض والاستدراك لدفع توهم كثرة العرض ينافي الغنى المحمود فدفعه بقوله: ولكن **(الغنى غنى النفس)** قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال، فكثير من الموسع عليه فيه لا ينتفع بما أوتي جاهد في الازدياد لا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير من شدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٢) لعله (لا يمنع). ع

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْعَرَضُ» بِفَتْحِ العَينِ والرَّاءِ هُوَ: الْمَالُ[١] . . . . . .

استغنى بما أوتي وقنع بـه ورضي ولم يحرص على الازديـاد ولا ألح في الـطلب. وقال القرطبي: وإنما كان الممدوح غنى النفس؛ لأنها حينئذ تكف عن المطامع فتعز وتعظم، ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله مع كونه فقير النفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله وحرصه، فيكثر من يذمه من الناس فيصغر قدره عندهم فيصير أحقر من كـل حقير وأذل من كـل ذليل. والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما قسم الله له لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب، بل يرضى بما قسم له، فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على الضد منه، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره، علماً بأن الذي عنده سبحانه خير وأبقى، فهو يعرض عن الحرص والطلب. وقال الطيبي: يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلية، قال الشاعر:

ومن ينفق الساعات في جمع مالـه مخـافـة فقـر فـالـذي فعـل الفقـر

أي: ينبغي أن ينفق أوقـاتـه في الغنى الحقيقي وهو تحصيل الكمالات لا في جمع المال فإنه لا يزداد به إلا فقراً ا هـ. قيل: وهذا وإن أمكن إلا أن ما قبله أظهر في المراد. قلت: وعليه فيمكن أن يحمل قوله: ليس الغنى على الدوام أي: ليس الغنى الدائم عن كثرة المال فإنه عرضة للزوال إنما هو بالكمال النفساني، وما أحسن ما قيل:

رضينـا قسمـة الـجبـار فينـا لـنـا عـلـم ولـلأعـداء مـال
فـإن الـمـال يفـنى عـن قـريـب وإن الـعـلـم كـنـز لا يـزال

وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلى ربه في جميع أمره، فيتحقق أنه المعطي المانع فيرضى بقضائه ويشكر على نعمائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى النفس عن غير ربه، والغنى الوارد في قوله تعالى: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾[٢] ينـزل على غنى النفس فإن الآية مكية، ولا يخفى ما كان فيه ﷺ قبل أن يفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال **(متفق عليه)** ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه كذا في الجامع الصغير **(العرض بفتح العين والراء)** المهملتين والضاد المعجمة **(هو المال)** في المصباح: هو متاع الدنيا، قال: وهو في

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس (١١/٢٣١، ٢٣٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العـرض (الحديث: ١٢٠).

(٢) سورة الضحى، الآية: ٨.

Made searchable using ScribeTools.com

٥٢٢ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٥٢٣ ــ وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به، وهو خلاف الجوهر. والعرض بالسكون: المتاع، قالوا: والدراهم والدنانير عين وما سواهما عرض، وجمعه عروض كفلس وفلوس. وقال أبو عبيدة: العرض أي: بالسكون: الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيواناً ولا عقاراً ا هـ. وقال ابن فارس العرض بالسكون: كل ما كان من المال غير نقد.

٥٢٢ ــ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بن العاص **(رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: قد)** للتحقيق **(أفلح)** أي: فاز وظفر **(من أسلم)** لنجاته من النار ودخوله الجنة قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾[2] **(ورزق كفافاً)** في الزكاة من الترغيب والترهيب للحافظ المنذري: الكفاف ما كف عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة، وفيه في الزهد: الكفاف الذي ليس فيه فضل عن الكفاية. روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب عن سعيد بن عبد العزيز أنه سئل: ما الكفاف من الرزق؟ فقال: شبع يوم وجوع يوم ا هـ. وقال القرطبي: هو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات ا هـ. وإنما كان ذلك فلاحاً لكونه حاز كفايته وظفر بإقامته وسلم من تبعة الغنى وذل سؤال الشيء، ثم على ما ذكره في الزكاة من الترغيب يكون قوله: **(وقنعه الله بما آتاه)** من باب التصريح بما اندرج فيما قبله اهتماماً واحتفالاً بشأنه أو تجرد الكفاية[3] عن اعتبار القناعة في مفهومه **(رواه مسلم)** ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه كلهم عن ابن عمرو كذا في الجامع الصغير، وتقدم في الباب قبله حديث بمعناه عن فضالة بن عبيد. وفيه شرف هذه الحال على حالي الفقر المدقع والغنى، لما في الأول من كدح الحاجة والثاني من بطر الغنى. والحديث قد تقدم الكلام عليه في الباب قبله.

٥٢٣ ــ **(وعن حكيم)** بفتح الحاء المهملة **(ابن حزام)** بكسر الحاء المهملة وبالزاي ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي القرشي المكي **(رضي الله عنه)** ولد قبل عام الفيل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الكفاف والقناعة (الحديث: ١٢٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) كذا، ولعله (أو يجرد الكفاف). ع

فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ؛ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ

بثلاث عشرة سنة بجوف الكعبة ولا يعرف هذا لغيره. وما روي أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء، عاش ستين سنة في الجاهلية، وأسلم عام فتح مكة، وعاش في الإسلام ستين سنة على ما تقدم فيه، ولم يشاركه في هذا إلا حسان بن ثابت. والمراد بقولهم وستين في الإسلام أي: من حين ظهوره مظهراً فاشياً، وكان من أشراف قريش ووجوهها جاهلية وإسلاماً ولم يصنع في الجاهلية من المعروف شيئاً إلا صنع في الإسلام مثله، وتقدمت ترجمته أيضاً في باب الصدق **(قال: سألت رسول الله ﷺ)** أي: من الدنيا **(فأعطاني ثم سألته)** أي: مستكثراً منها **(فأعطاني ثم قال:)** كأن حكمة تأخير هذا القول عن الإعطاء دفع توهم أن ذلك لبخل في المسؤول **(يا حكيم)** فيه نداء الرجل باسمه، وفيه تنبيه وإيماء إلى أن هذا الاسم يؤذن بقيامه بالحكمة وهي المعرفة، فكأنه قال: يا موصوفاً بالحكمة الداعية إلى الزهادة في الدنيا والإقبال على الآخرة **(إن هذا المال خضر)** بفتح أوله وكسر ثانيه المعجمين أي: كالخضر في ميل النظر إليه وإلف النفس به **(حلو)** بكسر المهملة[1] وسكون اللام، قال الحافظ: معناه أن صورة المال كذلك، والعرب تسمي كل مشرق نضراً خضراً. قال ابن الأعرابي: ليس هذا صفة المال وإنما هو للتشبيه فكأنه قال: المال كالبقل الخضر الحلو، أو على معنى فائدة المال أي: أن الحياة به أو العيشة به، أو أن المراد بالمال هنا الدنيا؛ لأنه من زينتها قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[2] **(فمن أخذه بسخاوة)** بفتح السين المهملة وبالخاء المعجمة **(نفس)** أي: بغير شره ولا إلحاح أي: أخذه بغير سؤال، هذا بالنسبة للآخذ، ويحتمل أن يكون بالنسبة للمعطي أي: بسخاوة نفس المعطي أي: بانشراحه فيما بذله **(بورك له فيه)** فوقع منه القليل من المال بالبركة موقع الكثير منه مع فقدها **(ومن أخذه بإشراف)** بالشين المعجمة **(نفس)** أي: انتظارها له وحرصها عليه كما يأتي بنحوه في الأصل **(لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع)** أي: الذي يسمى جوعه كذاباً؛ لأنه من علة به وسقم، فكلما أكل ازداد سقماً ولم يجد شبعاً. وفي الحديث وجوه من التشبيهات بديعة: تشبيه المال وثمره[3] بالنبات وظهوره، وتشبيه آخذه بغير حق بمن يأكل ولا

(١) كذا، ولعل الصواب (بضم المهملة) كما في القاموس وغيره.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٣) في نسخة (ونحوه). ع

Made searchable using ScribeTools.com

مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» قَالَ حَكِيمٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفارِقَ الدُّنْيا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيماً لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ فِي الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَداً مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ.

يشبع. وقال ابن أبي جمرة: في الحديث فوائد: منها أنه قد يقع الزهد مع الأخذ. فإن سخاوة النفس هو زهدها، تقول: سخت بكذا أي: جادت به، وسخت عن كذا أي: لم تلتفت إليه. ومنها أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق، فتبين أن الزهد يحصل خيري الدارين، وفيه ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة؛ لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير، فتبين بالمثال المذكور أن البركة خلق من خلق الله، وضرب لهم المثل بما يعهدون، فالآكل إنما يأكل ليشبع، فإذا أكل ولم يشبع كان غياً في حقه بغير فائدة في عينه إنما هي لما يتحصل به من المنافع، فإذا كثر عند المرء من غير تحصيل منفعته كان وجوده كالعدم **(واليد العليا خير من اليد السفلى)** في صحيح البخاري: **فاليد العليا** هي النفقة والسفلى هي السائلة. قال في فتح الباري: عند النسائي من حديث طارق بن المخارق قال: قدمنا المدينة فوجدنا النبي ﷺ قائماً على المنبر يخطب الناس وهو يقول يد المعطي العليا. ولابن أبي شيبة والبزار من طريق ثعلبة بن زهدم مثله. وقال في الفتح بعد إيراد أحاديث: فهذه متظافرة على أن اليد السفلى هي السائلة والعليا هي المعطية، وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور ثم ذكر مقابل ذلك أقوالاً بسط بيانها في الفتح **(قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا)** هو غاية في ألا يرزأ أحداً؛ لأن من المعلوم أنه بعد مفارقته الدنيا لا يحتاج لمال، وإنما هو كناية عن دوام الانكفاف عن الغير أبداً **(فكان أبو بكر رضي الله عنه)** أي: لما صار خليفة **(يدعو حكيماً ليعطيه)** أي: ما يستحقه من المغنم **(فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رضي الله عنه)** لما صار إليه الأمر بعد الصديق رضي الله عنه **(دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله)** أي: ولا شيئاً منه كما يدل عليه ما قبله **(فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله)** العائد فيه ضمير منصوب محذوف **(له في الفيء فيأبى أن يأخذه)** قال في المصباح: المعشر والقوم والرهط والنفر: الجماعة من الرجال دون النساء والجمع معاشر وفي فتح الباري: إنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه؛ لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئاً فيعتاد الأخذ فيتجاوز به إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك، وترك ما لا

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «يَرْزَأُ» بِرَاءٍ ثُمَّ زَايٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ: أَيْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً. وَأَصْلُ الرَّزْءِ: النُّقْصانُ: أَيْ لَمْ يَنْقُصْ أَحَداً شَيْئاً بِالأَخْذِ مِنْهُ. و«إِشْرافُ النَّفْسِ»: تَطَلُّعُها وَطَمَعُها بِالشَّيْءِ. و«سَخَاوَةُ النَّفْسِ» هِيَ: عَدَمُ الإِشرافِ إِلَى الشَّيءِ وَالطَّمَعِ فِيهِ وَالْمُبالاةِ بِهِ والشَّرَهِ[1].

يريبه خوف ما يريبه. وإنما أشهد عليه عمر؛ لأنه أراد ألا ينسه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه (**فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي**) قال الحافظ في الفتح زاد إسحاق بن راهويه في مسنده من طريق عبد الله بن عمرو مرسلاً أنه ما أخذ من أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا معاوية ديوناً ولا غيرها حتى توفي لعشر سنين من إمارة معاوية. قال السيوطي في التوشيح: وفيه أن سبب سؤاله العطاء أن النبي ﷺ أعطاه دون ما أعطى أصحابه فقال: يا رسول الله ما كنت أظن أن تقصرني دون أحد من الناس، فزاده ثم استزاده حتى رضي فذكر نحو الحديث ا هـ. (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في الوصايا وفي الخمس وفي الرقاق. قلت وفي الزكاة، وأخرجه مسلم في الزكاة إلى قوله واليد العليا خير من اليد السفلى. ورواه الترمذي في الزهد وقال: صحيح، والنسائي في الزكاة والرقاق ا هـ. ملخصاً من الأطراف (**يرزأ براء ثم زاي ثم همزة**) بوزن يسأل (**أي: لم يأخذ من أحد شيئاً**) أي: مجاناً كما يدل عليه قوله: (**وأصل الرزء النقصان**) وما بذل عوضاً لا نقص على باذله، وفي النهاية وأصله النقص، وكأن الشيخ رحمه الله نبه بزيادة النون على اعتبار المبالغة في مفهومه، وقوله: (**أي: لم ينقص أحداً شيئاً بالأخذ منه**) تفسيره لقوله آخر الحديث: «فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس» (**وإشراف النفس**) بالمعجمة (**تطلعها وطمعها بالشيء**) وأصله أن تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظل من الشمس حتى يستبين الشيء، وأصله من الشرف وهو العلو كأنه ينظر إليه من موضع عال (**وسخاوة النفس**) في المصباح السخاء بالمد: الجود والكرم، وفي الفعل ثلاث لغات سخا من باب علا فهو ساخ، والثانية سخى يسخي من باب علم والفاعل سخ منقوص، والثالثة سخو يسخو كقرب يقرب سخاوة فهو سخي بتشديد الياء ا هـ. فيؤخذ منه أن سخاوتها كرمها وجودها، وقول المصنف: (**هي عدم الإشراف والطمع فيه والمبالاة به والشره**) أخذه من مقابلتها بالإشراف المفسر بضد ذلك وهو نتيجة ما قلنا، فإن النفس الكريمة هذا شأنها في الدنيا غير محتفلة بجمعها ولا مشتغلة بحفظها ومنعها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا والزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة والرقاق والخمس، (٣/٢٦٥).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا... (الحديث: ٩٤).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٢٤ ــ وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمِي، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخِرَقِ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ:

---

٥٢٤ ــ **(وعن أبي بردة)** بضم الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة، وهي كنية لصحابي اسمه على الصحيح من أقوال ثلاثة هانىء بن نيار بلوي مدني وتابعي وهو ابن أبي موسى الأشعري وهذا هو المراد، إذ هو المعروف بالرواية عن أبيه، ولذا لم يقيده المصنف كعادته في أمثاله من المشتبهات، واسمه عامر على الصحيح المشهور الذي قاله الجمهور تابعي كوفي. ولي قضاء الكوفة فعزله الحجاج وجعل أخاه أبا بكر مكانه، اتفقوا على توثيقه وجلالته، وهو جد أبي الحسن الأشعري الإمام في علم الكلام. توفي بالكوفة سنة ثلاث وقيل: أربع ومائة كذا لخص من التهذيب للمصنف. وحكمة ذكر التابعي في هذا الحديث قوله بعد روايته فحدث أبو موسى **(عن أبي موسى الأشعري)** تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الإخلاص **(قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة)** بفتح أوليه، قال في النهاية: غزى يغزو غزواً، والغزوة المرة من الغزو والاسم الغزاه أي بفتحها، قلت: ولو قيل بأنه للمرة وأصله غزوة بسكون الزاي فنقلت فتحة الواو إليها ثم أعلت إعلال إقوام لم يبعد والله أعلم **(ونحن ستة نفر)** جملة حالية من فاعل خرج، قال الحافظ: ولم أقف على أسمائهم وأظنهم من الأشعريين، وقوله: **(بيننا بعير نعتقبه)** جملة حالية متداخلة من التي قبلها. في المصباح: البعير مثل الإنسان يقع على الذكر والأنثى، والجمل مثل الرجل يختص بالذكر، والناقة مثل المرأة تختص بالأنثى، والبكر والبكرة كالفتى والفتاة، والقلوص كالجارية، هكذا حكاه جماعة منهم ابن السكيت والأزهري وابن جني، ثم قال الأزهري: هذا كلام العرب، ولكن لا يعرفه إلا خواص أهل العلم باللغة ا هـ. وقوله: نعتقبه أي: نتعاقبه في الركوب واحداً بعد واحد، يقال: دارت عقبة فلان أي جاءت نوبته ووقت ركوبه كذا في النهاية **(فنقبت)** بفتح النون وكسر القاف بعدها موحدة أي: وقت **(قدمي)** بكسر الميم إذ لو كان مثنى لكان بالألف والمراد به الجنس، وفي نسخة أقدامنا بصيغة الجمع المكسر **(وسقطت أظفاري)** جمع ظفر وفيه لغات: ضم أوليه أفصح من ضم أوله وسكون ثانيه، ومن فتح أوليه ومن كسرهما ويقال: أظفور كأسبوع، وربما يجمع الظفر على أظفر أيضاً كركن وأركن. وقول الجوهري: إنه يجمع على أظفور سبق قلم، كأنه أراد أظفر فطغى القلم بزيادة واو ا هـ. ملخصاً من المصباح أي: أظفار أصابع قدمي **(فكنا نلف على**

فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

أرجلنا الخرق) بكسر أوله المعجم وفتح ثانية **(فسميت غزوة ذات الرقاع)** بنصب الغزوة ثاني المفعولين، والأول أقيم مقام فاعل سميت يعود على الغزاة **(لما كنا نعصب)** أي: نربط، وما موصولة أي: الذي كنا نربطه **(على أرجلنا من الخرق)** قال الحافظ: وقال ابن هشام وغيره: سميت به؛ لأنهم رقعوا راياتهم، وقيل: لشجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع، وقيل: بل الأرض التي نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع، وقيل: لأن خيلهم كان بها سواد وبياض قاله أبو حيان. وقال الواقدي: سميت بجبل هناك كان فيه بقع، وهذا لعله مستند أبي حيان ويكون قد تصحف خيل بجبل، ورجح السهيلي السبب الذي ذكره أبو موسى وكذا النووي ثم قال: ويحتمل أن تكون سميت بالمجموع ا هـ. واختلف متى كانت؟ فجنح البخاري إلى أنها بعد خيبر، وذهب أهل السير إلى أنها قبل خيبر، واختلفوا في زمانها، فعند ابن إسحاق أنها بعد بني النضير وقيل الخندق سنة أربع، وعند ابن سعد وابن حيان أنها في المحرم سنة خمس، وجزم أبو معشر بأنها كانت بعد قريظة. والخندق، وتردد موسى بن عقبة في وقتها فقال: لا ندري أكانت قبل بدر أم بعدها؟ قال الحافظ: وهذا التردد لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بني قريظة. ثم حكى الحافظ خلافاً؛ هل هي غزوة محارب أو هي غيرها؟ فالجمهور أنها هي جزم به ابن إسحاق وغيره، وعند الواقدي أنهما ثنتان وتبعه القطب الحلبي في شرح السيرة ا هـ. ملخصاً من الفتح **(قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث)** ناشراً للسنة إذ منها أيامه وأحواله **(ثم كره ذلك)** لما فيه أنه ابتلي فصبر، وذلك من المعاملة بين العبد وربه، وكلما كانت أخفى كانت بالبر أحفى **(وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره)** أي: ما أصنع بذكره ذلك ففيه زيادة كان مع اسمها وهو نادر، والأكثر زيادتها وحدها في مواطن، وقوله: **(كأنه كره أن يكون شيئاً)** خبر كان واسمها ضمير مستتر أي: ما ذكر من عمله شيئاً، ويجوز أن يعرب مفعولاً لفعل محذوف هو مع فاعله والجملة خبر يكون أي: يكون أفشى شيئاً **(من عمله)** وقوله: **(أفشاه)** جملة مفسرة على الثاني، وعلى الأول فهو صفة شيئاً والظرف متعلق به، ويحتمل كون الظرف صفة وجملة أفشاه حالاً من الخبر لتخصيصه بالوصف، وعلى الثاني هو صفة للمفعول **(متفق عليه)** أخرجاه في المغازي من صحيحيهما.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع (٧/٣٢٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذات الرقاع (الحديث: ١٤٩).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٢٥ ــ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ بِفَتْحِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوقُ وَإِسْكَانِ الغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وكَسْرِ اللَّامِ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالاً وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي

---

٥٢٥ ــ (وعن عمرو بن تغلب بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام) اسم غير منصرف للعلمية ووزن الفعل، وهو العبدي من عبد القيس، وقيل: غير ذلك، وجميع ما قيل في نسبه يرجع إلى أسد بن ربيعة، فهو ربعي بالاتفاق. وقال الحافظ في الفتح: وهو النمري بضم النون والميم **(رضي الله عنه)** صحب النبي ﷺ، ثم سكن البصرة، روى عن النبي ﷺ حديثين رواهما عنه البخاري، لم يرو عنه غير الحسن البصري ا هـ. ملخصاً من التهذيب للمصنف **(أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو)** شك من الراوي **(سبي)** بمهملة فموحدة وعند الكشميهني أحد رواة البخاري: أو شيء بالمعجمة، وهو أشمل في النهاية: السبي النهب، وأخذ الناس عبيداً وإماء **(فقسماه)** بتخفيف المهملة ويجوز تشديدها نظراً لتعدد المقسوم **(فأعطى رجالاً وترك رجالاً)** أي: منه **(فبلغه أن الذين ترك)** العائد المنصوب محذوف أي: تركهم **(عتبوا)** في المصباح: عتب عليه من بابي ضرب وقتل لأمه في تسخط ا هـ. وفي النهاية العتاب مخاطبة الإذلال ومذاكرة المؤاخذة ا هـ. وهذا المراد هنا لا التسخط من أفعاله ﷺ، فإن ذلك ينافي الإيمان المشهود لهم به في الخبر **(فحمد الله تعالى)** بأوصاف الجمال. **(ثم أثنى عليه)** أي: بأوصاف الجلال وقيل: إنهما بمعنى، وعليه فهو من عطف الرديف. أتى به لبيان المراد من الحمد وأنه لغوي أي: الثناء اللساني الذي هو شعبة من المعنى العرفي **(ثم قال: أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل)** أل فيه للجنس، والمراد التمثيل، وإلا فما أفاده الحديث جار في النساء أيضاً، ففي الحديث عند مسلم عن هند امرأة أبي سفيان أنها قالت: «يا رسول الله ما كان أهل بيت أبغض إلي من أهل بيتك، والآن والله ما أهل بيت أحب إلي من أهل بيتك، فقال: وأيضاً» الحديث وأكد بالقسم وبأن واللام لعله لما بدا من شدة عتاب المتروكين في ذلك وتوهمهم أنه عن خلل فيهم ديني أو عن نقص حب منه ﷺ **(وأدع)** أي: وأترك وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه **(والذي ادع)** أي: اترك إعطاءه **(أحب إلي من الذي أعطي)** وجه حبه لذلك المعطي مع ضعف إيمانه أنه دخل في سواد أهل الإيمان، وانتظم في سلكهم وجملتهم، وهم المحبون له ﷺ، فقال: ذلك المندرج فيهم نصيبه منها، فلذا أتى بأفعل، ويحتمل كونه فيه بمعنى أصل الفعل نظراً إلى عدم كمال إيمان ذلك حتى يعتد به **(ولكني أعطي أقواماً لما)** أي: للذي **(أرى)** أي:

أُعْطِي أَقْوَاماً لِمَا أَرَى فِي قُلوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْواماً إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والْخَيْرِ. مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» قَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ «الْهَلَعُ» هُوَ: أَشَدُّ الْجَزَعِ. وَقِيلَ: الضَّجَرُ[1].

٥٢٦ ــ وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ

أعلمه **(في قلوبهم)** والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان **(من الجزع)** بالجيم والزاي والعين المهملة، قال في النهاية هو الحزن والخوف. وقال في المصباح: جزع الرجل جزعاً من باب تعب تعباً: إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبراً، ومن بيانية لما **(والهلع)** هكذا في نسخ الرياض تبعاً لبعض نسخ البخاري وسيأتي معناه، وفي نسخة أخرى منه «الضلع» بالضاد المعجمة أي: الميل والاعوجاج، وفي أخرى بالظاء المثالة المفتوحة مع ما يليها أي: مرض القلب وضعف اليقين **(وأكل)** أفوض **(أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغناء)** بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية، وفي رواية الكشميهني بكسر أوله والقصر: ضد الفقر **(والخير منهم عمرو بن تغلب)** هذا آخر الخبر المرفوع؛ وقوله: **(فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم)** الباء للبدلية، والمراد من الكلمة: معناها اللغوي وما قاله فيه أي: بدل ما قاله فيه من إدخاله إياه في أهل الخير والغنى. وقيل: المراد التي قالها: في حق غيره، فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلاً من الكلمة المذكورة التي لي، أو أن يكون لي ذلك وقال: تلك الكلمة في حقي. وفي المصباح: وحمر النعم بضم المهملة وسكون الميم: كرائمها وهو مثل في كل نفيس، ويقال: إنه جمع أحمر وإن أحمر من أسماء الجنس **(رواه البخاري)** في مواضع من صحيحه منها في الجهاد والتوحيد وانفرد به عن باقي الستة **(الهلع هو أشد الجزع)** بمعناه قوله: في الصحاح أفحش الجزع، ومقتضى كلام المصباح عدم اعتبار الأفضلية فيه **(وقيل: الضجر)** وفي المشارق للقاضي عياض: الجزع والهلع هما بمعنى، وقيل الهلع: قلة الصبر، وقيل: الحرص، يقال: رجل هلع وهلوع وهلواع وهلواعة: جزوع حريص ا هـ. فلعل المصنف أراد يكتب قيل: الحرص فسبق القلم فكتب ما ذكر، والله أعلم.

٥٢٦ ــ **(وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: اليد العليا خير من اليد**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد وفي الجهاد والتوحيد وغيرهما (٢/ ٣٣٤).

Made searchable using ScribeTools.com

الْيَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَنْ تَعولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ. وَلَفْظُ مُسْلِمٍ أَخْصَرُ[1].

السفلى) تقدم الكلام على هذه الجملة في الباب **(وابدأ)** في الإنفاق **(بمن تعول)** من زوجة أو أصل أو فرع أو مملوك، من عال أهله: إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت أو كسوة، وهذه الجملة الطلية رواها فقط الطبراني من حديث حكيم بن حزام، ورواه البخاري وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول؛ لأن حقهم واجب، وغيرهم تطوع، والأول مقدم على الثاني **(وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)** أي: أفضلها ما وقع من غير محتاج إلى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه نفقته، ولفظ الظهر مزيد في مثله إشباعاً للكلام قاله الخطابي ونقله في النهاية، وزاد قوله وتمكيناً كأن صدقته مستندة إلى ظهر قوي من الماء، والمعنى: أفضلها ما أخرجه الإنسان من ماله بعد استبقائه منه قدر الكفاية. وقال البغوي: المراد غنى يستظهر به على النوائب التي تنوبه، ونحوه قولهم: ركب متن السلامة، والتنكير في غنى للتعظيم هذا هو المعتمد في معنى الحديث، وقيل: خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسئلة. وقيل: عن للسببية والظهر زائد أي: خير الصدقة ما كان سببه غنى المتصدق. قال القرطبي: يرد على تأويل الخطابي ما جاء في فضل الإيثار على النفس من الكتاب والسنة، ومنها حديث أبي ذر أفضل الصدقة جهد من مقل والمختار أن معنى الحديث: أفضلها ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدق محتاجاً بعد صدقته إلى أحد. فمعنى الغنى في الحديث: حصول ما يدفع به الحاجة الضرورية كأكل عند جوع مشوش لا صبر عليه، فالحاجة إلى ما يدفع به الأذى عن نفسه، لا يجوز الإيثار به بل يحرم؛ لأن الإيثار به يؤدي إلى هلاك النفس والإضرار بها، أو إلى ما يستر به العورة، فمراعاة نفسه أولى، فإذا سقطت هذه الواجبات صح الإيثار وكانت صدقته أفضل لأجل ما يتحمله من مضض الفقر وشدة مشقته، فبهذا يندفع التعارض ا هـ. ملخصاً. من الفتح **(ومن يستعفف)** أي: عن مسئلة الناس **(يعفه الله)** بضم التحتية وضم الفاء المشددة وهو مجزوم جواب الشرط وضمه إتباع لضمة هاء الضمير قاله الدماميني عن الزركشي أي: يرزقه العفة عن ذلك **(ومن يستغن)** أي: يظهر الغنى **(يغنه الله)** أي: يصيره غنياً **(هذا لفظ البخاري)** في كتاب الزكاة من صحيحه **(ولفظ مسلم)** في كتاب الزكاة أيضاً من صحيحه **(أخصر)** ولفظه قال: «أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى، واليد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٣/٢٣٤).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير... (الحديث: ٩٥).

٥٢٧ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» وقد تقدم الكلام على الحديث من حديث أبي هريرة في باب الوصية بالنساء.

٥٢٧ ــ (وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر) عطف بيان لأبي سفيان أو بدل منه بفتح المهملة وسكون المعجمة **(ابن حرب)** بفتح المهملة[2] بلفظ السلم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند يوم فتح مكة فلذا قال المصنف: **(رضي الله عنهما)** وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة وثلاثة وستون حديثاً، اتفق الشيخان على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة، روى عن عدد كثير من الصحابة، ومناقبه كثيرة، وفضائله شهيرة وقد أفردت بالتأليف، توفي بالشام يوم الخميس لثمان بقين من رجب، وقيل: لنصفه سنة ستين، وقيل: تسع وخمسين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمان وثمانين، وقيل: ست، ولما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن في قميص كان رسول الله ﷺ كساه إياه، وأن يجعل مما يلي جسده، وكان عنده قلامة أظفار رسول الله ﷺ فأوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه وقال: افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تلحفوا)** بضم الفوقية وكسر المهملة من الإلحاف الإلحاح أي: لا تلحوا **(في المسألة)** قال المصنف: كذا هو في بعض الأصول بالفاء، وفي بعضها بالباء الموحدة وكلاهما صحيح **(فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج)** بالنصب في جواب النفي **(له مسألته مني شيئاً)** ونسبة الإخراج إليها مجاز لكونها السبب أي: يجد مني ما سأله بسبب إلحاحه وإشراف نفسه وحرصه على حصول مطلوبه **(وأنا كاره)** لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء فحشه **(فيبارك)** بالنصب عطف على المنصوب قبله، أي: يكثر ويدوم **(له فيما أعطيته)** ومن ثم قال الفقهاء: من أخذ شيئاً على أمر أظهره وهو غير متصف به باطناً بملك[3] ذلك المأخوذ وتصرفه فيه باطل، ومن هنا غلبت الفاقة على كثير لاستشرافهم الأحوال وإخراجهم بالإلحاح في السؤال فلا يبارك لهم فيها بوجه **(رواه مسلم)** في كتاب الزكاة من صحيحه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة (الحديث: ٩٩).

(٢) كذا. ع (٣) قوله (بملك) لعله (لا يملك). ع

Made searchable using ScribeTools.com

٥٢٨ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ» وَكُنَّا حَدِيْثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَبَسَطْنا أَيْدِيَنا وَقُلْنا: قَدْ بَايَعْناكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، والصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا» وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً: «وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ

---

٥٢٨ ــ **(وعن أبي عبد الرحمن)** وقيل: أبو عمرو وبدأ به في الأطراف، وقيل: أبو عبد الله وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو حاتم **(عوف)** عطف بيان لما قبله أو بدل منه وهو بالمهملة آخره فاء بوزن فور **(ابن مالك)** بن أبي عوف **(الأشجعي)** الغطفاني **(رضي الله عنه)** أول مشاهده الفتح، وكان حامل راية قوة، سكن دمشق وكان داره بها سنة ثلاث وتسعين، وأما قول الشيخ أبي إسحاق في مهذبه: إن عوف بن مالك رجع عليه بسيفه يوم خيبر فقتله فغلط صريح، إنما ذلك عامر بن الأكوع نبه عليه المصنف في التهذيب، روي له عن رسول الله ﷺ سبعة وستون حديثاً منها عند الشيخين ستة، انفرد البخاري بواحد منها ومسلم بباقيها، وخرج له الأربعة، وروى عنه جبير بن نضير والشعبي وآخرون **(قال: كنا جلوساً)** جمع جالس خبر كان، ويحتمل أنها تامة، وجلوساً مصدر منصوب على الحال وأفرد لكونه مصدراً والأول أولى **(عند رسول الله ﷺ)** يحتمل أن يكون لغواً متعلقاً بالفعل لا بالجلوس؛ لأن الفعل أقوى منه في ذلك، وأن يكون مستقراً خبراً بعد خبر، أو حال من اسم كان **(تسعة)** بتقديم الفوقية **(أو ثمانية أو سبعة)** شك من الراوي في عددهم **(فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ)** وقوله: **(وكنا حديث عهد ببيعة)** جملة في محل الحال من فاعل تبايعون والبيعة أصلها من البيع؛ لأنهم إذا بايعوا وعقدوا عهداً حلفوا لمن بايعهم جعلوا يدهم في يده توكيداً كما يفعل البائع والمشتري. وكانت هذه البيعة ليلة العقبة قبل بيعة الهجرة وبيعة الجهاد والصبر عليه **(فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال:)** أي بعد قوله الأول، والإتيان بثم للفصل بين القولين بجوابهم وما معه **(ألا تبايعون رسول الله)** زاد أبو داود في روايته بعد قولهم قد بايعناك حتى قالها ثلاثاً **(فبسطنا أيدينا)** أي: نشرناها للمبايعة **(وقلنا قد بايعناك يا رسول الله)** أولاً **(فعلام نبايعك)** أي: فعلى أي شيء نبايعك ثانياً وما هي الاستفهامية حذفت ألفها لدخول الجار عليها، ويجوز زيادة هاء السكت عوضاً عن الألف المحذوفة فيقال: علامه، كما في رواية مسلم، قاله ابن رسلان، وبه يعلم أن حذف الهاء من نسخ الرياض من علام من تحريف الكتاب؛ لأن الذي فيه رواية مسلم **(قال: أن تعبدوا الله)** أي: أبايعكم على عبادة الله **(وحده)** أي: منفرداً وهو حال من الجلالة **(ولا تشركوا به شيئاً)** أي:

شَيْئاً» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولٰئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٥٢٩ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْمُزْعَةُ» بِضَمِّ الميمِ وَإِسْكَانِ الزاي وَبِالعينِ الْمُهْمَلَةِ: الْقِطْعَةُ(٢).

من الشرك أو من المعبودات، فهو مفعول مطلق أو مفعول به كما تقدم **(والصلوات الخمس)** أي: وتصلوا الصلوات كما صرح به أبو داود **(وتسمعوا وتطيعوا)** أي: لولي الأمر ومن أوجب الله طاعته في غير معصيته **(وأسر كلمة خفية)** إنما أسر هذه الكلمة دون ما قبلها؛ لأن ما قبلها وصية عامة وهذه الجملة مختصة ببعضهم والمراد بالكلمة المعنى اللغوي وهي الجملة المبينة بقوله: **(ولا تسألوا الناس شيئاً)** قال القرطبي: هذا حمل منه على مكارم الأخلاق والترفع عن تحمل منن الخلق وتعظيم الصبر على مضض الحاجات والاستغناء عن الناس وعزة النفس **(فلقد رأيت بعض أولئك النفر)** بالجر نعت أو عطف بيان لاسم الإشارة على الخلاف في أمثاله بين ابن الحاجب وابن مالك، وقال ابن رسلان: هو بدل منه **(يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه)** فيه التمسك بالعموم، لأنهم نهوا عن السؤال، والمراد منه سؤال الناس أموالهم فحملوه على عمومه، وفيه التنزه عن جميع ما يسمى سؤالاً وإن كان حقيراً، وروى الإمام أحمد عن أبي ذر لا تسألن أحداً شيئاً وإن سقط سوطك، ولا نقبض أمانة **(رواه مسلم)** في الزكاة من صحيحه منفرداً به عن البخاري ورواه أبو داود فيها والنسائي في الصلاة وابن ماجه في الجهاد.

٥٢٩ ــ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لا تزال المسألة) أي: طلب العطاء من السوي **(بأحدكم)** أي: بالواحد منكم أي: إن طبع الإنسان الاستكثار من الدنيا فلا يزال في الدنيا يسأل مالهم تكثراً **(حتى يلقى الله)** كناية عن الموت والحشر، ويؤيد الثاني أن في بعض رواياته ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة رواه مسلم **(وليس في وجهه مزعة لحم)** جملة حالية من فاعل يلقى **(متفق عليه)** رواه البخاري ومسلم في الزكاة من صحيحيهما، ورواه النسائي في الزكاة أيضاً **(المزعة بضم الميم وسكون الزاي وبالعين المهملة القطعة)** قال المصنف قال القاضي: قيل: معنى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (الحديث: ١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثراً (٣/٢٦٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (الحديث: ١٠٣).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٣٠ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٣١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ

الحديث: يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر وجهه لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين سأل وطلب بوجهه كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهياً عنه وكثر منه كما أشرنا إليه كما يدل عليه رواية «من يسأل الناس أموالهم تكثراً» الحديث.

٥٣٠ ــ **(وعنه)** يعني ابن عمر **(أن رسول الله ﷺ قال: وهو على المنبر)** جملة حالية أيضاً من فاعل قال، وقوله: **(وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة)** جملة حالية أيضاً من فاعل قال، فتكون مترادفة أو من الجملة الحالية الأولى فتكون متداخلة، وقوله: يذكر الصدقة أي: يذكر ما في فضلها أو فضل التعفف **(اليد العليا خير من اليد السفلى)** هذا مقول القول، ولما كان في ذلك نوع إجمال فلذا اختلف فيه على أقوال كما تقدم عن الفتح، رفعه بقوله: **(واليد العليا هي المنفقة)** بالنون والفاء والقاف. وعند أبي داود في بعض طرقه بدلها المتعففة قال: وقال أكثرهم: المنفقة **(والسفلى هي السائلة)** قال القرطبي: هذا أي: حديث مسلم نص يدفع تعسف من تعسف في تأويله، غير أنه وقع عند أبي داود إلى آخر ما تقدم، وقال المصنف: ورجح الخطابي رواية المتعففة بأن السياق في ذكر المسألة والتعفف عنها. قال المصنف: والصحيح الرواية الأولى ويحتمل صحة الروايتين، فالمنفقة أعلا من السائلة والمتعففة أعلا منها، والمراد بالعلو علو الفضل والمجد **(متفق عليه)** رواياه في الزكاة من صحيحيهما ورواه أبو داود والنسائي فيها من سننهما.

٥٣١ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من سأل)** كذا في الرياض بصيغة الماضي وفي أصل مصحح من مسلم بصيغة المضارع المجزوم بسكون مقدر للتخلص من التقاء الساكنين **(الناس تكثراً)** أي: ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال **(فإنما يسأل جمراً)** قال القاضي: إنه يعاقب بالنار، قال: ويحتمل أن يكون على ظاهره فإن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٣/ ٢٣٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا... (الحديث: ٩٤).

النَّاسَ تَكَثُّراً فَإِنَّما يَسْأَلُ جَمْراً، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ فَلْيَسْتَكْثِرْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٥٣٢ ــ وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَاناً، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. «الْكَدُّ»: الْخَدْشُ وَنَحْوُهُ(٢).

الذي يأخذه يصير جمراً يكوى به كما ثبت في مانع الزكاة **(فليستقل أو فليستكثر)** اللام فيه ساكنة للأمر والفاء فيه للتفريع وأو فيه للتخيير أي: فهو مخير إذ عرف مآل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقل **(رواه مسلم)** في الزكاة، ورواه ابن ماجه فيها أيضاً.

٥٣٢ ــ (وعن سمرة) بضم الميم **(ابن جندب)** بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال آخره موحدة تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب توقير العلماء **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن المسألة)** مفعلة من السؤال أي: سؤال الناس من دنياهم **(كد)** بفتح الكاف وتشديد الدال المهملة، قال في النهاية: هو الإتعاب، يقال: كد في عمله يكد: إذا استعجل، ونحوه ما في المصباح من أنه الشدة في العمل. وفي المشارق: هو الجهد في الطلب. وسيأتي في الأصل أنه الخدش **(يكد)** بضم الكاف أي: يتعب **(بها الرجل)** الباء فيه للسببية والرجل مثال فالمرأة مثله في ذلك **(وجهه) قال** في النهاية أي: ماؤه ورونقه. والحديث في سنن أبي داود بلفظ «المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل» إلى آخر الحديث. وقد لمح إلى هذا المعنى من قال:

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلاً رجله في الثراء ... وهامة همته في الثريا
فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا

(إلا أن يسأل الرجل سلطاناً) أي: يطلب منه ما أوجب الله من زكاة أو خمس أو في بيت المال ونحوه **(أو في أمر لا بد)** بضم أوله وتشديد المهملة: لا فراق **(منه)** فلا يستطيع تركه فتحل له المسألة فيما دعت إليه الضرورة **(رواه الترمذي)** في الزكاة من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)** ورواه أبو داود كما ذكرناه والنسائي كلاهما في الزكاة من سننهما **(الكد: الخدش ونحوه)** لعله تفسير باللازم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (الحديث: ١٠٥).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في النهي عن المسألة (الحديث: ٦٨١).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٣٣ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. «يُوشِكُ» بِكَسْرِ الشينِ: أَيْ يُسْرِعُ[1].

٥٣٤ ــ وَعَنْ ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً. رَوَاهُ

---

٥٣٣ ــ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أصابته فاقة)** قال في المصباح أي: حاجة **(فأنزلها بالناس)** طالباً رفعها عنه بإعانتهم راكناً في ذلك إليهم **(لم تسد)** بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل **(فاقته)** أي: بل يؤدي ذلك إلى غضب الله تعالى ودوام فاقته إذ أنزل حاجته إلى عاجز مثله وترك اللجأ إليه سبحانه وهو القادر على قضاء حوائج الخلق كلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء. قال وهب بن منبه لرجل يأتي الملوك: ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه، فالعبد عاجز عن جلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على ذلك إلا الله سبحانه **(ومن أنزلها)** فالهمزة فيه وفيما قبله للتعدية، قال في المصباح: نزل نزولاً. ويتعدى بالهمز والحرف والتضعيف، يقال: نزلت به وأنزلته ونزلته أي: فمن جعل فاقته نازلة **(بالله)** أي: مستعيناً به في رفعها **(فيوشك)** أي: فهو يوشك بضم التحتية **(الله له برزق عاجل)** في رفع لأواه **(وآجل)** بالمد أي: لدفع بلواه قال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾[2] وقال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[3] وفي الترمذي من لم يسأل الله يغضب عليه **(رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن)** قال في الجامع ورواه من حديث ابن مسعود أحمد والحاكم في مستدركه. **(يوشك بكسر الشين)** أي: المعجمة وفتح أوله **(أي: يسرع)**.

٥٣٤ ــ **(وعن ثوبان)** بالمثلثة والموحدة آخره نون بوزن غضبان وهو مولى رسول الله ﷺ **رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تكفل)** بفتح الفوقية وتشديد الفاء أي: ضمن، ورواه النسائي بلفظ من ضمن لي واحدة وله الجنة **(لي ألا يسأل الناس شيئاً)** أي: مما لا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الزكاة، باب: في الاستعفاف (الحديث: ١٦٤٥).
أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الهم في الدنيا وحبها (الحديث: ٢٣٢٦).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنادٍ صَحيح[1].

٥٣٥ ــ وَعَنْ أَبِي بِشْرٍ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخارِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرُ لَكَ بِهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَها . . . . . .

ضرورة به إليه (**وأتكفل**) برفع اللام جملة حالية لضمير المجرور أي: من يضمن لي عدم السؤال حال كوني ملتزماً (**له**) على كرم الله عز وجل (**بالجنة فقلت: أنا**) عبارة السنن فقال ثوبان: أنا وزاد ابن ماجه فقال: لا يسأل الناس شيئاً (**فكان لا يسأل أحداً شيئاً**) ظاهره نفي سؤاله لكل شيء، وعند ابن ماجه فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولينه حتى ينزل فيأخذه (**رواه أبو داود**) في كتاب الزكاة من سننه (**بإسناد صحيح**) ورجاله رجال الصحيح.

٥٣٥ ــ (**وعن أبي بشر**) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (**قبيصة**) بفتح القاف وكسر الموحدة وسكون التحتية بعدها مهملة (**ابن المخارق**) بضم الميم بعدها خاء معجمة ابن عبد الله بن شداد بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة العامري الهلالي البصري الصحابي (**رضي الله عنه**) قال المصنف: وفد على رسول الله ﷺ فأسلم، وروي له عن النبي ﷺ ستة أحاديث. روى مسلم أحدها وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: سكن البصرة، خرج عنه مسلم وأبو داود والنسائي (**قال: تحملت**) في الإتيان به من باب التفعل إيماء إلى كلفة الأمر والدخول فيه (**حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها**) جملة أسأل في محل الحال من فاعل أتيت، وفي يحتمل كونها للظرفية المجازية ويحتمل كونها سببية نحو حديث عذبت امرأة في هرة أي: أسأله لسبب الحمالة (**فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة**) يعني الزكاة، فأل فيه عهدية والمعهود قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات﴾[2] (**فنأمر**) بالنصب ويجوز على بعد الرفع على الاستئناف (**لك بها**) أي: بمسألتك (**ثم قال:**) إرشاداً إلى أنه لا ينبغي السؤال إلا عن حاجة حافة أو لأمر مهم كما هنا (**يا قبيصة إن المسألة**) أي: السؤال للصدقة المعهودة وهي الزكاة كما في فتح الإله (**لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة**) أي: أن يسأل الإمام وأهل الزكاة في أوقاتها (**حتى**) إلى أن (**يصيبها**) أي: حتى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الزكاة، باب: كراهية المسألة (الحديث: ١٦٤٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

Made searchable using ScribeTools.com

ثُمَّ يُمْسِكَ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ، أَو قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاناً فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ، أَوْ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ؛ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ يَأْكُلُهَا

يقضي دينه الذي تحمله لأجلها (ثم) بعد قضائها (يمسك) عن المسألة إلا لضرورة أو حاجة أخرى (ورجل أصابته جائحة) بالجيم والحاء المهملة بينهما ألف فهمزة (اجتاحت) أي: استأصلت (ماله) كزرعه وثمره (فحلت له المسألة) أي: أن يسأل الناس في سد خلته (حتى يصيب قواماً من عيش) أي: ما يقوم بحوائجه الضرورية. والحاجية وهو بيان للقوام (أو) شك في أي اللفظين المترادفين نطق به (قال: سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة) أي: فقر شديد اشتهر بين قومه (حتى يقول) بالنصب غاية لمقدر أي: وظهرت فلم تخف على قومه إلى أن يقول (ثلاثة من ذوي الحجى) بكسر المهملة وبعدها جيم مقصور أي: العقل الكامل (من قومه)؛ لأن مثل هذا العدد الذي هو أقل الكثير مع إنصافهم بكمال العقل، وكونه من قومهم العارفين بحاله الظاهرة والباطنة والمطلعين منها على ما لا يطلع عليه أحد غيرهم منها يقبله ويصدقه كل أحد فيما يخبر به عن أحوال ذلك الرجل، قائلين إخباراً للناس بحاله ليتصدقوا عليه مع التأكيد بلام القسم (لقد أصابت فلاناً فاقة) وما شرحنا عليه يقول: باللام هو ما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك، في رواية أبي داود. والذي في صحيح مسلم حتى يقوم بالميم بدل اللام، قال المصنف: وهو صحيح، والمعنى أي: يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته إلخ وقدره ابن حجر في فتح الإله حتى يقوم على رءوس الأشهاد ثلاثة من ذوي الحجى قائلين: لقد أصابته إلخ قال: وبما تقرر في معنى يقوم أنه باق على ظاهره وأن «لقد أصابت إلخ» مقول قول محذوف حال من فاعل يقوم محذوفه لدلالة مقولها عليها لعدم صلاحية تعلقه بيقوم، على أن حذف القول وابقاء مقوله سائغ فصيح وإن الباعث على هذا مزيد التحري لمزيد السؤال والكف عنه حتى يظهر فقره، واضطراره للناس بإخبار العدد الكثير الجامعين مع وصف الكثرة لوصف العقل، وكونهم من أقاربه المحيطين بحاله غالباً يعلم اندفاع قول الصغاني يقوم وقع في كتاب مسلم والصواب يقول كما في رواية أبي داود وقول غيره يقوم بمعنى يقول، وهو وإن صح إلا أن المراد المبالغة في الكف عن المسألة حتى يظهر صدقه وهو غالباً إنما يظهر بثلاثة من قومه، فذكر لذلك مبالغة لا لتوقف الحل عليه، (فحلت له المسألة) بسبب تلك القرائن الدالة على صدقه في سؤاله (حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش) وفي تعبيره بالحاجة

صَاحِبُها سُحْتاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْحَمَالَةَ» بِفَتْحِ الْحَاءِ: أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ فَيُصْلِحُ إِنْسانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. و«الْجَائِحَةُ»: الآفَةُ تُصِيبُ مَالَ الإِنْسَانِ. و«الْقِوامُ» بِكَسْرِ القَافِ وَفَتْحِهَا هُوَ: مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإِنْسانِ مِنْ مَالٍ

في الثاني والفاقة في الثالث حتى يشهد من ذكر غاية المبالغة في الكف عن المسألة إلا بعد الوصول لحالة الاحتياج الشديد، بل الاضطرار الملحق بأكل الميتة وفي قوله: قواماً أو سداداً أنه بعد أن حلت له المسألة لا يكثر منها، بل يقتصر على ما يقتصر عليه المضطر من سد الرمق لا أن يحتاج إلى سد الرمق به في المستقبل بأن كان ذلك المحل يكثر فيه الناس زمناً ويقلون في آخر فله السؤال في أيام كثرتهم ما يقوم بحاجته أيام قلتهم **(فما سواهن)** أي: هذه الأقسام الثلاثة **(من المسألة)** للزكاة أو وصدقة النفل **(يا قبيصة سحت)** أي: حرام لا يحل فعله؛ لأنه يسحت البركة أي: يذهبها ويهلكها، وأصل السحت: الإهلاك، ثم هو مرفوع هكذا في نسخ الرياض فيما وقفت عليه، قال المصنف في شرح مسلم: فما سواهن من انمسألة يا قبيصة سحتاً هكذا هو في جميع النسخ سحتاً بالنصب، ورواه غير مسلم[1] وهو واضح، ورواية مسلم صحيحة وفيه إضمار أي: اعتقده سحتاً أو يؤكل سحتاً. اهـ. ومنه يعلم أن إبدال الميم في يقوم باللام والنصب بالرفع إن لم يكن من سبق قلم المصنف سهواً من رواية مسلم إلى رواية غيره فهو من تحريف الكتاب وقوله: **(يأكلها)** صفة لسحت والتأنيث باعتبار كونه خبر ما، المراد منها الصدقة **(صاحبها)** حال كونها **(سحتاً)** أي: حراماً خالصاً لا شبهة في أكلها ولا تأويل **(رواه مسلم)** في الزكاة من صحيحه، ورواه أبو داود والنسائي في الزكاة من سننهما **(الحمالة بفتح الحاء)** المهملة وتخفيف الميم واللام بينهما ألف **(أن يقع قتال ونحوه بين فريقين)** أو يوجد قتيل بين قريتين أنكره أهل كل منهما وأدى الأمر إلى التقاتل **(فيصلح إنسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه)** دفعاً لتلك المفسدة، والتعبير بالتفعل والافتعال لما تقدم في قوله تحملت. قال ابن حجر في فتح الإله: فيعطي من الزكاة ما يسد به دينه لذلك وإن كان غنياً **(والجائحة الآفة)** بالمد **(تصيب مال الإنسان)** قال في فتح الإله: أصل وضع الجائحة مختص بالآفة السماوية والمراد في الحديث ما يشمل الأرضية أيضاً؛ لأن المرا: نقره وحاجته. وفي النهاية: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة وفتنة منفرة جائحة اهـ. وفي المصباح: الجائحة الآفة اهـ. وهما مطلقان كما قال المنصف: والذي أشار إليه ابن حجر

---

(١) كذا، ولعله (ورواه غير مسلم بالرفع الخ). ع

Made searchable using ScribeTools.com

وَنَحْوِهِ. و«السِّدَادُ» بِكَسْرِ السِّينِ: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ الْمُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ. و«الْفَاقَةُ»: الْفَقْرُ. و«الحِجا»: الْعَقْلُ[1].

٥٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى

في فتح الإآله هو قول الشافعي: الجائحة ما أذهبت الثمر بأمر سماوي ا هـ. وحينئذ فلعل فيه لأهل اللغة قولين: الإطلاق والتقييد **(والقوام بكسر القاف)** واقتصر عليه المصنف في شرح مسلم وابن حجر في فتح الإآله **(وفتحها)** وهما مع تخفيف الواو، واللغتان نقلهما في المصباح فقال: يقال: هذا قوامه بالفتح والكسر وتقلب الواو ياء جوازاً مع الكسرة أي: عماده الذي يقوم به، ومنهم من يقتصر على الكسر، والقوام بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت، والقوام بالفتح العدل والاعتدال ا هـ. فلعل من اقتصر على الكسر فسره بماء يقيم من القوت ومن ذكر الفتح معه فسره بقوله: **(وهو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه)** ولا يضر في هذا الجمع كونه قال في شرح مسلم: القوام والسداد بكسر أولهما ما يغني من الشيء ويسد به الحاجة؛ اقتصر على الكسر إما لأن مراده ما يغني ويسد من خصوص القوت، أو اقتصر عليه؛ لأنه الأفصح **(والسداد بكسر السين)** المهملة **(ما يسد حاجة المعوز)** بضم فسكون فكسر، من أعوز الرجل: افتقر **(ويكفيه)** أي: من مال ونحوه كما قدمه المصنف في قرينه الذي شك فيه الراوي هل هو أو ذاك، زاد في شرح مسلم: وكل شيء سددت به شيئاً فهو سداد بالكسر، ومنه سداد الثغر وسداد القارورة، وقولهم: سداد من عوز **(والفاقة)** بالفاء والقاف بينهما ألف **(الفقر)** أي: الحاجة كما في المصباح، يقال أفتاق الرجل: احتاج، وهو ذو فاقة أي: حاجة **(والحجى)** بالضبط السابق فيه **(العقل)**.

٥٣٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس المسكين)** أي: الكامل المسكنة الممدوحها لا لنفي أصل المسكنة **(الذي ترده اللقمة واللقمتان)** زاد مسلم في رواية له: ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان **(والتمرة والتمرتان ولكن)** عطف على ما قبله، ولكن لاستدراك ثبوت ما توهم نفيه من سابقه، إذ المعهود في المسكين عند الناس هو الطواف، وقد نفي عنه المسكنة فربما يتوهم نفيه مطلقاً فرفع ذلك بقوله ولكن **(المسكين الذي لا يجد غنًى)** بكسر أوله المعجم وبالقصر ضد الفقر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة (الحديث: ١٠٩).

يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٨ ــ باب: في جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

٥٣٧ ــ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيْهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، . . . . . .

(يغنيه) بضم التحتية أي: يكفيه عن سؤال الغير (ولا يفطن له) لتصبره وكتم حاله وما هو فيه (فيتصدق عليه) بالبناء للمجهول منصوب في جواب النفي (ولا يقوم في الناس فيسأل الناس) أي: فهذا هو الكامل المسكنة الممدوحها، وهذا الحديث قد سبق مع شرحه في باب ملاطفة اليتيم والمسكين (متفق عليه) رواه البخاري في التفسير، ومسلم في الزكاة من صحيحيهما. ورواه النسائي في الزكاة وفي التفسير من سننه كذا في الأطراف للمزي.

باب جواز الأخذ للمال

من باذله (من غير مسألة) أي: سؤال (ولا تطلع) أي: ترقب واستشراف (إليه).

٥٣٧ ــ (عن سالم بن عبد الله بن عمر) يكنى أبا عمر، وقيل: أبو عبد الله القرشي العدوي المدني التابعي الإمام الفقيه الزاهد العابد، وأجمعوا على إمامته وجلالته وزهادته وعلو مرتبته وعن مالك بن أنس: لم يكن أحد أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد في العيش من سالم، كان يلبس الثوب بدرهمين، وهو أحد الفقهاء السبعة فيما عدهم ابن المبارك. توفي بالمدينة سنة ست فيما قاله البخاري وشيخه أبو نعيم، وسنة خمس فيما قال الأصمعي، وسنة ثمان فيما قال الهيثم ومائة (عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهم) فيه تغليب لهما على سالم فإنه تابعي، وإنما يقال: بصيغة الجمع في أبناء الصحابة المتناسقين كأسامة بن زيد بن حارثة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة وأضرابهم (قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء) أي: من الغنائم (فأقول: أعطه من هو أفقر) أي: أحوج (إليه) أي: العطاء بمعنى المعطي (مني) وكان ذلك من عمر لسماعه من النبي ﷺ النهي عن الاستكثار من الدنيا والحرص عليها، وعنده حين دفع النبي ﷺ له العطاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ (٣/٢٧١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد... (الحديث: ١٠١).

Made searchable using ScribeTools.com

فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ به وما لا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً ولا يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «مُشْرِفٌ» بِالشِّينِ المعجمَةِ: أَيْ مُتَطَلِّعٌ إِلَيْهِ[1].

ما يكفيه فيقول: أعطه **(فقال:)** أي: النبي ﷺ **(خذه)** أي: متملكاً له بدليل إذنه له في التصرف فيه بقوله: **(إذا جاءك)** أي: وصلك **(من هذا المال)** أل فيه للحقيقة ويحتمل كونها عهدية أي: من مال العطاء **(شيء)** التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والجليل **(وأنت غير مشرف ولا سائل)** عطف على مشرف بإعادة النافي دفعاً لتوهم أن النفي منصب على مجموعهما والجملة في محل الحال من مفعول أتاك **(فخذه فتموله)** أي: اتخذه مالاً، ثم أنت مخير بين إنفاقه في حاجتك وبين التصدق كما قال منبهاً بالفاء التفريعية في قوله: **(فإن شئت كله)** أي: فإن شئت أكله فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه وهو قوله: كله، وقبله فاء الجواب مقدرة، ومثله فيما ذكر من حذف مفعول شاء والفاء من الجواب: قوله: **(وإن شئت تصدق به)** ففي الحديث حذف فاء الجواب في غير الشعر، ومذهب سيبويه اختصاص الحذف به لكن زعم الأخفش أن حذفها واقع في النثر وإن منه قوله تعالى: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين﴾[2] وعن المبرد أيضاً جواز حذفها في الاختيار، لكن قال في الارتشاف في حفظي قديماً عن المبرد منع حذفها حتى في الشعر، وحينئذ فالحديث شاهد لمن أجاز حذف الفاء مطلقاً، ومن منع الاستشهاد بالحديث في ذلك حمله على أنه من تغيير الرواة، والله أعلم **(وما لا)** أي: وأي مال لا يجيئك على الحال المذكورة بأن جاءك وأنت مشرف أو سائل **(فلا تتبعه نفسك)** معاملة لها بنقيض مرادها **(قال سالم:)** ذكره ههنا هو النكتة في ذكره قبل الصحابي أول الحديث نظير ما تقدم عن أبي بردة في حديث أبي موسى في الباب السابق قال سالم: أي: المذكور أولاً **(فكان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً)** أي: قليلاً ولا جليلاً من الدنيا كما يؤذن به التنوين **(ولا يرد شيئاً أعطيه)** عملاً بالحديث المذكور ووقوفاً عنده وقد كان ابن عمر شديد الاتباع **(متفق عليه)** رواه البخاري في الزكاة وفي الأحكام من صحيحه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: من أعطاه شيئاً من غير مسألة (٣/٢٦٧).
وأخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: رزق الحكام والعاملين (١٣/١٣٤و١٣٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إباحة الأخذ لمن أعطى... (الحديث: ١١١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

٥٩ ــ باب: في الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ اللَّهُ تَعالَى[١]: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية.

٥٣٨ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا

ومسلم في الزكاة من صحيحه، ورواه النسائي في الزكاة من سننه. مشرف بصيغة الفاعل من الإشراف بالمعجمة والفاء أي: متطلع إليه وفي فتح الباري: الإشراف التعرض للشيء والحرص عليه، من قولهم أشرف على كذا إذا تطاول له، وقيل للمكان المرتفع: شرف لذلك قال أبو داود: سألت أحمد عن إشراف النفس فقال: بالقلب. وقال يعقوب بن محمد: سألت أحمد عنه فقال: وأن يقول مع نفسه يبعث لي فلان بكذا، وقال: الأمر يضيق عليه أن يرده إذا كان كذلك ا هـ.

باب الحث

بفتح المهملة وتشديد المثلثة أي: التحريض **(على الأكل من عمل يده)** بالاحتراف والاكتساب **(والتعفف به عن السؤال والتعرض)** معطوف على مجرور عن، وعن التعرض أي: التطلب **(للإعطاء. قال الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة)** أي: صلاة الجمعة **(فانتشروا في الأرض)** أي: لقضاء جوائجكم **(وابتغوا من فضل الله)** أي: رزقه وهذا أمر إباحة بعد الحظر. عن بعض السلف: من باع واشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة.

٥٣٨ ــ **(وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام)** بن خويلد القرشي الأسدي المكي ثم المدني أحد العشرة المبشرة بالجنة تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب الأمر بأداء الأمانة **(قال: قال رسول الله ﷺ:)** مؤكداً للشيء المقطوع بصدقه بالقسم المقدر المؤذن به اللام من قوله: **(لأن يأخذ أحدكم)** أي: والله لأخذ أحد منكم **(أحبله)** بفتح أوله وسكون المهملة وضم الموحدة جمع قلة الحبل **(ثم يأتي الجبل)** أي: مثلاً فغيره من المفارات محال الحطب كذلك، ولعل التصريح به ما في الصعود فيه من زيادة المشقة على سلوك الأودية **(فيأتي**

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٥٣٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَن يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٥٤٠ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ لا يَأْكُلُ

بحزمة من الحطب على ظهره) من نفسه أو من ظهر دابته والأول أنسب بما قبله **(فيبعها فيكف الله بها وجهه)** أي: فيمنع الله بها ذاته من الحاجة، وعبر بالوجه عن الكل؛ لأنه أشرف الأجزاء الإنسانية، أو؛ لأن السؤال إنما يكون به غالباً **(خير له من أن يسأل الناس)** قال الحافظ في الفتح: خير ليس للتفضيل إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الكسب: بل الأصح حرمته عند الشافعي، ويحتمل أنه كذلك بحسب اعتقاد السائل وتسمية الذي يعطاه خيراً وهو في الحقيقة شراً **(أعطوه أو منعوه)** تقسيم للسؤال المفضل عليه الاكتساب، وتصدير الحديث بالقسم الدال عليه اللام كما تقدم لتأكيده في نفس السامع، وفيه مزيد الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشاق في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لما فضل عليها ذلك، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن الرداء إذا لم يعط، ولما يدخل على المسئول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل **(رواه البخاري)** في الزكاة من صحيحه، ورواه ابن ماجه في الزكاة من سننه أيضاً.

٤٣٩ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره) أي: فيبيعها فيكف الله بها وجهه كما تقدم في حديث الزبير قبله، قال الحافظ في الفتح: وحذف من هذه الرواية لدلالة السياق عليه **(خير له من أن يسأل أحداً)** هو بمعنى قوله فيما قبله: من أن يسأل الناس **(فيعطيه أو يمنعه متفق عليه)** رواه البخاري في الزكاة من صحيحه، ورواه مسلم فيها من طريق آخر في صحيحه، ورواه الترمذي من طريق مسلم في الزكاة وقال: حسن غريب مستغرب من حديث بيان عن قيس.

٥٤٠ ــ (وعنه عن النبي ﷺ قال: كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يديه) قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة (٣/٢٦٥) و(٤/٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة وباب ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ (٣/٢٦٥) و(٤/٢٦٠).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (الحديث: ١٠٧).

إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٥٤١ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّاراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢].

٥٤٢ ــ وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً . . . . . .

الحافظ: الظاهر أن الذي كان يعمله داود بيده الدروع، وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع أنه كان من كبار الملوك، قال تعالى: ﴿وشددنا ملكه﴾[٣] وكان مع سعة ملكة يتورع ولا يأكل إلا من عمل يده (**رواه البخاري**) في البيوع من صحيحه من حديث أبي هريرة باللفظ المذكور من جمة حديث أوله: «خفف على داود القرآن وفي آخره وكان لا يأكل إلا من عمل يديه».

٥٤١ ــ (وعنه أن رسول الله ﷺ قال: كان زكريا) قال المصنف في التهذيب: فيه خمس لغات: أشهرها بالمد، والثانية بالقصر وبهما قرىء في السبع، والثالثة والرابعة زكري بلا ألف بتخفيف الياء وتشديدها حكاهما ابن دريد وآخرون من المتأخرين[٤] الجواليقي، والخامسة زكر كعلم حكاها أبو البقاء، وقوله (**عليه السلام**) فيه إيماء إلى ما قدمناه من أنه لا كراهة في إفراد واحد من الأنبياء بالصلاة لحديث الطبراني «صلوا على سائر الأنبياء فإنهم بعثوا كما بعثت» (**نجاراً**) وهذا من الفضائل لحديث البخاري «أفضل ما أكل الرجل من عمل يده» ولحديث المقدام وغيرهما، وفي شرح مسلم للمصنف في الحديث جواز الصنائع وأن التجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة لزكريا ﷺ وأنه كان صانعاً يأكل من كسبه (**رواه مسلم**) في أحاديث الأنبياء من صحيحه، ورواه ابن ماجه في كتاب التجارات بالفوقية من سننه.

٥٤٢ ــ (وعن المقدام) بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة (**ابن معد يكرب**) بسكون الياء (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما أكل أحداً طعاماً قط**) بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة ظرف لاستغراق ما مضى وباقي الأزمنة مقيسة عليه فيما يأتي (**خيراً**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (٤/٢٥٩). وفي الأنبياء والتفسير.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل زكرياء عليه السلام (الحديث: ١٦٩).

(٣) سورة صّ، الآية: ٢٠.

(٤) كذا، ولعلها كالجواليقي.

Made searchable using ScribeTools.com

مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٦٠ ــ باب: في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

من أن يأكل) أي: أو يشرب أو يلبس وذكر الأكل؛ لأنه أغلب أنواع الاستعمال كما قيل به في قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾[2] فإن المراد استعمالها بأي وجه وذكر لذلك **(من عمل يديه)** كناية عن الكسب وذكر اليدين إما؛ لأنه أفضل مما ليس فيه عملهما، ويؤيده «أنه ﷺ قيل له: أي الكسب أفضل؟ فقال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» أو؛ لأن أغلب الأعمال بهما، وإلا فالمراد مطلقه كالحاصل من كسب النظر كأن يستأجر لحفظ متاع. والسمع كأن يستأجر لسماع طلب درس علم. أو النظر كأن يستأجر لقراءة قرآن، أو لا من شيء من أعضائه كأن يستأجر ليصوم عن ميت، ثم المراد كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه. قال في فتح الإله: ويؤخذ من عموم الحديث أن الاكتساب خير من التوكل، على أنه لا ينافيه بل هو عينه لكن بقيد كما يفهم ذلك حده الذي قيل فيه: إنه أفضل حدوده، إنه مباشرة الأسباب مع شهود مسببها، فالاكتساب مع شهود أن حصوله بتيسير الله له ولطفه به وإقداره عليه، وفتح أبواب الرزق التي يحتاج إليها أفضل من عدمه وإن كان إنما تركه لنحو صلاة أو صيام وقد كان شأن أكابر القوم ذلك، فقد كان للجنيد سيد الطائفة الصوفية دكان في البزازين، وكان يرخي ستره عليه فيصلي ما بين الظهرين قيل: ألف ركعة وقيل: أربعمائة وقيل: مائة، ولعله اختلف فعله فحكى كل من أصحابه ما اطلع عليه. وكان ابن أدهم يكثر الكسب وينفق منه ضرورته ويتصدق بباقيه. وكان أحب طرقه إليه حفظ البساتين وخدمتها؛ لأنه تتم له فيها الخلوة ومجاهدة النفس بأعظم أنواع مجاهدتها، ومن ثم لم يعهد أنه أكل من ثمرة من ثمارها. وترك بعض الكسب كان بعد كمال رياضة نفوسهم وتهذيبها **(أن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده. رواه البخاري)** في أوائل البيوع من صحيحه قبيل حديث أبي هريرة المذكور قبله، وهو مما انفرد به البخاري عن باقي الكتب الستة، والله أعلم.

باب الكرم والجود

بضم الجيم الكرم: بذل ما ينبغي من المال فيما ينبغي. وفي الشفاء للقاضي عياض:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أوائل البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (٤/٢٥٩).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

قالَ اللَّهُ تعَالَى[١]: ﴿ومَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿ومَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ومَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

٥٤٣ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا حَسَدَ . . . . . .

الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة. وفرق بعضهم بينهما بفروق فجعل الكرم الإنفاق بطيب انفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضاً حرية وهو ضد النذالة. والسماحة: التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاية، والسخاء: سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود، وهو ضد التقتير ا هـ. قال في المصباح: يقال جاد الرجل يجود جوداً بالضم: تكرم **(والإنفاق في وجوه الخير)** من صدقة وصلة رحم وقرى ضيف ووقف على جهة خير ونحو ذلك **(ثقة بالله تعالى)** أي: بوعده الذي لا يخلف من حسن الجزاء على ذلك في دار القرار، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾[٤] وقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾[٥] وقال ﷺ: «والصدقة برهان» أي: علامة على تصديق باذلها بوعد الله تعالى **(قال تعالى: ما أنفقتم من شيء)** أي: في رضى الله تعالى **(فهو يخلفه)** يعوضه في الدارين أو في أحدهما، وقد تقدمت مع الكلام عليها في باب الإنفاق على العيال. **(وقال تعالى: وما تنفقوا من خير فلأنفسكم)** أي: وأي إنفاق منكم لمرضاة الله تعالى فلأنفسكم ثوابه فلا تمنوا به على أحد **(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)** الواو للحال أو عطف، يعني أن المؤمن لا ينفق إلا لمرضاة الله تعالى، وقيل: نفي في معنى النهي. قال عطاء الخراساني: معناه إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله فإنك مثال لنفسك، كان السائل مستحقاً أو غيره براً أو فاجراً **(وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** فلا ينقص ثواب صدقاتكم. **(وقال تعالى: وما تنفقوا من خير)** أي: مريدين به مرضاته سبحانه **(فإن الله به عليم)** أي: فيجازيكم بقدره، وفيه ترغيب في الإنفاق لذلك.

٥٤٣ ــ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا حسد) أي: لا غبطة كما

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٥) سورة النمل، الآية: ٨٩.

Made searchable using ScribeTools.com

إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُها» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَاهُ: يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلاَّ عَلَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ(١).

يأتي فتجوز به عنها بجامع تمني مثل النعمة ألا إنها ترد على الحسد بتمني زوالها عن صاحبها **(إلا في اثنتين)** أي: من الخصال **(رجل)** بالرفع على القطع بإضمار مبتدأ ومضاف وتقديرهما خصلتا رجل، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وارتفع ارتفاعه ورأيته في أصل مصحح من مسلم بجر رجل. ويخرج على أنه بدل من اثنين بتقدير مضاف قبله أي: إلا في ذي اثنين رجل إلخ، ثم رأيت الحافظ في فتح الباري ذكر فيه وجوه الإعراب الثلاثة وصدر بالجر ولم يذكر وجهه قال: والرفع على الاستئناف والنصب بإضمار أعني اهـ. **(آتاه)** بالمد والفوقية أي: أعطاه **(الله مالاً)** التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والكثير لكن في إنفاق الأول تفصيل مذكور في كتب الفقه **(فسلطه على هلكته)** بفتح أوائله وهو مصدر هلك يهلك من باب ضرب بضرب هلكاً وهلاكاً وهلوكاًومهلكاً بفتح الميم وتثليث اللام أي: إنفاقه **(في الحق)** خلاف الباطل أي: في القرب والطاعات، وفيه إيماء إلى أن إذهابه في خلاف ذلك من إتلاف المال بالباطل **(ورجل آتاه الله حكمة)** أي: علماً. قال الحافظ: المراد به القرآن كما ورد في حديث ابن عمرو، أو أعم من ذلك. وضابطها ما منع من الجهل وزجر عن القبيح اهـ. **(فهو يقضي بها)** بين المتنازعين إليه **(ويعلمها)** الطالب لها **(متفق عليه)** قال السيوطي في الجامع الكبير: ورواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر بلفظ «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» ورواه أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة بلفظ «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت ما يعمل»، ورواه ابن عدي والبيهقي والخطيب من حديث أبي هريرة بلفظ «لا حسد ولا ملق إلا في طلب العلم» ورواه ابن نصر في كتاب الصلاة من حديث ابن عمر بلفظ «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فصرفه في سبيل الخير، ورجل آتاه الله علماً فعلمه وعمل به» اهـ. **(ومعناه: ينبغي ألا يغبط أحد)** على حال هو فيه كائناً ما كان **(إلا على**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة والزكاة وغيرها (١/١٣٥، =

٥٤٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يا رسولَ اللَّهِ مَا مِنّا أَحَدٌ إلاّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، ومَالَ وارثِهِ مَا أَخَّرَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٥٤٥ ــ وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ

إحدى هاتين الخصلتين) لنظم نفعهما وحسن وقتهما وإذا كان يغبط على أحدهما فجملتهما بالأولى.

٥٤٤ ــ **(وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله)** قال في الفتح: أي أن الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان حالاً منسوباً إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوباً له، فنسبته للمالك في حياته حقيقية، وللوارث حينئذ مجازية ومن بعد حقيقية **(قالوا: يا رسول الله ما منا أحد)** التقديم للخبر الظرفي على المبتدأ للاهتمام بجانبه **(إلا ماله أحب إليه)** جملة وصفية لأحد، ويصح كونها في محل الحال لتخصيصه بتقديم الخبر، وحذف المفضل عليه وهو قوله: من مال وارثه اكتفاء بذكره في كلام السائل **(قال: فإن ماله ما قدم)** بأن تصدق أو أكل أو لبس كما في الحديث السابق «ليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت» أو كما قال، فهذا هو الذي يضاف إليه حياً وميتاً بخلاف ما يخلفه من المال. قال ابن بطال: فيه التحريض على ما يمكن تقديمه من المال في وجوه البر والقرب لينتفع به في الآخرة، فإن كل ما يخلفه يصير ملكاً للوارث كما قال: **(ومال وارثه ما أخر)** فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثوابه عن الميت وإن كان عمل فيه بمعصية الله تعالى فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع إن سلم من تبعته، ولا يعارض حديث سعد بن أبي وقاص «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة» لأن ذلك فيمن تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه، وهذا الحديث فيمن تصدق حال صحته **(رواه البخاري)** في الرقاق من صحيحه، ورواه النسائي في الوصايا من سننه.

٥٤٥ ــ **(وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا النار)** أي: اتخذوا

= ١٥٢).

وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن... (الحديث: ٢٦٨).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما قدم من ماله فهو له (١١/٢٢١).

Made searchable using ScribeTools.com

بِشِقِّ تَمْرَةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٤٦ ــ وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سُئِلَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ لا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٥٤٧ ــ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ فَيَقولُ أَحَدُهُما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقولُ

بينكم وبينها وقاية من صالح الأعمال جل أو قل **(ولو بشق)** بكسر المعجمة أي: نصف **(تمرة. متفق عليه)** وقد تقدم مع الكلام عليه في آخر الحديث الطويل في باب الخوف.

٥٤٦ ــ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط)** لتأكيد(٣) استغراق الأزمنة وتنكير شيئاً ليعم جلالة المسؤول وقلته ووجدانه له وفقده **(فقال لا)** بل إن كان عنده أعطاه، أو يقول له ميسوراً من القول فيعده أو يدعو له، فكان إن وجد جاد وإلا وعد ولم يخلف الميعاد، فليس المراد أنه يعطي ما طلب منه جزماً بل أنه لا ينطق بالرد، فإن كان عنده المسؤول وساغ الإعطاء أعطى وإلا وعد، وقوله للأشعريين: والله لا أحملكم. أجيب أنه تأديب لهم لسؤالهم منه ما ليس عنده مع تحققهم ذلك، ومن ثمة حلف حسماً لطمعهم في تحصيله بنحو استدانة **(متفق عليه)** رواه البخاري في الأدب من صحيحه، ومسلم في فضائل النبي ﷺ والترمذي في الشمائل.

٥٤٧ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من)** مزيدة للتنصيص على العموم والاستغراق في قوله **(يوم)** جاء في حديث أبي الدرداء «ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: يأيها الناس هلموا إلى ربكم، إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا غربت شمسه إلا وبجنبها ملكان يناديان» فذكر مثل حديث أبي هريرة **(يصبح العباد فيه)** هذا ظاهر في أن المراد من اليوم ضد الليل **(إلا ملكان)** في حديث أبي الدرداء إلا وبجنبيها ملكان. والجنب بسكون النون الناحية **(ينزلان)** والجملة حال من العباد **(فيقول:)** بالرفع عطف على الفعل المرفوع **(أحدهما: اللهم أعط منفقاً)** قال الأبي أي: النفقة في الواجب؛ لأن في المال حقوقاً متعينة والنفقة في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: طيب الكلام والزكاة وغيرها (٣/٢٢٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو... (الحديث: ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (١٠/٣٨١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ (الحديث: ٥٦).

(٣) أي الإتيان بقوله قط لتأكيد إلخ. ع

الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٤٨ ــ وعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «قالَ اللَّهُ تَعالى: أَنْفِقْ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

المندوب لكن بالمعروف. وقال القرطبي: وهو يعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه ا هـ. **(خلفاً)** يحتمل أن يكون في الدنيا ويحتمل أن يكون في الآخرة، وفيه الحض على الإنفاق ورجاء قبول دعوة الملك، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾[٣] وفي اعتبار المعروف قوله تعالى: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾[٤] **(ويقول الآخر)** بفتح المعجمة **(اللهم أعط ممسكاً)** أي: عن الإنفاق الواجب والمندوب **(تلفاً)** قال الحافظ في الفتح: التعبير بالعطية في هذا للمشاكلة؛ لأن التلف ليس عطية، والتلف يحتمل أن يراد تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها. وأفاد هذا الحديث توزيع الكلام بينهما فنسب إليهما في حديث أبي الدرداء نسبة المجموع إلى المجموع. قال المصنف: الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات **(متفق عليه)** أخرجاه في الزكاة من صحيحيهما، وأخرجه النسائي في عشرة النساء وفي التفسير من سننه. والحديث قد تقدم مع شرحه في باب النفقة على العيال.

٥٤٨ ــ **(وعنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:)** أي: فهو من الأحاديث القدسية **(أنفق)**[٥] أي: أيها الصالح للخطاب من سائر المؤمنين أي: أنفق المال في وجوه القرب بالطريق المأذون فيه شرعاً إيماناً واحتساباً **(ينفق عليك)** بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم به سبحانه وهو مجزوم جواب شرط مقدر أي: إن تنفق ينفق أي: يوسع عليك ويخلف عوض ما تنفقه، فعبر عنه بالإنفاق على سبيل المشاكلة **(متفق عليه)**.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ (٣/٢٤١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: في المنفق (الحديث: ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: قول الله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ وفي النفقات، (٨/٢٦٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة... (الحديث: ٣٦).

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٥) في بعض نسخ المتن «أنفق يا بن آدم». ع

Made searchable using ScribeTools.com

٥٤٩ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعامَ وتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٥٠ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهَا مَنِيحَةُ

---

٥٤٩ ــ **(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص)** بحذف الياء إما على لغة من يقف على المنقوص المعرف بالسكون، وإما على أنه من الأجوف أي: من العيص لكن الأفصح على كونه من المنقوص الوقف عليه بالياء وقد تقدم ذلك **(رضي الله عنهما أن رجلاً)** في صحيح مسلم عن أبي موسى قال: قلت يا رسول الله، وجاء في طريق أخرى عنه: سألنا رسول الله ﷺ فهذا ظاهر في أنه هو **(سأل رسول الله ﷺ)** وقوله: **(أي: الإسلام خير)** على تقدير القول أي: قائلاً أي: الإسلام أي: أيُّ خصاله أو أي ذويه فعلى الثاني يقدر قبل قوله: **(قال تطعم)** بالرفع **(الطعام)** وما بعده، مضاف أي: ذو إطعام الطعام؛ لأن المراد من الفعل فيه المصدر: إما على تقدير أن المصدرية قبله، أو على تنزيل الفعل منزلته والوجهان مذكوران في نحو: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، واقتصر البدر الدماميني في مصابيحه على الأول وقال فيه: حذف في غير مواضعها المشهورة كالمثال المذكور قال: على أن بعضهم جعل حذفها على الإطلاق مقيساً. قال: والظاهر أن المراد الإطعام على وجه الصدقة والهدية والضيافة ونحو ذلك؛ لأنه ذكر بصيغة العموم **(وتقرأ السلام)** مفتوح الفوقية والراء؛ لأنه من قرأ. قال الزركشي: ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه. قال الدماميني: هي لغة سوء قال القاضي عياض: لا يقال أقرئه السلام إلا في لغة سوء إلا إذا كان مكتوباً إليه فتقول ذلك أي: اجعله يقرؤه كما يقال اقرىء الكتاب. ا هـ. أي: ولا يتأتى هذا الأخير هنا ا هـ. أي؛ لأن المراد إفشاء السلام على من لقيت **(على من عرفت ومن لم تعرف)** وفي بذل الطعام كما ذكرنا وقرأ(٢) السلام على من ذكر استئلاف للقلوب واستجلاب لودها فلا جرم وقع الحض عليهما **(متفق عليه)** أخرجه البخاري ومسلم في الإيمان، وابن ماجه في الأطعمة.

٥٥٠ ــ **(وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: أربعون خصلة)** جاز الابتداء بأربعون مع نكارته لتخصيصه بالعمل في تمييزه؛ لأن الأصح عند النحاة أن العامل في التمييز عن مبهم هو ذلك الاسم المفسر، قال الحافظ في الفتح: وعند أحمد أربعون حسنة **(أعلاها منيحة العنز)** قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام (١/٥٢، ٥٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام (الحديث: ٦٣).

(٢) بإسكان الراء مصدر كالقراءة معطوف على بذل. ع

العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيْقَ مَوعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا الحَدِيْثِ فِي بَابِ بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ(١).

٥٥١ ــ وَعَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ صُدَيِّ بنِ عَجْلَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا ابنَ آدمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ،

أبو عبيدة: المنيحة عند العرب على وجهين. أولهما إعطاء الرجل صاحبه نحو شاة صلة. ثانيهما أن يعطيه شاة أو ناقة ينتفع بحلبها ثم يردها وهذا هو المراد هنا **(ما من عامل يعمل بخصلة)** أي: بواحدة **(منها رجاء ثوابها)** مفعول له، ويصح كونه منصوباً على الحال أي: راجياً ثوابها. وفيه إيماء إلى أن ترتب الثواب على صالح العمل ليس على سبيل اللزوم، بل على سبيل الفضل من المولى سبحانه **(وتصديق موعودها)** الإضافة لأدنى ملابسة أي: الموعود به فيها **(إلا أدخله الله بها الجنة)** قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن بطال: قد كان النبي ﷺ عالماً بالأربعين المذكورة، وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع من ذكرها، وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهداً في غيرها من أبواب البر قال الحافظ بعد أن نقل عن ابن بطال عن بعضهم تعيين تلك الخصال وتعقب ابن المنير له في كون بعضها أعلى من المنيحة ما لفظه: وأنا موافق لابن بطال في إمكان تتبع أربعين خصلة من خصال الخير أدناها منيحة العنز وموافق لابن المنير في رد كثير مما قال ابن بطال، مما هو ظاهر أنه فوق المنيحة والله أعلم **(رواه البخاري)** في أواخر الهبة من صحيحه، ورواه أبو داود في كتاب الزكاة من سننه **(وقد سبق بيان هذا الحديث)** أي: بذكر معنى المنيحة **(في باب بيان كثرة طرق الخير)**.

٥٥١ ــ **(وعن أبي أمامة)** بضم الهمزة وتخفيف الميمين **(صدي)** بضم ففتح فتشديد التحتية **(ابن عجلان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا بن آدم إنك أن تبذل الفضل)** بفتح همزة أن المصدرية وهي ومدخولها في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من اسم إن أي: بذلك **الفضل**، وبكسرها على أنها شرطية، والفضل ما زاد على ما تدعو إليه حاجة الإنسان لنفسه ولمن يمونه **(خير لك)** خبر إن على الأول وخبر محذوف مع الفاء على الثاني أي: فهو خير لك، وبه يتبين ترجيح الفتح لأن الأصل عدم الحذف **(وإن تمسكه)** بفتح الهمزة وإمساكك إياه **(شر لك)**؛ لأنك تحاسب عليه ولا تلقاه بين يديك عند حاجتك إليه **(ولا تلام)** أي: ولا يلحقك لوم من الشرع **(على كفاف)** أي: إمساك ما تكف به الحاجة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: آخر الهبة، باب: فضل المنيحة (الحديث: ٢٢/١٣٨).
انظر الحديث: (١٣٨).

Made searchable using ScribeTools.com

وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ؛ واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٥٥٢ ــ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على الإِسْلامِ شَيْئاً إلا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ، وإِنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ

(وابدأ بمن تعول) من زوجة وقريب وعبد ودابة؛ لأن حقهم واجب وهو أفضل من المندوب بسبعين ضعفاً **(واليد العليا)** المنفقة، وقيل: المتعففة عن السؤال **(خير من اليد السفلى)** أي: الآخذة، وقيل: السائلة، والحديث تقدم مع الكلام عليه في باب فضل الجوع (رواه مسلم).

٥٥٢ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام)** على فيه تعليلية أي: لأجل الإسلام **(شيئاً)** من الدنيا جل أو قل وهو ثاني مفعولي سئل **(إلا أعطاه)** ترغيباً في الإسلام وإنقاذاً لذلك من النار للرحمة التي طبع عليها **(ولقد جاءه رجل)** لم يتعرض المصنف في شرح مسلم لبيانه ولعله كان من المؤلفة **(فأعطاه غنماً بين جبلين)** أي: كثيرة كأنها تملأ ما بين الجبلين، وهذا الإعطاء منه ﷺ يحتمل أن يكون عن سؤال من ذلك الرجل، ويحتمل أن يكون ابتداء زيادة لترغيبه في الإسلام إن لم يكن أسلم، أو لدوامه عليه إن أسلم ونيته ضعيفة فيه. قال المصنف: يجوز أن يعطى المسلم من المؤلفة من الزكاة. ومن بيت المال ولا يجوز أن يعطى مؤلفة الكفار من الزكاة، وفي إعطائهم من غيرها خلاف، الأصح عندنا لا يعطون منه الآن؛ لأن الله قد أعز الإسلام وكثرهم بخلاف أول الإسلام وقد قل المسلمون ا هـ. **(فرجع إلى قومه)** داعياً لهم إلى الإسلام **(فقال: يا قوم أسلموا)** أي: لتغنموا الدنيا؛ لأنه لم يكشف له أنوار اليقين إلى حينئذ كما يدل عليه قوله: **(فإن محمداً ﷺ يعطي عطاء)** مفعول مطلق جوز الهمداني في مثله من قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾[2] أن يكون مصدراً مؤكداً لفعله وفعله محذوف يدل عليه أنبت والتقدير: أنبتكم فنبتم نباتاً وأن يكون مؤكداً لعين أنبت على حذف الهمزة من أوله، وله نظائر في كلام العرب نظماً ونثراً ا هـ. واقتصر ابن هشام في الجامع على كونه مؤكداً لعامله، قال شارحاً: فنبات مصدر لفعل عين أنبت ووقع في التوضيح ما يقتضي التمثيل به لاسم العين النائب عن المصدر قال قرينه[3]: وهو مخالف لكلام النحويين ا هـ. وقيل العطاء إنما يدل على المبالغة فيه بقوله:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا... (الحديث: ٩٧).

(٢) سورة نوح، الآية: ١٧.

(٣) كذا بالأصول. ع

إِلَّا الدُّنيا فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنَ الدُّنْيا وما عَلَيْهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٥٥٣ ــ وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْماً فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ لَغَيْرُ هَؤلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالفُحْشِ، أَو يُبَخِّلونِي فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ» . . . . . .

(من لا يخشى) يخاف (الفقر) لشدة معرفته بهبات ربه وسعة خزائن فضله وقوله: (وإن) مخففة من الثقيلة أي: وإنه (كان الرجل ليسلم) أي: يدخل في الإسلام وينتظم في عدادهم (ما يريد) بإسلامه (إلا الدنيا) لما يرى من مزيد بذله ﷺ تأليفاً على الإسلام وترغيباً فيه (فما يلبث) بفتح التحتية والموحدة وسكون اللام بينهما أي: يمكث (إلا) زمناً (يسيراً) تشرق في قلبه أشعة أنوار الإيمان وتخالط بشاشته قلبه فيتمكن منه (حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) فهذا من كمال رحمته ومزيد معرفته أن دواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الأمراض إلى ضدها، فصلى الله وسلم عليه وزاده فضلاً وشرفاً لديه وفيه عناية الله بأولئك الذين أهلهم لمعاملة نبيه المصطفى ﷺ إياهم بتلك المعاملة لينالوا الدرجات العلية (رواه مسلم) في فضائل الأنبياء من صحيحه.

٥٥٣ ــ (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسماً) أي: ما يقسم من مال الغنائم أو الخراج أو نحو ذلك (فقلت:) معطوف على مقدر دل عليه الكلام فأعطى أناساً وترك آخرين (يا رسول الله لغير هؤلاء) أي: المعطين (كانوا أحق) أي: أولى (به) أي: بالعطاء (منهم) أي: من هؤلاء وأكد باللام المؤذنة بالقسم المقدر واسمية الجملة لما فهمه من ترك النبي ﷺ إعطاءهم من أن غيرهم أحق بذلك منهم. قال الأبي: وهذا التنبيه لظنه أن الإيثار بالعطاء بحسب الفضيلة والسابقة في الدين، فبين له ﷺ سببه بقوله: (قال: إنهم خيروني) قال الأبي: الأظهر أنه بلسان الحال أي: وكلوا الخيرة إلي (بين أن يسألوني بالفحش فأعطيهم) أو أن (يبخلوني) معناه كما قال المصنف أنهم ألحوا علي في السؤال لضعف إيمانهم وألجئوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل (ولست بباخل) ولا ينبغي احتمال أحد الأمرين، وقال الأبي نقلاً عن عياض: المعنى أنهم أشطوا عليه في السؤال على وجه يقتضي أنه إن أجابهم إليه حاباهم، وإن منعهم آذوه وبخلوه، فاختار أن يعطي إذ ليس البخل من خلقه ﷺ مداراة وتألفاً كما قال ﷺ: شر الناس من آتقاه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله... (الحديث: ٥٨).

Made searchable using ScribeTools.com

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

٥٥٤ ـ وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيْرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوْهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ

الناس اتقاء لشره» وكما أمر بإعطاء المؤلفة ففيه ما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والصبر والحلم والإعراض عن الجاهلين كما أمر ﷺ (رواه مسلم) في الزكاة من صحيحه وقد انفرد به عن باقي الستة.

٥٥٤ ـ (وعن) أبي محمد، ويقال: أبو عدي (جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة وسكون التحتية (ابن مطعم) بصيغة اسم الفاعل ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي المدني (رضي الله عنه) أسلم يوم الفتح وقيل: قبله وحسن إسلامه، وكان سيداً حكيماً وقوراً بشأنه[٢]، رئيساً كاتباً. روي له عن رسول الله ﷺ كما قال ابن الجوزي نحو ثلاثين حديثاً، اتفق الشيخان على ستة منها وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بواحد وخرج عنه الأربعة، مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع بتقديم الفوقية (أنه قال: بينما) ما مزيدة لكف بين عن الإضافة، فالجملة الاسمية بعدها مستأنفة (هو يسير مع النبي ﷺ مقفله) منصوب على الظرفية الزمانية أي: زمن رجوعه (من حنين) بضم المهملة وتخفيف النونين بينهما تحتية ساكنة في السنة الثامنة بعد الفتح في شوال (فعلق) بفتح العين وتخفيف اللام وبالقاف من أفعال الشروع بوزن طفق ومعناه. وقد جاء بدله في رواية الكشميهني ثم هو في البخاري بالتاء الممدودة بالتأنيث لإسناده إلى (الأعراب) وهو اسم جمع لعرب كما قال سيبويه، لأنه خاص بسكان البوادي والعرب تعمهم والحاضرين، ورأيت في أصل مصحح فعلقه بهاء الضمير والظاهر أنها تاء التأنيث وربطت في الرسم من تحريف الكتاب وقوله: (يسألونه) جملة في محل الخبر لعلق (حتى اضطروه) أي: ألجأوه إلى (سمرة) بفتح المهملة وضم الميم: شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب قاله ابن التين، وقال الداودي: السمرة هي العضاه، وقال الخطابي: ورق السمر أثبت وظلها أكثف، ويقال: هي شجرة الطلح (فخطفت) بكسر الطاء المهملة (رداءه) قال في المصباح: خطفه من باب سمع أسئلة بسرعة، وخطف من باب ضرب لغة فيه، وعند[٣] ابن شبه في كتاب

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش أو غلظة (الحديث: ١٢٧).

(٢) كذا وفي نسخة لسانه فلينظر. ع

(٣) كذا ولعل الصواب ابن أبي شيبة. ع

بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيْلًا وَلَا كَذَّاباً ولَا جَبَاناً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ. «مَقْفَلَهُ»: أَي فِي حَالِ رُجُوعِهِ. «والسَّمُرَةُ: شَجَرَةٌ. و«العِضَاهُ» شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ[1].

مكة: حتى عدلوا ناقته عن الطريق فمر بسمرات فانتهشن ظهره وانتزعن رداءه، والباقي بنحو حديث جبير **(فوقف النبي ﷺ)** أي: بإمساك خطام الناقة الذي بيده **(فقال: أعطوني ردائي)** قال في المصباح: الرداء بكسر الراء وبالمد ما يرتدى به مذكر لا يجوز تأنيثه. قال ابن الأنباري: وتثنيته رداآن، وربما قلبوا الهمزة فقالوا: رداوان والجمع أردية بالياء كسلاح وأسلحة **(فلو كان لي عدد هذه العضاه)** بالرفع اسم كان وخبرها **(نعماً)** بالنصب ويجوز على التمييز كما في الفتح للحافظ زاد الدماميني ولي خبر كان. وفي رواية أبي ذر بالرفع على أنه اسم كان مؤخراً، وعدد بالنصب خبر مقدم **(لقسمته بينكم)** قال ابن المنير: وهذا تنبيه بطريق الأولى؛ لأنه إذا سمح بمال نفسه فلأن يسمح بقسم غنائمهم عليهم أولى **(ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً)** أي: لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن، فالمراد نفي الوصف من أصله لا نفي المبالغة المدلول عليها بالصيغة: قال ابن المنير: في جمعه ﷺ بين هذه الصفات لطيفة، وذلك أنها متلازمة وكذا أضدادها وأصل المعنى هنا الشجاعة، فإن الشجاع عوائق من نفسه بالحلف من كسبه فبالضرورة لا يبخل، وإذا أمهل عليه العطاء لا يكذب بالخلف في الوعد؛ لأن الخلف إنما ينشأ من البخل، واستعمال ثم هنا ليس مخالفاً لمقتضاها وإن كان الكرم يتقدم العطاء، لكن علم الناس بكرم الكريم إنما يكون بعد العطاء، وليس المراد هنا بثم الدلالة على تراخي العلم بالكرم عن العطاء إنما التراخي هنا لعلو رتبة الوصف كأنه يقول: وأعلى من العطاء بما لا يتقارب أن يكون العطاء عن كرم، فقد يكون عطاء بلا كرم كعطاء البخيل قهراً أو نحو ذلك، قاله الدماميني في المصابيح. وفي الفتح للحافظ: في الحديث ذم الخصال المنفية: وأن إمام المسلمين لا ينبغي أن يكون فيه خصلة منها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب، وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة لخوف ظن أهل الجهل له خلاف ذلك ولا يكون ذلك من الفخر المذموم ا هـ. ملخصاً **(رواه البخاري)** في الجهاد وفي الخمس من صحيحه منفرداً به عن باقي الستة **(مقفله)** بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه **(أي: في حال)** أحسن منه زمان **(رجوعه)** لما قدمناه وبذلك عبر الحافظ في الفتح **(السمرة شجرة)** تقدم بيانها **(العضاه)** بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة **(شجر له شوك)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: ما كان يعطى المؤلفة قلوبهم (٦/٢٦).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٥٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، ومَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٥٥٦ ـ وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ الأَنْمارِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ

قال الحافظ في الفتح: واختلف في واحدها فقيل: عضة بفتح أوليه كشفة وشفاه والأصل عضهه فحذفت الهاء وقيل: عضاهة.

٥٥٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما نقصت صدقة)** هي المخرج من المال تقرباً إلى الله تعالى **(من مال)** قال المصنف: ذكروا فيه وجهين: أحدهما أنه مبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصوري بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة، وثانيهما أنه وإن نقصت صورته لكن ثوابه المعد له في الآخرة جابر لنقصه **(وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)** فيه وجهان أيضاً أحدهما أنه على ظاهره إن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك **(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل)** يجوز أن يكون في الدنيا أي: بأن يرفعه ويثبت له في القلوب بتواضعه منزلة يرفعه بها الناس ويجلوا مكانه، ويحتمل أن يكون ذلك في الآخرة فيثيبه الله في الجنة بتواضعه في الدنيا، وقد يكون المراد فيهما جميعاً ا هـ. ملخصاً **(رواه مسلم)** في البر والصلة من صحيحه، ووقع في الأطراف للمزي في الأدب منه، والذي رأيته في الأصول من مسلم كما ذكرته.

٥٥٦ ـ **(وعن أبي كبشة)** بفتح الكاف وسكون الموحدة وبالشين المعجمة كنية **(عمر)** بضم ففتح **(ابن سعد الأنماري)** بفتح الهمزة وسكون النون وبعد الألف راء نسبة إلى أنمار بطن من العرب وقد اختلف في اسمه **(رضي الله عنه)** فقيل: كما ذكره المصنف عمر وقيل: سعد بن عمر وقيل(٢) عمرو بن سعد سماه يحيى بن يونس وسعيد القرشي هكذا وقيل: اسمه عمرو بن سعد. قال ابن الأثير: وهو الأشهر أخرجه أبو موسى يعد في الشاميين روي له عن رسول الله ﷺ أحاديث ذكر منها المزي في الأطراف أربعين وليس منها شيء في الصحيح **(أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة)** من الخصال أو خصال ثلاثة، وجاز إتيان

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع (الحديث: ٦٩).

(٢) كذا في الأصول وفيه ما بعده تكرار فليتأمل. ع «وبمراجعة أسد الغابة ظهر أن القول الرابع عمرو بن سعيد، فلا تكرار». ع.

اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيْثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ . . . . . .

التاء في عدد المؤنث لحذف المعدود (**أقسم عليهن**) تأكيداً لها في الأذهان للسامعين ليزداد قبولهم لها ويشتد حرصهم على العمل بها وأكد ذلك بقوله: (**وأحدثكم حديثاً**) أي: في ذلك (**فاحفظوه**) والجملتان معترضتان لذلك وجعل العاقولي من باب التقديم والتأخير فقال: أي: أحدثكم في معنى خصال من خصال الخير وأقسم على ثلاث خصال منها: فقدم قوله: ثلاث أقسم عليهنّ للاهتمام بها ا هـ. وما سلكته أولى؛ لأن الأصل عدم التقديم والتأخير (**ما نقص مال عبد من صدقة**) أي: بل البركة النازلة فيه أو الثواب المعد لباذله وذلك يجبر ما نقص منه حساً، أو ما نقص ثوابه بل يضاعف يوم القيامة أضعافاً كثيرة وفي أمالي العز بن عبد السلام معنى الحديث أن ابن آدم لا يضيع له شيء وما لم ينتفع به في دنياه انتفع به في عقباه، فإن الإنسان إذا كان له داران فحول ماله من إحداهما إلى الأخرى لا يقال في ذلك: المحول أنه نقص من ماله: وكان بعض السلف إذا رأى السائل يقول: مرحباً بمن جاء يحول مال دنيانا إلى أخرانا قال: هذا معنى الحديث، وليس معناه أنه لا ينقص في الحس ولا أن الله يخلف عليه فإن ذلك معنى مستأنف ا هـ. (**ولا ظلم عبد مظلمة**) بفتح الميم وكسر اللام اسم مصدر ظلم ظلماً بالفتح من باب ضرب، وفي فتح الباري في كتاب المظالم: المظلمة بكسر اللام على المشهور. وحكى ابن قتيبة وابن التين والجوهري فتحها، وأنكره ابن التوطية ورأيت بخط مغلطاي أن الفراء حكى الضم، قال في المصابيح: هي ما يطلبه عند الظالم وهي ما أخذ منك وحذف الفاعل ليعم ظلم القوي والضعيف ونكر مظلمة في سياق النفي ليعم الظلم في النفس والمال والعرض وقوله: (**صبر عليها**) أي: حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشيء من الانتقام ويحتمل أن يعم ويدخل من ترك بعض حقه من الظلامة وانتصف في البعض فيثاب فيما تركه احتساباً (**إلا زاده الله**) في الدنيا وفي الآخرة أو فيهما (**عزاً**) وذلك من باب قولهم: كما تدين تدان: ومن حديث «اعمل ما شئت فإنك مجزي به» وفي تفسير سورة فصلت من صحيح البخاري قال ابن عباس: ادفع بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. ا هـ. وهذا يؤيد ظهور أثر العفو في الدنيا (**ولا فتح عبد باب مسألة**) لينال بذلك الغنى تكثراً من أموال الناس (**إلا فتح الله عليه باب فقر**) معاملة بنقيض قصده، وفي هذه الأخيرة استعارة مكنية تتبعها استعارة تخيلية في الموضعين (**أو**) شك من الراوي أي: قال:

Made searchable using ScribeTools.com

كَلِمَةً نَحْوَهَا. وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ نِيَّتُهُ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً

فتح الله عليه باب فقر أو قال: **(كلمة نحوها)** في إفادة ذلك **(وأحدثكم حديثاً فاحفظوه)** ظاهر أنه مزيد على الثلاث ولعله ﷺ استطرد مما أقسم عليه من الخصال إلى ذلك لمناسبة بينه وبين ما انتقل عنه، إذ كل فيه ترغيب في إنفاق المال في التقرب إلى الله تعالى وتحذير من الحرص على جمع المال، ويحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام أبي كبشة لما حدثهم بما تقدم، ذكر هذا الحديث بجامع ما ذكرناه فذكره وقال: هذه الجملة قبله ليقبلوا عليه، ويؤيد هذا قوله: **(قال)** أي: النبي ﷺ **(إنما الدنيا لأربعة نفر)** بفتح أوليه هو لغة ما بين الثلاثة إلى العشرة وهو هنا تمييز أربعة وجاز مع أن تمييزها لا يكون إلا جمعاً كسبع ليال وثمانية أيام اعتباراً بالمعنى؛ لأنه كذلك للبعد **(عبد)** يجوز فيه وفي أمثاله من مفصل لمجمل أستوفى العدة الجر على الإبدال مما قبله بدل كل من كل بتقدير سبق العطف على الإبدال، والقطع بالرفع بإضمار مبتدأ محذوف وجوباً، وبالنصب بإضمار نحو أعني محذوف كذلك **(رزقه الله مالاً وعلماً)** فيه أن العلم من الرزق **(فهو يتقي فيه ربه)** أي: لا يصرفه في معصية بل يجتنب ما لا يرضيه **(ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقاً)** سواء كان ذلك واجباً عينياً من زكاة أو كفارة لمقتضاها أو نذر، أو كفائياً ككفاية مضطر من جائع بسد جوعته وعار بكسوته، أو مندوباً كالتقرب إلى الله سبحانه بأنواع الطاعات المالية **(فهذا بأفضل المنازل)** من الجنة؛ لأنه علم وعمل وأدى الواجب والمندوب واجتنب الحرام والمحظور وعلمه ا هـ. إلى الإخلاص في ذلك وجعل معاملته في ذلك مع الله سبحانه **(وعبد رزقه الله علماً)** أي: بالأحكام المتعلقة بالمال من حيث جمعه وإنفاقه وما يتعلق بذلك، ويحتمل أن يراد ما يعم علم ذلك وغيره ويؤيده التنكير إذ الأصل فيه التعميم **(ولم يرزقه مالاً فهو)** لعلمه النافع له **(صادق النية)** أي: القصد في طلب ثواب لله فيعزم على العمل المالي لو قدر عليه ليثاب به **(يقول)** ناوياً لذلك **(لو أن لي مالاً لعملت)** أي: فيه **(بعمل فلان)** الجامع بين المال والعلم من طلب ما رضي الله به **(فهو نيته)** قال العاقولي: مبتدأ وخبر أي: فهو سني النية وبها أجره. «قلت»: ويجوز أن يكون نيته مبتدأ وخبره محذوف أي: ألحقته بمن قبله، والجملة خبر هـ يدل على ذلك قوله: **(فأجرهما سواء)** أي: من حيث النية وصحة القصد، ويزيد ذلك بثواب نفقة المال الذي زاد على صاحبه **(وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً)** يعرف به وجوه

وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمَاً فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيْهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً وَلَا عِلْمَاً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا سَواءٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٥٥٧ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّها غَيْرَ كَتِفِهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ:

التصرف المأذون فيها شرعاً والممنوع منها كذلك **(فهو يخبط)** بكسر الموحدة **(في مال الله بغير علم)** وقوله: **(لا يتقي فيه ربه)** بترك إتلافه في المحارم وببذله في المآثم **(ولا يصل فيه رحمه)** وفي الإتيان بفي هنا وفيما قبله تجريد كقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾(٢) لأن المال نفس الصلة لا أنها فيه، كما أنه ﷺ نفس القدوة لا أنها فيه **(ولا يعلم لله فيه حقاً)** لجهله به فلا يؤدي حق المال واجباً كان أو مندوباً لجهله وحرصه على جمعه وإتلافه في مستلذات نفسه **(فهذا بأخبث المنازل)** لما له من المآثم التي ارتكبها بماله الذي أتلفه مع جهله وعدم علمه **(وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو)** أي: العبد الفاقد لهما لجهله **(يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان)** أي: بصرفه في الملابس الفاخرة واستماع الملاهي وأكل المستلذات المحرمة وغير ذلك **(فهو نيته)** إعرابه كما تقدم أي: فيجد إثم نيته قصد الفساد **(فوزرهما سواء)** باعتبار العزم على المحرم وإن زاد الفاعل بإثم الفعل **(رواه الترمذي)** في أبواب الزهد من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)**.

٥٥٧ ــ (وعن عائشة رضي الله عنهما أنهم) أي: ذوي عائشة أو أهل بيت النبي ﷺ **(ذبحوا شاة)** أي: فتصدقوا بها ما عدا كتفها **(فقال النبي ﷺ)** بعد أن عاد لمنزلها لداع دعا للسؤال عما بقي من لحمها وقد علم أنهم تصدقوا ببعضها **(ما بقي منها)** أي: **عندك (قالت ما بقي)** أي: عندنا **(إلا كتفها)** بفتح الكاف وكسر الفوقية على الأفصح أي: أنفقنا الجميع وتصدقنا به ما عدا ذلك **(قال: بقي كلها)** أي: ثواب كلها؛ لأنه تصدق به تقرباً إلى الله تعالى فهو يخلفه ويجزي عليه **(غير كتفها)** أي: فإنه يفتي بأكله. ومثله لا ثواب فيه إن لم يقارنه قصد صحيح، وهذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها، وأن لا يستكثر المرء ما أنفقه فيها، فإنه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (الحديث: ٢٣٢٥).
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

Made searchable using ScribeTools.com

حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ. وَمَعْنَاهُ: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَهَا فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَهَا[1].

٥٥٨ ـ وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُوكِي فَيُوكِيَ الله عَلَيْكِ» وَفِي رِوَايَةٍ «أَنْفِقِي أَوْ انْفَحِي أو انْضِحِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ الله عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ الله عَلَيْكِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«انْفَحِي» بِالحاءِ

وإن في صورة فهو باق حقيقة لصاحبه عند الله يرى ثوابه مضاعفاً عند حاجته ومزيد فاقته، ففيه أعظم تحريض عليها من كل ما يأكله الإنسان، لأن من استحضر أن ما يأكله لا ثواب له فيه حيث لا غرض صحيح معه، وإن ما يتصدق به بقي له عند مولاه حمله ذلك على التصدق منه ولو بلقمة **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ومعناه)** أي: الحديث من حيث الجملة **(تصدقوا بها إلا كتفها فقال: بقي كلها إلا كتفها)** وذلك؛ لأن ما بقي منها يفنى بأكله وما تصدق به باقياً عند الله سبحانه.

٥٥٨ ـ **(وعن أسماء)** بسكون المهملة بعدها ميم وألف ممدودة **(بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما)** تقدمت ترجمتها في باب بر الوالدين **(قالت: قال لي رسول الله ﷺ: لا توكي)** قال في النهاية أي: لا تدخري وتشدي ما عندك وتمنعي ما في يدك **(فيوكي)** بالنصب أي: فيقطع **(الله عليك)** مادة الرزق، والجزاء من جنس العمل وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾[2] **(وفي رواية)** هي لمسلم في الزكاة من صحيحه **(أنفقي)** **(أو)** شك من الراوي **(انفحي أو انضحي)** قال المصنف بكسر الضاد المعجمة، والمعنى: أعطي النضح والنفح العطاء، ويطلق النضح على الصب فلعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح **(ولا تحصي)** أي: تمسكي المال وتدخريه من غير إنفاق ومنه **(فيحصى)** كذا هو في نسخ الرياض بالمبني للمجهول وفي الزكاة من البخاري ومسلم فيحصي الله **(عليك)** بذكر الفاعل ولعل حذفه من نسخ الرياض إن لم يكن من سبق القلم من المصنف من تحريف الكتاب أي: يمسك عنك مادة الرزق والبركة فيه ويناقشك الحساب في الموقف، إذ أصل الإحصاء الإحاطة بالشيء جملةً وتفصيلاً وهذا فيه تلف أي: تلف، فيكون مطابقاً لأعط كل ممسك تلفاً و ستفاد منه أن الممسك يعاقب بتلف ما عنده وحبس مادة رزقه والبركة فيه ومناقشة الحساب، وقد قال ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» وهذا أبلغ وأليق بمقام التنفير والتغليظ **(ولا توعي)** أي: تمنعني ما فضل عنك عمن هو محتاج إليه **(فيوعي)**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة [باب: ٣٣]، (الحديث: ٢٤٧٠).

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

المُهملةِ وَهُوَ بِمَعْنَى: «أنْفقي» وكَذَلِكَ «انْضَحي»[١].

٥٥٩ ــ وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَثَلُ البخِيْلِ والمُنفقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيْدٍ مِنْ ثُدِيِّهِما إلى تَراقِيهِمَا. فَأمَّا المُنفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إلَّا سَبَغَتْ .....

بالنصب **(الله عليك)** أي: يصيبك على أعمالك بالتشديد عليك في الحساب أو يمنع عنك فضله وجوده، وبهذا يعلم أن هذه بمعنى ما قبلها وأن القصد مزيد التأكيد والحث على الإنفاق **(متفق عليه)** رواه مسلم بجملته وإن اقتصر المصنف على عزو قوله: وفي رواية إليه، والبخاري روى عنها في حديث أن النبي ﷺ قال لها: «لا توكي فيوكى عليك» وعند بعض رواته وقال: «لا تحصي فيحصي الله عليك» وفي حديث آخر عنها أن النبي ﷺ قال لها: «لا توعي فيوعي الله عليك انضحي ما استطعت» **(وانفحي)** بسكون النون وفتح الفاء و **(بالحاء المهملة وهو بمعنى أنفقي وكذلك)** أي: ككون انفحي بمعنى أنفقي **(انضحي)** فانفحي المشار إليه مشبه به وانضحي مشبه، قال في شرح مسلم: معنى انفحي وانضحي: أعطي النفح، والنضح: العطاء.

٥٥٩ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: مثل)** بفتح أوليه أي: صفة **(البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان)** بالموحدة أو النون كما قاله غير واحد، وقول بعضهم: إنه لا شك ولا خلاف أنه بالنون رده بعض المحققين أنه بالنون تصحيف، قيل: ومما يرجح النون أن الدرع لا يسمى جبة بالباء بل بالنون **(من حديد)** حكمة إيثاره الإعلام بأن القبض والشح من جبلة الإنسان، ولذا أضيف إليه في ﴿ومن يوق شح نفسه﴾[٢] وأن السخاوة من عطاء الله وتوفيقه يمنحها من شاء من عباده وإيثار الجنة على الغل؛ لأنه يتأنى فيه الانقباض والانبساط المشار بهما إلى ما يأتي **(من ثديهما)** قال المصنف بضم الثاء المثلثة أي: وكسر الدال وتشديد التحتية على الجمع، كذا في معظم نسخ مسلم جمع ثدي بوزن فلس، وفيه رد على من قال إنه خاص بالمرأة، ويقال في مثله من الرجل «تندوه» بضم الفوقية والدال المهملة وسكون النون بينهما ومن فيه ابتدائية **(إلى تراقيهما)** جمع ترقوة بضم الفوقية والقاف وسكون الراء وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين. قال بعضهم: ولا يكون لغير الإنسان من باقي الحيوان **(فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت)** أي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: التحريض على الصدقة (٣/٢٣٨) و(٥/١٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الانفاق... (الحديث: ٨٨).
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

Made searchable using ScribeTools.com

أو وَفَرَتْ عَلى جِلْدِه حَتَّى تُخفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُها فَلَا تَتَّسِعُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«الْجُنَّةُ»:

امتدت وكملت (أو) شك من الراوي (وفرت) بتخفيف الفاء (على جلده حتى تخفي بنانه) مفاصل الإصبع بالموحدة ونونين، ومن قاله بالمثلثة والتحتية والموحدة فقد صحف (وتعفو أثره) أي: تغطي أثره حتى لا يبدو، وتعفو منصوب عطفاً على تخفي وكلاهما مسند إلى ضمير الجنة أو الجبة، وعفا يستعمل لازماً ومتعدياً، تقول عفت الديار إذا درست وعفاها الريح إذا طمسها، وهو في الحديث متعد. قال الحافظ في الفتح: والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطي الثوب الذي يجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه وسيأتي فيه مزيد (وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت) في رواية لمسلم انقبضت، وفي رواية لهما عضت (كل حلقة) بسكون اللام (مكانها) والمفاد واحد إلا أن الأولى نظر فيها إلى صورة الضيق والأخرى إلى سببه (فهو يوسعها) أي: يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه (فلا تتسع) وفي هذا وعد المتصدق بالبركة وستر العورة والصيانة من البلاء فإن جبة الحديث لا تعد للستر فقط بل له وللصون من الآفات، وهذا كما ورد أن الصدقة تدفع البلاء وفي البخيل على الضد فهي معدة لهتك عورته وكونه هدفاً لسهام البلاء والعياذ بالله تعالى كذا في مصابيح الجامع. قال الخطابي وغيره: هذا مثل ضربه النبي ﷺ للبخيل والمتصدق، فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبها على رأسه ليلبسها، والدرع: أول ما يقع على الرأس إلى الثديين إلى أن يدخل الإنسان يديه في كميها فجعل المنفق كمن لبس درعاً سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه فكلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته، وهو معنى قلصت أي: تضامت واجتمعت، والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه وتوسعت في الإنفاق، والبخيل إذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1] وقال المهلب: المراد أن الله يستر المنفق في الدارين، بخلاف البخيل فإنه يفضحه، ومعنى يعفو أثره يمحو خطاياه. وتعقبه عياض بأن الخبر جاء على التمثيل لا على الإخبار عن كائن. وقيل: هو تمثيل لنماء المال بالصدقة، والبخيل بضده ا هـ. (متفق عليه) واللفظ للبخاري في كتاب الزكاة وهو عند مسلم بنحوه فيها من طرق (والجنة) في النسخ بالنون وهو ما صوبه في شرح مسلم، وقال: لوروده كذلك في رواية بلا شك، وتقدم تعقب بعض المحققين له في ذلك

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

الدِّرْعُ. وَمَعْناهُ: أَنَّ المُنفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءَهُ وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخُطُوَاتِهِ(١).

٥٦٠ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ، مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ــ وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ ــ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْفَلُوُّ» بِفَتْحِ الْفَاءِ وَضَمِّ

(الدرع) بكسر الدال وبالراء والعين المهملات، وهي الثوب المنسوج من الحديد وهي مؤنثة في الأكثر (ومعناه: أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته) أي: كما هو شأن الثوب الرافل، هذا بيان لمعاد الضمائر باعتبار ظاهر اللفظ، أما المعنى المراد فسكت عن بيانه هنا.

٥٦٠ ــ (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة) قال الحافظ في الفتح أي: بقيمتها؛ لأنه بالفتح: المثل، وبالكسر الحمل بكسر المهملة هذا قول الجمهور. وقال الفراء بالفتح: المثل من غير جنسه، وبالكسر من جنسه، وقيل: بالفتح مثله في القيمة وبالكسر الشطر وأنكر البصريون هذه التفرقة، وقال الكشاف: هما بمعنى، كما أن لفظ المثل لا يختلف، وضبط في هذه الرواية الأكثر بالفتح والتمرة بالمثناة، ولفظ مسلم «ما تصدق أحد بصدقة» (من كسب طيب) أي: حلال خال عن الغش والخديعة، وقوله: (ولا يقبل الله إلا الطيب) جملة معترضة بين الشرط والجزاء لتقرير ما قبله، وفي رواية سليمان بن بلال الذي أشار إليها البخاري «ولا يصعد إلى الله إلا الطيب» قال القرطبي: وإنما لم يقبل الله الصدقة بالحرام؛ لأنه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه والتصدق به تصرف فيه فلو قبل لزم أن يكون الشيء مأموراً ومنهياً من وجه واحد وهو محال (فإن الله يقبلها بيمينه) وفي رواية لمسلم «إلا أخذها الله بيمينه» وعند مسلم أيضاً في رواية «إلا أخذها الرحمن» قال الحافظ في الفتح: وفي رواية لمسلم «فيقبضها» وفي حديث عائشة عند البزار «فتلقاه الرحمن بيده» (ثم يربيها) في مسلم فيربيها (كما يربي أحدكم فلوه) جاء في رواية «كما يربي أحدكم مهره» وفي أخرى عند البزار: مهره أو وصيفه أو فصيله (حتى تكون) أي: المتصدق به القليل بالتنمية (مثل الجبل) وفي رواية عند الترمذي «حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد» قال الحافظ: والظاهر أن المراد بعظمها أن عينها تعظم لتنقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها، ومثله في كلام المصنف في شرح مسلم نقلاً عن عياض

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: مثل البخيل والمتصدق واللفظ له (٣/٢٤١، ٢٤٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: مثل المنفق والبخيل (الحديث: ٧٥).

Made searchable using ScribeTools.com

اللامِ وَتَشْديدِ الْوَاوِ. وَيُقَالُ أَيْضاً بِكَسْرِ الْفَاءِ وَإِسْكانِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ وَهُوَ: الْمُهْرُ[1].

٥٦١ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ

وسيأتي حكمة ضرب المثل بالفلو. قال المازري: وهذا الحديث وشبهه إنما عبر به على ما اعتادوا في خطابهم ليفهموا عنه، فكني عن قبول الصدقة باليمين وعن تضعيف أجرها بالتربية. وقال عياض: لما كان الشيء الذي يرتضى يتلقى باليمين ويؤخذ استعمل في مثل هذا واستعير اليمين للقبول، وليس المراد به الجارحة، وقيل: عبر باليمين عن جهة القبول إذ الشمال بضده، وقيل: المراد بعين الدافع إليه الصدقة وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لوضع هذه الصدقة في يمين الآخذ لله تعالى، وقيل: المراد سرعة القبول وقيل: حسنة. وقال الزين بن المنير: الكناية عن الترضي والقبول بالتلقي باليمين، لتثبيت المعاني المعقولة في الأذهان وتحقيقها في النفوس تحقيق المحسوسات أي: لا تشكك في القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشيء باليمين لا أن أتناول كالتناول المعهود ولا أن المتناول به جارحة. وقال الترمذي في جامعه: قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة: نؤمن بهذه الأحاديث ولا نتوهم فيها تشبيهاً، ولا نقول كيف هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم. وأنكرت الجهمية هذه الروايات ا هـ. **(متفق عليه)** رواياه في الزكاة من صحيحيهما واللفظ للبخاري **(الفلو)** فيه لغتان أفصحهما وأشهرهما **(بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو)** وثانيهما أشار إليه بقوله: **(ويقال: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر)** قال أبو زيد: إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرتها سكنت اللام كجريء، وقال في شرح مسلم: سمي به؛ لأنه فلى عن أمه أي: فصل وعزل، وقال الحافظ: وقيل هو كل فطيم من ذات حافر وضرب به المثل؛ لأنه يزيد زيادة بينة؛ ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج مايكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، وإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذا عمل ابن آدم لا سيما الصدقة، فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله يكسبها الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل.

٥٦١ ــ **(وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينما)** ما مزيدة لكف بين عن الإضافة فالجملة بعده مستأنفة **(رجل بفلاة)** هي الأرض التي لا ماء فيها وجمعها فلا مثل حصاة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة باب: الصدقة من كسب طيب (٣/٢٢١، ٢٢٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب... (الحديث: ٦٣، ٦٤).

فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ، لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ في السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ .....

وحصى وجمع الجمع أفلاءكسبب وأسباب كذا في المصباح، ويؤخذ منه أن قوله: **(من الأرض)** تصريح بما فهم مما قبله **(فسمع صوتاً)** لعله صوت الملك الموكل بالسحاب وهو الرعد **(في سحابة)** واحدة السحاب سمي به لإنسحابه في الهواء وجمع السحاب سحب بضمتين **(اسق حديقة فلان)** لم أقف على من سماه. والحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأن الحائط أحدق بها أي: أحاط ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط والجمع حوائط **(فتنحى ذلك السحاب)** أتى بما يشار به للبعيد مع أن المشار إليه قريب إما تعظيماً له فيكون كقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ وإما؛ لأنه لما كان اللفظ عرضاً لا يوجد التالي له إلا بعد انعدام ما قبله صار ما قبل كالبعيد فيشار إليه بما يشار به إليه، وهذا محتمل لكون السحاب أوتي فهماً فامتثل ما أمر؛ ولأن يكون باقياً على جماديته، وقوله اسق أمر تكويني وقوله: فتنحى بيان لترتب أثر الأمر الإلهي عليه حالاً من غير توان ولا تراخ، قال تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1] وعلى الثاني فيكون في قوله: **(فافرغ)** أي: صب **(ماءه)** أي: الذي فيه والإضافة لأدنى ملابسة **(في حرة)** إسناده مجازي إن كان الفعل للمعلوم وفاعله ضمير يعود إلى السحاب كما هو كذلك في أصل مصحح وإن كانت الرواية ببنائه للمجهول فلا **(فإذا شرجة من تلك الشراج)** أي: مسيل من تلك المسايل **(قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع)** أي: الرجل السامع الصوت **(الماء، فإذا رجل قائم في حديقته)** الظرف خبر بعد خبر، ويصح كونه حالاً من ضمير الخبر فيكون مستقراً، ويجوز أن يكون لغواً متعلقاً بقائم **(يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله)** ناداه بالوصف القائم حقيقة بكل إنسان ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾[2] **(ما اسمك)** أي: العلم عليك ويحتمل أن يراد مطلق ما يعرف به من علم أو صفة أو غيره **(قال فلان:)** خبر لمحذوف دل عليه ذكره في السؤال وفلان كما تقدم كناية عن المبهم من الإنسان **(للاسم)** في محل الحال من فلان أي: موافقاً للاسم **(الذي سمع)** العائد محذوف أي: سمعه **(في السحابة فقال:)** أي: بعد بيان اسمه له **(يا عبد الله ولم تسألني)** الواو عاطفة على مقدر أي: أجبتك عن مسألتك وأسألك **(عن)** سبب سؤالك عن

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.
(٢) سورة مريم، الآية: ٩٣.

Made searchable using ScribeTools.com

اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْحَرَّةُ»: الْأَرْضُ الْمُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سُوداً. وَ«الشَّرْجَةُ» بِفَتْحِ الشِّينِ الْمعجَمَةِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ وَبِالْجِيمِ هِيَ: مَسِيلُ الْمَاءِ[1].

(اسمي) واللام جارة لما الاستفهامية حذفت ألفها كقوله تعالى: ﴿عم يتساءلون﴾[2] وقوله: ﴿بم يرجع المرسلون﴾[3] (فقال إني سمعت صوتاً في السحاب) أل فيه للعهد الذهني بقرينة قوله: (الذي هذا ماؤه) ويحتمل كونها للجنس (يقول) جملة في محل الحال من الصوت على حذف مضاف أي: ذا صوت قائلاً: (اسق) بوصل الهمزة في الأصح ويجوز قطعها يقال: سقاه وأسقاه بمعنى (حديقة فلان وقوله: فما تصنع فيها؟) استفهام عن بيان ما أنتج له من العناية الإلهية حسن هذه الثمرة بالتخصيص (فقال: أما) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف للتأكيد متضمن معنى الشرط (إذ قلت هذا) أي: أخبرت بما سمعت مما دعاك للسؤال (فإني) أبين لك عملي الذي نتج عنه بفضل الله سبحانه ذلك وهو أني (انظر إلى ما يخرج منها) أي: من الأرض من حب أو تمر (فأتصدق بثلثه) بضم أوليه في الأفصح، ويجوز تسكين ثانيه تخفيفاً زيادة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإلا فالواجب في شريعتنا في النصاب من ذلك العشر تارة ونصفه أخرى (وآكل أنا وعيالي) أي: أعولهم من أهل وولد وزوجة وخادم وغير ذلك (ثلثاً وأرد فيها ثلثه) أي: ثلث الخارج (رواه مسلم) في صحيحه في أبواب الزهد (الحرة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء وبالتاء (الأرض الملبسة حجارة سوداً) أي: التي علاها ذلك وغلب عليها فكأنها لبست، وقال في المصباح: والجمع حرار ككلبة وكلاب (والشرجة بفتح الشين) المعجمة (وإسكان الراء وبالجيم) وسكت المصنف عن التاء آخره، قال في المصباح: وبعضهم يحذف فيقول: شرج هي (مسيل الماء) وجمعها شراج ككلبة وكلاب.

باب النهي عن البخل والشح

قال في المصباح: بخل بخلاً أي: بفتح أوليه، وبخلاً أي: بضم فسكون من بابي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الصدقة في المساكين (الحديث: ٤٥).
(٢) سورة النبأ، الآية: ١.
(٣) سورة النمل، الآية: ٣٥.

٦١ ــ باب: في النهي عن البُخل والشحّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالى(١): ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

وقال تعالى(٢): ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَتَقَدَّمَتْ جُمْلَةٌ مِنْهَا فِي الْبَابِ السَّابِقِ.

تعب وقرب والاسم البخل، وزان فلس. والبخل في الشرع: منع الواجب، وعند العرب: منع السائل مما يفضل عنده، وفيه أيضاً الشح البخل، وفي شرح مسلم للمصنف قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع منه، فقيل: هو البخل مع حرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح عام. وقيل: البخل بالأموال خاصة والشح بالمال والمعروف. وقيل: الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده ا هـ. وأصله في النهاية وزاد شح يشح شحاً فهو شحيح، والاسم الشح، وترجمة المصنف تمشي على هذا، فإن الأصل في العطف التغاير، وعلى ما في المصباح يكون من عطف الرديف اكتفاء بتغاير اللفظ كهو في قوله تعالى: ﴿إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله﴾(٣) **(قال الله تعالى: وأما من بخل)** أي: بالإنفاق في الخيرات **(واستغنى)** أي: بالدنيا عن العقبى **(وكذب بالحسنى فسنيسره)** في الدنيا **(للعسرى)** للخلة المؤدية إلى الشدة في الآخرة وهي الأعمال السيئة ولهذا قالوا: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها **(وما يغني عنه ماله إذا تردى)** أي: هلك وسقط وتردى في جهنم. **(وقال تعالى: ومن يوق شح نفسه)** أي: ومن سلم من الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم تمنع أداء ما وجب عليه أداؤه، وفي تفسير ابن عطية: شح النفس فقر لا يذهبه غنى المال بل يزيده وينصب به. وقال ابن زيد وابن جبير وجماعة: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يمنع الزكاة المفروضة فقد برىء من شح النفس. وقال ابن مسعود: شح النفس أكل مال الناس بالباطل، أما منع الإنسان ماله فبخل وهو قبيح ولكن ليس بشح **(فأولئك هم المفلحون)** الفائزون ببغيتهم **(وأما الأحاديث)** أي: النبوية **(فتقدم جملة منها في الباب السابق)** كقوله: «وأن تمسكه شر لك» وقوله: «وأعط كل ممسك تلفاً، ولا توكي فيوكي الله عليك» وباقي أحاديث ذلك الباب تدل بمفهومها على ما عقد له هذا الباب؛ لأن الثناء على الكرم والأمر به ذم بضده ونهي عنه.

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٨، ٩، ١٠، ١١.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

Made searchable using ScribeTools.com

٥٦٢ ــ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٦٢ ــ باب: في الإيثار والمواساة

قَالَ الله تَعَالَى[2]: ﴿وَيُؤْثِرونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

---

٥٦٢ ــ **(وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم)** أي: اتخذوا لكم وقاية منه بالقسط. والظلم التصرف في حق الغير بغير طريق شرعي، وقيل: وضع الشيء في غير موضعه **(فإن الظلم)** أي: في الدنيا **(ظلمات)** بضم اللام وبإسكانها تخفيفاً وبالفتح **(يوم القيامة)** يحتمل كما تقدم أنه على حقيقته وظاهره أنه يصير ظلمة في الآخرة، ويحتمل كونها كناية عن شدائد ذلك اليوم وما يلقاه من الأهوال **(واتقوا الشح)** بالضم على الأفصح من لغات ثلاث في أوله **(فإن الشح)** أتى بالظاهر فيه وفيما قبله[3] تقبيحاً له وتنفيراً منه ونعتاً[4] بقبحه بالنداء عليه بالاسم الدال على ذلك **(أهلك من كان قبلكم)** أي: من بني إسرائيل **(حملهم على أن سفكوا)** بفتح الفاء أي: أراقوا **(دماءهم)** أي: قتل بعضهم بعضاً فهو كقوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾[5] قال المفسرون أي: لا يقتل بعضكم بعضاً **(واستحلوا محارمهم)** أي: ما حرم عليهم من الشحوم فباعوه، واحتالوا لولوج السمك إلى ما حفروه يوم السبت ليدخل في حوزهم فيبيعوه بعد فيوقعهم في ذلك الشح **(رواه مسلم)** وقد تقدم مع شرحه في باب تحريم الظلم.

باب الإيثار

بكسر الهمزة وسكون التحتية بعدها مثلثة مصدر آثر يؤثر **(والمواساة)** مفاعلة من التواسي قال في القاموس: آساه بماله مواساة: أناله منه وجعله فيه أسوة ولا يكون ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضل فليس بمواساة. اهـ. وقال في محل آخر منه: واساه مواساة أي: بالواو بدل الهمزة لغة رديئة اهـ. **(قال تعالى ويؤثرون)** أي: يقدمون يعني الأنصار

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (الحديث: ٥٦).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) أي قوله فإن الظلم.

(٤) كذا، ولعله «نعياً». ع.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٤.

وَقَالَ تَعَالَى: [1] :﴿وَيُطْعِمونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ .

٥٦٣ ــ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقالَتْ: والَّذِي بعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلا ماءٌ،

والمهاجرون (**على أنفسهم**) فيما عندهم من الأموال (**ولو كان بهم خصاصة**) أي: حاجة إلى ما عندهم، ونزلت في قصة الأنصاري الآتية أول الأحاديث. (**وقال تعالى: ويطعمون الطعام على حبه**) الأولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقاً لقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[2]؛ ولأن فيما بعده وهو لوجه الله غنية عن أن يكون التقدير على حب الله (**مسكيناً ويتيماً وأسيراً**) وإن كان من أهل الشرك أمر ﷺ بإكرام الأسراء يوم بدر والمراد المسجونون من المسلمين ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾[3] أي: قائلين ذلك بلسان الحال أو المقال لتعريف الفقير أنها صدقة لا تطلب جزاء، وقوله: لوجه أي: إطعاماً خالصاً غير مشوب ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾[3] مصدر كالقعود والجملة حالية من فاعل نطعم ﴿إنا نخاف من ربنا﴾[4] جملة مستأنفة كالتعليل ﴿يوماً﴾[4] أي: عذابه فهو مفعول به ﴿عبوساً﴾[4] شديد العبوس مجازاً أي: عبوساً فيه أهله أو كالأسد العبوس في الضرر والشدة ﴿قمطريراً﴾[4] شديد العبوس. عن عكرمة وغيره يعبس الكافر حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران. وعن ابن عباس: العبوس: الضيق، والقمطرير: الطويل ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة﴾[5] بدل عبوس الكفار ﴿وسروراً﴾[5] بدل حزنهم ﴿وجزاهم بما صبروا﴾[6] بدل صبرهم على ترك الشهوات وأداء الواجبات ﴿جنة وحريراً﴾[6] يلبسونه وهذا مراد الشيخ رحمه الله بقوله: (**الآيات**) فإن فيها بيان مثوبة الإيثار والمواساة من الله سبحانه.

٥٦٣ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل**) قال الشيخ زكريا في تحفة القارىء: هو أبو هريرة، وفي تفسير ابن عطية: أنه مهاجري ولم يسمه فلعله هو (**إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود**) أي: أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش، والجوع (**فأرسل لي بعض نسائه**) يحتمل بدؤه بها لتجويزه وجود شيء عندها مما يسد حاجة الرجل أو لقرب منزلها منه وتأخير الباقيات لبعد منزلهن بالنسبة إلى الأولى (**فقالت**) أي: المرسل إليها منهن (**والذي بعثك بالحق**) أي: محقاً أو متلبساً به (**ما عندي إلا ماء**) ومرادها

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ١٠.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ١١.
(٦) سورة الإنسان، الآية: ١٢.

Made searchable using ScribeTools.com

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلى أُخرَى فقالت مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلا ماءٌ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ يُضيفُ هذا اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلى رَحْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وفِي رِوايةٍ قالَ لِامْرأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالت: لا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي.

ما عندي من جنس ما يطعم شيء من الأشياء إلا الماء بقرينة السياق. فالاستثناء مفرغ من أعم الأشياء **(ثم أرسل إلى أخرى)** أي: منهن **(فقالت: مثل ذلك)** هذا من باب الرواية بالمعنى والمشار إليه قول السابقة والذي بعثك إلخ أي: فقالت الثانية ذلك المقال وهكذا **(حتى قلن كلهن)** توكيد للضمير قبله لا فاعل للفعل قبله إلا على لغة أكلوني البراغيث **(مثل ذلك)** هو من باب الرواية بالمعنى ولذا فسره ببيان قول كل واحدة **(لا)** نافية لجملة بعدها أي: لا أجد له ما طلبت، وقولها **(والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء)** جملة قسمية لتأكيد الأمر وإن ليس عندها ما يطعمه ذلك الضيف سوى الماء **(فقال: من يضيف)** بضم أوله **(هذا)** أي: الرجل المجهود **(الليلة)** بالنصب على الظرفية **(فقال رجل من الأنصار)** زاد مسلم: يقال له أبو طلحة، وقيل: هو ثابت بن قيس بن شماس، وقيل: عبد الله بن رواحة ذكره السيوطي في التوشيح، وفي تفسير ابن عطية قال أبو هريرة في كتاب مكي: هذا الرجل هو أبو طلحة وقال المتوكل: هو ثابت بن قيس، وخلط المهدوي في ذكر هذا الرجل ا هـ. عزوه كونه أبا طلحة إلى ما ذكره مع أنه في صحيح مسلم عجيب منه مع أنه من حفاظ الإسلام **(أنا)** يحتمل أن يكون مبتدأ حذف خبره لدلالة وجوده في السؤال أي: أنا أضيفه. ويحتمل كونه فاعلاً لمحذوف أي: أضيفه فحذف الفعل اكتفاء بدلالة وجوده في السؤال عليه وانفصل الضمير **(يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله)** بفتح الراء وسكون المهملة أي: منزله قال في المصباح: رحل الشخص مأواه في الحضر ثم أطلق على أمتعة المسافر؛ لأنها هناك مأواه **(فقال لامرأته:)** إن كان أبا طلحة فامرأته أم سليم **(أكرمي ضيف رسول الله ﷺ)** أي: فإنه نزل عليه ﷺ ولم يكن في بيوته ما يضيفه به، وفيه أن إكرامه الضيف كرامة مضيفه **(وفي رواية)** هي لمسلم **(قال:)** في مسلم: فقال بفاء عاطفة على فانطلق في قوله: قبله فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال: **(هل عندك شيء)** وهذا في هذه الرواية عوض قوله في الرواية السابقة: أكرمي إلخ، ولعله سألها أولاً بما في رواية مسلم فلما أخبرته بما عندها كما قال: **(قالت لا)** بعدها جملة مقدرة لدلالة ما قبلها عليها أي: لا شيء عندي وقولها: **(إلا قوت صبياني)** استثناء من ذلك المقدر قال لها:

قال: فَعَلِّليهِمْ بِشَيْءٍ، وَإِذَا أَرادُوا العَشَاءَ فَنَوِّميهِمْ، وَإِذا دَخَلَ ضَيْفُنا فَأَطْفِئِي السِّراجَ وأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيفُ وبَاتا طاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدا عَلى النَّبيِّ ﷺ فَقالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنيعِكُما بِضَيْفِكُما اللَّيْلَةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٥٦٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَلاثَةِ كَافِي . . . . . .

أكرمي إلخ (**قال: فعلليهم بشيء**) محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للأكل وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضر، إذ لو كانوا بتلك الحال بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجباً مقدماً على الضيافة وقد أثنى الله عليه وعلى أمرأته فدل على أنهما لم يتركا واجباً بل أحسنا وأجملا، قاله المصنف. «قلت»: وحينئذ فيراد بقولها: «قوت صبياني» أي: ما يعتادون الاقتيات به على عادتهم من الولع بالطعام من غير حاجة حافة إليه فيكون فيه مجاز (**وإذا أرادوا العشاء فنوميهم**) وذلك لئلا يضيقوا الطعام على الضيف فلا يبلغ حاجته منه (**وإذا دخل ضيفنا**) أي: منزلنا (**فأطفئي السراج**) بقطع همزة اطفئي (**وأريه أنا نأكل**) أي: أظهري له فهو كناية عن تداول أيديهما على الطعام وتحريك الفم والمضغ كفعل الأكل، وليس ذلك من باب الشبع بما ليس للإنسان بل هو باب المروءة والإيثار للضيف ليأنس ويأخذ حاجته (**فقعدوا**) أي: الضيف وهما (**وأكل الضيف وباتا طاويين**) أي: خاليين بطنهما جائعين لم يأكلا، والجملة محتملة للعطف والحالية (**فلما أصبح**) أي: دخل الصباح (**غدا**) أي: جاء صباحاً عارضاً نفسه (**على النبي ﷺ فقال: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**) قال القاضي عياض: المراد بالعجب من الله رضاه ذلك الشيء وقيل: مجازاته عليه بالثواب، وقيل: تعظيمه ذلك قال: وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله وأضافه إليه سبحانه تشريفاً (**متفق عليه**) واللفظ من قوله وفي رواية إلخ لمسلم وللبخاري بنحوه، أخرج البخاري في فضائل الأنصار وفي التفسير، وأخرجه مسلم في أواخر الأطعمة ورواه الترمذي بنحوه في التفسير من جامعه وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي في التفسير أيضاً من سننه.

٥٦٤ ــ (**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: ﴿ويؤثرون على أنفسهم. . .﴾ الآية، وفي فضائل الأنصار وفي التفسير (٧/ ٩٠ و٩١) و(٨/ ٤٨٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: اكرام الضيف وفضل إيثاره (الحديث: ١٧٢).

Made searchable using ScribeTools.com

الْأَرْبَعَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمانِيَةَ»(١).

٥٦٥ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ

الأربعة) قال المهلب: المراد بهذا الحديث وما بعده الحض على المكارم والتقنع بالكفاية: يعني وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية، وإنما المراد المؤاساة وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضاً بحسب من يحضر. ووقع عند الطبراني ما يرشد إلى العلة في ذلك وأوله «كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين» الحديث، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما زاد زادت البركة. وقال ابن المنذر: يؤخذ من الحديث استحباب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده، وفيه أيضاً الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين، وفيه أيضاً أنه ينبغي للمرء ألا يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى سد الرمق وإقامة البنية لا حقيقة الشبع اهـ. ملخصاً. وفي أمالي العز بن عبد السلام قوله: طعام الاثنين الخ هو خبر بمعنى الأمر أي: أطعموا طعام الاثنين بين الثلاثة، أو أنه للتنبيه على أن طعامهما يقوت الثلاثة وأخبر بذلك ليذهب الجزع، قال: والأول أرجح؛ لأن الثاني معلوم **(متفق عليه)** ورواه الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث جابر مرفوعاً بلفظ «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» كذا في الجامع الصغير. **(وفي رواية لمسلم)** ورواها أيضاً أحمد والترمذي والنسائي **(عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية)** لا يقال يؤخذ منه أن طعام الواحد يكفي الثمانية بإسقاط المكرر فينتج ما ذكر من الشكل، لفقد شرط انتاجه من كلية الكبرى.

٥٦٥ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ) يجوز أن يكون الظرفان خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون أحدهما خبراً والثاني حالاً **(إذ جاء**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: طعام الواحد يكفي الاثنين(٩/٤٦٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: فضل المواساة في الطعام... (الحديث: ١٧٩).

النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَـهُ فَجَعَلَ يَصْـرِفُ بَصَرَهُ يَمِينـاً وَشِمَالاً. فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْـلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ» فَذَكَرَ مِنْ أَصْنافِ المَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٥٦٦ ــ وَعَنْ سَهْـلِ بْنِ سَعْـدٍ رَضِيَ الله عَنْـهُ أَنَّ امْـرَأَةً جَـاءَتْ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ بِبُـرْدَةٍ

رجل على راحلة) هي المركب من الإبل ذكراً كان أو أنثى، وبعضهم يقول: هي الناقة التي تصلح أن ترحل والظرف في محل الصفة للفاعل، وقوله: **(له)** في محل الصفة للراحلة **(فجعل)** من أفعال الشروع **(يصرف)** أي: يحول **(بصره يميناً وشمالاً)** ينظر من يجود عليه بما يسد خلته **(فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر)** أي: مركوب فاضل عن حاجته فهو من إضافة الصفة للموصوف **(فليعد)** أي: يتصدق **(به على)** المحتاج إليه **(من لا ظهر)** أي: مركوب **(له)** كافياً لحاجته بذلاً لما فضل عن الحاجة في مرضاة الله فيبقى له بعد أن كان فانياً **(ومن كان معه فضل)** أي: فاضل عن حاجته **(من زاد)** في المصباح: زاد المسافر هو الطعام المستعد لسفره **(فليعد به على من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر)** جمع صنف. قال ابن فارس: هو فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء وقال الجوهري: الصنف هو النوع والصرب وهو بكسر الصاد وفتحها لغة، حكاه ابن السكيت وجماعة وجمع المكسور أصناف كحمل وأحمال والمفتوح صنوف كفلس وفلوس، قاله في المصباح أي: ذكر أنواع المال وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة من كل للمحتاج إليه من باب المواساة، وهذا الحديث كحديث «إنك يا ابن آدم إن تبذل الفضل من مالك خير لك وإن تمسكه شر لك» وقد تقدم قريباً **(حتى)** غاية لمقدر أي: أمر بالعود بما فضل عن الحاجة للمحتاج إلى أن **(رأينا)** من الرأي أو بمعنى العلم **(أنه لا حق لأحد منا)** أي: معشر بني آدم، أو معشر الصحابة المخاطبين بذلك وحكم غيرهم من باقي الأمة حكمهم **(في فضل)** أي: في فاضل عن حاجته إلحاقه **(رواه مسلم)**.

٥٦٦ ــ **(وعن سهل بن سعد)** الأنصاري الساعدي **(رضي الله عنه: أن امرأة)** قال الحافظ في الفتح: لم أقف على اسمها **(جاءت إلى النبي ﷺ ببردة)** قال في النهاية: البرد نوع من الثياب معروف الجمع أبراد وبرود، والبردة: الشملة المخططة، وقيل: هي كساء أسود مربع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: اللقطة، باب: استحباب المواساة بفضول المـال (الحديث: ١٨).

Made searchable using ScribeTools.com

مَنْسُوجَةٍ فَقَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي لِأَكْسُوكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ فُلَانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا فَقَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسِ ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتاجاً إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلاً. فَقَالَ: إِنِّي واللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ

فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد ا هـ. وقد روى البخاري في باب حسن الخلق والسخاء من كتاب الأدب من صحيحه تفسير البرد عن سهل ولفظه «وقال سهل للقوم: أتدرون ما البرد؟ فقال: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها». ا هـ. وهذا أولى ما قيل فيه؛ لأنه بيان الراوي المشاهد للقصة **(منسوجة)** صفة بردة **(فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ)** جبراً لخاطرها بتلقي هديتها بالقبول، ففيه استحباب المبادرة لأخذ الهدية لجبر خاطر مهديها وأنها وقعت منه موقعاً، وقوله: **(محتاجاً إليها)** حال من الفاعل وكأنهم عرفوا ذلك بقرينة الحال أو بتصريح سابق منه بذلك، ومع ذلك فليس الباعث على أخذها الحاجة بل التشريع بما ذكرنا **(فخرج إلينا وإنها إزاره)** بسكر الهمزة وجمعه أزر: وهو ما يلبس في أسفل البدن لستر العورة والجملة حال من ضمير خرج **(فقال: فلان)** هو كما أفاد المحب الطبري في الأحكام له عبد الرحمن بن عوف وعزاه للطبراني فقال الحافظ: لم أره في المعجم الكبير لا في مسند سهل ولا في مسند ابن عوف، ونقل ابن النحوي عن المحب في شرح العمدة وكذا قال لنا شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمي أنه وقف عليه لكن لم يستحضر مكانه، ووقع لشيخنا ابن النحوي في شرح التنبيه أنه سهل بن سعد وهو غلط كأنه تلبس عليه الراوي، نعم أخرج الطبراني الحديث المذكور من طريق قتيبة بن سعيد عن سهل بن سعد وقال في آخره قال قتيبة: هو سعد بن أبي وقاص ا هـ. وقد أخرجه البخاري في اللباس والنسائي في الزينة عن قتيبة ولم يذكرا عنه ذلك، وجاء من طريق زمعة بن صالح أن السائل المذكور كان أعرابياً، قال الحافظ: فلو لم يكن زمعة ضعيفاً لانتفى أن يكون هو عبد الرحمن أو سعد، ويقال: تعددت القصة **(اكسنيها ما أحسنها)** بنصب النون وما تعجبية **(فقال: نعم)** هذا وعد بأن يكسوه **(فجلس النبي ﷺ في المجلس)** الذي وقع فيه السؤال **(ثم رجع)** إلى منزله **(فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له: القوم)** ووقع في تفسير المعاتب له من الصحابة أنه سهل الراوي، قال سهل: فقلت: للرجل لم سألته وقد رأيت حاجته إليه؟ قال: رأيت ما رأيتم، ولكني أردت أن أخبأها حتى أكفن فيها **(ما أحسنت)** ما نافية **(لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها)** جملة استئنافية تعليل لنفي الإحسان عنه **(ثم سألته وعلمت)** جملة حالية بتقدير قد أي: وقد علمت **(أنه لا يرد)** قال في الفتح في كتاب الجنائز: كذا وقع هنا بحذف

لِأَلْبَسَهَا، إِنَّما سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٥٦٧ ــ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ أَو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوْا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُم» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المفعول، وثبت في رواية ابن ماجه بلفظ: لا يرد سائلاً ونحوه، وفي رواية يعقوب في البيوع وفي رواية ابن غسان في الأدب: لا يسأل ﷺ شيئاً فيمنعه ا هـ. ويستفاد منه أن (سائلاً) الذي أورده المصنف هنا إنما هو لابن ماجه، ولعله من تغيير الكتاب أو أنه التبس على المصنف لورود معناه به عند البخاري في البيوع فتوهمه فرواه والله أعلم (**فقال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني**) في رواية أبي داود: «فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ» (**قال سهل: فكانت كفنه. رواه البخاري**) في الجنائز من صحيحه بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في اللباس من سننه. وفي الحديث التبرك بآثار الصالحين، وجواز إعداد الشيء قبل الحاجة إليه، لكن لا يندب عند الشافعية إعداد الكفن لنفسه لئلا يحاسب على ادخاره كما يحاسب على اكتسابه، إلا أن يقطع بحله أو يكون من أثر ذي صلاح، وفيه حسن خلق النبي ﷺ وسعة جوده وقبول الهدية.

٥٦٧ ــ (**وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الأشعريين**) نسبة للأشعر، وهو ثبت ابن أدد بن يشحب بن يعرب بن قحطان (**إذا أرملوا**) أي: فني أزوادهم، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة كما في ذا متربة (**في الغزو**) أي: الخروج لقتال العدو (**أو**) يحتمل أن تكون للشك من الراوي أقال ما تقدم أو قال: (**إذ قل طعامهم في المدينة**) أي: محل إقامتهم، ويحتمل أن تكون للتنويع، أي: إنهم يفعلون ذلك في السفر والحضر، ولفظ البخاري «أو قل طعام عيالهم» (**جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية**) على قدر الحاجة (**فهم مني**) قريبون خلقاً وهدياً (**وأنا منهم**) قال المصنف: هذا معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى. وقال الحافظ في الفتح: معناه هم متصلون بي وتسمى «من» هذه الاتصالية. قال الشيخ زكريا: ومثله «لا أنا من الدو ولا الدو مني» وقيل: المراد فعلهم فعلي (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في الشركة ومسلم في الفضائل، ورواه النسائي في السير. قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه وفي البيوع واللباس والأدب، (٣/١١٣، ١١٤) و(٤/٢٦٨) و(١٠/٢٣٤).

Made searchable using ScribeTools.com

«أَرْمَلُوا» : فَرَغَ زَادُهُمْ، أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ[١].

٦٣ ــ باب: في التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[٢]: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

٥٦٨ ــ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ؟»

المصنف: في الحديث فضيلة الأشعريين وفضيلة الإيثار والمواساة وفضيلة خلط الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها ثم قسمها، وليس المراد من القسمة هنا المعروفة في كتب الفقه بشروطها ومنعها في الربويات واشتراط المساواة وغيرها، بل المراد إباحة بعضهم بعضاً ومواساتهم بالموجود (أرملوا: فرغ أزوادهم) هو ما اقتصر عليه في شرح مسلم (أو قارب الفراغ) وكأن الأول بيان موضوع اللفظ لغة. والثاني بيان المراد هنا؛ لأن القسمة إنما تكون في الموجود لا في الذاهب رأساً، والله أعلم.

باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

أي: طلب ذلك لما جاء فيه. وفي النهاية: التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه ا هـ. والاستكثار طلب الكثرة وقوله: مما يتبرك متعلق به، والتبرك بالشيء لأسباب كأن كان فيه أثر صالح أو ظهر فيه آية أو كان قريب عهد بتكوين من الله سبحانه. (قال الله تعالى: وفي ذلك فليتنافس) فليرتقب[٣] (المتنافسون) المرتقبون: وقال ابن عطية: التنافس في الشيء المغالاة فيه وأن يتبعه كل واحد نفسه فكأن نفسهما تتباريان فيه، وقيل: هو من قولك: شيء نفيس فكأن هذا يعظمه ثم يعظه الآخر ويستبقان إليه.

٥٦٨ ــ (وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتي بشراب) وهو كما في المصباح ما يشرب من المائعات، وكان ذلك كما قال الحافظ في بيت ميمونة أم المؤمنين (فشرب منه) فيه استحباب شرب البعض إذا كان ثمة غيره (وعن يمينه غلام) هو كما سيأتي في الأصل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الشركة، باب: الشركة في الطعام وغيره (٥/٩٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم (الحديث: ١٦٧).
(٢) سورة المطففين، الآية: ٢٦.
(٣) لعله فليرغب الراغبون كما في الجلالين.

فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً. فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «تَلَّهُ» بِالتَّاءِ المثناةِ فَوْقُ: أَيْ وَضَعَهُ. وَهَذَا الْغُلَامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

عبد الله بن عباس، وقيل: هو الفضل أخوه حكاه ابن بطال. قال الحافظ: والصواب الأول **(وعن يساره الأشياخ)** جمع شيخ من شاخ في السن إذا طعن فيها، وذلك من الخمسين سنة ففوق. ويطلق الشيخ لغة على من مهر في العلوم وإن لم يكن في السن كذلك فيقال للغلام، ويصلح كما قال الحافظ أن يعد من جملة الأشياخ خالد. قال: وقد روى ابن أبي حازم عن أبيه في حديث سهل بن سعد ذكر أبي بكر الصديق فيمن كان على يساره ﷺ، ذكره ابن عبد البر وخطأه **(فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء)** جاء في رواية الترمذي عن ابن عباس «فقال لي: الشربة لك، فإن شئت آثرت بها خالداً» الحديث. قال الحافظ: قال ابن الجوزي: وإنما استأذن الغلام دون الأعرابي المذكور في حديث أنس من شربه ﷺ للبن وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر الحديث؛ لأن الأعرابي لم يكن له علم بالشريعة فاستألفه بترك استئذانه بخلاف الغلام **(فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً)** أكد بالقسم وتوسيط ندائه ﷺ بوصف الرسالة إيماء إلى أن العلة في عدم الإيثار ليس كونه شراباً، فإن الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم، إنما هو لحلول أثر بركته عليه لكونه سؤره وفضله وذلك يفزع إليه أرباب الأفهام ويتنافس فيه أولو الأحلام، فلذا عبر بقوله: بنصيبي منك أي: من أثر بركتك وفيضك أحداً، والتنكير فيه للتعميم ليعم القريب والبعيد والمشرف والشريف. وفيه مزيد نباهة ابن عباس وجودة فكره إذ نظر إلى الأشياء في مكانتها ولذا قال بقوله عمر عند استجلاء أفكاره فيما يدلهم عليه من الأمور «غص يا غواص» **(فتله رسول الله ﷺ في يده. متفق عليه)** رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المظالم والغصب وفي كتاب الشرب وزاد بعد أحد قوله يا رسول الله، وقال: بدل قوله فتله فأعطاه إياه في يده، ورواه مسلم في الأشربة، وأخرجه النسائي في الأشربة من سننه **(تله بالتاء المثناة فوق)** أي وتشديد اللام **(أي: وضعه)** في تحفة القارىء أي: وضعه بقوة. وفي النهاية: قيل: التل الصب فاستعير للإلقاء يقال: تل يتل: إذ صب، وتل يتل: إذا سقط، الأول بالضم والثاني بالكسر في المضارع **(وهذا الغلام)** كما حكاه الحافظ عن ابن التين، وجاء كذلك في رواية الترمذي من حديث ابن عباس نفسه **(هو ابن عباس)** أي: عبد الله بن عباس **(رضي الله**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: إذا أذن له أو حلله وفي أول الشرب وأبواب أخرى منه (٧٦/١٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: استحباب إدارة الماء... (الحديث: ١٢٧).

Made searchable using ScribeTools.com

٥٦٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ. فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ

عنهما) فإن هذا علم عليه بالغلبة كابن عمر وابن مسعود على عبد الله.

٥٦٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينما أيوب عليه السلام)** قال العراقي في شرح التقريب: يقال: هو أيوب بن رزاح بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم **(يغتسل عرياناً)** فيه جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة مع إمكان التستر، وهو مذهب الجمهور **(فخر)** بالخاء المعجمة أي: سقط **(عليه جراد من ذهب)** هذا ظاهر في سقوطه عليه من علو وهو إكرام من الله تعالى له وهو معجزة في حقه، وهل كان جراداً حقيقة ذا روح إلا أن جسمه من ذهب، أو كان على شكل الجراد ولا روح فيه؟ الأظهر الثاني. قال الجوهري: وليس المراد ذَكَر الجراد وإنما هو اسم جنس كبقر وبقرة [فَحَقُّ مُذَكَّرِهِ][1] أن لا يكون [مؤنثه من][2] لفظه لئلا يلتبس الواحد [المُذَكَّر][3] بالجمع **(فجعل)** شرع **(أيوب يحثي في ثوبه)** استكثاراً من البركة لكونه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه **(فناداه ربه عز وجل)** لا يخفى ما في التعبير من الرب المؤذن بالتربية والإيصال إلى الكمال في هذا المقام وهذا النداء الله أعلم أنه كان بواسطة الملك؛ لأن المخصوص بالسماع من حضرة الحق سبحانه من الأنبياء والمرسلين نبينا وموسى ﷺ، ثم رأيت العراقي أشار إلى ما ذكرته وزاد احتمال كونه إلهاماً، قال: ويجوز كونه كفاحاً كما وقع لموسى، وفيه نقد ولعل وجهه ما ذكرنا، وقوله: **(ألم أكن أغنيتك عما ترى)** محكي لقول مقدر أو للنداء لما فيه من معنى القول، والقول محتمل؛ لأن يراد منه غنى القلب، أو غنى المال، وفيه على الثاني أن أيوب كان غنياً شاكراً، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾[4] لأن المراد صبره على البلاء أو على الفقر معه. والذي يظهر أن الله تعالى جمع لأيوب مقامي الصبر على الفقر والشكر على الغنى باعتبار حالتيه، فكان في نفس البلاء فقيراً صابراً وقبله وبعده غنياً شاكراً، ولذا قال تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾[5] ثم قال: ﴿نعم العبد﴾ ففيه الإيماء إلى أنه غني شاكر كما قال في حق سليمان ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ مع أنه كان غنياً شاكراً **(قال: بلى)** واستدرك من مفهوم ذلك قوله: **(ولكن لا**

---

(١) في الأصل: نحومنذكره، والتصويب من الصحاح للجوهري.

(٢) في الأصل: عن، والتصويب من الصحاح للجوهري.

(٣) في الأصل: المذكور، والتصويب من الصحاح للجوهري.

(٤) و(٥) سورة صٓ، الآية: ٤٤.

بَرَكَتِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٦٤ ــ باب: في فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرَفه في وجوهه المأمور بها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى(٢): ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

غنى لي عن بركتك) أي: أغنيتني عنه من سائر الجهات من حيث إنه مال؛ وأنا لا آخذه كذلك شرهاً وحرصاً ولكن لكونه بركة، وفيها وجوه: فقيل لأنه قريب عهد بتكوين من الله تعالى كما حسر نبينا ﷺ **عن** جلده حين نزل عليه المطر وقال: إنه حديث عهد بربه أي: بتكوينه. وقيل: لأنه نعمة جديدة خارقة للعادة فينبغي تلقيها بالقبول، ففي ذلك منه شكر لها وتعظيم لشأنها وفي الإعراض عنها كفر بها، وقريب منه حديث «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه» وقيل: إن هذا آية ومعجزة وكل ما نشأ عنها فهو بركة ومن ذلك قول الصحابة: كنا نعد الآيات بركة، وقيل: غير ذلك **(رواه البخاري)** في كتاب الأنبياء من صحيحه.

باب فضل الغني الشاكر

أي: ما جاء في ذلك والشاكر: هو القائم بما أمر الله تعالى به في المال فعلاً وتركاً كما **قال المصنف: (وهو من أخذ المال من وجهه)** أي: طريقه المأذون بأخذه منه شرعاً كالمعاوضة المستجمعة لشروط الصحة السالمة من غش وخديعة، وكالإرث والوصية والاكتسابات المأذون فيها من احتطاب ونحوه **(وصرفه)** الأولى وإنفاقه لقوله: **(في وجوهه)** أي: طرقه **(المأمور بها)** شرعاً واجباً عينياً كأداء الزكوات والكفارات والنذور، أو كفائياً كالقيام بحاجة المحتاج من طعام وكسوة، أو مندوباً كالتطوعات. **(قال الله تعالى: فأما من أعطى)** أي: أنفق ماله لوجه الله **(واتقى)** محارمه **(وصدق بالحسنى)** المجازاة وأيقن أن الله سيخلفه عليه، أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد **(فسنيسره)** نهيئه في الدنيا **(لليسرى)** للخلة التي توصله إلى اليسرى والزلفى في الدار الآخرة يعني الأعمال الصالحة والآية بعدها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ وفي التوحيد، باب: يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وفي كتاب: الغسل، باب: من اغتسل عرياناً (١/ ٣٣١) و (٦/ ٣٠٠).

(٢) سورة الليل، الآيتان: ٥، ٧.

Made searchable using ScribeTools.com

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

في ضد ذلك تقدمت مع الكلام على ما يتعلق بها في باب النهي عن البخل. **(وقال تعالى: وسيجنبها)** أي: النار **(الأتقى)** أي: الذي اتقى الشرك والمعصية فلا يدخلها أصلاً، أما من اتقى الشرك فقط فيمكن أن يدخلها لكن لا يصلاها ولا يلزمها **(الذي يؤتي ماله)** يعطيه وينفقه في طاعة الله **(يتزكى)** أي: يطلب تزكية نفسه وماله فصلة الذي بدل أو حال فلا محل له على الأول **(وما لأحد عنده من نعمة تجزى)** فيقصد بإتيانه مجازاتها **(إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى)** أي: لكن يؤتي طلباً لمرضاة الله سبحانه، والجمهور على نصب ابتغاء وأنه على الاستثناء المنقطع، وإلا بمعنى لكن كما تقرر فهو في الحقيقة مفعول له، قال الهمداني، ونظر ابن عطية في كون الاستثناء منقطعاً وجعل الكواشي الاستثناء المنقطع والمفعولية له وجهين متقابلين محمول على المعنى، والتقدير: لم يعط الشيء إلا ابتغاء وجهه سبحانه، والابتغاء: الطلب أي: إلا لطلب التوجه إلى ربه الأعلى **(ولسوف يرضى)** من ربه حين يدخله في رحمته. وعن كثير من السلف أن هذه السورة في الصديق وهو الأتقى فيكون الحصر ادعائياً لا حقيقياً، كأن غير هذا الأتقى غير مجتنب بالكلية كذا في تفسير السيد معين الدين الصفوي. وفي تفسير ابن عطية لم يختلف أهل التأويل أن المراد بالأتقى إلى آخر السورة أبو بكر ثم هي تتناول كل من دخل في هذه الصفات وقال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآي نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع عن المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الناس بعمومها، وأن لفظها لفظ العموم وهو قوله: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾[٢] إلخ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف الحميدة: فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونظر رسوله ﷺ، وفي تفسير الكواشي: والمراد بالأتقى أبو بكر الصديق قالوا: بإجماع المفسرين، وما ذكره ابن عطية وابن كثير من أن الآية تشمل من دخل في تلك الصفات تعقبه الحافظ السيوطي في الإتقان فقال بعد أن مهد قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. «تنبيه»: قد علمت أن فرض المسألة في لفظ عموم إما آية نزلت في معين ولا عموم في لفظها فإنها تقصر عليه قطعاً كقوله تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾[٣] إلخ فإنها نزلت في الصديق إجماعاً وقد استدل بها الفخر الرازي مع قوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٤] على أنه

---

(١) سورة الليل، الآيات: ١٧ ــ ٢١. (٢) و(٣) سورة الليل، الآية: ١٧. (٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وَقَالَ تَعَالَى [١]: ﴿إِنْ تُبْدوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفوهَا وَتُؤْتوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى [٢]: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

والآياتُ في فَضْلِ الإِنْفَاقِ في الطَّاعاتِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

٥٧٠ ــ وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ووهم من ظن أن الآية عامة في كل من عمل عمله إجراء له على القاعدة وهذا غلط، فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم، إذ أل إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع زاد قوم أو مفرد بشرط أن لا يكون هناك عهد. واللام في الأتقى ليست موصولة؛ لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً والأتقى ليس جمعاً بل مفرد، والعهد موجود خصوصاً ما يفيد صيغة أفعل من التمييز وقطع المشاركة، فبطل القول بالعموم وتعيين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه ا هـ. **(وقال تعالى: إن تبدوا الصدقات فنعما هي)** أي: إن أظهرتموها فنعم شيئاً ابدؤا **(وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء)** أي: تعطوها مع إخفاء **(فهو)** أي: إخفاؤها **(خير لكم)** والآية عامة في كل صدقة، لكن عن ابن عباس: السر في التطوع أفضل من العلانية يقال بسبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل بخمسة وعشرين ضعفاً **(ويكفر عنكم)** أي: الله أو الإخفاء ففيه إسناد مجازي، ومن قرأ مجزوماً فهو عطف على محل جواب الشرط **(من سيئاتكم)** من للتبعيض أو لبيان الجنس أي: شيئاً هو السيئات **(والله بما تعلمون خبير)** ترغيب في الإخفاء. **(وقال تعالى: لن تنالوا البر)** الجنة: أو التقوى، أو كمال الخير **(حتى تنفقوا مما تحبون)** أي: بعضه، والمراد منه أداء الزكاة أو صدقة السنة، ويدل على الثاني أن كثيراً من الصحابة تصدقوا بأراضيهم وأعتقوا جواريهم، حين أنزلت، والمعنى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء **(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم)** فيجازي بحسبه **(والآيات)** الكائنة أو كائنة **(في فضل الإنفاق في الطاعات)** هي ما تقرب بها إلى المولى **(كثيرة معلومة)** وفيما ذكر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

٥٧٠ ــ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا حسد)** أي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

Made searchable using ScribeTools.com

إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَتَقَدَّمَ شَرْحُهُ قَرِيباً[1].

٥٧١ ـ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً

لأغبطة محمودة (**إلا في اثنتين**) من الخصال أو في ذي اثنتين منها فعلى الأولى يقدر مضاف نحو خصلة قبل قوله: رجل وهو في الأصول مرفوع خبر محذوف أي: هما خصلتان رجل ورجل فحذف المضاف وأقيم رجل مقامه فارتفع (**رجل آتاه**) أي: أعطاه (**الله مالاً**) أي: بطريق لا تبعة فيه كما يومىء إليه إسناد الإعطاء إلى الله سبحانه، وإلا فالتصدق بالسحت لا غبطة فيه (**فسلطه على هلكته**) أي: إتلاف عينه بإبقائه عند الله بإنفاقه لوجهه ومرضاته (**في الحق**) متعلق بالمصدر قبله (**ورجل آتاه الله حكمة**) أي: علماً، ويجوز أن يراد بها القرآن لورود كل منهما في رواية، ويجوز أن يراد بها السنة والأول أقرب (**فهو يقضي بها**) أي: عند التحاكم إليه (**ويعلمها**) ففيه أن شكر المال إنفاقه في وجوه الطاعات ابتغاء مرضاة الله تعالى وأن شكر العلم العمل به وتعليمه (**متفق عليه**) (**وتقدم شرحه**) أي: تبيان المراد من قوله: لا حسد (**قريباً**) نصبه على أنه صفة مصدر أي: تقدما قريباً، أو على الظرفية أي: في مكان قريب من الكتاب وهو باب فضل الكرم والجود.

٥٧١ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لا حسد**) أي: لا ينبغي أن يحسد أي: يغبط (**إلا في اثنتين**) ثوابهما بحسن التصرف من فاعلهما (**رجل آتاه الله القرآن**) قدم هنا على المال من باب التدلي من الشريف إلى المشروف وعكس في الحديث قبله من باب الترقي، أو؛ لأن ذلك سبق للحض على الاشتغال بالقرآن فقدم في كل ما سيق له الحديث وذكر الآخر بالتبع، أو أن ذلك على وجه التفنن في التعبير، وعبر هنا بالقرآن الذي هو منبع العلوم ومعدنها وأصلها ومكمنها، قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[2] وقال تعالى: ﴿والكتاب المبين﴾[3] أي: لكل شيء محتاج إليه كما يؤذن به حذف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة والزكاة وغيرهما (١/١٥٢ و ١٣٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه... (الحديث: ٢٦٦) وانظر رقم (الحديث: ٥٤٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الدخان، الآية: ٢.

فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الآنَاءُ» السَّاعاتُ[1].

٥٧٢ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، .....

المعمول؛ لأنه الأصل، وثم بالحكمة مراداً بها العلم الشرعي على قول لعموم حاجة الناس في معاشهم ومعادهم إليه **(فهو يقوم به)** أي: في صلاته **(آناء الليل وآناء النهار)** منصوب على الظرفية وأعاد المضاف دفعاً لتوهم أن المراد آناء مجموعهما لاكل على الانفراد، ويحتمل أن يراد من القيام المداومة على تلاوته لا بخصوص كونه في صلاة **(ورجل آتاه الله مالاً)** التنكير فيه للتعظيم كما يدل عليه قوله: **(فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)** ويحتمل أن يكون للشيوع فيشمل الجليل منه والحقير، قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾[2] **(متفق عليه)** تقدم ذكر من خرجه من حديث ابن عمر في باب فضل الكرم المذكور **(الآناء)** بالفتح ومد الهمزة قبل النون **(الساعات)** جمع واحده أنى بالكسر والقصر، وأناء بالمد والفتح، وإني بوزن قنو، وأنو بوزن دلو، ذكرها الواحدي في تفسيره.

٥٧٢ ــ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن) بالفتح ويجوز كسر الهمزة بتقدير قول قبلها **(فقراء المهاجرين)** من إضافة الصفة لموصوفها أي: المهاجرين الفقراء **(قالوا)** على وجه الغبطة والتأسف على عدم تمكنهم من ذلك **(يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات)** الباء فيه للتعدية وفيها معنى المصاحبة **(العلا)** أي: الرفيعة. قال ابن عطية في التفسير الدرجات العلى هي القرب من الله تعالى **(والنعيم المقيم)** وهو نعيم الجنة الذي لا ينقضي أبداً **(فقال: وما ذاك)** استفهام عن الذي لأجله قيل: فيهم أنهم فازوا بذلك دنيا وعقبى ولم يتركوا منه للفقراء شيئاً كما يومىء إليه السياق، وأتى باسم الإشارة الموضوع للبعيد فيه مع قربه لفخامة شأنه كقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾[3] بناء على أن المشار إليه هو الحروف المقطعة أول السور **(فقالوا يصلون كما نصلي)** لفظ ما كافة مهيأة للدخول على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد وفي فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن (٩/٦٥). وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن... (الحديث: ٢٦٦).

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢.

Made searchable using ScribeTools.com

وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمِدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» مُتَّفَقٌ

الجملة الفعلية، وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة أو مصدرية أي: مثل صلاتنا، أو موصولة أي: مثل الذي نصليه **(ويصومون كما نصوم)** أي: هم في العبادات البدنية مماثلون لنا مساوون فيها وزائدون علينا بالعبادات المالية المدلول عليها بقولهم: **(ويتصدقون ولا نتصدق)** كذا في النسخ بإظهار الفوقية وتخفيف المهملة الأولى فيها **(ويعتقون)** بفتح التحتية وكسر الفوقية فيهما **(ولا نعتق)** أي: فهم يرجحون علينا بذلك، إذ لا مال لنا نصل به إلى مثل ذلك **(فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم)** أي: أترككم تعباً من ذلك فلا أعلمكم **(شيئاً)** أي: عظيماً بقرينة وصفه بقوله: **(تدركون به من سبقكم)** أي: إلى المنازل العلى أو من سبقكم من مؤمني الأمم **(وتسبقون)** بكسر الموحدة **(به من بعدكم)** أي: في الرتبة أي: دونكم أو في الزمن **(ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم)** الاستثناء فيه منقطع أي: لكن من صنع مثل ما صنعتم فلا تسبقونه ولا يفضل عليه أحد كما لا يفضل عليكم **(قالوا: بلى يا رسول الله)** أي: تعليم ذلك مرادفاً لنلحق به من سبق ونحوز به على من بعد فضل السبق، وفي قولهم: يا رسول الله تحريض على الإعلام أي: إن الله رحم بك العباد وتعليم ذلك منها فجد به **(قال: تسبحون وتكبرون)** بتضعيف الفعلين اعتباراً بتكرير الفعل **(وتحمدون)** بفتح الفوقية والميم **(دبر)** أي: خلف **(كل صلاة)** أي: من المكتوبات كما جاء كذلك في رواية، ودبر ظرف تنازعه الأفعال قبله وكذا تنازعت **(ثلاثاً وثلاثين)** وهو منصوب على المفعولية المطلقة للعامل فيه منها **(فرجع)** العطف على محذوف دل عليه السياق أي: فذهب فقراء المهاجرين بما علمهم رسول الله ﷺ فعملوا فعلمه الأغنياء فعملوا به وشاركوهم فيه كغيره من العبادات البدنية فرجع **(فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ)** إذ فاتهم ما استأثروا به عن الأغنياء ليلحقوهم في فضل عملهم المالي بمشاركتهم فيه **(فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال)** هذا تفسير منهم للدثور المذكور عنهم أول الحديث **(بما فعلنا)** أي: مما ذكرت وما فيه من عظيم الفضل **(ففعلوا مثله)** فساوونا فيه وزادوا عليه بالعمل المالي فرجع الأمر بالآخرة إلى ما اشتكوا منه أولاً **(فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله)** أي:

عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ. «الدُّثُورُ»: الأَمْوالُ الْكَثِيرَةُ، واللَّهُ أَعْلَمُ[1].

ثوابه **(يؤتيه)** أي: يعطيه **(من يشاء)** من فقير وغني، والمشار إليه يحتمل أن يكون السبق إلى المنازل العلى المذكور أول الخبر أي: أنالهم الله ذلك وقصره عليهم، فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم، ويحتمل أن يكون الثواب المرتب على هذا المذكور أنه فضل الله إن شاء خص به الفقراء، أفلا يلزم من إتيان الأغنياء به مساواة الفقراء فيه أي: فلا عليكم من مشاركتهم في ذلك صورة، والأول قال به: من مال إلى تفضيل الغني الشاكر، والثاني قال به: من قال بتفضيل الفقير الصابر **(متفق عليه)** رواه البخاري في الدعوات ومسلم **(وهذا لفظ رواية مسلم)** في كتاب الصلاة، وليس في رواية البخاري وصف الدرجات بالعلا، وفيها أن كلاً من التكبير والتسبيح والتحميد عشراً عشراً وليس عنده من قوله: فرجع فقراء المهاجرين إلى الآخر، وسبق في باب بيان طرق الخيرات أن حديث أبي ذر عند مسلم بنحو حديث الباب، وأن كلاً من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة، وفيه زيادة على ما في حديث الباب ونقص عنه **(الدثور)** بضم المهملة والمثلثة **(الأموال الكثيرة)** كما في النهاية. وبه يعلم ما في اقتصار الكازروني شارح الأربعين على قوله: الدثر المال ولم يقيده بالكثير، وفي باب بيان طرق الخيرات الدثور واحدها دثر، فأفاد ثمة بيان مفرده وهنا بيان معناه. وفي النهاية: الدثور جمع دثر أي: كفلس يقع على الواحد والاثنين والجمع ا هـ.

بعونه تعالى

تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس

وأوله باب: ذكر الموت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: الدعاء بعد الصلاة (٢/ ٢٧٠ و٢٧٢) و(١٠/ ١١٣). وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة... (الحديث: ١٤٢).

Made searchable using ScribeTools.com

الفهرس

Made searchable using ScribeTools.com

فهـرس
الجـزء الثـالث

٢٧ ــ باب: في تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم .. ٥
٢٨ ــ باب: في في ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة ٣٢
٢٩ ــ باب: في قضاء حوائج المسلمين ٣٦
٣٠ ــ باب: في الشفاعة ٤١
٣١ ــ باب: في الإصلاح بين الناس ٤٤
٣٢ ــ باب: في فضل ضعفة المسلمين ٥٥
٣٣ ــ باب: في ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين
والمنكسرين والإحسان إليهم ٧٤
٣٤ ــ باب: في الوصية بالنساء ٩٤
٣٥ ــ باب: في حق الزوج على المرأة ١٠٨
٣٦ ــ باب: في النفقة على العيال ١١٦
٣٧ ــ باب: في الإنفاق مما يحب ومن الجيد ١٢٣
٣٨ ــ باب: في وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ١٢٨
٣٩ ــ باب: في حق الجار والوصية به ١٣٤
٤٠ ــ باب: في بر الوالدين وصلة الأرحام ١٤٢
٤١ ــ باب: في تحريم العقوق وقطيعة الرحم ١٧٧
٤٢ ــ باب: في فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر ١٨٧
٤٣ ــ باب: في إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم ١٩٦
٤٤ ــ باب: في توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على ٢٠٣
٤٥ ــ باب: في زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب ٢١٩
٤٦ ــ باب: في فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل م يحب أنه ٢٤٣

Made searchable using ScribeTools.com

٤٧ ــ باب: في علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها ٢٦٠
٤٨ ــ باب: في التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة المساكين ٢٦٦
٤٩ ــ باب: في إجراء أحكام الناس على الظاهر، وسرائرهم إلى الله تعالى ٢٦٩

فهرس

الجزء الرابع

٥٠ ــ باب: في الخوف ٢٨٣
٥١ ــ باب: في الرجاء ٣٠٥
٥٢ ــ باب: في فضل الرجاء ٣٥٢
٥٣ ــ باب: في الجمع بين الخوف والرجاء ٣٥٦
٥٤ ــ باب: في فضل البكاء من خشية الله تعالى، وشوقاً إليه ٣٦٠
٥٥ ــ باب: في فضل الزهد في الدنيا، والحث على التقلل منها، وفضل الفقر ٣٧٤
٥٦ ــ باب: في فضل الجوع وخشونة العيش، والاقتصار على القليل ٤٢٦
٥٧ ــ باب: في القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة ٤٩٨
٥٨ ــ باب: في جواز الأخذ من غير مسألة ٥٢١
٥٩ ــ باب: في الحث على الأكل من عمل يده، والتعفف به عن السؤال ٥٢٣
٦٠ ــ باب: في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى ٥٢٦
٦١ ــ باب: في النهي عن البخل والشح ٥٤٨
٦٢ ــ باب: في الإيثار والمواساة ٥٥٠
٦٣ ــ باب: في التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به ٥٥٨
٦٤ ــ باب: في فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه ٥٦١

Made searchable using ScribeTools.com